



أفاق الحضارة الإسلامية العالمية

تصدر عن معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية - وزارة التعليم العالي
عددان في السنة (نصف سنوية)

العدد «الثالث والعشرون» السنة الثانية عشرة ٢٤ ربيع الاول ١٤٣٠ هـ. ق.
فروردين / ١٣٨٨ هـ. ش / ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٩ م

رقم المنشور القياسي الدولي ٦٨٢٢ - ١٥٦٢

□ المدير المسؤول: الدكتور مهدي گلشنی (رئيس معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية)

□ تحت اشراف هيئة استشارية

□ رئيس التحرير: الدكتور صادق آئينهوند

□ مدير التحرير: أ. قيس آل قيس

□ مدير النشر: رحمت الله رحمت پور

□ المطبوع: ١٠٠٠ نسخة

□ المشرف الفني على الطباعة: سيد ابراهيم سيد علي

□ التنضيد: حسام روناسي

□ المطبعة: شركة طباعة فرشيوه (طهران - شارع ولي العصر - قبل شارع الجمهورية - زقاق فلاح زادگان

- زقاق نجات - الرقم ٦٠ - رقم الهاتف ٦٦٩٥٨١٩٢)

□ الثمن: ٣٥٠٠ ريال

□ الاشتراك السنوي: ٧٠٠٠ ريال

□ العنوان: الجمهورية الإسلامية الإيرانية

طهران، شارع كردستان، رقم ٦٤، الرقم البريدي ١٤٣٧٤

□ الهاتف: طهران: ٨٨٠٥٣٩٣٤ و ٨٨٠٤٦٨٩١-٣، الفاكس: طهران: ٨٨٠٣٦٣١٧ -

تلفاكس ٨٨٠٥٣٩٣٤

Email afaq @ ihcs.ac.ir

Email afaghJournal@yahoo.com

Email kaissalkaiss @ vahoo.com

- الأبحاث التي تنشر في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأيها.
- ترتيب نشر المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- لهيئة التحرير الحق في اجراء ماتراه مناسباً من تعديل او حذف في المقالات مما لا يمس جوهر المضمون ولا يخل بالمعنى.
- المجلة غير ملزمة باعادة المواد التي لا تنشرها الى اصحابها.

* * *

- كيفية الاشتراك: يرجى من الراغب في الاشتراك في المجلة أن يودع مبلغ الاشتراك في الحساب الجاري رقم ٩٠١٨٩ في (بانك ملي، شعبة ميدان سيد جمال الدين اسدآبادي) باسم (پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي) على أن يرسل اصل الوصل الى مكتب المجلة مع اسم المشترك و عنوانه البريدي الكامل.

هيئة التحرير

- | | |
|-------------|-------------------------------|
| استاذ | ١. الدكتور مهدي گلشنی |
| أستاذ | ٢. الدكتور صادق آئینه‌وند |
| استاذ مشارك | ٣. الاستاذ قیس آل قیس |
| استاذ مشارك | ٤. الدكتور سید حسین میرجلیلی |
| استاذ مشارك | ٥. الدكتور علی رضا میرزا محمد |
| استاذ مشارك | ٦. الدكتور عبدالحسین فرزاد |

الهيئة الاستشارية

١. الدكتور سيد أمير محمود أنوار استاذ جامعة طهران
٢. الدكتور حامد صدقي استاذ جامعة اعداد المعلمين
٣. الدكتور سيد حميد طبيبيان استاذ معهد العلوم الانسانية
و الدراسات الثقافية
٤. الدكتور محمد ابراهيم خليفه شوشري استاذ مساعد جامعة الشهيد بهشتي
٥. الدكتور عبد العلي فيض الله زاده استاذ مساعد جامعة الشهيد بهشتي
٦. الدكتور محمد علي لساني فشاركي استاذ مساعد جامعة اعداد المدرسين
جمهورية مصر العربية -
القاهرة
٧. الدكتور علي ابوالخير استاذ كلية الطب - جامعة
المنصورة - جمهورية مصر
العربية
٨. الدكتور أحمد راسم النفيس استاذ دولة الكويت
٩. الدكتور علي العلي استاذ جامعة اعداد المعلمين
١٠. الدكتور السيد محمد علي القائم استاذ مساعد مقام الحسيني النجفي

أسرة المجلة:

□ الآنسة ناهيد فتحي: الكمبيوتر والأترنت والمشاورة الفنية والاتصال الدولي والادارة.

□ السيدة فاطمة مكداول: المراسلات والأمور الادارية والعلاقات الداخلية والخارجية

نعي ومواساة
﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

تقدم أسرة مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، أحرّ التعازي
لعائلة الفقيد المرحوم الدكتور پرويز مشكين نژاد.
أسكنه الله فسيح جناته وألهمّ ذويه وزملاء الصبر
والسلوان.

المدير المسؤول وأسرة التحرير

كلمة العدد - الحضارة الإسلامية الحديثة تحتاج لإطروحة إقتصادية إسلامية

بقلم: رئيس التحرير ١١

الانتصار الحق - رسالة الى سيد المقاومة السيد حسن نصرالله

شعر: دكتور محمود السيد محمد - لبنان / بيروت ١٥

قراءة عامة في فكر حسن البنا والحركات الإسلامية

بقلم: المفكر المستشار طارق البشري - جمهورية مصر العربية /

القاهرة ١٩

الخلل المنهجي في محاضرة البابا

بقلم: البروفسور أبو يعرب المرزوقي - أستاذ الفلسفة في الجامعة

التونسية ٦١

قراءة قانونية للمقاومة والإرهاب

بقلم: البروفسور الدكتور علي العلي - دولة الكويت ٦٩

اللغة وتحديات العصر

بقلم: الدكتور عطا أبو جبين - أستاذ لغويات / فلسطين ٩٥

حوار الحضارات .. رؤية مقاصدية

- بقلم: أحمد بوعود - باحث وكاتب / المغرب ١٣٣
- إستشهاد الحسين عليه السلام وثقافة الانتقام
- بقلم: دكتور أحمد راسم النفيس - جامعة المنصورة / مصر ١٤٣
- أضواء على المنهج الاخلاقي للمرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده)
- بقلم: سماحة الشيخ شاهر الشبيبي - باحث إسلامي / العراق ١٤٩
- الرازي في تفسيره الكبير
- بقلم: حجة الاسلام والمسلمين سعيد الأعرجي - باحث في الشؤون الاسلامية - جمهورية العراق / بغداد ١٥٧
- حركة الامام الحسين عليه السلام دينياً وسياسياً
- بقلم: حسام علي محمود- باحث وكاتب/ العراق ٢٠٣
- الاستاذ المطهري ومواجهته الأئيلة والفلسفية للعلم الجديد
- بقلم: الدكتور مهدي گلشنی - أستاذ جامعة شريف الصناعية؛ رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية ٢٠٧
- تهديب المعاجم سبق وريادة - دراسة في معجم " ترويح الارواح في تهديب الصحاح" . بقلم: دكتور محمد صالح شريف العسكري - أستاذ مساعد بجامعة إعداد المعلمين ٢٢٧
- الطبيعة في تأملات إيليا أبو ماضي الشعرية
- بقلم: الدكتور حامد صدقي. حنان حميدى ٢٦٣
- غاية الجاحظ من تأليف كتاب (البيان والتبيين)
- بقلم: عبدالغني ايرواني زاده - جامعة اصفهان
- على سوارى - طالب في مرحلة الدكتوراه / جامعة اصفهان ٢٨٣

تطورات العربية الشفهية المعاصرة

بقلم: الدكتور محمد خاقاني - عضو الهيئة العلمية بقسم اللغة العربية

وآدابها - جامعة اصفهان ٣٠٩

الاسلام والأجهزة الاعلامية والتحديات والحلول

بقلم: الدكتور السيد محسن ميري

معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية ٣٢٣

زهير بن أبي سلمى وأسلوبه المدحي

بقلم: دكتور غلام رضا كريمي فرد

استاديار دانشگاه شهيد چمران اهواز ٣٣٣

أحمد شوقي كما عرفته

بقلم: د. قيس آل قيس - هادي تاروردیلو ٣٥١

الآراء النحوية التي انفرد بها القراء

بقلم: الدكتور سيد رضا نجفي - داوود عسكري ٣٨٧

أدباء السجون من القرن الأول حتى القرن السادس

بقلم: الدكتور حسين جوبين - استاذ مشارك في كلية العلوم الانسانية

بجامعة آزاد الاسلامية / فرع دزفول ٤٢٧

أهل البيت عليهم السلام في أشعار منصور النمري

بقلم: جواد غلام علي زاده - عضو الهيئة العلمية بجامعة زابل... ٤٤٧

نظرة تحليلية في الآثار الأدبية للامام علي عليه السلام

بقلم: الدكتور عبدالأحد غيبي - جامعة آذربيجان لإعداد المعلمين-

تبريز ٤٦٣

رؤية جديدة الى المعلقات بين التوثيق والتضعيف

إعداد: الدكتور سيد أبو الفضل سجادي-الدكتور ابراهيم انارى... ٤٨١

- جمال القص القرآني - قصة موسى في سورة القصص نموذجاً
 بقلم: الدكتور أحمد نيرات - أستاذ مساعد في جامعة كردستان... ٥٥٥
- دراسة موجزة في موسيقى الخطبة الغراء للإمام علي عليه السلام
 بقلم: مرتضى قائمي - الاستاذ المساعد بجامعة بو علي سينا - همدان ٥٢٣
- النقد الأدبي في العصر العباسي
 بقلم: الدكتور محمد باقر الحسيني..... ٥٤٣
- الحجاب في العصر العباسي
 بقلم: راحلة نجفي - جامعة گرمسار..... ٥٥٩
- دراسة المفاهيم المشتركة في شعر الشعراء الفلسطينيين المشهورين
 بقلم: رمضان علي نامدار پور - عضو الهيئة العلمية بجامعة آزاد
 الاسلامية بمدينة بابل. الدكتور بهروز افشار - عضو الهيئة العلمية
 بجامعة آزاد الاسلامية بمدينة بابل. احسان علي فيروز جانيان -
 ماجستير في اللغة والأدب العربي ومدرس بمدينة بابل ٥٨٧.....
- بنية مرثي الامام الحسين عليه السلام ومضامينها في ديوان الشريف المرتضى
 بقلم: الدكتور محمد اسماعيل زاده - عضو الهيئة العلمية في الجامعة
 الاسلامية الحرة / تبريز ٦٠٣
- شخصية العدد - كوكب التصوف والعرفان الاسلامي " إبراهيم بن أدهم "
 بقلم: د. قيس آل قيس - مدير القسم العربي في معهد العلوم الانسانية
 والدراسات الثقافية..... ٦٢٥
- نقد الكتب - أخت للعربية منسية
 بقلم: الدكتور فكتور الكك - أستاذ جامعي - لبنان/ بيروت... ٦٤٩
- أخبار ثقافية من العالم الاسلامي ٦٥٥
- جولة بين الكتب والمجلات ٨٤٩

كلمة العدد:

الحضارة الإسلامية الحديثة

تحتاج لإطروحة إقتصادية إسلامية

بقلم

رئيس التحرير

إنَّ إنْهَادَ النظامِ الإقتصاديِّ الماركسيِّ الشيوعيِّ المشيدِ على نظريةِ الإقتصادِ الحكوميِّ الصرفِ وحرمانِ الفردِ من المالكيةِ الخصوصيةِ إنَّ دَلَّ على شَيْءٍ فإنَّما يدلُّ على أنَّ أيَّ قوَّةٍ في الكونِ ستَبْقَى عاجزةً عن تنفيذِ أيِّ أطروحةٍ أو مشروعٍ لم يأخذْ بنظرِ الاعتبارِ الفطرةَ الذاتيةِ وسجيةِ المطالبِ والرغباتِ القلبيةِ المضمرةِ.

وعلى أيِّ حالٍ فإنَّ الفطرةَ البشريةَ تدفعُ الإنسانَ إلى الجدِّ والاجتهادِ ورفعِ النَّتَاجِ والإنتاجِ كي يعمَّ العيشُ الهاديُّ السعيدُ أسرتهُ وبيتهُ وبيوتَ أبناءِ جلدتهِ جميعاً.

وقد ثَبَتَ عملياً أنَّ النظامَ الإقتصاديِّ الماركسيِّ الشيوعيِّ نظامٌ فاشلٌ على كافَةِ المستوياتِ القطريةِ منها والدوليةِ.

ونشاهدُ الآنَ كافَةَ الأنظمةِ التي تحدَّتْ النظامَ الماركسيِّ الشيوعيِّ ونعني بها الأنظمةَ التي شُيِّدَتْ على الرأسماليةِ والمالكيةِ المطلقةِ للأفرادِ تُعاني اليومَ وطأةَ تيارٍ مُتحدٍّ جارِفٍ.

وقد برهنت لنا التجارب أنَّ إنهيار النظام الماركسي وتبدُّد دولة الاتحاد السوفيتي قد أدخل الفرحة على قلوب أنصار المدرسة الرأسمالية من الأثرياء والمالكين والاقطاعيين، وأخذوا يتبجَّحون بالرأسمالية حيث جعلوها جنة الحياة الدنيا، واعتبروها صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة، وصيروها الدواء الناجع للبشرية، وجعلوها القاعدة العريضة التي يستندون عليها.

ولكنهم اليوم أمام مشاكل جديدة تتحدَّاهم ، مصدرها طغيانهم ومنطلقها تعسفهم، حيث أهملوا طبقات الشعوب المستضعفة وأصحاب الدخل المحدود وحتقروا البائسين حيث لم تبقَ للفقير في حياتهم الرأهنة مكانة تُذكر، ولا معنى للعدالة الاجتماعية في قاموس سيرتهم الانسانية حيث حذفوا هذا المفهوم من عالم الوجود.

والآن وضع الاسلام خطواته الاولى على طريق " الحضارة الاسلامية الحديثة " بعزم راسخ وإرادة رصينة وهمة عالية سامية، فمن الأفضل أن يُسائر هذه المسيرة الحضارية نظام إقتصادي مُشيد على قواعد المدرسة الاسلامية كي يعم أبناء البشرية جمعاء.

ومما لا يخفى على صاحب كل بصيرة أنَّ هذا النظام يضم بين دفتيه الملكية الخصوصية بشكل مشروط ناهيك عن اهتمامه والتزامه بالابداع والتطور والمساواة الاجتماعية والعدل والقسط والانصاف، إضافة الى الأخذ بنظر الاعتبار التنمية والتقدم والاستثمار.

نعم إنَّ هذا الاقتصاد معنوي يتميز بالنظرة الواقعية والفكرة الصائبة ويستلهم أفكاره من مدرسة "وجعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس"

وهو خير مخلص ومنجى لما يُعانيه شعوب العالم من المآسي الاقتصادية.

بناءً على هذا نقترح على " منظمة الدول الإسلامية " أن تُشكل لجنة تضم كبار خبراء الاقتصاد في العالم الإسلامي من أجل تدوين أطروحة " نظام الاقتصاد الإسلامي " كي تكون العروة الوثقى التي تلتزم الطريق الأوسط وتسير جنباً إلى جنب " بنك الاقتصاد الإسلامي " وتعمل كافة دول العالم الإسلامي وفق مواده وبنوده بشكل عملي ملتزم.

أما المسؤولية الملقاة على عاتق خبراء الاقتصاد في عالمنا الإسلامي حالياً فهي تدوين أطروحة اقتصادية عادلة قوامها القسط واسنادها الطريق الأوسط وعبرتها إيجابيات وسلبات النظامين المذكورين فيما تقدم، وعرضها على مؤتمرات تضم أولى النهى في عالمنا الإسلامي ليتم بعد دراستها السعي على تنفيذ ما جاء بها عملياً.

والله من وراء القصد.

الدكتور صادق آئينه ولد

الانتصار الحق

رسالة الى سيد المقاومة ؛ السيد حسن نصرالله

شعر: دكتور محمود السيد محمد

لبنان - بيروت

وَمَنْ تَوَلَّوْا وَمَنْ خَانُوا وَمَنْ تَبِعُوا
مَعَ الْعَدُوِّ وَمَنْ فِي فَخِّهِ وَقَعُوا
وَهُمْ يَعِيشُونَ فِي الْأَوْخَالِ مَا ارْتَدَعُوا

أَسْقَطْتَ حُجَّةَ مَنْ هَانُوا وَمَنْ خَنَعُوا
وَمَنْ تَوَاطَأَ مِنْهُمْ فِي عِلَانِيَةٍ
نَزَعْتَ عَنْهُمْ رِذَاءَ الذُّلِّ فَارْتَعُوا

عَشْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ نَجْزَعْ وَهُمْ جَزَعُوا
فَاخْضَعُونَا لَهَا حِينًا كَمَا خَضَعُوا
أَنَّ الْخُنُوعَ سَبِيلُ الْعَيْشِ فَاقْتَنَعُوا
فِي حَلْقِهَا غُصَّةٌ مِنْ هَوْلٍ مَاصَنَعُوا
لَمَّا أَتَى النَّصْرُ تَلَوُ النَّصْرِ يَنْدَفِعُ

يَاصْنَعِ النَّصْرُ بَلْ يَا بَاعِثًا أَمَلًا
ظَنُّوْا بَأَنَّ بِأَمْرِيكََا حِمَايَتَهُمْ
وَكَبَلُونَا بِأَوْهَامٍ وَعَنْ لَهْمٍ
دَعْنَا وَمَا صَنَعُوا فِي أُمَّةٍ وَهْنَتْ
دَعْنَا وَمَا فَعَلُوا فِي حِقْبَةٍ سَقَطَتْ

مِنَ الْبُطُولَةِ .. لَيْلٌ بَاتَ يَنْقَشِعُ
كَمِثْلِ دَبَابَةِ الْمِرْكَافِ تُقْتَلَعُ
غَزَوُ الْجَنُوبِ فَفَرُّوا مِنْهُ أَوْ صَرَعُوا

عَلَى الْجَنُوبِ وَفِي بِلْدَاتِهِ صُورٌ
تِلَالُ خَوْفٍ هُنَا أَضْحَتْ مُدْمَرَةٌ
كَمِثْلِ جُنْدٍ أَتَوْا تَبْغِي جَحَافِلُهُمْ

كَمِثْلِ طَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ قَدْ نَسَفَتْ
دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ فِي لِبْنَانٍ فَاقْتَسَمَتْ

أَوْ خُطْبَةٍ عَذْبَةٍ الْأَلْفَاظِ تُبْتَدِعُ
تَهْدِيدُهُ لِلْأَعَادِي لَيْسَ يَنْقَطِعُ
عَلَى الْعَدُوِّ إِذَا بِالْأَنْفِ يُجْتَدِعُ

أَعْدَانُنَا فِي الْوَعَى نَصْرًا فَذِي خُدْعُ
كُلُّ الْمَوَائِيقِ غِرٌّ كَيْفَ يُتَّبَعُ

هِيَ الْعِتَادُ لَنَا وَالزُّوْدُ وَالْمَنْعُ
إِلَّا خَوْنًا كَأَمْثَالٍ لَهُ رَكَعُوا

مَحَوْتَ آثَامَهُمْ بِالنَّصْرِ فَانْقَشَعُوا
تَرَكْنَ إِلَى قَوْلٍ وَلَمْ يُنْهَرْكَ مُنْتَجِعُ
سَيِّفٌ لَيْسَمَعْنَا مَنْ لَيْسَ يَسْتَمِعُ
يُحَقِّقُونَ بَعْزِمَ مَا إِلَيْهِ دُعُوا
كَانَ قَادَةً أَمْجَادٍ لَنَا رَجَعُوا

تَغْبَأُ بِغَطْرَسَةِ الْأَعْدَاءِ تُصْطَنِعُ
وَأَيَقُنُوا أَنَّهُمْ فِي الْوَهْمِ قَدْ وَقَعُوا
قُرَى مُحَصَّنَةً وَالْجَيْشَ مُمْتَنِعُ
وَلَوْ رَأَوْا فِي قَوَاهِمُ مَنَعَةً مُنْعُوا
إِلَّا لَكِنِّي يَهْرَبُوا إِنْ لَاحَ مُتَّسِعُ

كَمِثْلِ طَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ قَدْ نَسَفَتْ
دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ فِي لِبْنَانٍ فَاقْتَسَمَتْ

الْحَرْبُ لَيْسَتْ شِعَارَاتٍ مُنَمَّكَةً
وَلَيْسَتْ الضَّرْبَةُ الْأُولَى تَلِيْقُ بِمَنْ
قَدْ عَاشَ عُمْرًا يُمْنِنُنَا بِقَاضِيَةٍ

وَلَيْسَ تَسْلِيْمُ أَوْرَاقِ الْقِتَالِ إِلَى
وَمَنْ يُمَالِيءُ أَعْدَاءَ لَنَا خَرَقُوا

وَلَيْسَ مَنْ يَرْتَضِي تَذْمِيرَ أَسْلِحَةٍ
وَيَرْتَضِي فِكْرَةَ التَّقْتِيشِ عَنْ كَتَبٍ

دَعْنَا وَمَا صَنَعُوا .. دَعْنَا وَمَا اقْتَرَفُوا
فَأَنْتَ وَخَذَكَ فِي سَاحِ الْبُطُولَةِ لَمْ
عَرَفْتَ أَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ يَرْسُمُهُ
وَقَدْتَ جُنْدَكَ نَحْوَ النَّصْرِ فَانْطَلَقُوا
وَأَنْتَ تَمْلَأُ مَيْدَانَ الْوَعَى ثَقَّةً

وَأَنْتَ وَخَذَكَ فِي سَاحِ الْبُطُولَةِ لَمْ
لَمَّا هَدَمْتَ جِدَارَ الْهَيْبَةِ انْكَشَفُوا
ظَنُّوا بِأَنَّهُمْ الْأَقْوَى وَأَنَّ لَهُمْ
قَصَصَتْ كُلَّ الْقُرَى وَأَنْهَارَ جَيْشَهُمْ
فَمَا أَقَامُوا عَلَى أَرْضٍ تَمِيدُ بِهِمْ

جابهتُهُمْ فَوْقَ أَرْضِ الْعِزِّ فاندَحَرُوا
قاتلتَهُمْ بِسِلَاحِ الْحَقِّ فامتثلوا
وأعْظَمَ النَّصْرُ نَصْرًا جَاءَ مَغْتَصِبًا
نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ نَصْرُ اللَّهِ جَاءَ بِهِ
ردَعَتْهُمْ بِسَدِيدِ الرَّمْيِ فارتَدَعُوا
جرَّعَتْهُمْ كَأْسَ ذُلِّ الضَّيْمِ فاجترَعُوا
برغمِ أَنْفِ الْعِدَا إِذْ هُمْ إِلَيْهِ سَعَوْا
أَكْرَمَ بِنَصْرِ بِهِ الْهَامَاتُ تَرْتَفِعُ

قالوا قَلْبَتَ موازينَ الحُرُوبِ أَجَلُ
ففي انتصارِكَ عَدْلٌ لِلْأُمُورِ إِذَا
قَلْبَتَ مَقْلُوبَهَا دَعَاهُمْ فَقَدْ خَدَعُوا
رَعَاهُ حُكَّامُنَا فِي أَوْجِهٍ وَوَعُوا

قراءة عامة في فكر حسن البنا والحركات الاسلامية

بقلم المفكر المستشار: طارق البشري
جمهورية مصر العربية - القاهرة

حصيلة قرن كامل

أظن أننا إذا تكلمنا عن بناء الجماعة السياسية في مصر على مدى القرن العشرين، فسنجد أن ثلاثة يقفون في قمة هذا المجال، وهم بترتيب الظهور: سعد زغلول، وحسن البنا، وجمال عبدالناصر، وكلهم كانوا حركيين، كانت حركاتهم السياسية معبرة عن دعواتهم وأفكارهم، ولم يطرحوا فكراً نظرياً مجرداً، وإنما طرحوه حركات سياسية، أو تشكيلات تنظيمية أو تكوينات مؤسسية، وأن كلا منهم صار علامة على تشكل جماعي سياسي، الجماعة المصرية عند سعد زغلول، والجماعة الاسلامية عند حسن البنا، والجماعة العربية عند جمال عبدالناصر.

وإذا كانت صراعات سياسية حادة قد جرت بين أصحاب كل من هذه الاتجاهات عبر عقود القرن العشرين، فنحن الآن ننظر في حصيلة قرن كامل، ومتى يمكن أن نتجاوز الطارئ والمؤقت والمتغير من هذه الصراعات لننظر في إمكان النظر الى جهود السابقين بحسبانها أسس بناء الجماعة

السياسية في بلادنا، وبما يقوم به التيار السياسي الاسلامي المستوعب لدينا، أي لننظر في وجوه التناسق والتكامل بين ما يجمع بينها من أهداف مشتركة. والحق أن الحركة السياسية ذات القدرة الأوسع على الانتشار الشعبي، والتي لم تصل أبداً إلى حكومة البلاد، بل عانت الكثير من ممارسات الحكومات المتعاقبة ضدها، كانت هي هذه الحركة الاسلامية السياسية التي أنشأها في عشرينيات القرن العشرين الاستاذ الشيخ حسن البنا، كما أنها الحركة التي توالدت أجيالها بغير انقطاع عضوي.

على أننا نظل نحتاج إلى استخراج الصياغات السياسية التي تمكن من توسيع رقعة المساحة المشتركة من الاهداف العامة للتيارات السياسية الوطنية في بلادنا، وليس المقصد من ذلك الإشارة إلى أهداف السياسات العملية المتخذة فقط، وإنما المقصود أيضاً أن يكون هناك قدر من التقبل الفكري، أو على الأقل، التفاهم الفكري والمعرفة بحقائق ما يقصده كل تيار تجاه التيارات الأخرى، إن لغة التعبير الفكرية عن السياسات والأهداف تتنوع بتنوع المرجعيات الفكرية وبأثر التراث الثقافي لدى كل تيار في صياغته لما يعنيه، فالجهاد مثلاً يعني لدى آخرين مقاومة الاحتلال والاستبداد .. وهكذا.

قراءة حسن البنا

ومن عدد من السنين، بعد قراءتي لأعمال الاستاذ حسن البنا قراءة متصلة، وبعض كتابات من أتى بعده ممن يسير على خطاه، وكانت مع كتابات الاستاذ البنا مما بني به فكر الحركة الاسلامية التي أنشأها، بعد ذلك حاولت أن أعبر عن قراءتي الذاتية لهذه الأعمال بما أتصوره يقيم جسر تفاهم فكري، وما أتصوره يصلح امتداداً طبيعياً لا فرعاً من الشجرة ذاتها، مما لا أظنه ينفصل عن جذعها.

حاولت بهذه الصياغة أن أخص ما أظنه أطر النظر السياسي الاجتماعي الذي يصدر أو يمكن أن يصدر عن هذا الفكر، أو بعبارة أدق، حاولت أن أبسط خطوطاً عامة للرؤى السياسية الاجتماعية التي يمكن أن تقوم على هذه الاسس السابق وضعها، بحسبانها تفريعات محتملة لها وفق قراءة قارىء بذاته، هو أنا، بمعنى أن هذا الذي أبسطه في البنود التالية، ليس كتابات الاستاذ البنا ذاته رحمه الله، إنما هو قراءتي لهذه الكتابات، أي: هو ما ورد في هذه الكتابات منقولاً الى عقل ناظر آخر، وهو يمثل تفاعلاً بين مقروء وقارىء.

ويظهر أثر القارىء في المقروء عن طريق اختيار المقطعات ووضعها في سياق آخر، وتفرع التفاريع مع عدد من الاضافات التفصيلية. وكانت نيتي الظاهرة لدي في ذلك تتعلق بأن أجتهد في أن أترجم المكاتبات لقارىء جديد عليها وعلى مفاهيمها، أي أن أصل بين المكتوب وبين قارىء يرد من ثقافة أخرى، وأن أحاول أن أسد فجوة في فجوات الثقافة السياسية في بلادنا بين تيارات ذات أصول ثقافية متباينة.

لا أعرف مدى ما بلغته المحاولة من صواب، ولكنها اجتهد رجوت منه أن يكون سعياً لبلوغ هدف التفاهم والتقبل، مما أراه ضرورياً لنا في سعينا المشترك لإنقاذ هذه الأمة من عثرات الماضي والحاضر. والحمد لله.

الفكر السياسي للحركة الاسلامية

إن الدعوة الاسلامية تصدر عن أن أحكام الاسلام شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالى رب السماوات والارض، والاسلام دين ودنيا، وروحانية وعمل، والمسلم يؤمن بالله ويعمل الصالحات، وإن أصل شرعية النظام الاسلامي وأساس التعاليم الاسلامية هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن تمسكت بهما الأمة فلن

تضل أبداً، وإن نظم الإسلام التي ينبغي أن تسير عليها الأمة، إنما تستقي من هذا المعين الصافي.

وهذا أساس الدعوة الإسلامية وسبب قيامها، وستبقى بإذن الله تعالى على مدى الزمان، حتى تقوم شريعة الله حاكمة للعباد، ينهض بها المسلمون ويعملونها رسالة حضارة للبشرية جمعاء.

إن غاية الدعوة أيضاً تكوين جيل من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل على صبغ حياة المسلمين بالصبغة الإسلامية، في كل مجالات سلوكهم ومعاملاتهم. ووسيلتهم في ذلك تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم، حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها.

وإذا ابتغى المسلمون القوة لأمتهم امتثالاً لنداء القرآن الكريم ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ۖ﴾ الأنفال ١٠، فإنهم يدركون أن أولى درجات القوة هي قوة العقيدة والإيمان، وتليها قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد لبناء المجتمع الناهض، وقوة السلاح في يد الدولة للدفاع عن الأمة، والذود عن الديار والوطنان، وتحصين إرادة الأمة من طواغيت العالم وشروره، وأطماع الدول الكبرى وضغوطها وتهديداتها، وأن الترقى بين درجات القوة أمر يختلف باختلاف الظروف وأحوال الأمة والمجتمع في كل مرحلة خاصة.

إنها دعوة تدعو إلى العودة للإسلام في معينه الصافي من الكتاب والسنة، وهي تدرك أن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدتها والشعوب التي عاصرتها، لذلك يجب لكي نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح (رضوان الله عليهم) أن نقف عند الحدود الربانية والنبوية، حتى لا

نقيد أنفسنا بغير ما قيدنا به الله سبحانه، وحتى لا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والاسلام دين البشرية جمعاء.

إن الاسلام دين عام انتظم كل شؤون الحياة في كل الشعوب والأمم، لكل الازمان والعصور، وجاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة، خاصة في الأمور الدنيوية الأكثر تأثراً بالبيئات وظروف الزمان والمكان، وإنما وضع الاسلام القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشؤون، وأرشد الناس الى الطريقة العملية للبناء عليها، والتفريع منها، والسير في حدودها.

إنها دعوة عامة لا تنتسب الى طائفة خاصة، وهي تتوجه للامة عامة بصحيح الدين ولبه، وتود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم، حتى يكون العمل أجدى، والانتاج أعظم وأكبر، وهي مع الحق أينما كان، تحب الاجتماع، وتكره الشذوذ، وهي ترى أن أفدح ما مني به المسلمون الفرقة والخلاف، وأن أساس ما انتصروا به الوحدة والوئام، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إن الخلاف في فروع الدين أمر لا بد منه، لأن أصول الاسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام والخلاف كان واقعاً بين الصحابة أنفسهم، وهم أقرب الناس عهداً بالنبوة، وأعرفهم بقرائن الاحكام، ولا يزال الخلاف واقعاً وسيظل الى يوم القيامة، والناس تختلف في سعة العلم وضيقه، ومنذ تفرق صحابة رسول الله في الامصار صار عند كل قوم علم لم يلم به آخرون، كما أن اختلاف البيئات يخالف بين التطبيق في كل بيئة منها. والاجماع في الأمور الفرعية أمر متعذر، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، والله سبحانه يريد لهذا الدين أن يبقى ويخلد، وأن يساير العصور ويماشي الأزمان، لذلك فهو سهل مرن هين لين، لاجمود فيه ولا تشديد. وليس العيب في الخلاف، ولكن العيب في التعصب للرأي والحجر على عقول

الناس وآرائهم، وهذه النظرة السمحة الى الأمور الخلافية، تجمع الناس على الفكرة الواحدة. وحسب الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلماً. إن الدعوة الإسلامية منذ ظهرت حركتها الحديثة، التزمت أصلاً لا محلاً للخروج عليه، وهو ألا تعرض للأشخاص بحكم ما، وأنها تعلن الأحكام الشرعية تالية الآيات والأحاديث، ومستشهادة إذا لزم الأمر بأقوال الفقه، تاركة لكل شخص أن يضع نفسه في الوضع الذي هو أعلم بأنه ينطبق عليه، فهي داعية، وليست قاضية.

وأى امرئ هو على الاسلام بنطقه بالشهادتين، وبهما يثبت له عقد الاسلام يقينا وفور النطق، وفي ذات لحظة التلظف بهما دون أدنى تأخير أو تأويل، ودون استلزام أي شرط آخر، وبعد ثبوت عقد الاسلام وبموجبه يتحمل المسلم ما يفرضه الاسلام عليه من موجبات، وما ينهاء عنه من النواهي، والاخلال بذلك لا يخرج من الملة، وإنما تقدر مخالفته في حدود ما أمر الله ورسوله في شأن المخالفة الواقعة.

والجاهلية في نظر الاسلام هي كالضلال والعصيان والفسوق والظلم، من الالفاظ التي استعملت في القرآن الكريم والسنة الشريفة لتعني الخروج على أحكام الدين خروجاً لا يبلغ بالضرورة حد الخروج عن الملة، ولا يصل باللزوم الى حد الردة عن الاسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.

والفرق بين المعصية وبين ما يصل الى حد الردة من الخروج يرجع الى الأحكام الشرعية، والقول بأن المجتمع جاهلي يوازي القول بأن المجتمع ضال، وأن تلك الصفة غالبية على حال أفراد ونظمه.

ونحن منهيون عن أن نكفر مسلماً برأي أو بمعصية، متى أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسر على وجه لا تحتمله

أساليب اللغة العربية بحال، أي يكون عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر. إن التكليف الإلهي مرتبط بعالم الأسباب وبسنن الله الكونية، ونحن مكلفون ضمن عالم الأسباب والسنن مع ملاحظة أن الله تبارك وتعالى يسهل للمؤمن ما لا يسهله لغيره، فالبحث عن السنن الكونية في كل أمر والسير في ضوئها لا يجوز إهماله بحال إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. الرد ١١.

وهناك وسائل كثيرة للقيام بالدعوة وصياغة الرأي العام، وكسب القوة المرجوة للأمة في مختلف الميادين، وهي كلها جزء من عالم الأسباب، وفي إغفال هذه الوسائل المشروعة تفريط، وأن التصدي لشؤون السياسة والاقتصاد مرتبط بالسنن وله وسائله، وغير أنصار الحركة الإسلامية يتبعون الوسائل في هذه الشؤون ويعطونها مداها، وفي إغفال هذه الوسائل المشروعة المباحة تفريط. وإن صياغة النفس البشرية وتربية الناس وصياغة المجالات للوصول إلى النفس المسلمة وصياغة علائق المجتمع الإسلامي ونظمه، وكل ذلك علينا أن نبحث عنه وأن نستوعبه، وأن نصوغه في ضوء الإسلام ولخدمته. إن في إغفال الأسباب الموصلة إلى نصرته الأمة وسيادة النظام الإسلامي تفريط كبير، إن لم يكن إثماً كبيراً، إن من فروض الكفاية في الإسلام أن يوجد المتخصصون في كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية، ومن جملة ذلك علوم الاقتصاد والسياسة وغيرها.

ركيزتان .. ومشكلتان

قامت الدعوة الإسلامية، وتقوم على ركيزتين أساسيتين، الركيزة الأولى: هي الوحدة الإسلامية، والارتباط السياسي الوثيق بين أمم الإسلام وشعوبه، بحسبان أن هذه الوحدة وهذا الارتباط شعيرة إسلامية يتعين أن يحفظها المسلمون، ولا يفرطوا فيها، والركيزة الثانية: إقرار الشريعة

الإسلامية ومبادئها كأساس للنظام الاجتماعي السياسي للجماعة، ولتنظيم القانوني في كل مجالاته، والإقرار بها كمصدر مهيم على الشرعية في المجتمع. هاتان الركيزتان اللتان تقوم عليهما الدعوة الإسلامية في العصر الراهن، تمثلان الاستجابة الأساسية لمجالي التحدي الرئيسيين اللذين تواجههما شعوبنا في هذا العصر، عصر الغزو الاستعماري ومقاومته.

إن شعوبنا في عصرها الراهن تعاني من مشكلتين أساسيتين جاءتتا بفعل السيطرة الاستعمارية، وهما : أولاً التفتيت، والتجزئة السياسية التي أحالت بلادنا وشعوبنا مزقاً من الدول الصغيرة، والدويلات التي لا تملك لنفسها نفعاً، وذلك كسعي مقصود من جانب الغزاة لإدامة السيطرة علينا، والمشكلة الثانية: تترأى في التبعية العقيدية والحضارية والسياسية والاقتصادية، تبعية دولنا وشعوبنا لصالح دول الغرب والشمال الكبرى، التي تتبوأ مكان السيطرة في عالم اليوم.

هذه التبعية بدأت محاولاتها مع بدايات القرن التاسع عشر، ولم ينته ذلك القرن، ويبدأ القرن العشرون حتى كانت قد استكملت حلقات التحكم الغربي الاستعماري في بلادنا وشعوبنا، مما وجهنا غير وجهتنا، وبدل أوضاع حياتنا، ومما ركز في صفوفنا هذا الضعف المتناهي، وأقام نظاماً حاكمه جعلت نفسها أدوات طيعة في يد الصالح الاجنبي يتحكم بها في رقاب الناس، وينفذ بها مطالبه وخططه، ويحقق مشيئته سافرة كانت أو مستترة.

نحن مأمورون ديناً بأن ندعم شعور المسلم بانتمائه لجماعته، وأن نجاهد للحفاظ على هذه الجماعة كرابطة متماسكة وعروة وثقى، ونحن مأمورين بديننا بأن نقيم روابطنا ونظمنا على أساس من شريعة الاسلام المنزللة الخالدة، ولا غرو أن يكون ما نلتزم به ديناً وعقيدة، هو الأصل الأصل لما ينفعنا، ولما يقيمنا كجماعة مستقلة وناهضة. إن الدعوة الإسلامية دعوة انسانية تتوجه الى الناس كافة، وهي ليست لجنس دون جنس، ولا لأمة

دون أخرى، ومن هذا العموم في بعثة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن شمول رسالته، يستمد العموم والشمول في هدفها ومرماها، فهي دعوة للناس جميعاً، وهي تواخي بينهم جميعاً وتسعى لخيرهم، ولا تعترف بفوارق الاجناس والألوان، ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان.

والمسلمون أمة واحدة من أمم عدة، والوطن الاسلامي وطن واحد من أوطان عدة، مهما تباعدت الاقطار، وتناوبت الحدود، والدعوة الاسلامية تؤمن بهذا الزحدة، وتعمل لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الاسلام.

ومتى كان الوطن الاسلامي واحداً لا يتجزأ، فإن العدوان على أي جزء من أجزائه يعتبر عدواناً عليه جميعه، وقد فرض الاسلام على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم سادة في أوطانهم، ولهذا فكل دولة اعتدت او تعتدي على أي من أوطان المسلمين وديارهم دولة ظالمة، لا بد أن تكف عدوانها، ولا بد أن يعد المسلمون أنفسهم لرفع العدوان، وأن يعملوا متساندين للتخلص من نيره، أيما كان هذا العدوان وأياً كانت وسائله العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها، ومن يقصر عن ذلك فهو من الآثمين.

على ان الاسلام الذي قام للناس كافة وأقام عروته الوثقى من المسلمين جميعاً، قد فرض فريضة لازمة لا مناص منها، وهي أن يعمل كل انسان لخير بلده، وأن يتفانى في خدمته، وأن يقدم كل ما يستطيع من خير للأمة التي يعيش فيها، وأن يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً، ومن هنا وجب عليه أن يكون أعرق الناس وطنية، وأعظمهم نفعاً لمواطنيه، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وأن يكون الأحرص على خير وطنه، متمنياً لبلده العزة كل العزة، والمجد والرفي والنجاح والفرح، وأن يحرص كل الحرص على وحدة وطنه.

ولمصر منزلتها في الكفاح والجهاد، وقد نشأ أهلها على أرضها الكريمة وتلقوا الإسلام أكرم تلقى، وزادت عن الإسلام وردت عنه العدوان في الكثير من فترات التاريخ، وأخلصت مصر في اعتناقه، وقامت بدور أساسي في الحفاظ على معالمه وشريعته ودعوة الناس إليه، مما صار به الأزهري الشريف مناراً عليه وعلماً.

كما قامت مصر بدورها البارز في دعم الحضارة الإسلامية في شتى نواحيها العلمية والعملية، وفي العلوم والفنون والآداب، وتصدت لكل الغزوات الفكرية التي قصد المستعمرون بها الطعن على الإسلام، وحرف الناس عن أسسه المتينة، فالجهاد لخير مصر هو جهاد لتلك الحلقة الأولى من سلسلة النهضة المنشودة، لأنها جزء من الوطن العربي العام، ومن أمة الإسلام. ولا ضير من الاعتناء بتاريخ مصر القديم، وبما سبق إليه قدماء المصريين في العلوم والمعارف، فلمصر القديمة تاريخ فيه مجد وعلم ومعرفة، ولكن يتعين محاربة النزعة التي تحاول أن تصبغ مصر الآن بالصبغة الفرعونية، وأن تعزلها عن المسلمين والعرب كافة. إن مصر هداها الله إلى الإسلام، وبه صارت إلى العروبة، ولا مكان فيها لأوضاع الوثنية وأدران الشرك، وعادات الجاهلية.

العروبة

العروبة لها في الدعوة الإسلامية مكانها البارز وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى، وهم شعبه المتميز، وأنه لحق ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا ذل العرب ذل المسلمون، ولن ينهض الإسلام ببسر دون اجتماع كلمة العرب، وأن كل شبر أرض في وطن عربي يعتبره الاخوان من صميم أرضهم، ومن باب وطنهم. إن الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية القائمة لا تمزق أبداً معنى الوحدة العربية الإسلامية التي

جمعت القلوب على أمل واحد، وهدف واحد، وجعلت من هذه الأقطار جميعاً أمة واحدة، مهما حاول المحاولون فصم وحدتها، ومهما افترى الشعوبيون.

وقد روى عن مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي.

ولذلك فإن هذه الشعوب الممتدة من الخليج إلى المحيط كلها عربية تجمعها العقيدة، ويوحد بينها اللسان، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة في رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة، لا يحول بين أجزائها حائل، ولا يفرق بين حدودها فارق.

وان العمل للعروبة هو عمل للإسلام، ووحدة العرب لا بد منها لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته، وإعزاز سلطانه، ويجب على كل مصري ومسلم أن يعمل على إحياء الوحدة العربية، وتأييدها ومناصرتها، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الموقف الإسلامي من الوحدة العربية.

ولكن يتعين ألا تقوم دعوة العروبة على أساس جنسي يثير الاعتزاز بالجنس، أو يؤدي إلى انتقاص الاجناس الأخرى والعدوان عليها، ويتعين بطبيعة الحال ضد أن تتحلل العروبة من عقدة الإسلام، ورباطه بدعوى القومية، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

كل ذلك يتعين أن ينظر إليه المسلمون في إطار تخليص الاوطان من أي نفوذ استعماري عليها، سواء في السياسة والاقتصاد، أو في الفكر والعقيدة.

والسياسة الخارجية هي السياسة التي ترمي إلى استقلال الأمة وضمان حريتها، وإشعارها بكرامتها وعزتها، والسير بها إلى الأهداف المجيدة التي تحتل بها مكائنها بين الأمم ومنزلتها الكريمة في الشعوب والدول، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله في شؤونها، وأن تحدد

الصلة بينها وبين سواها تحديداً يفصل حقوقها جميعاً، ويوجه الدول كلها الى السلام العالمي العام القائم على العدل.

فلسطين

إن سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها إنما تأتيتها بالاسلام، وما يصبغها به من معان إنسانية رفيعة، ومن أسس حضارية متينة، وقد أمر الاسلام المسلمين بالمحافظة على هذه السيادة، وأمرهم بإعداد العدة، واستكمال القوة حتى يسير الحق محفوفاً بجلال القوة، كما هو مشرق بأنوار الهداية.

إن خبرة تاريخ المسلمين تعرض الآن، وتظهر أن تحقيق أهدافهم المرجوة لا يتأتى إلا بعلاج عوامل التحلل التي قامت عبر مراحل من التاريخ تفت في عضد قوة الاسلام والمسلمين، ومن هذه العوامل: الخلافات السياسية والعصبية، وتنازع الرئاسة والجاه، رغم ما أوصى الاسلام به من تزهد في الامارة، وابتعاد عن التنازع، ومنها الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال الى الالفاظ والمصطلحات الميتة، والجمود والتعصب للأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وهو ما حذر منه الله ورسوله، ومنها كذلك الانغماس في ألوان الترف والنعيم والاقبال على المتع والشهوات.

رغم ما حذرنا منه القرآن الكريم من إهلاك القرى بترف مترفيها وفسقهم، ومنها أيضاً إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية، وصرف الأوقات وتضييع الجهود في فلسفات عقيمة، مع أن الاسلام يحث على النظر في الكون، واكتناه أسرار الخلق والسير في الارض، ومن ذلك أيضاً غرور الحكام، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم الأخرى حتى سبقت في الاعداد رغم ان الاسلام أمرنا باليقظة والحذر، واعتبر الغافلين أضل من الأنعام، ومنها الانخداع بدسائس الخصوم والانبهار لأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، رغم النهي الشديد عن التشبه بهم.

كل ذلك تتعين معاومته، ولن نستطيع أن نقاوم غازياً إلا بعد أن نقاوم الانهزام فيها، ولا أن نتحرر من الاستعمار إلا اذا تحررنا من قابليتنا للاستعمار. إن فلسطين على مدار التاريخ كانت تمثل شاعلاً أساسياً لمصر، فهي الحد الشرقي الذي ينبغي أن تؤمنه وتصونه، ولا حل للمسألة الفلسطينية إلا الحل الذي يحقق للفلسطينيين استرداد حقوقهم المشروعة في العودة لديارهم، وإنشاء دولتهم.

إن مصر والعالم العربي والإسلامي كله يفتدي فلسطين، فأما مصر فلأنها حدها الشرقي المتاخم، وأما بلاد العرب فلأن فلسطين قلبها الخافق، وواسطة عقدها، ومركز وحدتها، وهي ضئيلة بهذه الوحدة أن تتمزق مهما كانت الظروف، ومهما كلفها ذلك من تضحيات، وأما العالم الإسلامي فلأن فلسطين أولى القبلتين، وثاني الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولن يكف جهاد العرب والمسلمين ما بقي العدوان الصهيوني على أرض العرب والمسلمين، ومهما امتدت السنون، وتتالت الأجيال، وهذه الحقيقة إن لم نؤكد عليها بألسنتنا، فإن كر السنين يؤكد لها للعالمين، إذ لا أمن ولا استقرار في ديار العرب والمسلمين ما بقي العدوان الصهيوني قائماً، وأن مصر والعرب والمسلمين مجروحون جرحاً لا براء منه إلا أن يرد للفلسطينيين حقهم، وينتهي العدوان الصهيوني.

لم يجر غزو مصر ولا أي من بلاد العرب والمسلمين بقوة السلاح وحدها، ولا جرى الاستعمار بنفوذ السياسة والاقتصاد، فقط، إنما قدر المستعمرون أنه لا بقاء لهم في هذه الديار إلا بأن ينزعوا عن أهلها عقدة الايمان بمقدساتهم، وإلا أن يزيلوا عنهم هويتهم وخواصهم الحضارية، وعلى رأس كل ذلك إبعادهم عن عقائدهم، وعما يتفرع عنها من النظم. وكان النظام القانوني الآخذ عن الشريعة الإسلامية على رأس ما أراد الاستعمار الاطاحة

به لتحل محله النظم الوافدة من الغرب، وليسقط بذلك الجدار المنيع القائم في وجه استقرار نظمه وحكومته لبلادنا.

لقد واكب قهر بلادنا على الخروج على أحكام الشريعة الإسلامية، مع قهرها على الرضوخ لإرادة الغزاة والمستعمرين، مع الاجتياح العسكري لأراضيها منذ القرن التاسع عشر، ولم ينقض هذا القرن الا وكانت بلادنا تحت الهيمنة الاستعمارية الغربية بالاحتلال العسكري والتسلط السياسي والسيطرة الاقتصادية، وكانت من أدواتهم في استدامة هذا الوضع، تقطيع أوصال الأمة تفتيتاً لوحدتها، والخروج على الشريعة الإسلامية انتقاصاً لهويتها.

كانت الموجة قوية

وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى الذي بعث لنا إمامنا صلى الله عليه وآله وسلم، ووضع النظام وفصل الأحكام وأنزل الكتاب، وأحلّ الحلال وحرّم الحرام، وأرشدنا الى ما فيه الخير، وهدانا الى سواء السبيل، لم يعد أمامه متبوعاً، ولا أحكامه نافذة، ولا حلاله هو الحلال ولا حرامه هو الحرام، وصارت نظم المجتمع في كل شؤون العيش نظاماً مقلدة وفدت مع جند الغزاة وحكوماتهم، نظم الحكم والعلاقات الدولية والقضاء والدفاع، ونظم المال والاقتصاد، ونظم الثقافة والتعليم، وتسرب تقليد النظام الغربي في شؤون الاسرة، وفي نظم السلوك الاخلاقي.

كانت الموجة قوية جارفة والتيار شديداً دافقاً، طغى على العقول والافكار، ودغدغ الحواس والشهوات، وقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات، وجرت أنماط للعيش والسلوك وقيم، كلها عملت على منافسة فكرة الاسلام في نفوس أبنائها، واقتحمت عقولهم وقلوبهم، وجرى كل ذلك غزواً بالعلم والمال والسياسة والترف، وبالمتعة اللهو وضروب الحياة الناعمة.

نحن ننادي بتطبيق الشريعة الإسلامية لأننا مأمورون بذلك من الله تبارك وتعالى، ولأننا نكون آثمين عند الله إن قعدنا عن المطالبة بإقامة حكم الشريعة ونظام القانون الإسلامي في شؤوننا وديارنا، فضلاً عن ذلك فالأخذ بالشريعة الإسلامية مكون أساسي من مكونات الاستقلال السياسي والاقتصادي الذي تنشده جماعتنا السياسية، سواء في مصر، أو في سائر ديار العرب والمسلمين، وعلى المصريين كافة، والوطنيين جميعاً، وإن اختلفت عقائدهم، أن ينظروا إلى هذا المطلب في سياق المكونات الأساسية مما يشهدون من استقلال وفكاك من التبعية للأجنبي.

والإسلام لا يأبى أن نقبس النافع، أو أن نأخذ الحكمة أئى وجدناها، ولكنه يأبى أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله في شيء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه.

إن لنا هدفين أساسيين، أولهما : أن تتحرر مصر، وأن يتحرر الوطن العربي والإسلامي من كل سلطان ونفوذ أجنبي، وهذا حق لا ينكره إلا ظالم جائر، أو مستبد قاهر، وثانيهما: أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة ذات سيادة حقة تعمل بأحكام الإسلام، وتستمد نظمها من أصول الشريعة الإسلامية، وتعلن المبادئ القويمة للتشريع السماوي، وتبلغها للناس.

نحن نريد الفرد المتدين، والبيت المتدين، والشعب المتدين، ونريد أن تسود الفكرة الإسلامية لتؤثر في هذه الأوضاع وتصبغها بصبغتها، ونريد أن نفكر تفكيراً مستقلاً يعتمد على معتقداتنا وديننا، وليس على الفكر المقلد الذي يقيدنا بنظريات الغرب، نريد أن تتميز بمقوماتنا، ومشخصات حياتنا كأمة عظيمة.

تعميم الشريعة :

تجد الشريعة الإسلامية تأييداً في الدعوة لتطبيقها، من ظروف المجتمع، ومن أحوال العمران، فضلاً عن الأساس الديني العقدي، وفضلاً

عن الأساس المستمد من اعتبارات الاستقلال السياسي للجماعة الوطنية. إن إحلال القانون الغربي محل القانون الإسلامي قد خالف بين الأسس التي تحكم نظام المعاملات في المجتمع، وفقاً للقوانين الوضعية الغربية، وبين الأسس التي تقود السلوك الأخلاقي، والتي لا تزال تترابط حول أوامر الدين ونواهيه. ومع ما يتعين أن تتميز به القاعدة القانونية عن القاعدة الأخلاقية، من حيث نوع الجزاء، ومن حيث مدى الانضباط والقياس للحكم، فإن العلاقة المتبادلة وثيقة بين القاعدتين، ويجب أن تبقى وثيقة لصالحهما معاً كل في مجاله، وليس أدعى لتوثيق العلائق بينهما من صدروهما معاً من أسس شرعية واحدة، ومنهج اعتقادي واحد، وأن الانقسام الحادث بين القاعدتين من شأنه أن يضعفهما معاً، ويقيم التضارب بينهما، وينمو به شعور ذميم بالاستهانة بالقانون والأخلاق جميعاً، وهذا كله حادث حاصل في مجتمعنا بفعل هذا الازدواج المقيت.

إن الصلة بين الدين الإسلامي وبين الشريعة قامت من قديم، وهي تقوم على التغذية المتبادلة بين الجانب الاعتقادي وبين جانب المعاملات، فالشريعة انتشرت حيث انتشرت العقيدة الإسلامية، والعقيدة الإسلامية ضعفت وبدأت تتحسر، حيث تقلص نفوذ الشريعة ودورها في المجتمعات التي أحلت القوانين الوضعية محل الشريعة، ذلك أن الصلة بين الدين عامة والنظام القانوني عامة صلة قائمة في كل المجتمعات، ولكنها بين الإسلام والشريعة خاصة تشكل آصرة أشد قوة وأكثر وثوقاً.

فعلى من يهمهم أمر دينهم ويطلبون له الحفظ ودوام العز والرفعة أن يعرفوا أنه لا سبيل لذلك إلا بتعميم تطبيق الشريعة كمصدر مستقي منه النظام القانوني جميعه، والتشريع الآخذ عن الشريعة هو وشيجة أساسية للتوحد بين أقطار العرب والمسلمين، وقد أسهم من قبل في قيام الوحدات السياسية عبر مراحل التاريخ الإسلامي، وهو السياق الذي أحاط بالمجتمع الإسلامي الأول،

وأن التجزئة السياسية التي تقوم الآن بين أقطار العرب والمسلمين، إنما تواكبت مع نزع التشريع الاسلامي من حكومة هذه البلاد، وسيادة التقنيات الغربية فيها. فعلى من ييغون توحيد العرب والمسلمين، أن يدركوا ما في تطبيق الشريعة من اسهام في تحقيق غايتهم.

إننا ملزمون أن نحكم بما أنزل الله سبحانه، وأحكام الشريعة الاسلامية هي ما تنزل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي ذات وضع إلهي ثابت لا يتغير، حتى يرث الله الارض ومن عليها، والفقهاء الاسلامي يتعلق بمعرفة الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية بطرق الاستدلال المعروفة، وهو بهذا من صنع البشر، ولا بد أن يساير مقتضيات الحياة المتغيرة، وأن يتمشى مع الحاجات البشرية في إطار الاحكام المنزلة.

ويتعين أن يكون واضحاً الفرق بين الشريعة الاسلامية ذات الوضع الالهي الثابت الدائم، وبين اجتهادات البشر في استخراج حكم الشريعة من النص الثابت مطبقاً على الواقع المتغير، وباتضح هذا الفرق لا ينسبغ الوضع الالهي للشريعة الاسلامية على آراء الفقهاء واجتهاداتهم التي جرت في كل ظرف تاريخي خاص، كما لا ينبسط نظرننا الناقد لآراء المتجهدين الى ما يمكن أن يمس الأصل المرجعي الثابت في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة، والذي لا نملك إزاءه الا الطاعة والانصياع.

إن الشريعة الاسلامية قد استطاعت في أقل من مئة عام أن تتبوأ مكان الشرعية العليا في مجتمعات تمتد جغرافياً وبشرياً من أواسط آسيا شرقاً حتى جنوب أوروبا واسبانيا غرباً، رغم الاختلاف الكبير في البيئات الحضارية في مختلف هذه الاصقاع، واستطاعت أن تستقي سيادتها وحاكميتها العليا لهذه المجتمعات بضعة عشر قرناً من الزمان.

وعلى هذا المجال الممتد زماناً ومكاناً أثبتت التجارب قدرتها الفائقة على الاستجابة لأوضاع البشر المتغيرة، وذلك كله بفضل ما هيأه لها الشارع

الحكيم سبحانه من صياغات تبلغ درجة الاعجاز في الموازنة بين الثابت والمتغير، وبين الأصلي والفرعي، وبين الاجمال والتفصيل، وفي صياغتها صياغة تتسع لأكثر من فهم حسبما يطراً على الناس من ضرورات وأعداء، وحسبما يستوجبه الواقع من تشدد أو تيسير، ومن توثيق للعري أو رفع للأغلال، وكل ذلك في ظلال الهيمنة الثابتة لأوامر الله ونواهيه، والحفاظ على صالح الدين وجماعة المسلمين، وجلب المنافع، ودفع المضار.

إن المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية لا تعني تجاهل القنوات الدستورية التي يصدر بها التشريع ويعدل في إطاره النظام الدستوري القائم في البلاد، ونحن نؤكد أن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية هو طريق سن التشريع الإسلامي من خلال المؤسسات التي ناط بها الدستور إصدار التشريعات، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع على ما نصت المادة الثانية من الدستور المصري المعمول به، وأن أي حكم لن يكون ملزماً أمام القضاء، ولا تحوطه سمة الالتزام من الدولة، إلا أن يصدر به قانون وفقاً للإجراءات الدستورية المتبعة.

وعندما يصدر القانون الآخر من الشريعة الإسلامية، فهو يصدر مستجيباً لحاجات البيئة والعصر، مستهدياً باجتهادات الفقهاء السابقين، متوخياً جلب المصالح ودفع المفساد، بما يدركه العقل بمعيار النفع والضرر، في إطار الحاكمية العليا للأحكام المنزلة، وبما ينسجم مع الهيكل التشريعي العام، ويراعي الأعراف وعادات التعامل، مع الالتزام بالاصول العامة للشريعة، وأحكامها ومصلحة الدين والأمة. إن أمر العودة للشريعة الإسلامية يحتاج الى تضافر جميع الجهود المتخصصة، سواء في فروع الفقه الإسلامي أو في كل فروع النشاط الاجتماعي، وذلك لفحص التشريعات والنظم القائمة، ورد ما يتفق مع أصول الشريعة الى هذه الاصول، وإلغاء ما يتنافى مع التشريع الإسلامي، وتحويل ما يحتاج الى تحويل في النظم وأنماط العلاقات وأبنية

المؤسسات المختلفة، والعمل بأناة وبصر وروية لإدراك البدائل الاجتماعية والاقتصادية.

وإن تحقيق سيادة التشريع الاسلامي، لا تتأتى فقط من إلغاء ما يتعارض مع الشريعة من نظم وعلاقات وأحكام، إنما تتأتى بالنظر فيما لا يتعارض مع الشريعة لرده الى أصول الدين والشرع الاسلامي بما يؤدي الى ترابط النظم الاجتماعية بأصول الشريعة، وقيم في وعي الناس تلك الأصرة الوثقى بين النظام والمعاملات والسلوك والمعتقدات.

الحكم من شواغل الدعوة

إن الاسلام يعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد ، فالاسلام حكومة وتنفيذ، كما أنه تشريع وتعليم، وكما هو قانون وقضاء، لا ينفك الواحد منها عن الآخر.

وقد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد، اذا وجداء، من أجل التنفيذ اصغاء لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه، وايصالاً لآياته سبحانه، وأحاديث نبيه الشريفة، أما أن يكون التشريع الاسلامي في واد والتشريع الفعلي والتنفيذي في واد آخر، فإن قعود المصلحين الاسلاميين تفريط، والواجب أن ينهضوا لتصير قوة التنفيذ ضامنة للدفاع عن الامة وعن حوزتها، وكافلة النهوض بها والاستقلال في ظل هيمنة التشريع الاسلامي على مقدرات الوطن والجماعة.

لذلك فإن نظام الحكم وهيئته هو من الشواغل في العمل والدعوة، ومما يتعين النظر اليه على انه واجب الرعاية في النظام السياسي للامة ما يلي:

أولاً: كفالة حرية المواطنين، إذ يعتبرها النظام السياسي الاسلامي من الفطر التي فطر الناس عليها، وإنما أساس ما منح الانسان من حق في الاختيار

يرتبط به ما يحمله من التبعات، ومن أهم وجوه الحرية الواجبة الكفالة حرية الرأي، والاسلام يجعل الجهر بالرأي واجباً، وليس مجرد رخصة، سواء في ذلك رأي الفرد أو رأي الجماعة من الناس، وذلك ما لم يتعارض مع ما هو متعارف عليه مما يقتضيه النظام العام والاداب، ويدخل في باب الحرية كل ما يحيط بالمرء من حرمانات تتعلق بمسكنه وأسراره، وغير ذلك.

ثانياً: إن كفالة المساواة بين البشر هي أساس عريق وأولي من أسس التشريع الاسلامي، والاسلام لا يعرف فضلاً لأحد من البشر على أحد إلا بالتقوى، فلا يتفاضلون ولا يتمايزون بلون ولا جنس ولا لغة ولا ملة، ولا أي من الصفات اللصيقة غير المفارقة كاللغة، ولا أي من المكتسبات التي ترد بالتلقين غير الارادي كالملة أو المذهب، وكل ذلك لا يصلح سبباً للتفرقة بين المواطنين في مجموع ما يتمتعون به من حقوق، وما يتحملونه من تبعات.

والمساواة ليست أصلاً نظرياً من أصول التشريع الاسلامي فحسب، ولكنها أحكام عملية وتفصيلية واجبة الصون، وواجب التزام التشريع بها فيما يستن للناس من أحكام في كل مجالات النشاط، وهذا يوجب في السياسة التشريعية النأي عن استخدام الأحكام الاستثنائية إلا فيما تستخدم فيه درءاً لتحقيق ما يخالف أصل المقصود من التشريع العام في حالات مخصوصة، وذلك حتى يكون الاستثناء تثبيتاً للقواعد، وتعميماً لحكمها وليس افتئاتاً عليها أو تقليصاً لحكمها.

والمساواة ليست فقط وضعاً سلبياً مانعاً من بين البشر، ولكنها أصل خادماً للمبدأ القرآني في تقرير التعامل بين الناس، وهو مبدأ العدل والاحسان، الذي أمرنا به صريح نص القرآن الكريم، والعدل قوام الحكم، وصنو أداء الامانة، حتى فرض الله سبحانه علينا العدل مع الاعداء.

العدل يعني فيما يعني كفالة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية المتساوية للمواطنين جميعاً، وتحقيق القدر الأمثل من تكافؤ الفرص للمواطنين كافة،

سواء في شؤون التعليم أو الرعاية الصحية، أو التمتع بالطبقيات، أو الافساح في مجالات التدريب والعمل.

والعدل يعني الوقوف ضد الظلم الاجتماعي بمختلف صورته وأشكاله، والحد من التفاوت الكبير في الدخول بين المواطنين، وهو يعني تقريب الفوارق وتضييق مساحات التفاوت بين الفئات الاجتماعية، تحقيقاً لما أمر به الله سبحانه وتعالى من ألا يكون المال (دولة بين الأغنياء) الحشر.

عالم الشورى

إن النظام السياسي الاسلامي يقوم على الشورى، بحسباتها الأصل العام الذي تقوم عليه النظم الجمعية للأمة، فما دام القرار يتعلق بجماعة، فقد وجب على تلك الجماعة أن تسهم في اتخاذ القرار، سواء جرى ذلك بطريق مباشر، إن أمكن، أو أن يجري وفقاً لنظم النيابة القانونية التي تترسم الامكانية لإنفاذ هذه المساهمة، والشورى واجبة على الأمة لا تنفك عنها في أي من أحوالها.

إن الشارع الحكيم أوجب علينا الشورى كأصل عام من أصول تنظيم الجماعة البشرية في كل شؤونها، وهي الوسيلة الثابتة لاتخاذ القرارات في أي من شؤون الجماعة.

والشورى تدور في إطار ما لا نص فيه من أمور الجماعة، أما ما فيه نص قرآن أو سنة، فليس لفرد ولا لجماعة ولا للأمة كلها إلا التسليم بما تنزل إليهم، ويتقصر دور الشورى فيما فيه نص على تفهم دلالة النص ومجال إعماله، وأحوال إنفاذه، والشورى فيما لا نص فيه تظل خاضعة لأصول شريعة الاسلام، وأحكامها العامة ومرجعيتها العليا، ومن ثم تجد الشورى حدها دائماً في نصوص الأحكام المنزلة التزاماً بها، واستقاء منها، وخضوعاً لأصل شرعيتها.

نحن نعمل إرادتنا في إطار ما نحن مأمورون به من طاعة لله ورسوله، وأن ما يحد الشورى من أحكام التنزيل المبارك لدى المسلمين، يشابهه في النظم الغربية الوافدة ما يحد سلطة الأمة مما يسمونه أحكام القانون الطبيعي، وقواعد العدالة، وحقوق الانسان، والمبادئ الدستورية العامة، وليس الفرق في وجود الحدود، ولكنه في أن الحدود ترد للمسلم من دينه الحنيف ومن غيب السماء، بينما ترد في النظام الوافد من مبادئ هي في النهاية من صنع البشر بما يحملون من أهواء وأطماع، وبما لمعارفهم من نسبية فيما يجري عليه الصواب والخطأ.

والشورى في إطار ما هي واجبة فيه تعني الالتزام في العمل برأي الأكثرية، الذي يجب إيرامه وإتباعه في كل ما يتعلق بشؤون الجماعة، ويمس مصالحها، والشورى ملزمة في كل ما يمس عامة الناس ومصالح الجماعة، وفي كل ما يلزمهم بواجب، أو ينال من مالهم، أو يحد من نشاطهم، وهي من ثم ملزمة في اختيار الحاكمين والرؤساء في درجاتهم العليا متى كان هؤلاء ذوي قرار نافذ في أي من شؤون الجماعة مؤثر في مصالحها، ملزم للناس تكليفاً أو تقييداً.

إن الجماعة لا يوثق وثاقها مثل تراص أفرادها ومجاميعها على العمل والنشاط، والشورى هي وعاء تحقق هذا العنصر الرابط للجماعة أو الكافل لاستمراره. والشورى لا تتحصر دائرتها فيما تكون فيه ملزمة من أمور، إنما هي نافعة أيضاً في مجالات التخصص الفني المختلفة، وفي مستويات التنفيذ المتعددة، بمراعاة أنها في هذه المجالات تشكل رأي جماعات متخصصة في كل من فروع البحث والتمحيص، وفي كل جوانب التنفيذ، وفي مثل هذه المجالات ينظر فيما إذا كانت تقوم بمهامها في حدود تقديم المشورة غير الملزمة كالأجهزة الاستشارية، أو في إطار خضوع المستويات الأدنى للسلطة الأعلى، واستيعاب المجال العام للمجالات الخاصة، كما ينظر في اختيار من

هو أهل للمشورة بمراعاة الأكفأ والأقدر في مجالات التخصص والتنفيذ، لا مراعاة فكرية النيابة القانونية كشأن المجالس النيابية.

فالشورى في عمومها وبأنواعها المختلفة يتعين أن تكون هي المبدأ العام المقرر لصدور القرارات العامة من جماعات وهيئات لا من أفراد، فإن السير في المسلمين اليوم بعقلية استبدادية فردية أو بعقلية عشائرية يكاد يكون خطأ لا يحتمله عصرنا، وضرره يوجب الشك في أصل شرعيته وجوازه، ومع تحقق الشورى بهذه الأوضاع والمستويات في الشؤون العامة كلها، ومع تحققها بحسبانها عنصراً مهماً في تماسك الجماعة، واستمرارها ونموها، ونهوضها بمصالحها، تصير الطاعة واجبة لأنه لا جماعة بغير الطاعة، وأن الخروج عن الطاعة في هذه الحالة يعني مفارقة الجماعة، وهي طاعة مبصرة مستمدة من قيام نظام الشورى.

اختيار الرئيس

إن مبادئ الحكم الاسلامي هي ذاتها مبادئ الحكم الدستوري النيابي، وهي تتحصل في مسؤولية الحاكم، ووحدة الأمة واحترام إرادتها. والحاكم مسؤول بين يدي الله تبارك وتعالى وبين الناس، وهو أجبر لهم، عامل لديهم، سواء في ذلك رئيس الدولة أو أي ممن يملكون اتخاذ القرار في شأن عام للجماعة، وسواء في ذلك الرئيس في النظام الرئاسي الذي يمارس الحكم بنفسه، ويعاونه عدد من الوزراء من نوع ما يعرف في الفقه الاسلامي بوزراء التنفيذ، أو مجلس الوزراء في النظام البرلماني الذي يكون مفرضاً بالدستور في ممارسة الحكم، مما يماثل ما يعرف في كتب الفقه الاسلامي بنظام وزير التفويض، والحاكم على الدوام مسؤول أمام الأمة، عليه أن يقدم لها الحساب عن تصرفاته، فإن أحسن أعانته، وإن أساء قومته.

ومع تقدير أن دستور ١٩٧١ ينطوي على جملة من المبادئ الدستورية الحميدة، التي يجب المحافظة عليها ودعمها، فيجدر الانتباه الى أن هذا الدستور قد وزع مسؤولية الحكم على جهتين هما: رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء، وهما مشتركان في رسم السياسة العامة والاشراف على التنفيذ، ولكن الدستور خص مجلس الوزراء وحده بالمسؤولية أمام المجلس النيابي، فصارت المسؤولية البرلمانية تصل الى أحد المشاركين في الحكم دون الآخر، وصار رئيس الجمهورية المشارك للوزارة في مسؤولية الحكم حكماً بين الوزارة والمجلس النيابي عند اختلافهما، وهذا وضع متناقض لا تقوم به مسؤولية حقة، وينبغي تعديله على أساس شمول المسؤولية البرلمانية كل الجهات المسؤولة عن تقرير السياسات وتنفيذها.

ومن جهة أخرى يتعين أن تعدل إجراءات اختيار رئيس الجمهورية، فلا تجري بالاستفتاء على مرشح واحد، إنما تتم بالانتخاب الفردي المباشر من مرشحين متنافسين تتقدم بهم الأحزاب أو تحالفاتها.

إن نظام الاستفتاء على مرشح وحيد هو أثر لنظام سياسي دستوري غابر قام على أساس التنظيم السياسي الواحد، وإذا كان انقضى هذا الوضع فقد لزم إنهاء ما كان ترتب عليه من آثار، ولا قيمة لنظام تعدد الأحزاب اذا لم يكن في مكنة هذه الاحزاب الترشيح لأخطر منصب في الدولة، سواء في التقرير أو التنفيذ أو تعيين عمال الحكم.

وشأن رئيس الجمهورية شأن نائب الرئيس من حيث وجوب تعديل الدستور القائم ليجري نضبه في منصبه بطريق الترشيح الفردي والانتخاب، لا بطريق تعيين الرئيس له، كما يتعين إلغاء المادة ٧٤ من الدستور القائم التي تمنح رئيس الجمهورية سلطة وقف العمل بمؤسسات الدستور.

واستكمالاً لمبدأ مسؤولية الحاكم يتعين أن تخفف القيود التي يضعها الدستور الحالي على سلطة المجلس النيابي في سحب الثقة بالوزارة، إذ جعل

طرح الثقة بالوزارة موقفاً لأعمال المجلس النيابي، فقصده الى احتمال حل المجلس، إذا لم يوافق رئيس الجمهورية على إسقاط الوزارة، وخروج الأمر الى الاستفتاء، والواجب أن يكون للمجلس اليد العليا على الوزارة، فتسقط بموجب سحبه الثقة منها دون توقف على اجراء آخر، أو على مشيئة أخرى. وإذا كانت ولاية الحاكم تقوم في اطار من أصول الشريعة الاسلامية، وعلى أساس من فكرة النيابة عن الأمة، فإن النيابة تتحقق بطريق الانتخاب، وهي تتحقق بقدر ما يتاح للمجالس النيابية من سلطان في التقرير والاشراف على التنفيذ، وهي تتحقق بأمثل ما يكون كلما تحررت أساليب الانتخاب من هيمنة أجهزة الادارة، وضغوط أصحاب القوة الاقتصادية في المجتمع، وكلما كمل لإجرائاتها من ضمانات الحياد والامن والثقة في المشرفين على عملية الانتخاب، وذلك حتى يتحرر الصوت الانتخابي من أية ضغوط عليه، ويلقي تعبيراً كاملاً له في الاختيار المؤثر الفعال لنواب الأمة.

إن هذا التمثيل لا يتحقق إلا بإطلاق حرية التنظيم الحزبي، وتقرير حق تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية دون حاجة للحصول على إذن بإنشائها، واكتفاء بإخطار وزارة الداخلية، وتقرير هذا الحق تقرير لأخطر مبادئ الحرية السياسية ليتمكن المواطنون أن يتجمعوا على ما يدينون بصوابه من مبادئ، وأن يتقدموا بها للجماهير لتختبر صوابها وفوائدها، دون وصاية على ذلك من حزب حاكم، أو سلطة إدارية مهيمنة، إن فرض القيود على تكوين الأحزاب، واشتراط الاذن فيها من جهة ما، يعني في التطبيق العملي سيطرة أكثر القوى السياسية شعبية وأشملها من حيث الانتشار بين الجماهير، وهي الحركة الاسلامية، ممنوعة حتى الآن من حق تكوين حزب لها أو جمعية سياسية.

المسلمون والاقباط

إن وحدة الوطن تقوم على مبدأ المساواة والمشاركة للمواطنين جميعاً، والمساواة تعني أن يكون لكل مواطن ما لغيره من المواطنين، وعليه ما عليهم، بالنسبة للحقوق السياسية والمدنية وللضمانات القانونية، والمشاركة تعني أن يكون لكل مواطن ما لغيره في فرص الاسهام في الشؤون العامة للبلاد.

وإذا كان المسلمون يشكلون الغالبية الكبيرة من المواطنين في مصر، فهم بحكم خيارهم الديني، وبموجب كثرتهم الكثيرة في مقاييس الديمقراطية، وبما تمليه قواعد العدل والانصاف، لهم حق مشروع في أن يعبروا عن أحكام دينهم وقيمه بكل مداها، سواء في شؤون الفرد والاسرة، أم في شؤون المجتمع والدولة.

وإن التمسك بالاسلام وجعله أساس نظام الحياة لا ينافي وجود الأقلية غير المسلمة، ولا يتنافى مع الوحدة بين عناصر الأمة، وهي الوحدة التي تعتبر دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر، وقد تعلم المسلمون عن الشارع الحكيم الخبير - الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها - أن الدستور المقدس للاسلام قد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين [الممتحنة ٨] وهو نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ الحجرات ٣١. ثم قدس الوحدة الدينية العامة فقضي على التعصب، وفرض على الأمة الايمان بالرسالات السماوية جميعاً في قوله تعالى: ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من

ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴿ البقرة: ٦٣١. ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان ، ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (الحجرات ١٠).

ففيما بني عليه الاسلام من المزاج المعتدل والانصاف البالغ الذي لا يكون أتباعه سبباً في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس يكسب الاسلام هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني.

وإذا كان هذا هو نظر الغالبية المسلمة من شعب مصر، فإن الاقباط من أبناء هذا الوطن يعلمون تمام العلم كيف يجدون الطمأنينة والامن والعدالة والمساواة في تعاليم الاسلام وأحكامه، وذلك لا يثبت من نصوص الاحكام فقط، ولكنه يستمد حجته أيضاً من ذلك التاريخ المصري الطويل العريض لتلك الصلة الطيبة بين أبناء هذا الوطن جميعاً - مسلمين وأقباطاً - فيما يكفي مؤونة الإفاضة.

ومن الجميل أن يسجل للمواطنين الكرام من القبط أنهم قدروا هذه المعاني في كل المناسبات، وأنهم يعتبرون تاريخ مصر في عصر الاسلام وفكر الاسلام وفقهه وقيم العدالة فيه، من معاني قوميتهم، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم، وإن كل ما نشأ في هذا الوطن من حضارة وتاريخ هو ملك لمن يشارك في عمران هذه البلاد على مر العصور، وهو إرث مشترك لكل من يحيا على أرض مصر، وهذه هي روح الاخوة المصرية التي أظلت على مدى القرون أبناء الوطن جميعاً.

وان خبرة التاريخ المصري أن مصر فتحت للاسلام صلحاً، وان الاسلام انتشر منها بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدال بالتي هي أحسن، وأن من بقي على المسيحية من أهل مصر سالم بين إخوانه، ودعمهم، وأسهم

معهم في حماية هذا الوطن وبنائه على مر العصور، وشارك أخيراً في إخراج المحتلين الأجانب من مصر في التاريخ الحديث، ورفض دعاوي هؤلاء الأجانب أنهم يحمون القبط من إخوانهم المسلمين، وهو لا يزال يقوم بإسهامه بالتواد والتحاب.

وإن المسلمين في مصر يدركون جيداً أن مطالبتهم على مدى تاريخهم الحديث بإثبات الاسلام كدين للدولة وكصدر للتشريع، هذه المطالبة وغيرها لم توجه، وهي لا توجه ضد الأقباط من المواطنين، ولكنها وجهت وتوجه الآن ضد ما يعاني منه المصريون جميعاً من غزو ثقافي وحضاري غربي يريد أن يجتث الثوابت والأصول من مواطني هذه البلاد، عقائد وتراثاً وتاريخاً وحضارة وقيماً، وهذا الغزو الغربي لبلادنا يعاني منه الأقباط كما يعاني منه المسلمون، وهم متشاركون في ذلك بمثل ما تشاركوا به في المعاناة من الغزو العسكري والسياسي، وأولي بهم جميعاً أن يقاوموه معاً بمثل ما قاوموا الغزو العسكري والسياسي، والأقباط عانوا من الغزو الفكري الغربي بمثل ما يعاني المسلمون وأكثر.

إن معركة الاسلاميين الفكرية هي مع اللادينية السياسية التي تعارض الاسلام في فصلها الدين عن شؤون الدنيا، وتحاول حصر الاسلام في النطاق الفردي الباطني الخاص. إن حرية العقيدة والعبادة مكفولة - بإذن الله - ولا إكراه في الدين، وحقوق الهيئات الدينية مكفولة وفقاً لما استقرت عليه العادات والاعراف، والبر والقسط والسماحة في المعاملات مكفولة، والمساواة في الحقوق السياسية والمدنية مكفولة، واستقلال نظم الاحوال الشخصية والتعليم الديني مكفول.

وما دام أن الاطار العام يدعو الى الأخذ بنظام الشورى وتثبيته، ودعمه في جميع وجوه النشاط السياسي والاجتماعي العام، سواء على المستوى النيابي العام أو على المستويات المحلية، أو في المجالات النوعية

المتخصصة، أو في وجوه النشاط التنفيذي، فإن هذا النظام يقتضي دائماً الاتجاه الى توزيع السلطة في اتخاذ القرار بين العديد من الهيئات التي تتداول جمع المعلومات وتحليلها، ودراسة لموضوعات، والمداولة في الأمور وتقريرها وتنفيذها، كما أن نظام الشورى يقتضي في اتخاذ القرار الاستعاضة عن الارادة الفردية بالارادة الجماعية، وبهذا النمط من التنظيم تصير الولايات العامة شأنًا جماعياً لا فردياً، يتولاه ويسهم فيه المواطنون جميعاً، كل بحصة شائعة في اتخاذ القرار، دون أن يستبد به فرد أياً كان.

إن عقدة المشاكل في أوضاعنا الاقتصادية تكمن في روابط التبعية التي توثق وثاقنا بالقوى العالمية الكبرى، ونحن لسنا ضد أن تقوم علاقات وثيقة وحميمة بيننا وبين سائر شعوب العالم ودوله، سواء في مجالات السياسة أو الاقتصاد أو التبادل العلمي والحضاري، ولكننا ضد أن تتصف هذه العلاقات بوصف التبعية، وهو للأسف الوصف الذي يصدق على روابط الشعوب العربية والاسلامية بالقوى الكبرى في عالم اليوم وعالم الأمس القريب.

وروابط التبعية هي ما يتعين علينا أن ننهض متآزرين ومتكاتفين لفصله تحقيقاً لاستقلالنا الاقتصادي، الذي لن يتم لنا استقلال فكري ولا سياسي إلا به، فواجب المسلمين أن يزيحوا عنهم الولاية الاقتصادية الاجنبية، وذلك فيما يزيحون من ولاية الاجنبي على مقدراتهم في سائر شؤونهم الفكرية والسياسية.

ولا يتحقق عمل بأحكام الاسلام، وتطبيق لنظمه الاجتماعية، وسيادة لشريعته الغراء، إلا أن تتحرر ديار المسلمين من الهيمنة الاجنبية عليها في سائر المجالات، ومنها مجال النشاط الاقتصادي.

لقد تأكدت روابط التبعية على مدى قرن ونصف من الزمان، غزتنا اوروبا بجيوشها العسكرية ونفوذها السياسي وقواها المالية، كما غزتنا

بقوانينها ونظمها ومدارسها ولغاتها وفنونها، وكما غزتنا بخمرها ونسائها ومتعها وترفها وبعاداتها وتقاليدها.

اقتصاد المسلمين

لقد خضع المجتمع الاسلامي في هذه الحقبة لعملية تغريب لم يسبق لها مثيل في التاريخ كله، وجرى ذلك مع فرض سياسة الباب المفتوح أمام البضائع الاجنبية والمصالح الاقتصادية الاجنبية، واقترن ذلك بهجمة ثقافية غربية إلحادية، قصد بها تحويل وجهات الناس وأذواقهم وأطرهم الفكرية الى ما يحبيبهم في وسائل عيش الغربيين، ويرغبهم في استخدام أدواتهم، واستهلاك منتجاتهم، وما يبعد المسلمين عن أنماط عيشهم، ومألوف أحوالهم، ونماذج إنتاجهم.

بهذا الإحلال والإبدال الثقافي الذي شاع فينا، تأكدت روابط التبعية الاقتصادية للغرب، فاتجهنا الى استهلاك ما تنتج مصانع الغرب، والى انتاج ما تحتاجه تلك المصانع من خامات بلادنا، فكان النشاطان الثقافي والاقتصادي الغربيان وجهين لعملية غزو واحدة، وكنا عند حسن ظن الغاصبين فأسلمنا لهم قيادنا، وأهملنا من أجلهم ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وقد قدموا لنا الضار من بضاعتهم فأقبلنا عليه، وحجبوا عنا النافع من هذه البضاعة، وغفلنا عنه، وتركنا ما يفيدنا من صنائعهم وعلومهم مما يمكن أن نقوى به، ونمتنع ونعزّ، وأقبلنا على الضار من هذه البضاعة، مما تهن به العزائم، وتشتت القوى، ويتفرق الناس شعاباً، فسار اقتصاد المسلمين غنيمة لغيرهم، بل سلاحاً في يد غالبيتهم عليهم.

إن عمدة النظام الاقتصادي المستمد من الاسلام أن يكون اقتصاداً مستقلاً، تبنيه جماعة المسلمين لتقيم به فروض الله سبحانه، وتتأى به عن

محرماته، وليكون درعاً للإسلام حامياً له، كافلاً للمسلمين ما يلزم جماعتهم من عز ومنعة وسؤدد في حراسة الدين، وسياسة الدنيا.

إن أول ما يتأتى به هذا الأمر أن تقوم سياسات الاقتصاد بما يفضي الى تقليل الاعتماد على العالم الخارجي فيما تنتج أوطان الاسلام وفيما تستهلك، وتأكيد الاعتماد على الناس بما يعنيه ذلك من تعبئة الفائض الاقتصادي، وإطلاقه في مجال التنمية لإشباع الحاجات الأساسية للناس.

إن ذلك يقتضي الاعتماد في التنمية على المدخرات المحلية، والعمل على جذب ما للمواطنين من مدخرات بالخارج، والوقوف ضد أي تبديد للفائض الاقتصادي في مشروعات ترفيه، كما انه يقتضي ضبط معدلات الاستهلاك ، والسير في طريق التنمية حسب الاولوية الشرعية، وهي إشباع الضرورات أولاً، ثم إشباع الحاجات، ثم بعد ذلك يأتي دور التحسينات، وان تحديد الضرورات والحاجات والتحسينات إنما يجري بالنظر الى المجتمع في عمومه، والى جماعة المسلمين والمواطنين بعامه.

وبقدر ما ينسجم نمط الاستهلاك مع مقدرات الانتاج، وبقدر ما يعتمد الانتاج على الموارد المحلية، بقدر ما يتحقق الاساس المتين للاستقلال الاقتصادي المرجو، وأن خطط الاكتفاء الذاتي لا بد أن تبدأ بالاوليات المتوافرة في البيئة المحلية، ثم تمتد الى المجال الاقليمي في إطار الجماعة العربية والجماعة الاسلامية بعامه، ثم الى خارج هذا المجال وشعوب تبدي المودة والصداقة والتآزر.

رافعة النهضة الاقتصادية

ولتتحقق أهداف النهضة الاقتصادية المستقلة لا يكفي رفع معدلات الادخار والاستثمار، ولا يكفي تطوير فنون الانتاج وتنمية الخبرات الفنية، رغم ضرورة كل ذلك وأهميته الكبرى، ولكن يلزم أيضاً توفير عنصرين معنويين أساسيين:

أولهما: تنمية القوة الروحية الدافعة، والتي لابد أن تشبع في كل وجوه النشاط الاجتماعي، بالحماس للمبدأ، والإيمان بالمثل الأعلى، واستثارة مشاعر البذل والفداء، ذلك أننا مجتمع ينبنى وفق معتقده الديني، ويؤمن بتلك العروة الوثقى التي تربط الأرض بالسماء، والمؤمن المجاهد موعود بالجنة، أدرك صلاح الدنيا بجهاده أو لم يدركه.

إن مسألة النهضة الاقتصادية ليست مسألة إمكانية مالية فقط، ولكنها مسألة تعبئة الطاقات الاجتماعية جميعها، من أرض وإنسان وزمان، في مشروع واحد تحركه إرادة حضارية تصدر عن عقيدة وإيمان ببناء، والنهضة لا تشتري، ولكنها تصنع، وهي لا تصنعها السواعد والأدوات فقط، ولكن بينها ما وضح في العقل، واستقر في القلب.

وإن ميزان الحقوق والواجبات تتعادل كفتاه وفق حاجات الجماعة في كل زمان ومكان، ووفق ما يسفر عنه التوازن بين حجم الاستهلاك الممكن، وحجم الانتاج المقدر، في كل حالة زمانية من حالات الجماعة المعنية.

ثانيهما: علينا أن نستفتي عقيدتنا، وأن نستلهم تراثنا وتقاليدنا وأعرافنا في تحديد ما يحسن لنا استهلاكه، فاستهلاك البضائع والسلع يعتمد أكثر ما يعتمد على عوائد الناس وطرائقهم في العيش بما يترسم موازينهم وأبنيتهم العقلية والنفسية، لذلك ينبغي أن يكون إشباع الحاجات الأساسية للناس على وفق ما تشيعه بينتهم، وأوضاعهم الثقافية، وتقاليدهم وإرثهم التاريخي. إن نهضتنا الاقتصادية المستقلة تحتاج أول ما تحتاج الى تأكيد هويتنا الذاتية، وموازنين القيم المرتكزة على عقائدنا، وما انبنى على ذلك من أنماط للحضارة والعادات والأدواق.

إن الأسس الإسلامية للنظام الاقتصادي ليست مما يمكن أن يقارن بأي من الرأسمالية أو الاشتراكية، أو ما جرى على شاكلتهما من نظم الغرب الحديثة، لأن الفارق الأساسي الذي يفرق أي نظام اقتصادي إسلامي عن أي

من تلك النظم الغربية لا يتعلق بمفردات أي من هذه النظم، أو أي من أنماط العلاقات الاجتماعية التي تنشئها، إنما يقوم الفارق بين أي نظام إسلامي وبين أي نظام غربي، في البنية الأساسية التي يشيد عليها النظام.

فأي نظام إسلامي ينبغي أن يقوم على أساس من عقيدة الإيمان بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالقرآن الكريم كتاباً منزلاً، وأن يبدأ بالإيمان بالغيب، ثم يبدأ لجعل عمدته في شؤون الدنيا القرآن والسنة.

وأي من تلك النظم الغربية الوافدة إلينا، إنما تقوم أولاً وأخيراً على أساس دنيوي خالص، وعلى قاعدة وضعية علمانية، تبتعد بالأرض وما عليها ومن عليها عن حكم السماء، وتتكبر هيمنة الغيب على مقدرات البشر ونظمهم الدنيوية.

ويتفرع على ذلك عدد من المقومات العامة، فالنظر الإسلامي لا يرد المشكلة الإنسانية بعامة إلى العوامل الاقتصادية وحدها، ولا يعتبر هذه العوامل الركيزة الأساسية للوجود البشري ونمائه، إن النظر الإسلامي يعتبر أن النظام الاقتصادي لا يخلق المجتمع، وإنما هو على العكس مخلوق ومحكوم بما تتوجه إليه القوى الأخلاقية التي تخلع على المجتمع وعلى النظام الاقتصادي التفسير الإنساني والغاية التاريخية.

وإن الاقتصاد وحده لا يقيم المجتمع، وإن كان يعتبر واحداً من مقومات الجماعة، وهو يرتبط بالقيم الحضارية، والتكوين العقدي للبشر، وإن الإنسان وبناءه العقدي والتربوي هو القيمة الأساسية والعنصر الرئيسي في أي نظام اقتصادي يقوم على الرشد، وتسلس به عمليات النهوض والنماء.

مبادئ اقتصادية

والنظر الإسلامي في الاقتصاد لا يرى في الملكية الفردية ما تراه الرأسمالية فيها من سلطات مطلقة ترد عليها بعض القيود، ولا يرى فيها ما

تراه فيها الماكسية من استغلال لصيق، إنما يرى النظر الإسلامي في الملكية وظيفة استخلف فيها الناس ليؤدوا فروضها الاجتماعية لنفع الجماعة، وينتفعوا بطبيعتها على شروط الاستخلاف.

والنظر الإسلامي يضع أي نظام اقتصادي مستمد منه بعيداً عن إباحية الرأسمالية ومادية الاشتراكية جميعاً، هو لا يرى في الإنسان محض مستهلك للحاجيات المادية مشغوف بالمنافع الحسية، إنما يراه معقولاً، تعقله عقيدته عن الشره، وتصور سلوكه قيمه الأخلاقية، ويعتبر ذلك من صميم بناء الإنسان الاقتصادي، ما يعتبر الجانب الإيماني والتربوي من صميم بناء هذا الإنسان الاقتصادي، والاسلام ذو شمول.

إن أي نظام اقتصادي يستمد من الاسلام، يعتمد على جملة من المبادئ والأسس، منها: اعتبار المال الصالح هو قوام الحياة، بما يتعين معه الحرص على هذا المال، وحسن تدبيره وتثمينه، وقد أشاد الاسلام بما يعني تحبيب الناس في الفاقة والفقر، وذم الدنيا وذم الغني والثروة، إنما يراد به ذم ما يدعو الى الطغيان والفتنة والاسراف، وما يدعم الاستعلاء والاستكبار، وما يعين على الاثم والمعصية والفجور والكفران بنعمة الله، والاسلام يلفت النظر الى ما في الوجود من منابع الثروة ووجوه الخير، ويحث على العناية بها ووجوه استثمارها، لأن كل ما في الكون مسخر للإنسان يستفيد منه، وينتفع به.

ومن هذه المبادئ والأسس: إيجاب العمل والكسب على كل قادر عليه، فالعمل من أفضل العبادات، وهو من سنن الأنبياء، كانوا يأكلون من عمل أيديهم، وأفضل الكسب ما كان من عمل اليد، والاسلام يزرى بالبطالة وبمن هم عالة على المجتمع لا يعملون، ولو كانوا ينقطعون انقطاعاً لعبادة الله. والتوكل على الله لا يكون بالتبطل، إنما يكون بالأخذ بالأسباب والنتائج، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل، لأن الرزق والمقدور مقرون بالسعي الدائب.

ومن هذه المبادئ والأسس: تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبيث من الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل كالربا، وما كان بغير حق كالسرقة واختلاس مال الغير، فرداً كان هذا الغير أو جماعة أو مالاً عاماً هو من حقوق الجماعة، أو كان هذا الكسب عوضاً عن مال يضر، سواء كان عوضاً عن محرمات كخمر وخنزير ومخدر، أو كان عوضاً عن صفقات مالية أو تجارية من شأنها الاضرار بحقوق الجماعة وأوضاعها الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية.

ومن هذه المبادئ والأسس: تقريب الفوارق بين الطبقات، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء، ووصف الطريق العملي لذلك.

تذوق الكرامة

إن أي نظام للاقتصاد في الاسلام يقوم بين حدين من الفرض والتحريم. هما فرض الزكاة، وتحريم الربا، والزكاة من خاصة أسس الاسلام، هي الثالثة دعائم الاسلام، وواحدة من أركانه وشعائره الكبرى وعباداته الاربع، وهي بعد التوحيد وإقامة الصلاة عنوان دخول دين الاسلام، واستحقاق الأخوة بين المسلمين، وهي مما ورد بالقرآن والسنة، واجتمع عليها المسلمون، ومما يعرف عن الاسلام بالضرورة.

والزكاة ليست إحساناً فردياً، إنما هي فريضة من الله مقصود بها تنظيم اجتماعي تشرف عليه الدولة ويتولاه جهاز إداري منظم يقوم على جبايتها ممن سنت عليهم، وصرفها في مصارفها الشرعية لمن يستحقها، فالزكاة جباية ومصرفاً هي من شؤون الحكومة في الاسلام وليست شأنناً فردياً، ويتعين أن تكون لها موازنة خاصة تتسع لها موارد ومصارف حسب أحكامها الشرعية.

إن تطبيق نظام الزكاة وغيره من النظم المالية التي عرفها الإسلام،
يوجب إصلاح النظام الضريبي بما يتفق مع أحكام الإسلام وروح نصوصه،
وبما يحسن معه التركيز على الضرائب المباشرة وتعديل شرائحها بما يحمي
صغار أصحاب الدخل ومتوسطيهم، وبما لا يقتل الحوافز الفردية.

والربا محرم بنص القرآن الكريم وسنة المصطفى، ولا مهرب من
الامتثال لأمر الله، وأن تصدع به، ولا يملك فرد ولا حاكم أو جماعة أو نظام
أن يحل هذا الحرام. وفي الربا استغلال لحاجة المحتاج وإثراء بغير جهد،
وتتمية للمال بلا مخاطر، وكسب لا يقابله عمل، وكل ذلك منهي عنه، وأن
فسوه - إن فشا - يطبع المجتمع بالجشع، ويطبع الإنسان بالأثرة والعبودية
للمال، وفيه محاباة للمال وتمييز له على حساب العمل والجهد الإنساني،
وإعلاء لشأن المادة على حساب الروح، أو على حساب جهد الكائن ذي
الروح، مما يضع القيم الإنسانية وضعاً هابطاً تعلو به القيم المادية. إن إلغاء
نظام الربا يقتضي تعميم المصارف غير الربوية، وإنهاء تعامل المصارف
بهذا الربا المحرم، وإقامة النظام الاقتصادي والمالي على أساس من التنظيم
غير الربوي.

على أنه ينبغي إيضاح أن تحريم الربا ليس مجرد نهى ينحصر أثره
في علاقة المقرض بالمقرض، ولكنه نهى له امتداداته وآثاره في النظام
الاقتصادي والأوضاع المالية للجماعة، وإقامة المؤسسات غير الربوية
يقتضي النظر فيما توظف فيه الأموال لصالح الجماعة ونهضتها وليس للكسب
الفردى وحده، وذلك بموجب أن ملكية المال هي وضع استخلاف، وأن
الإسلام نظام حياة للجماعة المسلمة، وأن المسلمين مأمورون بالنهي عن
المنكر والأمر بالمعروف.

إن من مقاصد الدعوة الإسلامية أن يستشعر الناس العزة والكرامة،
ويتذوقون طعم الحياة الكريمة، ولا يكون ذلك إلا بالشعب والاستغناء عن

الغير، وتوفير ضرورات الحياة، والى ذلك نظر الاسلام فلم يهمل المعاني الاقتصادية ولم يتغافل عن الاصلاح المالي، بل وضع لذلك أفضل القواعد التي تنمي وحدة الأمة أفراداً وجماعات، وترفع مستوى المعيشة وتقرب بين الطبقات، وتؤمن الجميع على أنفسهم وذرايهم وأولادهم، وتضمن لهم العدالة الاجتماعية الصحيحة.

النظام التعليمي المزدوج

لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والتعليم من أهم الوسائل التي يغير بها المسلمون ما بأنفسهم، فلا نهضة تنتظرهم ولا صحة تشملهم إلا ويكون من مكوناتها وفي صميمها إصلاح شؤون التعليم، فهو صناعة للبشر، وصياغة للعقول والوجدان، وهو وصل للمعرفة عبر الأجيال، وغرز للقيم والمعتقدات، و تمكن من علوم العصر وفنونه، وإدراك للذات، وإطلال على شؤون الغير.

ويعاني التعليم عندنا مما يعاني منه المجتمع كله، حتى يصعب معرفة من الفاعل ومن المنفعل فيهما، وأساس المعاناة يرد من ظاهرة الازدواج، وقد مضى علينا أكثر من قرن ونصف منذ بدأت ظاهرة الازدواج تنفّس في نظم التعليم، ومؤسساته ومناهجه.

وأياً كان النقص في كفاءة التعليم قبل ذلك الوقت، فقد كان نظاماً واحداً، ومناهج واحدة تقوم عليها هيئات واحدة متماثلة، والاصلاح مطلوب في كل حال، ولكنه ليس من الحتم أن يقوم الاصلاح على أساس من ازدواج النظم وثنائية المؤسسات، والأكثر مدعاة لطبائع الأمور أن ينشأ الجديد متخللاً للقديم مجدداً لأنحائه، لا أن يقوم نظامان تعليميان منفصل كل منهما عن الآخر منقطع الصلة به، بل أن يقوموا على تعارض وصراع وتناف كما حدث فعلاً.

كان نظام التعليم التقليدي يقوم من الكتاتيب ومدارس الجوامع حتى الازهر، وقام بجواره وبموازاته نظام جديد من المدارس الابتدائية والثانوية حتى الجامعة، وقام الأخير على غير انبثاق من الأول ولم يُقدّ تجديداً له، بل أفاد القطيعة معه، ثم انضافت ثالثة الأثافي لهذا النظام المزدوج، ألا وهي التعليم الاجنبي والتبشيري الذي انتشرت مدارسه منذ نهايات القرن الماضي، ولا تزال بعض هيئاته الاجنبية قائمة في المجتمع حتى الآن، لتزيد من عوامل التفكك والانشطار في المجتمع، وفي أبنيته الفكرية والثقافية، وذلك بمثل ماحدث في نظم المحاكم من جعلها محاكم مختلطة، ومحاكم أهلية، ومحاكم شرعية.

لقد كانت دواعي الحياة تستدعي اصلاح نظام التعليم القديم، ولكن التغيير الحادث مع أواخر القرن الماضي لم يجر تلبية لهذه الحاجة أو علاجاً لأمرائها، إنما أنشئ إنشاءً، وأعمل إعمالاً ليُجعل حاجات الناس مستجيبة له، وذلك ما يعرف في تاريخ التعليم المصري بسياسة دانلوب البريطاني، والقصد منه إقامة الاحتلال البريطاني والاوروبي في عقول البشر وصدورهم.

هذا النظام التعليمي المزدوج، قام به شعبان من شعب واحد، وأمتان من أمة واحدة، بل قام به قلبان في جوف من الناس، ويتزاحم في الرؤوس نظامان، نظام موروث مبني على الاسلام، ونظام وافد مبني على العلمانية وإقصاء الاسلام.

وقد كان النظام الموروث نظاماً إسلامياً بالمعنى الصحيح للاسلام، من حيث أنه يربط في علوم الحياة بين الدين والدنيا، كما ترابطاً أبداً منذ وجد الاسلام في الأرض، ولكن النظام العلماني الوافد فسخ العلم الى ما اسماء علوم الدين التي بقيت لمؤسسات التعليم الموروث، وعلوم الدنيا التي هيمن عليها، وطفق يوسع من هيئاتها ومؤسساتها، وبناها على انفصال مع العقيدة،

وأنشأها على قاعدة غير دينية، وامتد هذا الأمر الى العلوم الانسانية من أدب واجتماع واقتصاد وفلسفة وقانون، بل لعله قصد به هذه العلوم أكثر مما قصد به علوم الصنائع وفنونها.

ومن هنا قام هذا الصدع الخطير، وأفرخ صدعا هائلاً بين البشر من أبناء كل من هذين النظامين التعليميين، كل نظام يتناول أبناءه من قبل سن التمييز، ويتعهدهم حتى تمام الرشد وما يليه.

وقامت المدارس الحديثة تؤكد القيم العلمانية، وتشكك في جدوى شرائع الاسلام ونظمه، وتؤكد أن ثمة تنافياً بين العلم والدين، وإن لم تفعل ذلك صراحة، فقد أعدت برامجها على أساس إبعاد الاسلام على أن يكون أساساً لنظم الحياة أو مصدراً للشرائع، وتفتت الفلسفات الغربية بين الشباب والدراسين، وتأكدت لدى هذا القسم من الأمة تبعية العقل للفكر الغربي، كما تأكدت القطيعة عن أصول الأمة وعقائدها وتاريخها، بل وحاضرها ومستقبلها أيضاً.

هذا مجمل النظر الاسلامي لأوضاع التعليم الحاضرة، ومجمل توصيفه لما يعاني منه نظام التعليم، ولما يعانيه المجتمع منه، والواجب المناداة بتوحيد النظام التعليمي مؤسسات ومناهج ونظماً، واستعادة نظرة الاسلام الصحيحة في عدم الفصل بين ما يسمى علوم الدين وعلوم الدنيا، ورؤية التعليم نظاماً واحداً يضم في مراحلها الأخيرة تخصصات متعددة، ولكنها كلها يشملها أصل واحد، وتوجهها فلسفة واحدة، وتصوغ مواطنين متجانسين متمثلين في المشارب وفي التوجه، وفيما يتغلغل فيهم من روح الانتماء للعقائد والجماعة، وإن تعددت تخصصاتهم العلمية، وتتنوع مهنتهم ووظائفهم في المجتمع.

إن هذا النظام التعليمي الواحد يتعين أن يصدر عن الأصول الثابتة لعقائد الناس، وأسس حضارتهم المتميزة، وتاريخهم العريض، ثم هو يمتد الى

كل ما يفيد من علوم العصر الحديث وفنونه ومناهجه، سواء في علوم الطبيعة أو علوم الانسان، مع الدعم الفعال للغة العربية والنشر الواسع للغات الأخرى، لينشأ الانسان المواطن عميق الانتماء لربه، عميق الانتماء لجماعته ووطنه، عميق الانتماء لعصره الذي يعيش فيه.

المرأة

إن الموقف حول موضوع المرأة واضح لا لبس فيه، لأن موقف الاسلام من المرأة ساطع البيان، وما من شريعة كرمت المرأة بمثل ما كرمتها شريعة الاسلام، فهي مساوية للرجل في أصل الخلق وفي التكليف، وفي الجزاء، خوطبت بمثل ما خوطب بأحكام القرآن، وتتمتع بكل ما يتمتع به الرجل من الحقوق والصلاحيات الشرعية، هي ذات ذمة قانونية مستقلة، وشخصية قانونية كاملة، وهي موضع للتكليف بالدين قائمة بذاتها، لا تتبع الرجل في دخول الدين ولا يتبعها، وتخضع مثله للفروض الشرعية، ولها من حقوق الشخصية القانونية ما لم تتمتع به المرأة الأوروبية التي يعتبرها البعض مقياس التحضر والمدنية، فللزوجة في الاسلام ملكها الخاص، وذمتها المالية المنفصلة عن ذمة زوجها، وهي تحتفظ بإسمها ونسبتها الى أبيها بعد الزواج فلا تلحق بالزوج، وكل ذلك يبرئها به الاسلام الحنيف من شبهه التبعية للزوج.

وحق المرأة في التعليم مقرر، وصلاحياتها للعمل مرتبطة بتحديد مجالات العمل المناسب من حيث نوع العمل وطبيعته ومجاله وزمانه ومكانه وطريقة أدائه، وكل ذلك بما ينسجم مع طبيعتها الانثوية وما تتحمله من تبعات الأمومة، وبما يكفل لها الأمان والطمأنينة، ولأسرتها السكن والرعاية، ويجري ذلك حسب أوضاع الشريعة الغراء، ووفقاً لما تتخذه من أسس تتعلق بتقسيم العمل الاجتماعي وفقاً لنوعياته وصلاحيات أفراد المجتمع لكل نوع من

أعضاء الأسرة، وفي إطار ما قرره الشرع الحنيف من تماثل الممكّنات العقلية لكل من الرجل والمرأة بدليل تساويهما في التكليف الشرعي والجزاء. والحجاب المقرر في الاسلام لا يعني حبساً، ولا حجراً على المرأة ولكنه يعني الالتزام بالأوضاع الشرعية في الملبس والاختلاط، وهذا لا يخل بما يتاح شرعاً للمرأة من كفالة التعليم لها، وجواز عملها في المجالات المناسبة، وهذا الالتزام لا يشكل نقصاً في مجال المساواة، إنما هو تصنيف للأحكام لتناسب مع أوضاع كل جنس، ولا يقول أحد: إن منع الحرير والذهب على الرجال مما يخل بكمال حقوقهم.

وبالنسبة لوضع الزوجة، فإن التوازن الشرعي الذي يحكم علاقة الرجل والمرأة في الزواج، لا يظهر بالنظر الى العلاقة الثنائية التي تربطهما، بقدر ما يظهر عند النظر الى تلك المؤسسة الاجتماعية التي تنشأ بهذا العقد وهي الأسرة، وهي أكثر المؤسسات حظاً من اهتمام القرآن الكريم بتنظيمها، وهي أدام المؤسسات في تاريخ العمران البشري، وأعمقها حظاً في التأثير، وأوسعها انتشاراً.

والزواج في الاسلام ليس مجرد عقد يحكم علاقة رجل بامرأة، ولا ينبغي أن ينظر الى حقوق الزوجين في تقابلهما وتوازيهما فقط، كما ينظر الى حقوق البائع والمشتري، ولكن الزواج عقد ينشأ به كيان اجتماعي هو اللبنة الاولى في نظام المجتمع الانساني، واستمراره بالتكاثر والتوالد والتربية.

وفي إطار هذه المؤسسة الاجتماعية ينبغي النظر في أوضاع الاسرة بحسبان ما يتوزع على كل عضو فيها من وظائف تتفق مع ما يتوافر له من صلاحيات، فلا تتوزع الواجبات بالتقابل مع الحقوق بقدر ما تتوزع بالنظر للصلاحيات، وتقسيم الوظائف والأعمال وتكاملها، ومن هنا تبدو المرأة أمّاً قبل كل شيء، وحاضنة للأجيال، ويبدو ما كرمها به الشرع الحنيف.

والنظام الإسلامي للأسرة يصل الى حد الاعجاز في تنظيم هذه المؤسسة ذات الشبوع الزماني عبر التاريخ كله، وذات الانتشار المكاني عبر المجتمعات كلها، فأنت الأحكام والرخص بما يساعد على مواجهة أي متغير من المتغيرات التاريخية المكانية بهذا الانتشار والتنوع العريض، سواء بالنسبة لأحكام إنهاء الزواج، أو تعدد الزوجات أو غيرهما.

وإن أهم ما يتعين الحذر منه عند النظر الى أي مشكل يتعلق بوضع المرأة في المجتمع، هو هذه الدعوات العالية الصوت التي تدعو الى استيراد حلول للمشاكل من حضارات أخرى، ومن أطرها قيم وأعراف وتقاليده مخالفة، ومن سياق أوضاع تاريخية بعيدة تماماً عن سياق التاريخ الإسلامي، وما يعرفه المسلمون من أعراف، واعتادوه من قيم، وآمنوا به من معتقدات. إن مثل هذه الدعوات خليقة بأن تعود بأفدح الضرر على موازين القيم والعقائد في المجتمع، وأن تهدد من أركان مؤسسة تمثل اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وتمثل البوتقة الأولى لتربية الأجيال المتتابة.

خاتمة

وأخيراً وليس آخراً، فإن الأمة إذا توافرت لها كل هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم، والقوة والصحة والاقتصاد، فهي بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لها، ولا سيما إذا أضيف الى ذلك أنها قد ظهرت من الأثرة والعدوان، والأنانية والطغيان، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله، وأن الإسلام قد كفّل ذلك، فلا حجة لأمة في النكول عنه، والعدول عن طريقه.

الخلل المنهجي في محاضرة البابا

البروفسور أبو يعرب المرزوقي
أستاذ الفلسفة في الجامعة التونسية

لما قرأت عنوان المحاضرة التي ألقاها البابا (الإيمان والعقل والجامعة: تذكر وتأمل) في إحدى جامعات مسقط رأسه، كنت أنتظر خطاباً يجمع بين حميمية السيرة الذاتية وجدية المفكر الجامعي الذي وصل إلى ذروة السلطة جمعاً بين رئاسة المؤسسة الروحية والمؤسسة السياسية الغربيتين التقليديتين. أربع صفات اجتمعت في الرجل (أستاذ جامعي - مفكر يتأمل الشأن الإنساني - الحبر الأكبر/البابا - رئيس دولة الفاتيكان) فكان من المفروض أن يقدم لنا صاحبها درساً نموذجياً في الموضوع الذي اختاره فيقول في جوهر الإيمان والعقل ما يعالج أزمة الإنسانية خاصة إذا زعم المتكلم أنه جاعل منهما مادة للعلم بمعناه الأكاديمي الراقي والمتحرر بمنظور الواجب من المذهبية والانحياز اللاهوتي المقيت.

لم تكن المحاضرة خطاباً يوجه إلى الإنسانية لعلاج أزمتها الروحية كما قد يوحي حدا عنوانها الأولان (الإيمان والعقل) بل هي تخاطب الإنسان الأوروبي الذي حصر تاريخ العالم كله في تاريخ الكاثوليكية عنده وذلك من منطلق أزمة العلاقة بين حد لم يرد ذكره في العنوان (اللاهوت الكاثوليكي) وحد العنوان الثالث (الجامعة). إنها تعليل لما طرأ في تاريخ هذه العلاقة أساسه تصور مجتزأ يحكمه حصر العقلانية في ما أنتجه العقل اليوناني الأوروبي وحصر الإيمان في الكاثوليكية الأوروبية واستثناء كل ما لا يحقق التطابق بين هذين التصورين المشوهين من الديانة والعقلانية السويتين لاستثنائهما عقل جميع البشر الآخرين وإيمانهم منهما بدءاً بالمسلمين وختماً بكل المسيحيين غير الكاثوليكين الأوروبيين فضلاً عن إغفال كل من سواهم من الآدميين في الفكر فضلاً عن الذكر.

ولعل الاختصار على مناقشة المحاضرة من حيث الشكل الأكاديمي والمنهج العلمي كاف لبيان أنها ليست كما يزعم صاحبها عملاً أكاديمياً فيكون الخطاب فيها لمفكر حر بل هي تعبير عن موقف منحاز لعقيدة دينية مأزومة فيكون خطاب مبشرٍ غير يركب موجة الإيديولوجيا العدوانية السائدة في السياسة الدولية. لذلك فسنوجه إلى المحاضر ثلاثة أسئلة تتعلق بما يعتبر من أبجديات البحث العلمي أعني المعيار الأول والأخير في تقويم المحاضرات الجامعية.

١. فهل المحاضر يقرأ القرآن في لغته فيفهم الآية التي ظنها تأمر بحرية المعتقد وحد من مدلولها بسبب نزولها أو ظرفه أعني ضعف محمد، ضعفه الذي أكد له ثقافة العلماء ؟

٢. وهل هو متأكد من العنينة عندما استشهد بثيودور الخوري الذي استشهد بآرنولداز في تحديد نظرية الله الإسلامية فيطمئن لعلمهما

وينبني عليه دليل بضدها تعرف الأشياء الصريح في محاضراته لتعليقه أخذ دلالة عبارة الإمبراطور المحاصر بداية وغاية لبحثه؟

٣. وأخيرا كيف له أن يزعم أنه لم يقصد إهانة الإسلام والمسلمين لمجرد أن ما استشهد به ليس رأيه الخاص بل هو رأي من أشار إليه من مراجعه في حين أنه يعلل الحد من دلالة آية "لا إكراه في الدين" بسبب نزولها ناسبا إلى نفسه استشارة ثقافة العلماء ومضمرا أن القرآن فيه آيات أخريات تفيد عكس هذه الآية بعد أن أصبح محمد ذا حول وطول ؟

وفي الجواب على السؤال الأول لست أشك في أن المحاضر يجهل العربية. لذلك لم يفهم أن آية "لا إكراه في الدين" تنفي كل إمكانية لفرض المعتقد، ثم هو تصورهما خالية من الكلام في الجهاد الذي جعله أداة فرض المعتقد في حين أنها تشير إليه إشارة مباشرة وصريحة بحقيقته التي يمثلها أفضل تمثيل مفهوم "الكفر بالطاغوت". ولا معنى للكلام على سبب نزول الآية للتقليل من دلالتها الكلية كما يزعم المحاضر استنادا إلى من يصفهم بكونهم من العارفين: "والقيصر كان يعلم دون شك أن الآية ٢٥٦ من سورة البقرة التي مفادها ألا إكراه في الدين هي من السور الأولى من عهد كان فيه محمد ذاته فاقدا للقوة وتحت التهديد كما قال لنا العارقون" (من نص المحاضرة).

لا يمكن تفسير الآية بسبب نزول ظرفي، فهي لا تنتهي عن الجهاد بالنهي عن الإكراه فيه فحسب بل هي تشترط للإيمان بالله الجهاد في سبيله ضد الطاغوت، وكل من قرأ القرآن يعلم أنه خال من كل ما يمكن أن يتضمن معنى الإكراه في الدين، سواء كان ذلك قبل تمكن المسلمين أو بعده رغم تعريض المحاضر بمثل هذا الزعم. والمعلوم أن الطاغوت الذي تشترط الآية الكفر به ليكون الإيمان إيمانا صادقا نوعان: أحدهما الطغيان الروحي، وتمثله

السلطة الروحية الوسيطة بين الإنسان ورازقه الروحي. والثاني الطغيان المادي ، وتمثله السلطة الزمانية الوسيطة بين الإنسان ورازقه المادي. وليس من شك في أن ذروة الطاغوت المطلق هو التحالف بين الطاغوتين وعلامته التي لا تكذب هي تبادلهما الأدوار فيصبح صاحب الطاغوت الروحي خائضاً في شؤون العالم الدنيوية كما في الحروب الصليبية الوسيطة التي قادها بابوات روما ويصبح صاحب الطاغوت الزماني خائضاً في شؤون العالم الروحية كما في الحروب الصليبية الحالية التي يقودها بابوات واشنطن ! والحنين إلى التوحيد بين الدورين ليس مستبعداً !

أما السؤال الثاني في النقد المنهجي للمحاضرة فقد اعتمد محاضرنا الأكاديمي على عنعنه لم تعد في عصرنا مقبولة بل هي كانت دائماً مرذولة بالنص الصريح حتى في مدارس عصور الانحطاط إلا بشروط التعديل والتجريح: "فمن الخوري عن أرنلداز (رضي الله عنهما !) أن ابن حزم قال لتعليل ما قال الإمبراطور بنظرية الله في الإسلام". أي علم هذا ينتهي بصاحبه المعتمد على دليل العنعة إلى حشر كل فرق الإسلام من حيث تصورهم للذات الإلهية في تصور ابن حزم الذي لا تكاد فرقته تذكر بين فرق الكلام الإسلامي تسليماً بأن ما فهمه أرنلداز في عرضه من عقيدة ابن حزم صحيح ؟ هل يقبل مثل هذا الكلام من طالب مبتدئ فضلاً عن أستاذ يستمتع بذكريات حياته الأكاديمية التي مر عليها أكثر من نصف قرن فيكون منتسباً إلى المدرسة التقليدية التي عرفت بجدية التقصي وصرامة البحث ؟ وكم هو مضحك أن يتكلم المحاضر على ما أوجبه عليه النزاهة الفكرية *Redlichkeit halber* حينما أشار إلى ما اعتبره انحرافاً وقع فيه لاهوت العصر الوسيط المتأخر عند بعض ممثلي العقيدة الكاثوليكية العقلانية مثل القديس اللطيف دانس سكوت من أصحاب الإرادية في مقابل العقلانية. زعم أن الانحراف كاد يفقد اللاهوت الكاثوليكي عقلانيته باسقاطه في

لاعقلانية المسلمين لفرط اقترابه من ابن حزم: "ولنلاحظ عملاً بما توجبه النزاهة العقلية أنه في العصر الوسيط المتأخر تطورت تيارات من علم اللاهوت ترفض هذا التأليف بين ما هو يوناني وما هو مسيحي" !

لماذا لم يكلمنا المحاضر عن الحركة الجانسينية وعن ديكرت وباسكال وجوته في موقفه من كاثوليكي عصره وهايئة في تحليل هذه الموقف وكل الذين كانوا يرون أن قدرة الله وإرادته هما صفاته الأسمى؟ لماذا لا يهم أن المؤمن الصادق لا ينفى العقل عن الله عندما يؤمن بتعالیه عن مقولات العقل الإنساني بل يميز بين علمه المطلق وعلمنا النسبي فيرى قدرته وإرادته فوق معقوليتنا التي نتصور قوانينها قوانين الوجود؟ لماذا لا يفهم أن الإيمان الصادق ليس هو إلا التسليم بأن قوانين الوجود من اختيار الله الحر رغم قابلية التعامل معها لمنطق الرياضيات المضطر؟ ولا يعني هذا التسليم أن هؤلاء المفكرين المؤمنين يقصدون أن عقل الله دون قدرته وإرادته بل يقصدون أن أفعاله لا يقاس بمعقوليتنا حصراً فيها حتى لا يؤلهوا الإنسان فيصبحون ببنوة المسيح لله قائلين وعلى الإكراه في الدين مدمنين تبشيراً وتدميراً. أم تراه يرى أن كل هؤلاء قد نزلوا إلى الدرك الأسفل فاقتربوا هم أيضاً من ابن حزم ومن ثم من لا عقلانية الإسلام؟

كيف لمحاضر ومفكر أن يعتمد على العننة من دون العودة إلى المصادر نفسها؟ ما الذي حال دونه والسؤال - في اعتماده على هذه العننة التي تلتقي بمصدرها (الامبراطور في نظرية الجهاد وارنلداز في نظرية الله الإسلاميتين) عند الخوري - عن مدى صحة تصورات مرجعه ومدى علمه بما يتكلم عليه؟ هل يمكن لأحد له أدنى معرفة بالكلام الإسلامي أن يعتبر المدرسة الظاهرية ممثلة لعقائد المسلمين حتى لو سلمنا بأن عرض انلداز لفكر ابن حزم أمين؟

وأعجب ما أعجب له تصديق المحاضر لتصديق ثيودور الخوري رأي الإمبراطور في تعليل موقف محاصريه العنيف. لم اعتبره ناتجا كما ظن الإمبراطور عن نظرية نشر الدين الإسلامي الجهادية واستثني السؤال عن دور الدوافع السياسية والاقتصادية في الصراع بين إمبراطوريتين (العثمانية والرومية) متجاورتين، الدوافع التي قد لا يكون للإسلام بها صلة حتى وإن صادف فاستعمل غطاء دعائيا في سياسة الخلفاء العثمانيين ؟ لم وافقه على إرجاعها إلى مواقف محمد الشريعة صاحب نظرية الجهاد الذي تصوره وسيلة لنشر العقيدة بالسيف، فانتقل مباشرة إلى تعليل هذا التأويل الإمبراطوري بعقلانيته اليونانية ولم استدرك المحاضر عليه بإضافة المصدر المسيحي لتفسير موقفه العقلاني ؟ أليس لأن ذلك وجد هوى في نفسيهما وكلاهما كاثوليكي لم تمت في ذهنه الذكريات الصليبية الوسيطة ونمت في نفسه أمانى الصليبية الحديثة ؟

وفي الجملة هل يصح لمحاضر يزعم أنه يحاضر بصفته أستاذا ومفكرا أن يكون بهذا الحيف المنهجي فيقارن نصا دينيا مسيحيا - مجرد دعوى "في البدء كانت الكلمة" - حول العقلانية بواقعات مستمدة من التاريخ السياسي الإسلامي حول ما يعتبر منافيا لها ؟ أما كان عليه أن يقارن بين التاريخين أو بين النصين لا أن يتحيل فيقارن بين النص المقدس المسيحي والتاريخ الإسلامي السياسي ؟ وهل لو قارن القرآن بالكتاب المقدس بعهديه اللذين استمد منهما دليله الأول حول التطابق بين الكلمة واللوغوس أو التاريخين السياسيين المسيحي والإسلامي هل كان يحكم حكما نزيها أي الكفتين سترجح في مجال العقلانية بمعيار العنف والقتل بلا حد ؟

ولنأت إلى السؤال الثالث الجامع. فنص المحاضرة لم يعان من هذه الهنات الشكلية بسبب جهل المحاضر بعقيدة الإسلام أو تاريخه بل بسبب علمه بهذا الجهل وتجاهل شروط المنهج في الكلام على الإسلام. فالجهل بالمضمون

لا يعفي أي أكاديمي من العلم بشروط المنهج الأكاديمي في أي عمل علمي. لا يمكن أن يجهل المحاضر أن الجهل بلغة النص مثلاً يلغي حق التفسير فضلاً عن حق التأويل بل ويحرمه عليه. ولا يمكن للمحاضر أن يجهل أن الإحالات مشروطة بالعودة إلى المصدر المحال عليه وأن الوسائط والعنونة في العمل العملي لا تكفي حتى في المستوى الدراسي الأول من العمل الجامعي.

وأخيراً فالمحاضر لا يمكن أن يجهل أن الضمائر في العلاج والاستدلال العلميين أمر خطابي يجردهما من قوة الحجة عامة فضلاً عن قوة البرهان. فلا يكفي مثلاً أن يقول المحاضر إن العارفين أعلموه أن آية حرية المعتقد نزلت لما كان محمد بلا حول وتحت التهديد ليضمرب بشيء من المكر أن القرآن فيه كما يزعم أقوال أخرى في الجهاد نزلت لما أصبح محمد ذا قوة تجعله وسيلة لمنع حرية المعتقد أو لفرض المعتقد بالقوة: "لكن القيصر كان يعلم بالطبع أن في القرآن تحديدات حول الحرب المقدسة ولت هذه الآية في النزول".

فهذا الكلام يضمرب بشيء من المكر أن هذه "التحديدات" تتضمن فرض العقيدة بالقوة لتعلل بها موقفه من الرسول محمد رغم وجود آية حرية المعتقد. لكن العارفين من غير الذين أشاروا على المحاضر يعلمون أن هذه التحديدات كانت لحصر الجهاد في الدفاع عن حرية العقيدة أو عن المستضعفين في الأرض ضد المفسدين فيها. لذلك فإضمار المحاضر وسكوته عن طبيعة التحديدات يثبتان أنه ليس حسن النية بل وأنه سيئها. فسكوته عن طبيعة التحديدات التي ولت في النزول آية حرية العقيدة يبين أنه يضمرب بقصد وروية أنها من طبيعة مقابلة للآية التي تقول بحرية العقيدة ومن ثم من طبيعة تمنع حريتها وتفرض تغييرها بالقوة. فأني له بها، ومن هم العارفون الذين أعلموه بذلك ولماذا لم يشر إلى أي منها ولا منهم ؟

وفي الختام فالمحاضر ليس جاهلا بالشكليات الأكاديمية التي كانت تفرض عليه ألا يتكلم في ما لا يعلم علما مباشرا لسانا ومضمونا. إنما تعديه على الشكليات كان السبيل الوحيدة ليجد في تجاهل حقائق الإسلام ما يؤيد به موقفه من الإسلام. فليس جديدا أن المحاضر يعتبر الإسلام خطرا يهدد أوروبا. وليس سرا أنه يسعى إلى التقرب من الإمبراطور الحالي بالإحالة إلى الإمبراطور السابق.

قراءة قانونية للمقاومة والارهاب

بروفسور دكتور علي العلي / دكتوراه في فلسفة القانون
مستشار ونخبير في القانون العام والنظم الادارية
دولة الكويت

قراءة أولية

لعل الحديث عن معطيات القانون الدولي في التعاطي مع المفاهيم السياسية والقانونية والتي ترتبط معظمها بشكل مباشر مع حقوق الأفراد والدولة وأحياناً أخرى بشكل غير مباشر، يعتبر من أدق الأمور عند محاولة فرزها لا لعدم وضوحها بل لشدة ذلك والذي يدخلها تحت مفهوم معاكس تماماً لها، ولعل هذا يتضح من خلال مفهوم المقاومة والارهاب، لذا لابد لنا أولاً أن نقف عند هذين المفهومين لبيان أبعاد كل منها ولكي نتضح مأخذ هذا عن ذاك ومدى شرعية وقانونية القيام بأحدهما تحت منظور القانون الدولي العام.

فنحن إذن أمام ثلاثة مفاهيم أساسية يشكل أحدها الغطاء الذي يتحرك من خلاله بقية المفاهيم والتي نعرضها تباعاً في هذه القراءة القانونية.

أولاً: القانون الدولي العام.

ثانياً: الارهاب.

ثالثاً: المقاومة.

أولاً : القانون الدولي العام

للقوف على القانون الدولي العام فنحن أمام رؤية تتشكل لإعطاء تعريف له هي نتاج موروث فقهي قانوني من خلال آراء فقهاء القانون الذين اتفقت كلمتهم تقريباً على أن القانون الدولي العام من حيث التسمية ولید ما كان يطلق عليه باللاتينية [قانون الشعوب *Jus Gentium*] وهو ما اصطلح عليه الفقيه القانوني إيمريك فاتيل عام ١٧٥٨م باللغة الفرنسية *Driot Des Gens*.

أما الفقيه القانوني الانجليزي جيريمي بنتهام في عام ١٧٨٩م *Lutenatonal Law* وهي التسمية التي استقر عليها هذا القانون الدولي العام^١ وإن كانت معها تسميات أخرى لكن لها استقرار نوعي في مجال تداولها حتى أصبحت هي مورد الترجمة الى اللغات الأخرى، إلا أن القانون الدولي العام قد يكون توحد في مجال المصطلح أما إيجاد تعريف جامع مانع كما يذهب الى ذلك علم المنطق قد لا يتوفر بهذه الدقة المنطقية^٢، لذا نجد أن ما ذهب إليه فقهاء القانون ذوي الاتجاه الماركسي السياسي لهم تعريف يختلف عن تعريف رفائهم من ذوي التوجه الليبرالي وعند الليبراليين أنفسهم نجد تغاير حيث من تحكمه النظرية الادارية في صياغة آراءه يغاير زميله الذي تحكمه النظرية الموضوعية أو غيرها من النظريات الفقهية.

لكن مع هذه الآراء وتنوعها لنا أن نجمل تعريفاً يعطينا صورة أوضح لهذا المصطلح لعلها تكون الأقرب في بيان معناه لذا نقول:
القانون الدولي العام:

هو مجموعة القواعد القانونية الوضعية التي تحكم العلاقات بين أشخاص المجتمع الدولي في حالتها السلم والحرب والتي تبين حقوق وواجبات كل منها تجاه الآخر^٣.

وعند الوقوف على هذا التعريف نجد أن هناك عدة ضوابط:

(أ) قواعد قانونية *Regales Juridiques* :

والتي نعني بها في القانون البعد الالزامي مما يعني أنها ذات صفة إلزامية فهي بذلك تغاير الاخلاق الدولية *La Morale International* التي هي في واقعها تعتبر ضمير عام وسلوك دولي لا يحمل صفة الردع أو التأييد *Sanction* ولعل هذا يتضح من خلال أمثلة عديدة كمساعدات الدول بعضها البعض أثناء الزلازل أو الأوبئة وكذلك صفة الالتزام تنأى عن المجاملة الدولية *La Courtoisie International* وهو سلوك وليس ملزم لأي طرف كرسائل التنهئة.^٤

(ب) صفة الوضعية *Positives* :

وهي هنا وضعت لتتجاوز التداخل مع القانون الطبيعي *Droit Natural* لأن القانون الدولي هو الذي تضع الدول قواعده عبر اتفاقها صراحة عليه من خلال المعاهدات أو بالرضى الضمني أما القانون الطبيعي فهو ما يوحى به العقل البشري ومبادئ العدالة كقيمة عليا مطلقة لا تتقادم مع العصور.

وبطبيعة الحال القواعد الوضعية قد تكون اتفاقية أو معاهدة *Conventionnelles* أو تكون عرفية *Coutumieres*.

(ج) كلمة [تحكم] يتبين معنى الخصوصية *Specificite* :

فهي تعني الالتزام لكن هناك اختلاف في معطيات هذا الالتزام من جهة التطبيق، لكن مع كل ذلك يبقى الالتزام إلزام بغض النظر عن سبل تطبيقه.

(د) المجتمع الدولي *La Communauté Internationale* :

هنا تجد أن هذه المفردة تعطي للتعريف صفة الاستمرارية والمعاصرة والتطور الجديد حيث لم يقتصر القانون الدولي المعاصر على تنظيم العلاقات بين الدول حصراً وإنما له أهداف أكثر شمولاً فهو ينظم العلاقات بين أشخاص المجتمع الدولي المعاصر بمن فيهم المنظمات الدولية

والهيئات والجماعات التي يعترف بها القانون الدولي بالشخصية الدولية مثل الأمم والشعوب والجماعات الإقليمية وحركات التحرير بل امتد القانون الدولي المعاصر للاعتراف بالأفراد كما حدث عندما أعطيت للأفراد ضمانات كأحكام حقوق الإنسان أو واجبات على عاتقهم كما في جرائم الحرب. ولنا أن نلخص ما يشمله القانون الدولي حالياً:

١. العلاقات بين الدول نفسها *Relations Interetatiques*.
٢. العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية *Les Accords La Siege*.
٣. العلاقات بين المنظمات الدولية والعاملين فيها.
٤. العلاقات بين الدولة وبين الأفراد في بعض الحالات مثل حالة السكان المدنيين في المناطق المختلفة حرباً، وأحكام استرداد المجرمين الدوليين.

(هـ) السلم والحرب:

هنا تأكيد على أن للسلم والحرب قواعد قانونية ملزمة أما الادعاء أن حالة الحرب لا تخضع لأي قانون لأنها خروج عن القانون أو إخضاعها للقانون هو اعتراف ضمني بشرعيتها، فهذه الاشكالية تجاوزها فقهاء القانون من خلال :

١. قانون السلم *Droit de Lapaix* : وهو يبحث في كل ما ليس له علاقة بحالة الحرب من أبحاث القانون الدولي مثل التعريف بهذا القانون وتطوره ومصادرة ونظرية الدولة وامتداداتها الإقليمية وقانون البحار وغيرها.
٢. قانون الحرب *Droit de Le Guerre* : وهو يبحث في القواعد التي يجب على المتحاربين التقيد بها في المعارك البرية والبحرية والجوية وحقوق وواجبات المتحاربين^٥ وأحوال الجرحى والمرضى والسكان المدنيين في حالة الحرب^٦.

(و) الحقوق والواجبات :

يعتبر قيد تقليدي في القانون وهو مهم لأنه يبين أن القانون الدولي لا يشمل فقط القواعد العامة التي تحكم العلاقات بين أشخاص المجتمع الدولي بل يشمل علاقات الالتزام الدولي بعنصرية الايجابي (الحقوق) والسلبى (الواجبات) ^٧.

رؤية للقانون الدولي في الاسلام

لعل الحديث عن قانون دولي في الاسلام مدعاة لاستغراب البعض أو لترحيب الطرف الآخر وهذا لعله له مدخليته المهمة في البحث من جهة أن مفهوم الجهاد يدخل في دائرة السلم والحرب ومفهوم المقاومة أيضاً وفي تصوري أن الحلقة التي تتحرك بين أعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتهاءً وأول درجات الجهاد هذه المساحة هي هامش حركة المقاومة أو لنقل هامش الالتقاء بين شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

وللعودة لما نود ذكره إن أغلبية فقهاء القانون تكاد تتفق على أن القانون الدولي كان قد نشأ في معاهدة (وستفاليا) عام ١٦٤٨م والاسلام قد سبق ذلك بفترة طويلة ولعله من خلال مصادره الرئيسية وضعت أسس وقواعد القانون الدولي وذلك ليس إسقاطاً على المصادر التشريعية بل الكثير من القواعد والأحكام التي تتشكل أسس القانون الدولي اليوم متوفرة في مصادر التشريع الاسلامي الرئيسية فضلاً عن الفرعية من قبيل:

١. مساواة الشعوب بين بعضها.

٢. منع العدوان.

٣. تفضيل السلم على الحرب قدر المستطاع.

٤. الوفاء بالعهود.

٥. أحكام الحرب كـ :

أ. الرأفة بالأسير.

ب. منح الأمان.

ج. عدم الدمار كقطع الأشجار وغيرها.

وقد تناول الفقه الاسلامي مفردات ذلك عبر أحكام فقهية وقد أضفى الاجتهاد دور التنقيح والتطوير على ذلك نظراً لتلونه مع معطيات الزمان والمكان وقد تقدمت الدراسات الفقهية في ذلك بشكل ملفت للأنظار عبر تقسيمها السائد للأقاليم^٨ والتي اصطلح عليها الدار الى ثلاثة أقاليم، هي:

١. اقليم (دار الاسلام).

٢. اقليم (دار العهد أو الصلح).

٣. اقليم (دار الحرب).

وهذا التقسم عند عرضه نجده يتمحور على أساس أن :

١. دار الاسلام: هي الرقعة من الأرض التي تكون فيها كلمة المسلمين هي

العليا، عبر عدة معطيات منها : تطبيق الشريعة الاسلامية في النظام العام.^٩

٢. دار الصلح (دار العهد) : وهي البقاع التي تقطنها شعوب لديها معاهدة

مع دار الاسلام تحدد وتحفظ هذه المعاهدة حقوق وواجبات كل طرف وعند

استقراءنا للمعاهدات الاسلامية من هذا النوع نجد محتواها يدور حول ما يلي :

• الحقوق :

أ . الدفاع عن دار العهد في وجه أي عدوان خارجي.

ب. تأمين ممارسة الشعائر لسكان دار العهد.

ج. منع المسلمين من خرق حرمان المعاهدين.

د . عدم التدخل بالشؤون الداخلية لدار العهد.

• الواجبات :

- أ . دفع جزية مالية أو عينية مقابل الحماية.
- ب. عدم شن أي عدوان تجاه دار الاسلام أو التحضر أو التحريض أو الاشتراك مع الغير على ذلك.
- ج. السماح بنشر الدعوة الاسلامية في أراضيها بكل حرية ، فمن شاء فليسلم ومن شاء فليبقى.
٣. دار الحرب : وهي ما تخرج عن دائرة سلطة دار الاسلام أو معاهداتها، أما الأقاليم التي خرجت عن السلطة التابعة لدار الاسلام خصوصاً فهي تابعة لدار الاسلام^{١٠}.
- أما طبيعة العلاقة بين دار الحرب ودار الاسلام فالآراء فيها متعددة وتتنوع بحسب الظروف السياسية والزمانية والمكانية لكنها تخضع للضوابط العليا للشريعة الاسلامية وأولويات هذا التشريع. نعم هناك من جعل الأصل هو حالة الحرب فيما لو:
- أ- شنت حرباً ضد دار الاسلام أو تتأهب لشن مثل هذا العدوان.
- ب- إذا اضطهد حكامها المسلمين الموجودين في أراضيهم ومنعوه من إقامة شعائر دينهم.^{١١}
- ونظرة فاحصة لعلاقة دار الاسلام مع الدول المجاورة أي كان عنوانها تدرك مدى سماحة هذا التشريع وإنسانيته ولعل التأمل عبر إعداد دراسات متخصصة^{١٢} بالعلاقات الدولية في الاسلام والوضع القانوني لغير المسلمين يبين ذلك وقد ساهم الاسلام كتشريع في إعطاء سمات وأسس عالية في القانون الدولي العام أوسع مما ذكرنا فقد تجاوز هذا التشريع السماوي التعصب الديني أو القومي والمنصف من الفقهاء ذكر ذلك عندما أقران المسلمين [أول من أدخل الروح الانسانية في حروبهم وذلك لأن شريعتهم السمحاء تنص على ذلك] وهذا يوضحه قول فينلون عندما قال [توجد قوانين

للحرب يجب احترامها ليس أقل من قوانين السلم وإلا لما كانت الحرب أكثر من لصوصية غير إنسانية وأعمال اغتيال مستديمة ونوع من الغسوات الوحشية [١٣].

ثانياً : الإرهاب

لعل هذا المفهوم هو أحد المفاهيم التي أصبحت مثار جدل وقاعدة أساسية تستخدمها بعض الدول للوصول الى مآربها حتى عشنا في أيامنا المعاصرة ما يعرف بالحرب الوقائية أو الاستباقية *La Guerre Preventive* على قاعدة مقاومة الارهاب أو مجابهته بالمبادرة بالهجوم على العدو الذي يتأهب للعدوان قبل تنفيذه الهجوم عليها وكان كل ذلك تحت شعار الحرب على الارهاب فأصبح هذا المفهوم مثار جدل ومن المؤسف أنه أغفل الرأي القانوني لهذا المصطلح وطغى التحليل السياسي ^{١٤} على ذلك.

وقد وضعت في القانون الفرنسي سيما فيما يتعلق بالقانون الخاص تحت إطار الفعل وهي اشتقاق لـ *Craindre* أي خشى وخاف ورهب في أول الأمر *Crimbre* عن اللاتينية *Tremere* المحورة إلى *Cremere* بالتقاء الكلمة الغالية *Reverenciel* المشتق من اللاتينية *Reverecia* خشى باحترام ^{١٥} وهذا بعد لا يتجانس مع مدار البحث إلا من جهة ما ورد في القانون الخاص لكن عندما نتجه للمصطلح السياسي يدخل الارهاب *Terrorism* بشكل أوضح وما نستطيع أن نجده كاشتراك بين عدة مجالات من المعرفة الانسانية سياسية وقانونية توضح الارهاب من جهة البعد الاجرائي وعبر حركته وهذا يوضح أن هذا المصطلح الذي ازدهر استخدامه فيه محاور أساسية لا بد من الوقوف عليها، وهي:

- الأداة.
- الوظيفة.

• الوسيلة.

• الهدف.

وهذا ما سنقف عليه بدقة أكثر بعد أن نبين أن هذا المصطلح كيف تم تداوله سياسياً وهو الاستخدام الذي قاد هذا الاصطلاح نحو أمور شنت كيانه العقل الانساني القانوني حيث تذهب موسوعة السياسة الى أنه [استخدام العنف - غير القانوني - " أو التهديد به " بأشكاله المختلفة والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال وبشكل عام استخدام الاكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشئنة الجهة الارهابية ^{١٦}] ويذهب هذا التحليل بعرض مفهوم الارهاب وممارساته وأبعاد اصطلاحه على أنه [وسيلة سياسية تلجأ إليها بعض الحركات الثورية كما تلجأ إليها بعض حركات الثورة المضادة كما تستخدمها بعض الحكومات وهيئات المعارضة على حد سواء ^{١٧}].

وبما أنه وسيلة سياسية فان [استخدام الارهاب كوسيلة - يعود - سياسية الى الأزمنة الغابرة إلا أن الدعوة الى الارهاب الثوري والدفاع الفلسفي عنه شاع في السنوات الاولى للثورة الفرنسية وفي كتابات بعض المنظرين الثوريين والفوضويين في القرن التاسع عشر. وخصوصاً في النصف الثاني منه وقامت على أساس أفكار باكونين وسواه من منظري العنف الثوري منظمات مثل (إرادة الشعب) والاشتراكيون الثوريون في روسيا وجماعات العهد والانتقام والمرعبون والديناميت في فرنسا ومثل الاتحاد الباكونيني الايطالي ولجنة الثورة الاجتماعية في بلدان مختلفة من أوربا ^{١٨}] ونقتصر على هذا الوصف السياسي للإرهاب لكن هذا التصور لا يقترن مع ما تقوم به الحركات الشعبية من كفاح مسلح ضد الاستعمار أو الاحتلال الأجنبي وتنطلق من موقع مبدأ تقرير المصير ببعده السياسي ذو

الظلال القانونية والذي أشارت له المواثيق الدولية وميثاق الأمم المتحدة فتتطلب من خلاله لمقاومة العدوان وتحقيق هذا المبدأ.

ولعل هناك من حاول تعريفه بصفته حاملاً لواء الحرب على الارهاب حيث ذكرت جماعة أمريكية معنية بدراسة الارهاب^{١٩} إن الارهاب بطبيعته أمر يصعب تعريفه .. حتى حكومة الولايات المتحدة لم تستطع أن تتفق على تعريف واحد. فالمثل السائر يقول إن الارهابي عند شخص هو مناضل من أجل الحرية عند شخص آخر.

وتعرف موسوعة *Encarta* الالكترونية الامريكية الارهاب:

بأنه استعمال العنف، أو التهديد باستعمال العنف، من أجل إحداث جو من الذعر بين أناس معينين. يستهدف العنف الارهابي مجموعات اثنية أو دينية ، أو حكومات، أو أحزاب سياسية ، أو شركات ، أو مؤسسات إعلامية. أما الكونغرس الأمريكي فيعرف الارهاب:

بأنه " عنف واقع عن قصد وترو وبدوافع تستهدف به منظمات وطنية ، أو عملاء سريون جماعة غير محاربة يقصد منه في الغالب التأثير على مستمعين أو مشاهدين^{٢٠}.

وأما وكالة التحقيقات الفدرالية *F.B.I* فنقول عن الارهاب:

إنه استعمال - أو التهديد باستعمال - غير مشروع للعنف ضد أشخاص أو ممتلكات لتخويف أو إجبار حكومة أو المدنيين كلهم أو بعضهم لتحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية^{٢١}.

ويلحظ مدى التداخل والتشابك في هذه التعريفات سيما الغطاء السياسي أو المنظومة السياسية التي تحكم منابعها لكن عندما نذهب للمعنى اللغوي الأصلي للكلمة وهو معنى تتفق عليه الكلمتان الانجليزية والعربية.

يقول لنا أحد قواميس اللغة الانجليزية إن كلمة *terror* تعني (استعمال العنف لتحقيق أغراض سياسية ثم يعطينا على هذا الاستعمال مثلاً

بجملة تقول إن حركة المقاومة بدأت حملة من العنف *terror* ضد قوات الاحتلال^{٢٢}. فالارهاب إذن قد يكون أمراً مشروعاً ومحموداً.

وبهذا المعنى المحمود المشروع استعملت الكلمة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^{٢٣}.

[فكلمة الارهاب هي إذن ككلمات القتال والحرب قد تدل على معنى محمود كما قد تدل على معنى مذموم بحسب نوع الارهاب أو القتل أو الحرب. وعليه فلكي تؤدي المعنى المذموم الذي يراد لها أن تؤديه في الاستعمال الذي بدأ يشيع الآن ، فلا بد من تقييدها بوصف مثل العدوانية أو الظالم. هذا أمر لازم ولا سيما للمسلمين. إنه لا يجوز أبداً أن نحصر كلمة الارهاب في المعنى المذموم ما دام كتاب ربنا قد دل على أنها يمكن أن تستعمل بمعنى محمود]^{٢٤}.

على ضوء هذا العرض المفهم بالتصور السياسي نجد أن تحليل هذا المصطلح دخل في دائرة من التشويش بحيث جعلت منه غطاءً ووصف لكل حركة فيها عنف من دون فرز ولعل لب هذا التشويش ينبع من مثل هذا التصور السياسي، لذا لا بد أن نفكك خيوط هذا التداخل لفرز أدق لهذا الاصطلاح وتحديد أدق لمصاديقه وإخراج ما وقع تحت سقفه بسبب مثل هذه الخللة التي أفرزتها مثل هذه التقريبات عندها لا بد أن نقف عند مفردات أساسية كما ذكرنا تشكل محورية المفهوم المولد لمثل هذا الاصطلاح وهي :

- الأداة.
- الوظيفة.
- الوسيلة.
- الهدف.

فإذا تم فرز كل واحدة من هذه الأمور وما بينها وما بعدها نجد أن المصاديق التي أدخلت تحت مصطلح الارهاب يتقلص عددها وتبدأ تتحرك بقوة نحو سقف قانوني وأرضية عمل مشروعة وإن كانت تمارس في حركتها العنف لكن سوف يتضح هذا العنف.

لماذا / ولما / وكيف / ومتى / وأين / ولمن / وعلى من / وحتى .
من هنا تتضح هذه الحركة، هل هي حركة تحرر وطني أم غير ذلك،
لذا عند تجريد المصداق من تحليل دقيق.

للأداة أو الوظيفة أو الوسيلة أو الهدف منفردة كانت أم مجتمعة أو بعضها دون بعض يؤدي الى نتائج متغايرة تماماً عما هو متصور بالأفق السياسي فضلاً عن الأفق الاجتماعي والقانوني.

ان معظم التصورات التي حاولت تعريف الارهاب أو تناولته اقتصرت على زاوية أو رؤية سياسية معينة.

عند هذه النقطة يمكن أن ننقل الى تعريف [الارهاب] معتمدين على دراسة قام بها أحد الباحثين الهولنديين^{٢٥} على أكثر من مائة تعريف للارهاب، كان قد وضعها أصحابها ما قبل الحرب العالمية الثانية، وحتى بداية الثمانينات أورد الباحث اثنين وعشرين عنصراً أغفلتها تلك التعريفات ، تتمثل وفقاً لترتيب أهميتها وتكرار ورودها ، فيما يلي:

١. إن الفعل الارهابي هو فعل من أفعال العنف واستعمال القوة.
٢. إنه ذو طابع سياسي.
٣. إنه فعل يثير الخوف والرغبة.
٤. إنه ينطوي على تهديد ما.
٥. إنه ذو تأثيرات سيكولوجية و ردود فعل مقدرة سلفاً.
٦. إنه ينطوي على تفرقة بين الضحية المباشرة له ، وبين الهدف العام الذي يسعى لتحقيقه.

٧. إنه فعل ومنظم ومخطط وذو هدف محدد.
 ٨. إنه وسيلة للقتال أم استراتيجية، أم تكتيك.
 ٩. إنه فعل غير معاد ويخرق القواعد السلوكية المقبولة، ولا تحده قيود إنسانية.
 ١٠. إن الفعل الارهابي يتضمن الاكراه والابتزاز ، والحث على الاذعان.
 ١١. إن الفعل الارهابي يتضمن جانباً دعائياً وإعلانياً.
 ١٢. إنه فعل تحكمي لا يركز على شخص بذاته ، وذو طابع عشوائي ، لا تمييزي.
 ١٣. إن الفعل الارهابي يسفر عن ضحايا من المدنيين، غير المقاتلين، والمحايدين غير المنخرطين في المقاومة.
 ١٤. إنه فعل يثير الرعب.
 ١٥. إنه يؤدي الى سقوط ضحايا أبرياء.
 ١٦. إنه يتم ارتكابه بواسطة مجموعة أو حركة أو تنظيم.
 ١٧. إنه ذو بعد رمزي ، يتجه الى الأطراف الاخرى كافة.
 ١٨. إنه فعل يتعذر أخذه في الحسبان، أو التنبؤ به ، أو توقع العنف.
 ١٩. إنه ذو طابع سري أو خفي.
 ٢٠. إن فعل يتكرر أو يأخذ صورة سلسلة أو حملة من العنف.
 ٢١. إن له بعداً جنائياً.
 ٢٢. إنه يتضمن مطالب من طرف ثالث.
- فيما يبدو أن أيّاً من التعريفات الشائعة للإرهاب لا بد من أن يركز على بعض هذه العناصر بشكل أو بآخر، ووفقاً لذلك التعريف الذي وضعه توماس ثورنتون، منذ ما يزيد على ثلاثة عقود، فإن الارهاب السياسي فعل رمزي يتم لإحداث تأثير سياسي بوسائل غير معتادة مستلزم استعمال العنف، أو التهديد به ؛ أي أننا نكون إزاء أربعة مقومات أساسية:

١. فعل من أفعال العنف أو التهديد به: والعنف يقصد به أساساً العنف البدني أي العنف الذي يستهدف إيذاء الكيان الانساني جسدياً، والذي يمكن أن يصل الى القتل ومع ذلك يتحدث الباحثون أيضاً عن العنف المعنوي، أو النفسي، أو العنف البنيوي. فالعنف المعنوي يشمل الأكاذيب، وغسيل الدماغ، وعمليات الاجبار على تبني مذاهب معينة أما العنف البنيوي، فيحدث عندما يصبح الواقع البدني والعقلي للإنسان أقل من امكانياته الفعلية، والعنف هنا يبدو كسب للفارق بين ما هو ممكن، وما هو قائم فعلاً.

٢. ينطوي الارهاب على سمات معينة تتجاوز ما هو شائع في المجتمع خلقاً، أو عرضاً، أو قانوناً. وأبرز نواحي تلك السمات هو أن الارهاب يتضمن انتهاكاً عمدياً للقواعد الأساسية للسلوك الانساني. عند هذه النقطة يبرز عنصر اللاشرعية في الفعل الارهابي بينما توجد - حتى في حالة الحرب - حدود دنيا من قواعد السلوك يتعين على الأطراف المحاربة أن تتبعها إزاء بعضها، مثل ما يتعلق بمعاملة أسرى الحرب، المدنيين والنساء والأطفال والعجائز، واحترام حقوق الانسان والأطراف المحايدة. الأمر الذي لا وجود له في العمل الارهابي؛ لأنه يتناقض مع طبيعته التي تفترض إشاعة الاحساس بعدم الأمان وتفترض استحالة التنبؤ بسلوك الخصم. أيضاً فإن السمة غير المعتادة للعمل الارهابي تنطلق كذلك بالسلاح الذي يستخدم فيه، وبنوعية فعل العنف نفسه، وبتوقيت ومكان الفعل الارهابي، فضلاً عما يتسم به من سرية وتمويه.

٣. إن الفعل الارهابي ذو طابع رمزي بمعنى أن ذلك الفعل يقصد اليه ويتم إدراكه باعتباره "رمزاً" أي يكون ذا مغزى ودلالة أوسع منه في ذاته ويقصد بذلك أساساً أن الفعل الارهابي عمل رسالة الى كافة

الضحايا المحتملين الآخرين، بحيث يوقع الرعب في قلوبهم، ويثير التساؤل عن ماهية الضحية التالية.

٤. إن الارهاب يستهدف التأثير على السلوك السياسي. وهذا العنصر يتعلق باقتصار المفهوم الذي نعالجه على الارهاب السياسي، كما أنه ينطوي على استبعاد الوظيفة العسكرية للارهاب، والتي تلصق به في أحيان كثيرة.

إن هذا التعريف للإرهاب السياسي يظل ذا طابع فني بالدرجة الأولى، وهو ما يتسق مع النظر الى الارهاب بوصفه أداة أو وسيلة لتحقيق أهداف شتى متباينة، على أن الوقوف عند هذا التعريف الشديد التجريد، يؤدي الى الخلط بين أعمال متباينة، مشروعة ولا مشروعة، وطنية أو استعمارية، قومية أو عنصرية.

وواقع الامر أن تلك المشكلة؛ أي مشكلة تصنيف الارهاب، لا تقل فيما تنثيره من تشويش على مشكلة التعريف، بل هي أيضاً تتداخل معها، وبشكل عام، فإن الباحث لا يجد تقسيماً واضحاً متفقاً عليه للظاهرة، على الرغم من الطوفان الهائل والمتجدد للكتابة حول الارهاب الدولي. وهناك معايير عدة تحكم العمل الارهابي، أهمها:

١. المعيار الأول، هو الهدف من الفعل الارهابي، هذا المعيار هو أصعب المعايير، وأكثرها ارتباطاً بالتوجهات الايديولوجية، وبالتالي أكثرها إثارة للجدل. ووفقاً لذلك المعيار، فإن التفرقة بين الارهاب الثوري؛ أي ذلك الذي يتجه لضرب قوة أجنبية مستعمرة، أو نظام قائم مستبد، وغير ديمقراطي؛ وبين ما يسمى (إرهاباً مضاداً للثورة)، ويستهدف تكريس سيطرة الأجنبي ونفوذه في مجتمع ما، أو يستهدف تدعيم شكل معين من أشكال الدكتاتورية والاستبداد. ومع ذلك، فإن

قصر أهداف الارهاب على هذين النوعين، يتضمن درجة عالية من التبسيط لا تصمد أمام تعقيدات الظاهرة السياسية المعاصرة.

٢. المعيار الثاني هو (هوية) الطرف الذي يقوم بالفعل الارهابي. هنا أيضاً، فإن أكثر التقسيمات شيوعاً تقوم على التفرقة، بين أن يكون القائم بالفعل الارهابي فرداً، أو جماعة غير رسمية، وغير شرعية غالباً، أو يكون مؤسسة بمعنى أن يكون تابعاً لجهاز الدولة، أو النظام السياسي نفسه. وبالاستناد الى ذلك المعيار تتم التفرقة بين إرهاب رسمي أو مؤسسي، وإرهاب غير رسمي. مع ذلك كله ، ورغم الوضع النسبي لهذا المعيار ، فإن وجود جماعات طوعية غير رسمية تحظى بتعاطف وتأييد فعلي (ولكن غير رسمي) من السلطة القائمة يجعل من الصعوبة بمكان تصنيف تلك الجماعات وفقاً لذلك المعيار يقترب من ذلك أيضاً ما يعرف بإسم *Virgilon Terrorism* والذي ينسب الى لجان الأمن الأهلية التي يمكن أن يشكلها المواطنون لتوطيد النظام، ومعاقبة المجرمين، خصوصاً حين يعجز القانون عن ذلك، وهذا النمط من الارهاب عرفته بعض الولايات الاميركية في منتصف القرن التاسع عشر، ومارسته جمعيات اليقظة في مواجهة إرهاب المجرمين الذين تتواطأ بعض أجهزة الدولة معهم.

٣. المعيار الثالث ، هو النطاق التقليدي الذي يتم فيه العمل الارهابي، من حيث الانتماء المشترك، أو المختلف لأطراف الفعل الارهابي، أي الطرف الفاعل أو الطرف الذي يقع عليه الفعل الارهابي "الضحية"، ثم الوسط أو الميدان الذي يقع فيه الفعل الارهابي.

وبشكل عام يمكن الحديث طبقاً لذلك المعيار - عن ارهاب [وطني] و [محلي] تنتمي أطرافه كلها [الفاعل والضحية والوسط المحيط] الى

مجتمع واحد ودولة واحدة ، و ارهاب [دولي]؛ أي تنتمي أطرافه الى أكثر من دولة واحدة، وتردد أصداؤه في المجتمع الدولي ككل.

وعلى هذا المستوى يفرق بعض الباحثين أيضاً، بين (الارهاب الدولي) و (الارهاب عبر الدول)، الارهاب الدولي عمل يحدث عندما يقوم به فرد أو أفراد ، أو جماعات تتحكم فيهم دولة ذات سيادة ، بينما ينسب عمل الارهاب عبر الدول، الى عناصر فاعلة ليست لها صفة الدولة، رغم أنها ، قد تتمتع بدعم من دولة متعاطفة معها.

والفارق الحاسم بين هذين النمطين هو الفارق بين التحكم والدعم، من هنا يكون الارهاب الدولي امتداداً لآليات السياسة الخارجية لدولة ما ، ويكون الارهاب عبر الدول بمعنى ماذا طابع مستقل.

أما الغطاء القانوني فسيوضح بشكل واضح عند عرضنا للمقاومة.

ثالثاً: المقاومة

لو نتجه قليلاً الى اللغة نجد أن مادة (ق.و.م) تنفرد عليها عدة اشتقاقات منها ما يقال (ما زلت أقاوم فلاناً في هذا الأمر أي أنزله) ولو تجاوزنا اللغة نحو الاصطلاح بتفسير القانون كما يلي:

- إسم مشتق من الفعل *resister* قاوم، عن اللاتينية *resistere*. عمل على أن يقاوم؛ عمل مواجهة مبادرة ما (أمر، قرار، إدعاء، الخ) رفض (امتناع، عدم تنفيذ)، أو مبادرة مضادة (عصيان، أو قرار، أو إدعاء، الخ) ويشمل: الدفاع *defense*، التقديم *protestation*، الخلاف *contestation*. وهناك المقاومة المغيرة للقانون " المفردة " *resistance abusive*. عمل يولد التبعة، بالنسبة إلى المدعي عليه، في دعوى بمواجهة الادعاء المسوغ للمدعي بدعم وإدعاء مضاد غير مسوغين بشكل صارخ. وهناك حق مقاومة الاضطهاد *droit de*

resistance a l'oppression. حق فردي معترف به في بعض المذاهب السياسية، للرعية في مقاومة الأعمال الظالمة بشكل صارخ والصادرة عن الحاكمين إما بعدم التنفيذ (مقاومة سلبية) أو بالقوة (مقاومة فاعلة) أو بعصيان يهدف الى الحصول على استرداد العمل أو ذهاب الحاكمين (مقاومة عدوانية) ^{٢٦}.

• محاور المقاومة: إن المقاومة تتحرك في بدايتها من آخر حدود البعد الداعي للصرح والرافض لضده على مستوى المجتمع داخلياً حتى تصل الى أول نقطة يبدأ من بعدها المواجهة مع الطرف الآخر وأدق من وصف هذين البعدين في التشريعات، التشريع الإسلامي حيث حدد دوائر ذلك من خلال:

- شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- شعيرة الجهاد بأقسامه.

فالمساحة الذي تتحرك فيها المقاومة هو ما يفصل نهاية أفق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى بداية الحركة الجهادية. وعلى هذا نجد أن جوهر المقاومة يتحرك عبر هذه المساحة وروحها تتشكل من :

- الاعتقاد النظري.
- التطبيق العملي.
- المبادئ والمثل العليا.

على ضوء هذا نعود لما تقدم ذكره حول القانون الدولي العام حيث أن القانون الدولي العام عندما تناول السلم والحرب نظر لعدة معطيات ولم يغفل في أي منها الحقوق والواجبات فلو ذهبنا للقسم الثالث من لائحة الحرب البرية لعام ١٩٠٧م والذي يحدد من خلالها حقوق والتزامات السلطة المادية. التي توجد على إقليم معاد وهي الحالة التي تسمى الاحتلال الحربي *Occupation de Guerre* وقد ذكرت المادة ٤٢ من اللائحة تعريفاً للاحتلال

الحربي على أنه: " يعتبر إقليم ما محتلاً لما يوجد تحت سلطة الجيش المعادي بشكل فعلي ولا يمتد الاحتلال إلا الأقاليم التي تستقر فيها هذه السلطة وتكون قادرة على ممارسة عملها " .

فلو حللنا هذه المادة نجد أن الأقليم المحتل حربياً هو الأقليم الذي يوجد تحت السلطة الفعلية للجيش المعاد للدولة صاحبة السيادة الشرعية على هذا الأقليم وأجزائه. فعليه وعلى ضوء المادة ٤٢ نجد أن الاحتلال الحربي الذي بحق مقاومته فيه شروط ثلاثة :

١. غزو إقليم من قبل القوات العسكرية المعادية.
٢. فقدان أو توقف الحكومة صاحبة السيادة الشرعية عن القدرة عن ممارسة سلطتها في الأقليم بشكل كامل أو بشكل غير كامل منتظم أو غيره.

٣. سيطرة الجيش الغازي على الأقليم بصورة فعلية ^{٢٧}.

وعلى ضوء ذلك تجد أن القانون الدولي عندما تقع أمامه هذه المعطيات التي تتحقق هذه الأركان تتحقق حقوق وواجبات على كل طرف ^{٢٨} إذ وفق تنظيمات وقواعد القانون الدولي هناك جملة من الحقوق والالتزامات تقر لكل من سلطة الاحتلال والسلطة صاحبة السيادة الشرعية مع ملاحظة أن هذا يخرج مبررات الطرف المحتل فيما يتعلق باحتلاله هل كان عدوانياً أو وقائياً.

فقواعد القانون الدولي تلزم المحتل بحق السلطة الشرعية في استعادة اقليمها بجميع الطرق التي تؤمن ذلك سواء كانت (وسائل عسكرية أو دبلوماسية أو سياسية ..) من هنا برز اصطلاح الانتفاضة الجماعية *La Levee en Masse* أو المقاومة والذي يترتب عليه أحكام وفق المادة الثانية من لائحة الحرب البرية حيث تعطي للسكان الحق في وجه الجيش الغازي ومحاربته لا فقط مقاومته بغية صده وطرده من الأقليم المغزو وتتوسع المادة

في أوسع من ذلك حيث لو وقع أحد الأفراد من السكان في يد العدو أثناء محاربته لهم لا يجوز محاكمتهم بل يعتبرون أسرى حرب، لذا إليك نص ما ورد وفق القانون الدولي حيث ذكر ما يلي:

إن المادة الثانية من لائحة الحرب البرية تعطي السكان الحق بالقيام في وجه الجيش الغازي (وهذا ما سميناه الانتفاضة الجماعية *La Levee en Masse* ومحاربته بغية صده وطرده من الأقليم المغزو، فإذا سقط بعضهم في يد العدو أثناء انتفاضتهم هذه لا يجوز محاكمتهم بل يعتبرون كمحاربين وتطبق عليهم معاملة أسرى الحرب.

وأما إذا كان الأقليم قد تم احتلاله (أي بعد انقلاب الغزو الى الاحتلال) فإن النص الحرفي للمادة المذكور يعطي الحق للعدو بعدم اعتبار من يقوم بأعمال من السكان المدنيين محارباً (ومعنى هذا جواز محاكمته بالتالي على أعماله الحربية التي قام بها)، ولكن نفرأ كبيراً من الفقهاء يرى أن الشعب القائم في وجه العدو يجب أن ينظر الى أفراد كمحاربين، وأن يعاملوا حسب صفتهم هذه ، سواء كان الاقليم محتلاً من قبل العدو أو لازال في حالة غزو. نعم قد تثار اشكالية مدى ارتباط هذه الأفراد أخذت عنوان المقاومة بالسلطة ذات السيادة فعل يشترط موافقة السلطة ذات السيادة هنا نجد أننا نتكلم عن صفة المحارب ولعل هذا لم نتعرض له خشية الاطالة ونذكر بإيجاز أنه ذكرت عدة شروط للمحارب وصفت لتمييزه عن غير المحارب وبالمناسبة كانت أربعة شروط ذكرت أول ما ذكرت في تعليمات الجيش الامريكي وقد وضعها فرانسييس ليبر للرئيس ابراهام لنكولن سنة ١٨٦٣م ثم تكرر في مشروع بروكسل لعام ١٨٧٤م وفي وجيز اوكسفورد لعام ١٨٨٠م قبل أن تنص عليها المادة الأولى من لائحة الحرب البرية لعام ١٨٩٩م ثم لعام ١٩٠٧م وهي وضعت للمنظمات العسكرية *Militaries* أو شبه العسكرية

Para Militaries وعلى ضوء ذلك جاءت إضافات لهذه الشروط الأربعة وهي:

١. أن يكون على رأسهم شخص مسؤول عن أعمال مروسية.
٢. أن يكون لهم شارة ثابتة تميزهم ويمكن رؤيتها من بعيد.
٣. أن يحملوا السلاح بشكل علني.
٤. أن يتقيدوا في عملياتهم الحربية بقوانين الحرب وأعرافها.

هذه هي الشروط الأربعة وجاء الفقه الفرنسي فرشيل *Fauchille* عندما تعرض في كتابة القانون الدولي العام *Droit International Public* لقانون الحرب ذكر شرطاً خامساً هو مورد استشهاده ما نصه وهو أن تكون الدولة الأصلية التي يتبع لها رجال المقاومة تعترف بهم ويعملون برضاها. لكن هذا الشرط رفضه فقهاء القانون من جهة أنه قد تكون الحكومة التي تمثل دولتهم الأصلية (حكومة عملية *Quisling*) وقد حدث مثل هذا في فرنسا أثناء الاحتلال الألماني في عهد حكومة فيشي ١٩٤٠ - ١٩٤٤ ورفضت هذه الحكومة أعمال المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، لذا من أدق الآراء هو رأي الفقه القانوني بلونتسلي حيث ذكر أن (وحدات المتطوعين يجب أن تعامل كجنود العدو النظامين لما يكون أفرادها منظمين بصورة عسكرية ويقتلون لأجل أهداف سياسية حتى لو كان ذلك بدون موافقة صريحة وعلنية من الدولة التي يتبعون لها) وهذه عبارة صريحة حول وضع هؤلاء المقاومين وشرعية عملهم وكذلك مجال التعاطي معهم في الحرب.

إذا نظرنا الى الاحتلال الحربي وفق رؤية قانونية نجد أن الماضي يزخر بمعان تنافي حقوق السيادة، لذا كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً هكذا مع استثناء القواعد القانونية للقانون الدولي الاسلامي وفق ما تقدم ذكره، لكن الوضع قد تغير بعد معالجات قام بها الفقيه القانوني كلوبر *Kluber* وهيفتر *Heffter* وبلونتسلي *Bluntschli* وأكدوا على قدسية سيادة الدولة

على أقاليمها الوطنية ولا تمس هذه السيادة بأي حال من الأحوال حتى لو وجدت حالة فعلية مغايرة *Voie de Fait* مثل حالة الاحتلال الحربي.

وتوالى الجهود القانونية حتى أصبح في مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٤ (ان الاحتلال الحربي لا ينقل ملكية الأقليم المحتل الى الدولة القائمة بالاحتلال وقد أكد ذلك ضمناً المادة ٤٣ من لائحة الحرب البرية لعام ١٨٩٩م عندما ذكرت ان السلطة التي يمارسها جيش الاحتلال فوق الأقليم المحتل هي سلطة انتقلت اليه بشكل فعلي *De Fait* وذكرت من اللائحة ١٩٠٧م لكن القانون الدولي العام عبر الوجيز الفرنسي عام ١٩١٣ وضح كل ذلك حيث نص على [إن الاحتلال لا ينقل أي حق من حقوق السيادة القائم به ولكنه ينقل بعض مظاهر ممارسة هذه السيادة فقط وهذه الممارسة تتبع من السلطة الفعلية للقائم بالاحتلال وتبررها قانوناً ضرورة الحفاظ على النظام في الأقليم المحتل وهو أمر لا بد منه لسكان الأقليم ولجيش الاحتلال].

وهذا صريح وواضح انه لم ينفي دور المقاومة ولم يشرع للمحتل ولا للحكومة الأصلية ردهه وكذلك هناك فرق بين السيادة الشرعية وبين السلطة الفعلية فالسيادة الشرعية هي للدولة الأصلية أما المحتل فهو ذو سلطة:

- مؤقتة.
- محدودة.
- مرتبطة بشرط الضرورة.

من أجل الأمن والنظام العام في الأقليم المحتل وحتى لو تقادم الزمن ليس للمحتل أن يضم الأقليم وليس له إقامة حكومة مدنية، فالمحتل يدير لا أن يحكم *Administre Maisne Gouverne Pas* لذا لا صلاحيات للمحتل حتى تحت عنوان الوكالة الضمنية *Mandate* لأن المسألة محكومة بقوانين القانون الدولي العام وبشكل خاص اتفاقية لاهاي وجنيف^{٢٩}.

على ضوء ما تقدم اتضح مدى الرؤية التي رسمها القانون الدولي العام عند تعاطيه مع المقاومة والتي انكشف من خلالها مفهوم الارهاب وأبعاده السياسية وقد تتوسع دائرة البحث حول أبعاد القانون الدولي العام في الحرب والسلم بما يشمل مفردات أوسع مما ذكرنا:

١. مصادر قانون الحرب والسلم ومؤيداته.
٢. جرائم الحرب ومعاقبتها.
٣. تحليل الاتفاقيات المرتبطة بالحرب والسلم والتي تشمل :
 - أ. المحارب.
 - ب. أسرى الحرب.
 - ج. المرضى والجرحى.
 - د. وسائل الأضرار بالعدو.
 - هـ. الجواسيس.
 - و. المفاوضين.
 - ز. الاستسلام.
 - ح. الهدنة.
 - ط. السلطة العسكرية (المحتلة) .
٤. الحرب وآثارها القانونية.

ويحدونا الأمل في أن نعيش السلم ونضع من خلاله أغلالاً تصفد الحرب ولعل تقديم رؤية قانونية موسعة على هذه الرؤية الموجزة نتركه لدراسات أعمق تتناسب مع معطيات الموضوع ومدخلاته.

الهوامش :

١. وقد ذكره الدكتور محمد سامي عبد الحميد في كتابه اصول القانون الدولي العام في طبعته الثالثة - بيروت ١٩٧٧ - مكتبة مكابي من ص ١ - ص ٢٧.
٢. لعل هذا الأمر يسري على معظم التعاريف ويتضح أكثر في المفاهيم المستقاة من العلوم الاعتبارية الخارجة عن إطار العلوم الحقيقية.
٣. قد نتحفظ على هذا التعريف لكن لنا أن نراه الأقرب وقد ذكره البرفسور احسان هندي من جامعة وهران.
٤. قد تتطور قواعد الأخلاق الدولية والمجاملات الدولية لتصبح أعراف دولية ثم تتطور لتتكون كقواعد قانونية وضعية وهذا مثاله في قواعد القانون الانساني *Droit Humani* *Taire* في معاملة الاسرى والجرحى والمدنيين غير المحاربين في الحروب. والتي عرفت حالياً باتفاقية جنيف ١٩٤٩م هذا سري أيضاً على المجاملات الدولية بحيث أصبح القانون الدبلوماسي *Droit Diplomatique* فرع من فروع القانون الدولي المعاصر وقد يحدث العكس فتتقلص القاعدة القانونية فتصبح ضمن الأخلاق الدولية أو المجاملات مثل أحكام تبادل السفن الأجنبية التحية في البحار.
٥. وهو ما يسمى بقانون لاهاي.
٦. وهو ما يسمى بقانون جنيف أو القانون الانساني.
٧. في الغالب حق كل دولة هو واجب على الدول الأخرى وبالعكس.
٨. حاولنا ذكر المصطلح القانوني والمصطلح الاسلامي وذكرنا التقسيم السائد مع ملاحظة أن مفهوم الأقاليم أو الدار نظراً لما يمتلكه التشريع الاسلامي من بعد عالمي يتجاوز ما يتصوره البعض وذلك لرسالته الخاتمة وقد أعدنا دراسة حول فقه الدولة وأبعاده العالمية تناولت بعض مفاهيم الولاية العالمية والاقليمية.
٩. لا يتنافى هذا مع وجود شرائع أخرى تحت راية المسلمين.
١٠. ك فلسطين فهي تدخل في دار الاسلام وإن خرجت عن سلطته حالياً.
١١. ولعل هذه الاحكام نستطيع أن نضعها تحت القانون الطبيعي ومعطياته.
١٢. وقد نادينا في أكثر من محفل إعلامي أو علمي متخصص وفي عدة مؤتمرات خصوصاً في مجالات رئاستنا للجان متعلقة بالدراسات العلمية المحكمة الجامعية منها أو

الفقهية أو ما يرتبط بفلسفة التشريعات والقوانين لتعميق وتوسعة دائرة البحث على هذا المستوى لإضفاء وإعطاء النظريات المتكاملة في هذا المجال لخدمة الانسان والتشريع.

١٣. القانون الدولي العام ص ٢٦٣ برفسور احسان هندي ، دار الجيل، دمشق، ١٩٨٤م.

١٤. وكثيراً ما نجد أن السياسة تطغى على القانون فتغيب الحقوق وتصبح مجرد آراء أو نظريات عامة أو توظف متى أرادت السياسة.

١٥. راجع معجم المصطلحات القانونية *vocabularies juridique* جيرار كورنو ترجمة منصور القاضي، الدار الجامعية ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٨٨.

١٦. الموسوعة السياسية، مجلد ١ ، الارهاب، د. عبدالوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٧. الموسوعة السياسية، مجلد ١ ، الارهاب، د. عبدالوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٨. الموسوعة السياسية، مجلد ١ ، الارهاب، د. عبدالوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٩. <http://www.terrorism.com/terrorism/def.shtml>

٢٠. *Premeditated politically motivated violence perpetrated against noncombatant targets by subnationna groups or clandestine agents, usually intended to influence an audience. USC ٢٦٥١ (d), quoted by paul R.Pillar and U.S.Foreign policy, brookings Institution press, Washington, ٢٠٠١, p. ١٣.*

www.terrorism.com/terrorism/def.shtml ٢١

Longman Dictionary of English Language and London, ١٩٩٢. ٢٢ Culture, ٢٣. الانفال: ٦٠.

٢٤. اشار لمثل هذا مقالة أ.د. جعفر شيخ إدريس تحت عنوان الاسلام والارهاب في مقالة له على www.jaafaidris.com/Arabic/apapers/irhab.htm

٢٥. قد أشير لذلك في الارهاب اشكالياته وتعريفه ص ١٦٣ حسين عبدالله ، الحياة الطبية ، عدد ٩ ، السنة الثالثة ٢٠٠٢م.

٢٦. للتوسع راجع معجم المصطلحات القانونية، جيرار كورنو ، ترجمة منصور القاضي.

٢٧. وعلى ضوء هذا يتضح قانوناً معنى الغزو ومعنى الاحتلال.
٢٨. لا يساء الفهم أن هذا امضاء وضوء أخضر من القانون الدولي على شرعية الاحتلال وإنما هو تشخيص لأحكام تخص حالة واقعة *Etat Lde Fait*.
٢٩. للمزيد يمكن مراجعة كتاب قوانين الاحتلال الحربي للبرفسور إحسان هندي.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية وتحديات العصر

الدكتور عطا أبو جيبين
أستاذ لغويات - فلسطين¹

المقدمة :

كلما أعدت النظر في تراثنا اللغوي المعجمي تمثلت قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1]

ومن يتمعن في هذا التراث يجده حافلاً بالتأليف المعجمي، ويلمس ذلك الثراء الذي عز نظيره في معظم لغات العالم فهي بحق موسوعات متنوعة شاملة لكل ما أنتجه الفكر العربي الإسلامي من صنوف الثقافة المختلفة، وهذا لم يتيسر لغيرها من اللغات في ذلك الوقت المبكر في فجر التأليف في العالم أجمع.

فاللغة العربية ليست وسيلة للتواصل فقط كبقية اللغات، بل هي لغة الكتاب السماوي التي شرفها الله بحمله، كما شرف أهلها بحمل هذه الرسالة، ومن هنا فتعلم العربية - كما يقول العلماء - فرض على عامة المسلمين،

وأن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها .

عالمية اللغة العربية :

منذ أواخر القرن الهجري الأول انبثقت حركة فكرية واسعة أذكت جامعات الشرق، ولم تستفد من هذه الحركة لا السريانية ولا الفارسية ولا اليونانية، وإنما استفاد منها شعب عاش حتى ذلك التاريخ خارج حدود العالم المتمدن وهذا الشعب هو الشعب العربي؛ فكانت العربية لغة شعر وأدب منذ أعرق العصور الجاهلية، ولكن سرعة انتشارها ترجع إلى الثمار المادية والروحية التي جنتها من الإسلام أكثر من القرار الذي اتخذته الأميون بجعل اللغة العربية إجبارية في الوثائق الرسمية، وخلال القرن الثاني الهجري بدا انحلال مراكز الثقافة اليونانية وبدأت شعوب عريقة في الحضارة كالمصريين والهنود واليونان والفرس تتحلل من تراثها الخاص، وقد أوضح كوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب أن العربية أصبحت اللغة العالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث حلت تماماً محل اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية ... وقد عربت أهم المصنفات اليونانية في عهد العباسيين وانتشرت العربية في أنحاء آسيا، كما ذكر بأن العربية ظلت أداة للثقافة والفكر في إسبانيا حتى عام ١٥٧٠م .

لقد بلغت العربية أوج ازدهارها وانتشارها في القرن الرابع الهجري مما حدا بفيكتور بيرار إلى وصفها بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة ؛ فهي كنز يزخر بالمفاتيح ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير .

لقد أصبح نفوذ العربية في ذلك العصر بعيد المدى حتى أن جانبا من أوروبا الجنوبية أيقن أن العربية هي الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب ،

حتى قيل عجبت لمن يدعي العلم ولا يعرف العربية ومن المعلوم أن الجامعات الأوروبية كانت عاملاً مهماً في ذبوع اللغة العربية التي أصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون، بل أصبحت لغة دولية للحضارة؛ ففي عام ١٢٠٧م كانت هناك معاهد في أوروبا لتعليم اللغة العربية، ثم نظم المجمع المسيحي تدريسها في كبريات جامعات أوروبا. ففي عام ١٦٣٦م قررت حكومة السويد تعليم اللغة العربية في بلادها، وبدأت بطبع ونشر المصنفات العربية، ووجه بطرس الأكبر الطلبة الروس إلى الشرق لدراسة اللغة العربية، وفي عام ١٧٦٩م قررت الملكة كاترينا إجبارية تدريس اللغة العربية واستحدثت عام ١٨١٦ قسم اللغات السامية. وقد كان نتيجة هذا الانتشار الواسع أن دخلت المصطلحات العربية بغزارة في اللغات الأوروبية و بخاصة المصطلحات العلمية، ومصطلحات الري، والطب والهندسة والفلك حتى أسماء الحلي، وكذلك تم نقل الأرقام العربية إلى أوروبا عن طريق إسبانيا حيث نقلها سلفستر الثاني عام ٩٩٩م من المغرب العربي، وهكذا فقد استمدت أوروبا وعن طريقها أمريكا اللاتينية من العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافياً واقتصادياً .

يقول ماسينيون: إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ومن خلالها انتقل إلى الحضارة الأوروبية، وأن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي وأن استمرار حياة اللغة العربية دولياً لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل.

ومما يجدر ذكره أن الحروف العربية تكتب بها كل من اللغات التركية، والفارسية، والماليزية والأندونيسية، وأجزاء كثيرة من الحبشة وجنوب إفريقيا وبلاد الأندلس، والهند وأفغان وبلاد آسيا الوسطى والبلقان. (خيرى ركة ، ٢٠٠٥ مقال : العربية حفظها الله) وهذا من أكبر الأدلة على

عالمية هذه اللغة وبقائها حية نابضة، وهي تحتل اليوم اللغة الخامسة في
المجامع الدولية إلى جانب اللغات الحية الأخرى .

الدوافع الرئيسة لهذه المحاضرة :

الأول: تراجع، وانحسار اللغة العربية أمام اللغات العالمية الأخرى: وتوجيه
الانتهاكات إليها بالقصور وعدم القدرة على مسايرة العصر ومتطلباته الكثيرة،
ولا شك أن هذه المشكلة من أخطر المشاكل التي تواجهها اللغة، لأنها تنعكس
على نفسية أبنائنا، وتبعث في نفوسهم القلق والخوف وعدم القدرة على
التواصل الحضاري العالمي .

الثاني: ما نعانیه اليوم من مشكلة تكوين المصطلحات العلمية، والتكنولوجية،
ولعل هذه القضية من أهم القضايا التي تواجه اللغة العربية اليوم، وبالرجوع
إلى تراثنا المعجمي نجد أن علماءنا الأوائل قد تمكنوا من التغلب على هذه
المشكلة بعدة طرق، ولعل من أهمها الاشتقاق، والنحت، والتعريب، والترجمة
الحرفية أحياناً، وقد أفادوا من الإمكانيات الهائلة التي تختزنها اللغة.

أما الدافع الثالث: فهو ما وجدته من كنوز في تراثنا المعجمي القديم يمكننا
الإفادة منه في العصر الحاضر في تطوير لغتنا وتدريبها للناشئة ، إذا ما تمت
دراسته دراسة علمية دقيقة وجادة ، فهناك ما يثبت أن في هذه الكتب نظريات
علمية منهجية دقيقة، وآراء يمكن الإفادة منها في تطوير لغتنا، وتحديثها،
وتسهيل تناولها على الدارسين، وكثيراً ما وقفنا حائرين بين علماء النفس
وعلماء التربية الذين يقدمون لنا الآراء والنظريات والدراسات التي تتعلق
بتدريس اللغة للمبتدئين، وهذه الآراء لا تتسجم مع منطق لغتنا وطبيعتها
أحياناً، لأن كل لغة لها منطقها الخاص بها، وبذلك نكمل المشوار ونقدم خدمة
للعلم ولأسلافنا الذين قاموا بهذا الجهد في فجر الإنسانية ولأبنائنا الذين يعانون

تعلم هذه اللغة اليوم، وما نلمسه من واقع ملموس وما أراه ونراه جميعاً من الضعف اللغوي المستشري بين أبناء اللغة العربية ، ولا نقول ذلك جزافاً ، بل لدينا من الأدلة بما لا يدع مجالاً للشك بوجود هذا الضعف حتى أصبح حقيقة واقعة لا يماري فيها إلا مكابر، ونظرة سريعة إلى مخرجاتنا التعليمية في العالم العربي كافة نلمس هذا المرض الذي بدأ يدب في أوصالنا وعلى جميع المستويات ، مما يترتب عليه نتائج خطيرة .

التحديات التي تواجهها اللغة في العصر الحاضر :

من التحديات التي تواجهها اللغة اليوم ما يأتي :

١. الدعوة إلى إلغاء قواعد النحو ، وتسكين أواخر الكلمات وهذه الدعوة ليست مرفوضة فقط، ولكنها لا تتسجم مع أبسط قواعد منطق اللغة فلو قلت : هنا المعلم المدير. أو: قتل الجندي محمد.. لم يعرف السامع والقارئ بالتسكين، أيهما الفاعل من المفعول، إضافة إلى وجوه قراءتها المختلفة ؛ إذا بنينا الفعل للمجهول وهكذا في أمثلة كثيرة في اللغة. كما أن اللغة لها خصوصية أخرى وهي التحريك عند النقاء الساكنين حتى لو خالف ذلك قاعدة نحوية. ومن جهة ثانية ليست القضية في صعوبة النحو لغوية وإنما تربوية، والطالب لا يجهل القاعدة النحوية في أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، وإنما يفتقر إلى تدريب كاف على اكتساب مهارة الحديث التي تعني تدريبه على إدراك مهمة الكلمة في الجملة.

٢. الدعوة على إحلال العامية محل الفصحى، ومن الغريب أن من يدعون إلى ذلك لا يستعملون إلا اللغة الفصيحة البليغة في التعبير عن آرائهم وأفكارهم، فيكونون بذلك كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، والأغرب من ذلك أنهم من أبرز الكتاب وأشهرهم، والأولى

أن يطالب بذلك من لا يعرف الفصحى والعوام والأقل ثقافة، أما أصحاب البلاغة والبيان والفصاحة في كتاباتهم واستخدامهم الأساليب اللغوية الرفيعة في إقناعنا بأرائهم فهذه قمة التناقض .

٣. استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية : فلا يبقى للأمة أي ارتباط بدينها وتراثها وماضيها، وتصبح أمة دخيلة على التاريخ والحضارة وتنتزع منها كل مقومات كيانها ووجودها. ويسهل اجتثاثها. والأهم من ذلك كله انعدام ارتباط اللغة بالقرآن والإسلام والتراث. فإذا ما أردنا أن نعرف تراثنا وحضارتنا فعلينا أن نتعلم اللغة من جديد كما يتعلمها الأجنبي .

٤. العولمة : تعد اللغة إحدى أهم أركان الشخصية الإنسانية، والرؤية القديمة للغة التي كانت ترى بأنها أداة لنقل الأفكار والأحاسيس تعرضت في الآونة الأخيرة لهجمة عنيفة من قبل المدارس الحديثة التي تؤمن باندماج اللغة والفكر في تكوين الكيان البشري الذي تعد اللغة جزءاً لا يتجزأ من هذا الكيان المتطور دائماً (خافاني، ٢٠٠٥).

ولا شك بأن دور اللغة يتعاضد باطراد في صياغة شكل المجتمع الحديث سواء من داخله أم من خارجه، ونعني بالداخل هنا نتاجه المعرفي والثقافي والأدبي، أما الخارج فهو العلاقات التي تربط المجتمع بالخارج، ولا شك أن نجاحنا في اللحاق بركب الحضارة المعاصرة يكمن في نجاحنا بأن نؤمن للغتنا شروط عضويتها في نادي تعدد اللغات العالمي، ولا شك بأن العالم يزخر بألاف اللغات، وكل لغة تحمل العالم في جوفها ونظراً لشيوعها وذيوعها فهي مسؤولية المجتمع بكل أطيافه وهيئاته ومؤسساته التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. يقول أهل النسبية اللغوية: لغتي هي عالمي، وحدود لغتي هي حدود عالمي. وثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة

في معجمها ونحوها وصرفها ونصوصها، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبته نهضة لغوية ، وما من صراع بشري إلا يبطن في جوفه صراعا لغويا حتى قيل : إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس صراعاتها اللغوية (نبيل علي، ٢٠٠١ : ٨٢). يقول إجنازيو بوتيتا شاعر صقلية عن أهمية اللغة: إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرذم بيوتها ويظلمون مع ذلك أغنياء. فالشعب يفتقر ويستعبد ما إن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد ، عندئذ يضيع إلى الأبد (نبيل علي، ٢٠٠١ : ٨٣).

فاللغة آية إبداع العقل، ومرآة صافية لثقافة المجتمعات البشرية، وهي ليست مجرد أداة للتعبير عما في النفس من الأفكار والأحاسيس بل تتجاوز هذا الحد بتأثيرها الفاعل في نفس المتكلم والمخاطب من خلال صبغ المضامين بصبغتها.

واللغة العربية هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الإنسانية الوحيدة التي صمدت سبعة عشر قرناً سجلاً أميناً لحضارة أمتها في ازدهارها وشاهداً على إبداعات أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة الإنسانية .

ويقر الجميع بأننا نعيش أزمة لغوية طاحنة، وعلى الرغم من وضوح هذه الأزمة وجسامتها وكثرة المؤتمرات والندوات والتوصيات التي عقدت بشأنها بقيت تلك الأزمة مستعصية على الحل .

ويمكن السبب في ذلك إلى عدم إلمام الكثيرين بالجوانب العديدة لإشكالية اللغة، حيث يقتصر على الجوانب التعليمية والمصطلحية. وخطأ التشخيص لدائنا اللغوي: فتارة يوجه الاهتمام إلى مدارسنا، وتارة إلى إعلامنا، بل وصل الحد بالبعض إلى إدانة اللغة نفسها. والحقيقة أن اللغة أثبتت جدارتها على مر العصور في نقل المعرفة . (نبيل علي، ٢٠٠١ : ٩٢)

ومن منظور فقه اللغة فالعربية تتسم بالعديد من الخصائص الجوهرية التي تؤكد عالميتها ومن أهمها : التزامها بالقاعدة الذهبية فيما يخص التوازن اللغوي؛ فاللغة العربية تجمع بين كثير من خصائص اللغات الأخرى على مستوى جميع فروعها كتابية وأصواتاً ونحواً وصرفاً ومعجماً؛ فهي تجمع بين الجمل الفعلية والاسمية، وتكتفي بمطابقة جنس الفعل مع جنس الفاعل (ذهب فلان، وذهبت فلانة) وهو ما لا تلتزم به الانجليزية، في حين تتطرق بعض اللغات في مطابقة الفعل مع الفاعل والمفعول ، وتصل العربية المعرف ولا تصل النكرة (الرجل الذي كتب.. ورجل كتب) في حين تصل الإنجليزية النكرة والمعرفة. ولا تصل الصينية أياً منهما . *The man who wrote Aman who wrote* (نبيل علي، ٢٠٠١ : ٩٢).

وفي ظل العولمة وثورة المعلومات تتعرض العربية لحركة تهميش نشطة بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان اللغة الانجليزية على الصعيد السياسي والاقتصادي والتكنولوجي والمعلوماتي، وتشارك العربية في ذلك معظم لغات العالم سواء المتقدمة أو النامية إلا أنها تواجه تحديات إضافية. وهكذا أصبحت معظم لغات العالم مهددة بالانقراض على حد سواء أمام الإعصار المعلوماتي الإنجليزي الجارف تحت ضغوط اقتصادية وسياسية وثقافية هائلة . والله المستعان .

٥. كثرة الترادف الفوضوي في اللغة العربية، وعلى سبيل المثال فللسبع مائة اسم: وفي الحقيقة أن هذا الادعاء غير صحيح فكل اسم أو مفردة يعبر بها عن نوع خاص، ولو استقصيت ذلك في أي معجم عربي ستجد الفروق الدقيقة بين هذه المسميات، وهذا دليل قوة على اللغة وليس مأخذاً عليها، فالسبع ليس الأسد، والأسد ليس الضرغام ... وهكذا في بقية مترادفات اللغة سواء في أسماء السيف، أو صفة

الطويل، فلو أخذنا مثلاً واحداً على مدلول صوت الطير لرأينا مدى الغنى الذي تتمتع به اللغة العربية: فالعرب تسمي أصوات الطير بأسماء كثيرة فمنها: غناء ودعاء وبكاء ونوح وترنم وطرب وضحك وهدر وهدل وهتف وصدح وسجع ومنطق وقرقرة وتغريد وكلام وإرنان وعويل (العوتي، ١٩٩٩م) وكما نلاحظ فإننا نستخدم بعض هذه الأصوات مع بعض الطيور فقط، مما يدل على غنى هذه اللغة .

هذه أهم الاتهامات التي توجه إلى اللغة ولا شك أن قائمة الاتهامات طويلة جداً منها :

- وضع معجم لكل بلد عربي .
- نشر فكرة أن اللغة العربية صعبة .
- انفراد كل بلد عربي باستعمال مصطلحات خاصة .
- إهمال النصوص القديمة والكتب التراثية .
- اتهام اللغة بأنها شاخت وهرمت . وهنا نتساءل كيف بأولئك الذين بعثوا لغتهم من جديد بعد مضي ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة ؟ !

لكنها كلها دعوات ماتت في المهد وبقيت اللغة العربية وستبقى بإذن الله شامخة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها لأنها لغة القرآن الكريم الكتاب الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ونحن نرى أن اللغة الآن أقوى مما كانت عليه في القرن السابق قياساً على كثرة الدراسات والبحوث والندوات التي تضع اللغة في دائرة الضوء والإحساس بهذه المشكلة يعني متابعتها بشكل مستمر ، ولكن ما حدث هو توقف انتشارها وتراجعها المؤقت نتيجة طغيان اللغة الانجليزية وشهرتها الواسعة في العالم. وكل المؤشرات تشير إلى تحسن المستوى اللغوي والحس اللغوي عند العرب على الرغم من هذا التراجع . فقد أخذت اللغة موقعها ومكانها في شمال إفريقيا بعد

أن كادت تنتهي وتقرض وزجع التعريب والاهتمام بالعربية على أشده ، وقد استفاد أهل المغرب العربي من الحضارة العلوم الغربية في مجال علم اللغات والألسنية وأصبحنا نلمس ثمار ذلك في تلك المؤلفات والبحوث والمؤتمرات والندوات التي تهتم بالتعريب والعربية .

والعيب ليس في اللغة ولكن فيمن يتكلم هذه اللغة بحيث لا يمكن التفكير في طرف دون الآخر، فاللغة لا يمكن أن تحيا إلا بحياة أهلها، ولا يمكن أن تتطور إلا بتطورهم، وإذا أردنا أن تسترجع اللغة مكانتها لا بد من الاهتمام أولاً بتحسين الوعي اللغوي على جميع المستويات، وأخص بالذكر العلماء، وهيئات التدريس في الجامعات العربية، ووضع برامج تبين بوضوح قواعد اللغة العربية ونقاط القوة التي تميزها عن غيرها من اللغات العالمية.

عناصر القوة في اللغة العربية وقدرتها على مواجهة التحديات :

ننتقل في هذه الدراسة من قاعدة أساسية وهي قدرة اللغة العربية على التطور الذاتي المستمر، وأنها لم تكن في يوم من الأيام أوعصر من العصور بمعزل عن المستجدات الحديثة للدراسات الألسنية واللغوية ، ولكن الدراسة العلمية للعربية كانت منذ نزول القرآن الكريم أداة لفهم المضامين القرآنية وسائر النصوص الإسلامية، فاعتادت أن تكون قائمة على الاتجاهات اللغوية والبلاغية المرتبطة بتفسير النصوص الإسلامية ، ولهذا كثرت غزارة التأليف في المعاجم والنحو والصرف والبلاغة مما يؤدي إلى خدمة هذه العلوم، ولا ينبغي حصر اللغة في القوالب اللغوية التي صاغها الأقدمون والتي ترسخت في أذهان النحويين، بل يجب الأخذ في الاعتبار كل المستجدات الحديثة في المجالات اللغوية . (خافاني ، ٢٠٠٥) .

وسنستعرض الآن بإيجاز تلك التجربة الفريدة التي مرت بها اللغة العربية، وكيف سيطرت على لغات العالم آنذاك، وأصبحت اللغة الأكثر

شيوعاً وانتشاراً في العالم . وتجربة علمائنا الأوائل وما قدموا لنا على صعيد اللغة وتعليمها، ولا شك بأن هناك إشارات ودلائل كثيرة يستطيع أن يفيد منها الدارس من هذا التراث اللغوي الضخم، وقد تعرض علمائنا الأوائل للغة بكل دقائقها وتفصيلها ولم يتركوا جانباً منها ابتداء من حروفها وحتى أعقد المسائل، والنظريات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الكتب ولم يتطرق العلماء إلى طرحها إلا في العصر الحديث كما سنرى في كتاب المخصص لابن سيدة (٤٥٨ هـ) ونظرياته اللغوية المشهورة؛ حيث تعد المقدمة التي افتتح بها ابن سيدة كتابه من أهم المقدمات التي افتتحت بها الكتب اللغوية ؛ لما حوته من نظريات تبحث في اللغة ونشئها، وقد تعرض فيها إلى علم اللغة، وسبق بذلك علماء اللغة في العصر الحديث في آرائه ونظرياته عن تكون اللغة وطبيعتها ونظامها ووضعها، ولا نشك بأن علماء اللغة المعاصرين اطلعوا على ما جاء به ابن سيدة، وبخاصة علماء اللغة المعاصرين أمثال سوسيور، وفيجوتسكي وشتراوس وتشومسكي وغيرهم، ويكفي لضيق المقام أن ندلل على ما نقول بمثال واحد .

يعرض ابن سيدة في هذه المقدمة لنظرية ما يسمى اليوم باعتباطية الرمز وكيفية تكوينه، ولم يهتد العلماء إلى ذلك إلا في العصر الحديث، وكان ابن سيدة قد طرحه في القرن الخامس الهجري، وبنفس المفهوم الذي كرهه سوسيور في القرن العشرين أي بعد ما يقرب من عشرة قرون، يقول ابن سيدة: " فالواضع الأول المسمى للأقل جزءاً، وللاكثر كلا، واللون الذي يفرق شعاع البصر فيبيته وينشره بياضاً، وللذي يقبضه فيضمه ويحصره سواداً، لو قلب هذه التسمية فسمى الجزء كلا، والبياض سواداً، والسواد بياضاً، لم يخل بموضوع، ولا أوحش أسماعنا عن مسموع، ونحن مع ذلك لا نجد بدأ من تسمية جميع الأشياء لتحتاز بأسمائها، ويمتاز بعضها عن بعض بأجزائها

وأصدائها، كما تباينت أول وهلة بطباعها، وتخالفت قبل ذلك بصورها وأوضاعها".

ويمكن المقارنة بين ما جاء به سوسيور في العصر الحديث حيث يقول : " تعد اللغة نظاماً من الرموز التي تعبر عن أفكار، ويرى بأن كل نظام لغوي يعتمد على مبدأ لا معقول من اعتباطية الرمز وتعسفه، فإذا كانت لغة معينة تطلق على هذا الشيء اسماً معيناً فإن اللغات الأخرى تطلق على الشيء نفسه تسميات مختلفة، وبنفس الطريقة المتعسفة نجد أن قوانين المرور مثلاً قد خصصت لكل من الضوء الأحمر والأخضر قيمته الدلالية، وكان يمكن فرضاً أن تعكس منذ البداية، فطبقاً للنظام الحالي نجد أن لأحمر يثير معنى الخطر، والعنف والدم بينما يثير الأخضر معاني الأمل والاطمئنان، والهدوء، فماذا نقول لو كان الأمر قد تم باختيار الأحمر للطريق المفتوح ، والأخضر للمنوع ، ونخلص من ذلك أن الرمز قد تم اختياره اعتباطياً في البداية، ولكن ذلك لا يمنع من احتفاظه بقيمة خاصة، ومضمون مستقل يتوافق مع القيمة الدلالية ويصوغها .

إن من الظلم إنكار ما جاء به ابن سيده في هذا المجال ، وكما نلاحظ فلم يغير سوسيور إلا كلمة اللون الأسود بالأحمر والأبيض بالأخضر وتناول نفس المفهوم الذي جاء به ابن سيده وكرره ، وظل يدور في فلكه ولا يخفى ذلك على كل ذي نظر .

وعلى الجانب التربوي التعليمي فقد وردت معلومات كثيرة يمكن أن نفيدنا وتفيد أجيالنا في تعلم اللغة وتعليمها ، ولا شك بأن هذا الأمر يتعلق مباشرة بمهامنا التربوية في بناء مناهجنا ومهما كانت بسيطة إلا أنها قد تسهم ولو بقدر ضئيل في تحسن تعلم الناشئة الذين يعول عليهم الأمل في المستقبل لحمل هذه الأمانة وتطويرها والدفاع عنها .

عودة إلى الجذور

خواص وأسرار الحروف العربية في المعاجم اللغوية :

١- الخليل بن أحمد :

لقد وردت بعض الإشارات في معاجمنا اللغوية يمكن الاستفادة منها الآن عند تأليف كتب اللغة العربية للحلقة الأولى وبخاصة الصف الأول أو غير الناطقين بها، وقد لفتت نظري تلك الإشارات المهمة فقامت بجمعها من هذه الكتب لعلها تسهل على أبنائنا تعلم هذه اللغة وتسهم ولو بقدر بسيط في الارتقاء بتعلمها، وبخاصة أنها صادرة من أكبر علماء اللغة الذين عانوا في دراستها وجمعها وتدقيقها، وأشعر بمدى الحاجة إليها اليوم للتخفيف من معاناتنا عند تدريس هذه اللغة، ولا شك أن تلك الملاحظات جاءت نتيجة لمعيشة طويلة جدا للغة وأسرارها، وقد نقلها لنا العلماء للاستفادة منها، ونحن نقوم اليوم بدراستها والرجوع إليها والاستفادة من تلك القيسات ، وبخاصة أننا نعمل في مجال المناهج ولعلها تكون ذات فائدة لنا في هذا المجال ، فهناك أسرار وخواص للحرف العربي ونطقه وشكله ، وقد ورد كل ذلك متفرقا في بطون هذه الكتب، ونحن ننسب الفضل إلى أهله والعلم إلى مبتدعه، وهذا من أقل الواجبات التي نقوم بها اتجاه عباقرتنا الأوائل، ولا شك أن أول هؤلاء جميعاً، وصاحب الفضل على كل من جاء بعده من علماء اللغة هو العالم الجليل الخليل بن أحمد صاحب النظريات المشهورة في اللغة التي ظل يدور في فلكها كل من جاء بعده حتى اليوم. وسنقتصر على ما قدمه لنا من خواص بعض الحروف، فقد توصل إلى الاستنتاجات والقواعد الآتية :

ليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف ، من فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء، وليست من أصل الكلمة، مثل: عنكبوت، إنما أصل بنائها عنكب.

(وهذه القاعدة مهمة جداً وضرورية عند تعريب الكلمات الأجنبية لأنها تتميز بالطول، في كثير من الأحيان ولا تستوعبها الأوزان العربية) .
وتوصل أيضاً إلى أن الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف، وقد
تجيء أسماء لفظها على حرفين ، مثل يد ، دم ، فم ، وإنما ذهب الثالث لعله
أنها جاءت سواكن .

أما عن الحروف وهذا ما يهمننا في هذا المجال فقد رتبها لنا بحسب
مخارج نطقها مبتدئاً بحرف العين الذي سمي معجمه باسمه ، وهناك دراسات
طبية نفسية الآن تقوم على تصوير حركة عضلات أعضاء النطق في أثناء
نطق الحرف للإفادة منها في تحديد صعوبة نطق بعض الحروف، ويبين
الخليل بأن أكثرها استعمالاً في اللغة ستة أحرف وهي : (ر ، ل ، ن ، ف ،
ب ، م) ، ولذا كثرت هذه الحروف في أبنية الكلام لسهولة نطقها، ولا تكاد
تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية، فإذا خلت منها ، فاعلم أن تلك الكلمة
محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب. بل يتعدى ذلك ويقرر أن في اللغة
كاملة لا يوجد إلا عشر كلمات رباعية أو خماسية تخلو من هذه الحروف ،
ومنها العسجد ، والقسطاس .

وليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية ، ولا من لسان إلا
التنور فيه تنور ، وليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) . والعين والقاف
لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه ، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً .^[٢]

هذا عرض موجز لما جاء في كتاب العين، وخواص بعض الحروف
العربية ، والفائدة التي يمكن أن نجنيها من خلال هذا العرض السريع هي
تلك الملاحظات الدقيقة عن خواص بعض الحروف ، وسهولة نطق بعضها
وتمييزها عن بعضها الآخر مما يجعلنا نركز على هذه الحروف في بداية
التعلم ، وكذلك أخذها في الاعتبار عند تركيب كلمات جديدة للمتعلم المبتدئ،
والابتداء بدراستها، وسيأتي لاحقاً علماء آخرون أكملوا هذا الوجه، وبنوا

عليه وأفادوا منه بشكل كبير، وانتبهوا إلى هذه الظاهرة مما يوفر لنا تصورا دقيقا عن كل حرف من حروف اللغة، وهذه الأهمية تبرز بشكل خاص عند التعليم. وقد بين لنا كذلك خصائص الكلمات العربية وحدودها، واختصاص اللغة بحرف الظاء دون لغات العالم الأخرى، ومن هنا نتبين الخطأ الشائع من أن حرف الضاد هو الذي تتفرد به اللغة، وهذا الرأي من ابتداع المتأخرين، فقد ورد ذلك في كتاب المزهر.

ولا نبالغ إذا قلنا بأن القواعد والنظريات اللغوية التي جاء بها الخليل ظلت محورا للعلماء يدورون في فلكها ويكتشفون في كل عصر شيئا جديداً، ففتحت لهم أبواباً واسعة في علم اللغة وأصولها وفقهها، فقد رسخ هذه القواعد، وكل من جاء بعده اعترف بفضلها، ولم ينكر بأنه مدين له بعلمه، وما جاء به من نظريات وقوانين.

٢- ابن دريد :

ومن الذين تعرضوا إلى هذا الجانب المهم في اللغة ابن دريد ولعل أهم ما توصل إليه هو نظرية الاشتقاق في اللغة ، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل في كتابه الاشتقاق، الذي يعد فتحاً جديداً في علم اللغة، ومن أهم نظريات ابن دريد في اللغة، وسنتحدث عن هذه النظرية بشيء من التفصيل لاحقاً، أما بالنسبة لأرائه اللغوية وما أوضحه لنا بالنسبة لحروف اللغة وأسرارها. [٢]

ومما جاء في هذا الكتاب قوله: " اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً، مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفاً، منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق، وهما الحاء، والطاء، ومنها ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهن: العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء، ما عدا

ذلك فللخلق كلهم من العرب والعجم عدا الهمزة فإنها لم تأت في كلام العجم إلا في الابتداء . " [٤]

ويستنتج كذلك وبناء على مخارج الحروف أن الكاف والقاف لم تأتلفا في كلمة واحدة ، وليس في سياق كلام العرب ما يدل على ذلك ، وكذلك الكاف والجيم ، وما يقصده هنا توالي هذه الحروف في كلمة واحدة ، مثل : " فك ، كق ، جك ، كج " . وهكذا يحلل طبيعة النطق بناء على مخارج الحروف ، والصعوبة الناجمة من نطقها ، وعند حديثه عن الحروف المذلفة (أي التي تخرج من طرف اللسان) وهي الراء واللام والنون ، والفاء والباء والميم ، فيقول وهي أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها . وهو هنا يتفق مع الخليل في هذا الرأي . أما الألف وهو الحرف الأخير في ترتيبه عنده أي التاسع والعشرون ، فهو جرس بلا صوت ، يريد أنه ساكن لا يتصرف أبدا في الإعراب ، واللسان ممتنع أن يبتدئ بساكن أو يقف على متحرك ، فإذا كانت كلمة أولها ألف صارت همزة في النطق ؛ لحركتها وانتقالها إلى حال الهمزة .

ثم يبين بعد ذلك في دراسة دقيقة مخارج هذه الحروف وأجناسها ، مبينا هدفه من ذلك كله فيقول : واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ؛ ألا ترى بأنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها ، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف . واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك ، وأصعبها حروف الحلق ، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل : أخ ، أحد ، أهل ، عهد ، ويبدؤون بالأقوى من الحرفين ويؤخرون الألين " واعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة ، وأقل ما يستعملون لنقلها على ألسنتهم الظاء ، ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ثم الغين

ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم ، فأخف هذه الحروف كلها ما استعمله العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد . [٥]

ونرى بان ابن دريد يؤيد رأي الخليل في الحروف الأكثر استعمالاً وأسهل نطقاً ، ويزيد على ذلك بأن رتب لنا هذه الحروف بحسب درجة سهولتها ، نتيجة استقراره لما جاءت عليه هذه الحروف من ألفاظ في العربية، وهذا يسهل علينا مهمة اختيار هذه الحروف وترتيبها عند تدريس اللغة، وهي بحاجة إلى دراسات تربوية لرؤية ذلك عند التطبيق الفعلي، وعدم إعطاء الحروف بشكل عشوائي، ولعل هذه الدراسة تكشف لنا سراً ، وتقدم لنا خطوة إيجابية في دراسة هذه الحروف وتدريسها مما يسهل علينا تدريس اللغة وتعلمها .

٣- معجم الصحاح للجوهري :

ويؤكد ذلك الجوهري (توفي ٣٩٣ هـ) في صحاحه. ويبين بأن أقل أبواب كتابه فصلاً باب الظاء ، كما أنه ليس في العربية كلمة أولها لام وآخرها راء . [٦]

٤- العوتبي الصحاري :

ومن العلماء الذين تعرضوا لهذا الجانب في مؤلفاتهم العوتبي الصحاري (المتوفى ٤٧٠) في كتابه الإبانة :

ومن بعض القضايا اللغوية الطريفة التي تحدث عنها العوتبي، وكشف عن أسرارها في اللغة، ولم يلتفت إليها سابقوه، وتعتبر من قبيل النظريات اللغوية هي ما يعترى اللسان من علل النطق وعيوبه يقول:

" والكلام كله أجمع مكون من تسعة وعشرين حرفاً مع الهمزة ، ... ويتولد من هذه الحروف ستة أحرف وهي من كلام العرب، وهي: الهمزة التي بين بين، وألف الإمالة، وألف التفخيم، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي،

فذلك خمسة وثلاثون حرفاً، وهي من كلام العرب. ثم تصير اثنين وأربعين حرفاً مع سبعة أخرى ليست من كلام العرب، ولكنها من كلام الفرس والنبط وبعض أهل اليمن، وهي: الجيم بين الكاف والجيم، والضاد الضعيفة كقول أهل عمان وبعض أهل البحرين (ضربني) والصاد التي كالسين، والظاء التي كالطاء، والجيم التي كالشين، والباء التي كالفاء، فذلك اثنان وأربعون حرفاً، فكل كلام الناس لا يخلو من هذه الحروف أو من بعضها. [٧] ومما يجدر ذكره أن الأصوات اللغوية في العالم أجمع لا تتجاوز الخمسين (الدنان، ٢٠٠٥)، وقد أحصى منها العوتبي وحده اثنين وأربعين صوتاً وهذه المسألة جديرة بالبحث والاهتمام، ولم يتطرق إليها عالم لغوي قبل العوتبي، فقد تأتي الحاجة إلى هذه الحروف اليوم واستعمالها في بعض المصطلحات العلمية والتعريب والترجمة، ما دامت كما ذكر بأنها من كلام العرب وخاصة بهم وتعد من الحروف العربية، وهذا يؤكد لنا أن كثيراً من الألفاظ التي نعدها عامية لنطق بعض الحروف فيها بشكل مختلف، لها أصول صحيحة في اللغة.

٥ - لسان العرب لابن منظور (٧٧٦هـ) :

ومن العلماء الذين أولوا الحروف العربية أهمية خاصة في معاجمهم ابن منظور في لسان العرب (٧٧٦ هـ) وأفرد فصلاً خاصاً في معجمه بعنوان (ألقاب الحروف وطبائعها) ويتحدث في بداية هذا الباب عن ألقاب الحروف ويبين أن منها المجهور والمهموس ويستعرض أقوال علماء اللغة في ذلك فالمجهور كما يفسره الذي يلزم موضعه إلى انقضاء حروفه ويحبس النفس من أن يجري معه لأنه لم يخالطه شيء غيره، وهو تسعة عشر حرفاً: الألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والباء، والضاد، واللام، والنون،

والراء، والطاء، والذال، والزاي، والظاء، والذال، والميم، والواو، والهمزة، والياء .

أما المهموس فهو حرف لان مخرجه وجرى معه النفس ، وهو دون المجهور في رفع الصوت، وهو عشرة أحرف : الهاء والحاء ، والخاء ، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء، ويعرض بعد ذلك ترتيب الحروف عند الخليل وما الذي دعاه إلى ذلك، ومن سار على هديه ومن خالفه .

أما تقارب الحروف بعضها من بعض وتباعدها ، فإن لها سرأ في النطق يكشفه من تعناه ، كما انكشف لنا سره لشدة احتياجنا إلى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض ، ويتباعد بعضه من بعض ، ويتركب بعضه مع بعض، ولا يتركب بعضه مع بعض؛ فإن من الحروف ما يتكرر ويكثر في الكلام استعماله وهو: (أ، ل، م، هـ، و، ي، ن)؛ ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو (ر، ع، ف، ت، ب، ك، د، س، ق، ح، ج). ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك وهو : (ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ). ومن الحروف ما لا يخلو منه أكثر الكلمات، حتى قالوا : إن كل كلمة ثلاثية فصاعداً لا يكون فيها حرف أو حرفان منها فليست عربية، وهي ستة أحرف: (د، ب، م، ن، ل، ف). ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض إذا اجتمع في كلمة ، إلا أن يُقدَّم ، ولا يجتمع إذا تأخر، وهو (ع، هـ). فإن العين إذا تقدمت تركبت وإذا تأخرت لا تتركب. ومنها ما لا يتركب إذا تقدم ، ويتركب إذا تأخر، وهو: (ض، ج) فإن الضاد إذا تقدمت تركبت، وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية؛ ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدم ولا إن تأخر وهو : (س، ث، ض، ز، ظ، ص).^[٨]

من مجموع هذه الملاحظات المتفرقة، إضافة إلى ما توصل إليه علماء النفس والتربية نستطيع أن نكون صورة واضحة وعملية عن أسهل

الأوضاع التي نتناول فيها اللغة عند تدريسها، وتبدو هذه المسألة على قدر كبير من الأهمية ؛ حيث إن الجهل بأوضاع هذه الحروف وترتيبها يؤدي إلى إرباك المتعلم ومن ثم الشعور بصعوبة التعلم وصعوبة النطق وتكوين كلمات في أثناء التحليل والتركيب ، وهنا يجب أن تكون الحروف المعطاة للتلميذ مدروسة بعناية في بداية التعلم بحيث تأخذ هذه الخصائص بالحسبان، ويبدو لي أن هذا السر يشكل جزءا في وصف البعض للغة العربية بأنها صعبة ولم تكن هذه المشكلة تظهر سابقاً، فلو تصورنا أن نسبة قليلة جداً من المعلمين أو غيرهم من العاملين في الحقل التربوي، قد تتطرق إلى وضع هذه الحروف بشكل عشوائي، وجاءت هذه الحروف عن طريق الصدفة، ووجه ذلك إلى التلاميذ، وطلب إليهم تكوين مجموعة من الكلمات فسيعانون صعوبة كبيرة في تكوين مفردات جديدة وهذه الناحية مهمة جداً في بداية تعلم اللغة ، فإذا لاحظنا أن ترتيب بعض هذه الحروف يأتي متوالياً ويشكل تقريبا ثلث حروف اللغة مثل: (س ش ص ض ط ظ ع غ) فإنه يستحيل على التلميذ أن يكون كلمات ذات معنى من هذه الحروف على الرغم من دراسته لها متوالية بحسب الترتيب المعجمي الهجائي المعتاد، وحفظه لهذه الحروف استناداً على ما بينته لنا هذه المعاجم . وهكذا في كثير من الأمور التي يجب أن ينبه إليها في بدايات تدريس اللغة للمبتدئين ، وغير الناطقين بالعربية .

نخلص من ذلك إلى نتيجة مهمة فقد اتفق علماء اللغة على أن أسهل حروف العربية لفظاً وأكثرها استعمالاً هي : (ب ، م ، ن ، ل ، ف ، ر ، د ، ا ، و ، ي ، هـ) بالترتيب الوارد . كما أن أقلها استعمالاً هي (ظ ، ذ ، ث ، ش ، ق ، خ ، غ ، ط ، ز ، ض ، ص) . وما تبقى من هذه الحروف فهي بدرجة متوسطة بين السهولة والصعوبة . كما أن الحروف كلما تقاربت مخارجها صعب نطقها عند التأليف ، وكلما تباعدت أصبح نطقها أسهل .

طرق تكوين المصطلحات العلمية في اللغة العربية

كيف تغلب عليها العرب قديماً :

كلنا نعلم أن اللغة العربية قد خرجت من الصحراء وواجهت أعرق حضارات العالم في ذلك الوقت؛ الفارسية، الرومية، الهندية، اليونانية... فكيف استطاع علماؤنا الأوائل جعل اللغة العربية تستوعب ما أنتجته هذه الحضارات من علم وفن وفلسفة ومنطق ... ولا شك أن هناك مصطلحات غزيرة بحاجة إلى نقل مفهومها إلى اللغة العربية ، وتبدو هذه القضية هي الشغل الشاغل لعلماء اللغة وغيرهم اليوم.

١- التعريب:

من الذين تطرقو إلى هذا الموضوع في مصنفاتهم العوتبي الصحاري في كتابه الإبانة؛ فقد طرح قضية تعد اليوم من أهم القضايا بل المعضلات اللغوية التي تواجهنا ألا وهي قضية التعريب، ولعله قصد بقوله حين تحدث عن اللغة: " وذكرت حروفاً من دخيل غيرها فيها " إلى هذا المفهوم. وبعد العوتبي من أفضل من تطرق إلى قضية " الدخيل والمعرب " وقد استقصى البحث في هذه المسألة بدقة بالغة، وعرض للألفاظ مبينا أصولها واللغة التي جاءت منها، ورأيه في ذلك وهو باب واسع طريف، ولعله من أجمل أبواب كتابه. يقول العوتبي: " إن الله تبارك وتعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم باللسان العربي؛ لأنه لسانه ولسان قومه، ولكن قد يقع غير العربية في كلام العرب، على ثلاثة أوجه، منها: أن تكون الكلمة في اللسانين جميعاً بلفظ واحد، كما ذكر أن المشكاة بالحشية الكوة التي لا تنفذ لها، وهي بلسان العرب كذلك " ثم يورد الألفاظ المشابهة ويعللها وينسبها إلى أصولها مثل : الكفل، قسورة. ومنها أن تقع إلى العرب الكلمة من غير لسانهم، فتجري مجرى كلامهم مثل : هيت لك. ومن ذلك أن الكلمة من كلام العجم تقع إلى

العرب فيعربونها، مثل: سجيل، الطور، اليم، استبرق، وهو يذكر الكلمات الدخيلة ويردها إلى أصولها.^[٩] فالتعريب هنا كما ذكر العوتبي باب واسع وله وجوه متعددة، وقد دلل على ذلك من خلال أمثلة جاء بها من لغات مختلفة، وأوضح لنا طرق التعريب وكيف تدخل الكلمات غير العربية إلى اللغة العربية مبيننا وجوها وطرقها المختلفة، مما يدفعنا إلى الالتجاء إلى هذه الطريقة في مواجهة ما يعترضنا عندما لا تتفق بعض الكلمات الأجنبية مع الأوزان العربية، فلا ضير من تعريبها وأخذها كما هي بلا تحرج.

ومن الذين تطرقوا إلى قضية التعريب في مؤلفاتهم الثعالبي في فقه اللغة، حيث أورد بابا طريفا بعنوان: "في ما يجري مجرى الموازنة بين العربية والفارسية". وجاء في الفصل الأول منه وهو بعنوان "في سياقة أسماء فارسياتها منسية، وعربياتها محكية مستعملة" مثل: الكف، الساق، الصراف، البقال، الطراز، الحناء، المخدة، القطائف، الهريسة، الكرسي، البرقع ... " وفي فصل بعنوان: "في ذكر أسماء قائمة في لغة العرب والفرس على لفظ واحد" : يذكر التتور، الخميرة، الزمان، الدين، الكنز، الدينار، الدرهم. ويذكر في الفصل الرابع بعض الأسماء التي تفردت بها الفرس فاضطرت العرب إلى تعريبها: مثل: الكوز، الياقوت، الفالوذج السكبا، الفلفل، القرفة، الزنجبيل، النرجس، البنفسج الياسمين، المسك، العنبر الكافور الصندل^[١٠]

وهذا يقودنا إلى قضية مهمة نعانينا اليوم وهي قضية تعريب المصطلحات الأجنبية في كافة المجالات، والتعريب هو استعارة كلمات أجنبية، وإدخالها في قالب عربي، كما نستخدم اليوم كلمات مثل: تلفزيون، راديو، تكنولوجيا ... ومما يجدر ذكره أن هذه المشكلة تعانينا أغلب دول العالم حتى المتقدمة منها فالمفاهيم والمصطلحات المستجدة ربما تجاوزت الخمسين في كل يوم، وتصطدم دول عظمى مثل فرنسا بحيث لا تستطيع

على الرغم مما تبذله من جهد عن طريق عشرات الهيئات المختصة نقل أكثر من نصف المصطلحات الجديدة ، وهي تعاني باستمرار من النقص المتزايد في التدريس الجامعي التقني الدقيق دون اللجوء إلى مصطلحات أجنبية .
(عبد العزيز بن عبد الله ، ٢٠٠٥ ، ص : ١١)

وقد توصل الباحث أحمد الأخضر غزال من مكتب تنسيق التعريب بالمغرب العربي إلى أن مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في الدول الراقية حيث قام بإحصاء دقيق للمصطلحات والمدرجات الواردة في جميع الكتب المدرسية، واكتشف أن مجموع مصطلحاتنا ومدرجاتنا لا تتجاوز ثمانمائة مصطلح، بينما يتجمع في ذهن التلميذ الغربي ما يقرب من (١٥٠٠) مصطلح . ومعنى ذلك أن إدراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الأجنبي بمقدار النصف ، ولذلك يعاني تلاميذ الدول العربية قاطبة ملاحقة المصطلحات والمدرجات العلمية في المدارس الثانوية ، ومن ثم الجامعة فيما بعد معاناة مؤلمة .

ولكن يجب الاعتراف بأن العرب قديماً أحسنوا استخدام التعريب؛ حيث إننا نظن أن كثيراً من هذه الكلمات عربية، فكلمات مثل: ديوان، دولاب، هندسة، بريد، كلها فارسية، والكلمات: أسطول، درهم، بطاقة، منجنيق، يونانية ، وهناك في القرآن الكريم ٩٩ كلمة معربة مثل : سندس ، استبرق ، أمين ، صراط ، جبروت، وغيرها ، وهي إما سريانية وغيرها من اللغات. وبالمقابل توجد كلمات كثيرة من أصل عربي في اللغات الأجنبية ، حيث إن ٧٠% من الكلمات التركية هي من أصل عربي، ونسبة كبيرة من اللغة الفارسية عربية، كما توجد مئات الكلمات العربية في اللغات الأوروبية الحديثة وبخاصة الإيطالية. فاللغة مثل الكائن الحي تؤثر وتتأثر بالمحيط الخارجي، وهذه الظاهرة ستستمر مادام هناك بشر يعيشون على سطح الأرض، ولكن الشيء الذي يصعب فهمه في هذا العصر، لماذا أصاب لغتنا

العقم على الرغم من الطرق العديدة في تكوين المصطلحات مقارنة مع اللغات الأخرى؛ فالإنكليزية مثلاً لا تحتوي إلا على طريقتين في تركيب الكلمات، وهما النحت، والنكلزة (أي نقل كلمات إلى اللغة الإنكليزية، وسبب نجاح اللغة الإنكليزية هو استغلالها أقصى الإمكانات لتلك الطريقتين، بينما لم توظف العربية ولم تستفد من القدرات الهائلة التي تملكها، كالنحت والاشتقاق، والتعريب. ونستحضر في هذا المجال بعض اللغات التي اندثرت منذ آلاف السنين ثم عادت إلى الحياة على قلة المتكلمين بها، كاللغة العبرية.

٢- الاشتقاق :

يعود الفضل في اكتشاف هذه النظرية في اللغة العربية إلى الخليل بن أحمد ومن ثم ابن دريد، وقد صنف ابن دريد كتاباً بعنوان الاشتقاق في اللغة، وقد أفاد من هذه النظرية فيما بعد بشكل واسع ابن فارس في كتابه المشهور معجم مقاييس اللغة الذي يعد فتحاً جديداً في باب التأليف المعجمي عند العرب لانفراده بفكرة جديدة خاصة تقوم على أن للغة العرب مقاييس صحيحة، وهذه الفكرة تقوم على نظرية المعنى المشترك بين صيغ اللفظ الثنائي والثلاثي المختلفة، أي ما يسمى بالاشتقاق، ومن ثم اكتشافه نظرية أخرى هي نظرية النحت في الرباعي والخماسي، ولكنه يعترف بأن هاتين النظريتين ليستا من ابتكاره، ويعود الفضل في الإشارة إليهما إلى الخليل بن أحمد، وابن دريد وقد استغل ابن فارس هذا الكشف في اللغة من قبل سلفيه وفي الحقيقة لم يستطع عالم بعد الخليل وابن دريد أن يوظف هاتين النظريتين بشكل واسع مثلما فعل ابن فارس في المقاييس ولا ننكر ذكاءه الخارق الذي استطاع أن ينفذ إلى ما أراده الخليل وفهم مغازيه ومرامييه، واستطاع أن يصوغ لنا نظريات محكمة متكاملة عن أهم جانبيين حيويين في اللغة، ولهذا يعد معجم مقاييس اللغة من المعاجم التي تهتم الباحثين في فقه اللغة العربية،

وهذا ما يميزه عن المعاجم العربية الأخرى. وكان ابن فارس في كتابه المقاييس قد بلغ الغاية في الحذق باللغة وفهم أسرارها وأصولها، ورأى أن يصنف المادة اللغوية على نحو آخر بهدف الكشف عن مزيد من خصائص اللغة العربية، فرد مفردات كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة، وكان صاحب الفضل في الإحياء إليه بهذه الفكرة العبقريّة الإمام الجليل ابن دريد في كتابه الاشتقاق، وكان ابن فارس يتأسى بابن دريد في حياته العلمية والأدبية ، وقد اطلع على مؤلفاته، فحاول أن يكمل ما بدأه وتوصل إليه ابن دريد، فألف كتابه المقاييس، ويعني ابن فارس بكلمة المقاييس ما يسميه بعض اللغويين الاشتقاق الكبير، الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات، يقول: " اجمع أهل اللغة أن للغة العرب قياسا وان العرب تشق بعض الكلام من بعض ، و اسم الجن مشتق من الاجتئان. وهو لا يعتمد اطراد القياس في جميع مواد اللغة، بل ينبه على أن كثيرا من المواد لا يطرد فيها القياس، مثل الكلمات الدالة على الأصوات، وأسماء البلدان .

فالاشتقاق في اللغة: يعني تركيب عدة كلمات من جذر واحد، ومعظم الكلمات في اللغة العربية تتكون من مجموعة حروف تسمى بالجذر أو المصدر، وهذا الجذر في أغلب الأحيان يحتوي على ثلاثة أحرف، وهناك بعض الجذور الرباعية، فلو أخذنا أي جذر من هذه الجذور مثلاً (كتب) فإنه يعطينا عدداً هائلاً من المشتقات، وعلى سبيل المثال: كتاب، مكتبة، كتب، مكاتبة، كاتب، كاتبة، كتيبة، تكاتب، استكتاب،.... فعن طريقة إضافة حروف معينة إلى الجذر، وتسمى حروف الزيادة وهي تسعة أحرف تجمعها كلمة "سألتمونيها" وبحسب أوزان معينة، أصبح بالإمكان تكوين كلمات عديدة تحمل معاني مختلفة. ويعد الاشتقاق بمثابة الهيكل العظمي للغة العربية، وتكمن فيه إمكانيات هائلة فإذا علمنا وبعملية حسابية بسيطة بأن أي ثلاثة حروف من

الحروف الهجائية تعطي جذورا لها معاني مختلفة، وكل جذر يعطي مجموعة من الكلمات، فإن الكلمات التي يمكن تكوينها من هذه الأحرف الثلاثة يزيد على مائتي ألف كلمة، وتحديداً (٢١٩٢٤٠)، وإذا أضفنا إلى هذه الجذور الثنائية مثل سد، هز، مر، والجذور المضاعفة مثل زلزل، نذب، والجذور التي تحتوي على حرفين متشابهين، ساس، والجذور الرباعية مثل: زخرف، جمهر فإن إكمالية الاشتقاق تصبح غير محدودة. أما الجذور الرباعية فإنها يمكن أن تعطي ما يزيد عن نصف مليون كلمة، وتحديداً (٥٧٠٠٢٤) [١]، وإذا رجعنا إلى أي معجم نجد أن الجذور الرباعية قليلة جداً مقارنة مع الجذور الثلاثية، وهذا دليل قاطع على أن الثروة اللغوية لا زالت غير مستغلة بعد، وأن هناك طاقات كامنة في اللغة، وهي بحاجة إلى غواص ماهر كي يستخرج لنا هذه اللآلئ والدرر من مكانها.

وهكذا تكمن القوة الهائلة للاشتقاق وأهميته في اللغة العربية، بخلاف اللغات العالمية الأخرى، التي لا يوجد بها نظام خاص بتكوين كلمات مستقلة، وتعتمد بشكل مباشر على ترجمة كلمات من لغات مختلفة، وتركيب كلمات جديدة من كلمتين أو عدة كلمات قديمة.

مما لا شك فيه أن هذه النظرية تلعب دوراً مهماً في عصرنا الحاضر في اشتقاق الأسماء، والمصطلحات وصياغتها والتوسع بها، وإضفاء الصبغة العربية عليها، وهذه الخاصية لا تتوفر بشكلها الواسع إلا في اللغة العربية، مما يدل على مدى المرونة والحيوية التي تتمتع بها ومدى قابليتها للتطور ومسايرة التحديث والتجديد والعصرية في كل زمان ومكان.

٣- النحت :

مكتشف هذه النظرية أيضاً هو الخليل بن أحمد، يقول ابن فارس :
" اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك

أن أكثر ما تراه منحوت. ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ ... والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حي على ". ومنه بسم، وحوقل أي: قال بسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن هنا نلاحظ مدى تأثير الخليل على علماء اللغة الذي امتد قروناً طويلة، وحتى الأمثلة التي جاء بها الخليل ظل العلماء يكررونها وفي كثير من الأحيان اقتصروا عليها ولم يستطيعوا الإتيان بأمثلة جديدة .

والنحت: هو الطريقة التي يتم بها جمع كلمتين أو أكثر باختيار أجزاء مناسبة من الكلمات المختلفة، لتعطي كلمة واحدة في النهاية، وقد استعمل العرب هذه الطريقة كما تدل على ذلك ألفاظ مثل: بسم، حوقل، سامراء، وهذه الطريقة تستعمل بكثرة في اللغات الأجنبية، ولكن نادراً ما يلجأ إليها في اللغة العربية ، مع أنها تؤدي إلى حل كثير من المشكلات اللغوية المتمثلة في صياغة بعض الألفاظ الجديدة ، وحتى استعمالها في الوقت الحاضر كثيراً ما يسئ إلى هذه النظرية عند صياغة كلمات غير مستساغة في اللغة، فتكون بذلك وسيلة للتندر، وهي بحاجة إلى علماء متخصصين في علم اللغة، ويدركون أسرارها ودقائقها، وإلا أصيبت هذه الطريقة بالفشل الذريع، ونأمل من مجامع اللغة العربية أن تولي هذا الأمر ما يستحقه من عناية، وأن تتضافر الجهود في العالم العربي قاطبة للنهوض بهذه اللغة من جديد لتستعيد مكانتها اللائقة بها والشرف الذي حملته على مر العصور. وأن يتم تعميم المصطلحات الجديدة على جميع الدول العربية لاستخدامها استعمالاً فعلياً في مدارسها، وبذا تكتسب اللفظة الجديدة الشيوع والذيع .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن من يتعرض لاستخدام هذه الخاصية في اللغة العربية عليه أن يكون ملماً بأصولها، ومنطقها وطبيعتها، وإلا أدت هذه العملية إلى الإساءة إلى اللغة وإلى التندر بمفرداتها والسخرية منها، وهو

مما يزيد في تشكيك الفئة المتحاملة على اللغة العربية وتتخذها ذريعة لمهاجمتها، فهناك منطق للغة، وحس لغوي أصيل يدركه من يتكلم هذه اللغة بالفطرة والسليقة ن فإذا خرجت هذه اللفظة سواء المعربة أو المنحوته على صيغة غير لائقة تؤدي إلى نتيجة عكسية تماما ، وأضرب مثالا واحداً على ذلك فقد ورد على الشبكة المعلوماتية نحت كلمة (الشنكبوتية) للتعبير عن المصطلح الشبكة العنكبوتية ، ويبدو أن هذا المجتهد يريد أن يسجل اختراعاً واكتشافاً وتطبيقاً عصرياً لهذه النظرية، ولكنه نسي أو تناسى شيئاً مهماً وهو طبيعة اللغة ومنطقها وحسها اللغوي، نتيجة لتقارب الحروف وتباعدها، فخرج المصطلح ثقيلًا على اللسان ويفضل الفرد أن يقول مائة مرة (الشبكة العنكبوتية) على لفظة الشنكبوتية ، وتلاحظ الفرق بين كلمة عنكبوت ، وكلمة الشنكبوتية، ومن هنا يظهر هذا الخلل، نتيجة عدم إلمام من يقوم بهذه العملية بدقائق اللغة وعلومها . وهنا نتطرق إلى قضية قلب العامة لبعض الحروف في المصطلحات الأجنبية (لماذا تقلب العامة بعض الكلمات : (متسوبيشي) مستوبيشي.....) .

اجتهادات العلماء (منهجية جديدة في تكوين المصطلحات) :

عند اشتقاق كلمة جديدة يجب أن نحدد الجذر أولاً ، ثم نشق منه مجموعة من الكلمات، كما راينا في كلمة (كتب)، وفي النحت تبدو المشكلة أكثر تعقيداً، ومن ثم فالكلمات المركبة الطويلة تفقد ذوقها العربي (نلاحظ رأي الخليل في كلمة عنكبوت)، وهذه المشكلة تبدو أكثر وضوحاً في التعريب الحرفي، لأن الكلمات الأجنبية تبدو طويلة عند نقلها إلى العربية، وبالتالي نحس بغربتها على السمع والبصر. فالمسألة ليست سهلة، وهذا ما أدى إلى اختلاط كبير في تكوين المصطلحات الحديثة ، ومعارضة كبيرة في استعمالها وعدم قبول الكثير منها، وهذه المشكلة لا تزال قائمة حتى الآن وتزداد حدة

يوماً بعد يوم، وكل ردود الفعل ضد التكوين العشوائي للمصطلحات تعتبر سليمة، لأننا لا نريد بأن تفقد العربية بلاغتها وفصاحتها.

المنهجية الجديدة :

اقترح الدكتور عبد المالك أبو حجرة منهجية جديدة للتعريب على النحو الآتي:

عند تكوين مصطلحات جديدة يجب تحديد الجذر أولاً بتحديد الجذور التي تحافظ على نغم الكلمة الأجنبية، دون أن تزيد على أربعة أحرف، بحيث يصبح المصطلح الجديد هو الجذر نفسه أو أحد مشتقاته، فكلمة تلفزيون تبدو طويلة، وغير موزونة، فلو حاولنا تحديد حروف الجذر العربي المناسبة والحد الأقصى أربعة أحرف نجد أنها تصبح (ت ل ف ز) وتعطي معنى الفعل تلفز، وحسب الأوزان المعمول بها في اللغة العربية للاشتقاق يمكن اشتقاق اسم جديد للتلفزيون، وهو تلفزة أو تلفاز، وهذا الاسم لا يمكن اعتباره الآن أجنبي لأنه في قالب عربي مثل كلمة هندسة المعربة من الفارسية، وباتباع هذه المنهجية يمكن تكوين مصطلحات بسهولة كبيرة في اللغة العربية ، لنأخذ كلمة كمبيوتر، والتي لا تزال لم تحظ بالإجماع في استعمالها، يمكن الملاحظة أن الحروف (ك ب ت ر) أكثر ملاءمة في تكوين الجذر، وهذا الاسم الجديد سوف يمكننا من الحصول على عبارات مستحيلة مع الاسم الأول مثل : كبتّر الطالب المعادلة باستخدام كبتار سريع ، أو توجدفي المعارض كبتار كثيرة . فكلمة كمبيوتر لا تسمح بتكوين الفعل أو الجمع كما هو الحال مع معظم الكلمات الأجنبية التي لم تدخل في قالب عربي . وتصبح المشكلة في اختيار الكلمة الأجنبية المناسبة لتحديد الجذر .

من إبداعات العلماء (النجر) :

بما أن أغلب الكلمات العربية مشتقات، فيجب إرجاع الكلمات إلى جذورها الأصلية عند تركيب مصطلح جديد من مجموعة كلمات. والنجر مصطلح جديد أطلقه الدكتور عبد المالك أبو حجرة على الطريقة الجديدة التي اقترحها لتكوين كلمات جديدة مستخدماً طريقة النحت واشتق هذا الاسم من الكلمات المستعملة في تركيب هذه الكلمة وهي: نحت، جذر، إرجاع، والتي تدل على الجملة التالية نحت بإرجاع الكلمات إلى جذورها الأصلية. فالحرف الول لكلمة نحت، ن، والحرف الأول من الكلمة الثانية (ج)، والحرف الأول من الكلمة الثالثة (إرجاع) باعتبار جذر الكلمة (رجع) ومن هذه الحروف الثلاثة نحصل على الجذر (نجر) بالمعنى المجازي الجديد (يشبه نحت) إلى جانب معناه الأصلي المعروف. وبواسطة هذه العملية سوف تفتح آفاق جديدة أمام تكوين كلمات عربية جديدة في كل الميادين والمصطلحات العلمية والأدبية. كمثال على ذلك أعطى الباحث مصطلح كلمة الأيدز باللغة الإنجليزية، فهذه الكلمة مأخوذة في الأصل من الجملة التالية : " المرض الناتج عن خلل في مناعة الجسم " بتطبيق الطريقة الجديدة نختار الكلمات المهمة من هذه الجملة ونعزل حروفها الأولى فنحصل على : خلل (خ) منع (م) جسم (ج) ومنها نكون الجذر خمج ، والمصطلح الطبي العربي " داء الخمج " له معنى مناسب جداً في العربية .

وكما نلاحظ لا يمكن تكوين مصطلحات جديدة في اللغة العربية بسهولة، ولابد من فهم المبادئ الأساسية التي بنيت عليها العربية لتتقوى رونق وجمال الكلمات المركبة بهذه الطريقة، وكل الطرق التي ذكرت لا يمكن أن تتجح إلا تحت مظلة الاشتقاق ، فهو عبارة عن المصنع الذي يحول المواد الأولية التي تمر بالعمليات الآتية :

١- فحص

٢- تطهير

٣- إلباس

بحيث في عملية الفحص يتم اختيار الكلمة الأجنبية المناسبة ، وفي عملية التطهير يتم تحديد حروف الجذر، وفي عملية الإلباس يتم إعطاء ثوب جديد للجذر، بإضافة حروف معينة لتكوين كلمة جديدة حسب الأوزان المعمول بها في العربية، ويمكن اعتبار كل من طرق النحت والتعريب والنجر كعمليات بحث وتنقيب بحيث تتم تهيئة المواد الخام من أجل تحويلها في مصنع الاشتقاق للحصول على كلمات عربية فصيحة ، وهذا المصنع لا يزال عاطلاً عن العمل بكل وحداته وحتى يستأنف العمل يجب اختيار المختصين والفنيين من ذوي الكفاءة العالية من حيث الاختصاص والانتماء ، في الميادين المختلفة .

ولا بد من التنبيه هنا بأن هذه العمليات يجب أن تتم وتكون جاهزة من قبل هؤلاء المختصين قبل شيوع المصطلح وأن تكون هناك هيئة من مختلف العلماء ترصد كل التطورات العالمية في جميع الميادين والعمل بأقصى سرعة على توفير البديل المصاغ في قالب عربي ونشره وتعميمه على كل الناطقين بالعربية، وبذلك يثبت هذا المصطلح ويقوى ويتم التعامل به، أما وجود مجمع لكل دولة ، ومصطلح لكل دولة واختلاف التسميات، فإنه سيؤثر سلباً بمئات المرات مما يضطرنا إلى الرجوع إلى المصطلح الأجنبي واستخدامه، وذلك أسهل من الوقوع في متاهة التسميات المختلفة، وهذا غالباً ما يحدث للخروج من هذا المأزق، مما يعزز وجهة نظر الفئة التي تنهم اللغة بالقصور والتراجع .

ولابد من التنبيه هنا على مدى التقصير من قبل هذه المجامع، وذلك أنه بعد أن تشيع اللفظة أو المصطلح بين الناس وينتشر ويثبت استعماله يأتي

دور المعرب فيقول لنا هذا تلفاز ، وفي الحقيقة يكون المصطلح قد شاع وانتشر ومن الصعب تغيير مسماه فيما بعد ، ولكن المعرب يجب أن يكون حاضرا قبل شيوع مثل هذه الأجهزة وعند استيرادها ، وتنظيم لجنة تشرف على كل جديد وتطلق عليه المسمى الملائم ، بما يتناسب مع قوانين اللغة من جهة ، ودلالة المسمى من جهة أخرى .

رؤيا ذاتية:

لكي نضمن للغتنا العربية نقاءها وبقاءها وديموميتها وحيويتها علينا الاستفادة من كل معطيات العصر الحديث التقنية، وبخاصة في مجال الحاسوب، وأنا أتوقع إذا لم أسبق إلى هذا الرأي أو الاقتراح أن يأتي اليوم الذي نستطيع فيه الاستفادة من هذه التقنية المتطورة، وذلك ببرمجة قواعد الاشتقاق والنحت والتعريب، وأوزان الكلمة العربية، وكل إمكانيات اللغة التي لم يتم استغلالها بعد، وتخزينها ومن ثم الطلب إليه إعطاء أفضل البدائل والوجوه لما يقابل هذه المصطلح بالعربية ؛ أي إخضاع تكنولوجيا المعلومات لخدمة اللغة العربية، ولا بد من توحيد الجهود والعمل المشترك كل في مجاله العالم واللغوي والمبرمج و.... والاستعانة بخبرات غير عربية في ذلك ، وقد يكون هذا هو أملنا في إنقاذ لغتنا حاليا مما تعانيه، وجعلها من اللغات العالمية الحية ، وقد عملت اليابان بعد أن منعت من استمرار محاولاتها لإيجاد لغة بديلة عن الانجليزية خاصة بها للتعامل مع الكمبيوتر على تكثيف جهودها للعمل على الترجمة الآلية الذاتية المتطورة، وهنا يكمن الدور الحقيقي لمجامع اللغة العربية في العالم العربي، أما استمرارنا بإصدار التوصيات، والمقترحات وعقد المؤتمرات فقد ثبت فشل ذلك فشلاً ذريعاً وما نحتاج إليه هو خطوات عملية إجرائية ملموسة في الواقع، ومقنعة لأبنائنا ومستخدمي اللغة العربية. ولا شك أن هذا اليوم آت بإذن الله، فتكون كل هذه السبل والاكتشافات قد سخرت في حفظ العربية التي هي في حد ذاتها حفظ للقرآن الكريم .

الخاتمة :

نستطيع أن نتبين مجموعة من الخصائص التي تتميز بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات العالمية الأخرى ، ومن أهمها :

١. تتميز اللغة العربية عن غيرها من لغات العالم بإمكانيات هائلة لم يتم استغلالها الاستغلال الأمثل ومن أهمها: الاشتقاق، والنحت، والتعريب.
٢. إن العجز عن تكوين مصطلحات علمية جديدة لا يمكن عزله عن الجمود والخمول في الساحة العربية في مختلف الميادين ، وليس سببه اللغة .
٣. هناك قواعد وقوانين ونظريات لغوية مبنوثة في ثنايا المعاجم العربية تساعدنا على تيسير لغتنا على الدارسين، إذا ما تمت دراستها بعناية ودقة.
٤. من خلال استقراء منهجي يتبين لنا أن التطور الشامل في التأليف المعجمي قد تراجع بشكل كبير بنهاية القرن الثامن الهجري، أي بعد تأليف لسان العرب .
٥. قصور المجامع العربية الحديثة في استغلال إمكانات اللغة في تعريب المسميات والمصطلحات الحديثة، وعدم التنسيق فيما بينها، وتأخر حركة التعريب مما يؤدي إلى الإرباك في إطلاق المسميات .
٦. قابلية اللغة للتطور من الداخل إلى الخارج عن طريق الاشتقاق والنحت، ومن الخارج إلى الداخل عن طريق الترجمة والتعريب ففيها دينامية قادرة على تسريع النهوض ومقاومة الغزو الثقافي عن طريق الاشتقاق والتوالد من داخل المفردة، وتعادل في ذلك وسائل الإثراء والتوالد الخارجي، مما يخفف الحاجة إلى التعريب والترجمة؛ حيث تتم الاستجابة للمتطلبات الحضارية في العلوم المختلفة والفن و التكنولوجيا بالوضع والاشتقاق أي بعلاج طبيعي ذاتي ينسجم مع

قواعد اللغة ومنطقها ولا يثير الشك والرفض لدى السامع والمتكلم مما ينعكس إيجاباً على نفسية المتحدثين بهذه اللغة وهذا الرصيد الإيجابي القياسي يقلل من الصعوبة المنسوبة باطلاً إلى العربية كلغة حية ولسان مبين. (الخافاني، ٢٠٠٥)

توصيات :

١. توجيه اهتمام الطلبة المبدعين في الثانوية العامة إلى دراسة اللغة العربية ، وتقديم التشجيع المادي والمعنوي لهم لاجتذابهم إلى هذا الحقل .
٢. وجود أقسام في الجامعة لتعليم اللغة نفسها ، وليست لعلوم اللغة فهناك أقسام على سبيل المثال لتعليم اللغة الإنجليزية إضافة إلى وجود أقسام لعلومها.
٣. التنسيق بين المجامع اللغوية العربية لتوحيد المصطلحات وتبني نشرها ودعمها مادياً ، وقد اتخذت بعض الدول المتقدمة - إدراكاً منها لأهمية اللغة - كاليابان مثلاً حيث يتبنى المجلس الوطني للغة ، ويتكون من خبراء لغويين أمر إدخال المصطلحات والمستجدات اللغوية، وتطبق قراراته من قبل مجلس الوزراء . وتقوم الأكاديمية الفرنسية بالجانب العلمي فيما يتصل بالسياسة اللغوية، وصك المصطلحات البديلة للأنجلو سكسونية باللغة الفرنسية وتنتشرها في الجريدة الرسمية .
٤. كثرة الحلول النظرية لما يعترض اللغة من إشكاليات مقابل الحلول العملية التطبيقية الفعلية .

وأخيراً لا بد من الاعتراف بأن ما بذله الأوائل من جهد في سبيل جمع اللغة وتنقيحها وتبويبها ودراستها يعد معجزة إذا نظرنا إلى ذلك الكم

الهائل من التأليف في هذا الميدان، ولا أظن أن لغة على وجه الأرض قد حظيت بهذا الاهتمام، وتلك العناية، ومرد ذلك إلى أن الله اختارها لتبليغ رسالته، واختار العرب لحمل هذه الرسالة فشرّفها بهذا الاختيار وشرف حملتها بهذا التبليغ الذي كلفوا به فتقنوا في المحافظة عليها فظلت ناصعة غضة، نحس فيها بعبق القرآن العظيم، ونتبين منها معجزات الرسول الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف اللسان العربي بالبيان على كل لسان، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآن، وأنه لغة أهل الجنان. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحبوا العرب لثلاث: لأنّي عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي". [١٢]

المصادر والمراجع :

١. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢. العربية المعاصرة في خضم التطورات المتنوعة ، محمد خافاني ، مقال منشور، الجمعية الدولية للمترجمين العرب ، ٢٠٠٥ .
٣. قصة التعريب في المغرب ، عبد العزيز بن عبد الله ؛ مقال منشور ، الإنترنت (٢٠٠٥) .
٤. جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر بيروت.
٥. الصحاح، الجوهري ، ط (٢) بيروت، ١٩٩٧م .
٦. كتاب الإبانة، سلمة بن مسلم العوتبي، تحقيق عبد الرحمن خليفة وآخرون، ط (١) ، ١٩٩٩م.
٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت ط (١) ، ١٩٩٧م.
٨. المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، عز الدين إسماعيل، دار غريب للطباعة والنشر.
٩. دراسة في مصادر الأدب، الطاهر أحمد مكي، دار الفكر العربي، ط (٨) ، ١٩٩٩م.
١٠. مناهج التأليف عند العرب، مصطفى الشكعة.
١١. روضة التراث، عطا أبوجبين، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، ط (١) ٢٠٠٤م .
١٢. المخصص، لأبي الحسين علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده ، دار الفكر.
١٣. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م .

١٤. نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٥ م.
١٥. المزهر في علوم اللغة ، السيوطي ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ١٩٨٧ م .
١٦. مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، اقتراح تكوين المصطلحات العلمية العربية ، عبد المالك بوحجرة ، العدد (٩) ، ١٩٩٨ م (٨١ - ٩٥) .
١٧. النظريات اللغوية في المعاجم العربية، عطا أبوجبين، المنتدى الأدبي، ٢٠٠٥ م .
١٨. اللغة العربية وتحديات العولمة : نبيل علي ، مجمع اللغة العربية الأردني ، ٢٠٠١ ، : (٧٧ - ٩٥) .
١٩. اللغة العربية حفظها الله ، خيري ركوة ، مقالة منشورة (إخوان أون لاين) ٢٠٠٤ .



[١] سورة الجحر ، الآية (٩) .

[٢] كتاب العين ، ص : (٨)

[٣] الجهرة ، ج (١) ، ص : (٤) .

[٤] المصدر السابق ن ص : (٧) .

[٥] الجهرة ، ج (١) ن ص : ١٢ .

[٦] مقدمة الصحاح ، ص : (١١٨ - ١٢٩) .

[٧] الإبانة ، ج (١) ص : ٥٦ .

[٨] المصدر السابق ، ص : (١٦) .

[٩] المصدر السابق ، ص : (١٠١ - ١٢٢)

[١٠] ت فقه اللغة: ص (٣١٤ - ٣١٦).

[١١] عبد المالك بوحجرة، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، العدد (٩) ١٩٩٨ م ص:

(٨١ - ٩٥).

[١٢] لسان العرب، ج (١) ص: (٩).

حوار الحضارات .. رؤية مقاصدية

أحمد بوعود / كاتب وباحث - المغرب

أشير بداية إلى أن حوار الحضارات لم يأخذ حقه في الفكر الإسلامي المعاصر إلا بعد محطتين اثنتين: تتمثل الأولى في صدور كتاب صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون، والثانية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، إذ كثرت وتنوعت الكتابات حول حوار الحضارات، تبين أن الإسلام دين تعايش وسلام مع الآخر، ينبذ العنف ويدعو إلى العدل وحسن الجوار. هذه الكتابات، رغم حسن نوايا أصحابها وغيرتهم، جاءت متأخرة جداً، ولتتفي أمراً واقعاً بالمسلمين، وهو العنف؛ ذلك بعد ما أضاع الفكر الإسلامي المعاصر جهوداً ووقتاً في دحض نظريات الآخر وأفكاره. وكان الأولى أن يتجه إلى بيان المزايا والمقومات الذاتية للمسلمين كما هي محددة في كتاب الله عز وجل وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء الراشدين.

اليوم، بعد الإجابة عن سؤال الشرط الذاتي، يبقى الجواب عن مرامي الحوار مع الآخر مطلباً أساسياً للفكر الإسلامي المعاصر. وأظن أنني لست بحاجة إلى بيان ضرورة الحوار، سواء مع الذات أو مع الآخر، فالآيات

القرآنية جاءت تحض على قيم إنسانية كبرى، والسيرة النبوية تجسيد لعلاقة الإسلام بالآخر. ولعل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين المعاملة" أبلغ وأجمل وصف لعلاقة المسلم بأخيه المسلم وبغيره من الناس، أيا كانت ملتهم...

إن غاية المسلمين من الحوار مع الحضارات الأخرى تنفيذ أوامر الإسلام الكبرى التي لا يمكن لأية ديانة أو مذهب رفضها، وذلك لاتفاقها الفطرة الإنسانية. وقد تختلف أغراض الحوار من جماعة إلى أخرى، لكن تبقى الغاية الكبرى تعايش الإنسانية كلها في دولة كونية تقوم على الشعور بالمسؤولية في إحقاق الحق وضمان حرية الإنسان وكرامته. ويمكن إجمال هذه المقاصد في:

أولاً: التعارف والتعاون والتكامل

نجد أصلاً لهذا في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

(الحجرات: ١٣)

يعلق ابن عاشور على هذه الآية قائلاً: "والمقصود أنكم حرفتم الفطرة وقلبتم الوضع فجعلتم اختلاف الشعوب والقبايل بسبب تناكر وتطاحن وعدوان" (١). والتعارف مع المخالفين لدين الإسلام والتعاون معهم هو ما لم يمنعه القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

(المتحنة: ٨)

كما أن هذا التعارف والتعاون يمهد له قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَدَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ. كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(الأنعام: ١٠٨)

ونموذج التعاون والتكامل هو الكلمة السواء التي ينبغي أن يجتمع حولها المسلمون مع أهل الكتاب كما يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران: ٦٤)

وسواء اسم مصدر من الاستواء، وهو العدل أو القصد. قال ابن عطية: "ما يستوي فيه جميع الناس" (٢). ومن مقتضيات هذا التعارف والتعاون والتكامل حسن الخطاب كما تحدثنا عنه الآية الكريمة: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. (النحل: ١٢٥)

هذه الآية، كما يقول محمد الطاهر بن عاشور، جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق. وهي البرهان والخطابة والجدل المعبر عنها في علم المنطق بالصناعات" (٣). ونجد نموذجاً في خطاب الله عز وجل إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤). والقول اللين لا يعني الضعف والذلة أو قول ما ليس بحق.

ويقول الدكتور جمال الدين عطية: "ولأنها سنة إلهية تدركها العقول، والفترة السليمة، فقد اكتفى القرآن بإيراد المقصد تاركاً لتفاصيل التنفيذ المرونة اللازمة لتغطية الواقع الدولي المترامي الأطراف الممتد عبر الزمان، ولكنه أكد على ضابط مهم في جانب المؤمنين ليكونوا نماذج للتجرد الإنساني الرفيع (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة: ٨) كأنه يشير إلى وجود التعاملات بين المعتدين ولذلك يأمر بالعدل بينهم" (٤). لكن التعاون المطلوب هو الذي لا يعارض أصلاً من أصول الدين، وإلا كان محرماً.

ثانياً: تحقيق سلام عالمي قوامه العدل

بدءاً من الأسرة، الخلية الأولى للمجتمع، إلى العشيرة، إلى القبيلة، إلى الدولة، إلى العالم، وابن آدم لا هم له سوى إقامة العدل في محيطه وإشاعة السلام. وهذا ما تترجمه تلك العقود والمعاهدات في قرون ما قبل الإسلام وبعده. هذه المعاهدات مكنت من تعايش كوني وتبادل اجتماعي وثقافي، وحوار على جميع المستويات.

وكثيرة هي الآيات التي تأمر المسلم بالعدل مع أخيه المسلم أو أخيه الإنسان، منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا. وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ. إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

(النساء: ٥٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾.

(النساء: ١٣٤)

﴿لَا يَجْزِيكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا. اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(المائدة: ٩)

والعدل من أهم وظائف النبوة التي يمثلها قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ. وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ. اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ (الشورى: ١٥)، فهذه الآية تمثل أساس بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وهو إقامة العدل بين الناس في شتى المجالات، لما كانوا يعيشونه من ظلم وفساد. وجميع الشرائع السماوية والقوانين الوضعية إنما جاءت لأجل تحقيق العدل.

والإسلام شريعة العدل كما يبين ابن القيم رحمه الله: "الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة

إلى العبد، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل. فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه..."(٥).

ويدعو الإسلام لسلم تنخرط فيه الإنسانية كلها من غير تمييز أو تفریق كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. (الأنفال: ٦١)

ويرى الدكتور جمال الدين عطية أن من وسائل حفظ السلام "إيجاد تنظيم دولي يحقق الأمن الجماعي وتنظيم التعاون في المجالات المختلفة، وترتيب المعاهدات بين الدول والإشراف على تنفيذها"(٦).

ثالثاً: حماية حقوق الإنسان

تحرير الإنسان من عبودية العباد ورفع الظلم عنهم غاية أسمى جاءت من أجلها رسالة الإسلام. وهذا ما ينبغي التبشير به للعالمين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُودِ وَالْبَحْرَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾. (الإسراء: ٧٠)

هذه الآية جمعت منّا، هي: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات. ويروي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قام لجنازة، فقل له إنها جنازة يهودي. فقال: أليست نفساً ؟

و"يعتبر الإسلام كل واحد من أفراد البشر مكلفاً. أي مطلوباً منه أن يقوم بواجباته الكاملة نحو ربه، ونحو نفسه، ونحو المجتمع الذي هو منه، والإنسانية التي ينتسب إليها. والتكليف في العرف الإسلامي يقوم مقام المواطنة في العرف الديمقراطي الحديث"(٧). ويمكن أن نعدد بعضاً من هذه الحقوق كالتالي:

أ. حق الحياة: وهذا أول حق ينبغي أن يضمن للإنسان حتى يستطيع القيام بما كلف به. وقصد الإسلام من الحياة الخاصة هو قصده للسلام العام الذي يحفظ وجود المجتمعات والأفراد. وهذا يقتضي:

- منع أي كان من الاعتداء على حياة الآخر.
- منع الانتقام والأخذ بالثأر كما كان على عهد الجاهلية، واتباع العدل في مثل هذه الحالات.
- منع الانتحار بتجنب الإنسان أسبابه.
- إشاعة السلم العام.
- محاربة الأمراض الفتاكة.

ب. حق الكرامة: وهذه حق لكل إنسان، برا كان أم فاجرا، كما مر معنا في آية التكريم والتسخير.

وقد مر معنا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ. كَذَلِكَ زِينًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨). وفيها منع للمسلم من الانتقاص من قدر ما يقده الآخر أو يعتز به. وإن كان، فإنه يعود بمس الكرامة الإنسانية من جهتين. هذا، وحفظ الكرامة الإنسانية من الضرب والقتل والتمثيل أولى.

ج. حق الحرية: وهي خلق ذاتي وشخصي للإنسان تتجلى آثاره في أعمال الإنسان الصادرة عن شعوره بالتكليف. وأول حرية هي حرية الإيمان، كما يحدثنا عنها القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

(الكهف: ٢٩)

لكن هذه الحرية مضمونة ما لم تتجاوز الحدود، وإلا صارت اعتداء على حق الغير. هذا، فضلاً عن حرية العمل، وحرية البحث العلمي، والحرية الفردية، والحرية، الوطنية، والحرية السياسية... ويعتبر "الدفاع المخلص عن حقوق الإنسان شغلة خلقية رفيعة يبذل فيها الفاضلون من غير ديننا الجهود

المحمودة. هذا أمر واقع لا ينال منه تتكر الساسة المحترفين ولا ينبغي أن نتردد في التعاون المخلص مع نداء الضمير الإنساني الرائع الذي يدفع الجمعيات غير الحكومية عند نظرائنا في الخلق للتضحيات المشكورة، ما لم يتعارض ذلك النشاط الإنساني مع أصل من أصول ديننا" (٨).

هذه هي المقاصد المرجوة للمسلمين من الحوار مع الحضارات الأخرى، بل هي نفسها المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية؛ ذلك أن المقصد العام للشريعة الإسلامية، كما يعرفنا علال الفاسي رحمه الله، هو "عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع" (٩).

فعمارة الأرض ليست مسؤولية المسلمين وحدهم، بل لا بد لهم من إشراك الجميع، من أصحاب الثقافات والديانات الأخرى، في حدود من الاحترام والثقة المتبادلة. وكذلك حفظ نظام التعايش في هذه الأرض، بل على المسلمين أن يكونوا سباقين إلى حفظ هذا النظام، والمساهمة في وضع معالمه وأسس، باعتبارهم حملة رسالة هي خاتمة الرسالات، وبناء حضارة كانت رائدة للحضارات الأخرى.

واستمرار صلاح الأرض، كما يوضح علال الفاسي، لا يكون إلا بصلاح المستخلفين، مسلمين أو غيرهم. وهنا لا أدع الفرصة تمر للتأكيد على ضرورة إلغاء ذاك التقسيم السائد لدى غالبية المسلمين، بما فيهم العلماء والفقهاء، لغير المسلمين الذي يعتبر دارهم دار حرب !

لكن مادام المسلمون هم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبشريعة ربه عز وجل، فإنهم معنيون بالصلاح أكثر من غيرهم. وتقع عليهم مسؤولية تبليغ ما عندهم من خير الإسلام والاستقامة. هذه الاستقامة والصلاح إنما تجلياتها في العقل والحكمة في المعاملات، وفي العمل المنتج المثمر الذي

يجمع ولا يفرق، لا العنف الذي يهدم كل شيء، ولا الباطل الذي لا يتم فوقه بناء.

وأما الإصلاح في الأرض واستنباط خيراتها فإنه مقصد للمحافظة على الإنتاج الأرضي، وإبقاء ميزة التكريم، التي كرم بها الله بني آدم على حد سواء. ومن هذا أيضا توزيع ثرواتها بعدل وإنصاف، وإسعاف المحتاجين. وهنا تبدو مسؤولية الدول الغنية تجاه الدول الفقيرة التي لا تنتج ما يكفي حاجياتها.

أما تدبير منافع الجميع فإنه يعني الوقوف مع المحتاجين والمتضررين، وكذا كل من تصيبهم آفة من الآفات، من أي نوع كان... وتبقى النقطة الجامعة هي الوقوف على تحقيق مصالح الكون والمتعاشين فيه، وتجنبيهم كل ما من شأنه أن يضر بمصالحهم جميعا.

وأشير أن هذه النقط لن تؤدي أكلها وتكون لها الثمار الطيبة إلا إذا تحققت في الدول الإسلامية شروط أربعة:

١. إشاعة الديمقراطية، بما يصاحب ذلك من محو الاستبداد وإقامة العدل.

٢. النهوض بحقوق الإنسان.

٣. إصلاح التعليم.

٤. استثمار طاقات وإمكانات الأمة بدل أن يستثمرها الآخر، فكم من طاقات لا يستفيد منها إلا الآخر، وكم من إمكانات ومقدرات الأمة لا يستغلها إلا الآخر، والنفط في مقدمة ذلك.

الإحالات:

١. ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٢/ ٢٦٠، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٢. نفسه ٣/ ٢٦٩
٣. نفسه ٧/ ٣٣١.
٤. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة ص ١٦٦. ط١، دار الفكر، دمشق ٢٠٠١.
٥. إعلام الموقعين ٣/ ٣، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.
٦. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة ص ١٦٩.
٧. علل الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص ٢٢٥، ط ٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٩
٨. عبد السلام ياسين، العدل.. الإسلاميون والحكم ص ٣٢٢ ط ١، ٢٠٠٠، مطبوعات الصفاء.
٩. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص ٤٢.

إستشهاد الحسين وثقافة الانتقام

دكتور أحمد راسم النفيس
جامعة المنصورة - مصر

تأتي ذكرى استشهاد أبي الأحرار الحسين بن علي سلام الله عليه في وقت تحوم فيه حول العالم الإسلامي سحب الفتنة الطائفية الداكنة التي تدفعها تلك الرياح الآتية من الغرب عبر المحيط الأطلسي والتي يراد لها أن تمطر على رؤوسنا دما قانيا وكأنه لم يكفنا تلك الأنهار التي سكبت من قبل هباء منثورا من دماء المسلمين وثوراتهم !!

كان من الممكن أن تكون هذه الذكرى السنوية مناسبة لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أو حتى لتحقيق التقارب بدلاً من السعي الدعوب لتكريس الصراع بينهم خاصة وأنا كثيراً ما نسمع من يقول (أننا نحب أهل البيت وأن هذا الحب ليس قاصراً على طائفة من المسلمين دون غيرهم) إلا أن الواقع المعاش والتشويش المتعمد على تلك المناسبة والإصرار على وصم المحنّفين بذكرى استشهاد الإمام الحسين بشتى الصفات السلبية وتصوير الأمر كنوع من الهوس وتكريس رغبة الانتقام والتشفي.

وحدهم الأسوياء هم الذين يصرخون من الحزن والألم أما فاقدو
الشعور فقد اختاروا لأنفسهم تلك الغيبوبة الإرادية.

ليس من العدل ولا من المنطق أن يجري التنديد بما يعده البعض
نزعة انتقامية شيعية من دون التنديد بالظلم والعدوان وهو السبب الرئيس لكل
الشرور والآثام التي يعاني منها البشر.

الآن يجادل أهل السياسة حول الإرهاب محملين الاحتلال الإسرائيلي
لفلسطين المسؤولية عن هذه الظاهرة وأن حل هذه القضية حلاً عادلاً سينزع
من يد الإرهاب سلاحاً طالما تذرعه به وهو ما تمارسه إسرائيل من مظالم
بحق الشعب الفلسطيني الأعزل من السلاح.

بعض هذا المنطق وليس كله صحيحاً وهو لا يعدو كونه تفسيراً
لجانب معين من جوانب السلوك الإنساني وهو سيكولوجية الانتقام التي هي
مكون طبيعي من مكونات النفس البشرية.

جانب طبيعي نعم .. ولكنه يحتاج إلى تهذيب وضبط وربط بقواعد
الشريعة والقانون وإلا أصبح السلوك الانتقامي سلوكاً عدوانياً يتعين إدانته
والوقوف بوجهه.

يروى نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) أن الإمام علي عندما فرغ
من واقعة الجمل قام بمعاقبة من تخلف عن نصرته من المسلمين فقال: ألا إنه
قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زار. فاهجروهم وأسمعوهم
ما يكرهون حتى يعتبوا، فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي - وكان صاحب
شرطته - فقال: والله إنني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً. والله لئن
أمرتنا لنقتلنهم فقال علي: سبحان الله يا مال، جرت المدى، وعدوت الحد،
وأغرقت في النزاع! فقال: يا أمير المؤمنين، لبعض الغشم أبلغ في أمور
تتوبك من مهادنة الأعادي. فقال علي: ليس هكذا قضى الله يا مال، قتل النفس
بالنفس فما بال الغشم. وقال: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا

يسرف في القتل إنه كان منصوراً). والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك، فقد نهى الله عنه، وذلك هو الغشم.

ولأن الله تبارك وتعالى خلق السماوات والأرض بالحق ووضع الميزان ليحكم الناس بالعدل فالغشم هو نقيض العدل وهو انتقام جائر وهو عدوان حتى ولو كان الهدف منه رد الناس إلى الصواب.

الذين ينددون بالنزعة الانتقامية عليهم في نفس الوقت أن ينددوا بالظلم والعدوان ليصبح كلامهم كاملاً وليس على طريقة (ولا تقربوا الصلاة). القصاص العادل هو مقوم من مقومات الحياة الإنسانية الصحيحة والسليمة (ولكم في القصاص حياة يا أولي اللباب) وعندما تتجاهل الأمم مثل هذه القاعدة ويصبح الظلم مباحاً للذي هو أقوى وأقدر على استباحة وانتهاك حرمت الآخرين لا بد أن تتدخل الإرادة الإلهية انتقاماً من الذين أجرموا ويومها لا يستثنى من هذا الانتقام إلا من رحم الله ممن لم يرضى ولم يقر بهذا الظلم.

﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلْآخَرِينَ ﴾ الزخرف ٥٥-٥٦.

دور الجماعة البشرية

ولأن الظلم والعدوان على حقوق العباد لا يحدث في فراغ وإنما يحدث على أعين الناس فهناك مسئولية ملقاة على عاتق الجماعة الإنسانية في إدانة العدوان ومواساة المظلوم والتخفيف عنه في محنته.

إنه الدور الذي يتعين على الجماعة الإنسانية القيام به ولو أنها وقفت من الظلم موقف اللامبالي فهي داخلة من دون أدنى شك في زمرة المعتدين. إنه الموقف الذي يجمله الإمام علي بن أبي طالب بقوله: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَى وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَنَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ

تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوْهُ بِالرِّضَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُورَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

لو لم تتقاعس الجماعة البشرية عامة والأمة الإسلامية على وجه الخصوص عن نصرته المظلوم والأخذ على يد الظالمين والحيلولة بينهم وبين التمادي في ظلمهم لما كان هناك مجال للعُدوان على العباد ولتقلصت حاجة الناس للقصاص ومن باب أولى للانتقام بنوعيه العادل والعشوائي. إنه ليس كلاماً نظرياً أو تصوراً مثالياً بل هي حاجة أخلاقية وضرورة بقاء للمجتمعات حتى وإن لم تدرك كلها.

ليس كل الناس كعلي بن أبي طالب الذي رفض طلب قائد الشرطة بممارسة الغشم ولو سبيل الإرهاب والتأديب ولا زالت مجتمعاتنا تمارس عادة الثأر البدائي الجاهلي لا لشيء إلا لأن هؤلاء وقر في أذهانهم أنهم لن يحصلوا على حقهم ممن ظلمهم عن غير هذا الطريق.

نظرة على احتفالية إعدام صدام تكشف أننا ما زلنا بعيدين عن تحقيق هذا المطلب فنحن غارقون في مستنقع تبرير الظلم والإجحاف بل وأصبحت هذا الثقافة سلعة رائجة في أسواق الدعاية والإعلام ولا نرى ثمة ضميراً جمعياً يقظاً يدين الظلم والعدوان أياً كان مصدره أو ضحيته ولا شك أن إدانة الظلم من قبل المخالفين في الدين أو المذهب تشير إلى نفوس حية تأبى الظلم لغيرها مثلما تأباه لنفسها.

لو أن المسلمين أضافوا إلى ثقافة الأُمجاد السائدة ثقافة إدانة الظلم والظالمين فربما تقلص الخوف من النزوع الانتقامي للمظلومين والمضطهدين وربما تحقق نوع من التضامن النفسي بينهم على عكس تلك الحالة السائدة الآن.

فبينما يستذكر فريق من المسلمين مأساة مقتل ابن بنت نبيهم يصر الطرف المقابل على اعتبار الأمر نوعاً من الهياج والهوس غير المبرر أو يتجاهل الأمر برمته!!.

ثم يقولون نحن جميعا نحب أهل البيت!! ولكنهم لا يحزنون لحزنهم ولا يأسفون على ما نزل بهم وبنا من ظلم وإجحاف!! أذكر أنهم كانوا يعلموننا في دروس القومية العربية أننا (أمة وحدتها الآلام والآمال). ولا أدري لماذا لا يتكرم علينا سدنة القومية العربية الوهابية المعاصرين باعتبار استشهد الإمام الحسين بن علي واحداً من تلك الآلام حيث لم يبق لنا من هذا المشروع سوى الآلام والأوجاع. أما الآمال فنحن يكفيننا بحمد الله من الغنيمة الإياب!!.

الانتقام من الظالمين هو حق بشري مشروع خاصة وأن البعض ما زال يصر على إبقاء نفس النهج الأخلاقي المقلوب الذي يستثني أهل البيت وشيعتهم من كل المعادلات الاجتماعية العادلة ويسعى لإبقائهم على هامش الحياة.

وبدلاً من أن يستنكر القوم ما يسمونه بالنزعة الانتقامية الشيعية كان عليهم أن يقفوا مع المظلوم في مواجهة الظالم وأن يأخذوا على يديه بدلاً من الإصرار على انتهاج نفس النهج الأموي الجائر ليسلموا وتسلم مجتمعاتهم من القصاص الإلهي القادم لا محالة.

القصاص الإلهي العادل ممن ظلم مأكلاً بمأكلاً ومشرباً بمشرب هو حتمية كونية إلهية وهو آت لا محالة مهما حاول الأمويون القدامى والجدد إطالة عمر نظمهم القمعية الظالمة التي لم تبق بيتاً من بيوت المسلمين إلا وأدخلته حزناً وهماً لا يزول إلا بزوال الظالمين والقصاص العادل منهم.

كان على هؤلاء لو بقي لديهم ذرة من عقل أن يتعظوا مما لحق برفيقهم طاغية العرب صدام ولكنهم لا يعقلون ولا يتعظون.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْنْتُ مَدْرٌ وَلَا وَبَرٌ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظُّلْمَةُ تَرْخَةً وَأَوَّلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ. وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْ ظَلَمٍ، مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقْرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْأَثَامِ. فَأَقْسِمُ، ثُمَّ أَقْسِمُ، لَتَتَخَمَّنَهَا أُمِّيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النُّخَامَةَ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ !!. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ.

أضواء

على المنهج الأخلاقي للمرجع
الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده)

بقلم سماحة الشيخ شاکر الشبيبي
باحث إسلامي - العراق

الحديث عن المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده) حديث عن
القمة الشامخة في صفات الكمال الإنساني في أبعاده المتعددة العلمية والروحية
والفلسفية والعرفانية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والجهادية والكلامية
والعبادية والمنطقية والعقائدية و.. الخ.

فلقد حباه الله تعالى من الصفات والخصال ما جعله قطباً من قوى الجاذبية
وبحراً عميق الغورية وروحاً دائمة الشغافية وسيفاً قاطع الحدية وعبداً صادق
العبودية وعالماً غزير العلمية وشمساً في العطاءات الأخلاقية ومجدداً للحياة
المرجعية حتى شهد له القريب والبعيد بأنه المصدق الحق للخلق المحمدي
والإباء العلوي والفداء الحسيني.

والحديث عن منهجه الأخلاقي في حياته المباركة هو الحديث عن التجسيد الكامل للمنهج الأخلاقي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولقد شاعت إرادة الله تبارك وتعالى تجسيد هذا المنهج في الرجال الذين اصطفاهم لنفسه واستخلصهم لذاته وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وأفضلهم جميعاً خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد (ص) الذي كان خلقه القرآن الكريم.^١

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الرسل ومصابيح الأرض كما جاء في الحديث النبوي الشريف وأكثر الناس خوفاً وخشية منه جل شأنه ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾.

(فاطر - ٢٨)

فحري بالعالم العامل والقائد الكامل أن يكون مصداقاً للأخلاق الإسلامية التي يريد بها القرآن الكريم وتؤكد بها السنة النبوية الشريفة ويجسدها الرسول الأعظم محمد (ص) لأنه الأسوة والقدوة في ذلك ﴿ ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

(الأحزاب - ٢١)

أبعاد المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم :

فالقرآن الكريم يرسم أبعاد المنهج الأخلاقي الذي تريده السماء لخليفة الله في الأرض بالآيات المباركات:

١. ﴿ ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل ١٢٥).
٢. ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (آل عمران ١٥٩).
٣. ﴿ وانك لعلی خلق عظیم .. ﴾ (القلم: ٤).

^١ كما جاء في الحديث عن السيدة عائشة عند سؤالها عن أخلاق النبي (ص) فقالت: لقد كان خلقه القرآن .

٤. ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).
 ٥. ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.. ﴾ (الفرقان: ٦٣).
 ٦. ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (الحشر: ٩).
 ٧. ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ (المؤمنون: ٢).
 ٨. ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الشعراء: ٢١٥).
 ٩. ﴿ أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين.. ﴾ (المائدة: ٦٧).
- وغيرها كثير.

أبعاد المنهج الأخلاقي في السنة النبوية:

وتؤكد على هذه الأبعاد الروايات التي وردت عن السنة النبوية الشريفة والأئمة المعصومين (ع)، بل وتضيف إليها أبعاد أخرى للمنهج الأخلاقي الذي يريده الإسلام العظيم للمجتمع الإنساني الصالح:

- (إن لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم).
- (صاحبوا الناس مصاحبة إن غبتم إفتقدوكم وإن متم بكوا عليكم).
- (.. وقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم،..).
- (ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء).
- (من سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني فقد سرّ الله..).
- (ثلاثة من مكارم الأخلاق: أن تغفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم عمن جهل عليك).

وعشرات الروايات الأخرى التي يمكن ذكرها في هذا المقال والتي لا

يسع المجال لذكرها..

أبعاد المنهج الأخلاقي في القرآن والسنة :

إذن فيمكن أن نستنتج ممّا تقدم بعضاً من جوانب المنهج الأخلاقي الذي يريده الإسلام وتحلّى به الأنبياء وخاتمهم سيد الاولين والآخرين محمد (ص) وأهل بيته وأبنائه وأحفاده البررة وأحدهم سيدنا ومولانا المرجع الشهيد المظلوم السيد محمد باقر الصدر(قده) ومنها:

١. الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
٢. مناقشة المخالفين والجاهلين والغافلين بالتّي هي أحسن من القول السديد، والكلمة الموزونة والمنطق، (وجادلهم بالتّي هي أحسن).
٣. التحلي بالصبر والحلم والعطف والمودة واطهار اللطف والمحبة والاحسان حتى للمسيئين وهي من سمات الخلق الرفيع (وإنك لعلی خلق عظیم).
٤. تجسيد الرحمة الإلهية في وجود العبد الصالح بالنسبة لإخوانه المؤمنين بقضاء حوائجهم وتيسير أمورهم والمساهمة بكشف الضرّ عنهم ومساعدتهم في بناء حياتهم الحرة الكريمة على أساس الإسلام ومبادئه الأخلاقية التي هي (رحمة للعالمين).
٥. التواضع في السير والسلوك والإعراض عن الجاهلين الذين يحسدون الصالحين لصالحهم ويحاولون الاساءة اليهم بالاقوال البذيئة والتهم الباطلة والتعرض المشين (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).
٦. إيثار الآخرين على أنفسهم بالبذل والعطاء بالرغم من حاجتهم الماسة الى ذلك العطاء.
٧. الخشوع وحضور القلب في اللقاء مع الله والاعراض عن اللغو (الاحاديث التي لا فائدة فيها) وإن أصرّ الآخرين عليه.

٨. اللطف والتذلل مع المؤمنين والغلظة والشدة مع الكافرين وأعداء الدين.

٩. إيجاد العذر لأخطاء الآخرين من المؤمنين وقبول العذر من المقتدرين حيث جاء في الحديث الشريف (من لم يقبل عذراً من متصّل فليس بمسلم).

١٠. توقير الكبير (أباً كان أو أستاذاً)، واللطف بالصغير (إبناً كان أو تلميذاً)، ووصل الرحم حتى مع من قطعها لأنّ (صلة الارحام تطيل الاعمار وان كان أهلها غير أخيار) ^١.

١١. الدأب على فعل الخيرات بالرحمة للآخرين وإدخال السرور الى نفوس المؤمنين لأنّ ذلك سبب لادخال السرور على الله تعالى ورسوله الأمين (ص).

١٢. العفو عن الظلم (من المؤمنين)، ووصل من قطع منهم، والحلم عن جهلهم بحقوق الآخرين علّهم يعودوا الى الصراط المستقيم.

محمد باقر الصدر (قدس) المصداق للمنهج الأخلاقي في الاسلام :

ولقد جسّد المرجع الشهيد الصدر (قسده) هذه المعالم في الجانب الأخلاقي من حياته الحافلة بخير الدنيا والآخرة والتي ختمها بأعظم البر في أخلاق الانبياء والصالحين من عباد الله المخلصين بتصميم على الشهادة في سبيل الله تعالى كجده الحسين (ع) ولسان حاله يردد في كربلاء (القرن العشرين) مارّذه جدّه الحسين (ع) في كربلاء الطوفوف:

تركت الخلق طراً في هواكا

وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتي في الحب إرباً

لما مال الفؤاد الى سواكا

جسدها بما كتب من تراث في عالم الفقه والاصول والعقائد والفلسفة والتفسير الموضوعي والبنك اللاربوي في الاسلام وفلسفتنا واقتصادنا و...و...

وبما سلكه من سيرته مع أساتذته العلماء العظام وحنوه وعطفه واهتمامه بتلامذته الآيات والحجج وتعامله الاخلاقي الفريد مع أبناء آدم (ع) حتى لا تجد إنساناً يحمل في ذاكرته لقاءً أو حديثاً أو موقفاً أو حواراً أو معاملةً أو وكالةً أو توجيهاً لهذا الطود الشامخ إلا ويثني عليه.

ويكفيه في هذا المنهج الاخلاقي ذكر موقفين من مئات المواقف الاخلاقية الرفيعة لهذا الامام المظلوم (سلام الله عليه):

الاول: ذوبانه في مرجعية الامام الخميني:

حيث أمر حواريه وطلابه بذلك بالرغم من أنه المرجع المتميز بين أقرانه، بل ويتسامى في تواضعه لله تعالى في طاعة خليفته في الارض بأن يقبل بأن يكون وكيلاً للامام الخميني (قده) في قرية من قرى ايران إن أمر الامام بذلك فهل من خلق أسمى وأعزّ وتواضع أكبر وأجل من هذا يا ترى!؟

الثاني: عطفه على أعدائه:

ففي فترة الحجز وعندما كانت قوات الامن العفلكي تطوّق منزل المرجع الشهيد تطويقاً كاملاً كالذئاب التي تنتظر الفتك بفريستها، يتجسد الخلق الحسيني وهو الخلق الاسلامي المحمدي الاصيل في وجود المرجع المظلوم عندما يرى من زجاج النافذة أن العرق يتصبب من وجوه هؤلاء الاعداء في

يوم من أيام الصيف الحار فيعطف عليهم بعزمه على أن يسقيهم الماء كما فعل جده الحسين (ع) مع الحر الرياحي عندما لقيه في الطريق الى كربلاء وسقاهم الماء حتى رشف خيولهم ترشيفاً، وعندما يذكره أحد تلامذته بقوله: (هؤلاء هم الذين يطوقون منزلكم، ويعتقلون المؤمنين الاطهار من محبيكم وأنصاركم، هؤلاء هم الذين روعوا أطفالكم وحرموهم من أبسط ما يتمتع به الاطفال ممن هم في أعمارهم ؟).

فيجيب بخلقه الرباني:

(ولدي، صحيح ما تقوله: ولكن يجب أن تعطف حتى على هؤلاء، إن هؤلاء إنما إنحرفوا لأنهم لم يعيشوا في بيئة اسلامية صالحة، ولم تتوفر لهم الاجواء المناسبة الايمانية، وكم من أمثال هؤلاء شملهم الله تعالى بهدايته ورحمته، فصلحوا وأصبحوا من المؤمنين).^١

فسلام عليك يا سيدي أبا جعفر وعلى أختك العلوية المظلومة وقد رسمت لنا أعظم منهج أخلاقي في العصر الحديث أبيت إلا أن تدونه بحبر الشهادة الحمراء ليبقى خالداً ما بقي الدهر (يا حسين الثورة الاسلامية في العراق) والتأريخ البشري يردد أبد الدهر:

كذب الموت فالحسين مخلص

كلما أخلق الزمان تجدد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

« الرازي في تفسيره الكبير »

حجة الاسلام والمسلمين

سعيد الأعرجي / جمهورية العراق - بغداد

باحث في الشؤون الاسلامية

قال تعالى ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١) الإسراء/٩

توطئة:

إن كتاب الله تعالى هو الهداية التي لا يضل من سلكها والبحر الذي لا يصدى من ورده والنور الباهر الذي لا يعشى من سمت سمتته، والطريق المستقيم التي لا يعيى من سلكها وهو - مع ذلك كله - الحجة القصوى التي تتقب الباطل حتى تخرج الحق من جنبه، والدليل الأسمى الذي يصهر الزيف حتى يظهر الإعتدال مشرقاً، وهو خير ما يعتصم به معتصم، وأفضل ما يستمسك به مستمسك، لسانه أقوم لسان، وعبارته أوضح عبارة وأسلوبه أشرف أسلوب، ودليله أهدى دليل، من تمسك به فقد نجا، ومن انحرف عن

جادته فقد هلك، نفعنا الله به، وجعلنا من حزبه، وبصرنا بنوره، وجلا قلوبنا بهدايته. (٢)

والتفسير (وهو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها) من أقدم الإشتغالات العلمية التي تعهد من المسلمين، فقد شرح تاريخ هذا النوع من البحث والتتقير المسمى بالتفسير من عصر نزول القرآن كما يظهر من قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون).

البقرة/ ١٥١ (٣)

فالتفسير لغة مأخوذ من فسر المشتق بالإشتقاق الكبير من السفر وهو الكشف والظهور، يقال أسفر الصبح إذا ظهر وأسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفتها. أو هو مأخوذ فسر يفسر كضرب يضرب أو كنصر ينصر فسراً هو الإبانة وكشف المغطى تقول فسرت الشيء إذا بينه، وقال اللغويون أيضاً إن التفسير هو كشف المعنى اللفظ وإظهاره قاله في مجمع البحرين.

أما التأويل فمأخوذ من الأوّل كالقول من آل الأمر إلى كذا يؤول أي صار إليه ورجع منه، قيل للمرّجع مآل وأوّل الكلام تأويلاً بآله وقدره وفسره قاله في القاموس المحيط. وقال ثعلب إن التأويل والتفسير واحد.

فاستعمال التفسير في اصطلاح العلماء المعنيين أولهما التفسير الذي هو قسم من أقسام البديع الراجع الى المحسنات المعنوية، ويراد به عندهم أن يأتي المتكلم بمعنى لا يستقل الفهم بإدراك فحواه ما لم يفسره كلام آخر، والمعنى الثاني للتفسير فهو نَعْنِي بالكلام فيه في مقالنا هذا، وقد كثر كلام العلماء في شرح ماهيته (٤).

ونحن إذ نطالع التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) نجد به حراً زاخراً عميقاً قل نظيره وكثر الحوار فيه والمقارنة الجادة والنقل للروايات والأحاديث بأمانة، وليس معنى ذلك أنه يخلو من هنات بالمطلق فالممتنع يجد فيه ما يريد

من بحوث وموضوعات علمية طريّة غضة يعقد فيها المقارنات بين الآراء والأفكار ويرجح منها ما يرجح. كما أن متن كل علم وعمود كل صناعة-طبقات العلماء فيه متدانية، وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية، إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيره، أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة، وإنما الذي تباينت به الرتب، وتحاكت فيه الركب، ووقع فيه الإستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل... (٥)

إذن نصل إلى شيء جوهري وقاعدة كلية تحكم الجميع في التفسير حيث أنه البيان، فالفسر: البيان، فسر الشيء يفسره: بالكسر، ويفسّره: بالضم فسرأ وفسره: أبانه، والتفسير مثله ابن الأعرابي يقول: والتفسير والتأويل والمعنى واحد وقوله عزوجل: وأحسن تفسيراً. (٦)

سائلين الباري أن ينعمدنا برحمته وينفعنا بما علمنا ويجعلنا أدوات للهداية الى صراط المستقيم.

تعريف بالمؤلف

من هو فخرالدين الرازي؟

هو إمام المتكلمين، وقامع المبتدعين، فخر الإسلام والمسلمين، وحجة الله على العالمين، والعالم المتبحر، قدوة الأنام وبدرهم المشرق، وتاج المحققين وشمسهم الساطعة الضياء، الإمام المتصدر العلامة فخرالدين الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب المفسر المتكلم الأصولي المتطبيب صاحب التصانيف المشهورة، وحسبه فضلاً وعلو منزلة أن علماء الأصول إذا نقلوا عنه قالوا: وقال الإمام، أو وعند الإمام، وإذا قالوا: قال الإمام بدون ذكر اسم بعده لم يريدوا غيره في كل عباراتهم وكتبهم.

مولده وتلقيه العلم

ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث أو أربع أو خمس وأربعين وخمسمائة ثم تلقى العلم عن أبيه الإمام ضياء الدين خطيب الري صاحب الإمام البغوي، وكان الفخر ينعت «بابن خطيب الري» نسبة إلى أبيه، فاشتغل على أبيه إلى أن مات، ثم قصد كمال السمعاني، واشتغل عليه مدة، ثم عاد إلى الري، اشتغل بالعلوم الحكمية، فقرأ الحكمة ببراعة على مجد الدين الجيلي، وكان مجد الدين هذا من أعلام زمانه وهو من أصحاب محمد بن يحيى، ولما طلب المجد الجيلي إلى بلدة المراغة ليدرس بها صحبه الإمام فخرالدين الرازي إليها، وكان إذ ذاك صغيراً، وقرأ عليه مدة طويلة في الكلام والحكمة، واشتغل فخرالدين الرازي في مبدأ أمره بالفقه، ثم اشتغل بالعلوم الحكمية وتميز حتى لم يوجد في زمانه أحد يضاهيه، وكان لمجلسه جلالة، وكان هو نفسه يتعاضم حتى على الملوك.

ثبت شيوخه في الكلام والأصول

قال ابن خلكان «وذكر فخرالدين في كتابه الذي سماه «تحصيل الحق» أنه اشتغل في علم الأصول على والده ضياء الدين عمر، ووالده كان أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري وهو على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، وهو على الشيخ أبي الحسين الباهلي، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهو على أبي علي الجبائي أولاً، ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة.

ثبت شيوخه في الفقه

وأما اشتغاله في المذهب فإنه اشتغل على والده، ووالده على أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، وهو على القاضي حسن المروزي، وهو على القفال المروزي، وهو على أبي يزيد المروزي، وهو على أبي إسحاق المروزي، وهو على أبي عباس بن ربيع، وهو على أبي القاسم الأنماطي، وهو على أبي إبراهيم المزني، وهو على الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ويقال إنه كان يحفظ «الشامل» لإمام الحرمين في علم الكلام، ثم قصد خوارزم وقد تمهر في العلوم، فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والإعتقاد، فأخرج من البلدة ولما قصد ماوراء النهر، جرى له أيضاً هناك ما جرى له في خوارزم فعاد إلى الري، وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة، وكان للطبيب ابنتان، ولفخر الدين ابنان، فمرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين، ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع أمواله، فمن ثم كانت له النعمة.

ولازم الأسفار، وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غزنة في جملة من المال، ثم مضى إليه لإستيفاء حقه منه، فبالغ في إكرامه والإنعام عليه؛ وحصل له من جهته مال طائل، وعاد إلى خراسان واتصل بالسلطان محمد بن تكش المعروف بعلاء الدين خوارزم شاه، وحظي عنده ونال أسمى المراتب، ولم يبلغ أحد منزلته عنده. (٧)

علومه ومعارفه ومصنفاته:

كان الفخر من أفضل علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية، ومن أبرع أهل زمانه في الطب والحكمة، شاع فضله في

كل ذلك وذاع، وبعد صيته بين الناس، وملأ البقاع والأسماع فأمه الطلاب من كل بلد وصقع، يتلقون العلم عنه ويغترفون من علمه ومعارفه. وكان صحيح النظر، بليغ القول، جيد التعبير عن كل مايقصد إلى بيانه، ترى هذا واضحاً في عباراته في التفسير، وغيره من مؤلفاته العديدة، وكان مسدد الرأي في المسائل الطبية، ملماً مع ذلك كله بالأدب والشعر، وكان ينضم الشعر الجيد بالفارسية والعربية.

يقول ابن خلكان: إن كتبه ممتعة، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإن الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين، وهو أول من اخترع الترتيب الذي تجده في كتبه، وأتى فيها بما لم يسبق إليه؛ وفيما يلي ثبت مصنفاته:-

١. كتاب التفسير الكبير، واسمه مفاتيح الغيب وهو هذا الذي نقدمه لك وقد أتمت المطبعة البهية المصرية طبعه في اثنين وثلاثين جزءاً.
٢. كتب تفسير الفاتحة وبيان أنها تشتمل على آلاف المسائل - (وهو ما قدمناه في الجزء الأول من التفسير الكبير) كما نشرته المطبعة البهية المصرية في طبعة مستقلة.
٣. كتاب التفسير الصغير، واسمه أسرار التنزيل وأنوار التأويل.
٤. كتاب نهاية العقول.
٥. كتاب المحصول، في علم أصول الفقه.
٦. كتاب المباحث المشرقية.
٧. كتاب لباب الإشارات.
٨. كتاب المطالب العالية في الحكمة.
٩. كتاب المعالم: في أصول الفقه.
١٠. كتاب المعالم: في أصول الدين.
١١. كتاب تنبيه الإشارة في الأصول.

١٢. كتاب الأربعين في أصول الدين.
١٣. كتاب سراج القلوب.
١٤. كتاب زبدة الأفكار وعمدة النظر.
١٥. كتاب شرح الإشارات.
١٦. كتاب مناقب الإمام الشافعي.
١٧. كتاب تفسير أسماء الله الحسنى.
١٨. كتاب تأسيس التقديس.
١٩. كتاب الطريقة في الجدل.
٢٠. كتاب رسالة في السؤال.
٢١. كتاب منتخب تتكلوша.
٢٢. كتاب مباحث الوجود والعدم.
٢٣. كتاب مباحث الجدل.
٢٤. كتاب النبض.
٢٥. كتاب الطريقة العلانية: في الخلاف.
٢٦. كتاب لوايح البينات: في شرح أسماء الله والصفات.
٢٧. كتاب فضائل الصحابة الراشدين.
٢٨. كتاب القضاء والقدر.
٢٩. كتاب رسالة في الحوادث.
٣٠. كتاب اللطائف الغيابة.
٣١. كتاب شفاء العي من الخلاف.
٣٢. كتاب الخلق والعبث.
٣٣. كتاب الأخلاق.
٣٤. كتاب الرسالة الصحابية.
٣٥. كتاب الرسالة المجدية.

٣٦. كتاب عصمة الأنبياء.
٣٧. كتاب مصادر إقليدس.
٣٨. كتاب في الهندسة.
٣٩. كتاب نفثة مصدور.
٤٠. كتاب رسالة في ذم الدنيا.
٤١. كتاب الإختيارات العلانية، في التأثيرات السماوية.
٤٢. كتاب إحكام الأحكام.
٤٣. كتاب الرياض المونقة.
٤٤. كتاب رسالة في النفس.
٤٥. كتاب المحصل في علم الكلام.
٤٦. كتاب طريقة في الخلاف.
٤٧. كتاب المحصول في الفقه.
٤٨. كتاب الملل والنحل.
٤٩. كتاب الآيات البينات.
٥٠. كتاب رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في بعض سور القرآن الكريم.
٥١. كتاب شرح عيون الحكمة.
٥٢. كتاب رسالة الجوهر الفرد.
٥٣. كتاب في الرمل.
٥٤. كتاب مسائل الطب.
٥٥. كتاب الزبدة في علم الكلام.
٥٦. كتاب الفراسة.
٥٧. كتاب الملخص في الفلسفة.
٥٨. كتاب المباحث العمادية في المطالب المعادية.

٥٩. كتاب الخمسين في أصول الدين.
٦٠. كتاب الرسالة في النبوات.
٦١. كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.
٦٢. كتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، في علم الكلام.
٦٣. كتاب عيون المسائل النجارية.
٦٤. كتاب تحصيل الحق.
٦٥. كتاب مؤاخذات على النجاة.
٦٦. كتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل في علم الكلام.
٦٧. كتاب إرشاد النظائر إلى لطائف الأسرار في علم الكلام.

أما الكتب التي بدأ الإمام الفخر الرازي في تأليفها ولم يتمها فمنها:-

١. كتاب شرح سقط الزند.
٢. كتاب شرح كليات القانون.
٣. كتاب شرح وجيز الغزالي.
٤. كتاب في إبطال القياس.
٥. كتاب شرح نهج البلاغة.
٦. كتاب الجامع الكبير في الطب.
٧. كتاب شرح المفصل للزمخشري.
٨. كتاب التشريح من الرأس إلى الحلق. (٨)

وصيته:

نورد هنا نص وصيته (الشرط الأول منها) بما يتسع به مقام البحث:
 فاعلموا أنني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء، لا أقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقاً، أو باطلاً، غثاً أو سميناً، إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي، أن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبره، منزه عن مماثلة المتميزات والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد إختبرت الطرق الكلامية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضة والمتناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل، في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية.

ولهذا أقول: كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراعته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى عليه، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما هو والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فلك ما مر به قلبي، أو خطر ببالي، فأستشهد علمك، وأقول: إن علمت مني أنني أردت تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت أنني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذاك جهد المقل، فأنت أكرم من أن تضايق الضعيف، الواقع في الزلة، فأغثني وارحمني واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا يتنقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة (سنة) محمد سيد المرسلين، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما.

اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيوم المحدثات والممكنات، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت «أنا عند ظن عبدي بي» وأنت قلت ﴿أَمْ مِنْ جِيبِ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ﴾ النمل: ٦٢ وأنت قلت ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة ١٨٦ فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم.

وأعلم أنه ليس لي أحد سواك، ولا أجد محسناً سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور، والعيب والفتور، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي واجعلني آمناً من عقابك قبل الموت وبعد الموت، وسهل عليّ سكرات الموت وخفف عليّ نزول الموت، ولا تضيق عليّ بسبب الآلام والأسقام، فأنت أرحم الراحمين.

وأما الكتب العلمية التي صنفتها، أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها فمن نظر في شيء منها، فإن طابت له تلك السؤالات، فليذكرني في صالح دعائه، على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيء، فإنني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشحيز خاطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى. (٩)

مطالعات في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾

آل عمران/١٠٢

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء/١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب/٧١-٧٢

أما بعد، فهذا تفسير الرازي المسمى «مفاتيح الغيب» (١٠) لمؤلفه محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري، الطبرستاني الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي (٥٥٤-٦٠٦ هـ) الذي يُعدّ من أكبر كتّاب تفسير الرأي.

وقد اعتمد الرازي في تفسيره على «تفسير القفال الكبير» محمد بن علي بن إسماعيل (ت ٣٦٥ هـ)، وتفسير القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني المعتزلي، أبي الحسين (ت ٤١٥ هـ) المسمى تنزيه القرآن عن المطاعن وتفسير الواحدي علي بن أحمد بن محمد، أبي الحسن (ت ٤٦٢ هـ)، و«الكشاف» للزمخشري محمد بن عمر بن محمد (ت ٥٣٢ هـ) كما صرّح به في تفسيره ويراها المطالع فيه.

وقد اخترمت المنية الإمام الرازي قبل أن يتم تفسيره (١١)، فأتمه من جاء بعده، وقد تضاربت أقوال العلماء في هويته. فالحافظ ابن حجر يقول في «الدرر الكامنة» (١٢): الذي أكمل تفسير فخر الدين الرازي هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكّي، نجم الدين المخزومي القمولي (ت ٧٢٧ هـ) وهو مصري، أما حاجي خليفة فيقول في «كشف الظنون» (١٣).

وصنّف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولي تكملة له وتوفي سنة (٧٢٧ هـ) وقاضي القضاة، شهاب الدين بن خليل الخويّي الدمشقي كمل نقص منه أيضاً (ت ٦٣٩ هـ)، ويقول: الذي رأيته بخط السيد مرتضى نقلاً عن

«شرح الشفا» للشهاب أنه وصل فيه إلى سورة الأنبياء (١٤). ولا يكاد يلحظ القاري في هذا التفسير تفاوتاً في المنهج والمسلوك، بل يجري الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد لكننا لاحظنا خلال عملنا في الكتاب نقل الكلام الإمام القرطبي (ت ٦٧١هـ) حرفياً من تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٥) مقحماً في «مفاتيح الغيب» مما يدل أولاً على أن هذا النقل ليس من كلام الرازي (ت ٦٠٦هـ) بل هو زيادة من يُتمّ تفسيره ولعله القمولي (ت ٧٢٧هـ)، وثانياً أن الإمام الرازي لم يتمّ تفسيره حتى سورة التوبة!!... والله أعلم بالصواب.

وقد نال هذا التفسير شهرة واسعة بين العلماء ويمتاز على غيره بالأبحاث الفياضة في شتى العلوم، يذكر مناسبة السورة مع غيرها، ثم يذكر المناسبات بين الآيات، كما يكثر من الاستطراد في العلوم الكونية والرياضية والفلسفية وعلم الكلام، ويعرض لأقوال الفلاسفة ويناقشها ويردها بما يتفق ومذهب أهل السنة (منصراً للأشاعرة) (١٦)، ويكثر الاستنباط والكشف عن أسرار الآيات، فكثيراً ما يقول (الاستنباطات العقلية لسورة كذا ..) ولا يكاد يمر بأية من آيات الأحكام إلّا ويعطيها حقها من البحث وذكر مذاهب الفقهاء واستنباطاتهم وأدلتهم، وقد يدعوه البحث إلى الاستطراد في بعض المسائل الأصولية والنحوية والبلاغية ويتوسع فيها توسعاً غير مخل، كما أنه لم يقصر في تنفيذ مذاهب وأقوال بعض الفرق الضالة في موضعها المناسبة من كتابه... وغير ذلك مما رأى الرازي أنه يستوفي الغرض المطلوب من تفسيره.

وبالجملة فالكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة، إذ أن هذه الناحية هي التي غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن. من أجل ذلك قال صاحب «كشف الظنون»: إنَّ

الإمام فخر الدين الرازي ملاً تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شيء إلى شيء، حتى يقضي الناظر العجب (١٧).

ونقل عن أبي حيان أنه قال في «البحر المحيط»، جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير (١٨).

ويظهر لنا أن الإمام فخر الدين الرازي كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، مادام يستطيع أن يجد صلة ما بين المستنبط أو المستطرد إليه وبين اللفظ القرآني، والذي يقرأ مقدمة تفسيره لا يسعه إلا أن يحكم على الفخر هذا الحكم، وذلك حيث يقول: «اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات، أن هذه السورة الكريمة -يريد الفاتحة- يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغبي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوه من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية عن تحقيق المعاهد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب، قدمت هذه المقدمة؛ لتصير كالتنبيه على أن مذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول ... إلخ (١٩).

هذا وقد قام بدراسة «الرازي وآراؤه الفلسفية والكلامية» الأستاذ محمد صالح الزركان رحمه الله نال بها درجة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة طبعت عام ١٩٧٢م بدار الفكر-بيروت كما قام الدكتور عبدالرحيم الطحان بدراسة منهج الرازي في تفسيره وعنوانها «مفاتيح الغيب ومنهج الرازي فيه» نوقش عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م باعتباره رسالة ماجستير كذا ذكر علي محمد الزبيري في رسالته «ابن جري ومنهجه في التفسير» الصفحة ٨ من المقدمة.

ونظراً لشهرة الكتاب وأهميته من بين كتب التفاسير، فقد رأينا نشره بحلة جديدة منقحة وملونة ومصححة على طبعاته، بعدما قمنا بتخريج آياته

القرآنية وتصحيح أخطائه ويجدها القاريء إن شاء الله في جدول الخطأ والصواب في آخر مجلد من هذه الطبعة. هذا ويجد القاريء ترجمة للرازي في الصفحة (٨) من هذه الطبعة تعرّف بها العالم الكبير وإتماماً للفائدة فقد وضعنا رقم الجزء والصفحة من الطبعة البهية على هامش هذه الطبعة بين معكوفتين هكذا [].

الله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الأخيار الطيبين. (٢٠)

خلاصة في التفسير

يمتاز تفسير (مفاتيح الغيب) أو التفسير الكبير بما يلي:

١. يعتبر التفسير الكبير من التفاسير التي تذهب بعيداً في المقارنة والتفصيل والتوسع، وإشباع المواضع، ولم يتركها مبتورة منقوصة تدع المطالع أو الدارس في حيرة من أمره.
٢. يعتمد آيات الأحكام فيتحول في ذيل كل آية إلى كتاب فقهي مقارن بين آراء المذاهب وأفكار اصحاب المدارس.
٣. الأمانة العلمية في النقل والدقة في التعرف.
٤. عرض كل الآراء بلا تردد وطرح كل الأفكار بلا حرج ولا مجاملة.
٥. يؤثر النصوص القديمة على الحديثة، ويعتبر القدم حاله مهمة جداً بل أحياناً تذهب إلى التقديس.
٦. يحاول أن يبتعد عن التأثير الطائفي أو المذهبي أو العرقي فيحاول أن يجرد ذاته من كل ذلك.
٧. الطابع الدرسي والفكري يغلب على الطابع الروائي وإن كان لا يخلو منه ، ولا يحلو دونه.

٨. لا يغلب عليه الطابع اللغوي كثيراً كما نراه في البحر المحيط، أو جمع البيان، وإن كان لا يخلو منه.
٩. يستخدم أسلوب التتقيط فيفسر الآية على شكل: أرقام، وروايات، وحجج وصفات، ووجوه، ومسائل، وأقوال، وأبواب، وبراهين، وكما انه يحوّل نفس المسائل إلى وجوه وأسئلة وأجوبة ولا ينتظر من يحكم عليها لتوه.
١٠. يحاول أن يضع الآراء المتطرفة أو المخالفة في نهاية الحوار والبحث.
١١. يربي الباحث والمطلع على سعة الأفق والتوسع في التفكير.
١٢. يشوق المطالع على المتابعة إلى نهاية المطاف.
١٣. أحياناً وليس دائماً يقع تحت تأثير الآراء والمذاهب دون أن يكشف سبب ذلك التأثير، من حيث يشعر أو قد لا يشعر.
١٤. ما يهدف ايصاله أحياناً يوصله بهدوء وبين طيات الحديث.

واليكم أحبائي وأعزائي نماذج وشواهد من خصال تفسيره الكبير نضعها بين أيديكم بشكل عام ومجمل دون قيد أو شرط لتكونوا قد اطلعتم بانفسكم:

نماذج وأمثلة:

أولاً: قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾. البقرة/٢٠٧

إعلم أنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين فقال: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) ثم في الآية مسائل:

المسألة الأولى: في سبب النزول روايات أحدها: روى ابن عباس أن هذه الآية نزلت في صهيب بن سنان مولى عبدالله بن جدعان، وفي عمار بن ياسر، وفي سمية أمه، وفي ياسر أبيه، وفي بلال مولى أبي بكر، وفي خباب بن الارت، وفي عابس مولى حويطب أخذهم المشركون فعذبوهم، فأما صهيب فقال لأهل مكة: إني شيخ كبير، ولي مال ومتاع، ولا يضركم كنت منكم أو من عدوكم تكلمت بكلام أنا أكره أن أنزل عنه وأنا أعطيكم مالي ومتاعي وأشتري منكم ديني، فرفضوا منه بذلك وخلوا سبيله، فانصرف راجعاً إلى المدينة، فنزلت الآية، وعند دخول صهيب المدينة لقيه أبوبكر رضي الله عنه فقال له: ربح بيعك، فقال له صهيب: وبيعك فلا نخسر ما ذاك؟ فقال: أنزل الله فيك كذا، وقرأ عليه الآية، وأما خباب بن الارت وأبوذر فقد فرا وأتيا المدينة، وأما سمية فربطت بين بعيرين ثم قتلت وقتل ياسر، وأما الباقيون فأعطوا بسبب العذاب بعض ما أراد المشركون فتركوا، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ والذين هاجروا في الله بعد ما ظلموا ﴾ النحل/٤١.

بتعذيب أهل مكة ﴿ لنبؤأنهم في الدنيا حسنة ﴾ النحل/٤١ بالنصر والغنيمة، ولأجر الآخرة أكبر، وفيهم نزل: ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ .
النحل/١٠٦

والرواية الثانية: أنها نزلت في رجل أمر بمعروف ونهى عن منكر، عن عمر وعلي وعباس رضي الله عنهم.

والرواية الثالثة: نزلت في علي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه إلى الغار، ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عليه السلام عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية.

المسألة الثانية: أكثر المفسرين على أن المراد بهذا الشراء: البيع، قال تعالى: ﴿ وشروه بثمن بخس ﴾ يوسف/٢٠ أي باعوه، وتحقيقه أن المكلف باع نفسه

بثواب الآخرة وهذا البيع هو أنه بذلها في طاعة الله، من الصلاة والصيام والحج والجهاد، ثم توصل بذلك إلى وجدان ثواب الله، كان ما يبذله من نفسه كالسلعة، وصار البازل كالبائع، والله كالمشتري، كما قال: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ التوبة/١١١ وقد سمي الله تعالى ذلك تجارة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلِكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ* تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ الصف/١٠-١١ وعندي يمكن إجراء لفظة الشراء على ظاهرها وذلك أن من أقدم على الكفر والشرك والتوسع في ملاذ الدنيا والإعراض عن الآخرة وقع في العذاب الدائم فصار في التقدير كان نفسه كانت له، فبسبب الكفر والفسق خرجت عن ملكه وصارت حقاً للنار والعذاب، فإذا ترك الكفر والفسق وأقدم على الإيمان والطاعة صار كأنه اشترى نفسه من العذاب والنار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشترى بها نفسه فكذلك المؤمن يبذل أنفاساً معدودة ويشترى بها نفسه واح في الدنيا ولهذا قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مريم/٣١ وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. الحجر/٩٩

فإن قيل: إن الله تعالى جعل نفسه مشترياً حيث قال: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ التوبة/١١١ وهذا كون المؤمن مشترياً. قلنا: لامنافاة بين الأمرين، فهو كمن اشترى ثوباً بعبد، فكل واحد منهما بائع، وكل واحد منهما مشتر، فكذا ههنا وعلى هذا التأويل فلا يحتاج إلى ترك الظاهر وإلى حمل لفظ الشراء على البيع.

إذا عرفت هذا فنقول: يدخل تحت هذا كل مشقة يتحملها الإنسان في طلب الدين، فيدخل فيه المجاهد، ويدخل فيه البازل مهجته الصابر على القتل، كما فعله أبوعمار وأمه، ويدخل فيه الأبق من الكفار إلى المسلمين، ويدخل

فيه المشتري نفسه من الكفار بماله كما فعل صهيبي، ويدخل فيه من يظهر الدين والحق عند السلطان الجائر.

وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه بعث جيشاً فحاصروا قصرأ فتقدم منهم واحد، فقاتل حتى قتل فقال بعض القوم: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذبتم رحم الله أبا فلان، وقرأ (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) ثم اعلم أن المشقة التي يتحملها الإنسان لا بد وأن تكون على وفق الشرع حتى يدخل بسببه تحت الآية، فأما لو كان على خلاف الشرع فهو غير داخل فيه بل يعد ذلك من باب إلقاء النفس في التهلكة نحو ما إذا خاف التلف عند الإغتسال من الجنابة ففعل، قال قتادة: أما والله ما هم بأهل حروراء المراق من الدين ولكنهم أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار لما رأوا المشركين يدعون مع الله إلهاً آخر قاتلوا على دين الله وشروا أنفسهم غضباً لله وجهاداً في سبيله.

المسألة الثالثة: (يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) أي لإبتغاء مرضاة الله، و(يشري) بمعنى يشتري.

أما قوله تعالى: (والله رؤوف بالعباد) فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته جوز لهم كلمة الكفر إبقاء على النفس، ومن رأفته أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ومن رأفته ورحمته أن المصّر على الكفر مائة سنة، إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العذاب وأعطاه الثواب الدائم، ومن رأفته أن النفس له والمال، ثم أنه يشتري ملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً. (٢١)

ثانياً: قوله تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

المسألة الأولى: في كيفية النظم أقوال الأول: لما بين في هذه الآية المتقدمة أن أكمل من تصرف إليه النفقة من هو بين في هذه الآية أن أكمل وجوه الإنفاق كيف هو، فقال: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم﴾ والثاني: أنه تعالى ذكر هذه الآية لتأكيد ما تقدم من قوله ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ البقرة/٢٧١ والثالث: أن هذه الآية آخر الآيات المذكورة في أحكام الإنفاق، فلا جرم أرشد الخلق إلى أكمل وجوه الإنفاقات.

المسألة الثانية: في سبب النزول وجوه؛ الأول: لما نزل قوله تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) بعث عبد الرحمن بن عوف إلى أصحاب الصفة بدنانير، وبعث علي رضي الله عنه بوسق من تمر ليلاً، فكان أحب الصدقتين إلى الله تعالى صدقته، فنزلت هذه الآية فصدقة الليل كانت أكمل، والثاني: قال ابن عباس: إن علياً عليه السلام ما كان يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فقال (ص): «ما حملك على هذا؟ فقال: أن استوجب ما وعدني ربي، فقال: لك ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، والثالث: قال صاحب «الكشاف»: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار: عشرة بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرة في السر، وعشرة بالعلانية، والرابع: نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله، فكان أبو هريرة إذا مرّ بفرس سمين قرأ هذه الآية، الخامس: أن الآية عامة في الذين يعملون الأوقات والأحوال بالصدقة تحرضهم على الخير، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال، وهذا هو أحسن الوجوه، لأن هذا آخر الآيات المذكورة في بيان حكم الإنفاقات فلا جرم ذكر فيها أكمل وجوه الإنفاقات والله أعلم.

المسألة الثالثة: قال الزجاج (الذين) رفع بالابتداء وجاز أن تكون الفاء من قوله (فلهم) جواب الذين لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاء، فكان التقدير: من

أنفق فلا يضيع أجره، وتقديره أنه لو قال: الذي أكرمني له درهم لم يفد أن
الدهرم بسبب الإكرام، أما لو قال: الذي أكرمني فله درهم يفيد أن الدرهم
بسبب الإكرام، فهنا الفاء دلّت على أن حصول الأجر إنما كان سبب الإنفاق
والله أعلم.

المسألة الرابعة: في الآية إشارة إلى أن صدقة السر أفضل من صدقة
العلانية، وذلك لأنه قدم الليل على النهار، والسر على العلانية في الذكر.

ثم قال في خاتمة الآية ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون﴾ والمعنى معلوم وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أنها تدل على أن أهل الثواب لا خوف عليهم يوم القيامة،
ويتأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ الأنبياء/١٠٣

المسألة الثانية: أن هذا مشروط عند الكل بأن لا يحصل عقبيه الكفر، وعند
المعتزلة أن لا يحصل عقبيه كبيرة محبطة، وقد أحكمنا هذه المسألة، وههنا
آخر الآيات المذكورة في بيان أحكام الإنفاق. (٢٢)

ثالثاً: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنت الله على الكاذبين﴾. آل عمران/٦١

اعلم أن الله تعالى بيّن في أول هذه السورة وجوهاً من الدلائل القاطعة
على فساد قول النصارى بالزوجة والولد، وأتبعها بذكر الجواب عن جميع
شبههم على سبيل الإستقصاء التام، وختم الكلام بهذه النكتة القاطعة لفساد
كلامهم، وهو أنه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام
أن يكون إبناً لله، تعالى الله عن ذلك ولما لم يبعد انخلاق آدم عليه السلام من
التراب لم يبعد أيضاً انخلاق عيسى عليه السلام من الدم الذي كان يجتمع في
رحم أم عيسى عليه السلام، ومن أنصف وطلب الحق، علم أن البيان قد بلغ

إلى الغاية القصوى، فعند ذلك قال تعالى: (فمن حاجك) بعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند، وهو أن تدعوهم إلى الملاعة فقال: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم) إلى آخر الآية، ثم ههنا مسائل:

المسألة الأولى: اتفق أنني حين كنت بخوارزم، أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث وقال لي: ما الدليل على نبوة محمد (ص)، فإن رددنا التواتر، أو قبلناه لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم إنهما حاصلان في حق محمد وجب الإعراف قطعاً بنبوة محمد عليه السلام ضرورة أن عند الإستواء في الدليل لا بد من الإستواء في حصول المدلول، فقال النصراني: أنا لا أقول في عيسى عليه السلام إنه كان نبياً بل أقول إنه كان إلهاً، فقلت له الكلام في النبوة لا بد وأن يكون مسبقاً بمعرفة الإله وهذا الذي نقوله باطل ويدل عليه أن الإله عبارة عن وجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوماً وقتل بعد أن كان حياً على قولكم وكان طفلاً أولاً، ثم صار مترعراً ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب وحدث ونام ويستيقظ، وقد تقرر في بدهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً والممكن لا يكون واجباً والمتغير لا يكون دائماً.

والوجه الثاني: في إبطال هذه المقالة أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حياً على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم، وفي الإختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالاً فيه أو كان جزءاً من الإله حاك فيه، فلم لم

يدفعهم عن نفسه؟ ولم لم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتياال في الفرار منهم! وبالله أنني لأتعجب جداً! إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا القول ويعتقد صحته، فتكاد أن تكون بديهية العقل شاهدة بفساده.

والوجه الثالث: وهو أنه: إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكليته فيه، أو حل بعض الإله وجزء منه فيه والأقسام الثلاثة الباطلة أما الأول: فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم، فحين قتله اليهود كان ذلك قولاً بأن اليهود قتلوا إله العالم، فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله! ثم إن أشد الناس ذلاً ونداءة اليهود، فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز! وأما الثاني: وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد، لأن الإله لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً، فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزاءه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره، وكل ذلك سخف، وأما الثالث: وهو أنه حل فيه بعض من أبعاد الإله، وجزء من أجزائه، فذلك أيضاً محال لأن ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية، فعند انفصاله عن الإله، وجب أن لا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبر في تحقق الإلهية، لم يكن جزءاً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً.

الوجه الرابع: في بطلان قول النصارى ما ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك، لأن الإله لا يعبد نفسه، فهذه وجوه في غاية الجلال والظهور، دالة على فساد قولهم، ثم قلت للنصراني: وما الذي ذلك على كونه إلهاً؟ فقال الذي دل عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك

لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله تعالى، فقلت له هل تسلم إنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم تسلم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع، وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول: لما جَوَزَ حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فكيف عرفت أن الإله ما حل في بدني وبدنك وفي بدن كل حيوان ونبات وجماد؟ فقال: الفرق ظاهر، وذلك لأنني إنما حكمت بذلك الحلول، لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا، فقلت له: تبين الآن أنك ما عرفت معنى قلبي إنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الإله في بدن عيسى: فعدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل، فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك، وفي حق الكلب والسنور والفأر ثم قلت: إن مذهباً يؤدي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة.

الوجه الخامس: أن قلب العصا حية، أبعد في العقل من إعادة الميت حياً، لأن المشكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشكلة بين الخشبة وبدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى إلهاً ولا إيناً للإله، فبأن لا يدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى، وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام والله أعلم.

المسألة الثانية: روي أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: «أن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم» فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب: وكان ذا رأيهم، يا عبد المسيح ماترى، فقال: والله لقد عرفتُم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالكلام الحق في

أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم وكان رسول الله (ص) خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول، إذا دعوت فأمنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لوسألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزال بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: إنا نجزكم القتال، فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لاتغزونا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلة: ألفا في صفر، وألفا في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وقال: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعتنوا لمُسَخُوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا، وروي أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله، ثم جاء الحسين عليه السلام فأدخله ثم فاطمة، ثم علي رضي الله عنهما ثم قال: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ الأحزاب/ ٣٣ واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث. (٢٣)

رابعاً: قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى
الكعبين ... ﴾ المائدة/٦

فهو يتحدث إلى أن يصل إلى قوله :

المسألة الثامنة والثلاثون: اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما، فنقل
القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي
جعفر محمد بن علي الباقر: أن الواجب فيهما المسح، وهو مذهب الإمامية من
الشيعة. و قال جمهور الفقهاء و المفسرين : فرضهما الغسل ، و قال داود
الإصفهاني: يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية. وقال
الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري: المكلف مخير بين المسح
والغسل.

حجة من قال بوجوب المسح مبني على القراءتين المشهورتين في
قوله (وأرجلكم) فقرأ ابن كثير وحزمة وأبو عمرو وعاصم في رواية إبي بكر
عنه بالجذر، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب،
فنقول: أما القراءة بالجذر فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس،
فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: هذا كسر على الجوار كما في قوله: جحر
ضرب خرب، وقوله كبير أناس في بجاد مزمل

قلنا: هذا باطل من وجوه: الأول: أن الكسر على الجوار معدود في اللحن
الذي قد يحتمل لأجل الضرورة في الشعر، وكلام الله يجب تنزيهه عنه.
وثانيها: أن الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الإلتباس كما في
قوله: جحر ضرب خرب، فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتاً
للضرب بل للجحر، وفي هذه الآية الأمن من الإلتباس غير حاصل. وثالثها: أن
الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف، وأما مع حرف العطف فلم

تتكلم به العرب، وأما القراءة بالنصب فقالوا أيضاً: إنها توجب المسح، وذلك لأن قوله (وامسحوا برؤوسكم) فرؤوسكم في النصب ولكنها مجرورة بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، والجر عطفاً على الظاهر، وهذا مذهب مشهور للنحاة.

إذا ثبت هذا فنقول: ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله (وأرجلكم) هو قوله (وامسحوا) ويجوز أن يكون هو قوله (فاغسلوا) لكن العاملان إذا اجتمعتا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله (وأرجلكم) هو قوله (وامسحوا) فثبت أن قراءة (وارجلكم) بنصب اللام توجب المسح أيضاً، فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح، ثم قالوا: ولا يجوز دفع ذلك بالأخبار لأنها بأسرها من باب الأحاد، ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز.

واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلا من وجهين: الأول: أن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه، وعلى هذا الوجه يجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها، والثاني: أن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين والتحديد إنما جاء في الغسل لا في المسح، والقوم أجابوا عنه بوجهين: الأول: أن الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم، وعلى هذا التقدير فيجب المسح على ظهر القدمين، والثاني: أنهم سلموا أن الكعبين عبارة عن العظمين النابتين من جانبي الساق، إلا أنهم التزموا أنه يجب أن يمسح ظهور القدمين إلى هذين الموضعين، وحينئذ لا يبقى هذا السؤال.

المسألة التاسعة والثلاثون: مذهب جمهور الفقهاء أن الكعبين عبارة عن العظمين النابتين من جانبي الساق، وقالت الإمامية وكل من ذهب إلى وجوب المسح: إن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل كعب البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم، وهو قول محمد بن

الحسن رحمه الله وكان الأصمعي يختار هذا القول ويقول: الطرفان الناتئان يسميان المنجمين. هكذا رواه القفال في تفسيره.

حجة الجمهور وجوه: الأول: أنه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً، فكان ينبغي أن يقال: وأرجلكم إلى الكعاب، كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفقاً واحداً لاجرم قال (وأيديكم إلى المرافق) والثاني: أن العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه إلا المرشحون، والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان معلومان لكل أحد، ومناطق التكاليف العامة يجب أن يكون أمراً ظاهراً، لا أمراً خفياً. الثالث: روي عن النبي (ص) أنه قال: «ألصقوا الكعب بالكعاب» ولاشك أن المراد ما ذكرناه. الرابع: أن الكعب مأخوذ من الشرف والإرتفاع، ومنه جارية كاعب إذا نتأ ثدياها، ومنه الكعب لكل ما له ارتفاع. حجة الإمامية: أن اسم الكعب واقع على العظم المخصوص الموجود في أرجل جميع الحيوانات، فوجب أن يكون في حق الإنسان كذلك، وأيضاً المفصل يسمى كعباً، ومنه كعوب الرمح لمفاصله، وفي وسط القدم مفصل، فوجب أن يكون الكعب هو هو.

والواجب: أن مناطق التكاليف الظاهرة يجب أن يكون شيئاً ظاهراً، والذي ذكرناه أظهر، فوجب أن يكون الكعب هو هو.

المسألة الأربعون: أثبت جمهور الفقهاء جواز المسح على الخفين. وأطبقت الشيعة والخوارج على إنكاره، واحتجوا بأن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ يقتضي إما غسل الرجلين أو مسحهما، والمسح على الخفين ليس مسحاً للرجلين ولا غسلًا لهما، فوجب أن لا يجوز بحكم نص هذه الآية، ثم قالوا: إن القائلين بجواز المسح على الخفين إنما يعولون على الخبر، لكن الرجوع إلى القرآن أولى من الرجوع إلى هذا الخبر، ويدل عليه وجوه: الأول: أن نسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز،

والثاني: أن هذه الآية في سورة المائدة، وأجمع المفسرون على أن هذه السورة لا منسوخ فيها ألَبَتَ إلا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شعائر الله ﴾ المائدة/٢.

فإن بعضهم قال: هذه الآية منسوخة، وإذا كان كذلك امتنع القول بأن وجوب غسل الرجلين منسوخ، والثالث: أن خبر المسح على الخفين بتقدير أنه كان متقدماً على نزول الآية كان الخبر الواحد منسوخاً بالقرآن، ولو كان بالعكس كان خبر الواحد ناسخاً للقرآن، ولاشك أن الأول أولى لوجوه: الأول: أن ترجيح القرآن المتواتر على خبر الواحد أولى من العكس، وثانيها: أن العمل بالآية أقرب إلى الإحتياط، وثالثها: أنه قد روي عنه (ص) أنه قال: «إذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فاقبلوه وإلا فردوه» وذلك يقتضي تقديم القرآن على الخبر، ورابعها: أن قصة معاذ تقتضي تقديم القرآن على الخبر.

الوجه الرابع: في بيان ضعف هذا الخبر: أن العلماء اختلفوا فيه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لأن تقطع قدماي أحب إلي من أن أمسح على الخفين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لأن أمسح على جلد حمار أحب إلي من أن أمسح على الخفين، أما مالك فأحدى الروایتين عنه أنه أنكر جواز المسح على الخفين، ولانزاع أنه كان في علم الحديث كالشمس الطالعة، فلولاً أنه عرف فيه ضعفاً وإلا لما قال ذلك، والرواية الثانية عن مالك أنه ما أباح المسح على الخفين للمقيم، وأباحه للمسافر مهما شاء من غير تقدير فيه. وأما الشافعي وأبو حنيفة وأكثر الفقهاء فإنهم جوزوه للمسافر ثلاثة أيام لباليها من وقت الحدث بعد اللبس. وقال الحسن البصري: ابتدأه من وقت لبس الخفين، وقال الأوزاعي وأحمد: يعتبر وقت المسح بعد الحدث، قالوا: فهذا الاختلاف الشديد بين الفقهاء يدل على أن الخبر ما بلغ مبلغ الظهور والشهرة، وإذا كان كذلك وجب القول بأن هذه الأقوال لما تعارضت تساقطت، وعند

ذلك يجب الرجوع إلى ظاهر كتاب الله تعالى. الخامس: أن الحاجة إلى معرفة جواز المسح على الخفين حاجة عامة في حق كل المكلفين، فلو كان ذلك مشروعاً لعرفه الكل، ولبلغ مبلغ التواتر، ولما لم يكن الأمر كذلك ظهر ضعفه، فهذا جملة كلام من أنكر المسح على الخفين.

وأما الفقهاء فقالوا: ظهر عن بعض الصحابة القول به ولم يظهر من الباقيين إنكار، فكان ذلك إجماعاً من الصحابة، فهذا أقوى ما يقال فيه. وقال الحسن البصري: حدثني سبعون من أصحاب الرسول (ص) أنه مسح على الخفين، وأما إنكار ابن عباس رضي الله عنهما فروي أن عكرمة روى ذلك عنه، فلما سئل ابن عباس عنه فقال: كذب عليّ. وقال عطاء: كان ابن عمر يخالف الناس في المسح على الخفين لكنه لم يمت حتى وافقهم، وأما عائشة رضي الله عنها فروي أن شريح بن هاني قال: فسألته فقال امسح، وهذا يدل على أن عائشة تركت ذلك الإنكار.

المسألة الحادية والأربعون: رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الرأس. فإن لم يكن معه من يوضئه أو ييممه يسقط عنه ذلك أيضاً، لأن قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ مشروط بالقدرة عليه لامحالة، فإذا فاتت القدرة سقط التكليف، فهذا جملة ما يتعلق من المسائل بأية الوضوء. (٢٤)

خامساً: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة/٥٥

وجه النظم أنه تعالى لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالة الكفار أمر في هذه الآية بموالة من يجب موالاته وقال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) أي المؤمنون الموصفون بالصفات المذكورة وفي الآية مسائل: في قوله (والذين آمنوا) قولان: أن المراد عامة المؤمنين، وذلك لأن عباد ابن

الصامت لما تبرأ من اليهود وقال: أنا بريء إلى الله من حلف قريظة والنضير، وأتولى الله ورسوله نزلت هذه الآية على وفق قوله. وروي أيضاً أن عبدالله بن سلام قال: يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولانستطيع مجالسة أصحابك لبعده المنازل، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء، فعلى هذا: الآية عامة في حق كل المؤمنين، فكل من كان مؤمناً فهو ولي كل المؤمنين ونظيره قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ التوبة/٧١.

وعلى هذا فقوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة لكل المؤمنين، والمراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأنهم كانوا يدعون الإيمان، إلا أنهم ما كانوا مداومين على الصلوات والزكوات، قال تعالى في صفة صلاتهم ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ التوبة/٥٤ وقال: ﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ النساء/١٤٢ وقال في صفة زكاتهم ﴿أشحة على الخير﴾ الأحزاب/١٩ وأما قوله (وهم راکعون) ففيه على هذا القول وجوه؛ الأول: قال أبو مسلم: المراد من الركوع الخضوع، يعني أنهم يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لجميع أوامر الله ونواهيه، والثاني: أن يكون المراد: من شأنهم إقامة الصلاة، وخص الركوع بالذكر تشريفاً له كما في قوله ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ البقرة/٤٣ والثالث: قال بعضهم: إن أصحابه كان عند نزول هذه الآية مختلفون في هذه الصفات، منهم من قد أتم الصلاة، ومنهم من دفع المال إلى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلاة وكان راکعاً، فلما كانوا مختلفين في هذه الصفات لاجرم ذكر الله تعالى كل هذه الصفات.

القول الثاني: أن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال: الأول: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه

السلام. روي أن عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه على محتاج وهو راکع، فنحن نتولاه. وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أشهد أنني سألت في مسجد رسول الله (ص) فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي (ص)، فقال: (اللهم إن أخي موسى سألك) فقال ﴿رب اشرح لي صدري﴾ إلى قوله ﴿وأشركه في أمري﴾ طه/٢٥-٣٢ فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ القصص/٣٥ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري. قال أبوذر: فوالله ما أتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد إقرأ (إنما وليكم الله ورسوله) إلى آخرها، فهذا مجموع ما يتعلق بالروايات في هذه المسألة.

المسألة الثانية: قالت الشيعة: هذه الآية دالة على أن الإمام بعد رسول الله (ص) هو علي بن أبي طالب، وتقريره أن نقول: هذه الآية دالة على أن المراد بهذه الآية إمام، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يكون ذلك الإمام هو علي بن أبي طالب.

بيان المقام الأول: أن الولي في اللغة قد جاء بمعنى الناصر والمحب، كما في قوله ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ التوبة/٧١ وجاء بمعنى المتصرف. قال عليه الصلاة والسلام: «أئمة إمرأة نكحت بغير إذن وليها» فنقول: ههنا وجهان: الأول: أن لفظ الولي جاء بهذين المعنيين ولم يعين الله مراده، ولا منافاة بين المعنيين، فوجب حمله عليهما، فوجب دلالة الآية على أن المؤمنين المذكورين في الآية متصرفون في الأمة. الثاني: أن نقول: الولي في هذه الآية لا يجوز أن يكون بمعنى الناصر، فوجب أن يكون

بمعنى المتصرف، وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يكون بمعنى الناصر، لأن الولاية المذكورة في هذه الآية غير عامة في كل المؤمنين، بدليل أنه تعالى ذكر بكلمة (إنما) وكلمة (إنما) للحصر، كقوله ﴿إنما الله إله واحد﴾ النساء/١٧١ والولاية بمعنى النصره عامة لقوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ وهذا يوجب القطع بأن الولاية المذكورة في هذه الآية ليست بمعنى النصره، وإذا لم تكن بمعنى النصره كانت بمعنى التصرف، لأنه ليس للولي معنى سوى هذين، فصار تقدير الآية: إنما التصرف فيكم أيها المؤمنون هو الله ورسوله والمؤمنون الموصوفون بالصفة الفلانية، وهذا يقتضي أن المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه الآية متصرفون في جميع الأمة، ولا معنى للإمام إلا الإنسان الذي يكون متصرفاً في كل الأمة، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على أن الشخص المذكور فيها يجب أن يكون إمام الأمة.

أما بيان المقام الثاني: وهو أنه لما ثبت ما ذكرنا وجب أن يكون ذلك الإنسان هو علي بن أبي طالب، وبيانه من وجوه: الأول: أن كل من أثبت بهذه الآية إمامة شخص قال: إن ذلك الشخص هو علي، وقد ثبت بما قدمنا دلالة هذه الآية على إمامة شخص، فوجب أن يكون ذلك الشخص هو علي، ضرورة أنه لا قائل بالفرق. الثاني: تظاهرت الروايات على أن هذه الآية نزلت في حق علي، ولا يمكن المصير إلى قول من يقول: إنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه؛ لأنها لو نزلت في حقه لدلت على إمامته، وأجمعت الأمة على أن هذه الآية لا تدل على إمامته فيبطل هذا القول. والثالث: أن قوله (وهم راعون) لا يجوز جعله عطفاً على ما تقدم، لأن الصلاة قد تقدمت، والصلاة مشتملة على الركوع، فكانت إعادة ذكر الركوع تكراراً، فوجب جعله حالاً، أي يؤتون الزكاة حال كونهم راعين، وأجمعوا على أن إيتاء الزكاة حال الركوع لم يكن إلا في حق علي، فكانت الآية مخصوصة به

ودالة على إمامته من الوجه الذي قررناه، وهذا حاصل استدلال القوم بهذه الآية على إمامته عليه السلام.

والجواب: أما حمل لفظ الولي على الناصر وعلى المتصرف معاً فغير جائز، لما ثبت في أصول الفقه أنه لا يجوز حمل اللفظ المشترك على مفهوميه معاً. (٢٥)

سادساً: قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾. المائدة/٦٧

قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أمر الرسول بأن لا ينظر إلى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروههم فقال (بلغ) أي واصبر على تبليغ ما أنزلته من كشف أسرارهم وفضائح أفعالهم، فإن الله يعصمك من كيدهم ويصونك من مكرمهم. وروى الحسن عن النبي (ص) قال: «إن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس يكذبوني واليهود والنصارى وقريش يخوفوني، فلما أنزل الله هذه الآية زال الخوف بالكلية» وروى أن النبي (ص) كان أيام إقامته بمكة يجاهر ببعض القرآن ويخفي بعضه إشفاقاً على نفسه من تسرع المشركين إليه وإلى أصحابه، فلما أعز الله الإسلام وأيده بالمؤمنين قال له: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) أي لا تراقبن أحداً، ولا تترك شيئاً مما أنزل إليك خوفاً من أن ينالك مكروه.

ثم قال تعالى: (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وفيه مسائل؛ المسألة الأولى: قرأ نافع (رسالاته) في هذه الآية وفي الأنعام (حيث يجعل رسالاته) الأنعام/١٢٤ على الجمع، وفي الأعراف (برسالاتي) الأعراف/١٤٤ على الواحد، وقرأ حفص عن عاصم على الضد، ففي المائدة والأنعام على الواحد، وفي الأعراف على

الجمع، وقرأ ابن كثير في الجميع على الواحد، وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم كله على الجمع.

حجة من جمع أن الرسل يبعثون بضروب من الرسائل وأحكام مختلفة في الشريعة، وكل آية أنزلها الله تعالى على رسوله (ص) فهي رسالة، فحسن لفظ الجمع، وأما من أفرد فقال: القرآن كله رسالة واحدة، وأيضاً فإن لفظ الواحد قد يدل على الكثرة وإن لم يجمع كقوله ﴿وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ الفرقان/١٤ فوقع الاسم الواحد على الجمع، وكذا ههنا لفظ الرسالة وإن كان واحداً إلا أن المراد هو الجمع.

المسألة الثانية: لقائل أن يقول: إن قوله (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) معناه فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، فأى فائدة في هذا الكلام؟ أجاب جمهور المفسرين بأن المراد: أنك إن لم تبلغ واحداً منها كنت كمن لم يبلغ شيئاً منها، وهذا الجواب عندي ضعيف، لأن من أتى بالبعض وترك البعض لو قيل: إنه ترك الكل لكان كذباً ولو قيل أيضاً: إن مقدار الجرم في ترك البعض مثل مقدار الجرم في ترك الكل فهو أيضاً محال ممتنع، فسقط هذا الجواب.

والأصح عندي أن يقال: إن هذا خرج على قانون قوله: أنا أبو النجم وشعري شعري. ومعناه أن شعري قد بلغ في الكمال والفصاحة إلى حيث متى قيل فيه: إنه شعري فقد انتهى مدحه إلى الغاية التي لا يمكن أن يزداد عليها، فهذا الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه، فكذا ههنا: فإن لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته، يعني أنه لا يمكن أن يوصف ترك التبليغ بتهديد أعظم من أنه ترك التبليغ، فكان ذلك تنبيهاً على غاية التهديد والوعيد والله أعلم.

المسألة الثالثة: ذكر المفسرون في سبب نزول الآية وجوهاً؛ الأول: أنها نزلت في قصة الرجم والقصاص على ما تقدم في قصة اليهود. الثاني: نزلت

في عيب اليهود واستهزائهم بالدين والنبي سكت عنهم، فنزلت هذه الآية. الثالث: لما نزلت آية التخيير، وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجُكُمْ﴾ الأحزاب/٢٨ فلم يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن الدنيا فنزلت. الرابع: نزلت في أمر زيد وزينب بنت جحش. قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن رسول الله (ص) كتم شيئاً من الوحي فقد أعظم الفرية على الله، والله تعالى يقول (يا أيها الرسول بلغ) ولو كتم رسول الله شيئاً من الوحي لكتم قوله ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الأحزاب/٣٧ الخامس: نزلت في الجهاد، فإن المنافقين كانوا يكرهونه، فكان يمسك أحياناً عن حثهم على الجهاد. السادس: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام/١٠٨ سكت الرسول عن عيب آلهتهم فنزلت هذه الآية وقال (بلغ) يعني معائب آلهتهم ولا تخفها عنهم، والله يعصمك منهم. السابع: نزلت في حقوق المسلمين، وذلك لأنه قال في حجة الوداع لما بين الشرائع والمناسك (هل بلغت) قالوا نعم، قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم فاشهد».

الثامن: روي أنه (ص) نزل تحت شجرة في بعض أسفاره وعلق سيفه عليها، فأتاه أعرابي وهو نائم فأخذ سيفه واختارطه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال «الله» فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله هذه الآية وبيّن أنه يعصمه من الناس. التاسع: كان يهاب قريشاً واليهود والنصارى، فأزال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه الآية. العاشر: نزلت في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فلقبه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي.

واعلم أن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حملة على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى امتنع إلقاء هذه الآية الواحدة في البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها.

المسألة الرابعة: في قوله (والله يعصمك من الناس) سؤال، وهو أنه كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنه عليه الصلاة والسلام شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد يعصمه من القتل، وفيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام! وثانيها: أنها نزلت بعد يوم أحد.

واعلم أن المراد من (الناس) ههنا الكفار، بدليل قوله تعالى: (إن الله لا يهدي القوم الكافرين). ومعناه أنه تعالى لا يمكنهم مما يريدون. وعن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله (ص) يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: «انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس». (٢٦)

سابعاً: قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم﴾ . المجادلة/١٢ فيه مسائل:

المسألة الأولى: هذا التكليف يشتمل على أنواع من الفوائد (أولهما) إعظام الرسول عليه السلام وإعظام مناجاته فإن الإنسان إذا وجد الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجدته بالسهولة استحققه (وثانيها) نفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة (وثالثها) قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا

المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، وأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة (ورابعها) قال مقاتل بن حبان: إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي عليه الصلاة والسلام وأكثروا من مناجاته حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فأما الأغنياء فامتنعوا، وأما الفقراء فلم يجدوا شيئاً، واشتاقوا إلى مجلس الرسول عليه السلام، فتمنوا أن لو كانوا يملكون شيئاً فينفقونه ويصلون إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعند هذا التكليف ازدادت درجة الفقراء عند الله، وانحطت درجة الأغنياء (وخامسها) يحتمل أن يكون المراد منه التخفيف عليه، لأن أرباب الحاجات كانوا يلحون على الرسول، ويشغلون أوقاته التي هي مقسومة على الإبلاغ إلى الأمة وعلى العبادة، ويحتمل أنه كان في ذلك ما يشغل قلب بعض المؤمنين، لظنه أن فلاناً إنما ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر يقتضي شغل القلب فيما يرجع إلى الدنيا (وسادسها) أنه يتميز به محب الآخرة عن محب الدنيا، فإن المال محك الدواعي.

(المسألة الثانية) ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجباً، لأن الأمر للوجوب، ويتأكد ذلك بقوله في آخر الآية (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) فإن ذلك لا يقال إلا فيما يفقده يزول وجوبه، ومنهم من قال إن ذلك ما كان واجباً، بل كان مندوباً، واحتج عليه بوجهين (الأول) أنه تعالى قال (ذلك خير لكم وأطهر) وهذا إنما يستعمل في التطوع لا في الفرض (والثاني) أنه لو كان ذلك واجباً لما أزيل وجوبه بكلام متصل به، وهو قوله (أأشفقتم أن تقدموا) إلى آخر الآية (والجواب عن الأول) أن المندوب كما يوصف بأنه خير وأطهر، فالواجب أيضاً يوصف بذلك (والجواب عن الثاني) أنه لا يلزم من كون الآيتين متصلتين في التلاوة، كونهما متصلتين في النزول، وهذا كما قلنا في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشراً، إنها ناسخة

للإعتداد بحول، وإن كان الناسخ متقدماً في التلاوة على المنسوخ، ثم اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقال الكلبي: ما بقى ذلك التكليف إلا ساعة من النهار ثم نسخ، وقال مقاتل ابن حبان: بقى ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ.

(المسألة الثالثة) روي عن علي عليه السلام أنه قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم، فكلما ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، وروي عن ابن جريح والكلبي وعطاء عن ابن عباس: أنهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجيه أحد إلا علي عليه السلام تصدق بدينار، ثم نزلت الرخصة.

قال القاضي والأكثر في الروايات: أنه عليه السلام تفرد بالتصدق قبل مناجاته، ثم ورد النسخ، وإن كان قد روى أيضاً أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، وإن ثبت أنه اختص بذلك فلأن الوقت لم يتسع لهذا الغرض، وإلا فلا شبهة أن أكابر الصحابة لا يقعدون عن مثله، وأقول على تقدير أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، فهذا لايجر إليهم طعناً، وذلك الإقدام على هذا العمل مما يضيق قلب الفقير، فإنه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه، ويوحش قلب الغني فإنه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبيرة مضرّة، لأن الذي يكون سبباً للألفة أولى مما يكون سبباً للوحشة، وأيضاً فهذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة، بل قد بينا أنهم إنما كلفوا بهذه الصدقة ليرتكوا هذه المناجاة، ولما كان الأولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن.

(المسألة الرابعة) روي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: لما نزلت الآية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ما تقول في دينار؟

قلت لا يطيقونه، قال كم؟ قلت حبة أو شعيرة، قال إنك لزهد» والمعنى إنك قليل المال فقدرت على حسب حالك.

أما قوله تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) أي ذلك التقديم في دينكم وأطهر لأن الصدقة طهرة. أما قوله (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) فالمراد منه الفقراء، وهذا يدل على أن من لم يجد ما يتصدق به كان معفواً عنه.

(المسألة الخامسة) أنكر أبو مسلم وقوع النسخ. وقال إن المنافقين كانوا يمتنعون من بذل الصدقات، وإن قوماً من المنافقين تركوا النفاق وآمنوا ظاهراً وباطناً إيماناً حقيقياً، فأراد الله تعالى أن يميزهم عن المنافقين، فأمر بتقديم الصدقة على النجوى ليميز هؤلاء الذين آمنوا إيماناً حقيقياً عن بقى على نفاقه الأصلي، وإذا كان هذا التكليف لأجل هذه المصلحة المقدرة لذلك الوقت، لا جرم يقدر هذا التكليف بذلك الوقت، وحاصل قول أبي مسلم: أن ذلك التكليف كان مقدر بغاية مخصوصة، فوجب انتهاءه عند الإتياء إلى الغاية المخصوصة، فلا يكون هذا نسخاً، وهذا الكلام حسن ما به بأس، والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله (أشفقتم) ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة.

قوله تعالى ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ ﴿فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون﴾.

والمعنى أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من إنفاق المال، فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في أن لا تفعلوه، فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (فإن قيل) ظاهر الآية يدل على تقصير المؤمنين في ذلك التكليف، وبيانه من وجوه (أولها) قوله (أشفقتم أن تقدموا) وهو يدل على تقصيرهم (وثانيها) قوله (فإذا لم تفعلوا) (وثالثها) قوله (وتاب الله

عليكم) قلنا: ليس الأمر كما قلتم، وذلك لأن القوم لما كلفوا بأن يقدموا الصدقة ويشغلوا بالمناجاة، فلا بد من تقديم الصدقة، فمن ترك المناجاة يكون مقصراً، وأما لو قيل بأنهم ناجوا من غير تقديم الصدقة، فهذا أيضاً غير جائز، لأن المناجاة لا يمكن إلا إذا مكن الرسول من المناجاة، فإذا لم يمكنكم من لم يقدروا على المناجاة، فعلمنا أن الآية لا تدل على صدور التقصير منهم، فأما قوله (أشققتم) فلا يمتنع أن الله تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب، فقال هذا القول، وأما قوله (وتاب الله عليكم) فليس في الآية أنه تاب عليكم من هذا التقصير، بل يحتمل أنكم إذا كنتم تائبين راجعين إلى الله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، فقد كفاكم هذا التكليف، أما قوله (والله خبير بما تعملون) يعني محيط بأعمالكم ونياتكم (٢٧).

ثامناً: قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً (٩) إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمططيراً ﴿١٠﴾ الإنسان ٨-١٠

(النوع الثالث) من أعمال الأبرار: قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمططيراً) .

اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله (يوفون بالنذر) والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله (ويطعمون الطعام) وههنا مسائل:

(المسألة الأولى) لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة، كأبي بكر الأصم وأبي علي الجبائي وأبي القاسم الكعبي، وأبي مسلم الإصفهاني، والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق علي بن أبي طالب

عليه السلام، والواحد من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت في حق علي عليه السلام، وصاحب الكشف من المعتزلة ذكر هذه القصة، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس معه، فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيرى اليهودي ثلاثة أصوع من شعير فحنطت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صائمين، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه وجاءهم أسير في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين ودخلوا على الرسول عليه الصلاة والسلام، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فسأه ذلك، فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرأها السورة».

والأولون يقولون إنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للإبتلاء والإمتحان، ثم بين أنه هدى الكل وأزاح عنهم ثم بين أنهم انقسموا إلى شاكِر وإلى كافر ثم ذكرو عِد الكافر ثم أتبعه بذكر وعد الشاكِر فقال: (إن الأبرار يشربون) وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكِرِين والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد، لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين، فلو جعلناه مختصاً بشخص واحد لفسد نظم السورة (والثاني) أن

الموصوفين بهذه الصفات المذكورون بصيغة الجمع كقوله (إن الأبرار يشربون، ويوفون بالندر، ويخافون ويطعمون) وهكذا إلى آخر الآيات فتخصيصه بجمع المعنيين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول علي بن أبي طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضا داخل في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين، فكما أنه داخل فيها فكذا غيره من أتقاء الصحابة والتابعين داخل فيها، فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى البتة، اللهم إلا أن يقال السورة نزلت عند صدور طاعة مخصوصة عنه، ولكنه قد ثبت في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(المسألة الثانية) الذين يقولون هذه الآية مختصة بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قالوا المراد من قوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) هو ما رويناه أنه عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار (فإنهم) قالوا إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمساواة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه، ووجه ذلك أن أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام وذلك لأن قوام الأبدان بالطعام ولا حياة إلا به، وقد يتوهم إمكان الحياة مع فقد ماسواه، فلما كان الإحسان لا جرم عبر به عن جميع وجوه المنافع والذي يقوى ذلك أنه يعبر بالأكل عن جميع وجوه المنافع، فيقال أكل فلان ماله إذا أتلفه في سائر وجوه الإتلاف، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ وقال ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ إذا ثبت هذا فنقول: إن الله تعالى وصف هؤلاء الأبرار بأنهم يواسون بأموالهم أهل الضعف والحاجة، وأما قوله تعالى (على حبه) ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون الضمير للطعام أي مع اشتهاؤه والحاجة إليه ونظيره (وأتي المال على حبه، لن تتالوا البر حتى تتفقوا مما تحبون) فقد وصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم على ما قال (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة) (والثاني) قال الفضيل بن عياض على حب الله أي لحبهم الله: واللام قد تقام مقام علي، وكذلك تقام على عن الاكتساب بنفسه (والثاني) اليتيم وهو الذي مات كاسبه فيبقى عاجزاً عن الكسب لصغره مع أنه مات كاسبه (والثالث) الأسير وهو المأخوذ من قومه المملوك (هـ) رقبته الذي لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة. (٢٨)

وفي الختام

وفي نهاية المطاف لهذه المطالعة السريعة نجد أنفسنا أمام كم هائل من العلوم المتشابهة والمتداخلة التي شاركت في هذا السفر الجليل والتفسير الكبير وقد خضعت إلى موازنات قلّ نظيرها، لأنها ليست مسألة عابرة ولا محاضرة سافرة وإنما محاولة جادة لفهم وحي الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لفظاً ومعنىً واسلوباً المنقول إلينا بالتواتر والذي أجمعت عليه الأمة ولم تجمع على سواه بهذا المستوى كيف لا وهو بحفظ الله وحصنه وحرزه؛ قال ﴿إنا نحن الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر/٩ ، فقولُه عز وجل هو الفصل وليس بالهزل، عسى أن نكون قد وفينا بقسط ولو يسير، وحق في أعناقنا لترك الباب مشرعاً مفتوحاً للقاري العزيز ليدلو به ويحرك عقله وفكره، ويستفيد من الخطوة الأولى هذه إلى خطوات أوسع، ومجالات أعمق، وفضاءات أرحب، والحمد لله وحده.

الهوامش

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير م ١ ج ١ ص ٨.
- ٣- الطباطبائي- محمد حسين - الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤.
- ٤- الطبرسي- أبو علي- مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤.
- ٥- الزمخشري- محمود بن عمر- الكشاف م ١ ج ١ ص ٥٩-٦٠.
- ٦- ابن منظور- لسان العرب ج ١٠ ص ٢٦١.
- ٧- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير م ١ ص ١٠-١١.
- ٨- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير م ١ ص ١١-١٢.
- ٩- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير م ١ ص ١٨.
- ١٠- الخطيب- د. محمد عجاج- المكتبة والبحث والمصادر ص ١٤٢-١٤٣.
- وكذلك الذهبي - د. محمد حسين- التفسير والمفسرون (٢٩٠/١ - ٢٩٦).
- ١١- ابن خلكان «وفيات الأعيان» (٢٦٥/٢-٢٦٨)، وابن العماد «شذرات الذهب» (٢١/٥).
- ١٢- ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٣٠٤/١).
- ١٣- حاجي خليفة «كشف الظنون» (٢٩٩/٢).
- ١٤- المرجع نفسه (٢٩٩/٢).
- ١٥- قارن «مفاتيح الغيب» للرازي (١٩٩/١٦) من المطبوعة البهية و«الجامع لأحكام القرآن» (٣٦٧/٨) بتحقيق إبراهيم أطفيش عند أسباب نزول آية: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) التوبة/١١١.
- ١٦- إنه لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة، فيذكر أقوالهم ويفندها ويرد عليها، ويستفرغ وسعه في عرض دليل الخصم ومذهبه، ثم يرد عليه، ولكن بعضهم يرى أن رده لا يكون كافياً شافياً أنظر «لسان الميزان» ٤٢٧/٤ وقارن «بالتفسير والمفسرون» للذهبي (٢٩٤/١). وقال ابن تيمية في صنع الرازي: (... وينصر الاسلام وأهله في مواضع كثيرة، كما يشكك أهله ويشكك غير أهله في أكثر المواضع. وقد ينصر غير أهله في بعض المواضع، فإن الغالب عليه التشكيك والحيرة، أكثر من الحزم والبيان). «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢١٣/١٦-٢١٤).
- ١٧- حاجي خليفة- كشف الظنون (١- ٢٣٠-٢٣١).

- ١٨- نفس المصدر والصفحتين.
- ١٩- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير من هذه الطبعة (٢١/١).
- ٢٠- الرازي- فخر الدين- التفسير الكبير م ١ ج ١ ص ٥-٧.
- ٢١- نفس المصدر م ٢ ج ٥ ص ٣٤٩-٣٥١.
- ٢٢- نفس المصدر م ٣ ج ٧ ص ٧١.
- ٢٣- نفس المصدر م ٣ ج ٨ ص ٢٤٥-٢٤٧.
- ٢٤- نفس المصدر م ٤ ج ١١ ص ٣٠٥-٣٠٧.
- ٢٥- نفس المصدر م ٤ ج ١٢ ص ٣٨٢-٣٨٤.
- ٢٦- نفس المصدر م ٤ ج ١٢ ص ٣٩٩-٤٠١.
- ٢٧- نفس المصدر م ١٠ ج ٢٨ ص ٣٧١-٣٧٣.
- ٢٨- نفس المصدر م ١٠ ج ٣٠ ص ٣٤٣-٣٤٥.

حركة الإمام الحسين " عليه السلام " دينيًا وسياسيًا

حسام علي محمود

كاتب وباحث / جمهورية العراق

خروج الامام الحسين عليه السلام إلى العراق، لم يأت به رجل عاش الواقع عينه فقط، فهو فوق ذلك بتصوراته وإدراكاته لمتطلبات وأهداف تلك المرحلة الحرجة، التي لاح خطرها على الاسلام والمسلمين جلياً بعد وفاة جدّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فكانت الحركة، كونها ليست مغامرة لمساومة على دنيا إن قبلته أم لا فسيان، لما كان في نفسه من عقيدة راسخة يصعب فهمها بكل المعاني والمفردات التي لدينا، بل كانت واجبة بكل ما يملك، لاعتقاده الشديد بضرورة تعطيل ذلك البلاء الممتد بجذوره والمضرم بناره، والقادم ليس نحوه فقط، وإنما تجاه آل البيت الأطهار، وبالتالي الى كل أمته ومستقبلها.

الامام الحسين عليه السلام، حملَ في حركته، ومواجهته يزيد وأنصاره وأتباعه، رسالة تاريخية عميقة المعاني والقيم الانسانية، تجلّت في قدسية

التضحية والصبر والايمان، لإعلاء شأن الاسلام، مؤكداً أهميتها وعظمتها على مرّ الحركات التاريخية والدعوات الدينية والسياسية، بل وندرتها. فلا مجال للرجوع أو التنازل، لا مجال للخوف الذي لاح شبحه لبعض ممن رافقه، لا مجال إلا للفوز بما أدركه واستوعبه لها، وضرورة ترسيخه لها، بكل معانيها السامية، لأخلاقه وأصوله السامية أيضاً، لأجيال وأجيال. حركة شملت وإشتملت على كل ما هو مسمو عن أرض الواقع .. برجالها ونسائها وأطفالها .. ببوادر نشوبها وإعلانها وحتى إنتهائها، وما ناله الامام الحسين عليه السلام ومن معه منها، إلى يومنا هذا.

فهي لم تكن في عداد المواجهات الصعبة والمؤلمة والمحنة، ولم تكن في عداد المواجهات التي تقبل النصر أو الهزيمة فحسب، بل كانت معركة دار رحاها لتبليغ ما لا يمكن أن يبلغه غيره ولتحقيق ما لا يمكن لغيره أن يحققه. وهي في ذات الوقت تُعد معركة تعلو على معارك دنيوية أخرى، نالت أهمية وقُدسية لم يختلف عليها إثنان. فهي كونها رسالة تاريخية عظيمة مقدسة، حملت في ثناياها للآن معاني النصر والايمان والصبر والتحمل، فقد حققت كل ملامح ذلك النصر الأكيد بمعانيه الرسالاتية، التي وإن مضت عليها مئات السنين، فهي باقية كإمتداد لتلك الرسالة.

حركة تتشد تطبيق أهدافها في كل زمان ومكان .. لما راح فداء لها، أغلى وأجل .. دون أن تضل طريقها أو تتخدد ... بل جعلت الطريقة التي إنتهت بها وما آلت إليها، أن تكون دروساً وعبر، الأخذ بها لزماً لكل من يدعي التمسك إستشهاداً أو إدعاءً بعظمة الامام الحسين عليه السلام. هي رسالة تستوجب الاعلان بضرورة تتبع خطاها إلى أبعد ما تمثله أو ترسمه عنها تقاليد وإستذكارات، بعضها غير ذي صلة، صارت منهجاً متبعاً للتعبير عن

حب الامام الحسين عليه السلام، ومغايراً للصورة التي رسمها لنا سيد الشهداء، بالأسلوب الذي لا يمكن - يقيناً - رسمه ثانية على مرّ التاريخ.

إستشهد الامام الحسين عليه السلام.. وصار التعبير عن معاني تلك المعركة وتلك الشهادة بحسب وعينا وإدراكنا لها، بأشكال مختلفة ومتنوعة، دلّت على حجم الوعي والفهم المتباين لها، حيث لم يتجاوز أغلبها حالات النواح والطم، شأننا شأن من بكى الحسين بعد مقتله، حين قالت زينب عليها السلام لأهل الكوفة، وما أشبه اليوم بالبارحة :

" أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا، فأنكم أحرى بالبكاء، فأبكوا كثيراً وضحكوا قليلاً، فقد أبليتُم بعارها ... ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرّون ليوم تبعثون، فتعساً تعساً، ونكساً نكساً! لقد خاب السعيّ وتبت الأيدي وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة و المسكنة " .

نعم، فقد صارت مسألة الحسين حدّاً فاصلاً بين المحبين والعدويين .. حدّاً بين من يعتقد بحبه وضرورة موالاته له كيفما شاء أن يدرك، وبين من يسعى لتقليل وإنكار لا ضرر منه، أهميتها، شأنهم في ذلك شأن من أنكروا الحسين يوم مقتله وهو ينادي بهم :

" أنسبونني من أنا ؟ أأنت ابن بنت نبيكم ؟ أولم يبلغكم ما قاله الرسول لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة ؟ ويحكم أطلبونني بقتيل لكم قتلته أو مال لكم إستهلكته ؟ "

إنها للأسف، مسألة لم تأخذ إهتماماً بحجمها ومكانتها، شكلاً يليق بها، بل أن حيزها إشتمل خروجاً عن بعض حقائقها عند بعض دعايتها لدى جانب، ومحاولات محو تلك المكانة والأهمية لدى الجانب الآخر. أجج بذلك أحقاداً متوارثة يشعل فتيلها دائماً كل الأطراف، متناسين دور وعظمة وقدرة الامام

الحسين عليه السلام في موقعته تلك، بغية أغراض متعددة، دينية وسياسية. لا بل أن البعض لا يزال، ودعاة الثقافة من حملة الأقلام منهم على وجه التحديد، يواصل إسناد الشعائر الحسينية إلى أصول صفوية، إبتعاداً غيبياً منهم عن جوهر الحركة ! متناسين أن الفرس قد ساهموا مع العرب في إعلاء صرح الاسلام كدولة إمتد شموخ مجدها شرق البلاد وغربها.

والسلام على من ينصر الحق لذات الحق.

الأستاذ المطهري ومواجهته الأثيلة والفلسفية للعلم الجديد

الدكتور مهدي گلشنی

أستاذ جامعة شريف الصناعية

رئيس معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

المقدمة

دخل العلم الجديد عالمنا الاسلامي قبل قرنين من الزمن، وقد واجه هذا العلم في العالم الاسلامي أربع ارتكاسات قبل أن يجد له موضع قدم، وهي:

١. بعض علماء الاسلام اعتبروا " العلم الجديد " غير جدير ولا يوائم الدين الاسلامي حيث أخرجوه من مسرح الحياة الدينية لأعتقادهم أن الطريق الوحيد للنجاة من التأخر والتخلف الالتزام بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف.

٢. أما القسم الآخر فقد استقبلوه بصدر رحب وعملوا جد جهدهم كي يفتحوا له مجاًلاً في العالم الاسلامي واعتبروه المنقذ الأوحـد من التأخر والتخلف عن قافلة التقدم والازدهار، وسعوا على إبدال التطور

الديني للكون والحياة بالتطور العلمي لإعتقادهم بأن العلم هو المصدر الوحيد لبيان الحقيقة المجردة بشكلها الواقعي .

٣. أما القسم الثالث فقد ذهب لبيان دلائل إنسجام مقومات الاسلام مع قواعد وأسس العلم الجديد، وكان علماء القسم الثالث هذا قد إنقسموا الى ثلاث فرق:

(١) الفريق الأول حاول أن يبرر موقفه من إكتساب قواعد وأسس العلم الجديد بشرط أن يكون قائماً على مقومات الدين الاسلامي. ويعتقدون وجوب تعلم العلم الجديد لضمان مآرب وحاجات المجتمع الاسلامي، والنجاة من الانتقاد الموجه من قبل المستشرقين ومتقفي العلمانيين.

(٢) الفريق الثاني حاول أن يثبت أن كل ما جاء به "العلم الجديد" ميسر في القرآن المجيد والسنة الشريفة، ويمكننا جعل "العلم الجديد" وسيلة للوصول الى حكمة بعض الأمور الدينية ودرك غوامضها. كما أن بعض علماء هذا الفريق يعتقدون أن "العلوم التجريبية" قد توصلت الى نتائج كان الأنبياء قد أخبروا عنها قبل عدة قرون خلت.

(٣) القسم الثالث يحاول التعبير عن الاسلام تعبيراً حديثاً يمكننا أن نجعله جسراً يربط بين الاسلام من جهة والعلم الجديد من جهة أخرى. والمعروف أن العالم الهندي المسلم "سيد أحمد خان" يبحث في مجال "الهيئات الطبيعية" ونتمكن أن نستغل دراسته وأبحاثه وجهوده العلمية في نشر ما وصل اليه من بهاء وسناء العلم الجديد في هذا المضمار.

٤. القسم الرابع حاول فصل ما توصل اليه العلم الجديد عن ملحقاته الفلسفية، وهم على الرغم من تعظيم وتكريم فعاليات علماء الغرب في

مجال " كشف أسرار الطبيعة "، يحذرون المسلمين من ملزومات المذهب السماوي في العلم الجديد. وهم يعتقدون أن العلم الجديد يتمكن أن يبين خصائص العالم الفيزيائية، ولكنه لا يتمكن أن يدعي حيازة كافة العلوم. ويجب أن يكون العلم الجديد في صلب نص نظرية " تطور الكون والحياة " الاسلامية والتي تعتبر أعلى أنواع العلم، وما العلوم إلا وسيلة تؤدي دورها في أن تقرّبنا الى الله عز وجل. والاستاذ " مرتضى المطهري " في قمة هرم علماء هذا القسم.

مواجهة الاستاذ المطهري للعلوم الجديدة

على خلاف بعض العلماء والاختصاصيين المسلمين الذين حاولوا تطبيق العلم الجديد بالقرآن والسنة، كان الاستاذ المطهري قد توجه الى المسائل العلمية الأساسية التي تؤدي الى تشعب الآراء والتناحر بين علماء الدين واختصاصي العلوم الفيزيائية والطبيعات. وقد أشار الاستاذ المطهري الى ذلك، فقال:

" إنني حين مطالعة آثار ومقالات العلماء في المجال المذكور أحاول قراءة ما بين السطور كي أفهم فحوى وأساس ومنطلق أفكارهم، ولأفهم السبب الذي دعى العالم أو الاختصاصي الفلاني أن يطرح استنباطه الفلسفي، حيث يدخل الموضوع و يخرج منه بشكل خاص، لان المسألة أو المبحث استحوذ على فكره وأصبح من البديهيات المؤكدة ثم أعرب عن رأيه بثقة وإطمئنان. (١)

يرى الاستاذ المطهري أن منطلق تضارب آراء المتدينين وأخصائيي العلوم يصدر من مقدمات الفرضيات الحاكمة على دنيا العلوم، وانعكاف أفكار بعض المتدينين في الالهيات . ولبيان هذا الموضوع نذكر فيما يلي بعض الأمثلة:

أ - برهان النظم والتنسيق : ظهور الأفكار التجريبية في العلم الجديد قد حدا ببعض العلماء المسلمين المطالبة بجعل الالهيات تجري مجرى نظام العلوم التجريبية، ويكون السبيل الوحيد لمعرفة الله جل وعلا، دراسة الطبيعة دراسة علمية، واستناد الاستدلال القرآني على الظواهر الطبيعية، ويعتبر هذا دليل كاف على جدارة العلم التجريبي. حتى أن البعض قد أيدوا تطبيق الحكم القرآنية بالفلسفة الوضعية " التحقيقية " (٢).

كان المرحوم الاستاذ المطهري يؤمن بأن التجربة والاختبار لمعرفة الطبيعة واجب ضروري، ولكنه لم يؤيد فكرة " أن الطبيعة تتعلق بالمشاعر فقط " ويعتقد أن الفعاليات العقلية في حصيلة النتائج العلمي أمر لا بد منه حيث نتمكن على ضوءها أن نقدم للعالم تعابير تثبت وجود الباري جل وعلا. والعلم التجريبي قادر على أن يهدينا الى آلاء الله سبحانه وتعالى، ولكن استنتاج وجود الخالق مما خلق يحتاج الى فعالية ونشاط عقلي. وأكثر ما يتمكن العلم أن يقدمه هو أن يبين لنا صفات الله جل شأنه وهو عاجز عن أن يقدم الله القادر، عالم الغيب والشهادة، كما يخبرنا القرآن الكريم بذلك.

كيف يمكن من قراءة قسم محدود حول الخلق أن نتعرف على الله ذي القدرة اللامتناهية ؟ كما أن الاندفاع من المتناهي الى اللامتناهي يستوجب فعالية عقلية: " إن السبل التي سلكت عن طريق نظام المخلوقات وهداية المخلوقات من أجل إثبات وجود الخالق طرق جيدة وممتازة وحميدة، ولكن امتيازها جيد ضمن إطار جلب نظر الانسان الى أن هذا العالم والوجود الذي نراه ونشعر بوجوده يدار بقوة مُدبّر ينظم هذا النظام المعقد .. وأكثر ما نصل اليه هو أن لهذا النظام الكوني مُنظم فقط ولا أكثر من هذا .. وأسمى ما يشير اليه العلم إن ناظم هذا العالم هو صانعه ، وهو أعلم بما صنع. ولكن العلم يتمكن أن يبرهن " وهو بكل شيء عليم " . (٣)

نعم إن القوانين الفيزيائية والكيميائية لم تكن حقائق تجريبية فقط بل الوصول الى مدلولها يحتاج الى أمور عقلية وذلك لأن المختبرات الفيزيائية والكيميائية لا تمنحنا إلا خواص المادة فقط.

وكان المطهري "رحمه الله" يقول : النظام والنسق يصدران من أسباب "فاعلية" أو "غائية"، وسبب النظم الفاعلي هو لكل سبب مُسبَّب " ولكل فعل فاعل" والسبب أيضاً له سبب وهكذا دواليك. وحلقة هذا النظم سلسلة تربط الأشياء بعضها ببعض. وفي النظام الناتج عن الغائية يعرب المعلول عن العلة اختياريّاً، يعني أنّ في العلة احساس وإدراك وعقل يعرف الهدف والغاية. والنظم السائد في العالم دليل واضح على وجود ما وراء الطبيعة، والنظم منبعث عن علة غائية. وكان النقد الذي وجهه الاستاذ المطهري الى المرحوم مهدي بازركان (أستاذ جامعة طهران) هو أن الاستاذ بازركان لم يضع فاصلاً بين النظمين المشار اليهما ولم يرَ خلافاً بينهما. (٤)

كما أكد الأستاذ المطهري على أنّ الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى من النظم والنسق السائدان على الطبيعة لم يكن استدلالاً فلسفياً صرفاً خالصاً، ولا استدلالاً تجريبياً خالصاً، ولكن يحمل في طياته إئتلافاً فلسفياً إضافة الى إئتلاف تجريبي. وعدم ملاحظة هذا الأمر والالتفات اليه يؤدي الى سلب ونقض برهان النظم، وقدسها الفيلسوف والمؤرخ الانجليزي دافيد هيوم (Hume ، ١٧١١ - ١٧٧٦م) عن هذا الأمر. ويعتقد هليوم أنّ هذا الاستدلال يحوي طبيعة وجبلة تجريبية، لذا لا يمكن الاستدلال على وجود الخالق القادر العالم المطلق وفقها. أما النكتة التي سها عنها هيوم هي: عندما يعمل الاستدلال التجريبي عمله، نرى أثره وبواسطة التجارب نصل الى العلة والسبب الذي أدى الى وجوده. وهذه الفكرة لا نجد لها أثراً عندما نعمل بالطبيعي العادي وفوق الطبيعي في آن واحد.

إنَّ القيمة والاعتبار الحقيقي لبرهان النظم هي أن تأخذ بنا إلى حدود الفيزياء والميتافيزيقيا، وتخبرنا حقيقة فوق الطبيعة وحتمية وجودها، ولكنها خرساء صامتة أمام وحدانياتها أو تعددها، أو كونها متناهية أو غير متناهية. نعم إنَّ هذه القرارات بحاجة إلى استدلالات مستقلة منفردة.

ب- نظرية "تطور الأجناس الحية" لعالم الطبيعة الانجليزي "دارون Darwin": لقد حاول دارون حذف كيان النظرية القائلة باستقرار وثبات الأحياء والاعتقاد في الخلق الخاص بكل نوع من الأنواع، وأكد وجود تغير فردي في داخل النوع، وإنَّ الأفراد ذات التغير الأكثر ملاءمة يكون لها حظ أوفر من البقاء ويعرف هذا بمبدأ الانتخاب الطبيعي. ويعتقد أتباع نظرية "دروين" أنَّ الحياة قد وجدت عن طريق الحظ الأوفر، وخالفوا نظرية الخلق وانكروا وجودها، واعتبروا النظام القائم في عالم الطبيعة وَجَدَ نتيجة إئتلاف الحظ الأوفر والانتخاب الطبيعي. وكما قال "ريتشارد داكينز Richard Dawkins":

"الحظ الأوفر والانتخاب الطبيعي طي مراحل قصيرة ومتعددة وكثيرة وخلال عصور متوالية قد أوجدا القدرة الكبيرة والمعجزة التي أوجدت "الديناصورها" ونحن البشر. (٥)

أكثر شيء تمنحه هذه النظرية هو وجود الأجناس الجديدة ميكانيكياً ، أما بعض أنصار النظرية الدروينية لم يكتفوا بتحدي النظرية القائلة باستقرار وثبات الأحياء ، وجعلوا مكانها نظرية تطور الأجناس الحية فحسب بدل إدعوا أنَّ نظريتهم لا تحتاج إلى خالق الأحياء في هذا العالم.

ولكن الذي غرب عن بال هؤلاء هو أنَّ "الديناميكية" لا تنفي وجود الصانع والخالق. لذا فإنَّ نظرية "تطور الأجناس الحية" لا تتكر إنَّ الله خالق كل شيء "يبدؤ الخلق ثم يُعيده". ويجب توضيح بدأ الخلق، وما خلق من العدم، وما تطور حتى وصل إلى ما هو عليه.

ذكر الشيخ أبو مجد محمد رضا الاصفهاني (وهو من علماء القرن الماضي) في كتاب له نشر قبل تسعين عاماً أنّ " نظرية تطور الأجناس الحية " لا تخالف الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى، ولكن المخالف للاعتقاد بالواحد الصمد هو التعبير المادي " المذهب المادي " في هذه النظرية. نعم إن سوء استخراج مفهوم " المذهب المادي " في نظرية تطور الأجناس الحية قد قلب الموضوع رأساً على عقب وجعلها نظرية تخالف الاعتقاد بالله جلّ شأنه. (٦)

وفي العقود الأخيرة حاول بعض الملحدّين من أخصائيي " علم الطبيعة الحيوية " دقّ طبول دعاية واسعة مفادها تعارض " نظرية تطور الأجناس الحية " لعقيدة الايمان بالله جل وعلا. ويعتقد " *Richard Dawkins* " أنّ فرضية وجود الله تعارض الانتخاب الطبيعي: " الله والانتخاب الطبيعي، هما النظريتان القائمتان العاملتان [اللتان توضحان] ، لم لنا وجود " . (٧)

نعم إنّ " *Dawkins* دكينز " يعتقد أنّ نظرية " دروين " تجعلنا في استغناء عن فرضية وجود الله: " مع أنّ من الممكن قيام فرضية وجود الله قبل فرضية دروين وكان الدفاع عنها متيسراً ، ولكن نظرية " دروين " جعلت الملحد قانعاً بما يؤمن به عقلياً " . (٨)

ولكن " *Dawkins* دكينز " لم يلتفت الى أنّ لا تناقض منطقي بين الادعاء أنّ الأجناس الحية حية نتيجة " الانتخاب الطبيعي " أو نتيجة تصميم عامل يطلق عليه اسم " الله " جل شأنه.

وكان الأسقف " *Fredenick Temple* فردريك تمبل " قد ألقى في " *Bampton* بمبتون " محاضرة حسنة سنة ١٨٨٤م وقد أجاد فيها، حيث قال: " الشيء الذي تحمله نظرية " التكامل " لم يكن شواهد أطروحة ولكنه تنفيذ لأطروحة .. حيث خلق الخالق حيوانات دفعة واحدة " كما هي عليه

الآن"، وفي حالة أخرى خلق ذرات مادية، وجعل لها القدرة الذاتية على التكامل بمرور الزمن حتى أصبحت بشكلها الحالي". (٩)

وقد انتبه الاستاذ المطهري الى هذه المراوغة، وصرح في خطابه الذي ألقاه في "جمعية الأطباء" بتاريخ ١٧/ خرداد / ١٣٤٧ - ١٩٦٨ وقال: لا فرق في نظر القرآن ونظر العلوم في خلق المخلوقات دفعة واحدة أو حسب نظرية تطور الأجناس. نعم إن مسألة التوحيد لا علاقة لها بعقيدة أن المخلوقات قد خلقت دفعة واحدة أو أن الأجناس قد تطورت وأصبحت بما هي عليه. وإن ما كان شائعاً خلال القرن التاسع عشر يوجب الاعتراف بنظرية تطور الأجناس، أو بوجود الله سبحانه وتعالى، خطأ وإضلال.

ومن الخطأ أن نجعل التوحيد والالهيات مرادفاً لنظرية استقرار وثبات الأحياء. ومن الناحية المنطقية لا تضاد بين "التوحيد" وفكرة "تطور الأجناس"، وسبب التوهم في التضاد هو انتشار فكرة "البحث عن الخالق في مجهولات العلوم الطبيعية".

وكان الاستاذ المطهري يقول: نحن لا نرغب أن ندحض نظرية "تطور الأجناس الحية" لأنها تتعلق بعلم الأحياء ولا يحق لنا الخوض في ما لا نعلمه من علم الأحياء. ولكن لنا الحق أن نفهم أن نظرية التطور الدروينية جديرة وكافية في هذا المجال أم لا. يعني ألا ندع المجال لأسس ما وراء الطبيعة أن تظهر على مسرح هذا البحث، كما أن نظرية التطور الدروينية لا مبرر لقبولها. (١٠)

وكان الاستاذ المطهري يعتقد أن الجماعتين على وهم، الرهط الأول منهم هم الذين سلّوا سيف النضال ضد نظرية تطور الأجناس كي يثبتوا اعتقادهم الراسخ بالله تبارك وتعالى وينادون بأعلى أصواتهم أن المخلوقات ثابتة ولها ابتداء زمني. والرهط الثاني هم الماديون حيث يحاولون إثبات مقومات المذهب المادي ونبذ الاعتقاد بالخالق جلّ وعلا وإن المخلوقات قد

أمست بما هي عليه نتيجة التطور والتكامل. وهاتان الجماعتان قد ساعدتا على الاعتقاد بأن نظرية " تطور وتكامل الأجناس " مادية حتماً، وجعلوها منطلق استغلال فكرة عدم الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى . (١١)

وكان الاستاذ المطهري يعتقد في مسألة إزالة مخالفة نظرية " خلق آدم ع " بنظرية " تطور الاجناس " والتي أمست ذريعة يتداولها مخالفو الدين، كان يعتقد عين ما كان يعتقد الدكتور يدالله سحابي^١، وهذه العقيدة تقول: يجب فصل خلق آدم ع عن خلق فصيلة الانسان. خلق آدم ع كامل الأوصاف والتركيب البدني للانسان. والذي جاء في القرآن الكريم. لم يكن إلا للاستدلال التوحيدي ، وإن خلق الانسان وذكر خلق آدم ع في القرآن الكريم جاء من أجل التنبيه على النقاط الأخلاقية :

" نعم إن قصة آدم ع موجودة في القرآن الكريم، ولكن ليس فيها أي علامة لمعرفة الله أو التوحيد، ولكنها درس عبرة للبشرية فترى مثلاً ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر ﴾^٢ حيث نرى ما يفعل التكبر وما كانت نتيجة تكبر الشيطان. وكذلك ما كانت عليه حال آدم نتيجة حرصه وشدة طمعه للوصول الى الشجرة التي نهى عنها. كل ذلك كان درس عبرة اخلاقي لا درس توحيد وعرفان. أما خلق ساير الناس فقد ذُكِرَ في أي الذكر الحكيم على اعتباره درساً توحيداً .. (١٢)

ب- أصالة الروح ومسألة الحياة:

مسألة الروح والجسد، وخاصة مسألة الروح فهي من المسائل القديمة جداً. أما انتشار نظرية " تطور الأجناس الحية " وفلسفة المذهب المادي والتجربة المادية أخذ أكثر العلماء ينسبون كل الآثار التي نسبت الروح سابقاً الى عمليات مادية معقدة.

^١ الدكتور يدالله سحابي : استاذ بجامعة طهران سابقاً.

^٢ البقرة : ٣٤.

وكان الاستاذ المطهري قد اعتبر كافة السبل ومكونات المادة شرط لازم لمكونات الحياة وليس شرطاً كافياً شافياً : " إن تركيب وجمع وتفريق وتأليف أجزاء المادة شرط لازم لتكوين وخلق ونشأة العيش والحياة ، ولكنه ليس بالشرط الكافي .. " . (١٣)

وكان الاستاذ المطهري قد ردّ على أولئك الذين يبشرون بأن الانسان سيتمكن من تهيئة الأرضية المادية المناسبة لإيجاد آثار حياتية على سطح المعمورة، فقال : " إن العيش والحياة يكون في المادة حين تتمكن المادة أن تأتي بمثلها أو تتكاثر ذاتياً أو بعبارة أخرى أن تمنح المادة ذاتها خلال سيرها التكاملي حياة، وتعطي ذاتها الكمال الذي لم يتيسر في كيانها، ونتيجة تكون ذات آثار وفعاليات خاصة لم يكن في ذاتها وكيانها من قبل " . (١٤)

بناء على هذا اذا فرضنا أن البشر قد تمكن من خلق انسان فان هذا لا يتنافى مع القرآن القائل بأن الحياة بيد الله سبحانه وتعالى .

" من المحال أن تكون هناك شرائط وجود إفاضة كاملة دون أن تحقق ذاتياً، أليس أن ذات الأحد صمدٌ كامل مطلق وفياض على الاطلاق؟ أليس هو واجب الوجود بالذات، وواجب الوجود من جميع الجهات والحيثيات ؟ واذا حصل بشر على عمل ما فكان كل ما توصل اليه أن وفر شرائط الحياة، لا أن يخلق الحياة .. " (١٥).

كما أن الاستاذ المطهري قد وجّه إنتقاده الى بعض أنصار اللاهوتيات الذين نسبوا خلق الحياة لله جل وعلا. حيث توجه أولاً الى استئناف نشأة الحياة حيث قال: إنهم يحاولون استغلال نقاط جهل البشر لإثبات وجود الله سبحانه وتعالى، يعني يبحثون عن وجود الله طي مجهولاتهم :

" من الواجب هنا أن نحصل دوافع وغاية هذا الأمر، يعني : لماذا يحاول أنصار اللاهوتيات عندما يرغبون أن يربطوا العيش والحياة برب العرش العظيم يتوجهون الى استئناف نشأة الحياة في حين أن القرآن الكريم لم

يسلك هذا الطريق طيلة مسيرته التوحيدية، ويعتبر الحياة والتطورات نتيجة إرادة الله سبحانه وتعالى وبشكل مباشر ، ولم يجعل أي تباين بين استئناف ونشأة الحياة وبين استمرارها.

والحقيقة أن اختلاف المنطق القرآني مع أي منطق آخر يصدر من اختلاف أساسي حيث أن مجموعة من علماء الإلهيات يحاولون معرفة الله سبحانه وتعالى من الجانب السلبي لمعلوماتهم لا من الجانب الايجابي لتلك المعلومات، يعني كلما يواجهون مجهولات لا يتمكنون من استيعاب موضوعها يتذرعون بذريعة الله والالهيات ". (١٦)
ت- مسألة خلق العالم:

ترتبط مسألة خلق العالم بمسألة وجود الخالق جلّ وعلا ارتباطاً وثيقاً. فنرى خلال القرون الوسطى قد ظهر على بساط البحث براهين فلسفية مختلفة للدلالة على وجود الله سبحانه وتعالى. أما في القرون الأخيرة وخصوصاً القرن العشرين نشاهد ظهور مسألة الخلق والتكوين أو " أزلية العالم " في منتديات العلوم الفيزيائية، وأحد النظريات التي كان الماديون يطرحونها مخالفة للإيمان بالله جلّ وعلا هي نظرية " أزلية العالم ". والواقع أن ما قبل طرح مسألة " الانفجار الأكبر " التي سادت المحيط العلمي خلال القرنين الماضيين، كانت نظرية " أزلية العالم " هي المسيطرة على مسرح الحياة العلمية. وبعد اكتشاف الفلكي المشهور " ادوين باول هابل " نظرية " المجرات الخارجية والسدم المجرية اللامعة والمجرات اللولبية بوصفها مجموعات نجمية "، ظهرت في الأجواء العلمية نظرية " الانفجار الأكبر " وقد اعتبرها أغلب علماء الفيزياء المؤمنين بالله تبارك وتعالى دليل واضح وبرهان ساطع على خلق العالم بواسطة البارئ عز وجل. هنا ثارت ثائرة بعض علماء الفيزياء الملحدون وبدأوا يبحثون عن مفر من مسألة " البداية الزمنية لتكوين العالم "، ولا تزال الآراء في هذا الموضوع متضاربة ووطيس البحث والنقاش

مستعر الى يومنا هذا، كما أن بعض علماء الفيزياء يؤمنون أن عدم وجود بداية زمنية لتكوين العالم لا يجعله مكتفياً ذاتياً ومستقلاً عن الخالق جل وعلا.

وكما قال العالم "بول ديفيس paul charles willuam davies" :

الواقع أن يكون من الممكن أن ليس للعالم "بداية زمنية" وأن وجوده لم يوضح لنا كيف وجد وكيف اكتسب هذا الشكل ... (١٧)

وكان الاستاذ المطهري يؤكد أن المحدودية أو إسم المحدودية المكانية وكذلك أزلية العالم أو عدم أزليته لا تأثير لها على مسألة "التوحيد"، ومن يعتقد أن الاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى يستلزم الارتباط بالبداية الزمنية للعالم فهو على خطأ.

"لَمْ نتوجه الى اليوم الأول ونقول: إنَّ العالم قد تكوّن في لحظة واحدة؟ العالم في جميع لحظاته في حالة تكوينية، لا بقاء في هذا العالم أصلاً، ولا تجد شيئاً يبقى في العالم بضع لحظات، كل العالم .. في حالة حدوث دائماً .." (١٨).

مبدئياً واستناداً على ظاهري مقومات التوحيد نتمكن أن نقول : ألاّ بداية للعالم (لأن الله قديم الاحسان)، وان كان لعالمنا هذا بداية فيجب أن تكون على أساس آخر، وكان هناك عالم ثانٍ. (١٩) وكما صرح الاستاذ المطهري: "من الممكن أن تكون نظريتهم صحيحة، وتكون صحتها بهذا المعنى: اذا عدنا لماضي الزمان نرى أن العالم لم يكن بهذا النظام وهذا النسق والاسلوب، ومن أين نعرف أن هذا العالم لم يكن قائماً بصورة أخرى." (٢٠) نعم إن مسألة تعدد العوالم قد طرحها الاستاذ المطهري في النصف الأول من عقود السبعينات من السنة الميلادية، ولم تظهر في علم الكونيات (cosmology) إلا خلال سنوات عقود الثمانينات وذلك ابتعاداً عن الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، في الوقت الذي يكون فيه موضوع تعدد العوالم عين

الاعتقاد بالله عز وجل، كما أنّ الاستاذ المطهري قد صرح بقوله المشار اليه فيما تقدم من أجل مسألة الاعتقاد بالله الصمد.

ث- أصل السببية:

يعتقد الفيزيائيون أن أصل السببية من الأصول الأساسية ولا يمكن إهماله أو تركه أبداً كما يعتقدون أنّ معرفة القوانين الفيزيائية والشروط الأولية لأي نظام يمكن معرفة مستقبلية ذلك النظام. في سنة ١٩٢٧م أعلن عالم الفيزياء الألماني " هيزنبرغ *wearer karl Heisenberg* " نظرية اللاتحدد، القائلة بإستحالة تعيين : مكان وسرعة الالكترون في وقت واحد، وإذا أمعنا وبدقة في أحدهما فقدنا الدقة الكاملة في الآخر. وقد استنتج هيزنبرج من هذه التجربة:

المرور من علم الدراية الى معرفة الذات، ومعناه دحر أو إبطال "النظرية السببية"، وكان يرفض حتى أن تكون النظرية السببية في الحد الأدنى من الترتيب، بل يحتم بطلانها ويعتبرها نظرية بلا جدوى ولا طائل فيها.

بما أنّ الطبيعة الاحصائية لنظرية " الكوانتوم " ^١ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدم دقة كافة التأثيرات المحسوسة، ومن الممكن أن يفكر شخص ما أنّ وراء عالمنا المعروف عالماً حقيقياً تسيطر عليه نظرية " أصل السببية ". نعم اذا أردنا أن نتكلم بصريح القول عن مثل هذه البحوث، نتمكن من التصريح أن لا فائدة ولا جدوى من هذا الأمر.. إنّ نظرية " الكوانتوم " تنص وبصريح القول على نقض نظرية : " أصل السببية ". (٢١)

لقد تحدى كبار العلماء مثل ماكس بلانك (*max planck*)، ورنست *walther Hermann nernst*)، وإينشتاين (*alber Einstein*) وغيرهم قوانين الفيزياء الملموسة، واعتبروها الحل الأمثل لحل معضلة الانتخاب

^١ وتعرف بنظرية " الكم " [أصغر مقدار من الطاقة يمكن أن يوجد مستقلاً] .

الانساني. لذا فإن باب حرية انتخاب الانسان قد وجدت لها محل قدم تقف عليه. (٢٢). والجدير بالذكر ان أينشتاين قد ذكر في حينه أن لا تعارض بين حرية انتخاب الانسان والنظرية السببية. (٢٣)

وبعد قبول أصل عدم القطعية والجزم في الأمور الفيزيائية والقائل بسيطرة الحظ والنصيب على العالم العقلي، قام بعض علماء الاسلام بإحياء نظرية المتكلمين الأشاعرة، ومن أجل تأييد آرائهم اتخذوا نظرية " الكوانتوم " ذريعة تساعد على ما ذهبوا اليه. (٢٤)

ولررض موقف علماء فيزياء "لاكوانتوم" ذكر الاستاذ المطهري النقاط التالية:

١. نحن لا نرغب نكران مشاهدات كبار علماء الفيزياء، ولكننا نحاول نقد الاستنباطات الفلسفية لهؤلاء العلماء .

٢. قانون السببية وتشعباته (مثل: قانون السبب والمسبب [العلة والمعلول]، وقانون وجه التشابه بين السبب والمسبب) تعتبر بأكملها قوانين فلسفية، ولا يمكن اثبات صحتها أو عدم صحتها إلا بالاصول الفلسفية. ولا يمكن للعلوم أن تؤيد مصداقيتها أو عدم مصداقيتها. والجدير بالذكر هو أننا لا نتمكن من الاستغناء عنها، ويجب على العلوم أن تتقبل حقيقة أن " قانون السببية وما تفرع عنه " أصول موضوعة تحكي مصداقيتها. وهذا ما صرح به العالم الفيزيائي الشهير " بلانك " : " ومن الممكن وكما قيل ان قانون السببية لم يكن الا فرضية، وعلى الرغم من أنه فرضية لكنه ليس ككل الفرضيات، وذلك لأنها فرضية أساسية واجبة تمنح كافة الفرضيات الأخرى عند التحقيق وجهة علمية. (٢٦)

٣. إبعاد أصل السببية من عالم العقل، سيادة هذه الفرضية تزلزل عالمتنا الكبير من أقصاه الى أدناه، لأن فرضية " قانون

السببية " تربط كل أجزاء الكون ببعضها، وكما قال " الشبستري " : " أكر يك ذره را برگيري از جاى فرو ريزد همه عالم سرا پاي " ^١.

٤. نعم لا يمكن التنبؤ الدقيق عن سطح الذرة، وهذا ليس معناه أن لا اعتبار لقانون السببية، ولكن لا برهان لدينا يقول إن العلم قد وصل الى منتهى مراحل، وعرفنا جميع المراحل، كما أن عجزنا عن التنبؤ يمكن أن يكون معبراً عن جهلنا لبعض العوامل التي لم يصل اليها العلم فعلاً. وهذه ملاحظة يؤكد عليها علماء الفيزياء المعاصرون. هنري استاب (*henry stapp*) من كبار علماء نظرية " الكوانتوم " قد أشار الى هذا الأمر بشكل حسن حيث قال: " تعتبر نظرية الكوانتوم المعاصرة كل هذه الحوادث والمتغيرات [يعني النزوان الذري] مصادفة عرضية، وبهذا المعنى: تعين هذه النظرية الوزن العددي، وعملاً إذا حصلت هذه المتغيرات أو تلك الحادثة فلا يمكن تقسيم وتأكيد ذلك بواسطة النظرية المعاصرة. بناء على هذا فإن النظرية الفيزيائية المعاصرة لا تخبرنا بشيء أكثر من هذا، نعم إن العلم لم يلتزم جانب الاحتياط دائماً، وإن أكثر علماء الفيزياء هذا اليوم يدعون: " إن من الممكن حتماً ومن المقنع أن [نقول] ليس للانتخاب مصدر نشوء. وأنا أعتقد أن امكانيات كهذه تعتبر بياناً لحالة المعرفة العلمية المقبولة، أما لا يجب أن يبقى العلم على ما هو حالياً دون خوف وقلق واضطراب، يجب السعي والجد بأكثر مما نعمل وأن نستعين بكافة فروع العلم.. وعلى أرضية

أوسع، وإن الادعاء " بأن ليس للانتخاب مصدر نشوء " يدل على الجهل الفعلي ويجب الاعتراف بهذا الجهل " (٢٧) . حتى أن بعض العلماء المعاصرين يدينون بأن هناك عوامل " غير فيزيائية " لا يجب إهمالها أو التغاضي عن وجودها. ويقول عالم الرياضيات الكندي جان بايل *john bayl* في توضيح هذه القضية: "ومن أجل الاستدلال نفرض أن شخصاً ما استطاع أن يبرهن على عدم وجود سبب فيزيائي في الحوادث الذرية، وهنا فتح المجال لاحتمال وجود أسباب وعلل غير فيزيائية مثل الأفكار والذهنية البشرية، أو موجودات أخرى مثل الملائكة والشياطين، وحتى عمل إلهي مباشر. وهذه العوامل غير الفيزيائية كائنة حسب التعاريف وآراء البحث العلمي. وبناءً على هذا فلا يجوز لنا القول أن عدم وجود الأسباب الفيزيائية يؤدي الى عدم وجود أي سبب آخر. (٢٨). عدم بقاء نظرية " الكوانتوم " شائع ومألوف ومعمول به، ومسيرة قطعها فيزيائيون نظير " بوهم .. (*david bohm*) حيث أوجد " بوهم " نظرية تحوي متغيرات غير ثابتة تؤدي الى نفس النتائج التي تؤديها نظرية " الكوانتوم " على سطح الذرة ، ولكنها سببية " عليّة " .

٥. لا يكون لنشر نتائج تجربة بشكل قانون عام معنى ما لم تعتمد وتستند على قانون السببية " العلية " . وقد أشار ماكس بلانك الى هذا وقال: " كل فرضية إتخذت شكل قانون جازم أكيد، اعتبرت أصل السببية [العلية] فرض واجب الوجود " . (٢٩)

٦. التتصل عن أصل السببية " العلية " يؤدي الى نقض الاستدلال ، لأن " الاثبات " يستفاد منه " لقبول النتائج " ، وإذا لم تكن هناك صلة بين " الاثبات والنتيجة " ، فإن الاثبات لا يؤدي الى النتيجة.

٧. كما أن علماء نظير *jeans* جينز، قد استندوا على موضوع الانتخاب واتخذوه دليلاً على نقض قانون السببية " العلية " ، وكان خطأهم وهفوتهم في معنى الانتخاب الانساني. والانتخاب هنا ليس معناه " أننا أحرار فيما نرغب ونريد " ويكون هذا ذاتياً لا سببياً، وأيضاً ليس معناه " أننا ذووا إختيار في تنفيذ ما نرغب، والامتناع عما لا نرغب ". نعم نحن أحرار في تنفيذ الأعمال الظاهرية، ولا حرية لنا بالمقدمات النفسانية لأي فعل ما .

والجدير بالاهتمام هو أنّ كافة الملاحظات والنقاط التي تطرق اليها الاستاذ المطهري في العقد الثلاثين الهجري (١٩٥٠م) في " مقالته نهم أصول فلسفة رثاليسم " قد أبرمها وأكدها كبار علماء الفيزياء في العالم أمثال: " دوبروي *louis de broglie* و ديراك *paul dirac* والحقيقة أنّ العالمين المشار اليهما كانا قد صرحا بنزعتهما وتمايلهما الى " الفيزياء السببية " (٣٠) وفي العقدين الأخيرين ازداد أنصار ورواد "المكانيك الكوانتومية البوهمية" على رواد "الميكانيكية الكوانتومية السببية " .

المصادر:

١. مطهرى ، مرتضى، توحيد وتكامل مجموعة آثار / ج ١٣ طهران : صدرا ١٣٧٤، ص ٦٥.
٢. طباره عفيف عبدالفتاح، روح الدين الاسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧٠.
٣. مطهرى، مرتضى ، مجموعة آثار / ج ٤ طهران : صدرا ١٣٧٤ ، صص ٢٠٩-٢١٧.
٤. نفس المصدر.
٥. Quoted in M. Poole, "A Critique of the Philosophy and Theology of Richard Dawkins " Science and Christian Belief, pp. ١-٤١.
٦. Ziadat, A, western science in the Arab world, London; The MacMillan Press, Ltd, ١٩٨٦, p. ٩٧.
٧. Dawkins, R, the extended phenotype, oxford; OUP, ١٩٨٢, p. ١٨١.
٨. Dawkins, R, the Blind watch Maker, New York; W. W. Norton & co. ١٩٨٧, p. ٦.
٩. Quoted in M. Poole, op.cit., p. ٥٢.
١٠. مطهرى ، مرتضى ، المصدر السابق ، ج ٤، ص ٢٢٠.
١١. أيضاً، صص ٢٢٣ - ٢٢٤.
١٢. أيضاً، ص ١٦٤.
١٣. مطهرى، مرتضى ، اصالت الروح ، مجموعة آثار، ج ١٣، ص ٣٨.
١٤. نفس المصدر.
١٥. مطهرى، مرتضى، قرآن ومسئله اي از حيات ، مجموعه آثار، ج ١٣، صص ٥٨ - ٥٩.
١٦. نفس المصدر.
١٧. Davies, P. The Mind of god, London; simon & Schuster, ١٩٩٢, p. ٥٦.
١٨. مطهرى ، مرتضى، مجموعه آثار ، ج ٤، ص ١٦٩.

١٩. نفس المصدر ص ٣٨.
٢٠. أيضاً، ج ١٠، ص ٤٠٥.
٢١. *Quantum theory and Measurement*, Edited by J. wheeler and W.H. Zurek, Princeton; Princeton University Press, ١٩٨٣, P. ٨٣.
٢٢. Jammer, M, *Indeteminacy in physics*, in P. P. winer (ed), *Dicrionary of the History of ideas*, New York; charles schibner'ssons, vol. ٢, p. ٥٨٩.
٢٣. Benagen, T, *Struggle with Causality*, science in contexi, ٦, No. ١, p. ٣٠٦.
٢٤. Harding, K, *Causality then and now*; al-Ghazali and Cuantom theory, *American journal of Islamic social sciences*, ١٠, No. ٢, PP. ١٦٥- ١٧٧.
٢٥. مطهري، مرتضى، مجموعه آثار، ج ٦، صص ٦٧١ - ٦٩١.
٢٦. Planck, M, *the New sciences*, USA; Meridian books, ١٩٥٩, p. ١٠٤.
٢٧. Stapp, H, P, *Mind matter and Quantum Mechanics*, New York; springer verlag, ١٩٩٣. P. ٢١٦.
٢٨. Bayyl, J, *indeterminacy, Divince and Humman Freedom*, science and Christian belief, ١٥ No. ٢. Oct. ٢٠٠٣.
٢٩. Planck, M, op, cit, P. ١٠٤.
٣٠. كلشنى، مهدى، از عدم قطعيت تا عدم يقين ، تحليل للنظرات الفلسفية لدى علماء الفيزياء ، طهران، فرزانه، ١٣٨٠، صص ١٦٦ - ١٦٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تهذيب المعاجم سبق وريادة
دراسة في معجم:
تَرْوِيحُ الْأَرْوَاحِ فِي تَهْذِيبِ الصَّحَاحِ

بقلم: دكتور محمد صالح شريف العسكري
استاد مساعد بجامعة اعداد المعلمين

تمهيد:

سَجَلُ تاريخ اللغة العربية مرحلتين من مراحل السَّبْقِ والريادة في ميدان تأليف المعاجم، والمصنفات اللغوية؛ وهما:

١- مرحلة التدوين.

٢- مرحلة التهذيب .

كانت الأولى منها على يد الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) (١)، ومَنْ عاصره، وجاء بعده من أعلام اللغة، وكبار المعجميين، أمثال أبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) (٢) صاحب معجم الجيم، المعاصر للخليل، وابن دريد (ت ٣٢١هـ) (٣) صاحب الجمهرة، وأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) (٤) صاحب التهذيب، والجوهري (ت ٣٩٣هـ) (٥)، صاحب الصحاح، وغيرهم .

وأما المرحلة الثانية من السِّبْق والريادة، فهي مرحلة اختصار المعاجم، وتهذيبها مما علق بها من الأمور التي لا تمت إلى اللغة بصلة، وحذف الشروح والاضافات التي تعيق عمل الباحث اللغوي، وتحول دون وصوله إلى بغيته ببسر ودون عناء .

وقد بدأت المرحلة الأولى، عندما تبيّن لأعلام اللغة العربية، في مطلع القرن الثاني الهجري، أن تدوين المعاجم ضرورة لغوية، وحاجة علمية. فتوجهت عنايتهم إلى جمع مفردات اللغة، وتصنيفها، وشرح ماغضض منها، وتوضيحها بطرق مختلفة .

وتمخضت جهودهم، في هذه المرحلة، عن ظهور نوعين من المصنفات اللغوية :

أ - المصنفات اللغوية الموضوعية، التي تعتني بحقول دلالية معينة، وموضوعات خاصة، أمثال كتاب اللغات (اللهجات) تأليف يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) (٦)، وكتاب المثلث في اللغة، لقطرُب (ت ٢٠٦هـ) (٧) وكتاب خلق الانسان وكتاب الوحوش، تأليف سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠هـ) (٨)، وغيرها (٩).

ب - المصنفات اللغوية الشاملة، التي تستهدف حصر اللغة، بطريقة استيعابية شاملة، وتجمع أكبر عدد ممكن من المفردات مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، وفق ترتيب خاص، وهي التي تعرف اليوم بمعاجم الألفاظ، كمعجم العين، والجيم، والجمهرة، والصحاح، والقاموس المحيط، واللسان، وغيرها. وكانت هذه هي المرحلة الأولى، من الريادة والسِّبْق، في ميدان التأليف المعجمي، والتصنيف اللغوي، على اختلاف بين العلماء في صاحب السِّبْق في هذا الميدان، الخليل، أم أبي عمرو، صاحب الجيم (عطار، مقدمة المصباح (٧١-٧٤).

وأما المرحلة الثانية، وهي مرحلة الاهتمام بإعداد المهدبات والمختصرات اللغوية، فقد بدأت بعد أن تبين لعلماء العربية، أن الانتفاع بالمعاجم الموسوعية، المطولة مطلب عسير، وأن طالب اللغة لا يصل إلى مراده إلا بمعانات. وكان هذا إذاناً بانطلاق المرحلة الثانية، من الريادة والسبق في التأليف المعجمي الميسر.

ويعنى هذا المقال من خلال المباحث الآتية، بتفصيل الحديث عن هذه المرحلة باذن الله تعالى.

ويتألف هذا المقال من تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة:

- المبحث الأول: ويتناول مسألة الريادة وملابسات المرحلة الثانية.
- المبحث الثاني: ويتناول التعريف بشخصية الزنجاني صاحب الكتاب، ودراسة حياته.
- المبحث الثالث: ويتناول التعريف بمخطوط كتاب "ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح".
- أما المبحث الرابع: فقد خصص لبيان منهج الاختصار لدى الزنجاني، في كتاب الترويح.
- ثم الخاتمة، وفيها نتائج البحث.
- الكلمات الدالة: التهذيب، ترويح الأرواح، الصحاح، الزنجاني، مخطوط، الريادة، المعاجم.

المبحث الأول - مسألة الريادة في المرحلة الثانية :

سارت عملية التدوين في هذه المرحلة من تصنيف كتب اللغة، في اتجاهين:

الأول: اختزال واختصار المعاجم المطولة؛ لإنتاج معجمات ومصادر لغوية تنفع عموم القراء والمتعلمين، وغير المتخصصين، وذلك عن طريق

حذف معظم موادَّ أصل المعجم، والابقاء على الشائع، والمتداول من مفردات اللغة . ومن أمثله كتاب (مختار الصحاح) الذي جمع فيه مؤلفه أبو بكر الرازي مادَّته، من الصحاح وتهذيب الازهري وغيرهما . (مختار الصحاح، مقدمة المؤلف).

الثاني : وهو الاتجاه الذي يبقى على أصل الكتاب، ويحذف الاستطرادات التي لا تمت إلى مادة اللغة بصلة، وتشكل عائقاً ومانعاً لعمل الباحث، وطالب اللغة. أمَّا الملابس والعوامل والأسباب التي مهدت السبيل للمرحلة الثانية ، فنجدها في كلام أعلام اللغة .
يقول العلامة ابن منظور في اللسان :

(لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده ... غير أنَّ كلاً منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعز المسلك ... فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما) (١٠) ويقول الدكتور محمد أحمد فرج حول صعوبة الانتفاع بالمعاجم الكبيرة : (والناظر في اللغة التي تستعملها المعاجم العربية لشرح الألفاظ، وإلى الطريقة التي تُستعملُ بها، يَحُسُّ بالحاجة إلى جهدٍ يُبذل؛ لدراسة هذه اللغة حتى يَتِمَّ الانتفاع بالمعاجم... وخاصة في المعاجم الكبيرة الحَجْم، مثل لسان العرب (١٠) (١١)

لذلك قرَّر علماء العربية تهذيب و اختصار المعاجم المطوَّلة، وتيسير مصادر اللغة، عن طريق إعداد المختصرات اللغوية، البعيدة عن التعقيدات الأسلوبية، والاستطرادات التاريخية والجغرافية، والمسائل العلمية المحضه التي لا تنفع في الغالب طالب اللغة، كتلك التعقيدات والصعوبات التي يجدها الباحث اللغوي في منهجية معجم العين، والجمهرة، أو تلك الاستطرادات التي امتلأت بها معاجمُ كتهذيب الازهري، والمحكم والمخصَّص، واللسان .

ولا شك أنَّ هذه المرحلة من التدوين، تمثل مرحلة النضج المعرفي للغة، كما تمثل مرحلة متقدمة في وعي الضرورات اللازمة لحركة البحث العلم، الذي يستلزم تيسير طرق تلقي المعلومات، ونقلها، وسهولة تداول أدواتها، فضلاً عن العناية بالزمن، وقيمة الوقت.

وقد وجدت منهجية التهذيب والاختصار، في تلك الفترة المتقدمة من عصر التدوين، قبول العلماء والباحثين؛ فتلقوا كثيراً من المختصرات، التي أعدها نخبة من أعلام اللغة، باهتمام بالغ فاق اهتمامهم بالأصول.

أورد السيوطي في المزهري، أنَّ من المختصرات ما فاقت شهرتها، وفضلت على الأمهات، أمثال: مختصر العين للزبيدي، ومختصر الزاهر للزجاجي، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة (١٢)

وفي العصر الحديث دلَّت أبحاث علم اللغة التطبيقي، على أنَّ اختصار المعاجم لإنتاج أنواع متعدّدة منها سيبقى ضرورة حتمية، ما دامت مستويات القراءة متباينة، وما دامت اهتماماتهم متفاوتة، وما دامت حاجاتهم إلى استعمال المعاجم مختلفة؛ (١٣)

هذه هي ملابسات المرحلة الثانية، والارهاصات والدوافع التي مهدت السبيل إليها.

أمّا الريادة في هذه المرحلة، فلا شك أنها لصاحب الترويح، العلامة الزنجاني؛ إذ لم ترو لنا المصادر التاريخية واللغوية اسم عالم طرّق هذا النهج، قبل الزنجاني، كما لم تنقل كتب تراجم المؤلفين، مصنفات تناول فيه صاحبه، معجماً لغوياً، بالتهذيب والاختصار، على طريقة الزنجاني، ونقصد بها، الطريقة التي تبقى وتحفظ بسائر المواد، بعد إعادة صياغة الشروح والتفسيرات، وتقديمها ببسر، ووضوح.

من هنا تميل النفس إلى تخصيص الريادة، والسبق في هذا الفن، في هذه المرحلة، للعلامة اللغوي، محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني

(ت٦٥٦هـ)، صاحب كتاب (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح)؛ لأنه عالج المادة اللغوية بطريقة سهلة، وأعاد صياغة معجم لغوي قِيم، هو الصحاح، بأسلوب يلبي حاجة الباحث اللغوي، لا في عصره فحسب، بل في العصور التالية بما فيها الحديث .

وكتاب الترويح، هو أقدم مذهب للصحاح، لا بل هو أقدم مذهب لغوي كامل، مُدَوَّن على طريقة القافية، وصل من علماء اللغة. وليس في مصادر التراث اللغوي-حسب علمنا- اسم لمذهب لغوي آخر سبقه، على طريقة القافية أو غيرها.

ثم اختصر العلامة الزنجاني كتابه (ترويح الأرواح)، وسمَّاه (تنقيح الصحاح).

وتهذيب الصحاح المطبوع، هو نفس كتاب تنقيح الصحاح، وهو مختصر ترويح الأرواح، للعلامة الزنجاني، صاحب الترويح، طبع باسم تنقيح الصحاح في لكنو سنة ١٢٨٩هـ ق. ونشَره سنة ١٣٧١هـ ق، باسم تهذيب الصحاح، محمد سرور الصبَّان، بتحقيق عبد السلام هارون، وعبد الغفور عطَّار، وقال محققاه: في مقدمة الكتاب: وقد فكرنا في اختيار اسم لهذا الكتاب الذي لم يُسمَّ على النسخة الأصل، ولا في المراجع التاريخية، فرأينا أن نقتبس له اسماً من الكتاب الآخر للمؤلف، وهو "ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح"، فأسميناه "تهذيب الصحاح" (تهذيب الصحاح، ٥٧).

ومن هذا يفهم أنَّ المحققين الفاضلين لم يعلموا بطبعة لكنو، ولا بالنسخ الأخرى الموجودة في بعض مكتبات العالم (ناجي معروف، ١: ١٣٥).

وفي طهران نسخة أخرى، تحمل الاسم ذاته، شاهدها كاتِب هذه السطور. ينظر أيضاً (مقدمة الصحاح ص ٢٠٠، وحسين نصَّار ٥٠٤/٢).

وقد ذكر الزنجاني أنَّ حجم هذا المذهب وقع موقع الخمس من الصحاح، من غير إهمال شيءٍ من لغته. (١٤) ثمَّ اختصره، وأوجزه حتَّى وقع موقع العشر من الصَّحاح، وسمَّاه (تنقيح الصحاح). (١٥)

غير أنَّ كتاب (ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح)، وهو المختصر الكبير للصحاح، كان مفقوداً، فلم يَحَقِّقْ، ولم ينشر حتَّى الوقت الحاضر. وقد ذهب المحقِّق التراثي حسين نصَّار، إلى أنَّ الزنجاني أضرب عن نشر كتاب الترويح، بعد تاليف تنقيح الصحاح، وقال (لعلَّ المؤلف لم يغيّر الاسم بعد اختصاره ثانية، فتركه كما هو "ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح"، إذ يبدو أنَّه أضرب عن النسخة الكبيرة). غير أنَّ وجود النسخ الست التي عُثِرَ عليها، يبطل ما ذهب إليه المحقِّق الفاضل. (١٦)

فالنسختان موجودتان: الصغيرة، واسمها (تنقيح الصحاح)، وقد طبعت، والكبيرة، واسمها "ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح" ولم تطبع .

ولهذا عقدت العزم - مستعيناً بالله تعالى - على تحقيقها وتصحيحها وإخراجها.

المبحث الثاني : الزَّنجاني صاحبُ التَّرويح

اسمه: أبو المناقب محمود بن أحمد بن بختيار، أبو البقاء، أو أبو التَّشاء الزَّنجاني، شهاب الدين. (١٧)

كنيته : اشتهر الزنجاني بثلاث كنى هي : أبو المناقب ، أبو التَّشاء ، وأبو البقاء. (١٨)

لقبه : وعرف بثلاثة ألقاب أيضاً : شهاب الدين، و تاج الدين، والآخر ابن عرس . (١٩)

مولده : أمَّا مولده ، فقد أجمعت مصادر ترجمته على أنَّه وُلِدَ في موطنه مدينة زنجان (٢٠) ، سنة ٥٧٣ هـ . ق.

نشأته: لم تذكر المصادر التي ترجمت للزنجاني شيئاً عن نشأته، أو دراسته وعلومه الأولية التي تلقاها في بلده، واكتفت بذكر محل ولادته زنجان، دون ذكر للفترة التي قضاها في مسقط رأسه، ولا الظروف الاجتماعية التي لا بدت حياته. كما لم تذكر المصادر، متى شد الرحال إلى بغداد، والأسباب والدواعي التي دفعته إلى ذلك.

ولم يذكر الزنجاني نفسه شيئاً عن حياته الخاصة أو العامة، فيما وصل من مصنفاته، سوى إشارات وردت إلى بعض مؤلفاته. وأوردت المصادر أنه ولي منصب قاضي القضاة، والنظر في الأوقاف العامة، زمن الناصر لدين الله العباسي (٢١). وكان أعلم الناس بمعرفة القضاء (٢٢)، كما كان من العلماء الأحرار، الذين لم يقلدوا غيرهم. (٢٣) أمّا شيوخه: فهذا أيضاً ما سكّنت المصادر عن تفصيل الحديث فيه، وسكت الزنجاني نفسه عن بيانه.

ذكر الحافظ الذهبي بإيجاز: أنه (الزنجاني) سمع عبيد الله بن محمد الساري، وروى عنه الدمياطي. (٢٤)

وذكر السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢٥)، أنه: حدّث عن الإمام الناصر لدين الله بالإجازة. وقال الإسنوي: "سمع الحديث من جماعة". (٢٦) أمّا تلامذته، فلم تذكر المصادر غير ابنه، عز الدين، الذي قال عنه ابن الفوطي: كان أعلم الناس بمعرفة القضاء. (٢٧)

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه :

لا شك أن مكانته العلمية المرموقة، برزت لدى القدامى من خلال موقع الأستاذية التي حظي بها في أهم المراكز العلمية في عصره، كالنظامية، والمستنصرية، وكذلك برزت من خلال براعة التصنيف والتأليف في فنون مختلفة، كاللغة، و التفسير، والفقه والأصول.

غير أنَّ مكانته العلمية تبرز وتتضح بصورة جلية، خاصة في مجال اللغة بمذهبه الموسوم بكتاب "تَرْوِيحُ الأرواح في تهذيب الصَّحاح" ومختصره "تتقيح الصحاح"، الذي ساهم بهما في تعضيد وترشيد فن الاختصار اللغوي . قال الحافظ الذهبي في العلامة الزنجاني: (كان من بحور العلم، وله تصانيف) (٢٨)

وقال السُّبْكِيُّ: " برع في المذهب والخلاف والأصول، ودرَّس بالنظاميَّة، وعُزِّلَ، ودرَّس بالمستصريَّة، وصنَّف تفسير القرآن (٢٩). وقال الإسنوي عنه: (كان بحراً من بحور العلم، صنَّف تفسيراً للقرآن، وتولَّى قضاء بغداد مدَّة، ثمَّ عُزِّلَ، وهو والد قاضي القضاة عز الدين) (٣٠). وقال الداودي: اشتغل في العلوم، وأفتى، ودرَّس بالنظاميَّة، والمستصريَّة، وولَّى قضاء قضاء بغداد مدَّة، ثمَّ عُزِّلَ (٣١)، وكان ذلك على عهد المستنصر العباسي (٣٢). وجاء في موسوعة طبقات الفقهاء: كان فقيهاً، أصولياً، لغوياً (٣٣). وفي معجم المؤلفين، أنه: (فقيه، أصولي، مفسِّر، محدِّث، لغوي) (٣٤)

كما برع في الخط. قال عنه الدكتور ناجي معروف في كتابه، تاريخ علماء المستصرية: (ومنهم -أي من علماء المستصرية- خطَّاطون كتبوا بالخط المنسوب إلى ابن البواب وابن مقلة وغيرهما، وخلفوا كثيراً من الكتب بخطهم الجميل كمحمود الزَّنجاني، وياقوت المُستعصِمِي، و...) (٣٥) ومن هذا يفهم أنَّ شهاب الدين ، أبا المناقب الزنجاني ، كان (من العلماء الأعلام الذين برزوا في غير ميدان واحد) (٣٦). وتشهد بذلك - أيضاً - آثاره.

آثاره : وقد ذكر المترجمون له، أنَّه صنَّف :

١. تفسير القرآن الكريم. (٣٧)
٢. تخريج الفروع على الأصول (مطبوع) . (٣٨)
٣. السحر الحلال في غرائب المقال في فروع الفقه الشافعي. (٣٩)

٤. تزويج الأرواح في تهذيب الصّحاح، وهو الذي وفقني الله تعالى إلى تحقيقه، ويجري العمل على إخراجه قريباً - بإذن الله تعالى (٤٠).
٥. تنقيح الصّحاح، وهو مختصر تزويج الأرواح. وقد طبع بهذا الاسم في لکنو سنة ١٢٨٩ هـ. (٤١)، وحقّق، وطبع ثانية باسم (تهذيب الصّحاح) سنة ١٣٧١ هجرية.
٦. أشراف المعلمين وفقهاؤهم. وهو بخطه المنسوب (٤٢) وذكر الزنجاني نفسه ثلاثة كتب أخرى من تأليفه، لم ترد في كتب التراجم، وهي:
٧. دُرَرُ الغرَرِ ونتائج الفكر. وقد أشار إليه، في كتابه (تخريج الفروع على الأصول). (٤٣)
٨. أغاليط الصّحاح، وقد أشار إليه، في الجزء الثاني، من مخطوطة الترويح، تحت مادة: نصف. (٤٤)
٩. كتاب "تحفة الطلاب في علم الإعراب"، وذكره، في الجزء الثاني من المخطوطة، تحت مادة: ثنا. (٤٥)

وفاته :

أجمعت المصادر التي ترجمت للزنجاني، على أن وفاته كان سنة ٦٥٦ هـ، أثناء سقوط بغداد على يد هولاكو، وله من العمر ثلاث وثمانون سنة. وأنه قتل صبراً، هو وجماعة من علماء بغداد، وقيل غيره. (٤٦)

المبحث الثالث: (تزويج الأرواح في تهذيب الصّحاح)

اسم الكتاب:

تحمل الصفحة الأولى من الكتاب المخطوط، اسم (تزويج الأرواح في تهذيب الصّحاح)، وهو الاسم الذي ورد في مقدمة كتاب (تنقيح الصّحاح)،

وهو مختصر كتاب الترويح. كما ورد نفس الاسم في مقدمة الترويح، وفي نهاية الجزء الأول والثاني من المخطوط، في سائر النسخ، وهو الاسم نفسه، الذي ورد في أغلب المصادر التي ترجمت للزنجاني. (٤٧) نسبة الكتاب إلى الزنجاني :

بالرغم من عدم ورود اسم الزنجاني داخل الكتاب، ووروده في الصفحة الأولى ببعض النسخ، فلا ريب في أن الكتاب للزنجاني للأسباب الآتية :

١. لقد صرح الزنجاني نفسه باسم هذا الكتاب في مختصره الثاني الذي أسماه، تنقيح الصحاح .

٢. إن أغلب الذين ترجموا للزنجاني ذكروا هذا الكتاب مع أسماء مؤلفاته. (٤٨)

النسخ المعتمدة في التحقيق :

مخطوطات الكتاب :

اعتمد هذا التحقيق على ست نسخ خطية . أقدمها كتب سنة ٧٧١ هجرية قمرية، وأحدثها كتب سنة ١٠٩٩ هجرية. وقد جعلت نسخة سنة ٧٧١ هـ ، أصلاً للتحقيق وهي أقدم النسخ التي عثرت عليها. وهذه النسخة مكتوبة على ورق سمرقندي، في جزأين وبخط نسخي، مشكول في الأغلب، ما عدا الصفحات الأربع الأخيرة، من الجزء الثاني، فقد كتبت بخط مغاير، وغير مشكول، وفي آخره ما نصه: (وهذا آخر الكتاب والله الموفق للصواب) . وعدد أوراقها (٣٣٤) ورقة، مقاس ٢٤ × ١٦/٥ سم. ولم يرد فيها اسم الناسخ . ويبدأ الجزء الأول بعد البسملة بعبارة (رب يسر)، وبعض كلمات ممسوحة) خلافاً للنسخ الخمس الأخرى التي تبدأ بعد البسملة بعبارة: (وبه نقتي). وجاء وصف النسخ الأخرى في مقدمة النسخة المحققة، تركت الحديث عنها هنا للاختصار. (٤٩)

سبب تأليف الكتاب :

إنَّ الباعث الذي جعل الزَّنْجاني يُقدِّم على تهذيب الصَّحاح، كما يظهر من مقدمة الكتاب، هو توفير الراحة لطالب العربية، وتيسير الوصول إلى مصادر اللغة. وفي عنوان الكتاب أيضاً، ما يكشف عن ذلك، ويهدي إلى الغرض .

قال الزَّنْجاني في المقدمة، وهو يشير إلى هذا الباعث، بعد التنويه باهميَّة العربية، وبيان الفائدة المترتبة على معرفة علومها : (... لكنِّي رأيت كتاب الصحاح الذي ألَّفَه الشيخ إسماعيل بن حمَّاد الجوهري النيسابوري، في هذا العلم فرداً لا أخ له من شكله، وفذاً لا توأم له من مثله، لكونه سهلاً وعزّه، ووطاً شاره. وجمع بين صحَّة النقل، وحُسن الترتيب وسُهولة التناول حتَّى صار حكماً بين فرق العلماء، وطبقات الأدباء).

ثمَّ قال: (غير أنَّه، مما أيسَّ الطالب عن حفظه، والراغب من ضبطه لِعِظَم حَجْمِه، سيَّما الأعمار قصيرة، والصُّوارف كثيرة، والهَمُّ قاصرة، والرغبات فاترة، فصرفت عنايتي إلى تهذيبه، بتجريد لغته، وحذف ما لا حاجة إليه من شواهد، وإسقاط ما تكرر من ألفاظه، والنحو والتصريف الخارجين عن فنِّه، وتكفَّلتُ أن لا أخلَّ بشيءٍ من لغته). (٥٠)

المبحث الرابع: منهج الزَّنْجاني في الترويح

لا يتحدث الزَّنْجاني في مقدمة كتابه، عن منهجه التفصيلي، وإنَّما ينوّه إليه تنويهاً عاماً، كما يظهر من المقدمة. غير أنَّه لم يكتف بذلك، بل شرح ووضَّح بعض المواد اللغويَّة، وربَّما ردَّ على الجوهري، في كتاب له ذكره في ثنايا الترويح، أسمَّاه (أغاليط الصَّحاح) (٥١). وفي منهجه التفصيلي الذي اعتمده - كما يبدو - سلك ثلاثة طرق هي:

الطريقة الأولى: نَقَلَ المادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ، واختصار الشرح والتوضيح، بعد حذف الشواهد الشعرية، والحديثية، وإبقاء الشاهد القرآني أحياناً، وفقاً لما التزم به، وفي الأغلب، دُونَ تَغْيِيرٍ في عبارة الصَّحاح، و دُونَ إضافة توضيح أو تعليق من عنده .

ومن الأمثلة على ذلك مادة: (بوء) فقد حذَفَ منها الشواهد الشعرية، والحديثية، وكثيراً من النص، وأبقى الشاهد القرآني.

ففي الصَّحاح:

المَبَاءَةُ: مَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَيُسَمَّى كِنَاسُ الثَّوْرِ الْوَحْشِيِّ: مَبَاءَةٌ، وَكَذَلِكَ مَعْطِنُ الْإِبِلِ .

وفي الترويح: المَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ. وَيَقَالُ ذَلِكَ: لِكِنَاسِ الثَّوْرِ الْوَحْشِيِّ، وَمَعْطِنِ الْإِبِلِ.

[ويلاحظ، ورود المعاني الأصلية لِلْفِظَةِ الْمَبَاءَةِ، مع قِصَرِ العبارة، بعد حذف التفسير المطوّل، واللفظ المكرّر]. (٥٢)

في الصَّحاح :

وَتَبَوَّأْتُ مَنْزِلاً، أَي نَزَلْتُهُ، وَبَوَّأْتُ لِلرَّجُلِ مَنْزِلاً وَبَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً بِمَعْنَى، أَي هَيَّأْتُهُ وَمَكَّنْتُ لَهُ فِيهِ. وَاسْتَبَاءَهُ، أَي اتَّخَذَهُ مَبَاءَةً . وَهُوَ فِي بَيْتَةٍ سَوَاءٍ، مِثَالِ بَيْعَةٍ، أَي بِحَالَةٍ سَوَاءٍ، وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الْبَيْتَةِ .

وفي الترويح : وَتَبَوَّأْتُ مَنْزِلاً، أَي نَزَلْتُهُ، وَبَوَّأْتُ لِلرَّجُلِ مَنْزِلاً، وَبَوَّأْتُهُ مَنْزِلاً، أَي هَيَّأْتُهُ . وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الْبَيْتَةِ .

[ويلاحظ: أَنَّ الاختصار لم يتجاهل شيئاً من المعاني الأصلية، ولم يحذف إلا اليسير، فقد ورد معنى الفعل اللازم من المادَّة، ثُمَّ معنى الفعل المتعدي، أما عبارة : وَإِنَّهُ لَحَسَنُ الْبَيْتَةِ، فقد دخلها على ما يبدو، بسبب الاختصار الشديد، شَيْءٌ من الإبهام، بعد حذف مدخل العبارة، فلا يُعْلَمُ منها،

أهو حسن الحال أم حسن المكان. وربما كانت هنا عبارة سقطت من الناسخ، والله أعلم.]

وفي الصحاح: و بَوَّأتُ الرُّمَحَ نحوه، أي سَدَدْتَهُ نحوه .
وَأَبَاتُ الْإِبِلَ: رَدَدْتُهَا إِلَى الْمَبَاةِ، وَأَبَاتُ عَلَى فَلَانٍ مَالَهُ، إِذَا أَرَحْتَ عَلَيْهِ إِبِلَهُ
أَوْ غَنَمَهُ .

وفي الترويح: وبَوَّأتُ الرُّمَحَ نحوه، أي سَدَدْتَهُ. وَأَبَاتُ الْإِبِلَ: رَدَدْتُهَا إِلَى
الْمَبَاةِ. [والعبارة هنا أكثر اختصاراً، عما هي عليه في الصحاح؛ لأنَّ معناها
حاصل في العبارة المنقولة.]
وفي الصحاح :

البَاءَةُ مِثَالُ الْبَاعَةِ، لُغَةٌ فِي الْمَبَاةِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ النِّكَاحُ: بَاءً وَبَاءَةً، لِأَنَّ الرَّجُلَ
يَتَبَوَّأُ مِنْ أَهْلِهِ، أَيْ يَسْتَمْكِنُ مِنْهَا، كَمَا يَتَبَوَّأُ مِنْ دَارِهِ. وَقَالَ يَصِفُ الْحِمَارَ
وَالْأَتْنَ :

يُغْرِسُ أَبْكَاراً بِهَا وَغُنْساً أَكْرَمُ عِرْسٍ بَاءَةً إِذْ أَعْرَسَا .

وفي الترويح : والباءة مثل الباعة، لغة في المباءة ؛ ومنه سمي النكاح، باء
وباءة. [ويلاحظ أنَّ الحذف وقع على التفسير، والشاهد؛ لأنَّه لا يخل بأصل
المعنى]

وفي الصحاح :

والبَوَاءُ: السَّوَاءُ، وَيُقَالُ: دَمَ فُلَانٌ بَوَاءً لِدَمِ فُلَانٍ، إِذَا كَانَ كَفَوًّا لَهُ. قَالَتْ لَيْلَى
الْأَخِيلِيَّةُ فِي مَقْتَلِ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ:

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ فَتَى مَا قَتَلْتُمْ، آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ

وفي الحديث: (أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْبَاعَوْا) والصحيح يَتَبَاوَوْا عَلَى مِثَالِ يَتَقَاوَلُوا.
ويقال : كُلُّمَنَاهُمْ فَأَجَابُونَا عَنْ بَوَاءٍ وَاحِدٍ، أَيْ: أَجَابُوا جَوَاباً وَاحِداً. وَأَبَاتُ
الْقَاتِلَ بِالْقَتِيلِ، وَاسْتَبَاتُهُ، إِذَا قَتَلْتَهُ بِهِ، أَيْضاً. أَبُو زَيْدٍ: بَاءَ الرَّجُلُ بِصَاحِبِهِ، إِذَا
قُتِلَ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَاعَتْ عَرَارٍ بِكَحْلٍ، وَهِيَ بَقْرَتَانِ قُتِلَتْ إِحْدَاهُم بِالْأُخْرَى.

ويقال: بُوَ به، أي كُنْ مِمَّنْ يَقْتَلْ به. وانشد الأحمرُ لرجلٍ قَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ، فقال:

فقلتُ له: بُوَ بامرئٍ لستَ مثله وإن كنتَ قَنَعَانًا لمن يطلب الدِّمًا
وفي الترويح: وأبأتُ القاتِلُ بالقتيل، واستبأتَه إذا قتلته به. [اكتفى الزنجاني
بهذا القدر من النقل، وحذف الشواهد، والأمثلة اختصاراً؛ لأنها تضمنت معانٍ
مكررة]
وفي الصُّحاح:

قال الأخفش: ﴿وباؤوا بغضبٍ من الله﴾ [البقرة/٦١]: رجعوا به، أي صار
عليهم. قال: وكذلك باءٌ بإثمِهِ يَبُوءُ بُوْءًا.

وفي الترويح: ﴿وباؤوا بغضبٍ من الله﴾ رجعوا. وكذلك باءٌ بإثمِهِ يَبُوءُ بُوْءًا.
وفي الصُّحاح: وفي أرضٍ كذا فَلَاةٌ تُبَيِّءُ في فَلَاةٍ، أي تَذْهَبُ.
وفي الترويح: نفس العبارة، دون تغيير؛ لِخُلُوقِهَا من الزيادة.

وربَّما حذف الزنجاني الشواهد جميعها، بما فيها الآيات القرآنية،
كما هو في مادة: (جَفَأَ):

جاء في الصُّحاح: الجَفَاءُ: ما نفاه السَّيْلُ. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جَفَاءً﴾ [الرعد/١٧]، أي باطلاً.

في الترويح: الجَفَاءُ: ما نفاه السَّيْلُ. [ويلاحظ نقله المعنى الأصلي، وحذف
الآية لأنها على الظاهر، جاءت بالمعنى المجازي، فترك الآية لِمَحَلِّهَا من
كتب المجاز].

في الصُّحاح: وجَفَأَ الوادي جَفَأً، إذا رَمَى بالقَذَى والزَّبَدِ، وكذلك القِذْرُ إذا
رَمَتْ بِزَبْدِهَا عند الغَلَيَانِ. أجمعت لغة فيه.

وفي الترويح: وجَفَأَ الوادي جَفَأً، إذا رَمَى بالقَذَى والزَّبَدِ، وكذلك القِذْرُ.
وأجمعت لغة فيه. [ويلاحظ: أن الحذف وقع فقط على عبارة "عند الغليان"،
لان الرمي بالزبد لا يحصل عادة إلا عند الغليان].

وفي الصَّحاح: وَجَفَّتُ الْقَدْرُ أَيْضاً، إِذَا كَفَّاتْهَا أَوْ أَمَلَتْهَا فَصَبَّيْتُ مَا فِيهَا. وَلَا تَقُلْ: أَجَقَّاتُهَا. قَالَ الرَّاجِزُ :

جَفُوكَ ذَا قَدْرِكَ لِلضَّيْفَانِ جَفَاً عَلَى الرُّغْفَانِ فِي الْجِفَانِ
خَيْرٌ مِنَ الْعَكِيسِ بِالْأَلْبَانِ

وَأَمَّا الَّذِي فِي الْحَدِيثِ: " فَأَجَقُّوْا قُدُورَهُمْ بِمَا فِيهَا " فَهِيَ لُغَةٌ مَجْهُولَةٌ. وَفِي التَّرْوِيحِ: وَجَفَّتُ الْقَدْرُ: صَبَّيْتُ مَا فِيهَا.

[يلاحظ أن الزنجاني، نقل المعنى الأصلي في عبارة مختصرة، وترك الألفاظ الزائدة، لأنَّ حذفها لا يضر - على الظاهر - بالمعنى، كما حذف الشاهد الشعري، والحديث؛ لأنهما وردا في لغة مجهولة، وغير مقبولة، نهى عنها الجوهري، وتركها الزنجاني اختصاراً]

ومادة (جيا): التي استغرقت ما يقرب من ١٣ سطراً، من كتاب الصَّحاح المطبوع، مثال آخر على الحذف الشامل؛ حيث وقع الحذف والاختصار على أغلب المادة، ولم ينقل منها الزنجاني سوى عدة كلمات، هي: المَجِيءُ: الإتيان. يقال: جاء يَجِيءُ جَيَّةً، والاسم الجِيَّةُ. وأَجَأْتُهُ، أي الْجَأْتُهُ. وَالْجِيءُ: الشراب.

ونظير ذلك حدث، مع موادَّ أخرى، هي على سبيل المثال، لا الحصر: خطأ، دفاً، رجاً، شياً، ثبت،

غير أن الاختصار الشديد لم يشمل جميع المواد على السواء، بل بقيت مجموعة من المواد، محتفظة بأغلب حجمها الموجود في الصَّحاح، ولم يصبها إلا القليل من الاختزال، بعد حذف الشواهد الشعرية خاصة. مثال المادة، درأ، والمادة دكا،

ولا يعني هذا الاختصار غير المتكافئ للمادة اللغوية، وجود حالة اعتباطية في طريقة الحذف والاختصار عند الزنجاني، وإنما الذي جرى من الاختصار، جرى ضمن دائرة منهجه الإجمالي الذي نوه إليه في مقدمة

الكتاب. فقد التزم بتجريد اللغة، من الشروح المطولة، والشواهد المكررة للمعنى الواحد، والحكايات التي لا يستلزمها اللغة، وإبقاء ما يقتضيه بيان المعاني المختلفة، وحذف ما لا يحتاجه هذا البيان، من أسماء الرواة، وعبارات الضبط والتمثيل، وقد فعل .

ومن الأمثلة على ذلك، مادة (كأكأ)، فقد حذف منها الزنجاني، حكاية سقوط عيسى بن عمر، عن حمارة، وتجمع الناس حوله، مكتفياً بقوله: التَّكَأ كُؤ: التَّجْمَعُ (راجع المادة ٦٦/١) .

أو مادة (حلا): فقد نقل الزنجاني المعنى الأول الذي أورده الجوهري لهذه المادة على زنة -حلاً، بفتح الحاء -، بأكملها، دون أدنى تغيير، مكتفياً فقط بحذف اسم الراوي - ابن السكيت -، وهو مما لا يحتاجه طالب اللغة. ثم نقل المعنى الثاني للمادة في وزن آخر، بعد حذف عبارة الضبط والتمثيل، مكتفياً بالمعنى الشائع المتداول، من هذا الوزن .

جاء في الصحاح: و الحَلَاءَةُ بالضم على فَعَالَةٍ، مثل الحَلُوءِ. والحَلَاءَةُ أيضاً: قِشْرَةُ الجلد التي يَقْشَرُهَا الدَّبَاغُ مما يلي اللحم، تقول حَلَاتُ الجلد، إذا قَشَرْتَهُ. وفي المثل: " حَلَاتُ حَالِئَةٍ عن كُوعِهَا " لأن المرأة الصَّنَاع، ربما استعجلت فقشرت كوعها .

[وقد اكتفى الزنجاني بنقل العبارة الآتية: مفتحةً بها المادة، ثم ذكر التوضيح الذي يبين المعنى الشائع والمتداول في عصره].

والحَلَاءَةُ: قِشْرَةُ الجلد التي يَقْشَرُهَا الدَّبَاغُ مما يلي اللحم .

[ثم نقل المعاني التالية للمادة، تحت لفظتي (التحلي)، و(الحلأ)، دون أدنى تغيير أو حذف إلا ما كان تحت كلمة (حلاته)، بمعنى الجلد والضرب، فقد حذف المصادر لتعلقها بالتصريف، وما جاء مع هذه الكلمة بمعنى أعطيته، فحذف العدد المصاحب للعبارة؛ لعدم تعلق المعنى به].

جاء في الصحاح :

أبو زيد: حَلَّاهُ بالسَّوْطِ حَلًّا، إِذَا جَلَدْتَهُ بِهِ، وَحَلَّاهُ بِالسَّيْفِ: ضَرَبْتَهُ بِهِ، وَحَلَّاهُ مَائَةً دِرْهَمًا، إِذَا أُعْطِيَتْهُ .

فقد نقل الزنجاني منه: وحلته بالسوط، والسيف: ضربته به، وإذا أعطيته شيئاً. ثم نقل الشرح الذي أورده الجوهري لمادة (حَلَّاهُ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ)، بمعنى الطَّرْدِ، و المنع، دون ذكر للشاهد الشعري الذي صاحب الشرح . جاء في الصَّحاح: وَحَلَّاتُ الْإِبِلِ عَنِ الْمَاءِ تَحْلَةً وَتَحْلِيئًا، إِذَا طَرَدْتَهَا عَنْهُ، وَمَنْعَتْهَا أَنْ تَرُدَّهُ . ثم أورد الجوهري بيئتين (ينظر المادة ٤٥/١).

[فحذف الزنجاني، عبارة: ومنعتها أن ترد؛ لأنها حاصلة - على ما يظهر - بسابقتها، وحذف البيتين اختصاراً، وحذف عبارة: حَلَّتِ السَّوْقُ؛ لأنَّ صيغة حَلَّتِ ليست من باب المهموز، بل هي من باب المعتل، وقد تكررت في باب المعتل (باب الواو والياء ٦: ٢٢٥٩) من آخر الصحاح، تحت مادة: حَلَا (٦: ٢٣١٧)، ثُمَّ إِنَّ الْجَوْهَرِيَّ نَقَلَ عَنِ الْفَرَّاءِ قَوْلَهُ: وَقَدْ هَمَزُوا مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْحَلَوَاءِ (ينظر مادة: حَلَّا)، ويبدو من عبارة الفراء أَنَّ هَمْزَ الْمُعْتَلِّ هُنَا لَمْ يَحْصُلْ مِمَّنْ يَعْتَدُ بِهِ، فَجَاءَتْ عِبَارَتُهُ مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ] .

وقد نقل الزنجاني مثل هذه الصيغ، والاشتقاق التي وردت في غير أبوابها من الصَّحاح إلى محلها، وبابها الخاص بها منعاً من التكرار والإطالة، وتحقيقاً للاختصار الذي وعد به في المقدمة .

ومن الأمثلة الأخرى على إرجائه، مادة (بها):

ورد في الصَّحاح: وَأَمَّا الْبُهَاءُ مِنَ الْحُسْنِ، فَهُوَ مِنْ بَهِي الرَّجُلِ، غَيْرُ مَهْمُوزٍ .

[أهملها الزنجاني ولم يذكرها، في باب المهموز؛ لأنها وردت في

باب المعتل. ينظر: مادة : بها ٦: ٢٢٨٨]

مادة: (حزأ) وَرَبَّتْ تَهْتَأُ: حَزَاهُ بِحَزْوِهِ، بَلَا هَمْزٍ. تَرَكَهَا الزَّجْجَانِي، لِأَنَّهَا تَكَرَّرَتْ فِي بَابِ الْمُعْتَلِّ (ينظر: حزأ، وحزأ).

مادة: (بعثر): في الصّحاح: الفراء: يقال: بعثر الرجل متاعه وبحثره، إذا فرقّه وبدّده وقلب بعضه على بعض .

[وكان الجوهري قد أورد نفس العبارة نقلاً عن الفراء قبل ذلك في مادة، بحثر. أمّا الزنجاني فقد استغنى بذكرها مع مادة: (بحثر) بعد حذف النسبة، أي اسم الفراء، عن تكررها مع مادة (بعثر) مكتفياً بقوله: قد مضى في بحثر. (ينظر مادة : بحثر ، و بعثر ٢ : ٥٨٦ ، ٥٩٣)

الطريقة الثانية: نقلُ المادّة اللغوية، مع تغيير طفيف في عبارة الصحاح. تبسيطاً للعبارة وتسهيلاً لفهم المعاني المنطوية تحت المادة اللغوية. ومن الامثلة على ذلك:

مادة: (كشأ): جاء في الصّحاح : أبو عمرو: كَشَأْتُ اللحمَ كَشَأً : شويته حتّى يَبِسَ فهو كَشِيءٌ. وأكْشَأْتُهُ أيضاً عن الأموي. نقله الزنجاني في الترويح: كَشَأَ اللَّحْمَ: شواه حتّى يَبِسَ فهو كَشِيءٌ. وأكْشَأْتُهُ أيضاً. [فالملاحظ، أن التغيير اقتصر على صيغة الفعل الماضي فقط. وهو تغيير طفيف، ولم يمس المعنى بضير].

ومثله حدث في العبارات الآتية :

أورد الجوهري: وفلان يَنْكَشَأُ اللحمَ : يأكله، وهو يابس. وكَشَأْتُ القِثَاءَ: أكلته. أبو زيد: كَشَأْتُ الطعامَ كَشَأً، إذا أكلته كما تأكل القِثَاءَ ونحوه. أبو عبيد: تَكَشَأَ الأديم : تَقَشَّرَ.

ونقل الزنجاني العبارات على النحو الآتي، بعد تغيير صيغ الأفعال . وتكشأه: أكله وهو يابس. وكَشَأَ القِثَاءَ : أكله. وتَكَشَأَ الأديم : تَقَشَّرَ.

وكذلك الأمر في مادة: (صدأ)، جاء في الصّحاح: وجديُّ أصدأُ بَيِّنُ الصَّدَأِ، إذا كان أسودَ مشرباً حمرةً. أمّا عبارة الزنجاني في الترويح: والصدأ: سواد الجدي المشرب بالحمرة .

وقد لا يكون التغيير طفيفاً أحياناً، كما في المادة (كفأ):
جاء في الصّحاح: كَفَأَتْ الْقَوْمَ كَفْأً، إِذَا أَرَادُوا وَجْهًا فَصَرَفْتَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ،
فَانْكَفَوْا، أَيْ رَجَعُوا.

وفي الترويح: كَفَّاهُ، إِذَا صَرَفَهُ إِلَى غَيْرِ وَجْهِهِ. وَانْكَفَأَ: انْصَرَفَ .
وسلك الزنجاني أساليب أخرى في تبسيط، وعرض المادة اللغوية،
فهو أحياناً يستخلص لغة من قول، فينقل اللغة واللفظة المفسرة للمعنى،
ويحذف الزوائد، كما فعل في القول الذي ورد تحت مادة (وما):
جاء في الصّحاح : أبو زيد : يقال وقع في وامئَةٍ، أي في أغْوِيَةٍ و دَاهِيَةٍ .
وجاء في الترويح : الوامئَةُ : الدَّاهِيَةُ .
ونظير ذلك جرى مع عبارة تحت مادة : (هراً).

ورد في الصّحاح: ابن السكيت: قال عن الفزاري: هذه قِرَّةٌ لها هَرِيئَةٌ، على
فعيلة، أي يصيب المال والناس منه ضرٌّ وسَقَطَةٌ، أو مَوْتٌ .
وورد في الترويح: هَرِيئَةٌ على فعيلة: ضرٌّ وسَقَطَةٌ .

الطريقة الثالثة: نقل المادة اللغوية أحياناً، مع شرح وتوضيح من عنده .
ومن الأمثلة على ذلك: مادة: (شَأَشَأَ).

في الصّحاح: أبو زيد: شَأَشَأْتُ بِالْحِمَارِ، إِذَا دَعَوْتَهُ، وَقُلْتُ لَهُ: تَشْؤُ تَشْؤُ .
وقال رجل من بني الحَرَمَازِ: تَشَأُ تَشَأُ ، وفتح الشين .
وفي الترويح: شَأَشَأَ بِالْحِمَارِ: دَعَاهُ لِيَشْرَبَ. [ويلاحظ : تغيير صيغ الأداة ، و
العبارة المفسرة] .

ومادة: (قَصَبُ): ورد في الصّحاح: وقال الأصمعي: قَصَبُ الْبَطْحَاءِ: مِاءٌ
تَجْرِي إِلَى عِيُونِ الرِّكَايَا. يقول: أَقَامَتْ بَيْنَ قَصَبٍ، أَيْ رِكَائِيَا، وَمَاءٍ عَذْبٍ.
وَكُلُّ عَذْبٍ فِرَاتٌ ، وَكُلُّ كَثِيرٍ جَرَى فَقَدْ نَهَرَ وَ اسْتَنْهَرَ .

اختصر الزنجاني جميع العبارات السابقة بالصورة الآتية: والقَصَبُ: مجاري الماء من العيون .

وقد ورد هذا التفسير نفسه، في القاموس المحيط، ولا يُدرى هل نقل الفيروز آبادي العبارة، من نسخة وقعت إليه من الترويح ؟ ربما حدث ذلك. فالنسخة التي كتبت سنة (٧٧١ هـ)، تشير إلى أن هذا المختصر كان معروفاً في الأوساط العلمية، في عصر الفيروز آبادي (ت سنة ٨١٧ هـ) . (٥٣) في الصَّحاح: وقد قَصَبَ الزرعُ تقصيباً، وذلك بعد التفرخ .

وفي الترويح: وقد قَصَبَ الزرع، إذا غَلَطَ واشتدَّ. [ويلاحظ أن التفسير بعد إذا، لم يرد في الصَّحاح، كما انه لم يرد في اللسان ولا في القاموس وهو من توضيحات الزنجاني].

مادة: (رقب)

في الصَّحاح: والرقيب: المؤكَّل بالضرب .

وفي الترويح: والرقيب: المؤكَّل بالضرب، الذي يَضْرَبُ بالقِدادح. [والتفسير الأخير لم يرد في الصَّحاح، وهو من توضيحات الزنجاني].

مادة: (خرج)

في الصَّحاح: والمُخَارِجَةُ: المناهدة بالأصابع .

وفي الترويح: المُخَارِجَةُ: المناهدة بالأصابع، وهي المساهمة بها. [والتفسير الأخير لم يرد في الصَّحاح، وهو من توضيحات الزنجاني].

مادة: (طح)

في الصَّحاح: الطَّحُ : أن تسحجَ الشيءَ بعقبك .

وفي الترويح : أن تسحجَ الشيءَ بعقبك، أي تقشره. [والتفسير الأخير ليس في الصحاح، وهو من زيادات الزنجاني]

مادة: (فذح)

في الصَّحاح: وأمرٌ فاذحٌ، إذا عاله وبَهَضَه .

وفي الترويح : وامرٌ فادحٌ، اذا بهضه، أي عَجَزَ عن حمله .

[و التفسير الاخير ليس في الصحاح ، وهو من توضيحات الزنجاني .]

مادة: (فرض)

في الصَّحاح: وفُرْضَةُ البابِ : نَجْرَانُهُ .

وفي الترويح: وفُرْضَةُ البابِ، نَجْرَانُهُ، وهي الخَشْبَةُ التي يَدُورُ عليها الباب .

[والتفسير الاخير لم يرد عند الجوهري ، وهو من شروح الزنجاني .]

وقد لا تكون الاختصارات الواردة في الترويح بعض الأحيان وافية ،

إذا ما قيسَت بما في الصحاح ، كما في مادة : (سبأ) :

جاء في الصَّحاح: السَّيْءُ: بالفتح ، اللَّبَنُ الذي يكون في أطراف الأخلاق قبل نُزُولِ الدُّرَّةِ .

وفي الترويح: لبِنٌ في أخلاف، قبل نزول الدُّرَّةِ .

وكذلك مادة: (عبأ)

جاء في الصَّحاح: ويقال لِعِدْلِ المَتَاعِ: عِبَاءٌ، وهما عِبَانٌ . والأعباءُ: الأعدال .

وعِبَاءُ الشَّيْءِ : نظيره كَالْعِدْلِ والعَدْلِ .

و اختصره الزنجاني : العباءُ : العِدْلُ . والعِباءُ كَالْعِدْلِ .

ومن ذلك أيضاً مادة : (قرأ)

ورد في الصَّحاح: وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قرَأناً: جمَعْتُهُ وضمَمْتُ بعضه إلى بعض .

اختصرت في الترويح إلى : قَرَأَ قَرْءاً : ضمَّه .

ومنه أيضاً: مادة: (دحرض)

جاء في الترويح: الدَّخْرِضُ: اسم موضع، وقيل وَسِيعٌ ودِحْرَضٌ ماءٌ ان فتنَّاهما

بلفظ واحد، كما يقال القَمَرانِ . فالضمير في ثَنَاهما يعود إلى غنْثرة، الذي

أورد الجوهري له بيتاً استعمل فيه (وسيع ود حرض) . ولم ينقله الزنجاني:

شربتُ بماءِ الدَّخْرِضَيْنِ فأصبحتُ زَوْرَاءَ تَنَفَّرَ عن حياضِ الدَّيْلَمِ

[فذكر الضمير، وعدم ذكر الشاهد ، ادخل الغموض على عبارة الترويح]
اختصار الأعلام عند الزنجاني : ونقل الزنجاني أعلام الرجال مكتفياً
بعبارات: رجل من اليمن، أو اسم رجل .
و من أمثلته:

في الصّحاح: صحار: اسم رجل من عبد القيس.

في الترويح: صحار: اسم رجل.

في الصّحاح: بهراء: قبيلة من قضاة، والنسبة إليها بهراني مثال بحراني،
على غير قياس لان قياسه بهراوي بالواو .
وفي الترويح: بهراء: قبيلة من قضاة .

وفي الصّحاح: وحيمير: أبو قبيلة من اليمن، وهو حمير ابن سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان

وفي الترويح: وحيمير: أبو قبيلة من اليمن .

في الصّحاح: قشير أبو قبيلة، [بعده تفصيل حذفه الزنجاني] .

ومثل هذا فعل الزنجاني مع : كسرى، نزار، نصر بن قعين، منقر،
نمرة، نمير، عنزة، إلياس، ... وغيرها من أسماء الأعلام .

وفي الأماكن، اكتفى الزنجاني بعبارة : اسم نهر، أو جبل .

ومثاله : في الصّحاح : مادة (أجأ) . أجأ، على فعل بالتحريك: أحد جبلي
طبيء، والآخر سلمى، وينسب إليهما الأجثيون، مثال الأجعيون. وفي الترويح
: أجأ، على فعل بالتحريك : جبل لطبيء .

في الصّحاح: والكاتب : اسم جبل. [بعده شاهد شعري]

في الترويح : والكاتب : اسم جبل.

في الصّحاح: مادة نصب، ونصيبين: اسم بلد، وفيه للعرب مذهبان: منهم]
بعده بحث نحوي . حذفه الزنجاني[.

في الترويح : ونصيبين : اسم بلد .

خلاصة المنهج :

ومن الأمثلة المعروضة، تتضح معالم منهج الزنجاني، وقد تجلت في مظهرين أساسيين :

أ- مظهر التهذيب والاختصار .

ب- ومظهر العناية .

أ- مظهر التهذيب والاختصار، وأبرز معالمه هي :

١. حذف أسماء الرواة .

٢. حذف الشواهد القرآنية، والحديثية والشعرية، والقراءات، واستثناء بعضها .

٣. حذف بعض المسائل النحوية، أو اختصارها، أو إحالة الحديث عنه إلى كتابه الذي أسماه " تحفة الطلاب في قواعد الإعراب "، كما فعل عند الحديث عن أحكام الإضافة، فقال: وقد ذكرت تعليقه في كتاب تحفة الطلاب (مادة : ثني) .

وللوقوف على أمثلة أخرى، حذف منها الموضوعات النحوية، تراجع المواد الآتية : درأ، شيئاً، صحب، كذب، كرب، ست، ليت .

لكنه نقل بعض المسائل النحوية، خلافاً لمنهجه الذي تحدث عنه في المقدمة، ولم يذكر السبب، كما في مادة: ريب، عند الحديث عن رُبَّ. وكذلك المواد : حتَّى، كاد .

٤. حذفه في الغالب اللغات، وأسماء أصحابها .

٥. استخلاص المادّة، والكلمة من الشاهد، كما تبين من الأمثلة السابقة .

٦. اختصار الشروح، و التفسيرات التي لا يأتي فيها المعنى، ولا يتضح المراد إلا بعد طول الفصل، وتوالي الجمل والشواهد، التي قد لا يحتاجها الباحث، والاكتفاء بتفسير واحد للفظ، ومثله فعل

الفيروز آبادي فيما بعد، ولم يفعل كما فعل الأزهري في " تهذيب اللغة
" الذي أكثر من نقل الأقوال.

كُلُّ ذلك لتسهيل الطريق على طالبي اللغة في المعاجم، والباحثين الذين
يفضلون التفسير المباشر على التفسير غير المباشر، لمواد اللغة، وترجيح
القطوف الدانية، من ثمار ألفاظها على النائية .

ب : مظهر العناية و أبرز معالمه :

١. العناية بالمُعَرَّب .
٢. العناية بالأضداد .
٣. العناية ببعض اللغات (اللهجات) .
٤. العناية بالمستعمل، والشائع؛ وحذف الاستعمالات التي وردت بعد
كلمتي (قيل، أو قال)، خاصة إذا لم يكن القائل، أو الراوي،
كالأصمعي، والفراء، أو أن الجوهري، أو غيره من أعلام اللغة،
شكَّك في صحتها.

مؤاخذات على منهجه

وأبرز ما يلاحظ على منهج الزنجاني، من خلال استقراء المواد التي
نقلها، والأساليب التي استخدمها، في تهذيب واختصار، وعرض المواد، أنه
تساهل بعض الشيء في تطبيق منهج الاختصار، فرجَّح ذكر بعض ما أخذَ
على نفسه حذفه واختصاره، وهذه هنة. بينما تشدَّد في اختصار وحذف بعض
المواد إلى الحدِّ الذي جعل فهم المادة عسيراً، خاصة لغير ذوي الاختصاص.
وهذه هنة أخرى - وان كانت غير عريضة -، أصابت بعض المواد، ويسهل
علاجها بالحواشي، والتعليقات القليلة. ولا تتال من قيمة الكتاب، ولا من
منزلة المؤلف. (٥٤)

ومن المؤاخذات أيضاً، الإفاضة في شرح بعض المسائل الصرفية و النحوية، خلافاً لمنهجها. وبعد هذه المؤاخذات، لا يسعني إلا أن أقول: إنَّ الكمالَ لله وحده، والنقص لا ينفك ملازماً للإنسان، وشَكَرَ الله سَعَى المؤلف، وجهده في سبيل العلم، والمتعلمين.

قيّمته العلمية :

يستمد الكتاب قيمته العلمية من ثلاث جهات: تاريخية، علمية، ومعاصرة. أمّا قيمته التاريخية؛ فلأنه من أقدم المختصرات اللغوية التي رأت النور، وصاحبه الزنجاني رائد من رواد فن المختصرات اللغوية، وعلميته؛ لأنه أشملها مادة، إذ ليس في العربية مذهبٌ أشمل، وأكمل مادّة منه، مع سهولة التناول لمستويات علمية مختلفة.

فإن كان المختصر الثاني الذي عمله الزنجاني أعدّه ليناسب فئة معينة من المتعلمين، و ضمّنه عشر الأصل كما بيّن في مقدمة التنقيح ، المطبوع باسم تهذيب الصحاح ؛ فإنّ مختصره الكبير أرادَه لفئة متقدمة من الباحثين والدارسين. وهنا تكمن قيمته العلمية؛ ناهيك عمّا فيه من خصائص أسلوبية مميزة في مجال العرض والاختصار .

وأمّا قيمته المعاصرة، فتبرز في أنّه متساوقٌ مع الجهود التي تبذلها المؤسسات المعجمية المعاصرة، التي تتحى منحى اختصار المعاجم اللغوية الموسوعية؛ (٥٥) من خلال حذف المعلومات التاريخية والجغرافية، وإخلائها من المعلومات العلمية غير اللغوية، كالمسائل الفلسفية، والطبية، والتاريخية، وإحالة جميع ذلك إلى المعاجم المتخصصة، كل في مجاله، لتكون المعاجم اللغوية للمواد اللغوية فحسب، وكى يجد الباحث مادته اللغوية، دون عناء وتيه في استطرادات المعجميين الموسوعيين؛ فالعصر عصر السرعة و التخصص، والوقت من ذهب.

لذلك يصح اعتبار كتاب (تَرْوِيح الأرواح في تهذيب الصُّحاح) أكثر تناسباً و تمثيلاً مع روح العصر من بقية المعاجم، سواء تلك المعاجم المختزلة اختزالاً شديداً، أو المطوّلة إطالة مملّة؛ لامتنياز الترويح بغزارة مادّته - وهي مادة الصُّحاح -، وخلوّه من الاستطرادات التاريخية والجغرافية، والمسائل العلمية المحضة التي لاتهم الباحث اللغوي .



الهوامش

١. تنظر ترجمته في: مقدمة معجم العين، بقلم المخزومي والسامرائي ج ١. أيضاً،
الفهرست ١٠٧، معجم الادباء ٧٧/٦ .
٢. معجم الادباء ٧٨/٦ .
٣. ينظر ترجمته في: الفهرست ٦٧، الاعلام، للزركلي ٨٠/٦، وله ترجمة ضافية في
جمهرة اللغة، بقلم المحقق، ج ١ .
٤. ترجمته : الاعلام للزركلي ٣١١/٥
٥. ينظر ترجمة ضافية له في : مقدمة الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، بقلم
المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٦هـ -
١٩٥٦م .
٦. ينظر ترجمته في : الفهرس، لابن النديم ص ٢٠٠، معجم الادباء ٦٤/٢٠-٤-٦٧،
الاعلام، للزركلي ٢٦١/٨ .
٧. ينظر: الفهرس ٥٣، وفيات الاعيان ١/٤٩٤، معجم الادباء ١٩/٥٢-٥٤، الاعلام،
للزركلي ٩٥/٧ .
٨. ينظر: معجم الادباء ١١/١٨٩، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٩/٥٨١ .
٩. للتوسع ينظر: معجم المعاجم ٩٣-١٤٩ .
١٠. مقدمة لسان العرب، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط ١، بيروت
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ١: ١٧ .
١١. ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية
ط ١، بيروت ١٩٦٦م ص ١٠١، وحول صعوبة المعاجم، يراجع أيضاً: المزهري
للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وزميليه، دار إحياء التراث العربي،
مصر، بلا ت. ٩٣-١٠٣، ٢/٣٨٩، المعاجم العربية، تأليف د. إبراهيم
محمد نجا، منشورات جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية، مطبعة السعادة،
القاهرة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) صص ٤٩، ١٤٥، المعجم العربي، نشأته،
وتطوره، د. حسين نصار، فصول عيوب المعاجم ١/٣٩٣، ٢/٤٧٨، ٦٨٦،
٧٤٧، دراسات في اللغة والمعاجم، د. حلمي خليل، دار النهضة العربية ط ١،
بيروت ١٩٩٨م .

١٢. وهذه المختصرات تختلف كثيراً عن أصولها. للمزيد ينظر: (المزهر ١: ٨٧).
أيضاً: المعجم العربي، نصار ١ (٣٠٧، ٣١٢)
١٣. اختصار المعاجم: أهدافه و طرائقه، د. علي القاسمي، مجلة اللسان العربي، إصدار مكتب تنسيق التعريب - الرباط، سنة ٢٠٠١، العدد ٥٠. أيضاً .
١٤. ينظر: تنقيح الصحاح، الورقة الأولى، مخطوطة مكتبة سبهاسالار رقم ٩٤ ، فهرست كتابخانه شهيد مطهري ٢: ١٦٦، أيضاً النسخة المطبوعة من هذا الكتاب باسم (تهذيب الصحاح)، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، و أحمد عبد الغفور عطار، دار المعارف بمصر، بلايت ، ١: ٤ .
١٥. طبع بهذا الاسم في لكنو سنة ١٢٨٩هـ . ق . ينظر : تخريج الفروع على الأصول ، للزنجاني ، تحقيق الدكتور محمد أديب الصالح ، نشر مكتبة العبيكان ط/١ ، الرياض ، ١٤٢٠ ق-١٩٩٩م ، ص ١١ . ونشرة سنة ١٣٧١هـ ، باسم تهذيب الصحاح ، محمد سرور الصبّان ، بتحقيق هارون، و عطار. ومن هذا الكتاب نسخة خطية ، بعنوانه الحقيقي "تنقيح الصحاح" في مكتبة سبهاسالار " شهيد مطهري حالياً " تحت رقم ٩٤ ، وقد رأيتها ، وأولها بعد البسملة: الحمد لله حقّ حمده ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله ، وصحبه ... ، وأول مواده: باب الألف المهموزة، وفي آخر الكتاب، خرم بمقدار ورقتين .
١٦. ينظر: المعجم العربي، نشأته وتطوره، ٥٠٤/٢.
١٧. مصادر ترجمة الزنجاني : ينظر: الايرانيون والادب العربي، الاستاذ قيس آل قيس ٣٩١/٤، أيضاً: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، لابن الفوطي البغدادي (ت ٧٢٣ هـ) ٨١، ١٦٣، ٢٧٣ ، سير أعلام النبلاء هـ: ٢٣: ٣٤٦ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت ٧٧١ هـ) : ٨ : ٣٦٨ ، طبقات الشافعية للإسنوي (ت ٧٧٢ هـ) ٢ : ١٥ ، طبقات المفسرين للداودي (ت ٩٤٥ هـ) ٢ : ٣٠٩ ، ٣١٠ ، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون: ٢ : ٩٧ : النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ٧ : ٦٨ ، هدية العارفين ، لأحمد باشا البغدادي ٢ : ٤٠٥ ، الزركلي ، الأعلام ٧ : ١٦١ ، موسوعة طبقات الفقهاء : اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ، بإشراف الشيخ جعفر السبحاني ٧ : ٢٦٢ ، ٢٧١ ، تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ٢ : ٥٩٠ .

١٨. الحوادث الجامعة ٢٣٧، و مجمع الآداب في معجم الألقاب، لابن الفوطي، نشر مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ط١، ١٤١٦هـ، ١ : ٨٦، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ٣٦٨. و الأعلام للزركلي ٧ : ١٦١، و معجم المؤلفين ١٢ : ١٤٨، و سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣ : ٣٤٥، طبقات الشافعية للإسنوي ٢ : ١٥، و هداية العارفين لأحمد باشا البغدادي ٢ : ٤٠٥ و طبقات المفسرين، للداودي ٢ : ٣٠٩.
١٩. هدية العارفين ٢ : ٤٠٥، و المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم، تحقيق علي محمد النجار، نشر: دار إحياء الكتب العربية ط١، ١٩٦٢، ٢ : ٤٥٤.
٢٠. زنجان : بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم جيم، و آخره نون : بلد كبير مشهور من نواحي الجبال، و هي قريبة من مدينة قزوین؛ وقد خرج منها جماعة من أهل العلم و الأدب و الحديث، كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان، دار صادر، ١٩٧٩، ٣ : ١٥٢.
٢١. ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير ١٢ : ٣٧١، ١٣ : ١٢٤، و تاريخ علماء المستنصرية ١ : ٦٥.
٢٢. تاريخ علماء المستنصرية ٢ : ٣٧٩.
٢٣. السابق ٢ : ٣٨٠.
٢٤. سير أعلام النبلاء ١٣ : ٣٤٥، ٣٤٦.
٢٥. ٨ : ٣٦٨.
٢٦. طبقات الشافعية ٢ : ١٥.
٢٧. مجمع الآداب، لابن الفوطي ١ : ٨٦، ٨٧.
٢٨. تاريخ الإسلام ٢٩٧.
٢٩. طبقات الشافعية الكبرى ٨ : ٣٦٨.
٣٠. طبقات الشافعية ٢ : ١٥.
٣١. طبقات المفسرين ٢ : ٣٠٩.
٣٢. تاريخ علماء المستنصرية ٢ : ٢٩٢.
٣٣. ٧ : ٢٦٢، ٢٧١.
٣٤. ١٢ : ١٤٨.
٣٥. ٢ : ٣٧٩.

٣٦. تهذيب الصحاح ، المقدمة ٥٦/
٣٧. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٣٦٨/٨ ، طبقات المفسرين ٢ : ٣١٠ .
٣٨. حققه الدكتور محمد أديب الصالح ط/١ . نشر مكتبة العبيكان . الرياض ١٤٢٠هـ ق /١٩٩٩ .
٣٩. ينظر: كشف الظنون ٢ : ٩٧ ، هدية العارفين ٢ : ٤٠٥ ، معجم المؤلفين ١٢ : ١٤٩ .
٤٠. ينظر: ابن الفوطي ١٦٣ ، كشف الظنون ٢ : ٩٧ ، البلغة في أصول اللغة/١٢٩ ، موسوعة طبقات الفقهاء ٧/ ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٢٦٢ .
٤١. أشار إلى هذه الطبعة، الدكتور محمد أديب الصالح، محقق كتاب (تخريج الفروع على الأصول)، للزنجاني الذي مر تحت رقم (٢) ، ولم يشر إليها الزركلي في ترجمة الزنجاني ١٦١/٧ ، ولا عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ، طبعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ١٤٨/١٢ ، ويبدو أنها طبعة نادرة ، وقد حاولت الحصول عليها فلم أوفق .
٤٢. تاريخ علماء المستنصرية ١٣٤ / ١ .
٤٣. ص ١٣٧
٤٤. الورقة ١٨٦ .
٤٥. الورقة ٣٠٩ .
٤٦. ينظر : الحوادث الجامعة ١٦٣ ، و مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ٨٦ / ١ ، ينظر: حاشية المحقق في هذه الصفحة ، سير أعلام النبلاء ، ٣٤٦/٢٣ ، طبقات الشافعية للأسنوي ١٥/٢ ، طبقات المفسرين للداودي ٣٠٩/٢ ، معجم المؤلفين ١٤٩/١٢ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٦٨
٤٧. ينظر: كشف الظنون ٢ / ٩٧ ، البلغة في أصول اللغة ١٢٩ ، معجم المؤلفين ١٤٨/١٢ ، موسوعة طبقات الفقهاء ٧/ ٢٦٢ ، ٢٩٢ ، ٢٧١ .
٤٨. ينظر: البلغة في أصول اللغة / ١٢٩ ، كشف الظنون ٢ / ٩٨١ ، ١٠٧٣ ، موسوعة طبقات الفقهاء ٧ / ٢٧٢ ، ٢٩٢ ، معجم المؤلفين ، كحالة ١٤٨/١٢ ، الأعلام للزركلي ١٦١/٧ ، تاريخ علماء المستنصرية ١٣٤-١٣٥ ، تهذيب "تنقيح" الصحاح ، المقدمة ٥٧ .

٤٩. جاء وصف النسخ الست مفصلاً في مقدمة النسخة المحققة من كتاب ترويح الأرواح ، ص ١٠-١٢ .
٥٠. مقدمة ترويح الأرواح ٣ .
٥١. الورقة ١٨٦ .
٥٢. ما ذكرته بين المعقوفتين، توضيحات حول الفروق بين نصي الصّاح والترويح.
٥٣. القاموس المحيط ، مادة : القصب ١:٢٧٣
٥٤. وردت هذه المواد في هامش النسخة المحققة.
٥٥. اختصار المعاجم ٣ .

المصادر والمراجع

١. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط/٨ ، بيروت ١٩٨٩ .
٢. الايرانيون والادب العربي، تأليف قيس آل قيس، نشر: مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية .
٣. البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٣هـ - ١٩٩٢م .
٤. البلغة في أصول اللغة، تأليف محمد صديق حسن خان بهادر ملك مملكة بهوبال. طبع في مطبعة الجوائب - القسطنطينية ١٢٩٦ هـ . ق.
٥. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ م
٦. تاريخ الإسلام ، الحافظ الذهبي ، تحقيق د. عبد السلام تدمري ، دار الكتاب ط١، بيروت ١٤١٩هـ .
٧. تاريخ بغداد ، تأليف الامام الحافظ ابي بكر أحمد بن علي بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط/١ ، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٨. تاريخ علماء المستنصرية، تأليف الدكتور ناجي معروف، دار الشعب ط/٣ القاهرة ، بلات .

٩. تخريج الفروع على الأصول ، للإمام أبي المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) ، حققه وقدم له : الدكتور محمد أديب الصالح . نشر مكتبة العبيكان ط/١ ، الرياض ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٠. تهذيب الصحاح ، تأليف أبي المناقب ، شهاب الدين محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني ، تحقيق : عبد الغفور عطار ، و عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، بلا ت .
١١. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تأليف كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي البغدادي (ت ٧٢٣هـ-) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٢. دراسات في اللغة و المعاجم ، د . حلمي خليل ، دار النهضة العربية ط/١ ، بيروت ١٩٩٨م .
١٣. سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة ط١١ ، بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١٤. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: احمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي بمصر بلا ت .
١٥. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، و محمود محمد الطناحي ، طبع البابي الحلبي ، بلا ت .
١٦. طبقات الشافعية ، تأليف جمال الدين عبد الرحمن بن الحسن الإسفوي (ت ٧٧٢ هـ) ، تحقيق: عبد الله الجبوري ، بغداد ١٣٩١ هـ .
١٧. طبقات المفسرين ، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥ هـ) ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، بلا ت .
١٨. الفهرست لابن النديم ضبطه الدكتور يوسف طويل منشورات دار الكتب العلمية بيروت ط/٢ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
١٩. فهرست كتابخانه مدرسة شهيد مطهري جلد ٢/ .
٢٠. القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، دار إحياء التراث العربي ط/١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٤١م .
٢١. كشف الظنون ، طبع وكالة المعارف ، اسطنبول ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م .

٢٢. لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق: علي شيري دار إحياء التراث ، ط١ ، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ٣٣ ٢٢- مجمع الآداب في معجم الألقاب ، لابن الفوطي ، نشر مؤسسة الطباعة و النشر ، وزارة الثقافة و الرشاد الإسلامي ، طهران ط/١٤١٦ هـ .
٢٣. مختار الصحاح ، تأليف أبي بكر الرازي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٤. المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي تحقيق : أحمد جاد المولى ، و علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، بلا ت .
٢٥. المشتبه في الرجال: أسمائهم أنسابهم، تحقيق محمد النجار ، نشر دار إحياء الكتب العربية ط١ ، ١٩٦٢ .
٢٦. المعاجم العربية، تأليف د.إبراهيم محمد نجا، منشورات جامعة الأزهر -كلية اللغة العربية، مطبعة السعادة، القاهرة (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)
٢٧. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية ط/١ ، بيروت ١٩٦٦م .
٢٨. معجم العين، الخليل الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، مصور دار الهجرة، إيران - قم ١٤٠٥هـ
٢٩. معجم الأدباء ، ياقوت الحموي طبع دار الفكر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٩م
٣٠. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
٣١. المعجم العربي ، نشأته وتطوره ، د.حسين نصار ، نشر مكتبة مصر ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٨م
٣٢. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٨٠ - ١٩٦٠م .
٣٣. معجم المعاجم، تأليف أحمد الشرقاوي إقبال، دار للغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٤٠٧-١٩٨٧
٣٤. موسوعة طبقات الفقهاء ، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع)، بإشراف الشيخ السبحاني ، بلا ت .
٣٥. النجوم للزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، جمال الدين ابن تغري بردي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٥م.

٣٦. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ،
١٩٩٢ م.

٣٧. وفيات الاعيان، لابن خلكان، دار صادر، بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

المخطوط: تنقيح الصحاح، تأليف محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني. كتابخانه
شهيد مطهري، شماره ٩٤.

المقالات

١. اختصار المعاجم : أهدافه وطرائقه، د. علي القاسمي (مجلة اللسان العربي)،
إصدار مكتب تنسيق التعريب، الرباط، سنة ٢٠٠١ م، العدد ٥٠.
٢. معاجمنا اللغوية، حسن كامل الصيرفي. (مجلة مجمع اللغة العربية)، القاهرة،
رمضان ١٣٩١ هـ - نوفمبر ١٩٧١ م، الجزء (٢٢).
٣. النشاط المعجمي العربي، د. محمد سالم الجرح (مجلة مجمع اللغة العربية)،
القاهرة. رمضان ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، الجزء (٢٢).

الطبيعة في تأملات إيليا أبي ماضي الشعرية

الدكتور حامد صدقي / أستاذ في جامعة

تربيت معلم بطهران

حنان جهدي / ماجستير في اللغة العربية

وآداها ...

الملخص:

يحظى الشعر التأملي بأهمية بالغة في مضمار الأدب العربي المعاصر. ويسعى هذا المقال عن طريق دراسة وتحليل أشعار أبي ماضي التأملية في الطبيعة أن يثبت مدى أهمية عنصر التأمل في الشعر بحيث يجعله من أبرز وأهم عناصره. فإن التأمل هو التفكير العميق والتثبت في لب القضايا والأمور وجوهرها للتوصل إلى غاية وهدف سامي ومنشود. والمقصود من الشعر التأملي هو ما يعكسه الشاعر من تأملاته في الحياة والطبيعة وما بعدها على شعره. وقد أخذ الشعر التأملي في الأدب المهاجري شكلا وطابعا خاصا يميزه عن سواه بحيث أصبح مدرسة شعرية تستحق

الدراسة والنقاش. ويستطيع الشعراء المعاصرون من خلال إستخدامهم عنصر التأمل في أشعارهم أن يقدموا شعرا مفيدا ونافعا إلى المجتمع والأجيال القادمة. والجدير بالذكر أنّ عنصر التأمل لا يقلل من جمال الشعر وجذابيته ولطافته بل هو أكثر نفوذا وتأثيرا في القلوب لأن الفكر جميل وأنّ الشعر الذي يتضمّن التفكير العميق يكون أجمل. وقبل أن يتناول هذا المجهود تحليل ودراسة تأملات إيليا أبي ماضي الشعرية في الطبيعة كان من الضروري تعريف التأمل والشعر التأملي حتى تتبيّن هذه الميزة الهامة في النماذج الشعرية المختارة بصورة واضحة وجليّة.

الكلمات الرئيسية: إيليا أبو ماضي، التأمل، الطبيعة

المقدمة

يتناول هذا المقال زاوية معيّنة وهامة من الأدب العربي المعاصر وعلى وجه خاص الأدب المهاجري منه. فشعر أبي ماضي الذي تملأه المواضيع الشعرية الجديدة إضافة إلى أسلوبه الشعري الصافي الرقراق والبسيط جعلنا نقرأ أشعاره بثغور مشرقة وقلوب يملؤها الحب والأمل، ويحثنا على دراسة أدبه والبحث في أشعاره الهادفة و العميقة المعنى والمضمون.

تكمن أهمية موضوع التأمل في أدب المهاجر بأنه صاحب رسالة فكرية تتضمّن أهدافاً خاصة في قضايا الإنسان والكون وما إلى ذلك. فدراسة موضوع كهذا يسلط الضوء على زاوية محددة وهامة في الأدب بحيث يجعل ميزة "التأمل" تصبح مدرسة شعرية بحد ذاتها فتضيف هذه المدرسة إلى الأدب صفة الأدب الإبداعي والمتميّز بصورة عامّة. والجدير بالذكر أنّ عنصر التأمل لا يقلل أبداً من جمال الشعر وجذابيته ولطافته بل هو أكثر نفوذاً

وتأثيراً في القلوب لأنّ الفكر جميل و أنّ الشعر الذي يتضمن التفكير العميق يكون أجمل.

وأما قبل ان نبدأ بشرح وتحليل تأملات إيليا أبي ماضي في الطبيعة رأينا ضرورة توضيح كلمة التأمل لغويّاً وبعد توضيحها جنّنا بتعريف واضح للشعر التأمليّ و الشاعر التأمليّ ثم أتينا بشواهد شعرية متنوعة من تأملات الشاعر في الطبيعة ودرسناها لإظهار أهميتها، لما تحمله من معانٍ ومضامين مفيدة ورائعة وجميلة.

التأمل لغويّاً

لقد جاء في "لسان العرب": " التأمل: التثبت. تأملتُ الشيءَ: نظرت إليه مستتبّاً له. تأمل الرجلُ: تثبّت في الأمر والنظر".^١

وأيضاً جاء في "المنجد": "تأمل الأمر وفيه: نظر فيه مليّاً. كحينما نقول: تأمل جمال الطبيعة أو تأمل في حقيقة أو مسألة. والتأمل الباطني: هو إمعان النظر في حوادث الشعور وضبط صفاتها مع تقريب بعضها من بعض للكشف عن قوانينها".^٢

إضافة إلى ذلك، نجد الكلمة في المعجم الوسيط بهذا المعنى: " تأمل الشيء وفيه: تدبّر و أعاد النظر فيه مرّة بعد أخرى ليستيقنه. تأمل تأملاً: تثبّت في الأمر والنظر".^٣ وبالنظر إلى المعاني المذكورة حول كلمة "التأمل" فإنّ الذي نقصده من كلمة "التأمل" في هذا المقال هو التعمّق والتفكير في لبّ القضايا والأمور وجوهرها.

^١ - لسان العرب: ابن منظور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا ط، ١٩٨٨م.

^٢ - المنجد في اللغة والأعلام: الأستاذ كرم البستاني وآخرون، بيروت، دار المشرق، ط ٢٣، لا تا/ ص ١٨.

^٣ - المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، تركية، لا ط، لا تا/ ص ٢٧.

الشعر التأملي

المقصود بالشعر التأملي هو ما ينعكس من تأمل الشاعر في الحياة والطبيعة وما بعدهما.^١ ويمكن لأيّ شعر أن يتمتع بعنصر التفكير، إلا أن الشعر التأملي هو الشعر الذي يحظى بتفكير عميق. والشعر التأملي هذا يمكن أن يكون موجوداً في ديوان أيّ شاعر، ولكن الشاعر التأملي هو الذي تكون معظم أشعاره تأملية.^٢

إذا فالشعر التأملي ليس غرضاً من الأغراض الشعرية فحسب، بل إنه مدرسة شعرية.^٣

ومن يمعن النظر لا يسعه إلا أن يلاحظ هذا الإتجاه التأملي في الأدب العربي الحديث ولاسيما الأدب المهاجري، الذي يُميّزه عن سواه.^٤

التأمل في الطبيعة

إيليا أبو ماضي^٥ شاعر رومانسي حالم، أحبّ الطبيعة فغناها بشكل جميل في أشعاره ورأى في هدوئها وروعها ما تقرّ به نفسه. فقد أعجبه في بساطتها وجمالها وبعدها عن أدران الحياة وأكدارها، ألهمته صوراً رائعة،

١- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: أنيس المقدسي، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٦م/ص ٢٠١.

٢- شعر تأملي در ادبيات عربي معاصر: دكتور سيد فضل الله ميرقادر، شیراز، منشورات نويد، ط٢٠٠٦م/ص ٦٤.

٣- م.ن/ص ٦٦.

٤- الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: أنيس المقدسي/ص ٣٠١.

٥- ولد إيليا أبو ماضي في قرية "المحيضة" التابعة لقضاء المتن الشمالي بלבنا سنة (١٨٨٩م)، وقد اختلف الدارسون في تحديد سنة ولادته وقد نشأ في عائلة بسيطة الحال لذلك لم يستطع أن يدرس في قريته سوى الدروس الابتدائية وفي سنة (١٩٠٢م) ترك قريته وتوجه أولاً إلى الإسكندرية ومن ثم إلى أمريكا وفي سنة (١٩٢٠م) انضم إلى "الرابطة القلمية" فكان شاعراً الأول وفي سنة (١٩٥٧م) توفاه الله وهو لا يزال في أوج نشاطه الصحافي والشعري. ولإيليا خمسة دواوين شعرية نشر منها في حياته أربعة "تذكّار الماضي" و"ديوان إيليا أبي ماضي" و"الجداول" و"الخمائل" وديوانه الأخير "تبر وتراب" الذي نشر بعد وفاته.

أخيلة مجنحة ومعاني خلقة تسمو بالإنسان إلى مراتب السمو والجلال وهو يتناولها من وجوه شتى فيستخدم عنصر الخيال ليصف روائعها ومناجاة الحياة فيها، ويتأمل تأملاً عميقاً في أوصافه لها ليستخلص منها العبر والعظات.^١

لقد أتبح له أن يعيش مع الطبيعة منذ نعومة اظفاره وينعم بجبال لبنان الفاتنة، وسهوله الخضراء، ورياضه الجميلة والساحرة التي تأخذ الأبواب، فرقت أجاسيسه ونبتت مشاعره وعمق تأثره بالطبيعة، فرتل ألحانه العذبة وناجاها في محبة واطمئنان وثقة لأنها تقرّبه من الجمال المطلق والسعادة.^٢

أحبّ أبو ماضي البقاء في الغاب حيث كان يمرح في ظلال أشجاره الوارفة، وعلى ضفاف غدرانه المنسابة الرقراقة، ويقضي هناك وقتاً جميلاً من أسعد الأوقات، فجعله مقياساً حقيقياً للسمو وهرب إليه وهام بعالمه وتحدى المجتمعات المدنية بعد أن ملّ عشرة البشر. فاعتبر الطبيعة مخلوقاً طاهراً مقدساً لأن الله موجود في كلّ أنحائها فهي عرشه وجنته ورمز لعدله.^٣

وله في هذا المجال قصيدة تحت عنوان «الغابة المفقودة» التي تؤكد - بجانب ابداع الشاعر الوصفي واحاطته بأدق الخطوط - شوق الشاعر لحياة الغاب حيث يعيش سعيداً مع من يحب، وقد أسدلت الظلال عليهما سترا يخفيهما عن عيون الحاسدين:

يا لهفة النفس على غابة	كنت وهنداً نلتقي فيها
أنا كما شاء الهوى والصبا	وهي كما شاءت أمانيتها
تكاذ من لطف معانيها	يشرّبها خاطر رائيها
آمنيت بالله وآياته	أليس إن الله باريها؟

^١ - إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال: خليل برهومي، بيروت، دار الكتب العلمية، سلسلة الأعلام من الأدباء والشعراء، ط١، ١٩٩٣م / ص ٦٤.

^٢ - إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب، بيروت - صيدا، منشورات المكتبة العصرية، لاط، لاتا / ص ٧٣ و ٧٤.

^٣ - م.ن/ ص ٧٤.

نُبَاغَتْ الْأَزْهَارَ عِنْدَ الضُّحَى
أَلْوَى عَلَى الزَّنْبِقِ نَسْرِيْنَهَا
وَاخْتَلَجَتْ فِي الشَّمْسِ أَلْوَانُهَا
تَأَلَّفَتْ فَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِهَا
وَفَوْقَنَا الْأَغْصَانُ مَعْقُودَةً
نَسِيرُ مِنْ كَهْفٍ إِلَى جَدُولٍ
وَالنُّورُ عِطْرٌ فِي تَعَارِيْجِهَا
لِلَّهِ فِي الْغَابَةِ أَيْمَانَا
كَانَتْ تُغَطِّيْنَا بِأَوْرَاقِهَا

مَتَكَنَّتْ فِي نَوَاحِيهَا
وَالْتَفَّ عَارِيَهَا بِكَاسِيهَا
كَأَنَّهَا تَذْكُرُ مَاضِيَهَا
يَرْقُصُ وَالطَّيْرُ تُغْنِيَهَا...
ذَوَائِبٌ طَالَ تَدْلِيْهَا
نَكْتَشِفُ الْأَرْضَ وَنَطْوِيْهَا
وَالْعِطْرُ نُورٌ فِي حَوَاشِيهَا
مَا عَابَهَا إِلَّا تَلَاشِيَهَا
فَصَارَتْ الدُّورُ تَغْطِيْهَا!¹

فبسبب كثرة الأشجار والزهور والبراعم والماء والطيور المتواجدة في الغابة والشمس يشعر إيليا بوجود منظومة كاملة ومتوازنة من الحُسن والجمال الخلاب. ففي كتاب التكوين تقع كل الصفحات والسطور والحروف في مكانها بشكل دقيق ومحسوب حيث لا ينقص شيئاً منه، وكأن الشاعر يشعر بفخر واعتزاز حينما يسأل نفسه؛ ما الذي تريده ولم يتوفر لك في هذه المنظومة الكاملة؟!²

ويقول الدكتور شوقي ضيف: "إنَّ إيليا أباماضي في وصفه لهذه الغابة المفقودة، يصف لبنان بشحاريه وجباله وأوديته وفاكهته الشهية وأصوائه وأكاليل زهوره. وما يزال حتى يأسى لما أصاب غابته، فقد فصل زمانُ الهوى وامتدت يد الإنسان، فاستأصلت شجر الغابة، وطردت الطير عن أعشاشها، وأقامت الدور والقصور. وهذا كله إنما هو رمز المدنية الأمريكية الجديدة

¹- ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٦، ١٩٨٧م/ ص ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨.

و ١٦٠.

²- شعر تأمل في أدبيات عربي معاصر: دكتور سيد فضل الله ميرقادي/ ص ٣٣٦.

ولبنان الطريدة: جنة الأحلام السندسية التي نزرع منها الشاعر قبل الأوان»^١.
لقد هام أبو ماضي بالغاب الذي يدعوه أحياناً بالفقر حيث يرمز به
عن الحياة الطبيعية السهلة غير المعقّدة فيقول:

سئمتُ نفسيَ الحياةَ مع الناسِ	وملّتُ حتّى من الأحبابِ
وتمشّيتُ فيها الملالةَ حتّى	ضجّرتُ من طعامهم والشرابِ...
قالتِ اخرجِ من المدينة للفقرِ	ففيه النجاةُ من أوصابي
وليكُ الليلُ راهبي، وشُموعي	الشهب، والأرضُ كلّها محرابي
وكتابي الفضاءُ أقرأ فيه	سوراً ما قرأتها في كتابِ
وصلّاتي التي تقول السواقي	وغنائي صوتُ الصبّا في الغابِ
وكؤوسي الأوراقُ ألقتُ عليها	الشمسُ ذوبَ النضار عند الغيابِ
ورحقي ماسال من مقلةِ الفجرِ	على العشبِ كاللجين المذابِ ^٢

فهو يشكو من النفاق الذي أصبح سمة لعصره، وجعله يملّ كل من
حوله من الناس حتى الأحباب والأصحاب، فيطبع نفسه ويذهب معها إلى ذلك
الغاب المنشود حيث تعجبه الطبيعة الشاملة بأجمل معانيها، وبكل ما فيها من
مظاهر البساطة والألفة والمحبة، إنه سيصلّي مع السواقي التي تدور وهي
تتن أنيناً أشبه بصلاة الزاهد المتعبّد، وإنه سيغنّي ويعزف أعذب الألحان
وأصدق الأنغام.^٣ ولكنّه ما لبث أن وجد نفسه تأبى الذوبان في الطبيعة بل لا
تريد ذلك لأنّ الملل عاد يساوره:

^١ - دراسات في الشعر العربي المعاصر: الدكتور شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات
الأدبية، ط ٢٠٠٣م/ ص ٢٦٨.

^٢ - ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١٧، ١٩٨٦م/ ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٠.

^٣ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج، مصر، دارالمعارف، لاه، ١٩٥٧م/ ص ١٦٧.

إنما نفسى التي ملّت العمران ملّت في الغاب صمت الغاب
فأنا فيه مستقلّ طليق وكأني أدب في سرداب^١

والنتيجة التي وصل إليها أبو ماضي هي أن الإنسان مضطر إلى مخالطة بني جنسه ممن حوله مادام يعيش ويتنفس هواءهم، وأن عليه أن يتم هذه الحياة المقدرة عليه مادام قد خلق إنساناً كسائر الناس.^٢ وينطلق أبو ماضي بخلاصة هذه التجربة فيقول:

علّمتني الحياة في الفقر أني أينما كنت ساكن في التراب
وسأبقى مادمت في قفص الصلصال عبد المني، أسير الرغاب
خلت أني في الفقر أصبحت وحدي فإذا الناس كلهم في ثيابي^٣

ويلذ لأبي ماضي التأمل والبحث إذا جنّ الليل وبدت النجوم ظاهرة حيث يجد أن الحقائق الكبرى تتجلى في ظلمات الأحلام، وأن الليل يوحى بالإنطلاق والتحرر ويمحو الحدود، فيرتفع ستار الأسرار عن النفس بالإشراق الروحي والأحلام.^٤

فليله كليل الرومانسيين له أحلامه ورغائبه وسماؤه وكواكبه، وصحيح أنه يغطي كل الوجود ولكنه لا يزيل معالمه. وحول هذا له قصيدة عاطفية رقيقة تحت عنوان «المساء» يصف فيها الليل بنظراته التأملية هكذا:

إن المسا يخفي المدائن كالقري
والكوخ كالقصر المكين
والشوك مثل الياسمين

^١ - ديوان الجدول لإيليا أبي ماضي / ٥١.

^٢ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج / ص ١٦٨.

^٣ - ديوان الجدول لإيليا أبي ماضي / ص ٥٢.

^٤ - إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب / ص ٧٧.

لا فرقَ عندَ الليلِ بينَ النهرِ والمستقعِ
يُخفي ابتساماتِ الطروبِ كأدمعِ المتوجّعِ
إنَّ الجمالَ يغيبُ مثلَ القُبْحِ تحتَ البرقِ
لكن لماذا تجزعين على النهارِ وللدجى
أحلامُهُ ورغائبه
وسماؤُهُ وكواكبه
إن كان قد سترَ البلادَ سهولُها ووعورها
لم يسلب الزهرَ الأريجُ ولا الميأة خريرها
كلا ولا منعَ النسائمِ في الفضاءِ مسيرُها
ما زال في الورقِ الحفيفُ وفي الصَّبَا أنفاسُها
والعندليبِ صِدَاحه
لا ظفره وجناحه^١

وهنا نلتقي عنده بالطبيعة التي لا تفرّق بين أحد من الناس، سواء في عطائها، أو في أخذها، فالكل عندها سواسية وتحب النفع لهم جميعاً.^٢ وهو مساوٍ لليل الذي له رؤاه وميوله وله كالنهار المظاهر المظلمة السماوية نفسها، فبدل أن تضيئها الشمس تضيئها النجوم المتألئة. وفي بداية هذه القصيدة يخاطب محبوبته ويصف تأثير حلول المساء على نفسها ومشاعرها وأفكارها فيقول:

السَّحْبُ تركضُ في الفضاءِ الرَّحْبِ ركضَ الخائفين
والشمسُ تبدو خلفها صفراءَ عاصبةَ الجبين
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدين
لكنما عيناكِ باهتتانِ في الأفقِ البعيد

^١ - ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٩ و ٦٠.

^٢ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج/ ص ١٧٢.

سلمى، بماذا تفكرين؟

سلمى، بماذا تحلمين؟^١

ويعجب الشاعر من تأثير صديقه لذهاب النهار وهجوم الليل بظلامه،
ولم كل هذه الهواجس التي تعتربها والشكوك التي تلوح في شحوب وجهها؟
وما هذه الحيرة التي تضطرب بها نفسها؟ أتراها تفكر:

بالأرض كيف هوت عروش النور عن هضباتها؟

أم بالمروج الخضِر ساد الصمت في جنباتها؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى وكناتها؟

أم بالمسا؟^٢

ثم يطلب منها أن تطرح همومها ، وأن تمتع نفسها بما في ليلها من
جمال فتصغي إلى صوت الجداول، وتستشيق نسيم الأزهار، وتستبصر الشهب
سابحة في أجواز الفضاء قبل أن ينزل بساحتها الموت ويحل العدم والفناء:

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح

واستشقي الأزهار في الجنات ما دامت تفوح

وتمتعني بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح

من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان

لا تبصرين به الغدير

ولا يلذ لك الخير^٣

وأما «البحر» فهو من مظاهر الطبيعة الأخرى التي تأملها أبو ماضي
في قصيدته المعروفة بـ«الطلاس» حيث تساءل عن أصله وعمره وقصده،
وفيهما مقارنة بين خصائص من نفسية الشاعر وبعض خصائص البحر:

١- ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٦.

٢- م.ن / ص ٥٨ و ٥٩.

٣- ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي/ ص ٦٠ و ٦١.

أيها البحرُ أدري كم مضتْ ألفٌ عليكِ
 وهل الشاطئُ يدري أنه جاثٌ لديكِ
 وهل الأنهارُ تدري أنها منكِ إليكِ
 ما الذي الأمواج قالت حين ثارت؟

لست أدري

أنت يا بحرُ أسيرٌ آه ما أعظمُ أسركِ
 أنت مثلي أيُّها الجبار لا تملكُ أمركِ
 أشبهتُ حالكُ حالي وحكى عذريَ عذركِ
 فمتى أنجو من الأسر وتتجو؟

لست أدري^١

وحديث أبي ماضي مع البحر حديث طويل يحسن القارئ له وكأنما
 الشاعر قد تفاعلت نفسه مع البحر، فقرب منه وجلس إليه، وأخذ يفكر في
 أحواله فلا يدع ظاهرة من ظواهره، ولا سرّاً من أسرارهِ إلا ذكره واستطلع
 الأمر فيه، ولما أعياه الأمر لم يجد مفرّاً من قوله «لست أدري».^٢

وأرجع أبو ماضي كل شيء إلى البحر القوي الجبار حين قال: إن
 السحب التي تروي الأرض، والماء الذي يرتوي به الناس والثمار التي
 يأكلونها، كلها صادرة عن البحر.^٣ وهذه الحقيقة المعروفة للناس أجمعين،
 يرتاب في أمرها الشاعر ويستطلع البحر في حقيقتها ولكنه أيضاً لا يصل إلى
 يقين:

ترسلُ السحبَ فتسقي أرضنا والشجرا
 قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا

^١ - م.س / ص ١٤٢ و ١٤٣.

^٢ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج/ ص ١٧٦.

^٣ - م.ن/ ص ١٧٦.

وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصواباً ما زعمنا أم ضلالاً؟

لست أدري^١

ويتتبع أبوماضي كل ظاهرة من مظاهر الطبيعة فيخرج من تأملته
وتتبعه بدروس كلها عبر. فقد أعجب بكل شيء في الطبيعة. وفي قصيدته
«الجدول الطروب» التي وردت ضمن أشعاره المجهولة يترك لنا أثراً ينم عن
شغفه الدائم بالجدول ومياهها العذبة، حيث أفرد ديواناً خاصاً بها، فيقول فيها
معتبراً عن شعوره العميق واحساسه المرهف الذي يتجلى بشكل آيات من
الروعة والفتنة والجمال:

من علم الإنشاد هذا الراقص المتبخترا ؟
إني اهتديت به إليه وكان سرّاً مضمرا
يجري طروباً وهو لا يدري لماذا قد جرى
الدوخ حانية عليه تخاف أن يتكثرا
ويلذ للأزهار أن ترنو إليه وتنظرا
ولقد سمعت الطير تدعوه الحبيب الأكبر
فوقفت أرمقه وأسأل حائراً مستفسرا
ما حبب الأطيّار والأشجار فيه يا ترى؟
أحصاه؟ إن البحر يحوي في حشاه جوهرا
أم ماؤه؟ أني رأيت السيل منه أغزرا
أو طهره؟ إني وجدت الطل منه أطهرا
ما السر في هذا، ولا في كونه يسقي الثرا

١- ديوان الجدول لإبليبا أبي ماضي/ ص ١٤٣ و ١٤٤.

بل كونه يُسدي الجميل ويستحي أن يظهر^١
إنه في هذه الأبيات الجميلة يستخلص هذه النتيجة التي ضمّنها في البيت
الأخير وكأنه يريد أن يقول للإنسان أن يفعل الخير والأعمال الصالحة دون
أي تظاهر، ودون أية منة.

وفي مقطوعة له بعنوان «قطرة الطل» يدعو الناس معه إلى تأمل
الأزهار وما فيها من معاني وأسرار بقوله:
إن ترَ زهرةً وردٍ فوقها للطلّ قطره
فتأملها كلغزٍ غامضٍ تجهل سرّه
ولتكن عينك كفاً وليكن لمسك نظره
ليست الحمراء جمره، لا ولا البيضاء ذره
ربّ روحٍ مثل رُوحٍ عافت الدنيا المضرّه
فارتقت في الجوّ تبغي منزلاً فوق المجره
علها تحيا قليلاً في الفضاء الحرّ حرّه
ذرفت مقلّة الظلماء عند الفجر قطره^٢

وفي الخريف يرى أبو ماضي فراشة وقد دنا أجلها، فزاده مرآها تأملاً
في الطبيعة وأسرار الحياة وأطوارها حيث جعلها موضوعاً لقصيدته «الفراشة
المحتضرة». ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة:

^١ - إيليا أبو ماضي دراسات عنه وأشعاره المجهولة: جورج ديمتري سليم، مصر، دار المعارف، مكتبة
الدراسات الأدبية، لاه، لاتا / ص ٢٦٦.

^٢ - ديوان الجداول لإيليا أبي ماضي/ ص ٩٠ و ٩١.

يا روضةً في سماءِ الروضِ طائرةٌ وطائراً كالأقاحي ذا شذى ذاك
مضى مع الصيفِ عهدٌ كنتِ لاهيةً على بساطٍ من الأحلامِ ضحكاً
تُمسِن عند مجاري الماءِ نائمةً وللأزاهرِ والأعشابِ مغداً
وكلما نورتِ في السَّقحِ زنبقةً صفقتِ من طربٍ واهتز عطفاكِ
فما رشفتِ سوى عطرٍ ولا انفتحتِ إلا على الحسنِ المحبوبِ عيناكِ
وكم لثمتِ شفاءَ الوردِ هائمةً وكم مسحتِ دموعَ النرجسِ الباكي^١

ثم يُصوّر منظراً من المناظر المألوفة بين الصبيان حين يحاولون صيد الفراشة ويركضون وراءها في الحقل وهي تقفز وتنتقل من زهرة إلى زهرة، وهم يتابعونها في التنقل بين الزهرات، حتى إذا تعبوا ويئسوا من القبض عليها، وقفوا يسحبون أنفاسهم، ووقفت هي ترقبهم بعين ساخرة، وترمقهم بنظرة متحفزة وكأنها تهزأ بقواهم وبنشاطهم. إنه لمنظر عادي ساذج قد نمر به كثيراً، ولكنه لا يستوقف منا إلا شاعراً متأملاً متيقظ الذهن كأبي ماضي الذي يُعبّر عنه بأسلوب واقعي عليه مسحة من الخيال الطريف:^٢

وكم ركضتِ فأغربتِ الصغارَ ضحىً بالركضِ في الحقلِ ملهاهم وملهاكِ
منوا بأسرهم إياكِ أنفسهم فأصبحوا بتمنيهم أساركِ
جروا قصارهم حتى إذا تعبوا وقفتِ ساخرةً منهم قصاركِ^٣

ويرى الشاعر في فناء الفراشة فناء البهجة والحبور من الكون الذي كان زاهياً مشرقاً، فهبت عليه رياح الخريف وعصفت بما فيه فلم تبق عليه شيء من الزهر والثمر، حتى الفراشة^٤، ولذا فهو يخاطب تلك الرياح الهوج بقوله:

١- ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٣ و ٥٤.
٢- شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج/ ص ١٨٠.
٣- ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٥.
٤- شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج/ ص ١٨١.

فيا رياحَ الخريفِ العاتياتِ كفى عصفاً فقد كثرتْ في الأرضِ قتلاكِ
كيفَ اعتذاركَ إن قال الإلهُ غداً هلِ الفراشةُ كانتْ من ضحاياك؟^١

وفي نهاية القصيدة يعترف الشاعر بقدرة الله على إحيائها وبعثها حياة من جديد، تنطلق بفرح مع الربيع كما كانت من قبل فتفرح بها الطبيعة:

ما أقدرَ اللهُ أن يحييكِ ثانيةً مع الربيعِ كما من قبلُ سواكِ
فيرجع الحقلُ يزهر في غلائله وترجعين، وأغشاه، فألقاكِ^٢

مما تقدم يتضح لنا أن أبا ماضي قد أحبَّ الطبيعة بصدق وإخلاص، وانعكس جمالها في جمال نفسه، وصفاء سمائها في صفاء شعره، فعذبت الفاظه كمياها العذبة ورقّت موسيقاه كموسيقى أنهارها وبلابلها، وقد كشفت له عن أسرار جمالها وسحرها وهو من شدة ارتباطه بها أخذ أسماء بعض دواوينه منها فكان "الجداول" و"الخمائل" و"تبر وتراب".

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المتأملة في بعض أشعار إيليا أبي ماضي التأملية لابد في الختام من التنويه ببعض النقاط الهامة والنتائج التي توصلت إليها المقالة لإظهار مقدار الإفادة العلمية وحجم المعلومات الواردة في نصّها. فقد تعرّفنا من خلال هذه الدراسة إلى الشعر التأملي والمقصود منه هو ما ينعكس من تأمل الشاعر في الحياة والطبيعة ومابعدهما. ويمكن لأيّ شعر أن يتمتع بعنصر التفكير إلا أنّ الشعر التأملي هو الشعر الذي يوجد فيه تفكير عميق، والشاعر التأملي هو الذي تكون معظم أشعاره تأملية. إذا فالشعر التأملي ليس

^١ - ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٧.

^٢ - ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي/ ص ٥٧.

غرضاً من الأغراض الشعرية فحسب بل أنه مدرسة شعرية بحدّ ذاتها وكل من يدقق النظر فيها لايسعه إلا أن يلاحظ في الأدب العربي الحديث ولاسيما المهاجري من هذا القبيل اتجاهاً خاصاً يميّزه عن سواه.

ومن أجمل قصائد التأمل في الطبيعة عند أبي ماضي قصيدته "المساء" التي يخاطب فيها محبوبته ويصف تأثير حلول المساء على نفسها ومشاعرها وأفكارها فهو يصف فيها الليل بنظرته التأملية الثاقبة وصفاً جميلاً ورائعاً. وأما قصيدته " الغابة المفقودة" فهي تؤكد بجانب إبداع الشاعر بالوصف وإحاطته بأدقّ الخطوط، شوق الشاعر لحياة الغاب وطبيعته الجميلة حيث جعله مقياساً حقيقياً للسمو وهرب إليه وهام بعالمه وتحذّى المجتمعات المدنية بعد أن ملّ عشرة البشر. ولقد تأمل أبو ماضي في "البحر" في قصيدته المعروفة "الطلاسّم" حيث تساءل عن أصله وعمره وقصده وفيها مقارنة بين خصائص من نفسية الشاعر وبعض خصائص البحر فهو في تساءلاته لم يصل إلى اليقين. و في قصيدته "الجدول الطروب" التي وردت ضمن أشعاره المجهولة يترك لنا أثراً ينمّ عن شغفه الدائم بالجدول ومياهها العذبة حيث أفرد ديواناً خاصاً بها ونراه يعبر في هذه القصيدة عن شعوره العميق واحساسه المرهف الذي يتجلى بشكل آيات من الروعة والفتنة والجمال. ومن أروع تأملاته الشعرية مقطوعة له بعنوان "قطرة الطل" وفيها يدعو الناس معه إلى تأمل الأزهار وما فيها من معانٍ وأسرار غامضة وأما في قصيدة "الفراشة للمحتضرة" فيعبر أبو ماضي عن منظر عاذي ساذج (من وجهة نظرنا) من مناظر الطبيعة بأسلوب واقعي يضيف عليه مسحة من الخيال الطريف وهذا لا يستوقف منا إلا شاعراً متأملاً متيقظ الذهن كأبي ماضي الذي أحبّ الطبيعة بصدق وإخلاص بحيث تتبّع كل ظاهرة من مظاهرها وخرج من تأملها وتتبّعها بدروسٍ كلها عبر.

ولقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن أبا ماضي بسبب حبه للطبيعة وارتباطه بها وتأملاته العميقة في أوصافه لها كان يعتبرها مخلوقاً طاهراً مقدساً لأن الله موجود في كل أنحاءها فهي عرشه و جنته ورمزٌ لعدله، هذا وقد أخذ أسماء بعض دواوينه منها فكان "الجدول" و"الخمائل" و"تبر وتراب". وهو في كل هذه الأبيات التأملية يريد إرجاع الإنسان إلى إنسانيته، يريد أن يكون عنصراً منسجماً مع عناصر الخلقة الأخرى الموجودة حواليه التي تهب ولا تأخذ، وتعطي ولا تنتظر جزاءً ولا شكوراً. إنه يدعو الإنسان إلى العيش بانسجام مع هذه الظواهر التي خلقها الله عزّ وجلّ في هذا الكون، ليحيا حياة سعيدة. فالسعادة لا تأتي إلا بالانسجام التام مع مظاهر الكون وحركاتها وسلوكها. أما الشقاء فإنه نتيجة السلوك المتناقض مع المظاهر الكونية التي تحيطه وتملأ حياته وبيئته.

(فهرس المصادر والمراجع)

المصادر

١. ديوان الجداول: إيليا أبوماضي. دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٧، ١٩٨٦م.
٢. ديوان الخمائل: إيليا أبوماضي. دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٧، ١٩٨٦م.

المراجع

أ. الكتب:

٣. الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث: أنيس المقدسي. دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٦م.
٤. إيليا أبوماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب. منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لاط، لاتا.
٥. إيليا أبوماضي دراسات عنه وأشعاره المجهولة: جورج ديمتري سليم، دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، لاط، لاتا.
٦. إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال: خليل برهومي. دار الكتب العلمية، بيروت، الأعلام من الأدباء والشعراء، ط ١، ١٩٩٣م.
٧. دراسات في الشعر العربي المعاصر: الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف، مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، ط ١٠، ٢٠٠٣م.
٨. شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج. دار المعارف، مصر، لاط، ١٩٥٧م.
٩. شعر تأملي در أدبيات عربي معاصر: دكتور سيد فضل الله مير قادري. منشورات نويد، شیراز، ط ١، ٢٠٠٦م.

ب. المعاجم:

١٠. لسان العرب: إبن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لاط، ١٩٨٨م.
١١. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. دار الدعوة، اسطنبول، لاط ولاتا.
١٢. المنجد في اللغة العربية والأعلام: الأستاذ كرم البستاني وآخرون، دار المشرق، بيروت، ط ٢٣، لاتا.

چکیده

شعر تأملی در عرصه ادبیات معاصر عربی از اهمیت فوق العاده ای برخوردار است که این تحقیق در صدد آن است که با بررسی وتحلیل اشعار تأملی "إيليا أبو ماضي" در بخش طبیعت ثابت کند که عنصر اندیشه از عناصر مهم شعر به شمار می رود. هنگامی که اندیشه بصورت ژرف و عمیق درآید "تأمل" نامیده می شود. و شعری که عنصر اندیشه در آن ژرف باشد و درباره مسائل اساسی مربوط به انسان و طبیعت و ماورای طبیعت بحث کند "شعر تأملی" است. در ادبیات مهاجر این شعر به شکل گسترده ای مطرح است بطوریکه می تواند بعنوان یک مکتب شعری بحساب آید. و شاعران معاصر می توانند با بکارگیری عنصر تأمل در اشعارشان شعری مفید و پر محتوا تقدیم جامعه خود و نسلهای آینده کنند. لازم به یادآوری است که عنصر تأمل هرگز از زیبایی و جذابیت و لطافت شعر نمی کاهد بلکه شعر تأملی از جذابیت و لطافت شگفتی برخوردار است بطوریکه میزان تأثیر و نفوذ آن در دلها بیشتر است چون اندیشه زیباست بنابراین شعری هم که حاوی اندیشه عمیق باشد زیباتر خواهد بود. در این مقاله قبل از بررسی وتحلیل تأملات شعری أبو ماضي در طبیعت ضروری بود که تعریف تأمل

و شعر تأملی بیان شود تا اینکه ویژگی مهم تأمل در نمونه های شعری
انتخاب شده آشکارا مورد توجه قرار گیرد.
کلید واژه ها: أبو ماضی، تأمل و طبیعت.

Reflection in Poetry of Al-Mahjar (Immigrant) Poets: Elia Abu Madi's Nature Poems as a Sample

Abstract

Reflective poetry is a very significant issue in the contemporary Arabic poetry. The aim of this study is to investigate and analyze Elia Abu Madi's reflective nature poems to show importance of the thinking factor in the poetry. Deep and profound thinking is named Reflection (TAAMMOL). If thinking factor is so deep in a poem and this poem addresses basic issues related to human, nature and metaphysics, the poem is named Reflective Poem. This type of poetry is very common in the Al-Mahjar literature and could be named as a poetry school. By applying deep and profound thinking factor, contemporary poets could compose great and magnificent poems. Not only the reflection element doesn't decrease fineness and attractiveness of a poem but also it increases them and enables the poem to have a deep effect on the heart. So it could be concluded if a poem include a deep and profound thinking it will be finer and more attractive. In this paper, before investigating Elia Abu Madi's poetry reflections in the case of nature, it's necessary to discuss definition of reflection and reflective poetry toward revealing the reflection factor in the selected poems.

Keywords: *Elia Abu Madi, Reflection, Nature*

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية الجاحظ من تأليف كتاب البيان والتبيين

عبدلغني ايرواني زاده، جامعة اصفهان
على سوارى، طالب في مرحلة الدكتوراه
جامعة اصفهان

الحمد لله الذي ﴿خلق الانسان علمه البيان﴾ (١) والصلاة والسلام
على رسول الأنس والجان محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه
الأطهار.

الملخص:

كتاب البيان والتبيين - بأجزائه الثلاثة - من أهم وأضخم كتب الجاحظ
بعد كتاب «الحيوان». يعتبر هذا الكتاب واحداً من الكتب الاربعة المهمة و
هي: (البيان والتبيين للجاحظ (١٦٠هـ) وأدب الكاتب لابن قتيبة (٢٧٦هـ) و
الكامل للمبرد (٢٨٥هـ). والنوادر لأبي علي القالي (٣٥٦هـ) (٢) كما يُعدُّ أساساً
لاصول البلاغة والبيان في النقد ومراتب الكلام. كتب الجاحظ هذا الكتاب في
الشطر الأخير من عمره؛ في عصر كثرت فيه تيارات العلم والمعرفة، و
تفرعت فيه المذاهب، وتأثر المسلمون من خلال الترجمة والنقل بمنطق
ارسطو وفلسفة اليونان، كما اشتدت فيه حدة الصراع بين الفرق والنحل. كل

هذه الامور وغيرها مجتمعة ومتفرقة أدت الى ظهور علم الكلام على الصعيد الاجتماعي والديني فظهرت الحاجة ماسة ملحة الى البيان الفصيح والكلام الصحيح.

في هذه الحال شمر الجاحظ عن ساعد الجد؛ وكان اماماً و هادياً في أساليب البيان، ومنادياً بالعقل والوسطية. فكان مناط اهتمامه من هذا الكتاب: اولاً- أن يدافع عن تفوق البيان العربي و يحافظ عليه. ثانياً- ان يحاكي ارسطو في فن الخطابة و ربما يعارضه. ثالثاً- ان يرسم منهجاً صحيحاً وسطاً لاحتجاج المتكلمين والمفسرين. رابعاً- أن يردّ على الشعوبية بادلة واضحة، موصياً باللين، مؤكداً على الوحدة بين المسلمين وعلى نبذ الفرقة والاختلاف. الكلمات المفتاحية: الجاحظ، البيان والتبيين، البلاغة، الشعوبية، العي، اللكنة.

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الانسان، علّمه البيان. والصلاه والسلام على من جاء بأوثق عرى الايمان، وبشّر الناس بخير الاديان، افصح من نطق بالصاد، وعلّم بها رسالة الاسلام، وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين. وأعوذ بالله- كما استعاذ به صاحب كتاب البيان في مفتتح كتابه- من التكلف لما لا نحسن ومن العجب بما نجيد ونحسن.

قارئ الكريم الموضوع الذي بين يديك جواب عن سؤال ربما خالج أذهان الكثيرين من القراء ألا وهو: لماذا ألّف الجاحظ كتابه البيان والتبيين؟ أو بالأحرى؛ ما هي الحوافز والبواعث التي جعلت الجاحظ يؤلف هذا الكتاب الشهير وماذا كان يقصد من وراء ذلك؟

تحدثنا كتبُ الادب والتاريخ، أن الجاحظ ألّف هذا الكتاب في الآونة الاخيرة من حياته (٣) على الرغم مما كان يعانيه من مرض الفالج والنقرس

ومن عوارض تقدم السنّ والسنين وما يخلفه توالى الايام و تعاقب الشهور و الدهور. فأراد رحمه الله ان يكون هذا الكتاب القيم نبزاساً و منهجاً ادبياً لمن يأتي بعده، و قد أهده الى الوزير أحمد ابن ابي داود.

الكتاب في الحقيقة موسوعة كبرى، تناول فيها المؤلف اكثر فنون الادب وأركانه- بداية من صفات الخطيب وخصائص اللفظ وأدوات محاسنه و عيوبه والفصاحة والبلاغة وانتهاءً الى وصف اللسان ودور الاسنان في البيان. وقد عُدَّ الجاحظ بما ضمنه هذا الكتاب من معرفة عن البيان العربي مؤسس البحث في البلاغة العربية.

والكتاب - قارئ العزيز - يعتبر كنزاً ثميناً لما حواه من تفسير لبعض الآيات القرآنية الكريمة على الطريقة الصحيحة الواضحة، و لما ضمّ بين دفتيه من خطب النبي (ص) وخلفائه الراشدين، وبعض صحابته الميامين، والتابعين من كبار رجال القرنين الاول والثاني للهجرة، ولما يعرض عليك مختارات من اروع الشعر الجاهلي والاسلامي وتفسيراً لبعض المفردات و أنواع الدلالة من لفظ وشارة وخط وعقد، كما يعالج، دلالة الحال أو النصفة و امكانية تحول الاشياء الى علامات وموضوعات أخرى في مجال الادب، لاتستوعب هذه الوريقات عدّها وحصرها، كالمواعظ، والزهد، وعادات العرب في الخطابة، وتفضيل الكلام على الصمت، وصفات المعلمين وغير ذلك. (٤)

فالكتاب له من الاهمية، ما لايمكن لطلاب المعرفة والادب الاستغناء عنه وقد جعله المؤلف على ثلاثة أجزاء بحث في كل جزء منها عن البيان و خصائصه و أورد مجموعات من أحسن الخطب، مبيّناً صفات الخطيب التي تمكنه من أداء مهمته، وتلك التي تعوقه بما في ذلك عيوب جهاز النطق منبهاً على الادوات التي يستعين بها في خطبته مستشهداً لكل ذلك بنصوص من خطب مشهوري الخطباء والبلغاء والمقطعات والجوابات والاشعار المشهورة.

وطريقة المؤلف في الكتاب ان يرفّه على قارئه مكرراً هنا وهناك بعض الموضوعات للترويج عنه فهو ينتقل من فكرة الى فكرة ومن حديث الى حديث مما يرضي النفس ويمتّع العقل ويلذّ الضمير، غير زاهد في الحديث و لاضيق الصدر في الكلام.

والكتاب بنوعه و حجمه يربو على جميع مؤلفات الجاحظ الكثيرة ما عدا كتاب الحيوان لانه أضخم كتبه. والمراد بالبيان الدلالة على المعنى و بالتبيين الايضاح.(٥)

فالجاحظ عندما يرسم الخطط للمناهج الكلامية والبيانية للمتكلمين و البلاغيين في عصره يعبر عن البيان بقوله: « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتّى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان الدليل، لأن مدار الامر والغاية التي يجري القائل و السامع اليها إنما هي الفهم والافهام فباي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.»(٦)

وقد عطف الجاحظ التبيين على البيان وهو البحث في البيان، أي في الادب وفنونه، والتعريف باسباب قوته بتوافر عناصر الجمال الفني و دراسة العوارض التي تعتريه، فتعوقه عن تأدية رسالته وهي الاحساس باللذة الفنية بالأثر في المشاعر و العواطف.(٧)

وكما يبدو من عنوان الكتاب و يظهر من اسلوبه أنّ المؤلف اراد ان يعالج قضية البيان باستدلال فائق، اضافة الى تركيز وجهات النظر مستنداً الى الاحاديث النبوية الشريفة واقوال المشاهير من الشعراء والخطباء و المفردات اللغوية؛ لأن الحاجة كانت ماسة وضرورية، في عصر حصل فيه احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب وامتزجت فيه الثقافة العربية بالتقافات

الاجنبية الدخيلة، وأخذت اللهجات تتكاثر وتزداد وتتغير، فعالج الجاحظ قضية اللفظ والبيان وبلاغته متخذاً في ذلك اسلوبه الوسطي المعتدل.

عندما ننظر في كتاب البيان والتبيين، ونعالج موضوعاته و محتوياته نجد ان عناصر الادب قد اكتملت فيه، حيث جمع بين دفتيه اصول علم البلاغة والفصاحة والبيان منتقلاً في كل هذه الموضوعات الى اضدادها. فكما تحدث عن البيان و فضله تحدث عن نقيضه الصمت وكما تحدث عن البلاء تحدث عن اضدادهم من الجهلة والحمقى والمجانين ومن آل اليهم.

انه يطلب من الخطيب والاديب والشاعر خاصة أن يحسنوا القول و ان يوفقوا بين مفرداتهم ولا يكونوا مبالغين في التصوير ولا مسرفين في الخروج على العادة والمألوف، سواء في ذلك الخروج على الدين أم على الاخلاق، انه يريد منهم ان يكونوا محيطين باللفظ والمعنى إحاطة كاملة. على هذا فهو أول من أسس المبدأ البلاغي القائل: لكل مقام مقال.(٨)

غاية الجاحظ من تصنيف هذا الكتاب:

بعد هذه المقدمة الطويلة بالنسبة الى هذه الوريقات القليلة التي تهدف الى بيان الاسباب التي دفعت الجاحظ الى تصنيفه هذا الكتاب: نقول: الاسباب كانت عديدة بعدد موضوعات الكتاب، لكننا نجلها للقارئ الكريم في أربعة مواضع و هي:

١- اهتمام العرب بصناعة الكلام: عُرِف العرب بأنهم أهل فصاحة و بلاغة، وأهل بيان سائغ رائع ومنطق شائع ذائع، حافظوا على ميزتهم هذه في جاهليتهم و اسلامهم ولكنهم عندما احتكوا بسائر الامم اثر الفتوحات والتوطن في الاراضي المفتوحة اصبحت الحاجة الى البيان والحفاظ على البلاغة و اللهجة الاصلية امس من قبل، لتأثير بعض اللهجات و توارد اللغات الاجنبية

في ألسنتهم و تأثير حركة النقل والترجمة في كتاباتهم، فضاعت اللغة الراقية وتضاءلت الفصحى إثر الامتزاج الحاصل بين الشعوب.

اذن أصبح العرب الخُص بحاجة أكثر الى صناعة الكلام، حتّى يصونوا ما كانوا عليه من لهجة فصيحة سليمة، لذلك نرى الجاحظ قد عاب على الخطباء التشديق والتعقير و... و عاب عليهم العي المتكلف أيضاً و من ثم ركز على البيان ناقداً هؤلاء الذين يستعملون بعض الالفاظ لختها غير ناظرين الى الاصلح و الافصح فيها.(٩)

وبما ان اللغة العربية أداة الكتابة و الخطابة، كان لابد من النحو الذي يرتب الجمل، و يضع كل لفظة موضعها على هيئة خاصة وعلى أساس المنطق الذي يعصم من الزلل في التفكير ويخرج الكلام صحيحاً فصيحاً. و من هذا المنطلق نرى أنّ أول قضية عالجاها الجاحظ في هذا الكتاب هي صفات الخطيب؛ و أنّه يجب ان يتمتع بصفات تبعد السامة عن نفس السامع و الملل عن أذنه فيستقبل الكلام راضياً باسمائاً نشطاً مستزيداً مُصنغياً. وهي: (١٠)

١- جهارة الصوت.

٢- سعة الفم و ازدياد حجم اللسان و عرضه.

٣- رباطة الجأش.

٤- سكون الجوارح.

٥- قلة اللحظ.

ثم انه لا يغفل عن أن يعدّ لنا العيوب التي تخلّ بفصاحة الخطيب و تدخل العيب في لسانه وهي: (١١)

١- العي: وهو عدم القدرة على الافصاح.

٢- الحصر: وهو الحبسة وعدم القدرة على النطق.

٣- اللثغة: وهي النطق بحرف مكان حرف آخر او تحول اللسان من حرف الى حرف كقلب السين ثاء.

- ٤- اللحن: وهو الخطأ في الأعراب ومخالفة وجه الصواب.
- ٥- اللكنة: وهي جعل بعض حروف العجم بدل بعض حروف العرب أو صعوبة الإفصاح بالعربية لعجمة اللسان.
- ٦- التشدق: وهو أن يلوي الخطيب شذقة للتفتيح- أي أنه يتكلف البلاغة.
- ٧- التعقير: وهو أن يُخرج الخطيب كلامه من حلقه.
- ٨- التعقيب: وهو أن يُخرج الخطيب كلامه من قعر حلقه.

والجاحظ يرى أن هذه المعايير خير من المعايير المتكلف، ويذكر لنا في ذلك اقوالاً عن النبي الأكرم (ص) انه قال: «إيائي والتشادق» وقال: «أبغضكم إليّ الثرثارون والمتفيهقون» (١٢)، وعاب الفذّادين* والمتزيّدين في جهازة الصوت، وانتحال سعة الأشداق. ويتناول الجاحظ في كتابه هذا، أنواع البيان بمفهوم واسع، حيث يشمل أنواع الدلالات وهي: (١٣)

١- اللفظ ٢- الإشارة ٣- العقد ٤- الخط ٥- الحال وتُسمى النصبية «و النصبية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات» (١٤)

واللفظ من أهم وسائل البيان عنده وقد تحدث عنه كثيراً دارساً إياه دراسة عميقة قائلاً:

«والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع؛ و به يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً، ألا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً الا بالتقطيع والتأليف.» (١٥)

فالصوت هو جوهر الكلام والحروف من مادة الكلام فاللفظ --- الصوت --- تقطيع --- حروف --- الصوت --- حركات اللسان. ويعرف لنا الإشارة بقوله:

والإشارة: تكون بالجوارح والطرف والحاجب، ولولاها لم يستطع الناس التفاهم في معنى خاص.

والخط والكتابة: هما وسيلة التبيين ونقل المعرفة عبر الزمان والمكان و لولاهما لاندثر العلم، والكتاب يُدرس في كل زمان ومكان، بينما اللسان لا يعدو سامعه، ويقصد من العقد الحساب، وهو لا يقل أهمية عن الخط وبه تعرف منازل القمر والشمس والنجوم وعدد السنين والآيام. (١٦)

وأما عن الحال؛ وهي النصبه فيقول: « هي الحال الناطقة بغير اللفظ و المشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والارض. »

وقد ذكر الجاحظ معاييب البيان التي تعيق الكلام الفصيح و نوعها بمنهجه التطبيقي وبينها اكمل تبين لكي تُعالج حتّى يستقيم الكلام ، وأولها:

١- الحبسة: وهي عقدة تصيبُ اللسان فلا يستطيع المرء النطق بسهولة وكان موسى بن عمران (ع) يعاني منها كثيراً نفهم ذلك من قوله تعالى:

﴿ و احلل عقدة من لساني ﴾ (١٧)

٢- اللثغة: وهي تغيير الحرف بحرف آخر؛ و تجري في هذه الحروف الاربعة (ق س ل ر) فالقاف تبدل بالطاء والسين تبدل بالثاء. وهكذا كما نراها في الشكل: الآتي.

ق --- ط نحو قلت --- يقول --- طلت

س --- ث نحو ابويكسوم --- يقول --- ابويكثوم

ل --- ي نحو اعتللت --- يقول --- اعتيتت و نحو جمل --- جمي

ر --- ي نحو عمرو --- يقول --- عمي

ر --- غ نحو عمرو --- يقول --- عمغ

ر --- ذ نحو مرة --- يقول --- مذة

ثم يضرب لنا مثلاً بلثغة عدد من الشعراء والخطباء ذاكراً لثغة واصل بن عطاء بالراء وكيف كان يعالجها بإبدال حرف الراء بحروف أخرى او بإبدال كلماته بكلمات أخرى. فكان يبدل كلمة البُرّ بكلمة القمح او الحنطة و لو انهما اقل فصاحة منها.

ويدون الجاحظ بعض ملاحظاته في كلام الناس وكيف انهم يستعملون بعض الالفاظ لختها غير ناظرين الى الأصح والأفصح فيها و يعالج ظاهرة مهمة اخرى ألا وهي اللكنة: وهي ادخال بعض حروف العجم في الحروف العربية او عدم اجادة مخارج الحروف ضارباً لنا بعض الامثلة.

مثل كلمة زورق فتتطق سورقاً بابدال الزاء سيناً.

وكلمة حمار تتطق هماراً بابدال الحاء هاء و كذلك مثل ذخيرة تتطق زخيرة و ظهر --- < تتطق زهراً و غيرها.

والجاحظ لا يكتفي بذلك بل يحاول بما أوتي من قدرة و فطنة و دقة ان يحصي عيوب اللسان عموماً و ما يعرض للخطيب من نححة و سعة مبيناً ذلك، خاصة عند البلغاء. و هذه العيوب هي: (١٨)

١- التَّمَتَّة: وهي تكرار حرف التاء فاذا تتعتع اللسان في التاء فهو متمم.

٢- الفَأْفَاء: وهي تكرار حرف الفاء فاذا تتعتع اللسان في الفاء فهو فأفاء.

٣- اللَّفْف: و هو ادخال بعض الكلام في البعض الآخر، فيقال في لسانه لَفَفٌ فهو أَلَفٌ و الأَلَفُ الْعَبِيُّ و هو التثقل اللسان و قال المبرد: اللَّفْفُ ادخال حرف في حرف

٤- اللَّجْلَجَة: و هي ثَقُلُ اللِّسَان، ونَقْصُ الكلام، و ان لا يخرج بعضه في أثر بعض، و قيل لأعرابي ما أشدُّ البرد؟ قال: اذا دَمَعَتِ العينان و قطر المَنَحْزَنان و لَجَجَ اللسان، فَالْجَلْجَلَةُ و التَّلْجُلُج: التَّرَدُّدُ في الكلام، و ان يتكلم الرجل بلسان غير بَيِّن. (١٩)

٥- الحُكْلَة: و هي أن لا يبين الخطيب كلامه و يعجز عن اللفظ، جاء في اللسان: الحُكْلَة كالعجمة لا يبين صاحبها الكلام، والحُكْلَة: اللُّثْغَة وكلام الحُكْل: كلام لا يفهم (٢٠)

ويذكر الجاحظ مزايا اللسان وأنه آلة الكلام الرئيسية وكلما كان سليماً مستقيماً جاء اللفظ صحيحاً وكلما ازداد حجمه كان أوفى بالغاية وفي هذا الرأي يوافق الفيلسوف اليوناني أرسطو في فكرته حول اللسان.

وفي معالجة اللفظ ودلالته على المعنى يرى الجاحظ ان اللفظ يجب أن يناسب المعنى ولا ينبغي ان يكون اللفظ عامياً ساقطاً وكما لا ينبغي ان يكون غريباً وحشياً إلا أن يكون المتكلم بدوياً اعرابياً، وكلام الناس في طبقات، كما ان الناس في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمج الخفيف والثقيل وكله عربي ولكل مقام مقال. (٢١)

٢- محاكاة أرسطو ومعارضته :

من البواعث الهامة لتأليف كتاب البيان والتبيين محاكاة الجاحظ لأرسطو فهو يشير إليها في امكنة كثيرة في كتبه.

ولو طالعنا حياة الجاحظ لوجدنا أنه تأثر بكثير من كتب أرسطو و افكاره ومعلوماته. واثّر ذلك واضح وجليّ في كتاب الحيوان فقد اعتبر النقاد ان كتاب أرسطو من اهم المصادر عند الجاحظ لكتابه الحيوان.

لقد بحث أرسطو في الحيوان فجاء الجاحظ يطرق الموضوع ذاته و كان قد اطلع على كتاب أرسطو وعلى التقانة اليونانية. وكان أرسطو قد بحث في الخطابة وفي الشعر. و اراد الجاحظ مظاهاته ومعارضته في هذا المضمار أيضاً. (٢٢)

فتكلّم في كتابه البيان والتبيين عن صفات الخطيب مقلّداً في ذلك أرسطو لكنّه اهتم بصفاته الظاهرة ولم يهتم بصفاته الباطنية والخلقية (٢٣)، و ذكر اهم صفاته كما ذكرناها آنفاً. و ضرب لذلك امثلة عديدة من الخطباء نحو قس بن ساعدة و زيد بن علي بن الحسين (ع)، وسهيل بن عمرو، و سعيد بن العاص، وصعصعة بن صوحان، وزيد بن صوحان، وسيحان بن

صوحان- و بنو صوحان كانوا من شيعة علي (ع) - و عبدالله بن عروة بن الزبير. (٢٤)

وتحدث على غرار ارسطو، عن أنواع الخطب ولكنه لم يتعمق في بحثها كإرسطو، واكتفى بذكر بعض أنواعها فقط: مثل خطبة المحافل و خطبة النكاح. (٢٥) كما نقل خطباً كثيرة للإمام علي (ع) وغيره مثل عبدالله بن مسعود و زياد بن أبيه وعمر بن عبدالعزيز والاحنف بن قيس والحجاج و يزيد بن الوليد.

وفي وصف خطبة النكاح يقول! و السَّنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب و يقصر المجيب، و يروي عن الهيثم بن عدي انه قال لم يكن الخطباء قعوداً إلا في خطبة النكاح. (٢٦)

وقد عرض الخطبة، كإرسطو؛ على طاولة البحث ولكنه اقتصر على الناحية الفنية ولم يحفل بالناحية الفكرية، فلاحظ ان الخطبة طويلة كانت ام قصيرة يجب أن تبدأ بالتمجيد و التمجيد و الآ عُدَّت بتراء؛ و ان تُوشَّح بآيات من القرآن الكريم و تُزَيَّن بالصلاة على النبي (ص) والا سُمِّيَتْ شوهاء. (٢٧)

وقد أطال الكلام على شرط البلاغة في الخطبة؛ وهي تعني ابلاغ المعنى الى السامع بكلام واضح فصيح، موافق لمقتضى الحال. وطرق أيضاً ناحية اخرى في الخطابة لم يحفل بها إرسطو، ألا وهي الموازنة بين الموهبة الخطابية عند مختلف الأمم وفي رأيه أن العرب أخطب الأمم قاطبة لحضور بديهتهم و ذرابة لسانهم و طبع فطرتهم وفي ذلك يقول:

« ثم اعلم بعد ذلك أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر و البدو والحضر على ضربين: منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن فيه. ومن الطوال، ما يكون مستوياً في الجودة و مشاكلاً في استواء الصنعة ومنها ذات الفقر الحسان والنَّتَفَّ الجياد، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ » (٢٨) وكان العرب يحبون توشيح الخطب بآيات

القرآن حتّى قال بعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شئ من القرآن. (٢٩)

ويشير الى الخطابة والكلام عند بقية الامم. ومنهم الفرس؛ مبيناً كيفية كلامهم و انه ناتج عن تفكر و تدبر و دراسة و إمعان في الكتب؛ فيقول: « و في الفرس خطباء إلا أن كلّ كلام للفرس وكلّ معنى للعجم فأنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول تفكر ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الاول. وزيادة الثالث في علم الثاني؛ حتّى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم. » (٣٠)

وبالنسبة الى منطق اليونان يقول:

« ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق بكى اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله و معانيه و بخصائصه، وهم يزعمون ان جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة و لا بهذا الجنس من البلاغة. » (٣١)

ويبدو من تحمس الجاحظ للعرب أنه أراد أن يكون لهم خطابة كخطابة اليونان؛ وأن يكون هو الكاتب في خطابة العرب كما كان ارسطو الكاتب في خطابة اليونان ومن الواضح والثابت عن الباحثين في الادب ان كلا الرجلين بحثا الموضوع ذاته ولكن الفرق بينهما في الآراء والمنهج شاسع وكبير. ولم يكن الجاحظ من المعجبين بارسطو، فقد انتقده غير مرة في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين، ووصفه بأنه بكى اللسان غير موصوف بالبيان، واقفاً له بالمرصاد مراراً وتكراراً. (٣٢)

ويحلل الدكتور سلوم الوصف عند الجاحظ فيقول:

« والجاحظ كأرسطو من المحبّذين للوصف الدقيق للطبيعة والنسخ عنها بامانة فهو لايعتبر الوقوع دون ذلك عيباً في ذات الشعر ولكنه عيب في الشاعر أو الكاتب حيث وقع دون الهدف... وهو ينفي الافراط غير الطبيعي

في الوصف لان الافراط لا غاية له، وإنما ما كان في الناس وما يجوز فيهم مثله هو الطريقة المثلي للوصف والتصوير وهذا يقودنا الى نظرية المحاكاة عند ارسطو وهي تنطوي على ثلاث ركائز هي:

١- الموسيقى: و وسيلتها التعبيرية الصوت او اللحن.

٢- التصوير: و وسيلته اللون.

٣- الشعر: ووسيلته: الفلسفة والتناسق والوزن.

و يضيف في تحليله قائلاً:

والغريب جداً أن ارسطو درس الكوميديا والمأساة على انها شعر فقط. وكذلك ركز أغلب ملاحظاته الفنية النقدية على الشعر اكثر من النثر. و حين درس النثر الخطابي ركز مثلاً على دراسة الخطيب وصفاته و خصائصه أكثر مما ركز على تحليل اسلوب الخطابة من تقديم وتأخير وما اليه و لم يفعل ذلك في الشعر.» (٣٣)

ولو طالعنا الادب العربي في العصر العباسي لوجدنا ان اهتمام البيئات العربية بفن الخطابة في ذلك العصر كان أمراً جلياً، فقد بالغ اهل ذلك العصر في تعلم اصولها ومعرفتها وعواملها بشكل ثابت متفق عليه؛ وهكذا في المنطق والفلسفة و الهيئة و جميع ذلك يندرج تحت عمود البيان لان البيان هو المقوم الاساسي لتلك الظواهر الحديثة.

وحين تناولت أيدي العرب كتب ارسطو و افلاطون و كتب جالينوس وبقرات تعلموا العلوم الحديثة ومنها الخطابة فأضافوا الى معرفتهم في الخطابة ما كان يدور عند اليونانيين حولها. وكان هذا الاهتمام ظاهرة جديدة في المجتمع العربي الاسلامي، وصدى وتلبية لما عرفوه عن اليونان في عصورهم الاولى؛ و لهذا عني الجاحظ في كتابه البيان و التبيين عناية فائقة بالفن الخطابي، فقد ذكر عدداً غير قليل من الخطباء غير العرب الذين كانوا

يحترفون مهنة تعليم الخطابة للفتيان والشباب الاشراف المتطلعين الى السيادة و سياسة البلاد اضافة الى ذكره مجموعة كثيرة من الخطباء العرب. والجدير بالذكر ان المعتزلة- وهم من الفرق الاسلامية- قد عكفوا على دراسة الفلسفة والمنطق اليوناني ليتمكنوا من الحجاج العقلي، وليقرعوا الحجة الذهنية بالحجة المماثلة لها، معتمدين على البرهان الجدلي، و تخبرنا مناهج النقاد القدماء بانهم اطلعوا على كتابي الخطابة والشعر لارسطو.(٣٤) ومن هنا نجد ان تأثير الفن الخطابي اليوناني في كتاب البيان و التبیین يطالعنا في كل ما يتصل بالخطابة بصورة جلية.

٣- الاهتمام بعلم البيان من قبل المتكلمين والاهتمام باللغة العربية لانها لغة القرآن: لاغروا ان العصر الذي كان يعيش فيه الجاحظ كان عصر احتكاك الثقافات والديانات في مختلف أنواعها، الامر الذي سبب الاحتدام بين أهل المذاهب والنحل المتعددة، فاصبح كل من هؤلاء بحاجة ماسة الى ما يعبر عنه من مكنونات ذهنة، فظهر اصحاب الكلام؛ ليدافعوا عن الشريعة بزعمهم و كان ستة من هؤلاء في البصرة وهم :

١- بشار الاعمي ٢- عمرو بن عبيد ٣- واصل بن عطاء ٤- صالح بن عبدالقدوس ٥- عبدالكريم بن ابي العوجاء ٦- رجل من ازد.

وكل من هؤلاء كان يحاول ان يلوي خصمه بالحجج و البراهين فاحتاجوا الى المقدرة الكلامية؛ خاصة باللغة العربية، وكانت أبحاثهم تدور حول القرآن الكريم وادراكهم لمعانيه و تمكنهم من تأويل آياته؛ وكان كل ذلك متوقفاً على مقدار تضلعهم باللغة العربية. « فللعرب أمثال وانتقادات وأبنية و مواضع كلام تدل عندهم على معانيهم و إراداتهم، و لتلك الالفاظ مواضع اخر ولها حينئذ دلالات اخر فمن لم يعرفها، حمل تأويل الكتاب والسنة والشاهد و المثل على غير معناه. فاذا نظر في الكلام و في ضروب من العلم و ليس هو من أهل هذا اللسان هلك و أهلك.»(٣٥)

وفي أواخر القرن الاول وطلیعة القرن الثاني ظهر في البصرة و الكوفة جماعة من المتكلمين واهل النظر؛ وكانت غايتهم الدفاع عن الدين بالمنطق والكلام الصائب وایجاد الوسائل واحسن السبل للتعبير عن اغراضهم واستعمال كل ما يمكنهم لذلك. فاستعملوا الجدل المنطقي والكلام واتخذوا اللغة العربية اداة لبيان ذلك، و أطلق عليهم اهل النظر. فاخذ الفلاسفة الاسلاميون و المتكلمون -خاصة المعتزلة ومنهم الجاحظ- في النظر في نوع الالفاظ التي يختارها المتكلم حين يخوض مع العامة، وفي نوع الالفاظ التي يستخدمها حين يخوض مع اهل النظر في علم الكلام أو علم المنطق. ومن هنا بدأوا ينظرون باعتبارهم فلاسفة عقلیین منطقیین فيما یلائم اللفظ من المعنى و التفريق بين اللفظ الحقيقي واللفظ المجازي، فنشأت البلاغة في احضان علمهم اى في علم الكلام ومنه انبثقت، وخير من وعاما المتكلمون، فوجد علم البيان الذي يدل عند المتكلمين في البلاغة -ايضاً- على معنى الوضوح والسهولة و اليسر؛ و له أبواب معلومة في علم الكلام.

و ينقل لنا الجاحظ في ذلك عبارات نقدية قائلاً:

قال الحسن رحمه الله: وسمع متكلماً يعظ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه و لم يرقّ عندها. فقال له: « يا هذا! ان بقلبك لشراً او بلقبي. » (٣٦) وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهما « لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة وجملة الحال في صواب التبیین لاعربوا عن كل ما يخلج في صدورهم، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم على أن درك ذلك كان لايعدهم في الأيام القليلة العدة؛ والفكرة القصيرة المدة، ولكنهم من بين مغمور بالجمال ومفتون بالعجب ومعدول بالهوى عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم. » (٣٧)

وكان الجدل في عصر الجاحظ شديداً محتتماً بين المتكلمين انفسهم و بينهم وبين خصومهم أيضاً؛ وكذلك بين المتعلمين، وكان المتكلمون يفكرون في وسيله يتمكنون بها من الوصول الى قلب السامع، ومن هنا بدأ يفكرون في البلاغه وفي مناسبة المقال للمقام؛ فاخذوا يوسعون القول في اللفظة التي هي احدى اركان البيان في علم الكلام.

ومما يدلنا على ان علماء الكلام فكروا في علم البلاغه للوصول من اقصر السبل الى قلوب الناس الخاصة منهم و العامة قول الجاحظ في المتكلم البليغ: « فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، و كان ممن يعمّ و لا يخصّ، وينصح و لا يغش، وكان مشغوفا بأهل الجماعه شفاً - أي مبغضاً متكرراً - لأهل الاختلاف و الفرقة؛ جُمِعَت له الحظوظ من اقطارها و سِيقَت له القلوب بأزمّتِها؛ و جُمِعَت النفوس المختلفة الاهواء على محبّته، و جُبِلَتْ على تصويب ارادته. » (٣٨)

ويشجب الجاحظ أهل الصنعة المتأدّبين، الذين لا يراعون اصول الخطابة والكلام، فيقول: « ولم أجد في خطب السلف الطيّب والاعراب الأفحاح الفاظاً مسخوطة، ولا معاني مدخولة ولا طبعاً رديّاً ولا قولاً مستكرهاً. و أكثر ما نجد ذلك في خطب المولّدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدّبين. وسواء كان ذلك منهم على جهه الارتجال والاقتضاب ام كان من نتاج التخير و التفكير. » (٣٩)

ومن ثمّ يأتي دور الخطابة في ذلك العصر لكثرة النحل الدينية و الفرق الكلامية و لكثرة الحروب، فكانت الحاجة ضرورية الى الخطابة و المناظرة والى وضع اصول لتعلّمها يرجع اليها الخطيب. وقد اشار الجاحظ الى هذا النشاط الادبي والخطابي الذي بدأ في تعليم أسس الخطابة و الكلام؛ قائلاً: « مرّ بشر بن المعتمر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب - وهو يعلم فتيانهم الخطابة - فوقف بشر، فظنّ ابراهيم انه انما وقف ليستفيد أو

يكون رجلاً من النظارة؛ فقال بشر أضربوا عما قال صفحاً، و اطووا عنه كشحاً، ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتتميقة.» (٤٠)

ويرى الجاحظ ان اول شرط في الكلام البليغ هو أن تكون الفاظه عربية فصيحة سليمة من العجمة، و لذا فهو لا يوافق من يرى ان البلاغة هي ان يكون السامع يفهم معنى القائل، فان هذا الرأي لا يقيم للفصاحة وزناً و لا يجعل للفظ اية قيمة، فقد يفهمنا الاعجمي قصده؛ و لكنه يتفوه بالفاظ منحطة معوجة، او بالفاظ اعجمية، يدخلها بين الفاظ عربية فصيحة. (٤١)

اذن، كان الاهتمام بالكلام العربي الفصيح في تلك الحقبة امراً ملموساً واضحاً وعلّة ذلك، الاختلاط الحاصل بسائر الأمم و ظهور فرق المتكلمين؛ و من هذا المنطلق وضع الجاحظ في كتابه البيان و التبيين أسس البلاغة و مبادئ البيان و قواعده؛ و كذلك ما يرتبط بالفصاحة و الكلام البليغ.

٤- الرد على الشعوبية:

ما هي الشعوبية:

الشعوبية لفظ مأخوذ من كلمة الشعوب في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (٤٢)

و الشعوبية « نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم و تحاول الحطّ منهم » (٤٣) و ترجع اسباب نشوء هذه النزعة الى ثلاثة امور، و هي باختصار تام:

الاول اجتماعي، و تدور كل شواهد حول استعلاء العرب على الموالى فقد « تملكهم الشعور و السيادة و العظمة فنظروا الى غيرهم من الشعوب نظرة السيد الى المسود » (٤٤).

والثاني سياسي: وهذا يرجع الى انّ الامويين كانوا يريدون نبذ الموالي و اقضاءهم عن المراكز الحساسة بحكم تعصبهم للعرب، فكانوا اذا اختاروا والياً او قاضياً او اماماً يصلي بالناس اختاروه من العرب.(٤٥)

والثالث اقتصادي: أهمل الحكام الأمويون الشؤون المالية في البلاد المفتوحة و ظلموا اهلها من الموالي و اهل الذمة فكانوا يأخذون الجزية من مسلميهم و يتعسفون كثيراً في اخذها منهم و فعل الحجاج بالموالي و اهل الذمة في البصرة مشهور.(٤٦)

فمن الدواعي المهمة لتأليف كتاب البيان والتبيين، والتي نجدها بين حين و آخر في اجزاء الكتاب الثلاثة الردّ، على الشعوبية- وهي التسوية بين العرب وغير العرب من المسلمين- فبعض الشعوبيين وهؤلاء كانوا متطرفين جداً قد طعنوا على العرب فصاحتهم وبلاغتهم؛ وأمورهم الاجتماعية؛ وعابوا عليهم أخذهم العصا وقت الخطبة فانبرى الجاحظ راداً عليهم في الجزء الثالث من كتابه هذا وكانت غايته أن يدافع عن تفوق البيان العربي في جميع مظاهره و ان يردّ على الشعوبية انتقاصهم العرب، و الحطّ من قدرهم. و من المعروف، انّ الاسلام قد ساوى بين المسلمين جميعاً و لكنّ ثقة المسلمين - عرباً وغير عرب بدأت تتضاءل بالعرب والمسلمين للأسباب المارة الذكر حتّى ظهر الاستهزاء والسخرية بهم من قبل بشار بن برد و امثاله.

والشعوبيون والمتعصبون على العرب كانوا ينكرون الفضل للبيان العربي و من اقوالهم في ذلك:

« انّ من أحبّ أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة فليقرأ «كتاب كاروند»، ومن احتاج الى العقل والادب والعلم بالمراتب والعبر والمثلثات والالفاظ الكريمة والمعاني الشريفة؛ فلينظر الى سير الملوك.»(٤٧)

فانبرى الجاحظ يدحض مزاعمهم بأسلوب رائع و برهان قاطع قائلاً:

« ونحن ابقاك الله اذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد، و الأرجاز، ومن المنثور والاسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة، و الرونق العجيب، و السبك و النحت الذي لا يستطيع اشعر الناس اليوم، و لارفعهم في البيان، ان يقول في مثل ذلك الآ في اليسير و النبذ القليل. » (٤٨)

اذن فهو يدافع عن بلاغة العرب وبلاغتهم وبيانهم ويثبت أصالة ذلك عندهم وإن لديهم طبعاً وسليقة؛ مستمراً في ذلك حتى يسير في الشوط الى مداه وينتهي به الى اقصاه فيقول:

« كل شيء للعرب فانما هو بديهة وارتجال؛ وكأنه الهام. وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكر ولا استعانة، وأنما هو ان يصرف وهمه الى الكلام و الى رجز يوم الخصام، او حين يمتح على رأس بئر، او يحدو ببعير، او عند المقارعة والمناقلة أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا ان يصرف و همه الى جملة المذهب، و الى العمود الذي يقصد، فتأتيه المعاني ارسالاً و تتثال عليه الالفاظ انثيالاً. » (٤٩)

وعندما يندد بالشعوبية يعترف بان في الفرس خطباء و يذكر ذلك قائلاً:

« وفي الفرس خطباء. إلا أن كل كلام للفرس و كل معنى للعجم فانما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الاول و زيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم. » (٥٠)

وفي نقله قول الشعوبية السابق: « من أحب ان يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب و يتبحر في اللغة؛ فليقرأ كتاب كاروند » (٥١) مايدل على وقوفه على بعض الكتب الفارسية ذات الصلة الوثيقة بالبلاغة غير منكر على الشعوبية معرفتها صناعة ذلك.

فهو يعتبر أمة الفرس إحدى الأمم المتميزة بالاخلاق والادب والحكم والعلم وهي: العرب والهنود والفرس والروم. ثم يحدثنا عن تعريفات البلاغة لدى هذه الأمم المختلفة قائلاً.

١- قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل و الوصل.

٢- و قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

٣- و قيل للرومي ما البلاغة؟ قال: البلاغة حسن الاقتضاب عند البداة و الغزارة يوم الاطالة.

٤- و قيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة و انتهاز الفرصة و حسن الاشارة. (٥٢)

الكلام اذن لا يستحق أن يطلق عليه اسم البلاغة حتى يسوق معناه لفظه؛ و لفظه معناه. فلا يكون لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك.

اذن كانت غاية الجاحظ- و الله اعلم- ان يدافع عن تفوق البيان العربي في جميع مظاهره؛ وان كان مغالياً في تقدير اللفظ عند اعتباره ان المعاني مطروحة في الطريق؛ يعرفها الاعجمي والعربي والبدوي والقروي، و انما الشأن في اقامة الوزن؛ و تمييز اللفظ و سهولة المخرج و في صحة الطبع وجودة السبك، ولذلك نراه يعترف بانّ للأمم شعراً ولكنه لم يشأ ان يسميه شعراً، والذي منعه من ذلك هو هذا الاختلاف بين الوزن الشعري و اللفظة الشعرية اللذين يساوي بينهما باخراج الالفاظ افواجا خاصة حتى يتلاءم الوزن. (٥٣) قال يحيى بن الحسن اللطّابي الشاعر العباسي المشهور وهو عربي من تغلب اسمه كلثوم بن عمرو بن ايوب وكان قد تتقّف بالتقافة الفارسية وأعجب بها: لِمَ كَتَبْتَ كَتَبَ العجم؟ فقال: وهل المعاني إلّا في كتب العجم، و البلاغة: اللغة لنا و المعاني لهم. (٥٤) والواقع أن الشعر الفارسي كان موجوداً زمن الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ ان لم يكن في صورته الاسلامية، ففي صورته ما قبل الاسلام فما كان الجاحظ يجهله. (٥٥)

والجاحظ اذ يشجب الشعوبية، ويندد بمساعيهم، ينظر اليهم بلسان و استعطاف فيقول:

«ولو عرفوا اخلاق كلّ ملة، و زي كل لغة، وعللهم في اختلاف اشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهياتهم، وما علة كل شئ من ذلك؟ ولمّ اختلقوه و لمّ تكلفوه لاراحوا انفسهم و تخففت مؤنتهم على من خالطهم.» (٥٦)

وأخر المطاف يمكن القول ان الجاحظ في كتابه البيان و التبيين؛ كان اديباً واسع المعرفة مضطعاً بعلوم عصره، ناقداً اديباً اجتماعياً؛ غايته وضع حدّ للمناهج الادبية و البيان العربي وأسسه الراقية؛ سالكاً في ذلك مسلكاً جديداً وسطاً، لان هدفه الاخير ان يكتب للانسانية عامة؛ لالفرقة خاصة او نحلة متميزة.

النتائج:

رأينا فيما مربنا في الوريقات القليلة السابقة الدوافع التي حفزت الجاحظ على تأليف كتاب البيان و التبيين؛ واهتمامه به في اواخر حياته، نتيجة لحرصه على البيان العربي؛ فهو الغرسة الاولى لمنهاج الفصاحة و البلاغة.

على هذا فالتفكير البياني قد نبتت بذرتة في تلك الحقبة من الزمن على يد الجاحظ. و بدأ الانتفاع بهذا الغرس من جاء بعده في القرن الثالث و الرابع امثال ابن قتيبة و المبرد و ثعلب و عبدالله بن المعتز.

وتظهر أهمية كتاب البيان و التبيين لدارسي الادب العربي؛ في أنه يحفظ آراء السابقين في البلاغة و البيان، كما يحفظ مرحلة من مراحل الدرس العربي للبلاغة و صلتها بالبحث البلاغي في الثقافات الاخرى كالفارسية و اليونانية و الهندية. وهو من جهة اخرى، معالجة لموضوع واحد؛ هو البيان و البلاغة. وفيه العديد من النصوص الخطابية و النثرية و الشعرية التي تعدّ من عيون التراث العربي.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- ابن خلدون- عبد الرحم بن محمد- مقدمة ابن خلدون- دار احياء التراث العربي- بيروت- ط٤.
- ٣- ابن عبدربه- العقد الفريد- تحقيق الدكتور عبدالمجيد الترحيني- دارالكتب العلمية- بيروت ١٤٠٧ هـ- (١٩٨٧م) ط٣.
- ٤- ابن منظور- لسان العرب- دار احياء التراث العربي- بيروت- ١٤١٦ هـ- (١٩٩٥م) ط١.
- ٥- امين احمد- ضحى الأسلام- دارالكتاب العربي- بيروت- ط١٠.
- ٦- أنيس ابراهيم- المعجم الوسيط- انتشارات ناصر خسرو- طهران- ط٢.
- ٧- الباكير البرازي مجد محمد- في النقد القديم- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٧ هـ- (١٩٨٧م) ط١.
- ٨- الجاحظ ابوعثمان عمرو بن بحر- البيان و التبیین- تحقيق الدكتور درويش جويدي- المكتبة العصرية- بيروت- ١٤٢١ هـ- (٢٠٠٠م) ط٣.
- ٩- الجاحظ ابوعثمان عمرو بن بحر- البيان و التبیین- تحقيق الدكتور علي ابو ملحم- دار ومكتبة الهلال- بيروت- ١٤٢١ هـ- (٢٠٠٠م) ط١.
- ١٠- الجاحظ ابوعثمان عمرو بن بحر- البيان و التبیین- تحقيق المحامي فوزى عطوى- دار صعب- بيروت. (ثلاثة اجزاء في مجموعة واحدة، بدون تاريخ).
- ١١- الحاجري- طه- الجاحظ حياته و آثاره- دارالمعارف بمصر- ط٢.
- ١٢- سلوم داود- النقد المنهجي عند الجاحظ- مكتبة النهضة العربية- بيروت- ١٤٠٦ هـ- (١٩٨٦م) ط٢.
- ١٣- طبانة بدوى- البيان العربي- دارالعودة- بيروت- ١٩٧٢ م- ط٥.
- ١٤- الطبرى محمد بن جرير- تاريخ الأمم والملوك- منشورات مؤسسة الأعلمي- ١٤٠٣ هـ- (١٩٨٣م) ط٤.
- ١٥- الفاخورى حنا- الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم- دارالجيل- بيروت- ١٩٨٦م- ط١.

- ١٦- فروخ عمر- تاريخ الأدب العربي- الأعصر العباسية- دار العلم للملايين- ١٣٨٨هـ-(١٩٩٢م)- ط١.

الهوامش

- ١- الرحمن، الآية ٤.
- ٢- مقدمة ابن خلدون ٥٥٣/١، ٥٥٤.
- ٣- الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم، ص ٥٦٨، تاريخ الادب العربي، الاعصر العباسية ص ٣٠٨-٣٠٩.
- ٤- مقدمة البيان و التبيين، تحقيق ابو ملحم، ص ٦/١.
- ٥- لسان العرب، مادة «بين»، الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم ص ٥٦٨.
- ٦- البيان و التبيين- تحقيق ابو ملحم ٨٢/١.
- ٧- البيان العربي، ص ٦٧.
- ٨- النقد المنهجي عند الجاحظ، ص ٢٦، الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم ص ٥٧٠، تاريخ الادب العربي، الاعصر العباسية ص ٣٨-٤١.
- ٩- الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم ص ٥٦٩.
- ١٠- البيان و التبيين- تحقيق ابو ملحم ٩/١، ٩٥ نفس المصدر، تحقيق فوزى عطوى ص ٣٨، ٧٨، ٧٩، ٨١.
- ١١- نفس المصدر- تحقيق ابو ملحم ٢٧/١ الى ٨٠.
- ١٢- نفس المصدر- تحقيق فوزى عطوى ص ٢٢*- الفذالون: مفردة: الفذاد، و هو الشديد الصوت الغليظ الكلام. (المعجم الوسيط، مادة: فدد).
- ١٣- البيان و التبيين - تحقيق فوزى عطوى - ص ٥٥-٥٨. نفس المصدر- تحقيق ابو ملحم ٨٤/١-٨٦.
- ١٤- نفس المصدر- تحقيق فوزى عطوى ص ٥٥.
- ١٥- نفس المصدر- تحقيق فوزى عطوى ص ٥٦. نفس المصدر- تحقيق ابو ملحم ٨٤/١.
- ١٦- نفس المصدر- تحقيق فوزى عطوى ص ٥٧. نفس المصدر- تحقيق ابو ملحم ٨٥/١.

- ١٧- طه، الآية ٢٧.
- ١٨- نفس المصدر - تحقيق ابو ملحم ١/٥٤-٥٦.
- ١٩- اللسان " مادة لجج ".
- ٢٠- اللسان " مادة حكل ".
- ٢١- البيان و التبيين، تحقيق فوزى عطوى ص ٨٦، ٨٧، ٩٠.
- ٢٢- الجاحظ حياته و آثاره ص ٤١٩، ٤٣٢، ٤٣٥، البيان و التبيين - تحقيق ابو ملحم ١/٩، ضحى الاسلام ١/٣٩٣. الجامع في تاريخ الادب العربى - الادب القديم ص ٥٥٨، ٥٥٩.
- ٢٣- البيان و التبيين - تحقيق ابو ملحم ١/٩.
- ٢٤- نفس المصدر ١/٢٥٣-٢٥٩.
- ٢٥- نفس المصدر - ١/٩.
- ٢٦- نفس المصدر - تحقيق فوزى عطوى ص ٧٦، ٧٧.
- ٢٧- نفس المصدر - ص ٢١٥.
- ٢٨- نفس المصدر ص ٢١٦.
- ٢٩- نفس المصدر ص ٢١٦.
- ٣٠- نفس المصدر ص ٤٠٤.
- ٣١- نفس المصدر ص ٤٠٤.
- ٣٢- نفس المصدر ص ٤٠٤، النقد المنهجي عند الجاحظ ص ١٧٤، ١٧٥، ٢٨٨، البيان و التبيين - تحقيق ابو ملحم ١/٩، الجامع في تاريخ الادب العربى - الادب القديم ص ٥٦٢.
- ٣٣- النقد المنهجي عند الجاحظ ص ٤١.
- ٣٤- في النقد القديم ص ٤٥.
- ٣٥- البيان و التبيين - تحقيق ابو ملحم ١/١٠.
- ٣٦- نفس المصدر - تحقيق ابو ملحم ١/٨٨.
- ٣٧- نفس المصدر ١/٨٨.
- ٣٨- نفس المصدر - تحقيق فوزى عطوى ص ٢١٧.
- ٣٩- نفس المصدر ص ٢١٧.
- ٤٠- نفس المصدر ص ٨٥.

- ٤١- نفس المصدر ص ٩٨، ٩٩.
- ٤٢- الحجرات، ١٣.
- ٤٣- المعجم الوسيط « مادة، شعب ».
- ٤٤- ضحى الاسلام ٢٢/١.
- ٤٥- تاريخ الطبرى ٥٥٩/١، ٧٥/٧، العقد الفريد ٤١٣/٣، ٤١٧، ضحى الاسلام ٢٦/١.
- ٤٦- العقد الفريد ٣٦٤/٣.
- ٤٧- البيان و التبيين- تحقيق فوزى عطوى ص ٣٩٨.
- ٤٨- نفس المصدر ص ٤٠٥.
- ٤٩- نفس المصدر ص ٤٠٤.
- ٥٠- نفس المصدر ص ٤٠٤.
- ٥١- نفس المصدر ص ٣٩٨.
- ٥٢- نفس المصدر- تحقيق ابو ملحم ٩١/١.
- ٥٣- النقد المنهجي عند الجاحظ ص ٩٩، ١٠٠.
- ٥٤- ضحى الاسلام ١٨٠/١.
- ٥٥- نفس المصدر ١٧٦/١ و ما بعدها.
- ٥٦- البيان و التبيين- تحقيق فوزى عطوى ص ٤٠٦.

باسمه تعالى

تطورات العربية الشفهية المعاصرة

الدكتور محمد مخافاني

عضو الهيئة العلمية بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة اصفهان

ملخص المقالة :

تدرس هذه المقالة تطورات العربية الشفهية المعاصرة التي تتبلور في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية :

وأهمها: الإبدال في أصوات الحروف، الإبدال في حركات الكلمات، حذف بعض الأحرف من النطق، إضافة الشين إلى ما النافية، الابتداء بالساكن، النقاء الساكنين، مطل الحركات، إبدال أحد التضعيفين بالياء، نقل فتحة التذكير وكسرة التأنيث إلى ما قبل الحرف الأخير، الإكثار من قاعدة القلب في ترتيب حروف الكلمات، إلغاء نون الرفع في الفعل المضارع، إلغاء التثنية في الأفعال والضمائر، إلغاء جمع التأنيث في تصريف الأفعال والضمائر، تصغير بعض الكلمات الفصيحة، إبدال بعض الضمائر المنفصلة بالضمائر المتصلة، عدم الإعلال في اسم المفعول، استعمال عم والباء المضارعيتين، استعمال الفعل «راح» بصيغة واحدة لا تنصرف لتأدية زمن الحال الاستمراري، تأنيث لفظة الماء، سيرورة العامية العربية نحو «التطور الخارجي»، إلغاء الإعراب، تقديم ألفاظ الواحد والإثنين على موصوفهما، تأخير إسم الإشارة

عن المشار إليه، الإكثار من استعمال واو المعية، تأخر أسماء الاستفهام عن صدر الجملة، استعمال العدد الأصلي بدلاً من العدد الوصفي.
الكلمات الأساسية : العربية الشفهية، المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي، المستوى الدلالي.

مقدمة :

إن العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة، وما وجد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات، وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم نرد خضعت لسنة التطور، شأن جميع اللغات في هذا الموضوع. علم اللغة في العربية كما يقول السامرائي (العربية تاريخ وتطور، ٢٣٥)، لا يتكرر للجديد المولد ولا يريد أن ينسب إلي الخطأ مواد كثيرة، فالشذوذ في العربية والقول باللغات الخاصة ومسائل التوهم يؤيد هذا الأمر.

والألفاظ تنتقل انتقال الناس في أطراف هذه الدنيا. والهجرة لا تخص الإنسان والطير، بل تشمل الألفاظ التي تهجر وتعود إلى أوطانها، وهي لا تسلم في هذه الحركة الطويلة من تغيير في المعنى والاستعمال والشكل.
ومثل هذا حدث في ألفاظ عربية استعملتها الفارسية في غير معانيها، وقد لبست في الفارسية ثوباً جديداً، فقد استخدمت الفارسية كلمة (التهور) العربية، لكنها استفادت منها شيئاً آخر لا نجده في العربية، وهو الشجاعة، ومعلوم أن الشجاعة غير التهور في العربية.

أما العامية فتختلف عن الفصحى في التحوير الذي لعله يبدو أوضح في مبني كلماتها منه في معناها، وتحوير المبني نراه في الحركات والحروف.
من خلال متابعتي لبعض اللهجات العامية المحلية رصدت الخصائص التالية للعامية المعاصرة التي تميزها عن العربية الفصيحة :

قواعد العربية الشفهية المعاصرة

١. في المستوى الصوتي

١-١. الإبدال في أصوات الحروف

وهذا يختلف من لهجة إلى أخرى.

- فالمصرية تبدل الجيم كافاً؛ نحو «گمهورية» بدلاً من «جمهورية».
- والمصرية واللبنانية والسورية تبدل الناء تاء، نحو «توم» بدلاً من «ثوم».

- واللبنانية تبدل الذال دالا، نحو «هيدا» بدلاً من «هذا».

- والعراقية تبدل الكاف چاء، نحو «چنت» بدلاً من «كنت».

- كما تبدل القاف گافاً؛ نحو «تگول» بدلاً من «تقول».

- واللبنانية والسورية تبدل القاف همزة؛ نحو «ألب» بدلاً من «قلب».

- والجيم تصبح ژ باللهجة اللبنانية؛ نحو «مژلة» بدلاً من «مجلة».

- والكويتية تبدل الجيم ياء، نحو «وايد» بدلاً من «واجد».

- وتبدل الجيم زاياء، فتقول: زوزة في جوزة، وتقول جاب في جلب،

وبُردقان في برتقال، وتلّين الهمزة، فتقول بير في بئر، وياكل في يأكل. وهو

تليين جائز في الفصيحة لكنه واجب في العامية. وقد يتناول الإبدال أكثر من

حرف في الكلمة الواحدة كقول العامة سايف في صائغ. ثم إنها قد تغير ترتيب

حروف الكلمة، وهذا القلب إن كان وارداً في الفصيحة فهو كثير في العامية،

فتسمع العامة تقول معلقة في ملعقة، وإجا في جاء، وجوز في زوج، وسِداجة

في سجادة، أو تسمعها تقصر الممدود كما في صحرا وصحراء، ودوا ودواء،

أو تسقط الأحرف اللثوية فتقول سواب في ثواب وتوم في ثوم وذهب في

ذهب، وقد تزيد في حروف الكلمة فتقول إسكافي في إسكاف ودواية في دواة

وعصاية في عصا.

١-٢. الإبدال في حركات الكلمات

هناك تغيير في بعض الحركات تغييراً يتناول أول الكلمة ووسطها، كقول العامة بَطِيخ في بَطِيخ، ومَبْرَد في مَبْرَد ومَعْدَن في مَعْدَن ومَصْرَف في مَصْرَف، وقد يتناول هذا التغيير أكثر من حركة في الكلمة الواحدة قولهم جَدْرِي في جَدْرِي، وحِلْوِيَّات في حِلْوِيَّات.

١-٣. حذف بعض الأحرف من النطق

ومثاله: التخفف من الأسماء الموصولة واختصارها إلى واحد يؤدي مهمتها في المواضع المتطلبة موصولاً: (الجمع، والإفراد، والتنثنية والتذكير والتأنيث). والاسم المختزل (اللي) مستند إلى حرف اللام المشترك والبارز بين الموصولات (عدا العامة من، ما، أي): الذي، اللذان، التي، اللتان، الذين، اللائي، اللاتي). ونحو استعمال «ع» بدلاً من «على»، نحو: «لف عاليمين»: انعطف على اليمين.

١-٤. إضافة الشين إلى ما النافية

كقولهم: «مش موجود» بدلاً من «ما موجود» أو «ليس موجوداً».

١-٥. الابتداء بالساكن

العربية الفصحى لا تستسيغ الابتداء بالساكن من الحروف. ولذلك قرر الخليل بن أحمد أن:

«حرف اللسان لا ينطلق بالسكن من الحروف». (الخليل كتاب العين ص ٢).

والعربية لا تجيز هذا كما أجازت ذلك اللغات الأجنبية الكثيرة. والألف التي في اقشعر واضمحل ليست من أصل البناء، وإنما دخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون عماداً وسلاماً للسان إلى الحرف الساكن (المصدر السابق).

لكن المرحلة السابقة للعربية الفصيحة كانت تجيز الابتداء بالساكن. والذي يقوي هذا الافتراض قولهم: إن الأمر الثلاثي همزته همزة وصل.

والناطق المجيد لهذه البنية لا يحس بهذه الهمزة، فلسانه ينطلق بالضاد في كلمة اضرب (الأمر)، قبل أن ينطلق بشيء اسمه الوصل. وإجادة النطق تستدعي محو هذا الألف إطلاقاً، وعلى هذا جاء نطق المغاربة في أيامنا هذه، فهم ينطلقون بالساكن في أفعال الأمر الثلاثية.

٦-١. التقاء الساكنين

اختصت العربية من بين سائر اللغات السامية بهذه الناحية، مراعاةً منها للتكافؤ والانسجام في بنية الكلمة الواحدة، وفي اتصال الكلمة بغيرها حتى يجيء الكلام العربي على هيئة مخصوصة موسيقية منسجمة. والحكمة في تحريك عين كلمات (كتف) و(عضد) هي الهروب من التقاء الساكنين.

لكننا لو رجعنا إلى اللهجة المصرية لوجدنا المصريين ينطقون هذه جميعاً بإسكان العين، احتمالاً منهم لالتقاء الساكنين.

٧-١. مطل الحركات

والمراد بالمطل مدّ الحركات. وقد استفادت العربية من هذا المد كثيراً في تنويع الصيغ وتكثير المعاني. فقد مدت ضمة العين في المضارع كما في (ينبع) فصار (ينبوع)، ومثل هذا (يحمور) و(يخضور). ونستطيع أن نردّ فاعول إلى مطل الحركات. فالعمود لا بد أن كان (عامود) فخفف إلى (عمود) (السامرائي ١٩٨٧ صص ٣٨-٥٠)

٨-١. إبدال أحد التضعيفين بالياء: نحن نحمل على الخطأ أو على طريقة العوام في لهجتهم الدارجة قولهم (استمرّيت) بإسناد الفعل المضعف إلى تاء الفاعل. وفي العربية الفصيحة شيء من هذا وهو قليل، كما ورد في قول العجاج :

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر تقضّي البازي إذا البازي كشر

(نقلا عن الزمخشري - الكشف)

والتقضي الانقضااض. والعرب تبدل الياء من أحد التضعيفين، فيقولون (تظنيت) والأصل (تظننت)، لأنه من الظن.

١-٩. نقل فتحة التذكير وكسرة التأنيث إلى ما قبل الحرف الأخير
يقال في العامية: «إجا جارك» للمخاطب المذكر، «إجا جارك» للمخاطب المؤنث. ويسكن الضمير لأنه الحرف الأخير.

٢. في المستوى الصرفي

٢-١. الإكثار من قاعدة القلب في ترتيب حروف الكلمات

منها استعمال «إجا» بدلاً من «جاء» و«جوز» بدلاً من «زوج»، و«جنزير» بدلاً من كلمة «زنجير» الفارسية الأصل، وتشق منها الفعل فيقال: «سيارة مجنزرة».

٢-٢. إلغاء نون الرفع في الفعل المضارع

نحو : «بيكتبوا» بدلاً من «يكتبون».

٢-٣. إلغاء التثنية في الأفعال والضمائر

فالعامية تستعمل الفعل بصيغة الجمع للفاعل المثنى : «الرجلان إجاوا» بدلاً من جاءا. كذلك تستعمل ضمائر الجمع بدلاً من ضمائر التثنية، نحو: كتبوا (أي كتبتم) بدلاً من كتبتما. ونحو: «أخوي وأختي بيحبوا الخوخ» بدلاً من «يحبان». (الأمثلة من: لينكافن) وتوجد ظواهر مشابهة أو قريبة من هذه الظاهرة في عدد من اللغات السامية. (الداية ٢٥١)

٢-٤. إلغاء جمع التأنيث في تصريف الأفعال والضمائر:

العامية لا تفرق بين صيغ جمع التذكير وجمع التأنيث في تصريف الأفعال. فالفعل «رحتوا» يستعمل سويًا للجمع المذكر والمخاطب والجمع المؤنث المخاطب.

٥-٢. تصغير بعض الكلمات الفصيحة

نحو استعمال «بيّ» بدلاً من «أب»، و«خيّ» بدلاً من «أخ»، و«صغير» بدلاً من «صغير»، و«كريم» بدلاً من «كريم»، تكثر هذه الظاهرة في أسماء الأعلام التي تأتي على وزن الفاعل.

٦-٢. إبدال بعض الضمائر المنفصلة بالضمائر المتصلة

نحو استعمال «كيفك» بدلاً من «كيف أنت»، أو «وينك» بدلاً من «أين أنت».

٧-٢. عدم الإعلال في اسم المفعول

اللهجات الحديثة الدارجة لا تلجأ إلى إعلال المبيع والمصون، والمقود، بل تصوغه على وزن مفعول فتقول: «مبيوع» و«مصوون» و«مقوود»، وهذه الصيغة واردة في الفصحى من العربية، ولكنها مسموعة، وسماعها يخالف القياس المشهور، وهو دليل على أنه من البقايا اللغوية القديمة.

٨-٢. استعمال عم والباء المضارعتين

كقولهم «بيروح» بدلاً من «يروح»، و«عم يكتب» بدلاً من «يكتب». و العامية تقول «بيؤمر» مقابل قول الفصحى «يأمر». حسب نعيم علوية (١٩٩٢: ٣١)، المضارع في الفصحى يرفض أن تدخل عليه الـ (ب)، في حين يستقبل مضارع العامية في بعض بقاع العربية هذا الحرف، ولكن ضمن سياق مخصوص. والذين يدخلون الباء على المضارع لا يستثنون من ذلك أي شكل من تصاريف المضارع، لا المفرد ولا الجمع ولا المؤنث ولا المذكر ولا الغائب ولا المتكلم ولا المخاطب. وهم يحافظون على حرف المضارعة باستثناء همزة المضارعة التي تطيح بها الباء، لأنها في العامية كهزمة الوصل تسقط في الدرج. يقولون: يعمل، بتعمل، بتعملوا، بنعمل، بيعملوا.

وكسر الباء ناتج عن كسر العامية لحرف المضارعة وفقاً لبعض اللهجات العربية الجاهلية. أما سكونها فمتعلق بوزن الصيغة. فإذا شكّل حرف

المضارعة مع ما يليه سبباً خفيفاً، أي حركةً فسكوناً، سكّنت هذه الباء: ب + يدرس = يدرس. أما إذا شكل فاء الفعل وعينه سبباً خفيفاً، فإن الباء تتحرك لتشكل مع حرف المضارعة سبباً خفيفاً يتحد بالفعل نحو: يبدحرج.

أما المضارع الفصيح الذي يفيد عملاً جارياً في الوقت الراهن وقت الخبر، كـ: «اكتب»، فتقابله في العامية: «عمّ كتب». وقد يقول العامي: «عم بكتب» بالجمع بين عم والباء.

ويلاحظ أن مضارع العامية يستقبل (عم) والباء معاً، وقد يستقبل (عم) بلا الباء. والعامي يقول (ببعلها) لمن عملها كثيراً، ويقول: (عم ببعلها) لمن يباشرها في الظرف الذي ينقل فيه الخبر. وقد ذهب أبو زيد إلى أن (أم) تكون زائدة، وجعل من ذلك قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأه﴾، فـ (أم) بهذا التقدير شقيقة (عم) و(هم) و(أم) اليمينية. (أم يقولون) = عم يقولوا = إنهم يقولون. أم = عم.

٢-٩. استعمال الفعل «راح» بصيغة واحدة لا تنصرف لتأدية زمن الحال الاستمراري: نحو: «إنت رايح تعمل إيه دلوقتي؟» بمعنى: ما تفعل الآن؟

٢-١٠. تأنيث لفظة الماء: نحو «ميه باردة» في اللهجة اللبنانية.

٢-١١. سيرورة العامية العربية نحو «التطور الخارجي»

الجدير بالذكر أن بعض اللهجات العامية العربية - حسب الدكتور «غريغوري شرباتوف» عضو المجمع المراسل من الاتحاد السوفيتي - عدلت عن طبيعة اللغة العربية التي تتميز بـ «التطور الداخلي للألفاظ»، أي بالاشتقاق، بينما - حسب قوله - تُرى اللهجات أي العاميات نزعة شديدة الوضوح نحو «التطوير الخارجي للكلمات»، أي باستعمال اللواحق، وهذا ما يسمح له بالاعتقاد بأن هناك ميلاً عن الاشتقاق نحو استعمال اللواحق في تطور الألفاظ، منها:

١. لاحقة "آني": نحو أسمراني، أبيضاني، اسكندراني؛
٢. لاحقة "آوي": نحو مصراوي، مكّاوي، صغراوي؛
٣. لاحقة "هـ": نحو مشية، نبعة، دكانة؛
٤. لاحقة "حّة": نحو اشتراكية، شتوية، صبحية؛
٥. لاحقة "يّات": نحو حلويات، ضروريات. (عدنان الخطيب، العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية).

٣. في المستوى النحوي

٣-١. إلغاء الإعراب

تكاد العربية العامية تلغي الإعراب كلياً في المحاورات اليومية، إذ يلجأ الناطقون بها إلى :

- تسكين أواخر الكلمات بناء على قاعدة «سَكَنَ تسلم»؛ أو طلباً للسرعة في الأداء والخفة في النطق. وهذا الإغفال أصل الفوارق بين اللغتين.

- استعمال الباء والنون للجمع السالم في جميع الحالات الإعرابية.

٣-٢. تقديم ألفاظ الواحد والإثنين على موصوفهما: نحو: «اشتريت واحد كتاب» بدلاً من «كتاباً واحداً»، و«اثنين كيلو موز» بدلاً من «كيلوين اثنين».

٣-٣. تأخير إسم الإشارة عن المشار إليه

نحو «النهار ده» في اللهجة المصرية بدلاً من «هذا النهار» بمعنى اليوم. «أنا شايف الولد الصغير ده»: أنظر الآن إلى هذا الولد الصغير.

٣-٤. الإكثار من استعمال واو المعية: نحو: «جيت واياه»: جئت معه. «إتفضل واياي»: تعال معي.

٣-٥. تأخر اسماء الاستفهام عن صدر الجملة: نحو: «الولد يعمل إيه؟»

أي: ماذا يعمل الولد؟

٣-٦. استعمال العدد الأصلي بدلاً من العدد الوصفي: نحو: «قمت النهار

ده بدري الساعة سبعة ونص»: نهضت من النوم اليوم الساعة السابعة

والنصف.

٤. في المستوى الدلالي

الخلاف بين اللهجات العامية العربية لا تنحصر في المستوى الصوتي والصرفي والنحوي، بل يشمل المستوى الدلالي. يقدم «محمود أحمد السيد» (١٩٨٩) شطراً من هذه الخلافات، نذكر بعضها فيما يلي:

٤-١. بعض المصطلحات العامية

ناظر المدرسة : في سورية: المراقب الذي يراقب الطلبة أثناء الفرص ويسجل غياباتهم ودرجاتهم. وفي مصر: مدير المدرسة.

الصف : في مصر قبل عام ١٩٥٨: السنة الأولى بدل الصف الأول. أما بعد هذا العام فيستخدم الصف بدل السنة.

الفصل: في تونس تطلق على السنة. وفي سورية ومصر والعراق تطلق على وحدة من وحدات الفرق الأساسية.

معلم: في سورية والعراق يقصد بها من يقوم بالتدريس في المرحلة الابتدائية، والمدرس تطلق على من يقوم بالتدريس في المرحلتين الإعدادية والثانوية، في حين أن هذا التخصيص غير وارد في الأقطار العربية الأخرى. الإجازة: تعني الشهادة الجامعية في سورية، وتقابلها الليسانس في بعض

الأقطار العربية، والبيكالوريوس في بعضها الآخر.

وزارة الفلاحة في الجزائر تقابلها وزارة الزراعة في المشرق العربي، كلمة الفرعية في المشرق العربي تقابلها الجهوية في المغرب العربي تاريخ

الولادة في سورية يقابل تاريخ الازدياد في الجزائر، وتاريخ التكاثر في المغرب. إدارة شؤون العاملين في مصر تقابلها دائرة الذاتية في سورية ومصلحة شؤون الموظفين في الجزائر.

٤-٢. نماذج أخرى للمصطلحات العامية (البنكافن ١٣٧٢)

- استعمال «بردو» في اللهجة المصرية و«كمان» في اللهجة اللبنانية بدلاً من «أيضاً».
- «أودة الجلوس» : غرفة الجلوس.
- استعمال «كام» (كم) بدلاً من «عدة». نحو «عالتسريحة كام فرشاة منها فرشاة الشعر» : على المنضدة عدد من الفرشاة منها فرشاة الشعر.
- استعمال «علشان» بدلاً من «لأجل». نحو: «مش علشان الأكل»: ليس لأجل لأكل.
- ثم إن هناك كلمات مرتجلة في العامية ليست من الفصيحة في شيء، بل لا أصل لها في العربية نحو: شنفرائي، خنفشاري، فنطل، مدعثر...

٤-٣. نماذج للمقارنة بين العاميات العربية: وقد رسمت في الجدول

التالي:

الفصحى	العامية السورية اللبنانية	العراقية	المصرية	المغرب العربي
كيف حالك؟	كيفك؟	شلونك؟	إزايالك؟	كراك؟
ماذا تريد؟	شو بذك؟	شي تريد؟	عاوز إيه؟	ويش تبي؟
كثيراً	كثير	هواي	قوي	بزاف
بكم؟	بقديش؟	شكاد؟	بكام؟	اشحال؟

لا يوجد	ما فيه	ما كو	ما فيش	والو
---------	--------	-------	--------	------

٤-٤. نموذج من النصوص العامية

فيما يلي نموذج عن نص عربي باللهجة اللبنانية، مقتبس من مسرحية «هالة والملك» للأخوين رحباني، أنقله لبيان مدى الخلاف في طريقة التعبير بين الفصحى والعامية.

في آخر المسرحية يلبس الملك ثياب «شحاد»، ويطلب حسنة إلى «هالة» الفتاة الببغاء التي رفضت أن تتزوج الملك انتظاراً للحب (نقلاً عن: خليل كفوري ١٦٨):

هالة : وأنت منين خلقت؟
الملك : الشحاد بيجي ما بيعلن وصولو. بيوصل مثل الخبر.
هالة : وجايي تشد بها لليل؟
الملك : وشو بفكرك الشحاد في عندو مكتب يفتح بالنهار وبيسكر بالليل؟

هالة : وليش ما بتشتغل؟ صحتك مليحة.

الملك : صحتي مليحة لأنني ما بتشتغل.

هالة : أنت غريب؟

الملك : الشحاد دايماً غريب.

هالة : أنا وأنت التقينا غريب وغريبي.

ويشد القلق هنا : هل ستحب هالة الشحاد، ويتفقان على الزواج، وبعد ذلك تكتشف أنه الملك؟ أم أن الملك سيكشف لها ذاته؟ وفي الاحتمالين مفاجأة ناجحة.

٤-٥. عبارات المجاملة والتحية في لغة العامة:

شكراً: عفواً، لا شكر على الواجب - الله يعطيك العافية: الله يعافيك - مبروك: الله يبارك فيك - تفضل: الله يزيد فضلك - ديار عامرة، محل عامر: بوجودك - تصبح على خير: وأنت بخير، وأنت من أهله - البيت على حسابك: يسلم البيت وأصحابه - تكرم: الله يكرمك - نعيماً: الله ينعم عليك - صح النوم: يصح بدنك - عظم الله أجركم: شكر الله سعيكم - أمرك: الأمر لله - الله يرحمه: تعيش وتترحم - بعد إذنك، بالإذن: إذنك معك - خطوة عزيزة: الله يعزك - نهارك مبارك - فرصة سعيدة - الله يصلح الأمور.

٤-٦. من نداءات الباعة

طاب العسل يا بردان (للشوندر) - عجمي مال العجم (للمشمش) - شغل مضايا يا تين - لوز يا ترمس - أحلى من العسل يا بصل - ريحان يا ننع - خدود البنات يا بنادوري - حلو الدلال يا حموي (للمشمش) - سمك البحرة يا خيار - بلدي وأزرق يا خيار - أبو نقطة يا موز - الأكلة والوداع - كل سنة والحبايب سالمة - الله الأمر يا تمر - خمير يا سوس.

فهرس المصادر :

- خاقاني (المؤلف)، محمد (١٣٨٣). العربية من منظور الألسنية الحديثة. اصفهان: قسم الأبحاث بجامعة اصفهان
- الخليل كتاب العين
- الداية، فايز (١٩٨٥). علم الدلالة العربي. دار الفكر. دمشق. سورية.
- الزمخشري، الكشاف
- السامرائي، إبراهيم (١٩٨٧) فقه اللغة المقارن. الطبعة الرابعة. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.
- السيد، محمود أحمد (١٩٨٩). شؤون لغوية. دار الفكر. دمشق. سورية.
- الخطيب، عدنان (١٩٨٦). العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية. دار الفكر. دمشق.
- علوية، نعيم (١٩٩٢). نحو الصوت ونحو المعني. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان.
- كفوري، خليل (١٩٩٤). نحو بلاغة جديدة. منشورات نداف. لبنان.
- گروه نويسندگان (١٣٧٢)، آموزش زبان عربي لينگافن با دو لهجه فصيح ومصري. مترجم عبد الستار قمري. انتشارات لينگافن. تهران.

الإسلام والأجهزة الإعلامية والتحديات والحلول

الدكتور السيد محسن ميري^١

معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطاهرين وعلى صحبه المنتجبين. وأما بعد فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه المحكم مخاطباً رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

عندما يصف الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بصفة رحمة للعالمين وليس للمسلمين فقط يشير ذلك الى الاهتمام الكبير الذي يوليه الدين الاسلامي الحنيف الى الرحمة والسلام والمحبة وحرصه عليهما ويعتبر الرحمة والمحبة الأصل والاساس في العالم وبذلك يحمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسالة الرحمة والسلام والمحبة الى أبناء البشرية كافة. تتجلى أهمية هذا الموضوع أكثر عندما نجد ان الله عز وجل قد يمن على عباده

^١ أقيمت هذه المحاضرة في المؤتمر الدولي لعلماء الاسلام المقام في جاكارتا - اندونيسيا في ٢٣ - ٢٥ شباط

بخصوص نعمه على عباده في هذا الجانب ومن بعثه الرسول الكريم خاتم الأنبياء والذي وصفه بالرحمة للعالمين.

﴿ ولقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة ﴾ وهذه الرحمة تكون من اطار تعليم العلم وتطهير النفس من الاعوجاج ومن القبائح حيث تستطيع هذه الرحمة ان تنقذ الانسان من أسر العادات والاخلاق السيئة والجهالة وغيرها الداخلة على نفسه. ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم.

فعليه يبدو ان أحد الاعمال الاساسية والمهمة لنبي الاسلام الكريم وباقي الانبياء العظام كابراهيم ونوح وموسى عليهم السلام وفي جوانب أقل حجماً كانت تتمثل في العمل في الجوانب الاجتماعية التي كانت تخيم عليها الضلالة وكان لا يدرك وجود أي اطار من الانماط غير الانماط التي كانت موجودة لتحقيق التقدم والقوة وتنمية قدرات الانسان وكانت الانماط والعادات الموجودة لا تضيف شيئاً على حياة الانسان سوى الظلام والضلالة ولذلك كانت البشرية تعيش وسط الجهل والظلام. إذ فتح الانبياء السبيل أمام الانسان بنور هديهم لخراج الانسان من هذا الظلام والتخلص من الاغلال المكبل بها وتقويض معالم الجهل والظلم.

فكان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا كيفية تطهير انظارنا وضورية النظر الى الحياة بشكل آخر. فعليه لقد كانت خصوصية الانبياء ونبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم خاصة تتمثل في تحطيم اطر الانحطاط والمذلة والتخلف.

إن الاطار النظري الذي قدمه رسول الاسلام الكريم صلى الله عليه وآله وسلم للبشرية يتمثل في الرؤية التي تتساوى فيها العناصر والالوان ويدان فيها الفصل والتمييز العنصري الموجود. (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والمرأة التي كان ينظر اليها نظرة احتقار استعادت شخصيتها الاجتماعية

الرفيعة الى جانب الرجل ويتم الغاء ادانة وأد البنات ويسود المجتمع الاسلامي الاول السلام والعفو والرحمة. ويتحول الحقد والكرهية والنفاق السائد آنذاك بين البشر الى المودة والصحة والايثار والفداء والسماح. وبذلك كانت خصوصية هؤلاء الانبياء تتمثل في تحطيم الاساطير والاطر والعادات الرائجة والغالبة والتي كانت تبدو غير قابلة للتغيير. وثانياً تقديم أنماط جديدة تضمن للانسان السعادة.

الحلول التي قدمها خاتم الرسل للانسان للخروج من الأزمة التي كان يعاني منها هي حلول دائمة وأبدية وخاتمة فينبغي علينا انتهاج سبيله لحل الازمات التي نعاني منها اليوم. العهد الحاضر هو عهد ينبغي علينا استخدام الاسلوب النبوي فيه لتحطيم الاساطير المعاصرة والتوجه نحو الحقيقة. إن ما أقصده من الأساطير يتمثل في حالات التأكيد والقوالب الخاطئة التي تشكل حاجباً ومانعاً أمام التوصل الى الحقيقة والتي تدفع الانسان نحو الضياع بخداعها وأساطيرها وألوانها البراقة والكذب والتزوير.

والآن ما هي الأساطير والخداع الموجودة في يومنا هذا ؟ وما هي الرسالة الملقاة على عاتق العلماء والصفوة من أبناء الأمة الاسلامية. واليوم يعاني المسلمون باعتبارهم أمة رسول الرحمة والعالم الغربي بشكل خاص باعتباره أحد المخاطبين من جانب رسول الرحمة من مشاكل كبيرة ثنائية وهذه المشاكل تكون ذات حدين ويعني ذلك أنه يسهم البعض من المسلمين في ايجادها كما يسهم الجانب الغربي فيها.

ففي الكثير من الحالات تصدر أحكام متطرفة وراديكالية حادة من جانب البعض من المسلمين ضد الغرب وما يرتبط بالثقافة الغربية وجضارتها وعلومها وعقلايتها وديمقراطيتها وباقي المكاسب البشرية المرتبطة بالعالم الغربي. ولم يترك هذا البعض أي مجال للتعامل والحذر وكأن الاسلام لا يرضى بشيء سوى نفي وإلغاء كافة هذه المظاهر. ويقف في الجانب الآخر

من يحمل وجهات نظر متطرفة حيث تبثها البعض من الأجهزة الاعلامية الغربية والذي يعتبر الاسلام لا يشكل شيئاً سوى التخلف والانحطاط والارهاب وايجاد الذعر. وقد أدى ذلك الى ايجاد التوتر بين المحورين الثقافيين والبنائين والمبدعين الموجودين في الجانبين ولا يؤدي ذلك الى شيء سوى الدمار والذعر والحزن.

ماهي الحيلة في هذا الجانب؟ كيف يجب أن نتصرف للتخلص من هذه الاغلال التي تكبل أرواحنا وأرواح الغربيين والتي تحول دون تعاملنا وتقدمنا وبلوغ حياة سلمية ومعنوية؟

تعاني اليوم العلاقة بيننا المسلمين والعالم الغربي حالة من الاعوجاج والتفكير الخاطيء في الرؤى. فيجب تحول هذا النوع من الرؤى الى نوع جديد. يجب تقويض اسطورة التعارض والتضاد وتقديم رؤية جديدة وحلول مناسبة لبلوغ التفاهم والتعامل والتعايش السلمي. لهذه المشاكل أسباب ودلائل مختلفة. أحدها يرتبط بموضوع الأجهزة الاعلامية بالمعنى الأعم وينبغي العثور على الحلول لهذه الأجهزة.

وبما أن الحديث فيما يخص تعديل الرؤية التطرفية للبعض من المسلمين كان كثيراً فأنني اكتفي هنا بالحديث عن الاتجاه الغربي رغم اعتقادي جدياً بأن الرؤية التطرفية للبعض من المسلمين حيال العالم الغربي لا تقل أضرارها عن أضرار رؤية الطرف الآخر فهي تترك أضراراً كبيرة على صورة الاسلام في يومنا هذا.

سأحاول في هذا المقال الحديث بشيء حول أداء الاجهزة الاعلامية والخبرية خاصة في أيامنا هذه كما أشير الى جانب ذلك الى الأزمة الموجودة ثم أقدم بعض الحلول لحل المشكلة.

لقد استخدمت كافة الأجهزة الاعلامية منذ القدم كمنابر الوعظ والخطابة ثم الصحف والاذاعة والتلفزيون ومجالات الفن والادب وحتى

المقابلات الفردية في الاقوال والاعمال كوسائل لعرض الفضائل الاخلاقية الفردية والاجتماعية والتوعية وتقديم سبل السعادة والعدالة والحقيقة من جانب وتبيين الانحرافات والاعوجاج والفساد والانتهاك للقوانين والتزوير من جانب آخر، كما بحث ديننا الاسلامي بدوره على استخدام هذه الوسائل لأداء واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الكبير الملقى على عاتق كل مسلم ويعتبر ذلك من خصائص الأمة الاسلامية حيث يشير الله عز وجل في الآية الكريمة الى هذه الخصوصية: ﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وما من شك ان وجود هذه الخصوصية في أية أمة تعتبر من نقاطها الايجابية. وقد كانت هذه الطريقة سبباً في إزالة الكثير من التمييزات والاعوجاجات واصلاح المظالم وانتهاج الاساليب الصحيحة واصلاح الأمور.

صحيح انه يتم استخدام هذه الاجهزة التقليدية والاجهزة الحديثة في الكثير من الحالات نحو تحقيق المصالح الفردية واطماع القوى المعادية للشعوب والظالمين لكن التيار الداعي الى الحق والحقيقة استطاع ويستطيع بدوره الى حد مقبول الافادة من هذه المنابر والاجهزة لبلوغ الاهداف الصحيحة.

حتى انه ويمكن القول وبشيء من التسامح بأن التنامي المدهش والسريع للوسائل التكنولوجية والصناعية في عهد التطور قد أدى الى حدوث التطور في الاجهزة الاعلامية الجماعية كالصحف والكتب وانتاجها بأعداد كبيرة الى خدمة الأهداف التوسعية للقوى الاستعمارية. كما كان أداء هذه الأجهزة في الكثير من المجالات في خدمة المصالح الانسانية ونحو تعديل سلوك أصحاب الثروة والقوى المهيمنة على العلم ونحو خدمة مصير الانسان.

ولكن مع توسيع العولمة مع النمط الليبرالي وظهور نوع جديد من الرأسمالية والتجارة في العقود الأخيرة تغير هذا الوضع بشكل أساسي واليوم باتت مشكلتنا على عكس الماضي فهي ليست مشكلة خبرية أو اعلامية لأن انتشار الاجهزة الاعلامية وكثرتها جعلنا الاخبار تصلنا من كل جانب ونكون كما يقول البعض غارقين وسط سيول من الاخبار والمعلومات. لكن المشكلة هي ان الاخبار تكون ملوثة ومضللة؛ فيها الكثير من الكذب والشائعات والتحريفات والزيف والخداع والتي تقدم على شكل أخبار وتحليلات وانها تدخل في كل لحظة في ذهن الفرد وروحه في يومنا هذا وتترك تأثيرها عليه. ليس من الصعب معرفة هذه النقطة بأن النبأ أو التقرير حتى اذا كان صحيحاً في مضمونه يمكنه أن يقلب الحقيقة ويترك ذلك نتيجة عكسية على المخاطب كما هو الحال بالنسبة الى علم النفس وعلم المعرفة بأن مضمون النبأ وحده لا يترك تأثيره على المستمع بل أن النسبة الموجودة بين ذلك النبأ والأرضية والشؤون المحيطة به ومنها طريقة الأداء للنبأ وغيرها لها تأثيرها على المستمع. فمما يؤسف له في يومنا هذا هو أن من يعرف اليوم من جانب البعض من المفكرين بأنهم السادة الجدد للعالم (من أصحاب الأموال) الذين يتركون تأثيرهم في بعض الأحوال أكثر من الحكومات على الوضع العالمي وانهم يرسمون الخطوط العريضة لعملية العولمة في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية. وعندما تظهر المعارضة لرغبة هذه الاجهزة الاعلامية واصحابها وتوجد إرادة نحو التغيير والتحول في توزيع الثروة والوضع الاجتماعي تظهر هذه الاجهزة وتعمل على تغيير المعادلة لصالحها.

اليوم تتعرض كافة الأهداف الانسانية التي تتعارض بشكل مع الأهداف العدوانية والتوسعية والأنانية لهذه الشركات تتعرض الى مثل هذه الأزمة وهذا التعامل. لأن الأجهزة المذكورة ترجح مصالحها على المصالح

العامة وباتت أجهزة الإعلام وللأسف أكثر دكتاتورية من أي دكتاتور في العالم وجعلت الانسان في أسرها وباتت تصدر تيار المعلومات لصالحها وتبذل محاولات كثير فاعل في طريق أحادي لتسخير أذهان العالم وأفكاره ومن خلال أعداد الأرضية المناسبة لتنفيذ أهدافها السياسية والاقتصادية. الأمر لا ينحصر في حبس الأفراد كالطيور في الأقفاص وليرى الفرد ذلك القفص وقيوده ويعاني منه ويضرب نفسه في كل طرف منه لعله يعثر على السبيل للتحرر بل الشيء الأكثر تعقيداً للأسر هو أن يكون الانسان أسيراً في قفص ولا يتمتع بشكل حقيقي بأجواء الحرية، وهو لا يرى قضبان القفص ويتصور بأنه حر. لقد بات ذهن الانسان وفكره يعاني من مثل الأسر. وباتت الروح الكبيرة للانسان كالفراشة التي تلف أجهزة الاعلام خيوط الشرنقة عليها وتحبسها فيها وتمنعها من التجوال والتكامل.

لقد بات يسلب أهم جانب من حقوق الانسان المتمثل بحرية الفكر وقدرته على التفكير والانتخاب بإسم الحرية.

وقد استطاعت الدعاية الموجودة في أجهزة الاعلام الجماعية الى حد ما إظهار الظالمين الذين مارسوا لأعوام طويلة أبشع المجازر والجرائم بحق الشعب الفلسطيني وأبعدهم من الحياة ومن ديارهم اظهروهم بمظهر الأفراد المظلومين بينما اظهروا هذا الشعب المظلوم الأعزل بمظهر الظالم والارهابي.

واليوم الذي يوصف بعالم الاعلام وأجهزة الاعلام لقد تحول التظاهر بالمظلومية الى احدى السبل التي تستخدمها أنظمة كالكيان الصهيوني كأداة فاعلة فإن تظاهر هؤلاء بالمظلومية واصطناع الاساطير والاكاذيب الكبيرة وتكرارها بشكل دائم بذلوا من خلالها جهوداً واسعة لاصطناع الحقائقية والشرعية لأنفسهم.

ففي العقود الأخيرة وبمساعدة من أجهزة الاعلام هذه راحت بعض الدول الغربية القوية ورغم مزاعمها الكثيرة بخصوص الدفاع عن حقوق الانسان والديمقراطية تصدر اسلحة الدمار الشامل الى بلدان العالم الثالث. وتطيح بحكومات مستقلة كحكومة الدكتور مصدق في ايران والسلفادور آلنده في تشيلي وتفرض عليهم أكثر الحكومات استبداداً ومناوئة للديمقراطية.

أؤكد مرة أخرى على ضرورة تجنب بعض السلوك والعقائد المتطرفة لبعض المسلمين والتي تكون بعيدة كل البعد عن الاسلام الأصيل ولها جانب اسطوري ويجب تعديلها لكن اصطناع الاساطير وتزييف الحقائق في أجهزة الاعلام العالمية ضد المسلمين لها أبعاد أوسع من هذه العقائد والسلوك. أضف الى ذلك أنني أعتقد بأن ممارسة هذا الاعلام ضد الاسلام في أجهزة الاعلام له دوره من أسباب تنامي التطرف بين البعض من المسلمين وأن تحويل المسلمين الى متطرفين، يعد من المشاريع المهمة لأجهزة الاعلام هذه والتي تسهم بشكل مهم في تحقيق أهدافهم التوسعية، ومن هنا ينبغي على المسلمين أن يواظبوا بأن تطرفهم يتحول الى أداة لتحقيق أهداف أعدائهم.

المخرج : حالياً السؤال المطروح هو ما هو الحل الموجود للخروج من هذه الأزمة ؟ يبدو بأننا في الخطوة الأولى نحتاج الى اتحاد منظمة أو اتحاد لأجهزة الاعلام يتمكن بلوغ الأهداف التالية:

١. تقديم الوجه الحقيقي للاسلام على أساس أسسه الخالدة المشحونة بعناصر العقلانية والرحمة والدعوة للعدالة والسلام والمدارة واحترام حقوق الشعب والانسان والتعامل الانساني مع الثقافات الأخرى وبلوغ التقدم المادي وتنمية القيم والفضائل الانسانية والالهية.

٢. بذل الجهود الكثيرة والدؤوبة لتحطيم القوالب والاساطير التي تصرف أنظار الانسان المعاصر من المسلمين والغربيين عن مشاهدة الحقائق والواقع.

٣. ترويج نشر الحوار والمداواة والتعامل بين الثقافات مع وجود المعتقدات والمجالات الثقافية المختلفة وحل المشاكل الموجودة بين الثقافات عن هذا الطريق.

٤. ابراز النقاط الايجابية للثقافات لبلوغ التفاهم والتفهم المتبادل. طبيعي من أجل بلوغ هذه الأهداف اننا نكون بحاجة الى ايجاد انموذج صحفي واعلامي اسلامي للأخذ بالسياسات والسبل التالية:

- وضع السياسات الواضحة وذات الرؤية الواقعية في الاخبار لازالة كافة الأمور التي من شأنها تلويث الخبر وتجعله اسطورياً وتكون لها رسالة غير واقعية.
- المعرفة الصحيحة لجوهر القيم واستخدامات الاجهزة الاعلامية الغربية ووكالات الانباء العالمية.
- تعليم وتربية الطواقم الاعلامية والاتصالية والمحللين مع الأخذ بنظر الاعتبار بالموقف الاسلامي الصحيح والمستقل القادر على تقديم وعرض الصورة الحقيقية وذات اتجاه ايجابي للاسلام والمجتمع الاسلامي.
- تأسيس مركز علمي وبحوثي للتوصل الى آخر المكاسب العلمية في العالم وان يكون قادراً على انتاج العلم والتنافس على الصعيد العالمي.
- ايجاد رؤية حكيمة وتحليلية للمخاطبين المحيطين بحجم كبير من المعلومات كي لا تحول هذه المعلومات دون انتباههم الى عمق الموضوع وتحليله وتقويض الاسطورة.

لعل منظمة المؤتمر الاسلامي تشكل مكاناً مناسباً لهذا الاتحاد.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

زهير ابن ابي سلمى واسلوبه المدحي

دكتور غلامرضا كريمي فرد
استاديار دانشگاه شهيد چمران اهواز

المقدمة :

زهير ابن ابي سلمى شاعر من فحول الشعراء في ساحة الشعر العربي ويرتبط بعصر ما قبل الاسلام - اصطلاحاً العصر الجاهلي - و له احدى المعلقات السبع المعروفة في الادب العربي. اسمه زهير بن ربيعة بن رباح (أو كما في بعض الكتب رباح) المَزْنِي (المنسوب إلى مزينة إحدى جدات ربيعة بنت كعب بن ربوة و التي أخذت قبيلة مزينة اسمها منها) وسُمِّي ربيعة - والد زهير - بأبي سلمى نسبةً إلى اسم ابنته « سلمى » التي كانت شاعرةً ايضاً .

وهناك خلاف في أن زهير من قبيلة مزينة لأن والد زهير أي ربيعة كان قد عاش مدةً في كنف قبيلة بني غطفان. والظاهر أن ربيعة غادر قبيلة (أمته) مَزَيْنَه قبل وفاته وعاش عند العُطَفَانِيِّين وتوفي هناك. ووُلد زهير بعد وفاة أبيه في قبيلة بني غُطَفَانٍ لذا ربما تكون النظرية التي تعتبره مَزْنِي النسب وغطفاني النشأة أصح من غيرها. كما روي عن كعب بن زهير بيت شعر

يصرّح فيها بمزنيته: (مصطفى السقا، مختار الشعر الجاهلي، ص ٢٢٢، يوسف فران، زهير ابن ابي سلمى، ص ٣١ - ٣٢).

هم الاصل مني حيث كنتُ و إنني

من المُرَنيّين المصنّفين بالكرم

ولد ونشأ زهير في أسرة عريقة الشاعرية. أبوه وخاله وأختاه سلمى والخنساء كانوا شعراء كما كان ابنه كعب وبجير وحفيده عقبة بن كعب الملقب بالمضرب و ابن حفيده عوام بن عقبة أيضاً شعراء (بطرس البستاني، أدباء العرب، ص ١٠١ - ١٠٢). وكعب هو أحد كبار وفحول شعراء الأدب العربي و التي اشتهرت قصيدته بانث سعاد في مدح الرسول (ص) .

تزوج زهير بابنة تدعى « ليلي » و تُكنّى بـ « أم أوفى » ولقد طلقها لأن أولادها كانوا يموتون في عهد الطفولة وتزوج بابنة تدعى « كبشة بنت عمار » و ولدت له كعب و بجير. ليست بين أيدينا أخبار دقيقة وواضحة عن حياة زهير وجميع كتب تاريخ الادب القديم والحديث تنقل لنا اخباراً مختصرة ومتشابهة تقريباً، ومن المؤكد أنه بعد موت والده تزوجت أمه أوس بن حجر الذي كان شاعراً مقتدراً . ورعي أوس زهيراً رعاية خاصة ، والظاهر أن زهير تأثر بشخصية ومقدرة خاله الشعرية وأدبه وفي هذه الاحوال، خاله بشامة بن غدير الذي كان شاعراً مجيداً وسيداً شريفاً ثرياً تكفل زهيراً وأختيه. ولم يكن لبشامة ولدٌ وعندما وافته الموت قسم ماله في أهل بيته وأعطى زهيراً نصيباً ولهذا عاش زهير في سعة من المال. لذا كان فيه وقار ونبل و غزّة ولقد أخذ اخلاقه الشريفة والحميدة من خاله و لعل ذلك كان سبباً في خلو شعره من الفحش والركاكة (شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ٣٠١ - ٣٠٣) .

اتصال الشعر في عشيرة زهير ميزة تخصّه وحده دون شعراء عصره الجاهليين. عرف زهير بالرزانة والترويّ وحب الحق والسلام حتى كان « يتألّه ويتعفّف في شعره ». (فؤاد إفرايم البستاني ، المجاني الحديثة، ج ١، ص ٨١).

يمكننا اعتبار زهير من رواد وأوائل تنقيح الشعر، وقد رويت له أربع قصائد سمّيت بالحوليات أي السنويات. زعم رواة أخباره أنه كان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر و ينقّحها في أربعة أشهر و يعرضها على أخصائه في أربعة أشهر فلا تظهر إلّا بعد حول. (كرم البستاني ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص ٦).

هو أحد الثلاثة المتقدمين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس والنابغة و زهير. وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الأفكار والأساليب وتلطيف المعاني فقد امتاز زهير بما في نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ويقولون إنه أحسنهم شعراً وأبعدهم عن سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ. (جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ١٠١ - ١٠٢)

يقول محمد بن سلامّ الجمحي: «... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لي عمر: أنشدني لأشعر شعراءكم إقلت: من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: زهير فهو لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع حوشية ». (طبقات الشعراء ، ص ١٨) وروي كذلك عن عمر أنه كان يقول: «أشعر الشعراء صاحب من ومن ومن». أراد بذلك أبياته الحكمية في معلقته، تلك الأبيات التي تبتدئ بمن. (كرم البستاني، ديوان زهير ، ص ٥).

وروي عنه أيضاً أنه قال: « لا يقول زهير كلاماً وحشياً وومعقداً و لا يمدح أحداً إلّا بما فيه ». (مصطفى السقا ، مختار الشعر الجاهلي ، ص ٢٢٤).
وطريقة زهير في الشعر طريقة التصوير الحسي التي تعتمد على التشبيه والإستعارة والمجاز وبعض معانيه وأغراضه الشعرية كمعاصريه. كما يقول

في هذا محمد يوسف فرّان: أما الأغراض الشعرية التي يمكن رصدها عند قراءة شعر زهير فهي تكاد تكون الأغراض نفسها التي تطرق إليها معاصروه في شعرهم. وإذا تأملنا أية قصيدة من مطولاته، إضافة إلى معلقته، نجد أنه يبدأ بذكر الديار عموماً والتغزل بذكر قاطنيتها من الأحبة إلى وصف حسي للطبيعة وما عليها من جماد وحيوان ووصف دقيق لعمليات الطرد والصيد حتى يصل في ذلك أو ينفذ منه إلى مدح من ينصرف إليه بكليته وهو موضوع القصيدة . (محمد يوسف فران ، زهير ابن ابي سلمى ، ص ٤٨ - ٤٩)

وقد عاش زهير في الفترة التي شبت فيها حرب « داحس والغبراء » بين عبس وذبيان . قبيلة ذبيان إحدى قبائل الغطفانيين الذين وُلد و رُبي زهير في كنفهم. ولهذا السبب تحدث زهير في شعره عن حرب داحس والغبراء كثيراً وقد أشاد بهرم بن سنان و حارث بن عوف اللذين كانا من رؤساء بني مرة الذببانية وبتحملها ديات القتلى أخمدا نار الحرب التي دامت اربعين سنة حتى أنه قد خص معلقته بمدح هاتين الشخصيتين .

معلقة زهير

معلقة زهير التي من أشهر أشعاره قد اشتهرت باعتبار إحدى القصائد الحكيمة المعتبرة والتي تبين حنفيته واعتقاده بالله واليوم الآخر والثواب والجزاء على الأعمال؛ يقول :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صَدُورِكُمْ (أنفسكم)

لِيَخْفِيَ وَ مَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَعْلَمَ

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُنْخَرُ

لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيُنْقَمَ

إن ابن قتيبة بالنظر إلى البتين المذكورين يعتبر زهير شاعراً حنيفاً دينياً ومعتقداً بالله ويوم القيامة ومحباً الحق والسلام. (أبي العباس ثعلب، شرح ديوان زهير، ١٦٦).

ولا يجب أن تغيب عنا هذه المسألة المهمة أن هذه المعلقة بالإضافة إلى أنها من أشهر وأجود الأشعار الجاهلية فهي تحوي مفاهيم حكمية ومواعظ وطرف اصلاح السلوك الاجتماعي، في الإشادة بمظهر من أفضل السلوك الإنساني أي طلب السلم والخير والفتوة. اننا نرى زهيراً شاعراً مصلحاً طالباً للحق ومحباً للإنسانية وذا نفسية عالية فهو انسان ذو ضمير حي وملتزم بشدة بالعهد ولهذا السبب يقول زهير ببيان وخطاب عتابي وتوبيخي للقبيلتين المتخاصمتين :

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالةً و ذبيانَ هل أقسمتم كلَّ مَقَسَمٍ

المفردات: الأحلاف: أسد وغطفان وطي المتحالفين. هل هنا بمعنى قد. فيقول الشاعر: أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم قد حلفتم على إبرام حبل الصلح كل حلف فخرجوا من الحنث و تجنبوا .

فهو قد أشاد بعمل هَرم بن سنان و حارث بن عوف و قد عد هذا النوع من العمل مقياساً لشرف وكرامة الانسان بتخليد ذكراهما :

يميناَ لنعم السيدانِ وُجدتما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ و مُبرمٍ

المفردات: سحيل: الخيط الذي لم يحكم فتله فهي استعارة للضعف. مبرم: الخيط الذي أحكم فتله و هي استعارة للقوة .

وبرأي زهير أن الصلح والسلامة والمعايشة السليمة أحسن حال لحياة الانسان ولهذا السبب يستطيع الانسان أن يتمتع بعاقبة طيبة وخالية من الأحزان .

والذي يسعى في سبيل تثبيت الاصول الانسانية ويجاد الطمأنينة والهدوء في المجتمع وتقوية الحالة النفسية للانسان واستقرار الحق والعدل وبسلوكه يعرف ويعزّز الكرامة والشرف في المجتمع يكون في أحسن حاله ومرحلة اجتماعية ويكون محترماً ومكرماً عند الناس. يريد زهير بهذه الطريقة أن يُرينا منال الانسان الشريف والمحترم عندما يقول :

فأصْبَحَتْما منها عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عَقُوقٍ وَمَأْتِمٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عَالِيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبَحِ كَنْزاً مِنْ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
المفردات : منها أي من السلم. العقوق: العصيان. المأتم: الخطأ. معدّ: هو جد
جاهلي منه بعض القبائل العربية التي نشأت في شمالي جزيرة العرب و منها
ربيعة و مضر .

أشعار زهير الأخرى

زهير شخصية مميّزة بين الشعراء الجاهليين وفلديه محبة وعاطفة و
نزعة قوية للخير وكان يتّبع في مدائحه اسلوب الشعراء الجاهليين في الإشادة
بالشجاعة و الإندفاع والميزات الحربية للقبيلة ومدح عشيرة الممدوحين ولم
ينس جودهم و شرفهم كما نجد زهيراً في الابيات التالية يتحدث عن شجاعة و
بطولة قبيلة هرم بن سنان و حارث بن عوف اللذين كانا ممدوحيه الأصليين:
عليها أسودّ ضارياتٌ لبوسُهُم سَوَابِغٌ بِيضٌ لَا تُخَرُّ قُهَا النَّبْلُ
إِذَا لَقِحتُ حَرْبَ عَوَانٍ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهَرِّ النَّاسَ أَنْيَابُهَا عُصْلُ
قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُخْتُهَا مُضَرِّيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الحَطَبُ الْجَزْلُ
تَجِدُهُمْ عَلَى مَاخِلَتٍ هُمْ إِزَاءُهَا وَإِنْ أَفْسَدَ المَالُ الجَمَاعَاتُ وَالْأَزْلُ
هَمْ خَيْرٌ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عِلْمَتُهُمْ لَهُمْ نَائِلٌ فِي قَوْمِهِمْ وَلَهُمْ فَضْلُ

المفردات: السوابغ: الدروع الكاملة. الضاري: المفترس. لقحت: اشتدت.
عوان: الحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة. ضروس: المهلك. العصل:
المعوجة. قضاعية: منسوبة الى قضاعة. مضرية: منسوبة الى مضر. الجزل:
ما غلظ من الحطب. خيلت: شبهت (أي على كل حال). هم إزاءها: هم
يقومون بها. المال: الإبل. الأزل: الذي يحبس المال و لا يرسل الى المرعى .
وعن كرمهم وسماحتهم وشرفهم وعقلهم يقول :

وفيهم مقامات حسان وجوههم
على مكثريهم رزق من يعترهم
وإن جنتهم ألفت حول بيوتهم
وما يك من خير أتوه فإنما
وأندية ينتابها القول والفعل
وعند المقلين الساحة والبذل
مجالس قد يشفي بأحلامها الجهل
توارثهم آساء آسائهم قبل

المفردات: المقامات: المجالس. ينتابها: يقصدها. مكثريهم: أغنياؤهم.
المقلين: القليل المال. الأحلام: العقول. ويتحدث مع اليمين والتوكيد عن قبيلة
عبس بأنهم قبيلة مسالمة لأجلهم وافقوا على العهد والصلح ونبذوا المخاصمة
والعداوة ويقول :

لعمري لنعم الحي جرّ عليهم
المفردات: جرّ عليهم : جنى عليهم (الجريرة: الجناية). يؤاتهم: يوافقهم .

لم يمدح زهير هرم بن سنان أو حارث بن عوف في المعلقة وحدها بل لم
ينس مدح وثناء هاتين الشخصيتين القيمتين في أكثر شعره. وهذا الأمر إن دلّ
على شيء فإنه يدل على شدة حب وابتهاج زهير تجاههما وعملهما الانساني
والذي كان يناسب نفسيته المترفعة وأفكاره المتقدمة .

فهو في قصيدته الدالية بعد أن يبدأ سफراً على الطريقة الشعرية لدى
الشعراء الجاهليين و يصل إلى ديار المحبوب و يتحدث إلى الأطلال فلم
يسمع جواباً ثم يتجه إلى ناقته التي بدأ رحلته معها حتي يوصله هذا المركب
القوي و السريع إلى هرم بن سنان الذي هو ملاذه حين لا ملاذ له و يقول في
وصفه :

غشيت دياراً بالبيع فتهمد
فلما رأيت أنها لا تجيبي
إلى هرم سارت ثلاثاً من اللوى
سواء عليه أي حين أتيت
دوارس قد أقوين من أم معبد
نهضت إلى وحناء كالفلح جلد
فنعم مسير الواشق المتعمد
أساعة نخص تستقسي أم بأسعد

المفردات: دوارس: مفردها دارس: محوّة. أقوين: أقرن. الضمير في تجيبني عائد الي الدار. الوجناء: الناقة الغليظة الضخمة. الجّاعد: الشديدة. اللوي: اسم موضع. الوائق: الذي يثق بمسيره اليه. المعتمد: القاصد. يدرك زهير هرمأ بسرعة لاتصدق من أجل ارتواء نفسه المتعطّشة و روحه المفتقرة وحتى يشفي غليل نفسه المتعطّشة بحميّة حنانه و محبته و اهتمامه.

وفي الصورة التي يرسمها زهير لشخصية هرم ومعنوياته فهو برغم احسانه و ايثاره يكون ساخطاً في الوقت اللازم وأحياناً كالأسد في مدخل عرينه يقف في حراسة أشباله كي يدافع عنهم وهو دائماً على استعداد وقوة و إذا استدعي للحرب يواجه العدو بشجاعة ولم يهرب أبداً. وهرم لايدافع بسيفه فقط ولكنه يقوم بالدفاع عن قومه بلسانه كخطيب ماهر وبهذا فهو انسان قوي وصبار يتحمل آلام ومصائب قومه وحده ، و يقف قوياً و ثابت القدم في وجه الأعداء :

أليس بضراب الكُماة بسيفه	وفكّاك أغلال الأسير المقيّد
كليت أبي شبلين يحمي عرينه	إذا هو لاقى نجدة لم يُعرّد
ومدرة حرب حميها يتقى به	شديد الرّجام باللسان وباليد
وتقلّ على الأعداء لا يَضَعُونَهُ	وحمال أنقال ومأوى المطرّد

المفردات: لم يعرّد: لم يفر. المدرة: فارس القوم الذي يدافع عنهم. حميها: شدتها. الرجام: المراماة بالخصومة. لا يضعونه: لا ينفصلون من شدته. حمال الأنقال: يتحمل من أمر العشيرة ما يتقل. المطرّد: المطرود عن عشيرته .

ويحذر زهير أن الإنسان ليس أبدياً حتى إذا كان طيب السيرة ونقي الأرومة و حسن السمعة ومكرماً ومحترماً. وهذه الصفات والخصال الإنسانية

لا تقي الإنسان من الموت و إن كانت تخلد ذكره . فالصفات و الخصال التي
عُدَّت يجب أن لاتغرَّ الانسان فكلها زادٌ ليوم الرحيل و التي يجب أن ترافق
الانسان في سفرة الموت. ولهذا نري بعد تلك الابيات يقول مخاطباً «هرم» :
فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
وَلَكِنْ مِنْهُ بَاقِيَاتٌ وَرِاثَةٌ فَأُورِثُ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوِّدُ
تَزَوِّدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

ويقول زهير في قصيدة أخرى في مدح « حصن بن حذيفة بن بدر » الذي
يعتبره رجلاً كثير الجود ومنزهاً وسمح الطلعة وموثوقاً به :

وَأَبْيَضَ فَيَاضٌ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَقِيهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهُ
بَكَرْتُ عَلَيْهِ غُدُوَّةَ فَرَأَيْتُهُ قُعوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
أَخِي ثَقَّةٌ لَا تُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

المفردات: الأبيض: أراد به رجلاً نقياً من العيوب وهو ممدوحه.
الفياض: الكثير العطاء، وشبه يديه بالغمامة. المعتقون: الطالبون معروفه.
تغيب: تنقطع. الفواضل: العطايا. الصريم: الواحدة صريمة بمعنى رملة تنقطع
عن معظم الرمل. عواذله: اللاتي يعذلنه على إنفاقه المال. أخى ثقة: يوثق بما
عنده من الخير. النائل: العطاء. المتهلل: الطلق الوجه .

وفي الأبيات أعلاه خص زهير التشبيه برمزية مناسبة. فاستعماله كلمة
« غمامة » التي تعتبر نموذجاً حقيقياً وناطقاً تماماً عن الجود والعطاء فخلق
تشبيهاً جميلاً جداً .

ويقول في موضع آخر أيضاً في وصف هرم بن سنان بنفس الطريقة :
أليس بفياضٍ يدها غمامة ثمال اليتامي في السنين محمداً

ثمال اليتامي: معيلهم.

فالعمامة ليست بخيلة بالنسبة لقوم أي بلاد. والمطر نعمة مُدرة على كل الأقسام و البلاد. ويقول الشاعر الفارسي الحكيم سعدي الشيرازي: « المنة لله عز وجل الذي طاعته غاية التقرب إليه وشكره يزيد النعمة منه... أمدار رحمته الواسعة شاملة كل الناس ومائدته المفروشة مستديمة للعام والخاص ». (گلستان سعدي ، ديباچه).

على هذه الوتيرة يعرف زهير ممدوحه حصن بن حذيفة في السماحة و البذل كالسحابة السخية التي لا تبخل بمطرها على الناس .

لعله ايجاد مثل هذه الرمزية المقبولة والمناسبة للواقع وذات المحتوي اللطيف و الطريف بالاضافة التشبيهات الجميلة والجزلة في شعر زهير الذي قيل عنه « أنه أفضل الجميع في المدح » (ابن قتيبه، مقدمة الشعر والشعراء، ترجمة الاستاذ أنروش ، ص ٥٣).

والمسألة المهمة في مدائح زهير تنعطف أكثر إلى العناصر الانسانية والقيم الأخلاقية و لم يمدح الممدوح إلا بهذه الخصال وحتى في معلقته التي يبدوها يتذكر زوجته التي عاشت معه سنين طويلة وله ذكريات معها لا يشرح أوصافها الظاهرة كما كان في الشعر الجاهلي.

فهو أحياناً في أشعاره المختلفة له تعبيرات تشابه بعضها ومضامين وحتى تراكيب وألفاظ واحدة في بيان الأخلاق الحميدة. وقد أشير من قبل إلى أبيات عن توصيف سماحة و عطاء الممدوحين (هرم بن سنان و حارث بن عوف) و هاهنا نموذج آخر .

زهير يذكر هرم بن سنان بصفته شخص نقي، نقي، سخي وحي الضمير:

نقي نفسي لم يكثر غنيمة بنهكة ذي قربي ولا بحقلد

المفردات: النهكة : النقص والإضرار. حقلد: اللبخل السيئ الخلق.

وله في موضع آخر تعبيراً شبيهاً بهذا تقريباً عن « حصن بن حذيفة » فهو أيضاً شخص كريم نقي الأرومة :

أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنة قديهلك المال نائله

ويقول زهير في معلقته عن العمل المحمود الذي قام به هرم بن سنان و حارث بن عوف في سبيل إيجاد الصلح والسلام بين القبيلتين المتحاربتين معتبره أفضل مكانة في حياة الانسان وأن هذا العمل يتمتع بخير العاقبة :

فأصبحتُ منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق وماتم

منها: من الحرب.

وله تقريباً تعبير شبيه بهذا المعنى أيضاً في مدح سنان بن أبي حارثة والد هرم الذي يقول زهير فيه :

فأصبحتُ منها على خير موطن سبيلكما فيه، وإن أحنوا، سهل

لقد جاء في الشعر الجاهلي كلاماً كثيراً عن الجود والكرم ولاسيما أن هذه الميزة نستطيع أن نشاهدها في شعر الشعراء الصعاليك أيضاً. ولكن الشيء الذي يشاهد أكثر في شعر زهير هو أن الشاعر يؤكد مسألة وهي أن الميل نحو خصال كهذه كانت جزءاً من عادات العرب وأخلاقهم وذلك بلغة بسيطة و بمعرفة بتلك الخصال و على أساس النظرة للأصول الانسانية .

ومن المؤكد أن زهيراً عن طريق شعره قد خلد هذه الصفات كأنه أراد أن يستميل الناس إلى تلك الزخارف الأخلاقية والإنسانية ويرغبهم فيها لأن كلامه عادةً تربوي وتنبهي وملية بالحكمة والتي قد أوردتها في مدائحه ووصفه، ولهذا السبب فقد عده النقاد العرب من الشعراء الحكميين وحتى إنهم اعتبروه: « حكيم الشعراء في الجاهلية ». (أبي العباس ثعلب، شرح ديوان زهير، ص ١١).

كما قلنا من إحدى الخصائص الشعرية الواضحة في شعر زهير المدحي هو أنه لم يمدح المدح المفرد فقط بل إنه في مواضع مختلفة قد اتجه إلى مدح

المجموع، حيث أنه قد مدح جماعة أو عصابة وليس فرداً واحداً وقد ذكرنا بعضاً من نماذج المدح المجموع قام فيه بمدح وإشادة عشيرة وقبيلة ممدوحيه. وهاهنا نأتي ببعض الأبيات من قصيدة أخرى والتي يذكر فيها مدح قوم «غطفان» بأنهم قوم ذو أخلاق عالية وشجعان وبواسل وشرفاء وأقوياء، وفي هذا الشعر أيضاً نجد أن زهير يسير نحو هدفه في سفرة تخيلية ولكنه يبدأ سفره في الصباح الباكر على خلاف عادة العرب الذين يبدؤون سفرهم في الليل :

لأَرْتَحِلْنَ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَأَدْأَبْنَ	إِلَى اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ يُعَرِّجَنِي طِفْلُ
إِلَى مَعَشَرَ لَمْ يُورِثِ اللَّوْمُ جَدَّهُمْ	أَصَاغِرَهُمْ، وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلُ
تَرْبِصْنَ فَإِنْ تَقَوَّيَ الْمَرُورَاتُ مِنْهُمْ	وَدَارَاتُهَا لَا تَقَوَّيَ مِنْهُمْ إِذَا نَخْلُ
فَإِنْ تَقَوَّيَا مِنْهُمْ فَإِنَّ «مُحَجَّرًا»	و«جِزْعَ الْحَسَا» مِنْهُمْ إِذَا قَلَّمَا يَخْلُو
إِذَا فَرَعُوا طَارُوا إِلَى مُسْتَغِيثِهِمْ	طِوَالَ الرَّمَاكِ لِاضْعَافٍ وَلَا عِزْلُ
وَإِنْ يُقَاتِلُوا فَيُشْتَفَى بِدِمَائِهِمْ	وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَائِهِمُ الْقَتْلُ

المفردات: أدأب: أجد في السير. يعرّجني: يحبسني. طفل (هنا) ولد الناقة. الأصاغر: الواحد أصغر. تربص: لا تعجل بالذهاب. تقوي: تقفر، تخلو. الممرورات: أرض. الدارات: الواحدة دارة: كل جوبه أي خلوة بين جبال. نخل: اسم أرض. مُحَجَّر: اسم مكان. جزع الحسا: اسم المكان والحسا الواحد حسي: ما رفع عنه الرمل. فزعوا: أغاثوا مستصرخاً. عزل: الواحد أعزل: الذي لا سلاح معه.

زهير يحس بالطمأنينة والراحة ببيان أنه إذا قُتل قوم غطفان لا بد أن يكون قاتلهم قوياً جداً حتى يستطيع أن يقضي على قوم شجعان، وعن طريق اعترافه بقدرة العدو يؤكد على قدرة ممدوحه العالية. وهذا نوع من الصياغ الشعري الجميل الذي نجده في شعر زهير .

والجدير بالذكر هنا أن زهير بمقدرته الشعرية العالية يبين معانيه الشعرية بألفاظ سهلة وبعيدة عن التعقيد وخالية من المبالغات المردودة وبه اعتماده على الذوق و الحس البسيط والواقعية. والمسألة البارزة والمميّزة في شعره هي صدق العاطفة والدقة في بيان وتوضيح معني. ربّما سبب هذا الأمر أنه لم يجعل المدح والثناء والشعر وسيلةً للتقرب إلى البلاط أو وسيلةً للتكسب أو للدفاع اللامنطقي عن قبيلة أو عشيرة أو عن التعصبات القومية. فهو عندما يشعر أنه ربما يخرج كلامه عن الحد المعقول والطبيعي ويكون مدحه ووصفه افراطاً فيه، يؤدّي كلامه بأداة شرطٍ ولهذا السبب قال عنه عمر بن خطاب: « لم يمدح احداً إلّا بما فيه». (الزوزني، شرح المعلقات، ص ١٣٣) و لهذه العلّة يعتقد النقاد العرب أنه توجد في أشعار زهير المدحية صفات وميزات ترفع فن المدح إلى أرقى درجة. (احمد احمد البدوي، أسس النقد الأدبي ، ص ١٨٣).

فهو يقول في مدح هرم بن سنان :

لُونَالِ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كُفَّهُ الْأَفُقَا

لو وصل حيٌّ في هذه الدنيا بسبب شرفه و كرامته و منزلته إلى آفاق السماء، بالتأكيد هو تحصل يداه عل تلك الأفق. قيل في المصرع الأول « مكرمة » بدلاً من منزلة وفي المصرع الثاني « وسط السماء » بدلاً من أفق السماء .

يريد زهير أن يقول أنه لا حد لمكارم هَرَم و إلى جانب كرمه وإنسانيته فإن الأفق الواسعة صغيرة بل في يديه السمحتين، ولكن لأنه مثل هذه الأوصاف والتعاريف فيها من الإفراط شيء ومن حيث الواقعية، غير مقبولة وخارجة عن الاعتدال لقد قيدها بشرط أن يكون صاحب الكرم قد وصل إلى الآفاق البعيدة وإذا تحقق هذا الشرط يتحقق التعريف والوصف الذي هو وصول هرم إلى أفق السماء .

وفي بيت شعر آخر يقول :

لو كُنْتَ من شيءٍ سِوَيِ بَشَرٍ كُنْتَ الْمُنَوَّرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
يفضل ممدوحه على القمر وحتى يعتبره مُنَوَّرَ القمر أيضاً ولكن لأن
هذا الوصف والتشبيه بعيد عن العقل وهو غير حقيقي و فيه مبالغة مردودة
فقد قيده بهذا الشرط أن يكون من جنس غير البشر وإذا تحقق هذا الشرط
فتحقق تلك الصفة والحالة للممدوح .

وكذلك الأبيات الأخرى :

فلو كان حمدٌ يُخلدُ النَّاسَ لم تَمُتْ ولكنَّ حمدَ النَّاسِ ليس بمُخلدٍ
وأيضاً في بني سنان :

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ لأولَّهم يوماً إذا قعدوا
إنسٌ إذا أمِنوا جنٌ إذا غَضِبوا مُرَزَّتُونَ بها ليلٌ إذا جُهدوا
لو يُعدِّلونَ بوزنٍ أو مِكايَلةٍ مالوا برضوي ولم يُعدِّلْ بهم أحدُ
مُحَسِّدُونَ على ما كان من نِعَمٍ لا يَنْزَعُ اللهُ منهم مابه حَسِدوا

المفردات : البهاليل : الواحد بهلول : السيد الجامع لكل خير . رضوي :

جبلٌ . مالوا به : كانوا أوزن و أثقل منه .

قيل إن يوماً كان ابن عباس في مجلس كان فيه عمر بن خطاب . فأجاب
عن سؤال يسأله عمر عن أشعر الشعراء ؟ قال : زهير بن أبي سلمى المُرَني .
ثم طلب عمر من ابن عباس أن يقرأ عليه من شعر زهير ، فقرأ دالية زهير
التي ذكرنا أبياتاً منها أعلاه . فغضب عمر و جثا على ركبتيه ثم قال : ما لهذا
الشاعر ، قاتله الله ! لقد قال كلاماً ، ما كان ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول
الله لما خصَّهم الله به من النبوة و الكرامة . (أبي العباس ثعلب ، شرح ديوان زهير
، ص ٢٠٦) .

إذاً بالنظر إلى هذه الابيات فإنها مع ماكان من بساطة في الكلام فهي
قوية و معانيها عالية و لهذا يعتبر زهير في المدح أفضل من غيره .

وبشكل أساسي في مدائح زهير سواء كانت فردية أو جماعية، المسألة التي تلفت انتباهنا هي أنها تعتمد علي الصفات الإنسانية و نفسانيات الكرماء و الشرفاء وأنها تميل إلى الإشادة بالأعمال السليمة والإنسانية والأخلاقية. فهو يلحف كثيراً على العادات المحمودة والصفات العالية للإنسان بالمعني الحقيقي. ونلاحظ مميزات كالكرم والعقل والسماحة والسخاء والمحبة ومساعدة الآخرين والالتزام قبال المجتمع وحب السلام في شعر زهير و التي تعتبر في الحقيقة أغراضه الشعرية ويكرر التأكيد عليها. وهو يفضل الحياة بصورتها التي تتمتع بعناصر كهذه وفي معلقته حيث قال أن الحياة قد غمته بسبب مظاهر الحياة الجاهلية الغير مقنعة والتي بشكل عام تبين أشياء غير أهواءه و مطالبته يقول:

سِئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالِكَ يَسَامُ
حتى حيث مدح شجاعة وشهامة وبطولة ومدوحه والتي يستلزم بيانها
الفاظ غير لطيفة فقد وفق بين اختيار الالفاظ الناعمة والمضامين المعنوية
اللطيفة ومن المؤكد أنها نفسها ميول وأهواء زهير القلبية مثل الكرم والسماحة
والإيثار والعقل والحكمة وحب الغير والإنسانية. وإن كان شعر زهير موافقاً
لأسلوب كل الشعراء الجاهليين ولكنه لم يبتعد عن التغزل والتشبيب وتذكر
الذكريات الماضية و الأطلال عادة ولم يكن زهير شاعر الخمرة والميسر و
الافتتان بعشق الجميلات .

فهو باستخدام الالفاظ والتركيبات اللطيفة إلى جانب الالفاظ والتعبيرات
القاسية كأنه يوجي أنه على رغم أن المحبة والسخط واللطف والغضب من
المميزات الذاتية للإنسان فالحنان والحب والعاطفة أفضل عند زهير من
الخشونة والغضب . « فقد كان لزهير مكانة في الشعر الجاهلي كان شاعراً
من طراز ممتاز، شاعراً له نظرات في الحياة والاخلاق وهو إلى ذلك شاعر

مصور يحسن أدوات صناعته من جميع وجوها.» (شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ص ٣٢٦).

النتيجة :

إن زهير هو الشاعر الحكمي الذي يسلك طريق طالبى الحق والسلم وكذا هو أجمع الشعراء من معاصريه لكثير من المعاني الاخلاقية في قليل من الألفاظ. نرى زهير في شعره وخاصة في معلقته شاعراً يعتقد بالله واليوم الآخر والثواب والجزاء والأعمال وهو يسعى في سبيل الاصول الإنسانية واستقرار الحق والعدل وتعزيز الكرامة والشرف وتكريم الصلح والسلم و التجليل عن الصفات العالية كالجود و الكرم، والعقل والصدقة، وحسن السيرة والفعل، والشرافة والمناعة، والسماحة والسخاوة. وهو يفضل الحياة بصورتها التي تتمتع بعناصر كهذه . فقد كان زهير شاعراً ممتازاً يصور الحياة حسناً في صناعته الشعرية يُزيّنُها بالألفاظ السهلة الرائعة و التراكيب اللطيفة حاكية عن قدرته الشعرية و نظرتة المتعالية الى الحياة والإنسان .

المصادر :

١. ابن قتيبة، مقدمة الشعر والشعراء، أذرنوش، أمير كبير، تهران، ١٣٦٣.
٢. البدوي احمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، الطبعة الثالثة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٤.
٣. البستاني بطرس، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، طبعة جديدة، دار نظير عبود، بيروت، ١٩٨٩.
٤. البستاني فؤاد إفرام، المجاني الحديث، الطبعة الثالثة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦.
٥. البستاني كرم، ديوان زهير بن أبي سلمي، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت.
٦. ثعلب، أبي العباس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧.
٧. الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، مطبعة بريل، لندن، ١٩١٣.
٨. الزوزني، شرح المعلقات السبع، الطبعة الرابعة، دار الحكمة، دمشق، ١٩٨٩.
٩. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.
١٠. السقا، مصطفى، مختار الشعر الجاهلي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، ١٩٦٩.
١١. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، لاتا.
١٢. يوسف فران، محمد، زهير بن أبي سلمي حياته و شعره، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

أحمد شوقي كما عرفته

د. قيس آل قيس^١

هادي تارورديلو^٢

هو أحمد شوقي بن علي بن احمد شوقي أشهر شعراء العصر الاخير كانت ولادته في القاهرة سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)^٣ وكانت هذه الولادة مدار جدال وحوار فيما بعد، لدى الباحثين والدارسين شخصيته، فهو حين كان ينادي بالوطنية وطرد الاستعمار، كان الكثيرون من الذين وضعوا علامة استفهام كبيرة حول نشأته، يعلّلون مفارقات ولادته، في الدم الكثير العناصر الذي يجرى في عروقه والذي يحمل الأصول التركية والشركسية واليونانية والعربية^٤، اما أمه، فكان نسبها يختلف عن نسب أبيه، فهي ابنة جارية يونانية كان لها حظوة خاصة في بلاد الخديوي اسماعيل؛ ونشأ الشاعر أحمد شوقي في كنف جدّته اليونانية، وقد ساعدها على كل ما يكفل للصبي حياة شريفة، ومن أجل ذلك دفعت الجدة بحفيدها إلى كتّاب الشيخ صالح؛ وكان ذلك سنة

^١ استاذ مشارك في معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية.

^٢ ماجستير في اللغة العربية وآدابها.

^٣ الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٣٦.

^٤ حسين، طه: حافظ و شوقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٣٣م، ص ٢٧.

(١٨٧٣م)، فأمضى في الكتاب أربع سنوات، كانت أنتعس أيام حياته كلها، للفرق الشاسع الذي كان يضمّه وأترابه الوقحين الذين لا يتورعون عن توجيه الكلمات القاسية لسمعه المُشْبَع بتهذيب عبارات بلاط الخديوي، وهو الآن مع زمرة خشنة لاتعرف اللباقة وعذب الحديث^١ وشوقي من هذه الناحية نشأ نشأة أرسنقراطية، ليس فيها شيء من الديمقراطية وما يتصل بالديمقراطية من حياة الشعب المصري، و سنراه يقترب أو يحاول الاقتراب من هذا الشعب، لكنه على كل حال نشأ في برج ذهبي. وربما كانت الحسنة الوحيدة لهذا البرج أنه أتاح له أن يخلص للشعر ويفرغ له، ولا يشغل باله بشيء سواه^٢ ثم إن جدته اليونانية كانت مشغوفة به تقوم على تربيته وكانت منذ عصر ابراهيم على صلة وطيدة بالقصر، فدخلت بحفيدها يوماً على الخديوي إسماعيل، وكان لا يزال في السنة الثالثة من عمره، فوجد بصره مشدوداً إلى السماء، لا يسقط على بسيط الأرض ولا ينزل إليها، فطلب بدره من الذهب، ونثره على البساط عند قدميه، فتحول شوقي إليه، وأخذ يجمعه ويلعب به، فقال اسماعيل لجدته: أصغي معه ذلك حتى يتعود النظر إلى الأرض، فأجابت إجابتها المشهورة: هذا دواء لا يخرج الّا من صيدليتك. فقال جيئي به إليّ متى شئت، حتى أنثر الذهب تحت عينيه، فإنّي آخر من ينثر الذهب في مصر!^٣ أجل كان أحمد شوقي من مواليد القصور، حيث نشأ و تربّى في أحضان السلطان... وليس غريباً بعد ذلك ان شوقي الذي نشأ في القصر قد أصبح فيما بعد من رواد

^١ الحرّ، عبد المجيد: أحمد شوقي أمير الشعراء و نغم اللّحن و الغناء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. ص ٤٥-٤٧ (ملخصاً).

^٢ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١١.

^٣ المصدر السابق، ص ١٠.

الوطنية حيث أسهم في كل المواقف والأحداث بنتاج قريحته الذي يحمل فكره ورأيه، فضلاً عن موهبته الشعرية المتفوّقة... ولقد كان شوقي ورده نبّت في قصر وبقعة خضراء في قلب رمال الماضي، ولذلك كان من الظلم لتاريخنا قبل ان يكون من الظلم لشوقي نفسه أن يضيّع هذا الشاعر الكبير في معركة وأد الماضي وبناء الحياة الجديدة... وعلى أية حال، فإنّ القصور لا تنقص من شأن الإنسان، مادام له تاريخ وما دام قد أنجز رسالته، وهناك كثير من الرجال الذين غيروا وجه الحياة كانوا قد خرجوا من القصور، بل إنّ أحد الأنبياء وهو موسى عليه السلام، كان قد تربّى في قصر فرعون.^١

حياته العائلية

عرف عن شوقي شدة تعلّقه بعائلته وحبّه العميق المشاعر لأولاده الذين ذكرهم في شعره وأبانَ عطفه الأبويّ لهم. ومع ذلك نجده يقع في التناقض مع زوجه التي عرفه بها الخديوي^٢ عباس وهي ابنة حسين باشا شاهين. فإنّ ولده حسين يأتي على ذكر حبه له ولأخيه على واخته أمنة ومغالاته في تدليلهم، ولكنه يصفه بالزوج الصعب المراس، الشديد القسوة على زوجه. فهو لا يذكر أنه رآه يتغذى مع شريكة حياته. فقد كان يستصحب أصدقاءه وقت الظهيرة ليشاركوه غداءه، وتتغذى زوجه وحدها. أمّا العشاء، فكان يتناوله خارج المنزل مع أصدقائه. ورغم ذلك، فكانت رفيقته وأم أولاده، لاتجعله يُحسّ بما في قلبها من لوعة وألم لهذا التصرف الجافي... حتى أنها صبرت على قضائه غالب أوقاته

^١ عبد الحليم، أحمد زكي: أحمد شوقي شاعر الوطنية، كتاب الهلال، مصر، ١٩٧٧م، ص ٧-٨

بتصرف.

^٢ الخديوي: لقب حكام مصر قبل الحرب العالمية الاولى.

خارج المنزل. ويظهر شعره الكثير الذي قاله في أولاده، شدة تعلقه بهم، حتى قبل أن يراهم ومن أمثال ذلك ما قاله في ولده علي :

رُزِقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي وَتَمَّ لِي النُّسْلُ بَعْدِي
هُم يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ وَ يَغِيطُونِي بِسَعْدِي

وكان شوقي صاحب إحساس مرهف وشعور عميق قبالة أولاده و يصوره من خلال شعره: وكان ولادة ابنته أمينة، ووفاة والده في ساعة واحدة، وقد ذكر ذلك في شعر يقول فيه :

يا لَيْلَةَ سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لَأَنَّهُا بِالنَّاسِ مَا مَرَّتْ
أَذْكُرُهَا، وَالْمَوْتُ فِي ذِكْرُهَا عَلَى سَبِيلِ الْبَثِّ وَالْعِبْرَةِ
...الموتُ عَجَلَانَّ إِلَى الْوَالِدِي وَالْوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
هَذَا فَتَى يُبْكِي عَلَى مِثْلِهِ وَهَذِهِ فِي أَوَّلِ النِّشَاةِ

... و أراد مرة أن يخرج من منزله، فبكى طفلاه، و تشبثا به ألا يخرج فقال في ذلك :

بَكِيًّا لِأَجْلِ خُرُوجِهِ فِي زَدْرَةٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمُ فِرَاقِهِ
لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَ ذَاكَ بُكَاهُمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

وهكذا نرى شعره يعطينا صورة حية عن مشاعره العاطفية التي كان يعيشها مع عائلته. ونستطيع من متابعة هذا الشعر أن نصل إلى التعلق الشديد الذي كان يشده إلى أولاده. ويبقى السؤال: كيف كانت حياته مع زوجته، هل هي شديدة قاسية كما ذكر ولده حسين؛ ولم لم يذكرها في شعره، إنها قسم من عائلته يبقى سرّاً من أسرار حياته. وكم تمنينا لو أميط اللثام عن هذا السر.^١

يقول حسين شوقي، نجل احمد شوقي عن دور أمها في نجاح أبيه قائلاً:

^١ الحر، عبد المجيد: أحمد شوقي أمير الشعراء ونغم اللحن والغناء، ص ٥٣ - ٥٦ بتلخيص.

" وإذا كان أبي قد وفق في حياته الأدبية، فأكبر الفضل في ذلك يرجع الى والدتي التي لم تكن تتدخل في شؤونه الخاصة مطلقاً، وبسبب طبيعتها الطيبة التي لا حد لها، فهي لم توجه إليه لوماً في حياته مرة. مع أنه كان خليقاً باللوم أحياناً.^١

دراسته و ثقافته

عندما كان شوقي في الرابعة من عمره ألحق بكتاب الشيخ صالح حيث قضى أربع سنوات حافلة بالخشونة^٢ ثم انتقل إلى مدرسة المبتديان الابتدائية، وبعدها إلى التجهيزية متفوقاً، لدرجة استحقاقه المجانية، بدأ دراسة الحقوق سنة ١٨٨٣م وبعد سنتين تركها والتحق بقسم الترجمة ليتهيأ للوظائف الحكومية فأتقن الفرنسية التي عبّد الطريق ليزر بصمات الرومانطيقية في شعره فيما بعد وأتقن العربية على يد الشيخ الأزهرى الشاعر محمد البسيونى.^٣ فعينه الخديوي مفتشاً في الخاصة الخديوية وهي وظيفة كان يشغلها أبوه، فسخر شاعريته في خدمته.^٤

وكان أكبر نبع يستقي منه هذه المياه المتدفقة في شعره كتاب الوسيلة الأدبية، للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه، فقد تمثلها تمثلاً رائعاً.^٥ فقد أحاطت بشوقي في فرنسا، منذ أن أنزلته الباخرة في مرفأ مرسلية مظاهر الرفاه والعناية والرعاية، ذلك أن الخديوي كان قد أمر

^١ عبد المنعم خفاجى، محمد: قصة الأدب في مصر، ج٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م. ص ١٨٢.

^٢ الفاخورى، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربى (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت ص ٤٣٦.

^٣ محفوظ، أحمد: حياة شوقي، مطبعة مصر، القاهرة، (بلا تاريخ) ص ٣٧.

^٤ كبا، إميل.أ: ديوان أحمد شوقي، ج١، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ، ص ٦.

^٥ ضيف، شوقي: الأدب العربى المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١١٤.

مدير البعثة المصرية في فرنسا بالاهتمام بأمر شوقي وهكذا عُني المدير بأمر إلحاقه بمعهد الحقوق في مونبيلية حيث أمضى عامين، ثم أمضى عامين آخرين في باريس.

وخلال العام الأول، وبعدما أمر الخديوي شوقي بدراسة متواصلة بمعهد الحقوق ودونما عودة إلى مصر لرؤية أهله، زار شوقي معالم عدد من الحواضر الفرنسية... في مونبيلية وفي العام الثاني أخذ في رحلة إلى لندن والمدن الانكليزية الأخرى برفقة مدير البعثة المصرية في فرنسا، حيث أمضى مع زملائه شهراً كاملاً. أما في العام الثالث فقد نصحه الأطباء، على أثر مرض شديد أصابه بقضاء فترة في أفريقيا وقضى أربعين يوماً في الجزائر وفي نهاية هذا العام، نال الإجازة في الحقوق، ثم ما لبث شوقي أن عاد إلى وطنه، وقد بلغ من الشوق للأهل والديار كل مبلغ، والتحق بقصر الخديوي توفيق من جديد.^١

وعلى الرغم من إقامة شوقي خمس سنوات في فرنسا، فهو لم يحصل من الثقافة الفرنسية إلا قسطاً ميسوراً هو القسط اللازم للإنسان المتقف العادي أو، لنأخذ نتهم بالمبالغة، للشاعر المفتح على تيارات الفكر العالمي، فلم يتأثر بمدرسة من المدارس الفرنسية والأوروبية عامة، وإنما وقف تأثره عند حد الأدباء والشعراء الكلاسيكيين، وعلى الأخص الفرد دي موسيه، و لافونتين و فيكتور هوجو، وسواهم^٢ وينبغي أن نلاحظ أن شوقي لم يخلع عنه في فرنسا القيود التي قيد بما نفسه في مصر،

^١ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، دار مصعب، بيروت، ١٩٧٨م،

ص ١٨-١٩ بتصرف.

^٢ نفس المصدر، ص ٨٧.

ونقصد القيود التي قيد بها أجنحته إزاء القصر، إذ نراه لا يزال يرسل بمدائحه في الخديوي توفيق من باريس.^١

ثم يجدر هنا الإشارة الى تأثير شوقي بالأدب العربي والآداب الأجنبية بشكل وجيز ومختصر: "ثم إن شوقي قرأ الأدب التركي، والأدب اليوناني، وخاصة المسرح والإغريقي الذي استوحى منه أدباء الغرب عديداً من مسرحياتهم، وقرأ الأدب الإنكليزي، فتأثر بكل ما قرأ، غير أن تأثره بالأدب العربي، بقى أقوى وأظهر، في شعره، من كل أدب آخر. على أن تأثر شوقي بالأدب العربي، إلى هذا الحد والمعارضات الشعرية التي وضعها، على أساس الوزن والروى اللذين تقوم عليهما، قصائد من عارضهم شوقي، جعل بعض النقاد لا يرون في أدب شوقي أي تجديد يذكر، أو بالأحرى، أي تجديد يمكن أن يلفت إليه الانظار.^٢

وإذا أردنا أن نتعرض للالتزام شوقي بالمبادئ والأسس الدينية والإسلامية يمكن إلقاء الضوء على هذا الجانب من ثقافته بالاستفادة مما كتبه الكاتب نجيب الكيلاني "إن شوقي قضى فترة هامة جداً من سني شبابه في باريس يتردد على منابع العلم والفن... ويجوب المسارح والمعاهد ويقضي الأوقات اللطيفة التي لاتنسى في أجمل بقاع فرنسا فيذهب الى ريف فرنسا في الجنوب، ويخالط الناس هناك في الشوارع والحوانيت... ومع هذا التغير الواضح والتأثير البين في خطة شوقي وأهدافه، لم تستطع الحضارة الغربية أن تستولي عليه، أو تسلبه مشرقية وعروبية وإسلامه، بل ظل هو شوقي المسلم الذي يعتز بإسلامه ويدعو اليه، بل ويعتبر سبي جدته، ونشأتها نشأة إسلامية، نعمة كبرى من نعم

^١ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٥.

^٢ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، ص ٩٨- ٩٩ بتلخيص.

الله، وظل كما هو شوقي العربي النائر من أجل التراث العربي الخالد، والمجدد له، والمؤمن به وبجدواه أعمق الإيمان، إذ كان يعتبره قاعدة انطلاق نحو قومية عربية متينة الروابط... وظل شوقي يحترم تقاليد شعبه ويحافظ على القيم النظيفة والمثل العليا التي اتفقت عليها الأديان، وأيدتها الفطرات السليمة، والدعوات الإصلاحية المتزنة على مدى الأزمان والدهور!

وما أكثر أولئك الذين عادوا من أوروبا في هذه الأثناء يحملون في عقولهم بذور ثورة عارمة على الدين والتقاليد، ثورة فيها كثير من الإفراط وكثير من الطيش والتحامل والغرور!

أما شوقي فلم يتسم بافراط أو تفريط... لأن في كليهما قد يكمن الشر، وتتوى المغامرة الغير المضمونة النتائج، والعجلة والارتجال والتقليد الذي يمسح الشخصية، ويقضي على الذاتية، ويحاول أن يجعل منا نسخة غير دقيقة من غيرنا، ونحن - آنذاك - أحوج ما نكون إلى إيجاد شخصية عربية تلتقي فيها حسنات الماضي التليد، وطيبات الحضارة الحديثة... وفي اعتقادي أن شوقي كان ممثلاً لهذا الاتجاه الوسط في الحقل الفني.^١ وخير من يمدنا بثقافة شوقي، عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي يقول فيها: كان شوقي في أول أمره مثقفاً يحب الثقافة ويشد في طلبها والتزود منها. ولكنه كان كغيره من الشبان المصريين، يسرون في الدرس والتحصيل على غير هدى، ولا سيما حين يدرسون في أوروبا ولا يقرأون من الأدب الفرنسي مثلاً إلا ما لابد للرجل المثقف من قراءته في هذه الآثار العليا التي فرضت على الناس فرضاً.

^١ الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٢-٢٤ بتلخيص.

فأما التأنيق في الثقافة، والتماس الترف في الآداب، فلا حظ لهم منه. و كذلك كان شوقي حين ذهب إلى فرنسا آخر القرن الماضي، إذا ذكر الشعر الفرنسي، ذكر لامارتين وبحيرته التي ترجمها إلى العربية. أو ذكر لافونتين وأساطيره التي قلّدها في العربية، وإذا ذكر الفلسفة، ذكر جول سيمون دون أن يذكر من حقهم أن يُذكروا مثل: تين، و رينان... وهذا دليل تجنّبه الجهد في البحث، وميله إلى تناول السهل والأيسر.^١

من صفاته الجسمية والنفسية

في معرض بيان المؤثرات التي لها ردودها في حياة الشاعر المستقبلية لابدّ من الإشارة إلى الميزات النفسية التي لها أثرها على الشاعر وأحاسيسه ومشاعره. ونأتي إلى أحمد زكي يصف شاعرنا حين دخوله مدرسة الحقوق حيث يقول: "كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥ فتى نحيف، هزيل، ضئيل، قصير القامة، وسيم الطلعة تقريباً، فتى بعيون متألقة تحقيقاً ولكنها متقلبة كثيراً، فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللسماء منه دقائق متمادية، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكي يرمي ببصره نحو الشمال، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتناثرة هادئ ساكن وادع، كأنما يتحدث بنفسه إلى نفسه، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح. ما كان يلبسنا فيما نأخذ فيه من اللهو والمزاح، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء، أو حينما نتنفّس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة^٢ ومن الممكن أن يقال إن شوقياً كان قوة من القوى التي وقفت في وجه الاستعمار، واستطاعت أن تؤدي رسالة من رسالات الوطنية والحرية... ويروى عن شوقي، أنه

^١ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة ونصوص، ص ٥٧ - ٥٨.

^٢ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٢.

كان في مرحلة الدراسة منظوياً على نفسه؛ وهي انطوائية شاعرية تحمل الفتى الوسيم المتألق العيون على التغلغل في أعماق نفسه الإنسانية، لاستكشاف مبهمات ومعمياتها، وليست انطوائية امرئ يتحسس في ذاته نقصاً، أو يشعر بعقدة نفسية تُبعده عن الآخرين، وإذن هي انطوائية إيجابية خلاقة يُصرُّ الشاعر على ولوج أبوابها، والتسلسل الى دهاليزها، وما هي انطوائية سلبية تواجه الحياة عن طريق الهرب من حقائق الحياة، بل هي السبب الرئيسي في بروز الروح الوطنية والإحساس بآلام البشر ومشاعره نحو الحرية وغيرها من تطلّبات المجتمع^١.

إن الشخصية الغريبة التي كوّنت وجود أحمد شوقي، تأثرت بعوامل مختلفة، تجمع التضادّ المتألف والمتباعد، بين الانسجام والتنافر، وتظهر الحالة النفسية التي يعيشها مضطربةً حائرةً في أغلب نواحيها، فلمّا توخّد نزعاتها وجهةً مسيطرة^٢.

وكان لشوقي من الذكاء، ما يجعله يهتدي إلى الطرق التي توصله إلى الشاعرية الحقّة. ولذلك تأدّب بآداب الغرب، حيث انتقى من كل شاعر جيّد ما نظم وفي ذلك يقول صاحب تاريخ الأدب العربي: "فراقه من أبي نواس مثلاً وصف الخمريّات والغزليات، وراقه من البحري صفاء الخيال ودقة الصور وجمال الوقع الموسيقي، وأعجبه من المتنبي وأبي تمام احتفالهما للمعاني الرفيعة والسعي في إصابتها، ولو بجهد

^١ عطوى، فوزى: أحمد شوقي شاعر الوطنية و المسرح و التاريخ، دار الفكر العربى، بيروت ١٩٨٩م، ص ١٤٩.

^٢ الفاخوري، حنا: الجامع فى تاريخ الأدب العربى(الأدب الحديث)، ص ٩٨٥.

النفس، وشيوع الحكمة والأمثال في شعرهما، كما أعجبه منهما قوة الشخصية التي لا تتقيد بغل...^١

وتبلورت معالم الثقافة في شخصيته الشعرية، حين أطلع على الآداب الغربية، ولاسيما الفرنسية منها...ومن الشعراء الغربيين الذين نفخوا روح الحرية في شعره، فكتور هوغو (١٨٠٢-١٨٨٥ م) سيد الرومانطيقية المطلق، وصوت فرنسا الصارخ بالدعوة إلى كل ما يعزز الحرية ويطلقها من عقالها.^٢

كان أحمد شوقي رجل الحياة يحبها ويتهالك على متعتها، وكان كريم اليد، يميل إلى مساعدة ذوي الحاجات، ولئن تقلب في سياسته فإنه كان في أعماقه ابن مصر البارّ، وابن الشرق العربي في غير استثناء، يريد لبلاده عزاً وحرراً من كل قيد، ويريد للشرق تقدماً سريعاً في سبيل الحضارة والانفتاح؛ ولئن كان سريع الملل من الأصدقاء، سريع التقلب والغضب، فإنه كان طيب المعشر، سريع الرضا، ولئن كان شديد النظير والجزع من المرض فإنه كان إنسانياً إلى أقصى حدود الإنسانية، يدعو إلى نبذ الأحقاد، ونشر لواء السلام، والتسامح في معاملة الناس، والارتفاع عن مقابح الأخلاق السيئة، والإبتعاد عن نزوات القبلية وصراعات المذاهب المختلفة.^٣

لم يكن من المستغرب في شيء، والحال هذه، أن تنعكس آثار قابلية التجدد والتطور في نفسية أحمد شوقي الذي اكتسب ذكاءً في الطبع، وفرطاً في الحياء ورجاحة في العقل، وأصالة في الرأي، حتى

^١ الحر، عبد المجيد: أحمد شوقي أمير الشعراء و نغم اللحن و الغناء، ص ٧١.

^٢ المصدر نفسه، ص ٧٢.

^٣ الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، ص ٤٣٩.

تتكب عن طريق الهجاء، أكثرًا من المديح، كأنى بإيليا أبي ماضي،
الشاعر المهجري الكبير يردّ على خصوم شوقي، إذ يقول :
وَ الَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلًا^١

وقد عقد الأمير شكيب أرسلان فصلاً في كتابه شوقي أو صداقة
أربعين سنة عنوانه: عفة لسان شوقي و بُعدُه من الهجاء قال فيه: "إنه
كان أسرف في المديح، وفي مديح أمير بلاده، خاصة، فلم يلوث شعره
بالهجاء، ولم أسمع له قصيدة يهجو بها أحداً...فعفة لسان شوقي،
وتتكبه طريقاً طالما سلكها شعراء كبار وصغار ومتوسطون، دليل
على زكاء طبعه وفرط حيائه، وأيضاً على راحة عقله وأصالة رأيه.^٢
كما لم يكن من المستغرب أيضاً أن تنفجر عبقرية شوقي، ابن الدماء
العريقة المتمازجة، المتناهية إليه من شعوب عرفت بالإبداع...ولاسيما
العرب واليونان؛ حتى لقد وفق محمد سعيد العريان إلى إبراز ذلك
الدوي الهائل الذي تركته عبقرية شوقي المتفجرة في الأمة العربية
خاصة، وفي الشرق عامة حيث يقول :

كان شوقي رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق، مايلفظ من قول
إلا لقفته الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية، تنشده وتتغنى به
وتضربه مثلاً، وما أحسب شاعراً في الأمة العربية منذ كانت وكان
الشعر، قد ذهب صيته في الناس حياً مذهب شوقي أو بلغ مبلغه؛ وقد
كان حقيقاً بما بلغ، لا من أنه شاعر العربية الأول، ولا من أن الأمة
العربية قد عقلت فلم تنجب مثله في تاريخها المتطاوّل، ولكنه جاء
على فترة انقطع فيها أمل الآمل في نهضة الشعر العربي بعد ما ناله

^١ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، ص ٩.

^٢ شرارة، عبد اللطيف: شوقي دراسة تحليلية، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٢.

من الانحطاط والركّة وضيق المذهب وسوء التناول. وكأنما كان البارودي من قبله إرهاباً له ودعوة إليه وتنبهاً الى فضله ومكانه.^١ يقول عبداللطيف شرارة : "إن من جملة المآخذ على شوقي أنه كان ينافح عن الإسلام، ويدعو الى الأخذ بتعاليمه، ويندّد بمن تخلّوا من جوهره، واصطنعوا مظاهره، بينما كانت حياته الشخصية غارقة في اللذائذ، متهالكة على المتع، تعبّ من نعيم الأرض ولا ترتوي والواقع أن شاعرية شوقي انبثقت عن القطب الموجب في اتجاهه وهو حب الحياة، والقطب السالب، وهو الإيمان بالقيم الأخلاقية الدينية، وعاش أيامه على هذه الأرض، وهو يترجّح - ولكن بهدوء واتزان - بين هذين الجانبين المتعارضين، دون ان يوفّق إلى صهرهما في وحدة متماسكة. ولا يبعد ان تكون التبعة في هذا الترّجح واقعة على عاتق الترف الذي تميزت به حياة شوقي، وأن تكون البيئة الارستقراطية الذي نشأ وسطها هي المسؤولة عن جانب التعميم والسطيحة الذي طغى على تفكيره و أدبه.^٢

قال الشيخ عبدالعزيز البشري ممن عاصروا شوقي (توفي عام ١٩٤٣م) عن مكانة شوقي وأوج قدره في كتاب قصة الأدب في مصر، من كتابات محمد عبدالمنعم خفاجي: "لقد خرج في هذه الدنيا شعراء ما أحسب أحداً منهم كان يستطيع ألا يكون شاعراً. لقد تتصل الشاعرية بالطبع والجبلة، وليس بملك المرء أن يخرج عن جبلته وطبعه. ولست أجد مثلاً أضربه لهذا الطراز من الشعراء أبلغ من أبي نواس في الغابرين، وأحمد شوقي في المحدثين. وأغلب اعتقادي أن الشاعر من هؤلاء حين ينزل عليه الشعرا لا يقدر على صرفه عنه أو حبس

^١ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، ص ١٠.

^٢ شرارة، عبد اللطيف: شوقي دراسة تحليلية، ص ١٦ - ١٨ بتلخيص.

لسانه... هؤلاء يطلبهم الشعر أكثر مما يطلبونه ويتجردون في إصابته

حينما كتب حسين - نجل أمير الشعراء - قصيدة وعرضها على شاعر النيل حافظ ابراهيم وجدها أنها لا بأس بها، وأن صاحبها يرجي منه، فقال حافظ: أتعلم يا شوقي أن ابنك يرجي منه؟... عليك أن تتعهد، ليكون شاعراً مطبوعاً! قال شوقي: إني أفضل أن يعنى هو بالنثر لا بالنظم، لأنّ الشعر لا يتحمل الوسط وحسين لن يبلغ فيه القمة... لماذا بربك تريد منه أن يكون المسكين شاعراً؟ لماذا؟ أليشقى مثلنا ويحرق أعصابه...؟

هذه الحادثة البسيطة ترينا أن شوقي يعتبر الفنان الحق هو الذي يجيد فنه أجادة تامة وإلاجادة معناها أداء الرسالة الفنية على أكمل وجه مستطاع، وإدراك ما يحيط بالفن من ظروف وملابسات... لأن الحالة الوسط ستدفع الى التصنع والتكلف... وهذه الحادثة أيضاً تكشف لنا عن شيء هام في حياة شوقي الشعرية... إن عبارة أليشقى مثلنا ويحرق أعصابه؟ تدلنا على ضخامة المسؤولية التي يحسها شوقي تلك المسؤولية التي تلح عليه ليل نهار، وتلازمه كل لحظة من لحظات حياته.^٢

ومن أسباب تفوق شوقي والمؤثرات في شعره يمكن الإشارة إلى أعلام الشعراء قبله وهم: عبدالله فكري ومحمود سامي البارودي وإسماعيل صبري. فدلته الموهبة عليهم وعدل من فوره إلى احتفائهم، وانتهاج طريقهم في تجويد الشعر... بالاحتفال للمعاني وعدم استهلاكها في سبيل البديع، صنع أكثر من يقوم في العصر من الشعراء. وكان في

^١ عبد المنعم خفاجي، محمد: قصة الأدب في مصر، ج ٥ ص ٥٥.

^٢ الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، ص ١٤٨ بتلخيص.

ربيعان شبابه كلما قال مقطوعة من الشعر، عرضها على إسماعيل صبري وهو شاعر قد بلغ الذرورة في دقة الذهن وكمال الذوق، فلا يزال يعالج ماعسى أن يقع من قلق في اللفظ، أو انحراف في المعنى... وتلك سنة كثير من الشعراء من قديم الزمان. وشوقي فوق هذا شديد الإكباب على قراءة الكتب عامة، وكتب الأدب والشعر خاصة. ومن أعظم من عني بقراءة دواوينهم، واستظهار أشعارهم، وسلك دربهم: أبو نواس وأبو تمام، والبحثري والمتنبي. وقد ظهر أثرهم على شعره، فكان أثر كل منهم فيه بيتاً وإنك لتلمح فيه حلاوة أبي نواس ودقة وصفه وافتتانه في الخمریات... أما أثر متنبي في شعره ففيما ترى من شيوع الحكمة و الإكثار من ضرب المثل.^١

والموضوع الذي يسترعى انتباهنا في محور شخصية شوقي هو ما يقال إن شوقي كان غيرياً لا ذاتياً وكأنه يعيش لغيره، ولا يشعر بنفسه في أطوار حياته، في هذا الإطار نأتي الى حديث لطيف من الدكتور شوقي ضيف حيث يقرّر ويعقب على الموضوع مميطاً اللثام عن جانب بالغ الأهمية في شخصية شاعرنا:

"إن من خصائص شوقي الأساسية أنه لا يشعر بنفسه شعوراً كاملاً في فنه، وكأنه يحس دائماً أنه يعيش لغيره وقد بدأ حياته الفنية بإخضاعها للخديوي ومذائحه ما زال حتى حقق أمنيته، فعاش له حتى في غزله ووصفه للخمر، إذ نراه يخضعهما في مقدمات مذائحه، ولا يفردهما بمقطوعات خاصة إلا نادراً، وفصل عن هذا الأمير وقصره، ومع ذلك لم يعد إلى نفسه.

فشوقي ليس من الشعراء الأثرين الذين تتطبع في شعرهم حياتهم الخاصة وإنما هو من الشعراء الغيريين إن صحّ هذا التعبير، قد وهب

^١ عبد المنعم خفاجي، محمد: قصة الأدب في مصر، ج٥، ص ١٦٤ بتلخيص .

فنه وشعره لا لنفسه وإنما لغيره. ولكن من يكون هذا الغير بعد الخديوي عباس لقد ظل بإسبانيا نحو خمس سنوات وهو في تيه من الحيرة، لا يدري بمن يربط شعره ولذلك قلّ هناك شعره قلة كثيرة، فلما رجع إلى مصر. وقد وجد الشعب المصري قد نهض من كبوته، ونفض الغبار عن عينيه، وبدأ خطأ مستقيماً لنهضة مباركة، أحس أنه وجد القطب الذي يربط به نفسه، فعاش في هذه الحقبة يختلط به في النوادي والأسواق ويحاول أن يعبر عن حياته ومشاعره.

وإذن فمن الوجهة العامة احتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصته الفنية المميزة له، وهي أن يكون شاعر غيره، كان شاعر عباس، فأصبح شاعر الشعب المصري، بل شاعر الشعوب العربية كلها، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وماتكون فيه من جهاد وثورات. أما نفسه فإنه لم يفرغ لها قديماً ولا حديثاً، إذ كانت طبيعته الفنية تقتضيه دائماً أن يخضع لغيره في صنع شعره، وإذا كان أميره القديم عباس قد انتهى وانتهت دولته فليتخذ له أميراً جديداً هو شعبه، بل ليتخذ له أمراء جديداً مختلفين، هم شعوب العالم العربي. وأمراؤه في هذه المرة لا يملؤون حجره ولا جيبه ذهباً. فهم لا يملكون الذهب، وإنما يقدمون له حباً وعطفاً وقلوباً أغلى من الذهب وأثمن، ولعل هذا ما جعل شعره يفيض بالعاطفة، فهو يبادل هذه الشعوب شعورها نحوه... وكل ذلك بعث فيه نزعة ديمقراطية، ولا نشك في أن أغانيه التي صدح بها عبد الوهاب جزء من هذه النزعة، فهو فيها لا يغنى نفسه، وإنما يغنى شعبه، ولعله من أجل ذلك نزل عن أسلوبه العربي الفصيح ليغني أميره المصري الجديد، إذ الشعب إنما يألف لغته العامية البسيطة السهلة، وإذن فليهبط له حتى ينال كل ما يريد من استحسانه، وحتى يقع من هواه الموقع الذي يصبو إليه. ونجح شوقي فجرت أغانيه لا على لسان

عبد الوهاب وحده، بل أيضاً على لسان كل مصري، في القصر وفي الكوخ. وشدا بها الرجال والنساء والأطفال.^١

شوقي وشعره

وارتأيت إيراد كلمات من نجيب الكيلاني في كتابه شوقي في ركب الخالدين حيث يُصنّف سمات وأغراض شوقي الشعرية خير تصنيف وترتيب. أولاً يرفض الخيلاء والكبرياء والأثرة لدى شوقي والتباهي بشعره وفي القسم الثاني توضح أن شوقي يزهو ويعتز بشعره وينظر إلى الشعر نظرة إجلال وإكبار والثالث بما أن كثيراً من النقاد تحاملوا عليه في مدحه واعتبروه زائفاً فارغاً يأتي برأي شوقي حيث يقول : إن من كريم الخلق أن نمدح الرجال المخلصين الذين يخدمون بلادهم ويبادرون بالتضحية من أجلها.

كان شوقي يعتد بشعره لا اعتداد غرور وكبرياء بحيث يصم أذنيه عن كل نقد ويترفع عن أي توجيه ويركن إلى الكسل والهراء اعتماداً على ما وصل إليه من منزلة وإنما اعتداده كان نوعاً من الحب، حب الوالد لولده و الفنان لفنه، لأن الولد بالنسبة لوالده قطعة منه، والفن بالنسبة للفنان قيس من روحه، فلا ضير أن يفخر شوقي بولده الموفق الذكي الألمعي أعني شعره... والأقدمون يقولون :

وَمَاذَا يَضِيرُ الْمَرْءَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ بِكَذُوبٍ؟...

ويرى شوقي أن الشعر قد يقرب من منزلة القداسة، إذا ما شغل نفسه بكبريات الأمور وعالي القيم، واختار لنفسه رسالة منزهة عن الصغائر، بعيدة عما يشينه، واعتصم بالأخلاق.

^١ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣٩-٤٠ بتلخيص.

وَالشَّعْرُ إِنجِيلٌ إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وَاسْتَرِ عَوَارٍ ...
ومن هنا كان شوقي يرى أن الشعراء لما في شعرهم من حكمة
وما في ألحانهم من عاطفة صادقة وإحساس جياش هم أقوى الناس
إنسانية!

والمدح تلك النعمة القديمة التي يحمل عليها الشعراء المحدثين،
ويرونها لوناً من الرق للشعر، وضرباً من ضروب السخرة والهوان
لكرامة الفن يفلسها شوقي ويمنطقها حينما يعتقد، فيقول: إن خلق
الوفاء يلزمنا إلزاماً بأن ننثني على الرجال المخلصين الذين يخدمون
بلادهم ويضحون في سبيلها، وفي تمجيدنا لهؤلاء الرجال إنما هو
تمجيد للفضائل، وتمجيد لبلادنا التي أخرجت مثل هؤلاء الرجال، ثم إن
نشر تلك الفضائل في شعر المدح، ما هو إلا نشر للمثل العليا، ودعوة
إلى الشباب كي يسيروا على نهجها ويحاولوا تقليد أصحابها عن عقيدة
وايمان :

رُبَّ مَدَحٍ أَذَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلاً وَأَتَاهُمْ بِقُدْوَةٍ وَامِثَالٍ
إِنَّمَا يَقْدَرُ الْكَرَامَ كَرِيماً وَيَقِيمُ الرَّجَالَ وَزْنَ الرَّجَالِ^١
وقال شوقي ضيف: "وشعره ينقسم قسمين واضحين: قسم قبل منفاه
وقسم بعده، وهو في القسم الأول يعيش في القصر ويسوق شعره في
قيود هذه المعيشة، فهو شاعر الخديوي عباس الثاني، وشعره يكاد
يكون مقصوراً على ما يتصل به من قريب أو بعيد، فهو في جميع
المناسبات، وهو يُشيد له بالترك والخلافة العثمانية.

وهو في ذلك يسير سيرة الشعراء القدماء وإن كان يتأثر بالثقافة
الأوربية. وقد حدث في هذه الحقبة من حياته تطور في فنه، كالذي كان
يحدث عند شعراء العصر العباسي فهو يُعنى أحياناً بالأوزان القصيرة

^١ الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، ص ١٥٦-١٥٩ بتلخيص.

وبوصف الرقص والخمر. وحدث تطور آخر أعمق من هذا التطور إذ تأثر - كما مرّ بنا - بشعراء الغرب في شعرهم التاريخي وما كانوا يقولونه في أطلال اليونان والرومان، فنظم قصيدته: كبار الحوادث في وادي النيل وهي أم قصائده الأولى.

وشوقي في كل ذلك لم يكن يعني بالجمهور عناية دقيقة، فهو شاعر القصر، وهو بعيد عن الجمهور بحكم أسرته الارستقراطية وبحكم وظيفته الرسمية. ومع ذلك لا بد أن نحدّد من هذا القول وأن لانطلقه إطلاقاً، فإن شوقي طبع ديوانه للجمهور طبعته الأولى في سنة ١٨٩٨م. وكان ينشر شعره في الصحف، ونفس أميره كان يفكر في الجمهور، ومن هنا حدث تطور حتى في مدائحه، إذا كان يراعي فيها مناسبة تهمّ الجمهور، كأن يفتتح عباس مدرسة أو يأخذ بنظام الشورى في حكمه أو يغاضب الإنجليز في سياسته. وكان يمدّ آفاق شعره إلى حدود أبعد من ذلك خارج وطنه، إذ كان يعتصر في بعض مدائحه اللحن الإسلامي الذي يهم المسلمين في جميع الأقطار على نحو ما نرى في قصيدته التي مدح بها عباساً حين حجّ إلى بيت الله. ولعل ذلك ما جعله يصوغ قصائده في مديح الرسول حتى يرضي عواطف قرائه الدينية، وأشاد مراراً بعيسى ليرضي قراءه من المسيحيين وله وقفات نبيلة يدعو فيها المصريين إلى توحيد صفوفهم من أقباط ومسلمين.

ويعود من المنفى بعد الحرب، فيجد الشعب في ثورته السياسية، ويجد أبواب القصر مغلقة من دونه فيتجه إلى الجمهور... على كل حال أهمّ ما يميز شعره شوقي في هذه الدورة الثانية من حياته أنه تحول من القصر إلى الشعب، فصوّره في آماله الوطنية وحركاته السياسية، ولم يعد شاعراً تقليدياً، بل أصبح شاعراً شعبياً، ولكن بطريقته الفنية الخاصة، وهي طريقة لم تعد تعتمد على معارضات الشعراء القدماء،

وإنما تعتمد اعتماداً عاماً على الجزالة والمثانة. ومن خير ما قاله في هذه الفترة قصيدته التي نظمها في سنة ١٩٢٤م. يدعو فيها الأحزاب إلى الاتحاد والإئتلاف، ومطلعها :

إِلَامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا ؟ وَهَذِي الضُّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَا مَا ؟

وفيها صور تطاحن الأحزاب على كراسي الحكم ونسيانهم لمصالح الأمة العامة في سبيل مصالحهم الخاصة. وليس هناك مفاوضة يذكر فيها السودان إلا وينادي شوقي بالمحافظة على الإخوة الأشقاء و تخليصهم من برائن الإستعمار...وللمخترعات العصرية صحف مختلفة في دواوينه، نظمها بداعي هذا التحول الذي تحدثنا عنه مراراً في الشعر، إذ أصبح جزءاً من الصحافة الحديثة، وأصبح يتناول موضوعاتها المختلفة من أخبار وأحداث، وربما كان ذلك هو الذي دعاه ليرثي تولستوي وليحيي ذكرى شكبير.^١

في المنفي وحياته الجديدة

دخل شوقي مرحلة قاسية من حياته، مرحلة لم يكن له بها عهد، مرحلة تساوى الهبوط من الجنة على الأرض فالذي طالما تمتع بإمكانيات عالية و كان بملء الرفاهية في حياته وعاش عيش الدعة والرخاء فلم يذق مرارة البؤس والشقاء ، عزيز عليه أن يبعد عنها دفعة واحدة ولكن هذا المقطع من حياة شوقي مفعمة بالدروس والعبر والتي لم يكن من شأنه استخلاصها و التزود بها إذا واصل حياته الرتيبة في القصر بعيداً عن مطامح الشعب و تطلعاتهم. جاءت هذه الفترة العصيبة ليجعل من إنسان رخو مرتاح البال من المشاكل المحيطة بالناس، شخصاً ملؤه الإرادة والصمود أمام المحتلين والتعاطف مع الناس إذن

^١ ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٧-١٢٠ بتلخيص.

هو الشوقي قد اقتحم مرحلة في غاية الصعوبة، شأن ملك نزعوه عن عرش الملك، يذوق الأمرين، إلا أنها معبرة ومليئة بالعبر والعظات والتجارب: نلاحظ معاً كيف أن شوقي ضيف يسرُّ هذه الأحداث :

" أملت بمصر أحداث كبرى تنزع شوقي في أثائها من أحضان سجن القصر الذي لطالما كان محبباً إليه، حين أعلنت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤م. وكان عباس غائباً عن مصر بتركيا، فأعلنت انجلترا حمايتها على الوطن، وأبت على عباس أن يعود إليه، وأقامت مكانه السلطان حسين كامل، الذي يكنّ لهم ولاءً ووفاءً وأخذت تحول بين حاشية عباس وبين القصر، وخاصة ذوى الزلفى والخطوة الاولى منهم وكان شوقي في مقدمة من يعدّ المحتل حركاتهم ويراقب خطواتهم وكان يظهر وفاءً للعهد القديم... فصاغ قصيدته المعروفة :

أ أَخُونُ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وُلِدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَ

وشوقي بأشعاره أثار خيفة وارتياعاً في قلوب المستعمرين وثاروا لهذا النذير، وأوجسوا خيفة من تأثير شعره في نفوس المصريين فأمروا بنفيه من البلاد.^١

لم يكن الإنجليز من الغباء بحيث لا يدركون أن شوقي كتيبة وحده، وجيش بمفرده، وإن امتشق القلم دون السنان، وتذرع باللسان دون السيف وكلاهما معركة تستحق العناية والاهتمام، وما الحركات الفكرية الموفقة إلا إيذاناً بالتعبئة الروحية التي لا غنى لشعب من شعوب العالم عنها. أصبح وضع شوقي إذن خطراً على الاستعمار ونفوذه، وأصبحت قصائده شعاراً على الثورة والكراهية المضمرة ضد الانجليز، و أصبحت غيرته على وحدة العرب، وجمع كلمة المسلمين مما يهدد كيان المحتلين في فترة حرجة، من فترات حياتهم، ألا وهي فترة الحرب التي

^١ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٣١ بتصرف.

اتسعت رقعتها حتى شملت معظم أقطار العالم. وكان لابد من عمل شيء ما... وصادر أمر السلطات الإنجليزية بنفي شوقي خارج الديار المصرية! فعزم شوقي على الرحيل إلى برشلونة عام ١٩١٥م...^١ وبقي في بلاد الأندلس حتى وضعت الحرب أوزارها فعاد وأسرته إلى مسقط رأسه.^٢

ورفعت السفينة سلاسلها من بور سعيد، وألقت بشوقي وأسرته على ساحل إسبانيا في برشلونة، فنزل في فندق فيها، ثم أقام في ضاحية جميلة من ضواحيها... وعلى هذا النحو لم يعد شوقي يحيا حياته الرتيبة التي كانت تبدأ من كرمة ابن هاني إلى القصر... فهذه الدورة من حياته قد دخلت في عالم الظلال إلى غير رجعة، وخلفتها دورة جديدة. انتقل فيها الشاعر إلى عالم النور، حيث لآترهقه قيود القصر وأغلاله ولا أفاعيه وسمومه. أجل! هذه الدورة استقبلها شوقي بالحزن والألم لفراق الوطن. وقلة المال وتعذره أحياناً بسبب الحرب. ولم يكن شوقي قبل ذلك يعرف الحزن، فقد كانت حياته تجري على وتيرة واحدة من اللهو والفرح. فلما حيل بينه وبين عشه أحسن بغير قليل من الألم... ولم يمكث أحمد شوقي رهيناً للهموم والأحزان، في دارته بضاحية برشلونة بل اغتتمها فرصة مناسبة ليجوس رحاب بلاد المجد المفقود ويعيش مع العرب الأماجد، عبر صفحات التاريخ التي خطت في ما تبقى من قصورهم ومساجدهم ومدارسهم ويرافق موكب انتصاراتهم الظافر.^٣

إن شوقي كانت عاطفته الإسلامية عميقة ولذلك فقد صدق الولاء للدولة العثمانية صاحبة الخلافة ثم هو لا ينسى أصله التركي وما يبعثه

^١ الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، ص ٣٢.

^٢ شرارة، عبد اللطيف: شوقي دراسة تحليلية، ص ٢٣ بتلخيص.

^٣ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، ص ٢٩-٤٠ بتلخيص.

من ولاء للأتراك. ولكنه مع ذلك أحبّ وطنه مصر حباً عظيماً وحنّ إليه صادقاً أيام كان منفياً في الأندلس.

يَا سَاكِنِي مِصْرَ إِنَّا لَنَزَالُ عَلَى
هَذَا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ
كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ آسِنَةٌ
وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ
عَهْدُ الْوَفَاءِ وَإِنْ غِبْنَا - مُقِيمِينَ
شَيْئاً نَبْلُ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَ^١
مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إلَّا عَنْ أَمَانِنَا
نَازَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي^٢

وكما تركت رحلته الدراسية في خطته وعقليته ومنهاجه أثراً لا يمحي، وخطوطاً بعيدة الغور في حياته ونظراته، فكذلك كانت فترة المنفى، تلك التي زادت نضوجاً في أفكاره، وحدة في ذهنه، كما زادت إرهافاً في حسه، وإلهاباً في عواطفه، فدخل حقولاً جديدة للتجارب المريرة، والتقى بصعاب جمّة أيقظته على حقائق جليّة، وعبرهامة...^٣

عودته من المنفى

لقد كانت نشأة شوقي نشأة ارسنقراطية اذ عاش في القصر وتربّى في أحضانه، فنشأ بعيداً عن الشعب وآلامه وآماله... ولكن الأحداث استطاعت أن تخلق من ربيب القصر رجلاً آخر... اذ لو سارت الأمور في مجراها العادي، لعاش شوقي ومات وهو لا يخرج عن كونه شاعر الأمير كما كان يطلق عليه. ولكن شوقي بعد أن قضى في الأندلس مدة طويلة منفياً، تقطعت فيها نياط قلبه شوقاً وحنيناً إلى أرض الوطن

^١ الصّدَى: شدّة العطش، صَدِيّ يَصْدِي صدًى، فهو صَدْبٌ و صَادٍ - بَلٌ من مرضه يَبْلُ بَلًا و بَلَلًا و أَبْلٌ: برأ و صنع (لسان العرب).

^٢ قَبَشَ، أحمد: تاريخ الشعر العربي الحديث، ج ١، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ، ص ٨١.

^٣ الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، ص ٤١.

الغالية التي فضلها على جنة الخلد وكيفما كان الأمر، فإن شوقي قد صهره النفي والتشريد، فعاد إلى الوطن، ليس جباناً متخاذلاً يرهب بطش الحديد والنار وإنما نائراً حراً كريماً وعاش حتى نهاية العمر يتغنى بالوطنية والحرية ..^١

عاد شوقي من منفاه في الأندلس لا ليلتحق من جديد بقصر أسرة محمد علي، وإنما لينطلق في الآفاق الرحاب التي تتسع لشاعريته. وصحيح أن شوقي غاب عن وطنه، فأقام على حنين دائم وشوق لاهب، يحمل إليه الذكريات الملاح، وتطوف الخيالات في خاطره، أشباحاً ترسم أمام ناظريه معالم العذاب القومي الذي تحسسه مصر، حكماً ومحكومين، وتبرز آثار المذلة التي ترتع في ظلها بلاده، على أيدي جلادي انكسار وجلالوتها وعملائها، ومن حالفهم من دول أوربية استعمارية غاشمة ولكن الشعب المصري لم يكن، طول تلك الفترة مكتوف الأيدي، متفرجاً ينظر إلى الأحداث دون أن يتدخل فيها بل راح يناضل نضالاً مستميتاً ويزود عن كل شبر من أرضه، ضد اغتصاب المحتلّين.

وهكذا تخضّب ثرى مصر بدماء بنيها، وكتب الشعب المصري ملاحم البطولات بما قدّمه للأمة من ضحايا وقرابين، فكانت هذه الأحداث الجسام التي ألّمت بوادي النيل سبباً يضاف إلى جملة الأسباب الأخرى التي دفعت أحمد شوقي إلى حبّ بلاده وإلى حب شعبه والعطف على قضاياه، ومن ثم على قضايا الشعب العربي، في مختلف أقطاره.

وهكذا حدث انقلاب نفسي ووجداني في شخصية شوقي وانعكست آثار هذا الانقلاب على شعره، و آلت ارسنقراطيته القديمة الى

^١ عبد الحليم، أحمد زكي: أحمد شوقي شاعر الوطنية، ص ١٦-١٧ بتلخيص.

ديموقراطية حديثة، فلم يكتف بأن بارح دارته في المطرية الى الجيزة ولم يكتف بتكحيل ناظريه، في منزله الآخر بالاسكندرية بمنظر البحر الساحر الذي طالما علقت ذكريات منه ملاح، في ذهنه وهو في ضاحية برشلونة، أيام المنفي بل تراه يثور على شعره القديم، ويخاطب شباب مصر بمثل هذه اللغة :

شَبَابَ النَّيْلِ إِنَّ لَكُمْ لَصَوْتًا مُلَبِّي، حِينَ يَرْفَعُ ، مُسْتَجَابًا
فَهْزُوا الْعَرْشَ بِالذَّعَوَاتِ، حَتَّى يُخَفَّفَ عَنْ كِنَانَتِهِ الْمُصَابَا !^١

ولبت شوقي بعد عودته من المنفى، ينظم الشعر على هذه الشاكلة، حتى ذاعت شهرته أيما ذبوع، وطار له صيت عظيم في جميع أقطار البلاد العربية، بعد ما جعل شعره غناءً يترنم به العرب في كافة أقطارهم وبعد ما غدا ممثلاً مصر، في أفراح العرب وأتراحهم.^٢

ولم يغنّ مواطنيه وحدهم أهواءهم وعواطفهم السياسية، بل أخذ يغني الشعوب العربية أهواءها وعواطفها القومية، وله في ثورات سوريا على الفرنسيين قصائد باهرة. ولا نبالغ اذا قلنا أنه كان بشيراً بفكرة الجامعة العربية التي تأسست من بعده فشعره في هذه الدورة من حياته يفيض بالوحدة العربية وأن العرب جسم واحد إذا اشتكى منه عضوتها ذاعت له سائر الأعضاء بالسهل والحمى، ومن أبياته الدائرة في نوادي العرب ومجالسهم قوله:

وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْقُصْحَى بَنُو رَحِمٍ وَنَحْنُ فِي الْجُرْحِ وَالْآلَمِ إِخْوَانُ
و قوله :

كُلَّمَا أَنْ بِالْعِرَاقِ جَرِيحٌ لَمَسَ الشَّرْقُ جَنْبَهُ فِي عُمَانِهِ^٣

^١ عطوى، فوزى: أحمد شوقي شاعر الوطنية و المسرح و التاريخ، ص ٢٤- ٢٥.

^٢ عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، ص ٥٥ بتلخيص.

^٣ ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٢- ١١٣.

شاعر الأمير أو أمير الشعراء

لم يشهد الشعر العربي الحديث مجداً كالمد الذي عاش فيه على يدي أمير شعرائه أحمد شوقي، لقد حمل لواء الشعر أربعين عاماً والشعراء يسرون وراءه في جميع الأقطار العربية كما يقول الدكتور أحمد حنيف: إذ كان منحة أجيال كما يقول الدكتور علي العناني، وفاخر به جيله الأجيال كلها إذ حاز الشرف الأكبر بظهور أمير الشعراء فيه، وفي ذلك ما فيه من معاني المد الدائم لمصر في هذا العصر، كما يقول شيخ العروبة أحمد زكي باشا (الأهرام ، ٥ ديسمبر ١٩٣٢)، بل لقد نبه الجيل كله بشوقي، وعقد شعره على جبين مصر تاج الزعامة في الشعوب العربية كما يقول علي محمود طه، وكانت طاقة شوقي الفنية ضخمة وموسيقاه أعذب في جملتها من موسيقى أكبر شعراء العربية كالمصطفى، إذ كان في مجمل شاعريته وآثاره مرحلة تقدمية في الشعر العربي الحديث كمال يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي. وقد فاق شعراء عصره ومن قبلهم من بعد القرن الرابع الهجري بمعانيه المبتكرة التي كانت ثروة للعربية وآدابها كما يقول أحمد الإسكندري، وناهيك بعصرية شوقي التي اعترف بها جميع الأدباء، والنقاد في عصر شوقي وبعد عصره والتي كانت كمنجم الماس يمتليء بالثراء دون حدود.^١

حقاً، لقد كان شوقي شاعراً للوطنية ورائداً من روادها الأوائل. انعقدت له الزعامة على دولة الشعر في العصر الحديث وجاءت جميع الوفود من كل البلاد التي تنطق الضاد مبايعة شوقي بإمارة الشعر، فأصبح شاعر الأمير، أمير الشعراء وهو لم يكسب هذه الإمارة من

^١ عبد المنعم خفاجي، محمد: الأدب العربي الحديث، ج١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

وضعه الاول وإنما بعد مكانته التي أتاحت له حقاً أن يكون أميراً للشعراء في عصره.^١

وبمثل هذا الشعر الذي نظمه في العرب، وبما نظمه من سياسيات ووطنيات في قومه (شباب النيل إن لكم لصوتاً....، كلما أن بالعراق جريح...) احتل شوقي مكانة مرموقة في سنيه الأخيرة، فلما أعاد طبع ديوانه الشوقيات في سنة ١٩٢٧م. أقيم له حفل تكريم عظيم اشتركت فيه الحكومة المصرية والبلاد العربية، إذ قدمت منها وفود مختلفة تمجد شاعر مصر وتشيد بعقريته ونبوغه. وقد وضع الشعراء في هذا الحفل على مفرقه تاج إمارة الشعر لا في مصر وحدها بل في سائر الأقطار العربية.^٢ وبويع فيه بإمارة الشعر على لسان حافظ ابراهيم، شاعر النيل الذي ألقى قصيدة جاء فيها:

بَلَابِلَ وَادِي النِّيلِ بِالمَشْرِقِ اسْجَعِي

بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَعِي

أَعِيدِي عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ

يَرَاعَةُ شَوْقِي فِي ابْتِدَاءِ وَمَقْطَعِ

إلى أن يقول :

أَمِيرَ الْقَوَافِي، قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا

وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي^٣

كلمة حول الإمارة

والواقع أن لنا حول إمارة الشعر كلمة، ينبغي أن نقولها بصراحة...إن إمارة الشعر، في رأينا، بدعة جديدة لم يعرفها الأدب

^١ عبد الحليم، أحمد زكي: أحمد شوقي شاعر الوطنية، ص ١٦-١٧ بتلخيص.

^٢ ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٣.

^٣ عطوى، فوزى: أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، ص ٢٥.

العربي إلّا في القرن العشرين وحسب، ولقد عرفها حتى الآن، مرتين، الأولى في مهرجان تكريم شوقي بالقاهرة، حين بايع حافظ إبراهيم زميله أحمد شوقي قائلاً: أمير القوافي، قد أتيت مباعاً... والثانية، حين بايع صالح جودت زميله بشارة الخوري (الأخطل الصغير) في مهرجان تكريمه ببירות، قائلاً: وعقدنا له لواء الإمارة.

نقول إنّ إمارة الشعر بدعة، لا انتقاصاً منها، أو من قيمة اللذين انعقد لهما لواؤها وإنما للتدليل على أنها ظاهرة طريفة لم يؤمن بها العرب، شعراء وأدباء وأشخاصاً عاديين، حتى في أقدم العصور. وأغرقها عهداً بالحكم الملكي الإقطاعي الذي يقيم الناس، ويصنّفهم ملوكاً وأمراء ووزراء ورعاة.

ولقد يكون مقام شوقي السياسي والأدبي واتصاله بقصور ملوك مصر، وما له من الدالة والسطوة، يومذاك، فضلاً من غزارة إنتاجه القيم، سبب تأميره على الشعر والشعراء في زمانه. كما قد يكون جهاد أبي عبدالله، الأخطل الصغير و وطنيته وشاعريته دافعاً إلى تأميره هو الآخر على لسان صالح جودت.

ولكن التكريم، أيّا كان مداه، لا ينبغي أن يصل إلى حد تصنيف الشعراء، وتقديم بعضهم بالألقاب على بعضهم الآخر، لأن شوقي والأخطل الصغير لم يكونا، في كثير من مجالات الشعر، أقدر وأبلغ أو أثبت قدماً في الفن والفكر، من غيرهم من الشعراء الذين عاصروهما. اذن، نحن مع التكريم حين يكون تقديراً لعبقرية رجل، وإكباراً لعطاء شاعر إنسان، و إذ ذاك تشترك الأمة كلها في التكريم والتقدير والإكبار. إما أن تصبح نتيجة التكريم تصنيفاً للشعراء، جارحاً، فذلك ما نحسب أن المكرّم ذاته هو أول من يرفضه معنا، ويتصدى له.^١

^١ عطوى، فوزى: أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، ص ٧٤-٧٥.

قيل إنّ إمارة الشعر العربي انتهى أمدها، والشعر ليس له دولة، وليس للشعراء أمير، ولا يقبلون أن ينصب عليهم أمير. وقيل: إنه ليس هناك عبقرية تضارع عبقرية شوقي حتى يصبح صاحبها أمير الشعراء ولما مات وكان حافظ قد رحل قبله بقليل إلى عالم الخلود كتب الدكتور طه حسين يقول: إن إمارة الشعر قد انتقلت بعد وفاة شوقي وحافظ إلى العراق لأن الزهاوي والرصافي كانا في عالم الأحياء... ولقد هاج هذا القول أدباء لبنان، وكتب أحدهم مقالاً انتقد فيه رأى طه حسين أشد انتقاد... وفي رأبي أن الشعر في مختلف عصوره قد تزعمه أمير، وإن لم يلقب بلقب الإمارة، ولم يصعد إلى عرش القريض:

- امرؤ القيس كان أميراً للشعراء في العصر الجاهلي.
- وحسان بن ثابت كان أميراً للشعراء في عصر المخضرمين.
- وجريز وفرزدق تنازعا إمارة الشعر في العصر الأموي.
- وبشار وأبونواس ومسلم وأبو العتاهية، وأبو تمام والبحثري والمتنبي، كل منهم كان أمير الشعر في زمنه، وكذلك ابن زيدون وابن خفاجة في الأندلس...

○ شوقي وحافظ ومطران في العصر الحديث.

فلقب أمير الشعراء كان موجوداً في الواقع، في العصور القديمة، وإن لم يكن لقباً رسمياً يلقب به شاعر بعينه، أو شعراء بأعينهم... أمير شعراء العصر هو الذي يجيد التعبير عن أزمت عصره، وآمال الجماهير وآلامهم، وعن أحلام البشرية في حضارة إنسانية رفيعة القيم... باللغات المعروفة لبني الإنسان... حضارة تتبني على الحب والإيثار والخير والشعور بالمسؤولية والإيمان بحقوق الإنسان.^١

^١ عبد المنعم خفاجي، محمد: الأدب العربي الحديث، ج ١، ص ٨٧-٩١ بتلخيص و تصرف.

نقد شوقي ونقاده

أول ما يدور في الخلد قبل الولوج بالبحث في نقد شوقي أن شاعراً بمكانته المرموقة هذه، وبذلك الأصداء الذائعة في أوساط الشعر والشعراء، من الطبيعي أن يطاله نقد النقاد وينهال عليه آراؤهم النقدية وإنما قل سهامهم المسمومة المصوبة إليه ويحاولوا النيل من رفيع مكانه وعظيم قدره وتحطيم صرحه المتين. وأن شوقي ليس هو الوحيد المستهدف خلال هذه الهجمات النقدية الشرسة بل يرافقه أمثال حافظ إبراهيم و خليل مطران، لكن الذي يحظى بالأهمية والعناية في هذا البحث بالطبع هو شوقي، أشعر شعراء عصره وذلك من خلال إذعان حافظ نفسه بتفوقه عليه وأخيراً أن ابتلاءات الرجال تأتي على قدر منزلتهم وكفاءاتهم .

ولقد هاجم مصطفى صادق الرافعي شعر شوقي بمقال مستعار التوقيع كتبه عام ١٩٠٥م. في مجلة الثريا، وقسم فيه شعراء عصره الى طبقات ثلاث:

- الأولى: جعل فيها البارودي، والكاظمي، حافظاً والرافعي نفسه...
- والثانية: جعل فيها صبري، وشوقي، ومطران والبكري، وأمين الحداد، ومحمد واصف، وشكيب أرسلان، وحفني ناصف...
- والثالثة: جعل فيها الكاشف، والمنفلوطي، واحمد محرم، ومحمد نجفي...

وقال في المقال إن شهرة شوقي ترجع الى خلو الجو له آنذاك، إذ كان الكاظمي في العراق، والبارودي في المنفى في سيلان، وحافظ في

سودان، والرافعي لم يكن قد شهر بالشعر بعد، وصبري كان مشغولاً
بغنائياته.^١

ونقد شوقي يمكن قصره على أدبه وشعره كما قرّره مصطفى
صادق الرافعي وسجلّه ويمكن بسطه بشموليّة أكثر حتى يطال مواقف
شوقي إزاء الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرّ بها شوقي في
مختلف الأدوار، مواقفه من قرارات القصر ومن سياسة الانجليز قبل
المصريين وما شاكل. والحقيقة أن مواقف شوقي هي تمثّلت في شعره
ولا انفكاك بين شعره وبين مواقفه، وهنا نذكر بعض الأحداث ونظرة
شوقي فيها وردوده إزاءها نقلاً عن حنا الفاخوري في البداية :

أحمد شوقي والانكليز-كرومر: وطئت أقدام الانكليز أرض
مصر في سنة ١٨٨٢م، وراحوا يوطّدون سلطتهم فيها ويحكمون
القبضة على من فيها، وكانت مصر تنّ من وطأة هذا الاحتلال،
والخديو عباس لا يملك من السلطة إلا ظله، ومع ذلك فعلاقته بكرومر
سيئة، ينظر اليه كرومر نظرة حذر وتحفّظ، وما إن ظهر مصطفى
كامل على رأس الحركة الوطنية يطالب بالاستقلال حتى استيقظ
الشعور الوطني في الشعب، وراحت الجماهير تؤيد الحركة وتساندها،
وكان الخديو يشجّعها بادئ الأمر، ثم اضطرّ الى مهادنة الاحتلال،
واضطرّ شاعره أن يتمشّي وسياسة القصر، فيتغافل عن الانكليز و
سياستهم، ولم يجهر بأرائه السياسية، وظلّ كذلك الى يوم غادر كرومر
مصر وودّع اسماعيل بكلام قبيح، فنظم لاميته المشهورة، وقد ردّ على
كرومر بكثير من الألم والاشمئزاز وبكثير من المداراة المشحونة
بالنقمة، قال:

أَيَاكُمْ أَمْ عَهْدُ إِسْمَاعِيلَ أَمْ أَنْتَ فِرْعَوْنٌ يَسُوسُ النَّيْلَ

وفي منتصف شهر حزيران من سنة ١٩٠٦م. جرت حادثة دنشواي المشؤومة التي جرح فيها أحد الضباط الانكليز في رأسه جرحاً خفيفاً ثم مات بضربة شمس، فثارت ثائرة الانكليز، وعقدوا محكمة عسكرية قضت على واحد وعشرين رجلاً بأحكام مختلفة، أعدم منهم أربعة، فضجت مصر بالحادثة وانطلق الأدباء والصحفيون منددين ومستنكرين، ومع ذلك فقد لزم أحمد شوقي الصمت ولم يذكر دنشواي الا بعد مرور عام على الحادثة وبكثير من التحفظ.^١

قال عمر الدسوقي: كان من المنتظر من شوقي وأمثال شوقي أن يعبروا عن عواطف المصريين جميعاً إزاء هذه الكارثة، وأن يشعلوها ناراً مضطربة الأوار، متأججة السعير، تحرق تلك القلوب الغليظة التي انتقمت من غير شفقة ولا رحمة، من قوم عزّل ضعاف مظلومين، ولكن شوقي اتبع سياسة القصر في ذلك، سياسة الحياء والمهادنة، والخوف من كرومر الطاغية، ولم ينطق الا بعد مرور عام، فقال قصيدة فيها ترديد لما قاله حافظ.^٢

وهكذا إذا رحنا ننتبّع أحمد شوقي إبان الاحتلال نجده متأثراً بسياسة القصر إذ ذاك، أي سياسة الحياد والابتعاد عن كل ما يؤدي الانكليز أو يغضبهم؛ فإذا رثى مصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية (وهو من أصدقاء شوقي القدامى) تحاشى عن التعرض لحركته السياسية أقصت مضاجع الانكليز، وإذا عرض لحركة عرابي وثورته رأى فيها إنكاراً للجميل، وإساءة الى مصر، وإذا خلع الانكليز عباساً عن عرش

^١ الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، ص ٤٤٣.

^٢ الدسوقي، عمر: في الأدب الحديث، الجزء الثاني، دار الفكر، مصر، ١٤٢٤هـ، ص ٩٨.

مصر وولّوا السلطان حسين كامل توجّه اليه بالتهنئة، وتناسى شاعر الأمير، أميره، خشية أن يلحقه الإنكليز به.^١

وفاته

له في خريف حياته كثير من الأشعار التي يحن فيها الى شبابه حيناً فيه لهفة وحرقة، ومن خير ما يصور هذا الحنين قصيدته في رحلة بلبنان، وفيها يقول:

شِيعْتُ أَحْلَامِي بِطَرْفِ بَاكِ وَلَمَمْتُ مِنْ طَرُقِ الْمَلَحِ شِبَاكِ
وَرَجَعْتُ أَدْرَاجَ الشَّبَابِ وَوَرَدَهُ أَمْشَى مَكَانَهُمَا عَلَى الْأَشْوَكَ
وهذه الخصال الثلاث من العاطفة والخيال والموسيقى ترفع شعر شوقي الى ذروة الفن و قممه السماء.^٢

وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٢م. كفّ البلبل عن شذوه، فقد سقطت قيثاره الشعر من يده، ولبت روحه نداء ربه. وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية، وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية، وانبرى الكتاب والشعراء في مصر والشرق العربي يرثون الشاعر، يعزّون الوطن في هذا العلم الذي طوى الى الأبد. وأقيمت له حفلات التأبين في كل مكان، وندبته الصحف العربية ندباً حاراً.^٣

المصادر:

^١ الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، ص ٤٤٤.

^٢ ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٦.

^٣ ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ٤١.

- الحرّ، عبد المجيد: أحمد شوقي أمير الشعراء و نغم اللّحن و الغناء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- حسين، طه: حافظ و شوقي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٣٣م.
- الدسوقي، عمر: في الأدب الحديث، الجزء الثاني، دار الفكر، مصر، ١٤٢٤هـ .
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- شرارة، عبد اللطيف: شوقي دراسة تحليلية، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.
- ضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، دارالمعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٥م.
- عبد الحليم، أحمد زكي: أحمد شوقي شاعر الوطنية، كتاب الهلال، مصر، ١٩٧٧م.
- عبد المنعم خفاجي، محمد: الأدب العربي الحديث، ج ١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- عبد المنعم خفاجي، محمد: قصة الأدب في مصر، ج ٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- عطوي، فوزي: أحمد شوقي أمير الشعراء دراسة و نصوص، دار صعب، بيروت، ١٩٧٨م.
- عطوي، فوزي: أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٩م.
- الفاخوري، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)، دار الجيل، بيروت، (بلا تاريخ).
- قبش، أحمد: تاريخ الشعر العربي الحديث، ج ١، دار الجيل، بيروت، (بلا تاريخ).
- كبا، إميل أ: ديوان أحمد شوقي، ج ١، دار الجيل، بيروت، (بلا تاريخ).

أحمد شوقي كما عرفته ❁ ٣٨٥

- الكيلاني، نجيب: شوقي في ركب الخالدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.
- محفوظ، احمد: حياة شوقي، مطبعة مصر، القاهرة، (بلا تاريخ).

الآراء النحوية التي انفرد بها الفراء

الدكتور سيد رضا نجفى^١
داود عسكرى^٢

المقدمة

نحن اخترنا هذا الموضوع للدراسة لأننا كنا نقرأ كتاباً في النحو ورأينا هناك أن الفراء قد ذهب إلى أن «لو» التي تأتي بعد فعل (ودّ، يودّ) مصدرية وليست شرطية وسيبويه يعتقد إلى أنها مصدرية وتحتاج إلى جواب، مثلاً قال في هذا المثال: يودّ لو يُخلدُ ذكرك إنها شرطية وإن مفعول «يود» وجواب «لو» محذوفان والتقدير: يودّ تخليد ذكرك لو يُخلدُ ذكرك لسره ذلك، ولا خفاء بما في ذلك من التكلف. وأكثرهم لم يثبت ورود لو مصدرية، والذي أثبتّه الفراء وأبو علي وأبو البقاء والتبريزي وابن مالك، وأدّت هذه القراءة أن نتقصى آراء الفراء ربما تفيدنا في العلوم النحوية، والقدمات يتجهون في بحوثهم النحوية إلى مذهب البصرة ولا يكثرثون بمذهب الكوفة ويعتنى أوائل البغداديين إلى هذا المذهب؛ مثلاً نسب القدمات إلى الفراء أنه قال: إلا الاستثنائية مركبة من «إن» الناصبة و«لا» النافية والفراء قد قال في كتابه

^١ استاذ مساعد و عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية في جامعة اصفهان .

^٢ طالب ماجستير بقسم اللغة العربية في جامعة اصفهان.

معاني القرآن: إن «إلا» مركبة من «إن» التي للجحد ولا؛ فظهر خطأ رأي القدماء.

الأسئلة التي تخطر ببالنا هي: ما هي آراء الفراء حول المسائل النحوية والصرفية؟ أ انفرد برأي خاص أو لم ينفرد؟ وما هي الآراء المنفردة بها؟ هل هي صحيحة أولاً؟ كيف نفطن إلى صوابها وخطأها، أ استعمل القياس في إثبات رأيه أو اتسع في السماع؟ وأ استعمل القضايا العقلية والمنطقية لإثبات رأيه كالبصريين أو لا ؟

منهجنا في هذه المقالة منهج تحقيقي ويحتاج إلى الرجوع الكتب النحوية التي كتبها القدماء ودراسة أقوالهم حول المسائل النحوية ومناقشة آراء الفراء في كتبه ومقارنتها بآراء من جاء قبله وأبعده ودراسة نوعية صوابها أو خطأها.

إطار المقالة الزمني يرجع إلى زمن نشأة النحو والقرن الثاني ولاسيما زمن حياة الفراء والعلماء الذين جاءوا بعده.

الآراء التي انفرد بها الفراء:

قبل أن ندخل في إطار المقالة، نتكلم قليلاً حول المدارس النحوية. المدرسة الأولى مدرسة البصرة وهي واضحة النحو ومن أوائل النحاة ابن أبي إسحاق، عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب. وأقيم صرح النحو على يد الخليل واعتبرت هذه المدرسة السماع شاذاً أو لغة من لغات القبائل ولم يعتن بها والمدرسة التي نشأت بعدها مدرسة الكوفة فانتسعت في الرواية والسماع حتى من أهل الحضر؛ ونشأت بعد هاتين المدرستين مدارس أخرى كمدرسة بغداد وأوائل البغداديين احتذوا حذو الكوفيين، والمتأخرون من مدرسة بغداد ذهبوا مذهب البصريين، بعد تلك نرى مدرسة الأندلس في اتجاه المدرسة البغدادية وكثرة التعليقات والآراء،

يلمع في هذه المدرسة اسم عالم وهوابن مالك وبعدها مدرسة مصر تتجه إلى مدرسة بغداد أيضا؛ فرى هناك ابن هشام وابن حاجب والسيوطي.

النحو الكوفي يكون مدرسة مستقلة وتركت الكوفة للبصرة وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع الإعجام، والأنظار النحوية والصرفية الأولى التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ والأخفش الأوسط من مدرسة البصرة هو الذي فتح باب الخلاف في المسائل النحوية؛ وهو أستاذ الكسائي والفراء، وأهم ما يميز به المدرسة الكوفية (كما قلنا) الاتساع في رواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة؛ والتساع في القياس بحيث يعتد في قواعد النحو بالشاذ والقليل النادر؛ والاتساع في مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول إلى مدّ القواعد وبسطها بآراء لا تسندها الشواهد اللغوية بل قد يؤول أحيانا إلى رفض المسموع الشائع^١ والبصرة تعتمد في روايتها إلى فصحاء العرب وهم قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكّل في الغريب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين^٢؛ والكوفيون حاولوا أن يأتوا بمصطلحات تختلف مع مصطلحات البصريين، وهم تلاميذ تلك المدرسة، منها: مصطلح الخلاف ومصطلح الصرف أي علة نصب مفعول معه، واصطلاح التقريب، واصطلاح الفعل الدائم^٣ أي اسم الفاعل، اصطلاح المكنى والكناية وهو الضمير^٤ ومصطلح شبه المفعول، وأي بقية المفاعيل، وسموا الظرف «الصفة والمحل»^٥، والبدل «الترجمة»، والتمييز «التفسير»، ولا النافية للجنس «لا التبرئة»، والصفة «النعته»، والعطف بالحروف

^١ ضيف، شوقي: المدارس النحوية. ١٩٥.

^٢ السيوطي، جلال الدين: المزمهر. ٢١١/١.

^٣ السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر. ٢٩/٣.

^٤ ثعلب، أبو العباس: مجالس ثعلب. ٣٣٢/١.

^٥ ثعلب، أبو العباس: مجالس ثعلب. ٨٠/١.

«عطف النسق»، وحروف النفي «حروف الجحد»، وحروف الزيادة «حروف الصلة والحشو» وغير المنصرف «ما لا يجرى»، ولام الابتداء لام القسم. نحاة الكوفة: هم أبو جعفر الرؤاسي لقب بالرؤاسي لعظم رأسه^١، وهو أستاذ أهل الكوفة في النحو^٢، وهو مطروح العلم ليس بشيء^٣، وهذا الكلام يرجع إلى التنافس القوي وتلك الخصومة التي كانت قائمة بين المصرين منذ تمصيرهما لاختلاف وجهتي النظر الحزبية والسياسية فيهما^٤، وأبو مسلم معاذ بن مسلم هراء كان يبيع الهروي بالكوفة^٥، وهو أول من وضع التصريف^٦ وصنف في النحو كثيرا ولم يظهر له شيء من التصانيف^٧، والكسائي وكان عالم أهل الكوفة وإمامهم، إليه ينتهون بعلمهم، وعليه يعولون في روايتهم^٨؛ وقال محمد بن إدريس الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي^٩، وتغلب هو الذي أكثر من ذكر أقوال الفراء في كتابه (مجالس تغلب) ويستوعب النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والأشعار الغريبة والشاذة والأمثال والأقوال المأثورة، ويقول: إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضّل إعرابا على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى^{١٠}؛ وأبو بكر الأنباري كان عقله أكثر منطقية وأقدر على التعليل والبرهنة والإدلاء بالحجج البينة، وإن آخر النحاة الذين استظهروا آراء المدرسة الكوفية في مصنفاتهم ابن أجروم الصنهاجي، يذهب مثلا إلى أن

^١ السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة. ٣٣.

^٢ الزبيدي، محمد الحسن: طبقات النحويين واللغويين. ١٣٥.

^٣ اللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين. ٤٨.

^٤ المخرومي، مهدي: مدرسة الكوفة. ٧٧، ٧٨.

^٥ الفغطي، أبو بكر: أنباه الرواة. ٢٩٠/٣.

^٦ السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة. ٢٩٣.

^٧ كحالة، عمر: معجم المؤلفين. ٣٠١/١٢.

^٨ اللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين. ٧٤.

^٩ الأنباري، أبو البركات: نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ٧١.

^{١٠} السيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن. ٨٣/١.

السكون في فعل الأمر سكون جزم لا سكون بناء، بالضبط كما يذهب الكوفيون^١.

الفراء قال عنه الذهبي: إخباري علامة نحوي كان رأساً في قوة الحفظ أملى تصانيفه كلها حفظاً^٢، اعتبره البعض من القراء لأن سلمة ابن عاصم ومحمد ابن الجهم ومحمد ابن عبدالله ابن مالك وهارون ابن عبدالله روى القراءة عنه، ومن تصانيفه أيضاً كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف^٣، وكان يتفلسف في تصانيفه، حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة وكان أكثر مقامه في بغداد^٤، ويبدو أن مذهبه في القراءات لم يكتب له الاختيار من أبي بكر ابن مجاهد كما كتب لأستاذه حمزة والكسائي^٥، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الدكتور المخزومي يقول^٦ إنه ليس من القراء إلّا أن له أعملاً تتصل بالقرآن^٧، ويحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها؛ ولأن الناس كانوا يتكلمون على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب^٨؛ أملى كتابه (معاني القرآن) لعمر بن بكير لأنه يصحب الحسن بن سهل، وكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن لا يزال يسأل عن أشياء من القرآن ولا يحضرني عنها جواب^٩، مدحه محمد ابن جهم السمري:

يا طالب النحو التمس علم ما الفه الفراء في النحو^{١٠}

^١ ضيف، شوقي: المدارس النحوية. ٢٣٩، ٢٤١.

^٢ الذهبي: تذكرة الحفاظ. ٣٧٢/١.

^٣ الحموي، ياقوت: معجم الأدباء. ١٤/٢٠.

^٤ ابن الدم، أبو الفرج: الفهرست. ٧٣.

^٥ شلي، عبدالفتاح: أبو علي الفارسي. ٢٦٠.

^٦ مغني، حديجة أحمد: نحو القراء الكوفيين. ٢٠٢.

^٧ المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة. ٣٤٧.

^٨ البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد. ١٤٩/١٤.

^٩ ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان. ١٧٨/٦.

^{١٠} البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد. ١٥٤/١٤.

ولم يوثر من شعر الفراء غير أبيات رواها أبو حنيفة الدينوري عن الطوال ونأتي باحديها:

يا أميرا على الجريب من الأ^١ رض له تسعة من الحجاب^٢
هو يعتبر واضعاً نهائياً لنحو الكوفة، فقد خالف البصريين في أصول
النحو، مثلاً: عدم تفرقة بين ألقاب الإعراب والبناء، أو ان المصدر مشتق
من الفعل، أو الإعراب أصل في الفعل أو تقسيمه الفعل إلى ماض ومضارع
ودائم أي اسم الفاعل.

الرأي الأول:

ذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء من الكوفيين، إلى أنه لا يجوز
تقديم خبر مازال عليها^٣؛ وذهب إلى ما ذهب إليه البصريون^٤؛ لكنه عمم
المنع في جميع حروف النفي^٥. فإن كان النفي بغير ما، جاز التقديم^٦.

مثلاً إنه منع التقديم في هذا البيت والبصريون أجازوا ذلك:

وَرَجَّ الْفَتَى لِلْخَيْرِ مَا إِنْ رَأَيْتَهُ عَلَى السَّنِّ خَيْرًا لَّا يَزَالُ يَزِيدُ

أراد لا يزال يزيد على السن خيراً، فقدم معمول الخبر وهو «خيراً»
على الخبر وهو يزيد مع النفي بلا، وتقديم معمول يؤذن بجواز تقديم العامل
غالباً، لكنه حكى في التسهيل الخلاف عن الفراء^٧؛ فالبصريون (كما قلنا)
أجازوا التقديم في غير «ما» مثلاً؛ أمّا اليتيم فلا تقهر؛ فَقَدّْمَ اليتيم على «لا»،
فيدل على جواز ذلك^٨.

^١ ابن النديم، أبو الفرج: الفهرست. ٧٣.

^٢ الأنباري، أبوالمركات: الإنصاف. ١٥٥/١.

^٣ الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك. حنا الفاخوري. ١٩٨/١.

^٤ الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح. ١٨٩/١.

^٥ السيوطي، جلال الدين: البهجة المرضية. ١١٤.

^٦ الأشوبى: شرح الأشوبى على ألفية ابن مالك. ١٨٧/١.

^٧ الصبان، محمد علي: حاشية الصبان. ٢٣٤/١.

فقد تحصل مما ذكرنا أن اخبار (زال وانفك وفتئ وبرح) تتقدم عليها ما لم يكن هناك مانع كما كانت اخبار كان وامسى واضحى وظل وبات تتقدم عليها ما لم يمنع مانع^١.

يقول ابن عصفور: لايجوز تقديم خبر مازال عليها مادامت منفية بما وبلا في جواب قسم^٢.

يقول الرضي: وأما همزة الاستفهام وما النفي إذا لم يكن مع زال واخواتها فيجوز توسط الخبر بينهما وبين الفعل الناقص نحو ما قائما كان زيد^٣.

أما زال وإخوته (أي ما انفك ومافتئ ومابرح) ففي تقديم الخبر عليها ثلاثة أقوال أحدها المنع مطلقا سواء نفيت بما أو بغيرها وعليه الفراء والثاني الجواز مطلقا وعليه سائر الكوفيين لأن ما عندهم ليس لها الصدر كغيرها والثالث وهو الأصح وعليه البصريون المنع إن نفيت بما لأن لها الصدر والجواز إن نفيت بغيرها كلا ولم ولن ولما^٤.

أنشد ابن مالك:

كَذَاكَ سَبَقُ خَبَرٍ مَا النَّافِيَةِ فَجئَ بِهَا مَثْلُوءَةً لَا تَالِيَةَ^٥

أما الكوفيون وابن كيسان والنحاس فاجازوا تقديم خبر مازال عليها؛ وما كان النفي شرطاً في عمله^٦؛ لأن نفيها إيجاب فكأنه لم يكن نفي بخلاف الثانية^٧؛ ولكن لا يتقدم شيء على ما له صدر في الكلام وحروف الاستفهام

^١ ابن أبي الربيع، عبيدالله ابن أحمد: السبب في شرح حمل الزجاجي. ٦٧٤/٢.

^٢ المقرَّب. ١٠٤.

^٣ شرح الكافية. ٢٩٩/٢.

^٤ السُّيُوطِي، جلال الدِّين: الأشباه والنظائر. ٧٥/٢.

^٥ السُّيُوطِي، جلال الدِّين: مع الموامع. ١١٧/١.

^٦ الألفية. ١٥.

^٧ ابن عقيل، ماء الدين: شرح ابن عقيل. ٢٧٦/١.

^٨ الحضري، الشيخ محمد: حاشية الحضري. ١١٣/١.

وما النافية تطلب الصدر في الكلام^١، من هنا نفهم صحة ما ذهب إليه الفراء والبصريون.

قال الأنباري: فإن قيل: فلم لم يجز تقديم خبر ما في أوله «ما» عليه^٢؟ فقول لأن «ما» للنفي، والنفي له صدر الكلام؛ ويدخل على المبتدأ وخبره وعلى الأفعال، فلا يتقدم عليها ما في خبرها لأنه صلة لها^٣، فجرى مجرى حرف الاستفهام في أن له صدر الكلام، والسرف فيه هو أن الحرف إنما جاء لإفادة المعنى في الاسم والفعل؛ فينبغي أن يأتي قبلهما، لا بعدهما، وكما أن حرف الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله فكذلك هاهنا، ألا ترى أنك لو قلت في الاستفهام «زيداً أضربت» لم يجز؛ لأنك تقدم ما هو متعلق بما بعد حرف الاستفهام عليه؛ فكذلك هاهنا؛ إذا قلت «قائماً مازال زيد» ينبغي أن لا يجوز لأنك تقدم ما هو متعلق بما بعد حرف النفي عليه^٤.

أيّد ابن يعيش رأي البصريين والفراء قائلاً: إن ما للنفي وأنه يستأنف بها النفي ولذلك يتلقى بها القسم كما يتلقى بان واللام في الإيجاب؛ فجرت مجرى حرف الاستفهام، فكان له صدر الكلام؛ وإنما صار للاستفهام صدر الكلام، لأنه قد جاء لإفادة معنى في الاسم والفعل، فوجب أن يأتي قبلهما لا بعدهما، كما أن حروف الاستفهام لا يعمل ما بعدها فيما قبلها؛ كذلك هاهنا، ألا ترى أنك لو قلت في الاستفهام: زيدا أضربت؛ لم يجز كذلك هاهنا؛ لو قلت: قائماً ما زال زيد؛ لم يجز لأنك تقدم ما هو متعلق بما بعد حرف النفي عليه، ويجوز ذلك مع لم ولن ولا ولم يسغ مع ما؛ لأن لم ولن لما اختصتا بالدخول على الأفعال، صارتا كالأجزاء منها فكما يجوز تقديم منصوب الفعل عليه، كذلك يجوز التقديم مع لم ولن لأنهما كأحد حروفه، وأيضاً فإن لم أفع

^١ ابن ناظم، محمد: شرح ألفية ابن مالك. ١٣٤.

^٢ أسرار العربية. ١٣٦.

^٣ ابن جني، عثمان: اللمع في العربية. حامد مؤمن. ٨٧.

^٤ الأنباري، أبوالمراكات: الإنصاف. ١٠٩/١.

نفي فعلت، ولن افعل نفي سافعل، وحكم النفي حكم إيجابه؛ فكما يسوغ في الإيجاب التقديم، فكذلك مع النفي فجرى النفي مجرى الإيجاب، كما جرى مجراه في لن إذ لم يتلق به القسم ألا ترى أنك تقول: والله لن أضرب كما لا تقول: والله ساضرب، وكذلك لا تقول: والله لم اضرب؛ كما لا تقول والله ضربت وأما لا وإن كانت قد يتلقى بها القسم وتدخل على الاسماء والافعال فإنها تصرفت تصرفاً، ليس لغيرها بدخولها على المعرفة والنكرة، وأنه يتخطاها العامل فيعمل فيما بعدها، نحو قولك: خرجت بلا زاد وعوقبت بلا جرم؛ فكما يعمل ما قبلها فيما بعدها فكذلك يعمل ما بعدها فيما قبلها^١.

الرأي الثاني:

ذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء إلى أنه لا يجوز العطف على موضع إن قبل تمام الخبر إلا فيما لم يظهر فيه عمل إن^٢؛ أي لكونه مبنياً أو مقصوراً^٣ أو مضافاً للياء مثلاً؛ أي بعبارة أخرى توسط مذهب سيويوه والكسائي فلم يمنع رفع المعطوف مطلقاً ولم يجوز مطلقاً^٤.

أجازة الكوفيون، لأنهم لم يشترطوا المحرز؛ أي الطالب لذلك المحل، مثلاً «إن زيدا وعمرو قائمان» وذلك لأن الطالب لرفع زيد هو الابتداء والابتداء هو التجرد، والتجرد قد زال بدخول «إن» ولأن «إن» لم تعمل عندهم في الخبر شيئاً، بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخول الخبر^٥. ابن كيسان والكسائي أجازاه مطلقاً على كل حال سواء كان يظهر فيه عمل العامل أو لم يظهر^٦؛ بناء على أن الرفع للخبر في هذا الباب هورافعه

^١ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ١١٣/٧.

^٢ الأتباري، أنوار البركات: الإنصاف. ١٨٦/١.

^٣ الضبان، محمد علي: حاشية الصبان. ٢٨٧/١.

^٤ الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح النصريح على التوضيح. ٢٢٨/١.

^٥ الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ٣٥٥/٢.

^٦ الأنصاري، ابن هشام: معني اللبيب. ٦١٧/٢.

^٧ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ٦٩/٨.

في باب المبتدأ^١. وقيل: هو مبتدا حذف خبره لدلالة خبر إن عليه^٢ مع ملاحظة تقديمه^٣.

فقد خالف أستاذه الكسائي في أنه لا يصح العطف على اسم إن بالرفع إلا إذا كان اسمها غير واضح الإعراب كأن يكون مبنياً على نحو ما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٤ أو في هذه الآية القرآنية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^٥ على قراءة ابن عباس وعبدالوارث عن أبي عمرو رفعا فعند الكوفيين غير الفراء هو عطف على موضع اسم إن وعند البصريين هو على حذف الخبر أي يصلي على النبي وملائكته يصلون^٦. وقال ثعلب: يجوز ولم نسمع من قرأ به^٧.

وقد جاء في القرآن والفصيح من الكلام والآية الثانية والستين من سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^٨ والسابعة عشرة من سورة الحج (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^٩؛ فكيف نعر به^{١٠}؟

^١ ابن ناظم، محمد: شرح ألفية ابن مالك، ١٧٦.

^٢ السيوطي، جلال الدين: البهجة المرضية، ١٣٧.

^٣ الحضري، الشيخ محمد: حاشية الحضري، ١٣٦/١.

^٤ ضيف، شوقي: المدارس النحوية، ٢٠٨.

^٥ القرآن الكريم، ٦٩/٥.

^٦ القرآن الكريم، ٥٦/٣٣.

^٧ أبو حيان، أثر الدين: البحر المحيط، ٢٤٨/٧.

^٨ مجالس ثعلب، ٢٦٢/١.

^٩ القرآن الكريم، ٦٢/٢.

^{١٠} القرآن الكريم، ١٧/٢٢.

^{١١} الزُّجَاجِي، عبد الرحمن بن إسحاق: مجالس العلماء، ٢٩٣.

ويوضح الفراء ذلك قائلاً، راداً على أستاذه: «عطف (والصابئون) على الذين، والذين حرف على جهة واحدة في رفعه وخفضه (أي أنه مبنى لا يتغير آخره) فلما كان إعرابه واحداً وكان نصب إن نصباً ضعيفاً، وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على خبره (لأن الخبر عنده مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخول إن، وهو المبتدا الذي أصبح اسمها) جاز رفع الصابئين، ولا استحسب أن أقول إن عبدالله وزيد قائمان لتبين الإعراب في عبدالله، وقد كان الكسائي يجيزه لضغف إن، وقد أنشدونا هذه الابيات رفعاً ونصباً:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقَّارٌ بها لغريبٌ
إلاً فاعلموا أننا وأنتم بُعَاةٌ ما حيينا في شِقاقٍ
يا ليتني و أنت يا لميسُ ببِلَدٍ ليسَ به أنيسُ
يا ليتني وهما تخلو بمنزلةٍ حتَّى يرى بعضنا وناتلفاً^١

وليس هذا بحجة للكسائي في إجازته: إن عمراً وزيد قائمان، لأن قياراً قد عطف على اسم مكنى عنه (يريد الضمير) والمكنى لا إعراب له فسهل ذلك كما سهل في الذين إذ عطف عليه (الصابئون)^٢.

وقول الكسائي في الآية: ارفع (الصابئون) على اتباعه الاسم الذي في هادوا^٣؛ هذا خطأ ولا يجوز أن يكون معطوفاً على الضمير لتقدمه عليه ولا يتقدم المعطوف على المعطوف عليه إلا في ضرورة الشعر^٤؛ والمضمر المرفوع يقع العطف عليه حتى يؤكد وإن المعطوف شريك المعطوف عليه فيصير المعنى: إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية وهذا محال^٥.

^١ الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك. حنا الفاعوري. ٢٨٨/١ - ٢٩٣.

^٢ الفراء، يحيى ابن زياد: معاني القرآن. ٣١٢/١.

^٣ البغدادي، عبدالقادر: خزائن الأدب. ٣٢٤/٤.

^٤ ابن أبي الربيع، عبيدالله ابن أحمد: البسيط في شرح جمل الزجاجي. ٨٠٣/٢.

^٥ الثعلبي، أبو جعفر: إعراب القرآن. ٣٢/٢.

ردّ الزجاج رأيهما قائلاً: هذا التفسير اقدم عظيم على كتاب الله وذلك أنهم زعموا أن نصب «إن» ضعيف؛ لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر^١. أما قوله والصابئون فعلى التقديم والتأخير^٢ كأنه ابتدأ والصابئون بعد ما مضى الخبر^٣. ولا يجوز الرفع على الموضع لأنه لم يتم الكلام، ولم يؤكد ولم يفصل بينهما^٤، ولا يصح العطف على معنى الابتداء لسزوال معنى الابتداء^٥، أو هو مرفوع على العطف على موضع إن وما علمت فيه وخبر إن منوي قبل (الصابئون) فلذلك جاز العطف على الموضع؛ أو (الصابئون) مرفوع على أصله قبل دخول إن على الجملة^٦؛ أو من آمن بالله واليوم الآخر، خبر للصابئين والنصارى، وتقدر للذين آمنوا والذين هادوا خبراً مثل الذي اظهرت للصابئين والنصارى^٧؛ أو خبر (الصابئون) محذوف وهو ضعيف لما فيه من لزوم الحذف والفصل أو «إن» بمعنى نعم فما بعدها في موضع رفع أو (الصابئون) في موضع نصب لكنه جاء على لغة بلحارث بن كعب الذين يجعلون التثنية بالآلف والجمع بالواو على كل حال وهو بعيد أو النون حرف الإعراب^٨؛ أو سبيل ما يتبين فيه الإعراب وما لا يتبين فيه الإعراب واحد^٩؛ أو جملة المبتدا والخبر حينئذ لا محل لها معترضة بين اسم إن وخبرها^{١٠}؛ أو إنه عطف على توهم عدم ذكر إن، أو إنه تابع لمبتدا محذوف، أي إنك أنت

^١ الزجاج، ابراهيم بن السري: معاني القرآن. ٢/

^٢ ابن ناظم، محمد: شرح ألفية ابن مالك. ١٧٧.

^٣ الرمشمري، حارثة: المفصل. ١٣٧.

^٤ ابن عصفور، علي بن مؤمن: اقرب. ١٢٤.

^٥ مكي ابن ابي طالب، أبو محمد: مشكل إعراب القرآن. ٢٣٢/١.

^٦ ابن جني، عثمان: اللع في العربية. ٩٦.

^٧ مكي ابن ابي طالب، أبو محمد: مشكل إعراب القرآن. ٢٣٢/١.

^٨ الأنباري، أبو البركات: البيان. ٣٠٠/١.

^٩ العسكري، أبو البقاء: البيان. ٣٣٧، ٣٣٨/١.

^{١٠} القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. ٢٤٦/٦.

^{١١} ابن عقيل، هاء الدين: شرح ابن عقيل. ٢٧٦/١.

وزيد ذاهبان^١، وقال البعض: لما كان قبله فعل شبه في اللفظ بما يجري على ما قبله وليس معناه في الفعل الذي قبله وهو (الذين هادوا) أجراه عليه فرفعه به وإن كان ليس عليه في المعنى ذلك أنه تجيء أشياء في اللفظ لا تكون في المعاني كقولهم: هذا جحر ضب خرب أو هذا حب رمانى فتضيف الرمان إليك وإنما لك الحب وليس لك الرمان فقد يجوز أشباه هذا والمعنى على خلافه^٢.

قول البعض: قيار مبتدأ حذف خبره والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها لأن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ وكذلك الصابئون وهذا خلاف مذهب سيبويه^٣؛ وقول البعض: ينبغي أن نقول أنا وإياكم لأن إيا ضمير منصوب لكنه جاء بأنا وأنتم على الابتداء^٤.

وقال سيبويه: فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله والصابئون بعد ما مضى الخبر وقول الشاعر كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم^٥. عن عروة: سألت عائشة من لحن القرآن في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ...) فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب^٦، فإن جاء شيء من ذلك فشاذاً لا يقاس عليه.

أنشد ابن مالك:

وَجَائِزٌ رَفَعَكَ مَعْطُوفًا عَلَى
مَنْصُوبٍ «إِنَّ» بَعْدَ أَنْ تَسْتَكْمِلًا
وَأَلْحَقْتَ بِإِنْ لِكِنْ وَأَنْ
مِنْ دُونَ لَيْتَ وَلَعَلَّ وَكَانَ^٧

^١ الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب. ٦١٨/٢.

^٢ الأخفش، سعيد بن مسعدة: معاني القرآن. ٣٩٧.

^٣ الغندادي، عبدالقادر: حزانة الأدب. ٣٢٣/٤.

^٤ الشحاس، أبو جعفر: شرح أبيات سيبويه. ١٢٧.

^٥ سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب. ١٥٥، ١٥٦/٢.

^٦ السيوطي، جلال الدين: الإقراخ. ٥٠.

^٧ الألفية. ١٩.

رأي الفراء فاسد؛ مثلاً إنك وبكرٌ منطلقان؛ فقد عطف بكر على الضمير الذي لم يظهر نصبه أي عطف مرفوع على منصوب. فقد اجتمع النقيضان هنا: اسم مرفوع يرتفع بالابتداء واسم منصوب ينصب بالحروف المشبهة بالفعل؛ أي اجتمع العاملان؛ فكيف يجتمع النقيضان معاً؟ وكيف يعملان في معمول واحد؟ من هنا نفطن إلى فساد ما ذهب إليه الفراء.

الرأي الثالث:

ذهب الفراء ومن تابعه من الكوفيين - وهو المشهور من مذهبهم - إلى أن «إلا» مركبة من إنَّ ولا، ثم خففت إنَّ وأدغمت في لا، فنصبوا بها في الإيجاب اعتباراً بأنَّ، وعطفوا بها في النفي اعتباراً بلا^١. وزاد ابن عصفور فإذا انتصب ما بعدها فعلى تغليب حكم إن وإذا لم ينتصب فعلى تغليب حكم لا لأنها عاطفة^٢.

يقول الفراء: إنما جمع العرب بين «إن» التي تكون جحداً، وضموا إليها «لا» فصارا جميعاً حرفاً واحداً وخرجوا من حد الجحد، إذ جمعتا فصارا حرفاً واحداً ومثل ذلك قوله: لولا إنما هي: «لو» ضمت إليها: «لا» فصارتا حرفاً واحداً^٣.

رد المختار أحمد ويرة رأي العلماء مستدلاً برأيه قائلاً: فإلا عند الفراء مكونة من «إن» النافية و«لا» وعندما ركبت «إن» النافية مع «لا» فقدتا معناهما الأصيل، فصارتا مثل لولا المركبة من «لو» وأضيفت إليها «لا»؛ فإننا سلمنا أنه لم يقل: هي مركبة من إنَّ ولا فهذه الحجة لا ترد أصل التركيب

^١ السيوطي، جلال الدين: مع الخوامع. ٢٢٢/١.

^٢ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٢٦١/١.

^٣ الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح. ٣٤٩/١.

^٤ معاني القرآن. ٣٧٧/٢.

^٥ دراسة في البحر الكوفي. ٣٣٣.

عنده. ويقول أيضاً: والوجه في إلا أن ينصب ما بعدها إذا كان ما قبلها لا جدد فيه، فإن كان ما قبل إلا فيه جدد جعلت ما بعدها تابعا لما قبلها، معرفة كان أو نكرة^١.

قال سيبويه: اعلم أن إلّا يكون الاسم بعدها على وجهين: فأحد الوجهين أن لا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق. والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله، عاملاً فيه ما قبله من الكلام، كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت عشرون درهماً^٢.

قال السيرافي: ناصب المستثنى هو إلا، لا ما قبلها بواسطة، ولا مستقلاً، ولا استثنى مضمراً، خلافاً لزماعى ذلك^٣. واعتقده ابن ناظم أيضاً^٤. (هذا الكلام منتسب إلى السيرافي لأن السيوطي قال: إن الاستثناء منصوب بإلا وما قبلها عند السيرافي)^٥.

وحكى عن الكسائي أنه قال إنما نصبنا المستثنى لأن تأويله قام القوم إلا أن زيدا لم يقدّمه الفراء بأن قال لو كان هذا النصب بأنه لم يفعل لكان مع لا في قولك قام زيد لا عمر وكذلك^٦.

ذهب ابن مالك إلى أن الناصب للمستثنى «إلا» وحدها، ونسب رأيه إلى سيبويه والمبرد^٧: (مَا اسْتَثْنَيْتَ إِلَّا مَعَ تَمَامٍ يَنْتَصِبُ)^٨.

^١ معاني القرآن. ١/١٦٦.

^٢ الكتاب. ٢/٣١٠.

^٣ الصبان، محمد علي: حاشية الصبان. ٢/١٤٣.

^٤ شرح ألفية ابن مالك. ٢٩٢.

^٥ البهجة المرضية. ٢٣٣.

^٦ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ٢/٧٧.

^٧ ابن عقيل، مهاء الدين: شرح ابن عقيل. ١/٥٩٨.

^٨ الألفية. ٣١.

ويقول الفارسي وابن الباذش: إن الناصب الفعل بواسطة إلا؛ وذهب ابن خروف إلى أن الناصب هو الفعل؛ ومذهب الزجاج أن الناصب فعل محذوف يقدر من معنى إلا؛ ويحكى عن الكسائي أيضاً أن الناصب هو مخالفة ما بعد إلا لما قبلها؛ وقال البعض: إن الناصب هو تمام الكلام كانتصاب التمييز^١.

وأما الفراء فتمسك بأن قال: إنما قلنا إنه منصوب بإلّا لأن الأصل فيها إنَّ ولا؛ فزيد: اسم إن، ولا: كفت من الخبر؛ لأن التأويل: إن زيدا لم يقم ثم خففت إنَّ وأدغمت في لا وركبت معها فصارتا حرفاً واحداً، كما ركبت لو مع لا وجعلا حرفاً واحداً؛ فلما ركبوا إنَّ مع لا أعملوها عملين: عمل أنَّ فنصبوا بها في الإيجاب، وعمل لا فجعلوها عطفاً في النفي، وصارت بمنزلة حتى، فانها لما شابته حرفين إلى والواو أجروها في العمل مجراهما، فخفضوا بها بتأويل إلى، وجعلوها كالواو في العطف؛ لأن الفعل يحسن بعدها كما يحسن بعد الواو، ألا ترى أنك تقول «ضربت القوم حتى زيد» أي حتى انتهيت إلى زيد، و«ضربت القوم حتى زيدا» أي حتى ضربت زيدا، فكذلك هاهنا: إلّا لمّا ركبت من حرفين أجريت في العمل مجراهما على ما بينا^٢.

ماذهب إليه الفراء باطل؛ إذ زعم أن أصل العبارة «قام القوم إن محمداً لا قام». وهو تمحل أشد من تمحل أستاذه، ويظهر فساده في الاستثناء المفرع في ثل ما قام إلا محمداً، فإن كلمة محمداً مرفوعة بعد إلا وليست منصوبة^٣. وإنّا سلمنا بأن «إلا» مركبة من إنَّ ولا فأين جاء في كلام العرب أو في أشعارهم أو في الآيات القرآنية بأن عمل إنَّ وبعده لا ولم يثبت الفراء؛ أهى زائدة أو أصلية؟ وسلمنا بأن جاء في شعرهم فهذا شاذ لا يعرج عليه؛ وتشبيهه

^١ الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك. عبيد الله بن عبد الحميد. ٢٠٤/٢.

^٢ الأنصاري، أبو البركات: الإنصاف. ٢٦٦/١.

^٣ ضيف، شوقي: المدارس النحوية. ١٧٠.

بحتى الجارة وحتى العاطفة في أن واحد خطأ والتشبيه خطأ آخر وهذا بحاجة إلى دليل منطقي سديد.

يقول الرضي: فيما قال نظر من وجوه لأن «لا» على المعنى الذي اوردنا غير عاطفة ومع التسليم فان لا العاطفة لاتأتي إلا بعد الإثبات نحو جاءني زيد لا عمرو وأنت تقول ما جاءني القوم إلا زيد ولأن فيما قال عز «لا» لأن مرة وللأخرى عن مقتضيهما وذلك لأنه بنصب بها مرة ويتبع ما بعدها لما قبلها أخرى ولا يجتمع الحكمان معا في موضع، ولأن المعطوف عليه قليلا ما يحذف؛ والمتعدد هو المعطوف عنده مطرد الحذف نحو ما قام إلا زيد^١.

كما يقول الأنباري: وأما قول الفراء «أن الأصل فيها أن ولا، ثم خفت إن وركبت مع لا» فمجرد دعوى يفتقر إلى دليل، ولا يمكن الوقوف عليه إلا بوحى وتنزيل، وليس إلى ذلك سبيل، ثم لو كان كما زعم لوجب أن لا تعمل؛ لأن إنَّ الثقيلة إذا خفت بطل عملها، خصوصا على مذهب الكوفيين، وأما تشبيهه لها بلولا فحجة عليه؛ لأن لو لما ركبت مع لا بطل حكم كل واحد منهما عما كان عليه في حالة الأفراد، وحدث لهما بالتركيب حكم آخر، وكذلك كل حرفين ركب أحدهما مع الآخر؛ فإنه يبطل حكم كل واحد منهما عما كان عليه في حالة الأفراد، ويحدث لهما بالتركيب حكم آخر^٢، ألا ترى أن لو حرف يمتنع به الشيء لامتناع غيره، فإذا ركبت مع ما تغير ذلك المعنى، وصارت بمعنى هلا؟ فكذلك أيضا إذا ركبت مع لا^٣.

وصار هذا بمنزلة الأدوية المركبة من أشياء مختلفة فإنه يبطل حكم كل واحد منها عما كان عليه في حالة الأفراد، ويحدث لها بالتركيب حكم آخر،

^١ شرح الكافية. ٢٢٦/١.

^٢ الإنصاف. ٢٦٤/١.

^٣ الأنباري، أبو البركات: أسرار العربية. ١٨٨.

وهو لا يقول في إلا كذلك، بل يزعم أن كل واحد من الحرفين باقٍ على أصله وعمله بعد التركيب كما كان قبل التركيب، وأما تشبيهه لها بحتى فبعيد؛ لأن «حتى» حرف واحد، وليس بمركب من الحرفين فيعمل عمل الحرفين، وإنما هو حرف واحد يتأول تأويل حرفين في حالين مختلفين: فإن ذهب به مذهب حرف الجر لم يتوهم فيه غيره، وإن ذهب به مذهب حرف العطف لم يتوهم فيه غيره، بخلاف «إلا» فإن إلّا عنده مركبة من إن ولا، وهما منطوق بهما، فإذا اعتمد على أحدهما بطل عمل الآخر وهو منطوق به، فبان الفرق بينهما. والذي يدل على فساد ما ذهب إليه قولهم «ماقال إلّا له» فإن «له» لا شيء قبله يعطف عليه، وليس في الكلام منصوب فتكون «إلا» عاملة فيه؛ فدل على فساد ما ذهب إليه^١.

الرأي الرابع:

وذهب الفراء إلى أن الاسم المنادى المعروف المفرد مبني على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول^٢. وأشار بأن الأصل في النداء الندبة قائلاً: قوله في سورة يوسف «يا بني» و«يا بني» لغتان، كقولك: يا أبتَ ويا أبتَ لأن من نصب أراد الندبة: يا أبتاه فحذفها^٣.

الفراء يعرب الآية (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) ويقول: عيسى في موضع رفع، وإن شئت نصبت^٤. رد المختار أحمد ويرة رأي العلماء مستدلاً بهذا الرأي قائلاً: إنه قصد المحل وإن كان لم ينص على المنصوب ما ناصبه؟ ولكن ذلك لا يخفى على أحد أنه منصوب بفعل محذوف دلت عليه الياء^٥.

^١ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٢٦٤، ٢٦٥/١.

^٢ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٣٢٣/١.

^٣ الفراء، يحيى بن زياد أبو زكرياء: معاني القرآن. ٣٥/٢.

^٤ القرآن الكريم. ١١٦/٥.

^٥ معاني القرآن. ٣٢٦/١.

^٦ دراسة في النحو الكوفي. ٣٣١، ٣٣٢.

رأيه فاسد بما ذكرنا في بداية هذا الرأي؛ هو (من نصب أراد الندبة) كأنه لم يقرأ ذلك النص؛ ولا علاقة بين حجة المختار ونصب النداء على أنه مفعول به لفعل محذوف إذ نستطيع أن نعرب الآية القرآنية إعرابين: رفعا على الأصل ونصبا بالإتباع؛ وهذا يدل على فساد ما ذهب إليه المختار.

إن المنادى عند البصريين أحد المفعولات^١ والأصل في كل منادى أن يكون منصوبا^٢ وإنما بنوا المفرد المعرفة على الضم^٣؛ لأن الانسان يقول حين الخطاب يا إياك.

وانتصابه لفظاً أو محلاً عند سيبويه على أنه مفعول به وناصبه الفعل المقدر، فأصل يا زيد عنده أدعو زيدا، فحذف الفعل حذفاً لازماً لكثرة الاستعمال ولدلالة حرف النداء عليه وافادته فائدته^٤.

يقول سيبويه: اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره. والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب. وزعم الخليل: أنهم نصبوا المضاف كما نصبوا: هو قبلك وهو بعدك. ورفعوا المفرد كما رفعوا قبل وبعد وموضعهما واحد، وذلك قولك: يا زيد ويا عمرو. وتركوا التنوين كما تركوه في قبل^٥.

وأجاز المبرد نصبه بحرف النداء لسد مسد الفعل، فعلى مذهبين يا زيد جملة وليس المنادى أحد جزأيها فعند سيبويه جزأها: أي الفعل والفاعل مقدران وعند المبرد حرف النداء سد مسد أحد جزأي الجملة أي الفعل والفاعل مقدر والمفعول ههنا على المذهبين واجب الذكر لفظاً أو تقديرًا إذ لا

^١ السيوطي، حلال الدين: مع الهوامع. ١٧١/١.

^٢ ابن ناظم، محمد: شرح ألفية ابن مالك. ٥٦٧.

^٣ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ١٢٧/١.

^٤ الصان، محمد علي: حاشية الصان. ١٤١/٣.

^٥ الكتاب. ١٨٢/٢، ١٨٣.

نداء دون المنادى^١. قال الفارسي: إن عامل المنادى حرف النداء على سبيل النيابة عن الفعل وجعل المنادى مشبها بالمفعول به؛ وقال البعض: إن عامل المنادى فعل مضمر وجوبا؛ وقال الآخر: إن عامله القصد؛ وقال الآخر: إن العامل حرف النداء على أنه اسم فعل مضارع^٢؛ ويتحمل ضمير المنادى بالكسر فيكمل للهمزة اقسام الكلمة فهي حرف للاستفهام وفعل أمر من الوأي وهو الوعد واسم فعل بمعنى ادعو لكنها في الثاني مكسورة ولها في ذلك نظائر مرت كعلى ومن^٣؛ وذهب البعض إلى أن عامله حرف النداء وهو فعل وليس اسم فعل^٤.

والفراء تمسك بأن قال: الأصل في النداء أن يقال «يا زيدا»، كالندبة؛ فيكون الاسم بين صوتين مديدين — وهما «يا» في أول الاسم، والالف في آخره — والاسم فيه ليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه، فلما كثر في كلامهم استغنوا بالصوت الأول وهو «يا» في أوله عن الثاني وهو الالف في آخره، فحذفوها وصار كالغايات^٥ وبنوا آخر الاسم على الضم تشبيها بقبل وبعد^٦؛ لأن الالف لما حذفت وهي مرادة معه، والاسم كالمضاف إليها إذ كان متعلقا بها؛ أشبه آخره آخر ما حذف منه المضاف إليه وهو مراد معه نحو «جئت من قبل ومن بعد» أي من قبل ذلك ومن بعد ذلك، قال الله تعالى: (الله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل ذلك ومن بعد ذلك؛ فذلك هاهنا. قالوا: ولا يجوز أيضاً أن يقال «إن هذا يبطل بالمنادى المضاف، نحو: يا عبد عمرو؛ فإنه يفنقر في باب الصوت إلى ما يفنقر إليه المفرد؛ فكان

^١ الصبان، محمد علي: حاشية الصبان. ١٤١/٣.

^٢ الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك. عي الدين عبد الحميد. ٣٤٤/٤.

^٣ الخضري، الشيخ محمد: حاشية الخضري. ٧٢/٢.

^٤ الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك. عي الدين عبد الحميد. ٣٤٤/٤.

^٥ الرضي الأسترآدي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ١٣٢/١.

^٦ المعري، أبو القفا: التبيين عن مذاهب البصريين والكوفيين. ٤٤٠.

ينبغي أن يقال: يا عبدُ عمرو - بالضم - لأن أصله: يا عبدَ عمراه» لأننا نقول: إنما لم يقدر ذلك في المنادى المضاف لأجل طوله، بخلاف المفرد، فبان الفرق بينهما.

وأما المضاف فإنما وجب أن يكون مفتوحاً لأن الاسم الثاني حل محل ألف الندبة في قولك «يا زيدا» والـدال في «يا زيدا» مفتوحة، فبقيت الفتحة على ما كانت في «يا عبد عمرو» كما كانت في يا زيدا» والمضموم هاهنا بمنزلة المنصوب، والمنصوب بمنزلة المندوب، ولا يقال إنه نصب بفعل ولأداة.

قال: والذي يدل على أن المفرد بمنزلة المضاف امتناع دخول الالف واللام عليه، والذي يدل على أنه ليس منصوباً بفعل امتناع الحال أن تقع معه؛ فلا يجوز أن يقال «يا زيد راكباً»، والذي يدل على أنه بمنزلة المضاف وإن أفرد حملك نعتَه على النصب نحو «يا زيدُ الظريف» كما يحمل نعتَه على الرفع نحو: «يا زيدُ الظريف»^١.

قبل الأنباري رأيُه في تشبيه المنادى ببعد وقبل قائلاً: أنه بني على الضم لأنه لما كان غاية يتم به الكلام وينقطع عندها أشبه «قبل وبعد»، فبنوه على الضم، كما بنوهما على الضم^٢.

ما ذهب إليه الفراء خطأ؛ إذ زعم أن أصل «يازيد» مثلاً: يازيدا، ثم اكتفي بيا وحذفت الألف الملحقة به، فبني على الضم وهو بعد واضح في التقدير^٣؛ لأننا ندري بأن المنادى مفعول لفعل محذوف قام حرف النداء مقام الفعل المحذوف وجوباً، نقول: يا زيدُ أي ادعُ زيدا؛ فحذف الفعل للتخفيف في الكلام، فلا داعي لما ذكره الفراء من الأدلة ولا طائل تحته فتكلف في

^١ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٣٢٢/١، ٣٢٤.

^٢ أسرار العربية. ٢٠٥.

^٣ ضيف، توفيق: المدارس النحوية. ١٧٢.

إثبات رأيه. وذهب مثلاً إلى أن المنادى المضاف مبنى على الفتح؛ فهذا يبطل كلامه لأننا ندري بأن الاسماء المبنية لا تقع مضافاً أبداً؛ فكيف جعل المضاف مبنياً؟

الرأي الخامس:

ذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء إلى أن «مذ» و«منذ» إذا ارتفع الاسم بعدهما؛ فهو يرتفع بتقدير مبتدا محذوف^١.

قول المبرد وابن سراج والفارسي^٢: هما مبتدان ما بعدهما خبر^٣، و قول الأخفش والزجاج والزجاجي^٤: بالعكس^٥، أي هما ظرفان مخبر بهما عما بعدهما وقول الكوفيين: ظرفان وما بعدهما فاعل لكان تامة محذوفة^٦؛ واختاره السهيلي وابن مالك^٧؛ وأنشد ابن مالك:

وَمَذْ وَمُنْذُ اسْمَانِ حَيْثُ رَفَعَا أَوْ أُولَيَا الْفِعْلِ كَجِئْتُ مَذْ دَعَا^٨

رأي الفراء صحيح إن لا يكن أصح الأقوال؛ فالبصريون يقولون إنه خبر لهما وهما مبتدان بحاجة إلى خبر على تقدير المعنى أي الامد مثلاً نقول مارأيته مذ يومان؛ أي امد انقطاع الرؤية يومان. نحن نؤثر رأي الفراء لأننا نعامل مع مذ ومنذ حينما يقعان الاسمين معاملة حيث وإذ حينما تضاف إلى جملة فنقول «اذهب إلى حيث زيد قائم»، فزيد مبتداً وقائم خبر وهكذا مذ ومنذ.

^١ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٣٨٢/١.

^٢ الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب. ٤٤٢/١.

^٣ ابن عقيل، هاء الدين: شرح ابن عقيل. ٣١/٢.

^٤ الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب. ٤٤٢/١.

^٥ الحصري، الشيخ محمد: حاشية الحصري. ٢٢٤/١.

^٦ السيوطي، جلال الدين: البهجة المرضية. ٢٧٧، ٢٧٨.

^٧ الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب. ٤٤٢/١.

^٨ الألفية. ٣٦.

قال بعض الكوفيين: أصل منذ؛ من إذ فركبا وضم الذال للساكين فالمرفوع فاعل فعل مقدر، فتقدير منذ يوم الجمعة: من إذ مضى يوم الجمعة؛ أي من وقت مضى يوم الجمعة^١.

قال البصريون: من الظروف المبنية في بعض الاحوال مذ ومنذ ومنذ بسيطة^٢. ويقول ابن ناظم: يرفع اسم الزمان بعدهما. فإذا رفع فهما اسمان مبتدان بمعنى أول المدة إن كان الزمان ماضيا وبمعنى جميع المدة إن كان الزمان حاضرا^٣.

قال ابن جني: أصل مذ: مُنْذُ، فحذفت النون تخفيفا^٤.

وأما الفراء فاحتج بأن قال: إنما قلت إن الاسم يرتفع بعدهما بتقدير مبتدا محذوف، وذلك لأن مذ ومنذ مركبتان من من وذو التي بمعنى الذي؛ فلما ركبتا حذفت الواو من «ذو» اجتزاء بالضممة عنها؛ لانهم يجتزئون بالضممة عن الواو بالكسرة عن الياء وبالضممة عن الالف. فكذلك هاهنا: حذف الواو من «ذو» اجتزاء بالضممة عنها، وصيرا كلمة واحدة، وضمت الميم اتباعا^٥، وإذا كانا مركبتين من من وذو التي بمعنى الذي؛ فالذي اسم موصول يفترق إلى صلة وعائد، والصلة لا تخلو: إما أن تكون من مبتدا وخبر، أو فعل وفاعل، فإذا قلت: «ما رأيته مذ يومان» أو «منذ ليلتان» فالتقدير فيه: ما رأيته من الذي هو يومان، فحذف «هو» الذي هو المبتدأ، وبقي الخبر الذي هو يومان، وحذف المبتدأ من الاسم الموصول جائز كقولك: «الذي أخوك زيد» أي الذي هو أخوك زيد، والذي يدل على جوازه قولهم:

^١ الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ١١٨/٢.

^٢ السيوطي، جلال الدين: مع الموامع. ٢١٦/١.

^٣ شرح ألفية ابن مالك. ٣٧٢.

^٤ اللعم في العربية. ١٣١.

^٥ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٣٨٣، ٣٨٥/١.

^٦ الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح. ٢١/٢.

«ما أنا بالذي قائل لك شيئاً» أي ما أنا بالذي أنا قائل لك شيئاً، وهذا كثير في كلامهم، فأما إذا كان الاسم بعدهما مخفوضاً فهو مخفوض بمن؛ ولهذا إذا ظهرت النون في منذ كان الاختيار الخفض وإذا لم تظهر كان الاختيار الرفع^١.

وقال غيره هي مركبة من من وإن فحذفت الهمزة تخفيفاً وغيّرت بضم أولها وحركت اذال لسكونها وسكون النون قبلها وضمت اتباعاً لضمّة الميم وهذه دعاوى لا دليل عليها والأصل عدم التركيب^٢.

الرأي الذي ذكره الفراء في البداية كان صحيحاً؛ إن ما كان قد قال رأيه الثاني: من أن منذ مركبة من من وذو، فهذا فاسد؛ لأنه لم يثبت بأنه لم يأت بشاهد يؤيد رأيه، فحجته ضعيفة جداً.

الرأي السادس:

أجاز الفراء تقديم المرفوع في جملة جواب الشرط ولم يُجزّ تقديم المنصوب عليها^٣. والصحيح جوازه وعليه سيبويه والكسائي نحو إن تأتني خيراً تصب^٤.

أما الكوفيون فلا يجيزون جزم جواب الشرط إذا تقدمه المرفوع لأن الجزم عندهم بالجوار وقد زال الجوار بفصل المرفوع الذي هو اجنبي من الشرط؛ أما لو كان المرفوع من جملة الشرط فلا يعد فصلاً مانعاً من الجوار نحو إن يضربني زيد اضرب^٥.

كلام الفراء فاسد؛ إذ نعلم أننا نستطيع أن نقدم المنصوب على الفعل؛ مثلاً نقول: ضربت زيدا، أو بإمكاننا أن نقول: زيدا ضربت، فقدمنا المفعول

^١ الأبياري، أبو البركات: الإنصاف. ٣٩١/١.

^٢ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ٩٥/٤.

^٣ الأبياري، أبو البركات: الإنصاف. ٦٢١/٢.

^٤ السيوطي، حلال الدين: معجم المصنفين. ٦٢/٢.

^٥ الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ٢٥٥/٢، ٢٥٦.

ولا بأس ولكننا حينما قدمنا الفاعل على الفعل فيصبح مبتدأ ولا نقدر أن نقول إنه فاعل ولا ندري كيف أجاز الفراء تقديم المرفوع ولم يُجز تقديم المنصوب مع أنه جاء في الشعر.

قال الأنباري: الذي يدل على فساد ما ذهب إليه الفراء من منع جواز تقديم المنصوب قول طفيل الغنوي:

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ؛ فَمَنْ يَصْطَبِرَ لَهَا وَيَعْرِفَ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرَ تُعْقِبِ
فنصب «الخير» بتعقب، وتقديره: تعقب الخير، و«تعقب» مجزوم، وإنما كسرت الباء لأن القصيدة مجرورة، وإنما كان هذا في المجرورة دون المرفوعة والمنصوبة لوجهين؛ أحدهما: أن الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، فلما وجب تحريكه حركوه حركة النضير، والثاني: أن الرفع والنصب يدخلان هذا الفعل، ولا يدخله الجر، فلو حركوه بالضم أو الفتح لالتبس حركة الإعراب بحركة البناء، بخلاف الكسر؛ فإنه ليس فيه لبس.

والذي يدل على فساد ما ذهب إليه الفراء من امتناع جواز تقديم المنصوب أننا أجمعنا على أن المنصوب فضلة في الجملة، بخلاف المرفوع؛ فينبغي أن لا يعتد بتقديمه كتقديم المرفوع^١.

الرأي السابع:

الفراء من الكوفيين اشترط في مد المقصور وقصر الممدود شروطاً لم يشترطها غيره؛ فذهب إلى أنه لا يجوز أن يمد من المقصور ما لا يجيء في بابه ممدود، نحو فعلى تأنيث فعلاً نحو سكرى وعطشى؛ فهذا لا يجوز أن يمد؛ لأن مذكره سكران وعطشان، وفعل تأنيث فعلاً لا تجيء إلا مقصورة، وكذلك حكم كل ما يقتضى القياس أن يكون مقصوراً وكذلك لا يجوز أن يقصر من الممدود ما لا يجيء في بابه مقصور، نحو تأنيث أفعلاً نحو بيضاء وسوداء؛ فهذا لا يجوز أن يقصر؛ لأن مذكره أبيض وأسود، وفعل تأنيث

^١ الأنباري، أبوالمكات: الإنصاف. ٢/٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١.

أفعل لا يكون إلا ممدوداً، وكذلك حكم كل ما يقتضي القياس أن يكون ممدوداً، فأما ما عدا ما يوجب القياس أن يكون مقصوراً أو ممدوداً من المقصور والممدود فإنه يجوز أن يمد منه المقصور ويقصر منه الممدود إذا كان له نظير من المقصور والممدود؛ فيجوز عنده مد «رَحَى، وهْدَى، وحَجَى» لأنها إذا مدت صارت إلى مثال رَحَى وهْدَى وحَجَى، فأما ما لا مثال له من المقصور والممدود إذا مد وقصر فلا يخرج عن بابه من المد والقصر^١. فلا يجوز عنده أن يقصر للضرورة، ورد قول الأقبشر:

فقلت لو باكرت مشمولة صفرا كلون الفرس الأشقر

فقصر الشاعر صفرا للضرورة^٢. ورد رأي ابن مالك أيضاً لوروده في الشعر قائلاً^٣:

وقَصْرُ ذِي الْمَدِّ اضْطِرَّارًا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَالْعَكْسُ بِخَلْفِ يَقَعُ

لاخلاف بين البصريين والكوفيين في جواز قصر الممدود للضرورة^٤.

البصريون منعوا مد المقصور للضرورة وأجازه الكوفيون^٥؛ محتجين بنحو

قوله: يَا لَكَ مِنْ تَمَرٍ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ

الشاهد في قوله واللهاء حيث مده للضرورة، وأصله «اللهاء» بالقصر^٦.

وأما ما ذهب إليه الفراء - من اشتراطه في قصر الممدود أن يجي في

بابه مقصور - فباطل؛ لأنه قد جاء القصر فيما لم يجئ في بابه مقصور في

اشعار العرب^٧.

^١ الأبنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٧٤٥، ٧٤٦/٢.

^٢ الأزهرى، خالد بن عبد الله: شرح التصريح على التوضيح. ٢٩٣/٢.

^٣ الصبان، محمد علي: حاشية الصبان. ١٠٩/٤.

^٤ الألفية. ٧٣.

^٥ ابن عقيل، هاء الدين: شرح ابن عقيل. ٤٤٠/٢.

^٦ ابن ناظم، محمد: شرح ألفية ابن مالك. ٧٦١.

^٧ السيوطي، جلال الدين: البهجة المرضية. ٥١٧.

^٨ الأبنباري، أبو البركات: الإنصاف. ٧٥٢/٢.

الرأي الثامن:

ذهب أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء إلى أن الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير، وإن كان على خمسة أحرف - نحو سفرجل - ففيه زيادة حرفين^١.

وذهب الفراء والكسائي إلى أن الأصل في الاسماء كلها الثلاثي وإن الرباعي فيه زيادة حرف والخماسي فيه زيادة حرفين والمذهب الأول ولذلك نزنه بالفاء والعين واللام ولو كان الأمر على ما ذكرنا لقوبل بمثله وإنما لم يكن للسداسي أصل لأنه ضعف الأصل الأول فيصير كالمركب من ثلاثين مثل حضر موت^٢.

ذهب الكسائي إلى أن الزائد في الاسماء الرباعية فصاعداً هو الحرف ما قبل الأخير ومذهب الفراء الحرف الأخير.

رأيهما دعويان يفتقران إلى دليل يدعمهما؛ إذ إننا ندري أن بعض الاسماء دخلت من الاعجمية في كلام العرب، وحروفها أصلية وليست بزائدة: كاستوانة أو سلطان أو جمهرة، وليست هذه الكلمات من العربية فنحكم بزيادتها، وكلا العالمين من أصل فارسي ولاندرى كيف وقعا في خطأ؟

الرأي التاسع:

ذهب الفراء إلى أنه لايجوز تقديم معمولات «عَلَيْكَ، وَثُونُكَ، وَعِنْدَكَ» عليها^٣، ووافق البصريين في هذا الرأي.

لايجوز تقديم معمولات أسماء الأفعال عليها عند البصريين، وجوزّه الكوفيون قياساً على اسمي الفاعل والمفعول، والفرق على الأول أنهما في قوة الفعل لشدة شبههما به وأسماء الأفعال ضعيفة^٤. كما أنشد ابن مالك:

^١ الأنباري، أبوالركات: الإنصاف. ٧٩٣/٢.

^٢ ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. ١٤٣/٦.

^٣ الأنباري، أبوالركات: الإنصاف. ٢٢٨/١.

^٤ السيوطي، حلال الدين: الأشياء والنظائر. ٣٠٤/٢.

(وَأُخْرَ مَا لِذِي فِيهِ الْعَمَلُ^١) خلافاً للكسائي^٢؛ فلا تقول: «زَيْداً ذَرَاكَ»^٣.
 أجاز الكسائي فيه ما يجوز في الفعل: من التقديم والتأخير^٤. واستدل
 الكوفيون والكسائي بالآية القرآنية (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ^٥) وبهذا البيت^٦:
 يَا أَيُّهَا الْمَآئِحَ دَلَوِي دُونَكُمْ إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
 قال الناظم: لا حجة له في قول الراجز^٧. ويقول الأنصاري: إنه
 مؤول^٨.

أجيب بأن كتاب مصدر منصوب بفعل محذوف مؤكد لمضمون حرمت
 عليكم أمهاتكم أي كتب ذلك الله عليكم كتاباً فحذف الفعل وأضيف المصدر
 إلى فاعله كصبغة إبله^٩، أو هو إغراء أي ألزموا كتاب الله^{١٠}؛ ويجوز الرفع
 أي هذا كتاب الله^{١١}، وقال الكوفيون هو منصوب على الإغراء بعلينكم وهو
 بعيد^{١٢}، وهذه الآية كقول الشاعر:

دأبت إلى أن يثبت الظل بعدما تقاصر حتى كاد في الآل يمح
 وجيف المطايا ثم قلت لصحبتى ولم ينزلوا أبردتهم فتزوجوا

^١ الألفية. ٥٩.

^٢ السيوطي، حلال الدين: البهجة المرضية. ٤٣٦.

^٣ ابن عقيل، هاء الدين: شرح ابن عقيل. ٣٠٥/٢.

^٤ ابن ناظم، عمدة: شرح الفقيه ابن مالك. ٦١٤.

^٥ القرآن الكريم. ٢٤/٤.

^٦ الرضي الأستربادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ٦٨/٢.

^٧ الصبان، عمدة علي: حاشية الصبان. ٢٠٦/٣.

^٨ أوضح المسالك. ٨٨/٤.

^٩ الخضري، الشيخ محمد: حاشية الخضري. ٩٢/٢.

^{١٠} المعكري، أبو البقاء: التبيان. ٣٤٦/١.

^{١١} النحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن. ٤٤٥/١.

^{١٢} مكِّي ابن أبي طالب، أبو عمدة: مشكل إعراب القرآن. ١٩٤، ١٩٥/١.

فنصب وجيف المطايا على المصدر بما دل عليه، وهو «دأبت»، جاء في القرآن أيضا (وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ) وهو منصوب بما دل عليه الكلام قبله، وتقديره صنع ذلك صنعا الله^١.

ويقول العيني: الشاهد في دلوي دونك حيث استدل به الكسائي على جواز تقديم معمول اسم الفعل عليه. فان دونك اسم فعل. ودلوي معموله مقDMA، وأجيب بأنه مبتدا ودونك خبره. أو هو منصوب بفعل محذوف: أي تناول دلوي^٢.

ما ذهب إليه الفراء صحيح؛ فالكوفيون أجازوا ذلك في الإغراء على هذا القياس بأنها تقوم مقام الفعل؛ فكما يتقدم المفعول على الفعل فكذلك هنا هنا يتقدم معموله عليه ويتصرف تصرف الفعل لما ذكروا.

هذا فاسد لأن هذه الاسماء تعمل عملين: فهذه الاسماء تقع موقع اسم الفعل في مكان؛ وتجر الاسماء في موضع آخر؛ فهي شبيهة بالفعل فكيف يعمل ما أشبه الفعل مثلا نقول: هذا معلم، وذلك زارع؛ ووجههما شبيه بالآخر أيستطيع الزارع ان يدرس للتلاميذ بمجرد الشبابة؛ فنستنتج بأن اسماء الفعل كلها استعملت لغرض التخفيف في الكلام ولانقدر أن نقدم معموله عليه وهي فرع على الفعل والفرع لا يعمل عمل الاصل.

واسم الفعل يخالف مسماه فإن الفعل يجوز تقديم معموله عليه ولا يجوز تقديم معمول اسم الفعل عليه لقصور درجته عن الفعل^٣. ولا يقدم لعدم تصرفها أيضا^٤، ولا تعمل مضمرة بأن تحذف ويبقى معمولها^٥.

^١ القرآن الكريم. ٨٨/٢٧.

^٢ الأبناري، أبو البركات: البيان. ٢٤٨، ٢٤٩/١.

^٣ الصبان، حمد علي: حاشية الصبان. ٢٠٦/٣.

^٤ الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح. ١٩٩/٢.

^٥ ابن عصفور، علي بن مؤمن: المُقَرَّب. ١٤٧.

^٦ السيوطي، جلال الدين: معجم المفاتيح. ١٠٥/٢.

ويقول: إن الضمير المتصل باسماء الافعال مرفوع على الفاعلية لأنه قد يليها منصوب مثل «عليك زيدا»^١. ومحلّه عند الكسائي نصب. إذ المنصوب قد يجيء بعدها صريحا^٢.

الرأي العاشر:

لم يُجز الفراء تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشرط كما فعله البصريون^٣.

البصريون قالوا: لأداة الشرط صدر الكلام ولايجوز تقديم شيء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب عليها لأنها عندهم كأداة الاستفهام وما النافية ونحوهما مما له الصدر ولايعمل ما قبلها فيما بعدها وإنما تقع مستأنفة أو مبنية على ذي خبر أو نحوه وجوز الكسائي تقديم معمول فعل الشرط أو الجواب على الأداة، نحو: خيرا إن تفعل يثبك الله^٤.

وأما الكوفيون فجوّزوا تقديم معمول الجزاء المجزوم على أدوات الشرط قالوا لأن حق الجواب التقديم فنحو إن تضرب اضرب؛ كان عندهم في الأصل اضرب إن تضرب فلما تأخر الجواب انجزم على الجوار؛ قالوا: الدليل على أن مرتبته التقديم قوله:

يا اقرع بن حابس يا اقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع
أي إنك تُصرع إن يُصرع أخوك؛ فرفع الجواب مراعات لأصله من التقديم^٥.

الكوفيون يعتقدون أن الأصل في الجزاء أن يتقدم على الشرط؛ فلا حجة لهم في هذا الكلام فإننا نعلم أن العلة تُسبب المعلول ففعل الشرط علة

^١ ضيف، شوقي: المدارس النحوية. ٢٠٩.

^٢ السيوطي، جلال الدين: البهجة المرضية. ٤٣٥.

^٣ الأبناري، أبو البركات: الإنصاف. ٦٢٣/٢.

^٤ السيوطي، جلال الدين: مع الموامع. ٦١/٢.

^٥ الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ٢٥٦، ٢٥٧/٢.

الجواب وهذا أصل الشرط مثلاً نقول: إن تدرس تنجح؛ فالنجاح معلول القراءة كما أن النار تشعل الخشب وفي البداية تأتي العلة وبعدها يجيء المعلوم؛ هذا يدل على فساد ما ذهبوا إليه.

فردت حجة الكوفيين بمنع كون مرتبة الجزاء قبل الأداة لأن الجزاء من حيث المعنى لازم كما مر في الظروف المبنية ومرتبة اللازم بعد الملزوم وقوله تصرع ضرورة إما على حذف الفاء كقوله: من يفعل الحسنات الله يشكرها^١. واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بالفعل أو بالفاء^٢.

والدليل الآخر لصدارة أداة الشرط أننا لو قدمنا النواسخ أي الأفعال الناقصة أو الحروف المشبهة بالفعل على هذه الاداة لبطلت عملها، كما نقول: إن من يأتيني آتية. وإنما أذهبت الجزاء من هاهنا لأنك أعملت «إن» ولم يسغ لك أن تدع «إن» وأشباهه معلقة لا تعملها في شيء فلما أعملتهن ذهب الجزاء ولم يكن من مواضعه^٣.

النتيجة

استنتجنا مما قرأنا في هذه المقالة، أننا لانستطيع أن نرد جميع آراء الفراء ومدرسة الكوفة؛ إذ نسب القدماء إليه آراء لاصحة لها، ونحن نطفن إلى هذه المسألة حينما نقرأ معاني القرآن ونقارن نصه بنص كتب هؤلاء القدماء؛ فيظهر خطأ انتساب هذه الآراء وجئنا ببعضها في المقالة، و الخلاف يرجع إلى الدعاوي الحزبية والسياسية.

فعلى الانسان أن ينظر إلى هذه الآراء كالقاضي المحايد؛ وأن يقرأ ما كتبه المؤلف، ويقرأ كتب العلماء الآخرين، ويقارنها بما يتقص دقيق؛ قد ينال مايفيد المعاصرين في كتابة كتبهم، حتى لا ينسبوا إلى عالم، مانسبه القدماء

^١ الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن: شرح الكافية. ٢٥٦/٢.

^٢ سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب. ٦٣/٣.

^٣ سيبويه، عمرو بن عثمان: الكتاب. ٧٢/٣.

(أي رأياً خطأ). فعلى هذا ليس باستطاعتنا رد كل هذه الآراء أو قبولها؛ مثلاً انه يرى أن الفعل ينقسم إلى ماض ومضارع ودائم، وهو لم يعتبر فعل الأمر فعلاً بل ذهب إلى أنه مقتطع من المضارع المجزوم بلام الأمر؛ ورأى أن العرب حذفوا اللام من الفعل لكثرة الأمر في كلامهم؛ إنه يعتقد هذا الاعتقاد لكنه ذهب هذا المذهب.

إننا ندري أن الكوفيين توسعوا في قبول الروايات؛ والكوفة شهيرة بقبول الأشعار وانتحالها، واشتهر حماد الراوية بالوضع في الأخبار والأشعار في هذه المدينة لذلك نستند بمدرسة البصرة ونحاتها.

فهرس المصادر

١. الأنباري، أبو البركات كمال الدين (٥٧٧): الإصناف. محمد محيي الدين عبد الحميد. إيران، صبا، نشر ادب الحوزة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦١م.
٢. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم ابن السري (٣١٠): معاني القرآن واعرابه. عبد الجليل عبد شلبي. لبنان، بيروت، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٣. الأنباري، أبو البركات (٥٧٧): أسرار العربية. الدكتور فخر صالح قداره. بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٤. الأزهرى، خالد بن عبدالله: شرح التصريح على التوضيح. القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٣٦هـ، ١٩١٨م.
٥. ضيف، شوقي: المدارس النحوية. القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١١١٩م.
٦. الفراء، يحيى بن زياد (٢٠٧): معاني القرآن. أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار. لبنان، بيروت، عالم الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م.
٧. الزمخشري، جار الله (٥٣٨): المفصل. بيروت، دار الجيل.
- ٧) Zamahsario, Abu, l-kasim Mahmud Bin Omar (٥٣٨):
Al-mufasssal Opus de re Grammatical. J. P. Broch.
Aliisque, Libraria, Mallingii, ١٨٤٠.
٨. ابن يعيش، موفق الدين (٦٤٣): شرح المفصل. بيروت، عالم الكتاب.

٩. الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني. مصر، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٣٣٢هـ، ١٩١٨م.

١٠. الصَّبَّان، محمد علي: حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني. ايران، قم، مطبعة أمير، انتشارات زاهدي، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ ش، ١٤١٢هـ ق.

١١. الرضي الأسترآبادي، محمد ابن الحسن (٦٨٨): شرح الكافية. السيد شريف الجرجاني. ايران، قم، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١): همع الهوامع شرح جمع الجوامع. مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ.

١٣. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠): الكتاب. عبد السلام محمد هارون. مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٤. ابن ناظم، أبو عبدالله بدر الدين محمد: شرح ألفية ابن مالك. عبدالحميد السيّد محمد عبدالحميد. بيروت، دار الجيل.

١٥. ابن عصفور، علي بن مؤمن (٦٦٩): المقرّب. أحمد عبد الستار الجواري، عبدالله الجبوري. بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني.

١٦. الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد ابن عبدالله ابن هشام (٧٦١): أوضح المسالك. محمد محيي الدين عبدالحميد. ايران، قم، مطبعة أمير، مكتبة سيّد الشهداء،

- الطبعة الخامسة، ١٣٦٦هـ — ش. * الأنصاري، أبو محمد
عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد ابن عبدالله ابن
هشام (٧٦١): أوضح المسالك. حنا الفاخوري. بيروت، دار
الجيل، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
١٧. ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢): اللع في العربية. حامد
مؤمن. بيروت، عالم الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ —
١٩٨٥م.
١٨. ابن مالك الأندلسي، محمد ابن عبدالله (٦٧٢): الألفية. ايران،
قم، مطبعة نويد إسلام، الطبعة الثالثة، ١٣٧٩هـ — ش.
١٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١):
البهجة المرضية. السيّد عليّ الحسيني. ايران، قم، مطبة قدس،
انتشارات دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢هـ.
٢٠. ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (٢٩١): مجالس ثعلب.
عبد السلام محمد هارون. مصر، القاهرة، مطبعة كورنيش
النيل، دار المعارف، ١١١٩.
٢١. الزّجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (٣٤٠): مجالس
العلماء. عبدالسلام محمد هارون. الكويت، مطبعة الحكومة،
التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
٢٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١):
الأشباه والنظائر. لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٣. القرآن الكريم. ايران، طهران، منظمة طبع وزارة الثقافة
والإرشاد الإسلامي، ١٣٧٥هـ — ش.

٢٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١):
الإقتراح. دكتور أحمد محمد قاسم. القاهرة، جامعة الأزهر،
نشر أدب الحوزة.
٢٥. البغدادي، الشيخ عبد القادر بن عمر (١٠٩٣): خزانة الأدب
ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية. مصر،
القاهرة، بولاق، المطبعة الميرية.
٢٦. ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الاشبيلي
السبتي (٦٨٨): البسيط في شرح الجمل الزجاجي. عياد بن عيد
الثبتي. لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،
١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
٢٧. مكّي ابن أبي طالب القيسي، أبو محمد (٤٣٧): مشكل إعراب
القرآن. حاتم صالح الضامن. لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة،
الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢٨. النحاس، أبو جعفر أحمد ابن محمد اسماعيل (٣٣٨): إعراب
القرآن. زهير غازي زاهد. لبنان، بيروت، عالم الكتاب،
مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.
٢٩. الأنباري، أبو البركات (٥٧٧): البيان في غريب إعراب
القرآن. طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا. إيران،
قم، انتشارات الهجرة، ١٤٠٣هـ، ١٣٦٢ش.
٣٠. النحاس، أبو جعفر أحمد ابن محمد اسماعيل (٣٣٨): شرح
أبيات سيبويه. زهير غازي زاهد. لبنان، بيروت، عالم
الكتاب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ،
١٩٨٦م.

٣١. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (٢١١): معاني القرآن. عبدالأمير محمد أمين الورد. لبنان، بيروت، عالم الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٢. أبو حيان، أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الحياي (٧٥٤): البحر المحيط. لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٣٣. الخضري، الشيخ محمد: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل. مصر، القاهرة، المطبعة الأزهرية، الطبعة السادسة، ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م.

٣٤. أحمد ويرة المختار: دراسة في النحو الكوفي. لبنان، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ، ٢٠٠٣م.

٣٥. العكبري، أبو البقاء عبدالله ابن الحسين (٦١٦): التبيان في إعراب القرآن. لبنان، بيروت، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٣٦. العكبري، أبو البقاء عبدالله ابن الحسين (٦١٦): التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين. عبدالرحمن العثيمين. لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

٣٧. الأنصاري القرطبي، أبو عبدالله محمد ابن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. أحمد عبد العليم البردوني. مصر، القاهرة، مطبعة دار الكتب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، ١٩٥٨م.

٣٨. ابن عقيل، بهاء الدّين عبدالله العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩): شرح ابن عقيل. محمد محيي الدّين عبد الحميد. ايران، قم، مطبعة أمير، انتشارات ناصر خسرو، الطّبعة العاشرة، ١٣٨٥ش، ١٤٢٧هـ.
٣٩. الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد ابن عبدالله ابن هشام (٧٦١): مغني اللبيب. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني. ايران، قم، مطبعة أمير، سيّد الشهداء، الطّبعة الخامسة، ١٣٧٨ش.
٤٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١): المزهري في علوم اللغة وأنواعها. مصر، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، طبعة دار إحياء الكتب العربية.
٤١. اللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين. محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر، القاهرة، دار نهضة مصر الفجالة، ١٩٧٤م.
٤٢. الزبيدي، محمد بن الحسن (٣٧٩): طبقات النحويين واللغويين. مصر، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٥٤م.
٤٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١): بغية الوعاة. لبنان، بيروت، دار المعرفة.
٤٤. المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة النحوية. مصر، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٨م.
٤٥. كحالة، عمر: معجم المؤلفين. لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٤٦. القفطي، أبوبكر: أنباه الرواة على أنباه النحاة. محمد أبو الفضل ابراهيم. بيروت، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطّبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤٧. الأنباري، أبو البركات كمال الدين (٥٧٧): نزهة الألباء في

طبقات الأدباء. بغداد، مكتبة الأندلس، ١٩٧٠م.

٤٨. الذهبي: تذكرة الحفاظ. لبنان، بيروت، دار إحياء التراث

العربي، ١٩٥٤م.

٤٩. ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن أبي يعقوب، إسحاق

المعروف بالوراق: الفهرست. رضا تجدد. إيران، طهران،

مكتبة الجعفري التبريزي، ١٣٩١ق، ١٣٥٠ش، ١٩٧١م.

٥٠. شلبي، عبدالفتاح اسماعيل: أبو علي الفارسي. مصر، مكتبة

نهضة، ١٩٥٧م.

٥١. مفتي خديجه أحمد: نحو القراء الكوفيين. مكة المكرمة،

المعابدة، المكتبة الفيضية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

٥٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١):

الإتقان في علوم القرآن. مصر، مطبعة مصطفى البابي

الحلي، الطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ.

٥٣. البغدادي، الخطيب أبو بكر أحمد ابن علي (٤٦٣): تاريخ

بغداد أو مدينة السلام. لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٤. الحموي، ياقوت: معجم الأدباء. أحمد فريد رفاعي بك.

مصر، مطبعة دار المأمون، مكتب القراءة والثقافة الأدبية،

الطبعة الأخيرة.

الملخص

الفراء قد عمّم المنع في عدم تقدم خبر مازال عليها بجميع حروف النفي التي تدخل فيها وإخوتها؛ واشترط في عطف اسم مرفوع على اسم «إن» بخفاء إعرابه؛ وذهب إلى أن «إلّا» في الاستثناء مركبة من إن التي تكون للجد ولا وإن كان ما قبل الاستثناء لا جحد فيه فالمستثنى ينصب وإلا يتبع ما قبله في الإعراب؛ والمنادى المفرد في رأيه ليس بفاعل ولا مفعول بل هو مبني على الضم وهو قد كان في أصله ندبة و شبيها بقبل وبعد؛ ويقول: إن الاسم المرفوع بعد مذ ومنذ خبر لمبتدأ محذوف ومنذ مركبة من «من» و«ذو» الطائنية، مثلاً منذ يومان أي من الذي هو يومان؛ وأجاز تقديم المرفوع في جملة جواب الشرط ولم يُجزّ تقديم المنصوب عليها؛ ولم يُجزّ مد ما لم يجئ في بابه ممدود وقصر ما لم يجئ في بابه مقصور؛ وذهب إلى أن الزائد في ما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير والزائد في خمسة أحرف الحرفان الأخيران؛ وقال: لا يجوز تقديم معمول اسم الفعل عليه ولم يجز تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشرط.

الكلمات الرئيسية: النحو، الفراء، الآراء، المكاتب

أدباء السجون من القرن الأول حتى القرن السادس

الدكتور حسين جويين
استاذ مشارك في كلية العلوم الانسانية
جامعة آزاد الاسلامية - فرع دزفول

الخلاصة

إن الأدب هو وجه زاهر من وجوه الثقافة لكل شعب، وقد لعب الأدب دوراً مميزاً في تاريخ ثقافتنا الاسلامية، وللأدب آفاق مختلفة، وهناك جانب مهم من تاريخ الأدب ولم تُدرس أبعاده كما ينبغي وهو أدب السجون، ونستعرض في هذا البحث ثلاثة من الشعراء البارزين في تاريخنا الاسلامي وكانوا قد سجنوا ونظموا أشعارهم وهم في قيد السجن، وهؤلاء الشعراء هم ابو فراس الفرزدق التميمي وابو فراس حارث الحمداني وحسين الطغرائي الاصفهاني صاحب لامية العجم وسنقدم نماذج مما نظمه هؤلاء الشعراء في السجون.

مفاتيح البحث: السجن، الولااء، الصمود.

عناوين البحث:

المقدمة

الحبس والسجن والمعتقل في المعاجم اللغوية
 الحبس والسجن والمعتقل في القرآن الكريم ونهج البلاغة
 ابو فراس الفرزدق وما نظمته في سجن هشام
 ابو فراس الحمداني وأشعاره في سجن الروم
 الطغرائي الاصفهاني وشعره في سجن السلاجقة

المقدمة

إن السجون كانت موجودة في العصور القديمة ومن أشهرها سجون
 فرعون مصر، حيث قالت زوجة فرعون عن النبي يوسف (ع) : ﴿ لَيْسَ جَنْنٌ
 وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ ^١ ﴾ والنبي يوسف (ع) ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ
 مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ^٢ ﴾ وأخذ الى السجن " ودخل معه السجن فتيان .. فلبث في
 السجن بضع سنين ^٣ " ثم من الله عليه باخراجه من السجن وقال النبي يوسف :
 " قد أحسن بي اذا اخرجني من السجن ^٤ " والامام موسى بن جعفر (ع) سجن
 بأمر هارون الرشيد ، وذكر ابن الأثير أن هارون " دخل الى قبر النبي (ص)
 يزوره ومعه الناس فلما انتهى الى القبر وقف وقال : السلام عليك يا رسول
 الله، يا ابن عم، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال : السلام
 عليك يا أبة، فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا ابا الحسن ثم أخذه معه
 الى العراق فحبسه عند السندي بن شاهك وفي السجن اذا صلى العتمة حمد
 الله ومجده ودعاه الى أن يزول الليل، ثم يقوم فيصلّي حتى يطلع الصبح ثم
 يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد
 ويستيقظ قبل الزوال .. فكان هذا دأبه . وأما الادب الرفيع للامام موسى
 الكاظم (ع) في السجن فقد ذكر ابن الاثير الموصلي أن الامام موسى الكاظم

(ع) " لما كان محبوساً بعث الى الرشيد برسالة أنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا ينقضي عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون ^٦ " .

وجاءت شقيقة السجان وشاهدت الامام موسى الكاظم (ع) في السجن وقالت : " خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح " ^٧ .

وفي معرض بحثنا عن أدب السجون سنستعرض ما جاء في المعاجم اللغوية عن كلمتي الحبس والسجن وكيف ذكرتا في القرآن الكريم وفي نهج البلاغة ثم نبحت حول الشعراء الثلاثة الذين سجنوا ونظموا أشعاراً في السجن وهم : الفرزدق والحمداني والطغرائي الذي استقبل الشهادة بأبيات ولائية وهو في السجن استشهد بيد خبيث من أعداء أهل البيت (ع).

الحبس والسجن والمعتقل في المعاجم اللغوية

ذكرت المعاجم اللغوية ثلاثة أسماء في هذا المجال وهي : الحبس والسجن والمعتقل، وكلمة " المعتقل " هي اسم مفعول من باب الافتعال وهي بهذا المعنى مرادفة لكلمة " المسجون " كما انها هي اسم مكان وبهذا المعنى تكون مرادفة لكلمتي السجن والحبس، والجدير بالذكر أن الثقل في اللسان يسمى " حبسه " والحوض الذي يبقى فيه الماء يسمى " حباسه " ، وذكرت كلمة سجن بالمعنى المجازي في هذا الحديث الشريف : " ليس شيء أحقّ بطول سجن من لسان ^٨) ، أي أن اللسان ينبغي ان يبقى سجيناً في الفم ، فكم من كلام جاء بالبلوى للمتكلم، والجدير بالذكر أن كلمة " سجين " هي اسم لواء في جهنم ^٩ وهذه الكلمة هي صيغة مبالغة، وتعني السجن الشاق جداً بما فيه من عذاب وقد كتب للفجار حيث قال الباري عز وجل ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينَ كِتَابٍ مَرْقُومٍ ﴾ ^{١٠} .

وجاء في موسوعة المورد بحث عن الأوضاع المأساوية في السجون في العصور القديمة حتى ما قبل قرنين ذكرها الكاتب البريطاني "جون هاوارد" في كتاب خاص ألفه عن السجون قديماً وانتقد فيه سجون انكلترا وويلز^{١١}، ودعا في كتابه الى تحسين أوضاع المساجين ويبدو أن ذلك الكتاب لم يؤثر على الدول الاستعمارية التي ما زال المساجين يعانون ما يعانون في سجونها.

الحبس والسجن والمعقل في القرآن الكريم ونهج البلاغة

ذُكرت كلمة " الحبس " في آيتين في سورتي المائدة وهود بصيغة المضارع، ففي سورة المائدة، بعد الحديث عن شاهدين يشهدان بوصية ميت، وفيما اذا كان شك بشهادتهما خاطبت الآية الكريمة ذوي الميت قائلة:

﴿ تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ... ﴾^{١٢} وذكر الفعل " يحبس " بالمعنى المجازي في سورة هود بمعنى التأخير وذلك ضمن الحديث عن تأخير عذاب الله عن الكفار في الدنيا فيقولون " ما يحبسه " ^{١٣} وأنذرهم كتاب الله قائلاً: ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزون ﴾^{١٤}.

أما كلمة " السجن فقد ذُكرت أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم وبصورة خاصة في سورة يوسف، كما ذُكرت في سورة الشعراء على لسان فرعون حيث خاطب النبي موسى ع قائلاً: ﴿ لأجعلنك من المسجونين ﴾^{١٥} وخاب فرعون وذهب الى جهنم وصار هو من المسجونين فيها وبئس المصير وكان النصر للنبي موسى ع.

وذكرت كلمة " الحبس " في نهج البلاغة بالمعنى المجازي فقد قال الامام علي أمير المؤمنين (ع): " إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ^{١٦} "، أي منع نزول البركات، كما ذُكرت كلمة

" معقل " عدة مرات في هذا الكتاب الشريف ومنها قوله ع " ولا معقل أحسن مع الورع ^{١٧} " وكلمة معقل لها معنى مجازي بمفهوم المنع من ارتكاب المعاصي.

ابو فراس الفرزدق وما نظم في سجن هشام

كنية " ابي فراس " اختصت بشاعرين وهما : الفرزدق وحارث الحمداي، ومعنى عبارة " ابي فراس " الاسد ^{١٨} ، وهذان الشعاران كانا شجاعين في مواقفهما فاستحقا هاتين الكنيتين، فقد أبدى الفرزدق شجاعة فائقة أمام الأمويين وألقى رائعته الغراء ارتجالاً في مدح أهل البيت (ع) أمام هشام بن عبدالمك في بيت الله الحرام وسُجن بسبب أشعاره اللواتية، وأبدى في السجن شجاعة عظيمة حيث هجا هشاماً، فاضطر هشام ليطلق سراحه وقد كرم الامام علي زين العابدين شجاعة الفرزدق واخلصه وسنستعرض هذا مفصلاً في هذا البحث، فكان مؤهلاً ليُكنى بأبي فراس، ولكنه لم يُعرف بهذه الكنية بل عرف بلقب " الفرزدق ".

مع العلم ان كلمة " الفرزدق " فارسية كما جاء في " المعجم الوسيط " الذي طبع في مصر، وكنية " ابي فراس " اختصت بالشاعر حارث الحمداي وصارت علماً له فعُرف بابي فراس الحمداي.

قبل أن نبحث عن أشعار الفرزدق نقدم خلاصة عن هذا الشاعر الشهير في القرنين الأول والثاني، فهو همام بن غالب من أهل البصرة ويبدو ان لون وجهه كان أبيض وفيه قليل من الأسمرار يشبه لون العجيين واسم العجين الفرزدق، فأكثر وجه أهل البصرة تتسم بلون الاسمرار والبصرة قرب الحدود الايرانية ويوجد تبادل لغوي بين البصريين والاييرانيين فقطعة العجين عند أهل البصرة كان اسمها " فرزدقة " آنذاك وهكذا أطلق على هذا الشاعر

اسم "الفرزدق" وجاء في المعجم الوسيط الذي ألفه الاساتذة المصريون وطبع في مصر.

أن لفظ "الفرزدق" معرب وأصله بالفارسية برازده^{١٩}، وأما المقام العظيم للفرزدق في نظم الشعر فأحد الأدباء واسمه "شبة بن عقال" وصفه لهشام بن عبد الملك قبل أن يصل الخلافة قائلاً: "أما الفرزدق فينحت من صخر"^{٢٠} وقال خالد بن صفوان وهو "أحد فصحاء العرب وخطبائهم وهو مشهور برواية الأخبار وكان يجالس هشام بن عبد الملك"^{٢١} وقال لهشام عن مقام الفرزدق بين الشعراء "أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأسيرهم مثلاً وأقلهم غزلاً وأحلامهم عللاً، الطامي اذا زخر والحامي اذا زار والسامي اذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان فالفرزدق"^{٢٢} "ووصفت موسوعة المورد الفرزدق بأنه من الشعراء الذين انقادت لهم زعامة الشعر السياسي في العصر الأموي، وكان لديه "نزوع الى التمرد والشموخ"^{٢٣}، وهذا الشموخ هو الذي جعل الفرزدق يقف بكل جرأة وشجاعة أمام هشام في بيت الله الحرام، وأما قول "موسوعة المورد" عن انقياد زعامة الشعر السياسي للفرزدق، فلم تنحصر زعامته للشعر السياسي فقط بل للشعر بصورة عامة، وذلك طبق ما جاء في كتاب "قصص العرب" فالكميت الشاعر الكوفي المعروف في القرن الثاني بدأ بنظم الشعر تحت اشراف الفرزدق، فالكميت "قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال: يا أبا فراس أنك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك، قال الفرزدق ومن أنت؟ فانتسب الكميت له، فقال الفرزدق: صدقت فما حاجتك؟ قال الكميت نفث على لساني فقلت شعراً واحببت أن أعرض عليك ما قلت فإن كان حسناً امرتني بإذاعته وإن كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته علي، فقال الفرزدق: يا ابن أخي، أحسب شعرك على قدرك عقلك فهات ما قلت راشداً، فأنشدته أبياتاً ومنها :

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني أتقرب
قال الفرزدق : ويحك! من هؤلاء ؟ قال الكميت:

بني هاشم رهط النبي فأنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
قال الفرزدق : لله درّ أببك أصبت وأحسنّت، إذ عدلت عن الزعانف
والأوباش، اذن لا يصرد سهمك ولا يكذب قولك، أظهر ثم أظهر فانت والله
أشعر من مضى وأشعر من بقي^{٢٤}.

فهذا هو مقام الفرزدق في الشعر في القرنين الاول والثاني، ولهذا ندم
هشام بعدما سجنه وكان ندمه بسبب خوفه من شعر الفرزدق وسنشرح هذا
مفصلاً في هذا البحث.

وأما هشام الذي سجن الفرزدق فهذه خلاصة عنه وذلك برواية ابن
الاثير الموصلي فولادة هشام كانت سنة اثنتين وسبعين فسماه عبدالمك
منصوراً، وسمته أمه بإسم أبيها هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن
المغيرة المخزومي فلم ينكر عبدالمك ذلك، وكانت أمه عائشة بنت هشام
حمقاء فطلقها عبدالمك^{٢٥}، ولم يكن من المقرر أن يصير هشام خليفة، ولكن
الخليفة الذي سبقه وهو يزيد بن عبدالمك رأى ابنه صبيّاً، فجعل ولاية العهد
لهشام بناءً على اقتراح من أخيه " مسلمه " ثم ندم يزيد بن عبدالمك، وقال
لأبنه، " الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك "^{٢٦}.

وهشام لم يظلم الفرزدق فقط، حيث ذهب هشام في أيام خلافته الى
مكة المكرمة، فاشتكى لديه رجل من الظلم الذي كان لدى الخلفاء الذين كانوا
قبله ومنهم يزيد بن عبدالمك الذي أخذ داره، وقال : " ظلمني وقبضها مني
وهي في يدك، فقال هشام : لو كان فيك ضربٌ لضربتك^{٢٧}، وعين هشام
شخصاً اسمه ابراهيم أميراً على مكة والمدينة والطائف وصعد ابراهيم المنبر
في بيت الله " فخطب الناس فقال : اسألوني فأنكم لا تسألون أحداً أعلم مني،

فسأله رجل من أهل العراق عن الأضحية أواجبة هي ؟ فما درى ما يقول فنزل .. ولم يعزله هشام.

وأما موقف هشام السلبي من الفرزدق، فقد جاء في كتاب "قصص العرب" ما يلي: " حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ومعه رؤساء أهل الشام فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس فنصب له منبر فجلس عليه ينظر الى الناس، وأقبل عليّ بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة - فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تتحى الناس كلهم وأخلوا له الحجر ليستلمه هيبَةً وإجلالاً. فغاظ ذلك هشاماً، وبلغ منه، فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير ؟ قال هشام : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف ان يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه، فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضراً، أنا أعرفه، فسألني يا شامي، قال الشامي : ومن هو ؟ قال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأيته قریشٌ قال قائلها :	الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركنُ الحكيم اذا ما جاء يستلم
فليس قولك: من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام فقال الفرزدق في حبسه:

أتحبسني بين المدينة والتي	اليها قلوب الناس يهوي منيها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد	وعيناً له حواء باد عيوبها

فبعث اليه هشام فأخرجه، ووجه اليه عليّ بن الحسين عشرة آلاف درهم، وقال: اعذر يا ابا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا

لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلا الله، وما كنت لأزراً عليه شيئاً، فقال له : علي بن الحسين : نحن أهل بيت اذا انفدنا شيئاً ما نرجع فيه^{٢٨} .

ابو فراس الحمداني وأشعاره في سجن الروم

عبارة " ابي فراس " هي كنية لشاعرين كبيرين وهما الفرزدق والحارث الحمداني، واصبحت كنية " ابي فراس " علماً للشاعر الحمداني مع أن هذا الشاعر ذكر اسمه الحقيقي وهو " الحارث " في بعض أشعاره، وكان هذا الاسم علماً لأحد أجداده حيث قال ابو فراس:

أنا الحارث المختار من نسل حارث

إذا لم يسد في القوم إلا الأخير^{٢٩}

ابو فراس الحمداني هو ابن سعيد بن حمدان، وكان لحمدان ولدان وهما : عبدالله وسعيد، وانجب عبدالله ولدين وهما : ناصر الدولة وحكم الموصل في القرن الرابع، وسيف الدولة وهو أمير الدولة الحمدانية في الشام في القرن الرابع أيضاً، وأما سعيد بن حمدان فقد أنجب الحارث الذي عرف بأبي فراس وكان له دوران عظيم في الشام، فقد كان قائداً شجاعاً وصامداً أمام حملات الروم ومنعهم من الوصول الى بيت المقدس كما كان شاعراً ملهماً ونظم قصائد كثيرة في حروبه مع الروم وسميت بالروميات^{٣٠}، ونظم أشعاراً جميلة ومهمة في أيام أسره لدى الروم وسنقدم نخبة منها في هذا البحث .

قالت موسوعة المورد عن الحمدانيين: " بنو حمدان: أسرة عربية علوية بسطت سلطانها خلال القرن العاشر للميلاد - الرابع من الهجرة النبوية الشريفة - على الموصل وحلب والمناطق المحيطة بهما. مؤسسها ابو الهيجاء بن حمدان بن حمدون، وفي عهد ابنه ناصر الدولة اتخذ الحمدانيون نهجاً استقلالياً، وامتد سلطانهم غرباً الى سوريا فتركزت سلطتهم منذ ذلك الحين في

حلب وشمال سوريا. أبرز أعلامهم سيف الدولة أمير حلب الذئب أنفق معظم سني حكمه في الدفاع عن الثغور الإسلامية " من شمال سوريا الى أرمينية " ضد الروم البيزنطيين، والشاعر الفارس ابو فراس الحمداني^{٢١}، وكان ابو فراس مولعاً بالحرب ضد الروم الذين كانوا يحملون على الثغور الإسلامية وكانوا قد صمموا على الوصول الى القدس الشريف، ولكن أبا فراس بقيادته لجيوش الحمدانيين جعل الروم يتراجعون بكل خيبة أمل ويأس وهو القائل :

لا عزَ إلا بالحسام المخذم وضراب كل مدجج مستلثم

وقراع كل كتيبة بكتيبة ولقاء كل عرمرم بعمرم

ورأيت عمري لايزيد تأخري فيه و لا يفنيه فضل تقدمي^{٢٢}

وإذا بهذا البطل العظيم يُصاب في ساحات الحرب ويؤسر في سنة

٣٥١هـ بالقرب من مدينة منبج ويؤخذ أسيراً الى القسطنطينية ويمضي أربع

سنوات في سجون الروم. ومن أشعار أبي فراس في سجون الروم:

١. قطعة شعرية نظمها في المدينة التي سجن فيها واسمها (خرشنه) وكان

ابو فراس قد وصل الى هذه المدينة قبل الأسر ودخلها فاتحاً ثم رجع منها الى

الشام وقال بعد أسره وسجنه في مدينة خرشنه:

إن زرت خرشنه أسيراً فلكم حَلَلْتُ بها أميراً

ولئن رميت بجادثٍ فلألفين له صبورا

من كان مثلي لم يبت إلا أميراً أو أسيراً^{٢٣}

٢. عندما جرح ابو فراس وقبل ان يصل اليه الروم كان عدد من أصحابه قد

اقترحوا عليه بالفرار، فلم يرض، وبعد أن أسر نظم هذه القطعة :

وقال أسيحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما المرء

ولكنني أمضي لما لا يعييني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

يقولون لي بعث السلامة بالردى فقلت أما والله ما نالني خسر

وهل يتجافى الموت عني ساعة إذا ما تجافى عني الأسر و الصبر

هو الموت فاختر ماعلا لك ذكره
ولا خير في دفع الردى بمذلة
٣. لمن جاهد الاعداء أجرُ المجاهد
إذا كان غير الله لمرء عدة
عسى الله أن يأتي بخير فأني لي
فأن عدت يوما عاد للحرب والعلا
فلم يمت الانسان ما حيي الذكر
كما ردها يوماً بسؤته عمرو^{٣٤}
و أعجز ما حاولت ارضاء حاسد
أنته الرزايا من وجوه الفوائد
عوائد من نعماه خير عوائد
وبذل الندى و المجد أكرم عائد^{٣٥}

٤. يبدو أن بعض الاسرى من المسلمين تمكنوا من الرجوع الى الشام بعد أن قدموا الفدية فانتهز ابو فراس هذه الفرصة وأرسل معهم هذه القطعة الشعرية يخبر فيها سيف الدولة بتخطيط الروم للحملة على بلاد المسلمين، ويخاطب فيها سيف الدولة قائلاً:

ولقد علمت وقد دعوتك أنني
هذه الجيوش تجيش نحو بلادكم
غضباً لدين الله إن لا تغضبوا
حتى كأن الوحي فيكم مُنزل
إن نمت عنك أنام عن يقظان
محفوفةً بالكفر والصلبان
لا يشتهر في نصره سيفان
و لكم تخص فرائض الرحمان^{٣٦}

٥. نشرت موسوعة المورد بعد الحديث عن "الروميات" لابي فراس هذه القطعة التي تحدث فيها ابو فراس عن حمامة كانت على شجرة في ساحة السجن الذي كان فيه الشاعر :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
معاذ الهوى، ماذقت طارقة النوى
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
أضحك مأسور و تبكي طليقة
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
لكن دمي في الحوادث عال^{٣٧}
أيا جارتا لو تعلمين بحالي
و لا خطرت منك الهموم ببال
تعالى أقاسمك الهموم تعالي
ويسكت محزون و يندب سال
لكن دمي في الحوادث عال^{٣٧}

لقد حارب أبو فراس الروم وامضى أربع سنوات في سجونهم ونظم
مجموعةً من أشعاره هناك وفي جنبه الولاء لمحمد صلى الله عليه وآله
وسلم وأهل بيته (ع) حيث كان قد نظم قبل أسره هذه القطعة الجليلة:

شافعي أحمد النبي ومولاي علي والبنت والسبطان
وعلي وباقر العلم والصادق ثم الأمين ذو التبيان
وعلي والخيران علي و أبوه والعسكري الثاني
والامام المهدي في يوم لا ينفع إلا غفران ذي الغفران^{٣٨}

ويعني الشاعر بكلمة " البنت " فاطمة الزهراء (ع)، وأما السبطان
فهما الحسنان (ع) وعلي الثاني هو الامام زين العابدين (ع) ويعني أبو فراس
بالأمين في البيت الثاني الامام موسى الكاظم (ع) فمن ألقابه الشريفة لقب
الامين^{٣٩}، وأما الخيران في البيت الثالث فهما علي الهادي (ع) وابوه الامام
محمد الجواد (ع).

قدم سيف الدولة الفدية للروم وأطلق سراح أبي فراس من سجنهم
وذلك في سنة ٣٥٥هـ وتوفي سيف الدولة بعد أن وصل ابوفرأس الى الشام،
وصار ابن سيف الدولة وهو ابو المعالي أميراً في تلك البلاد، ولم تكن العلاقة
حسنة بين أبي فراس وأبي المعالي الذي صار أميراً وهو شاب لم تكن له
تجربة في السياسة كما لم تكن له سعة صدر، وتنبأ ابو فراس برحلته من هذه
الدنيا فخطب ابنته وكانت صغيرة بقطعة شعرية جاء فيها:

أبنيتي لا تحزني	كلّ الأنام الى ذهاب
أبنيتي صبراً جميلاً	للجليل من المصاب
قولي إذا ناديتني	فعيبت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فراس	لم يمتّع بالشباب ^{٤٠}

وأقدم أحد الغلمان لابي المعالي على اغتيال أبي فراس واستشهد هذا الشاعر العظيم في سنة ٣٥٦، وانتقم الله من قاتله فقد غضب ابو المعالي على ذلك الغلام وأمر بقتله^{٤١}. وقد كتب العلامة الأميني شرحاً مفصلاً عن أبي فراس الحمداني وأشعاره وشهادته ضمن الشرح عن الشهداء في القرن الرابع^{٤٢}.

الطغرائي الاصفهاني وشعره في سجن السلاجقة

الطغرائي هو الحسين بن علي وهو من نسل ابي أسود الدؤلي، وقد ولد سنة ٤٥٣ واستشهد سنة ٥١٤، وكان له لقبان وهما: مؤيد الدين والطغرائي^{٤٣}، وقال ابن خلكان:

الطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء بعدها ألف مقصورة، والطغري: الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسمة بالقلم الغليظ ومضمونها: نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه^{٤٤}، وجاء في المعجم الوسيط (الطغراء: الطرة تكتب في أعلى الكتب والرسائل فوق البسمة، تتضمن نعوت الحاكم وألقابه، وأصلها طورغاي وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم، والطغرائي : نسبة الى الطغراء^{٤٥}).

عرف هذا الأديب الشهير بلقب الطغرائي لأنه كان كاتباً وذا مقام سام لدى السلاجقة، ونسب الى اصفهان مع أنه من نسل أبي أسود الدؤلي لانه نشأ في تلك المدينة، وقالت عنه موسوعة المورد: " الطغرائي مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي شاعر وعالم عربي عباسي، عمل في خدمة الدولة السلجوقية ، أكثر شعره في الحماسة والفخر والغزل ، وقد اشتهر أكثر ما اشتهر بقصيدته اللامية التي مطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
والتي تعرف بـ " لامية العجم " تمييزاً لها عن " لامية العرب " للشنفرى. وللطغرائي آثار في الكيمياء أيضاً، ومن هذه الآثار الجوهر النادر

في صناعة الأكسير^{٤٦}، وترجم بعض المستشرقين لامية الطغرائي الى اللاتينية كما شطّرها وخمّسها كثيرون^{٤٧}.

وقال عنه الأديب والخطيب النجفي جواد شبر في كتابه " أدب الطف " هو شاعر مجيد وله ديوان شعر مطبوع بمطبعة الجوانب يشتمل على روائع ومبتكرات في المعاني وهو يحتوي على مائتين وسبع وخمسين قصيدة ومقطوعة تتكون من ألفين وثمانمائة وخمسة وسبعين بيتاً وفيها الشيء الكثير من الحكم والوصف والمديح والعتاب والشكوى والحماسة ومن ذلك مقطوعتان في ذكر ولائه لأهل البيت (ع) ونقّمته على ظالميهن بقوله:

حبّ اليهود لآل موسى ظاهر	وولاؤهم لبني أخيه باد
وامامهم من نسل هارون الاولى	بهم اهدوا ولكل قوم هاد
وأرى النصارى يكرمون محبة	لنبيهم نجراً من الأعواد
و اذا توالى آل أحمد مسلم	قتلوه أو وصموه بالألحاد
هذا هو الداء العياء بمثله	ضلت حلوم حواضر وبوادي
لم يحفظوا حقّ النبي محمد	في آله والله بالمرصاد

وأما القطعة الثانية فهي:

توعدني في حب آل محمد	وحب ابن فضل الله قوم فأكثرُوا
فقلت لهم لا تكثروا ودعوا دمي	يراق على حبي لهم وهو يهدر
فهذا نجاح حاضر لمعيشتي	وهذا نجاة أرتجي يوم أحشر ^{٤٨}

وأما السلاجقة فقد عينوا الطغرائي وزيراً عند الحاكم السلجوقي، ولعب الحاسدون دورهم فبعد حرب حدثت بين السلاجقة، سجن الطغرائي ثم قتل، وكان قد نظم أشعاراً قبل قتله، وهي مسك الختام في هذا البحث، والسلاجقة هم من نسل شخص اسمه سلجوق وكان زعيماً تركمانياً وهو جد

القبيلة التي سميت باسمه فروع السلاجقة في الروم وإيران وسوريا والعراق، وكان الطغرثائي وزيراً للأمير مسعود السلجوقي في الموصل وحدثت حرب بين الأمير مسعود وأخيه محمود وبعد هزيمة مسعود سجن وزيره وهو الطغرثائي وأعفي عن الأمير مسعود ولم يُعف عن الطغرثائي، ويظهر أن حاسديه كان لهم دور في تحريض السلاجقة على سجنه ثم قتله وكان الطغرثائي قبل أن يسجن قد علم بحسدهم وحقدهم حيث قال:

جمال عدوك ما استطعت فإنه	بالرفق يُطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنه	إن نمت عنه فليس عنك براقد
إن الحسود وإن أردت تودداً	منه أضر من العدو الحاقداً
و لربما رضي العدو اذا رأى	منك الجميل فصار غير معاند
ورضا الحسود زوال نعمتك التي	أوتيتها من طارف أوتالد
فاصبر على غيض الحسود فناره	ترمي حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها	حتى تعود الى الرماد الهامد
تضفو على المحسود نعمة ربه	ويذوب من حسد فؤاد الحاسد ^{٤٩}

وأما الأشعار التي نظمها الطغرثائي وهو في سجن السلاجقة، فقد ذكرها صلاح الدين خليل الصنفدي الفلسطيني الذي كتب شرحاً للامية العجم وقال: "إن الطغرثائي لما سجن وعزم أخو مخدومه محمود السلجوقي على قتله أمر أن يشد الى شجرة من غير أن يشعر به الطغرثائي وأمره ان يسمع ما يقول، وقال لأرباب السهام: لا ترموه بالسهم إلا اذا أشرت اليكم، فوقفوا والسهم في أيديهم فأنشد الطغرثائي في تلك الحال هذه الأبيات:

ولقد أقول لمن يسدد سهمه	نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه	دونني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش في فؤادي هل يرى	فيه لغير هوى الأحبة موضع

أهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودع^{٥٠}

فلما سمع السجان ذلك رق له وأمر باطلاقه ذلك الوقت، ثم إن الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتله^{٥١} في شهر صفر سنة ٥١٦هـ في سوق بغداد، والى جانب المدرسة النظامية كما جاء في كتاب شهداء الفضيلة. والوزير السلجوقي الذي أصدر حكم القتل بحق الطغرائي، كان قد أتهمه بالالحاد ثم أصدر حكم القتل بحقه وبصورة شنيعة، أي برمي السهام مع العلم أن الوزير لم يقدم دليلاً واحداً يثبت به إلحاد الطغرائي، واسم ذلك الوزير المجحف والظالم "سميرمي" وانتقم الله من ذلك الوزير إذ قتله أحد طلبه الطغرائي^{٥٢}.

قصيدة بعنوان "أدباء السجون" من نظم كاتب هذا التحقيق، وهي بوزن السريع المذيل وتفعيلاته : مستفعلن مستفعلن فاعلان

إن الذين نظموا في السجون	كانوا الى آفاقهم يعرجون
لم يخرجوا من سجنهم بالجسوم	لكن بنظمهم غدوا يخرجون
ومذ رأوا أطمار تلك الثياب	لباس شعر أصبحوا ينسجون
والماء إذ لم يك فيه الصفاء	صاروا بخلو نظمهم يمزجون
سلواهم في قيدهم بالقصيد	وخصمهم سلواهم ليل المجون
كان لهم شعورهم والشعار	لهم رسالة بها يلهجون
بدين ربهم لهم إلزام	دوماً بحكم دينهم ينهجون
لم يبهجوا بزخرف في الحياة	جواهر النظم بها يبهجون
واندمجوا بشعرهم والخصوم	صاروا بخبث ذاتهم يُدمجون
وقد هدوا الى صراط الجحيم ^{٥٣}	لهم جلودٌ وبها ينضجون ^{٥٤}

المصادر

١. سورة يوسف المباركة، الآية ٣٢.
٢. السورة نفسها، الآية ٣٣.
٣. السورة نفسها، الآيتان ٣٦ ، ٤٢.
٤. السورة نفسها ، الآية ١٠٠.
٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، بيروت، ١٤٠٨هـ - ق، ١٩٨٩م، ج٤، ص٥٩.
٦. المصدر نفسه.
٧. المصدر نفسه.
٨. المعجم الوسيط، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، حرف السين.
٩. المصدر نفسه.
١٠. سورة المطففين المباركة ، الآيات ٧ ، ٨ ، ٩.
١١. البعلبكي منير، موسوعة المورد ، بيروت ، ١٩٨١، ج٨ ص٨٣.
١٢. سورة هود المباركة، الآية ١٠٦.
١٣. سورة هود المباركة ، الآية ٨.
١٤. الآية نفسها.
١٥. سورة الشعراء المباركة الآية ١٥.
١٦. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٣.
١٧. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧١.
١٨. الأمين العاملي، سيد محسن، أعيان الشيعة، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ق، ج٤ ص٣٠٧.
١٩. المعجم الوسيط، حرف الفاء.
٢٠. جاد المولى، محمد أحمد، قصص العرب، القاهرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م، ج١ ص٤١٣.
٢١. المصدر نفسه.
٢٢. المصدر نفسه.
٢٣. موسوعة المورد، ج٤، ص١٠٣.
٢٤. قصص العرب، ج٢، صص ٢٧٤ و ٢٧٥.
٢٥. الكامل في التاريخ، ج٣ ص٣٠٨.

٢٦. المصدر نفسه، ص ٢٨٨.
٢٧. المصدر نفسه، ص ٣١٤.
٢٨. قصص العرب، ج ٢، صص ٢٦٠ و ٢٦١، نقلاً عن الأغاني، ج ١٤، ص ٧٥
نقلاً عن كتاب المحاسن والمساوىء، طبع ليبزج، ص ٢٣١.
٢٩. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣٠٩.
٣٠. موسوعة المورد، ج ١، ص ٢٨.
٣١. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٦٤.
٣٢. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣١٢.
٣٣. المصدر نفسه، ص ٣٢٤.
٣٤. المصدر نفسه، ص ٣٢٦.
٣٥. المصدر نفسه، ص ٣٥٣.
٣٦. المصدر نفسه، ص ٣١١.
٣٧. موسوعة المورد، ج ١، ص ٢٨.
٣٨. أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٣٤١.
٣٩. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥.
٤٠. المصدر نفسه، ج ٤، صص ٣٢٢، ٣٣٣.
٤١. المصدر نفسه، ص ٣٣٣.
٤٢. الأميني، عبدالحسين، شهداء الفضيلة، شهداء القرن الرابع، البحث الأخير
الخاص بأبي فراس الحمداني.
٤٣. شبر، جواد، أدب الطف، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨، ج ٣، ص ٣٨.
٤٤. المصدر نفسه، ص ٢٧.
٤٥. المعجم الوسيط، حرف الطاء.
٤٦. موسوعة المورد، ج ١٠، صص ٣٤، ٣٥.
٤٧. أدب الطف، ج ٣، ص ٣٠.
٤٨. المصدر نفسه، صص ٢٨، ٢٩.
٤٩. المصدر نفسه، ص ٣٥.
٥٠. المصدر نفسه، ص ٣٦.
٥١. المصدر نفسه، ص ٣٣، ٣٤.

٥٢. شهداء الفضيلة، شهداء القرن السادس ، البحث الخاص بالشهيد الطغرائي.
٥٣. بالاقْتِباس من الآية ٢٣ من سورة الصافات المباركة ونصها: " فاهدوهم الى صراط الجحيم ".
٥٤. بالاقْتِباس من الآية ٥٦ في سورة النساء المباركة، ونصها: " كلما نضجت جلودهم بكلناهم جلوداً غيرها ".

أهل البيت عليهم السلام في أشعار منصور النمري

جواد غلام علي زاده
عضو للهيئة العلمية بجامعة زابل

خلاصة البحث :

قمنا في هذا البحث بدراسة تحليلية حول نزعة منصور النمري الدينية، و ذلك لمدحه آل البيت عليهم السلام من جانب و هكذا أعدائهم من جانب آخر؛ ثم بدراسة أهل البيت عليهم السلام في أشعاره دراسة توصيفية، ليتضح لنا تلقيه من أهل البيت عليهم السلام أولاً، و أسلوبه البياني في هذا الموضوع ثانياً و كل ذلك لأن النمري من كبار شعراء الشيعة و هو لا يزال خامل الذكر ولم يكثرث به الأدباء كما هو حقه.

الكلمات الرئيسية: أهل البيت عليهم السلام، شعر الشيعة
منصور النمري

المقدمة :

عندما نتورق صفحات التاريخ نرى مشاهد غير قليلة من ظلم الأمويين والعباسيين لآل البيت عليهم السلام، الأمر الذي جرح قرائح شعراء الشيعة و أثارهم ضد الأمويين والعباسيين من جانب وجعلهم يرثون آل البيت عليهم السلام من جانب آخر، إذن فليس غريباً إذا رأينا سحاباً من الحزن و الألم يخيّم على أدب الشيعة، فهم كانوا يجسّدون بأدبهم و بتصاويرهم الفنية ظلم هؤلاء الطغاة لآل البيت عليهم السلام و ينقلونه إلى الأجيال الآتية؛ وقد خصّص منصور النمري وهو أحد هؤلاء الشعراء قسماً من وجوده وحياته لرثاء آل البيت عليهم السلام لينقل إلينا ما جرى عليهم من هذه المآسي فحاولنا في هذه الدراسة أن نشير أولاً إلى نزعة الدينية التي تشوبها بعض الشوائب ثم ننتقل إلى المواضيع التي طرحها الشاعر في رثائه آل البيت عليهم السلام ليظهر لنا تلقّيه من أهل البيت عليهم السلام أولاً و أسلوبه في تناول هذه المواضيع ثانياً، فنركز في بحثنا هذا على الأمور التالية :

١. التعريف بأهل البيت عليهم السلام
٢. أهل البيت عليهم السلام في شعر الشيعة
٣. منصور النمري و نزعة الدينية
٤. أهل البيت عليهم السلام في شعره ويشتمل على المواضيع التالية:

- أ : موقف النمري من الحكم
- ب : ضلالة الأمويين و العباسيين
- ج : بسالة أهل البيت عليهم السلام
٥. حصيلة البحث

١- التعريف بأهل البيت عليهم السلام :

جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^١، و« عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمر بببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)»^٢.

و« حدث العوام بن حوشب قال حدثني ابن عمي مجمع، قال: دخلت على عائشة فسألتها عن مسيرها يوم الجمل؟ فقالت: كان قدرا من الله فسألتها عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: تسألني عن أحب الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أجمعين، لقد رأيت علياً وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله عليهم ثوبه، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»^٣.

كما « روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وآله أدخل علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام في كسائه وقال: اللهم إن هؤلاء أهلي أو أهل بيتي، فقالت أم سلمة: وأنا منكم؟ قال: أنت بخير أو على خير»^٤. وقد جاء في القرآن الكريم مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ

١ سورة الأحزاب/ ٣٣

٢ شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، المتوفي ٤٠٥هـ، ق، تحقيق محمد باقر المحمودي، إيران، مجمع إحياء

الثقافة الإسلامية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، المجلد الثاني، ص ٢١

٣ كشف الغمة في معرفة الأئمة، العلامة المحقق أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، المتوفي

٦٩٣هـ، ق، بيروت، دار الأضواء، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٤٨

نَبْتَهُلُ «^١ فَأَتَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ يَوْمَ الْمَبَاهِلَةِ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَأَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ وَبِفَاطِمَةَ كَنَسَاءِ الْإِسْلَامِ وَبِعَلِيَّ كَأَنْفُسِ الْإِسْلَامِ وَهَذَا الْأَمْرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ فِي الْحَقِيقَةِ كُلَّ الْإِسْلَامِ وَيَكْفِي الْإِسْلَامَ إِنْتِصَاراً فِي مَبَاهِلَةِ النَّصَارَى بِدَلِّ كُلِّ أُمَّةٍ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَ لَا يَسْوَى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا؛ هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي وَلَهُمْ خِصَائِصُ حَقِّ الْوَلَايَةِ وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ. »^٢ وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ النَّاشِئِ الْأَصْغَرِ فِي مَدِيحِهِمْ حِينَما يَقُولُ^٣:

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ	وَفِي أَيْيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ
هُمْ الْكَلِمَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَاحَتْ	لَأَدَمَ حِينَ عَزَّ لَهُ الْمَتَابُ
وَهُمْ حُجَجُ الْإِلَهِ عَلَى الْبَرَايَا	بِهِمْ وَ بِحُكْمِهِمْ لَا يُسْتَرَابُ
ذُرَارِي أَحْمَدَ وَبَنُو عَلِيٍّ ع	خَلِيفَتِهِ؛ فَهُمْ لُبُّ لُبَابِ
تَنَاهَوْا فِي نِهَايَةِ كُلِّ مَجْدٍ	فَطَهَّرَ خَلْقَهُمْ وَزَكَّوْا وَطَابُوا

٢- أهل البيت عليهم السلام في أشعار الشيعة :

تركزت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرخاً عظيماً في كيان الدولة الإسلامية وكانت بمنزلة ضربة قاسية على وحدة المجتمع الإسلامي إذ تحزب الناس و اختلفوا في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ذلك رغم ما وصاه النبي به من التمسك بالقرآن و بأهل بيته عليهم السلام بعده، ولكن الناس نسوا وصية نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم و خذلوا أهل بيته

١ سورة آل عمران/ ٦١

٢ نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الشيخ فارس تبريزيان، تعليق وفهرسة صبحي صالح، قم، مؤسسة دارالهجرة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ، الخطبة الثانية، ص ٣٥

٣ الأدب الملتزم بحب أهل البيت (عليهم السلام)، الدكتور صادق سياحي، طهران، منشورات السميت، ص

عليهم السلام، فرسخ التفرق والتشتت في جوف الدولة الإسلامية وانحنى ظهر الإسلام بعد أن سواه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتحمل كثير من المصائب والرزايا؛ فنشأت أحزاب لكل منها آراء وأهدافه ويعتقد كل منها أن الخلافة حقه وحده ومن أهم هذه الأحزاب؛ الحزب الأموي والحزب الشيعي والحزب الزبيري والخوارج وكان لكل من هذه الأحزاب شعراء يدافعون عنه وعن معتقداته بلسانهم؛ والذي نحن بصددده وهو الشعر الشيعي نراه عبر العصور معرضاً عظيماً من حب شعراء الشيعة لآل البيت عليهم السلام وذلك يتمثل في ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ومدائحهم ومراثيهم والاحتجاج لحقوقهم المغصوبة من جانب والهجاء لأعدائهم من الأمويين والزبيريين والعباسيين من جانب آخر، ولكن إذا أردنا أن نقسم هذه الأغراض مقتضياً مرتباً وجدناها تنحصر في ثلاثة أغراض هامة كما تلي :

١ . مدح أهل البيت عليهم السلام عامة و علي عليه السلام خاصة و الاحتجاج لحقوقهم المغصوبة و نراه كثيراً في أشعار السيد الحميري^١؛ فهم كانوا يمدحون آل البيت عليهم السلام بالتقي والعبادة و التزام حدود الدين ، الأمر الذي باعد بينهم و بين مسلك خصومهم في المكر و الغش والخداع ؛ يقول أيمن بن خريم :

نَهَارُكُمْ مُكَابِدَةً وَصَوْمٌ وَ لَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءُ^٢

٢ . هجاء الخلفاء من بني العباس و رجال دولتهم ويحمل لواءه دعبيل بن علي بن رزين الخزاعي الذي لم يكد يسلم من لسانه أحد من الخلفاء أو رجال الدولة^٣.

١- الشعر في بغداد، الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الطبعة الثانية،

١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص ١١٩

٢- قضية الإلتزام في الشعر العربي، محمد عزام، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ص ٢٦٧

٣- الشعر في بغداد/ ١٢١

٣. رثاء آل البيت عليهم السلام والتفجع على العلويين والتوجع لما أصابهم و نجد هذه الفكرة عند شاعرين هما منصور بن سلمة النمري و دعبل بن علي الخزاعي^١.

٣- منصور النمري و نزعتة الدينية:

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - ابن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالك بن سعد بن عامر بن سعد الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة من نزار^٢ وكان من فحولة الشعراء المحدثين^٣ من أهل الجزيرة وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي و راويته وعنه أخذ ومن بحره إستقي^٤. قرظه العتابي عند الفضل بن يحيى فاستقدمه الفضل من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالخليفة هارون الرشيد؛ فمدحه وتقدم عنده وفاز بعطاياه^٥؛ وقد تميز بأسلوبه الجزل المطبوع بالطابع الشامي علي طريقة الشاميين في الشعر^٦؛ توفي على أرجح الأقوال نحو سنة ١٩٠هـ. ق كما ذكر الزركلي في الأعلام^٧ والدكتور يوسف الطويل في هامش الأغاني^٨.

١- م. ن/١٢٤

٢ الأغاني، أبو الفرج الإصفهاني، بتحقيق يوسف الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،

١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، المجلد الثالث عشر، ص ١٥٧

٣ طبقات الشعراء المحدثين، ابن المعتز، المتوفي ٢٣٢ق، بيروت، شركة دار الأرقم، الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٢٧٨

٤ الأغاني/١٥٧

٥ الأعلام، خير الدين الزركلي، المتوفي ١٩٦٦م، بتحقيق محمد نافع، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة

السابعة، ١٩٨٦م، المجلد السابع، ص ٢٩٩

٦ الأدب في بلاد الشام، الدكتور عمر موسى باشا، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٢١٢

٧ الأعلام/٢٩٩

٨ الأغاني/١٥٧

كان منصور أول أمره خارجياً صفرياً ثم اعتنق الإمامية^١، وأصبح من أكبر شعراء الشيعة الذين دافعوا عن آل البيت عليهم السلام وحقوقهم المغصوبة و كان رغم ذلك إنتهازياً^٢ يمدح هارون الرشيد ويظهر له أنه عباسي الرأي منافر لآل علي عليهم السلام ولغيرهم^٣ ولكنه كما يقول الدكتور شوقي ضيف لم يكن في كل هذه الأشعار مخلصاً بل كان يظهر غير ما يضمّر، إذ كان شيعياً إمامياً و كأنه كان يتخذ تلك الأشعار متجراً، ليعيش آمناً، ولينال ما يريد من طيبات الحياة ومتاعها معتمداً على ما يؤمن به الإمامية من التقية^٤ ؛ ومن هذه الأشعار التي قالها خوفاً وتقيةً في بني العباس قوله^٥ :

يَا بَنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا بَنَ
إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ إِرْثَ وَالِدِكُمْ
لَوْلَا عَدِيٌّ وَتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وَصَلَتْ
وَمَا لِي لَالٍ عَلِيٍّ فِي وَلَايَتِكُمْ
نَ الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَأَ النَّاسُ أَوْ دَفَعُوا
مِنْ ذُنُوبِ تَيْمٍ وَ عَفَوَ اللَّهُ مُتَّسِعٌ
إِلَيَّ أُمِّيَّةً تَمْرِيهَا وَتَرْتَضِعُ
حَقٌّ وَلَا لَهْمُ فِي إِرْثِكُمْ طَمَعُ

و منها قوله مادحاً هارون الرشيد^٦ :

١ م . ن / ١٥٧

٢ الشعر والمال، مبروك المناعي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ١٠٧

٣ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، المتوفي ٢٧٦ق، ٨٨٩م، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٥٨٣

٤ تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، المجلد الثالث، ص ٣١٦

٥ أعيان الشيعة، سيد محسن الأمين، بتحقيق حسن الأمين، بيروت، دار المعارف للطبوعات، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، المجلد العاشر، ص ١٤٠

٦ الأمالي، الشريف أبو القاسم علي بن طاهر أبي أحمد الحسين، تصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطي، قم، مكتبة آية الله العظمي المرعشي، بلا تاريخ، ص ١٨٧

يَذْلكَ في رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ
فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ
وَإِنْ قَالُوا بَنُو بِنْتِ فَحَقٌّ
وَمَا لِبَنِي بَنَاتٍ مِنْ تَرَاثٍ
بَنِي حَسَنٍ وَرَهْطِ بَنِي حُسَيْنٍ
فَقَدْ ذُقْتُمْ قِرَاعَ بَنِي أَبِيكُمْ
وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ الْيَسِيرِ
وَإِلَّا فَالْندَامَةُ لِلْكَفُورِ
وَرَدُّوا مَا يُنَاسِبُ لِلذُّكُورِ
مَعَ الْأَعْمَامِ فِي وَرَقِ الزُّبُورِ
عَلَيْكُمْ بِالسُّدَادِ مِنَ الْأُمُورِ
غَدَاةَ الرُّوعِ بِالْبَيْضِ الذُّكُورِ

بل التقية مذهب شعراء الشيعة على مدى العصور وذلك خوفاً من بطش الأمويين والعباسيين الذين كانوا بالمرصاد لكل من يخرج عليهم،^١ كما كان يأخذ بالتقية الكمية أكبر شاعر شيعي فيمدح الأمويين وينال جوائزهم وكما كان أيمن بن خريم يمدح الأمويين و مثله كثير و السيد الحميري الذي مدح بني العباس ونال جوائزهم رغم تشيعه^٢؛ أضف إلى ذلك أن النمري كان في بعض أشعاره يذكر هارون و يعني به أمير المؤمنين عليا عليه السلام و من ذلك قوله^٣ :

أَلْ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
رَضِيْتُ بِالْحَكْمِ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا
وَ خَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونُ
لَأَنَّ حَكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ

وأيضا من هذه الأشعار المؤولة قوله في بني العباس^٤ :

وَمَا لآلِ عَلِيٍّ فِي وَلَايَتِكُمْ
حَقٌّ وَ لَا لَهُمْ فِي إِرْثِكُمْ طَمَعُ

١ تاريخ الأدب العربي/٣١٧

٢ قضية الألتزام في الشعر العربي/٢٧٢

٣ الأمالي/١٨٧

٤ الشعر و الشعراء/٥٨٣

وقد جاء في تفسيره في أعيان الشيعة نقلاً عن القاضي نور الله في مجالس المؤمنين أن قوله وما لآل علي في ولايتكم حق هو حق لأن ولاية بني العباس الباطلة هي حقهم لاحق أهل البيت عليهم السلام وقوله ولا لهم في إرثكم طمع سالبة بانتفاء الموضوع^١ فنرى من خلال هذا النقاش أن النمري كان يميل إلى العلويين و يدين بالإمامية سرّاً شأن كثير من الشيعة عامة وشعرائهم خاصة في ذلك العصر و ذلك خوفاً من قهر العباسيين و طغيانهم على من يخرج عليهم، و إن رأينا في بعض أشعاره ما ظاهره مدح العباسيين، فهو إما خوفاً من دولة العصر الجبارة و إما نيلاً جوائز العباسيين و أمرائهم، ثم أضف إلى ذلك أن هذه المدائح أيضاً كانت في كثير من الأحيان ظاهرها مدح العباسيين و باطنها مدح أهل البيت عليهم السلام.

٤ - أهل البيت عليهم السلام في شعره:

من جملة الشعراء الذين دافعوا عن أهل البيت عليهم السلام بشعرهم وأدبهم ، منصور النمري الذي نراه يكثر مدح آل البيت عليهم السلام والتبديد بالأمويين و العباسيين^٢؛ وأشعاره في آل الرسول عليهم السلام من أجود ما مدحوا به^٣؛ فهو يطرق أبواباً مختلفة من المعاني الشيعية فتارة يتحدث عن إستكباره لمقتل الإمام الحسين عليه السلام وتارة يتحدث عن ولائه لآل البيت عليهم السلام و تارة يستعرض قضية الظلم الذي لحق بآل البيت عليهم السلام من علي إلى فاطمة إلى أبنائها^٤ ولكن كل هذه الأشعار كانت في خفاء من عيون هارون الرشيد؛ و الرشيد كان لا يعلم ذلك حتى كثر^٥ ولما سمع الرشيد

١ أعيان الشيعة/١٤٠

٢ تاريخ الأدب العربي /٣١٦

٣ طبقات الشعراء المحدثين/٢٧٨

٤ الشعر في العصر العباسي - مظاهره وأهم إتجاهاته، الدكتور علي نجيب عطوي، بيروت، مؤسسة

عزالدين، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ٩٧

٥ طبقات الشعراء المحدثين/٢٧٦

قصيدته اللامية المشهورة (شاء من الناس راتع هامل
 النفوس بالباطل) غضب غضباً شديداً وأرسل أحد قواده إلى جانب النمري
 ليقطع لسانه و يقتله ويبعث إليه برأسه فلما وصل أبو عصمة قائد الرشيد إلى
 الرقة رأى جنازة النمري فعاد إلى الرشيد وأخبره بوفاة النمري فقال الرشيد
 فألاً إذ صادفته ميتاً أحرقتة بالنار؛ هذا والأشعار التي وصلت إلينا من مدحه
 آل البيت عليهم السلام قليلة جداً كما هي الحال في أشعار كثير من شعراء
 الشيعة على مدى العصور، وطبعاً لها أسبابها ودوافعها؛ لكن الذي يهمنا في
 هذا المجال هو ما عندنا من أشعار النمري في آل البيت عليهم السلام
 والمواضيع التي طرقها هذا الشاعر فيهم.

عندما ندقق في أشعار النمري، نشاهد أنها تكاد تنحصر في ثلاثة
 موضوعات هامة، وهي موقف النمري من الحكم، ضلالة الأمويين والعباسيين
 وأخيراً بسالة أهل البيت عليهم السلام، فنركز على هذه المواضيع و ندرسها
 دراسة توصيفية.

أ. موقف النمري من الحكم :

نتناول النمري موضوع الحكم بأسلوب جزل معتقداً أن الناس خالفوا الرسول
 صلى الله عليه وآله في خلافة من عين لهم وصياً وإماماً كما خالف موسى
 قومه في أخيه قائلاً^١:

هل في رسول الله من أسوة لو يقتدي القوم بما سنَّ فيه
 أخوك قد خولفت فيه كما خالف موسى قومه في أخيه

وقد ينكر شاعرنا موقف أبي بكر وعمر من دعوى فاطمة (س) إرث فذك
 زاعماً أنهما ظلماها وهي بنت نبيهما، ومطالباً بمن يتأثر لها من ظلمتها،
 يقول^٢:

مَظْلُومَةٌ وَالنَّبِيُّ وَالذُّهَاءُ تُدِيرُ أَرْجَاءَ مَقْلَةٍ حَافِلِ
أَلَا مَسَاعِيرَ يَغْضَبُونَ لَهَا بِسِلَّةِ الْبَيْضِ وَالْقَنَاءِ الذَّائِلِ

هذا والنمري يفخر بحبه لآل البيت عليهم السلام و يحتج لهذا الحب فيقول إني دنت ما هو دين أعداء أهل البيت عليهم السلام عليه إلا أنني لم أر في دينهم طائلاً لي، فاخترت حب آل البيت عليهم السلام، ثم يرد على من ظلمهم من الأمويين والعباسيين معتقداً أن الذي جفا عترة النبي وبعد عنهم بهذا الجفاء لا يستوي مع الذي والاهم و وصل بهم بهذا الولاء قائلاً ٢ :

أَعَاذِلِي أَنَّنِي أَحِبُّ بَنِي أَحْمَدَ فَالْتُرْبُ فِي فَمِ الْعَاذِلِ
قَدْ دَنْتُ مَا دِينَكُمْ عَلَيْهِ فَمَا رَجَعْتُ مِنْ دِينِكُمْ إِلَى طَائِلِ
جَفَوْتُمْ عِتْرَةَ النَّبِيِّ وَمَا أَلِ جَافِي لَآلِ النَّبِيِّ كَالْوَاصِلِ

ب- ضلالة الأمويين والعباسيين :

ويشير في أبيات أخرى إلى ضلالة الأمويين والعباسيين حيث أن أهل البيت عليهم السلام وهم سلاطين الأمة الإسلامية يعيشون في أزل وضيق ودائماً ينخفضون مخافة القتل في حين يعيش النصارى واليهود في هدوء وأمان وهما أمتان من غير الأمة الإسلامية قائلاً ٣ :

أَلِ النَّبِيِّ وَمَنْ يَجِبُهُمْ يَتَّطَامِنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
أَمِنُوا النَّصَارَى وَالْيَهُودَ وَهُمْ مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ

ولذلك يحامل على الأمويين والعباسيين ويهجوهم بعاطفة جياشة جرت من صميم قلبه فيشبههم بالشاة التي ترتع وتهمل ولا تنظر إلى أطرافها وما أجمل

٣ تاريخ الأدب العربي/ ٣١٧ : مقاتل الطالبين، أبو الفرج الإصهاني، بتحقيق السيد أحمد صقر، بيروت،

دار المعرفة، بلا تاريخ، ص ٥٢٢

١ أدب الطف/ ٢٠٨

٢ طبقات الشعراء/ ٢٧٨

وَأَلِيقَ هَذَا التَّشْبِيهَ لِلَّذِينَ هُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْصُونَ وَفِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ^١ :

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلٍ يُعَلَّلُونَ النُّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَيَر جُونِ جَنَانِ الْخُلُودِ لِلْقَاتِلِ

ونراه يعلل ضلالة الأمويين ويرجعنا إلى الأيام الماضية فيقول إن هذه الضلالة تتبع من أحقادهم البدرية حيث هزمهم الإسلام وقتل أبطالهم وناوش ذؤبانهم وخرب دعائمهم فاستسلموا كارهين ولم يؤمنوا؛ ثم لما أمكنهم الإسلام ووصلوا إلى العرش بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلوا سيوفهم على الإسلام وعلى آل النبي عليهم السلام، فوافوا كربلاء وقتلوا ابن بنت نبيهم و شردوا أهله أسارى ويقول في ذلك وكأنه بركان من الغضب لا يستطيع دفنه في قلبه^٢ :

غَدَتْ بِيضُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي بِأَيْدِي كُلِّ مُؤْتَشِبٍ دَخِيلِ
مَعَاشِرُ أَوْدَعَتْ أَيَّامُ بَدْرِ صُدُّوهُمْ وَدِيَعَاتِ الْعَلِيلِ
فَلَمَّا أَمَكْنَ الْإِسْلَامَ شَدُّوا عَلَيْهِ شِدَّةَ الْحَنْقِ الصُّوُولِ
فَوَافُوا كَرْبَلَاءَ مَعَ الْمَنَآيَا بِمُرْدَاةٍ مُسَوِّمَةِ الْخِيُولِ
فَقَدَنَ مُحَمَّدًا فَلَقَيْنَ ضَيْمًا وَكَنَّ بِهِ مَصُونَاتِ الْحُجُولِ
أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَ الْأَنْبَاءُ تَنَمِّي مَصَالِ الدَّهْرِ فِي وُلْدِ الْبَتُولِ
بَرِّئْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَصَابِكَ بِالْأَذَاةِ وَ بِالذُّحُولِ

ثم يتمنى شاعرنا بعاطفة رقراقة سيفاً صقيلاً يذب به عن آل البيت عليهم السلام ويفدي بنفسه في سبيلهم حتى لا يراهم مخذولين قاتلاً^٣ :

أَلَا يَا لَيْتَنِي وَصَلْتَ يَمِينِي هَذَاكَ بِقَائِمِ السَّيْفِ الصَّقِيلِ
فَجَدْتُ عَلَى السُّيُوفِ بَحْرَ وَجْهِي وَلَمْ أَخْذُلْ بَنِيكَ مَعَ الْخَذُولِ

ج- بسالة أهل البيت عليهم السلام :

من المواضيع الأخرى التي تطرق إليها شاعرنا في أشعاره لآل البيت عليهم السلام؛ موضوع بسالة أهل البيت عليهم السلام وشجاعتهم أمام أعدائهم فهو يعرف أهل البيت عليهم السلام لنا بأهل القوة والمنة، لا يخافون من الموت بل يغدون إليه ويبدلون سيوفهم على أبدان أعدائهم في المعارك و لا تبخل أكفهم بالضرب على هؤلاء الأعداء ثم يصور أجسامهم حينما يصرعون على الأرض كلوم الوجوه تجري على نحورهم سيول من الدماء ولا ترى غير هذه النحور مجرى لدمائهم وهذا تصوير أعمق تأثيراً ونفوذاً في النفوس بالنسبة إلى الأبطال حينما يستقبلون الموت، فيقول في ذلك^١:

نَفْسِي فِدَاءُ الْحُسَيْنِ حِينَ غَدَا إِلَى الْمَنَائِمِ غَدَوٌ لِقَافِلِ
ذَلِكَ يَوْمٌ أَنْحَى بِشَفَرَتِهِ عَلَى سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَالْكَاهِلِ

ويتم قولنا أشعاره الأخرى حينما يقول^٢ :

فَمَا بَخَلْتُ أَكْفَهُمْ بِضَرْبِ كَأَمْثَالِ الْمَصَاعِبَةِ النَّزُولِ
وَلَا وَجِدْتُ عَلَى الْأَصْلَابِ مِنْهُمْ وَلَا الْاِكْتَفَافِ آثَارُ النَّصُولِ
وَلَكِنَّ الْوُجُوهَ بِهَا كُلُّوْمٌ وَفَوْقَ نَحُورِهِمْ مَجْرَى السُّيُولِ

وفي نهاية المطاف، يجدر بالذكر أن الأشعار التي وصلت إلينا من هذا الشاعر قليلة جداً بل جل ما بين أيدينا من أشعاره في آل البيت عليهم السلام لا يتجاوز عن ستين بيتاً وهذا القليل طبعاً لا يغني عن الحق شيئاً.

٥- حصيلة البحث:

ظهر لنا من خلال هذا البحث أن منصور النمري كان يدين بالإمامية سرّاً لا يظهر نزعته وذلك للظروف الخائفة التي كانت سائدة على المجتمع الإسلامي آنذاك من قبل الدولة العباسية، إلا أنه أنشأ أشعاراً كثيرة في آل البيت عليهم السلام رغم ذلك، حتى ظهر أمره لهارون الرشيد، فأمر بقتله؛ ولكن الأجل أخذ منصوراً قبل أن يأخذه المأمور؛ هذا وأنه كان يهجم على الأمويين والعباسيين ويهجوهم ويشير إلى ضلالتهم وطغيانهم في أشعاره لآل البيت عليهم السلام من جانب وبسالة أهل البيت عليهم السلام في الذود عن كيان الإسلام من جانب آخر؛ وكل هذه المواضيع كانت من خلال خير أمثلة وتشابيه وصور تتم عن خياله الواسع وعاطفته الجياشة الصادقة.

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

١. أدب الطف: جواد شبر. بيروت، دار المرتضى، ١٩٨٨م .
٢. الأدب في بلاد الشام: الدكتور عمر موسى باشا. دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٨٦م .
٣. الأعلام: خير الدين الزركلي. بيروت، دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٨٦م .
٤. أعيان الشيعة: سيد محسن الأمين. تحقيق حسن الأمين. بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٦م .
٥. الأغاني: أبو الفرج الإصفهاني. تحقيق يوسف الطويل. بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٩٨٦، ١٩٨٦م .
٦. الأمالي: الشريف أبو القاسم علي بن طاهر أبي أحمد الحسين. تصحيح أحمد بن الأمين الشنقيطي. قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ط١، ١٩٨٣م .
٧. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: شوقي ضيف. مصر، دار المعارف، ط٥، بدون تاريخ.

٨. الشعر في بغداد: الدكتور أحمد عبد الستار الجواري. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط٢، ١٩٩١م .
٩. الشعر والشعراء: ابن قتيبة. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م .
١٠. الشعر والمال: مبروك المناعي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م .
١١. شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني. تحقيق محمد باقر المحمودي. مجلدين، إيران، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٩٠م .
١٢. طبقات الشعراء المحدثين: ابن المعتز. بيروت، شركة دار الأرقم، ط١، ١٩٩٨م .
١٣. قضية الإلتزام في الشعر العربي: محمد عزام. دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٨٩م .
١٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة: العلامة المحقق أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي. بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٠م .
١٥. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الإصفهاني. تحقيق السيد أحمد صقر. بيروت، دار المعرفة، بلا تاريخ
١٦. نهج البلاغة: الشريف الرضي. تحقيق الشيخ فارس تبريزيان. تعليق و فهرسة صبحي صالح. قم، مؤسسة دار الهجرة ، ط٢، ٢٠٠٢م .

نظرة تحليلية في الآثار الأدبية للإمام علي عليه السلام

بقلم الدكتور عبد الأحد غيبي
جامعة آذربيجان لإعداد المعلمين - تبريز

التمهيد :

إذا اردنا أن نبحث عن آثار الإمام علي الأدبية ونفهمها فهماً جديراً بها يجب علينا أن نهتم بأدب العصر الذي عاش فيه الإمام ع؛ يبدأ هذا العصر مذ وفاة النبي (ص)، وينتهي باستشهاد الإمام علي ع عام ٤٠ هـ. وخلال هذه الحقبة (الممتدة ٢٠ عاماً)، تتوالى أحداث مختلفة لتعكس تأثيرها على حقل الأدب، منها: حادثة السقيفة، وتسلم السلطة من قبل أبي بكر وعمر وعثمان، ثم اضطلاع الإمام علي (ع) بشؤون الامامة والخلافة، بما واكب هذه الأحداث من فتن، وحروب مثل: الجمل، صفين، النهروان. وهذه كلها أثرت على حقل الأدب تأثيراً عميقاً حيث برز - خلال ذلك - نمطٌ من الأدب الذي يمكن تسميته بأدب المحاجة أو الاستدلال، وقد حدث نتيجة التضاد الذي وقع بين حادثة الغدير التي نصّب فيها النبي (ص) علياً (ع) للخلافة وبين حادثة السقيفة التي سلكت طريقاً مضاداً.^١

وفي غمرة هذه الأحداث لا نتوقع بروز الأدب اللهوي مادام المجتمع الإسلامي معنيًا بالشؤون السياسية والمذهبية، لذلك فإنّ الأدب السياسي برمته يظلّ هو المسيطر على الساحة الأدبية. ويلاحظ في هذه الفترة تطوّر الأدب المنثور، كالخطابة والرسالة والمكاتبة الإدارية، وبرزت الخطبة بوضوح حيث أنّ ممارسة الوظائف الحكومية استتبعَت القيام بصياغة الخطب في مناسبات مختلفة كالأعياد والجُمع وانتقال السلطات من شخص إلى آخر، مضافاً إلى بروز الخطبة العسكرية، حيث أنّ الحروب التي خاضها الامام علي (ع) حفلت بنشاط ملحوظ في ميدان الحثّ على القتال في سبيل الله تعالى، كما برز في ميدان الشعر نشاط ملحوظ في نطاق الرّجز بشكل خاص.

وأما فنّيّاً، فلا نتوقع تطوراً جديراً بالذكر في صياغة النصّ الأدبي مادام الأمر مرتبطاً بالظروف السياسية الملتهبة، لكن ينبغي أن نقول إنّ أهمّ تجديد في مجال الأدب في هذه الحقبة من الزمن هو الذي ظهر في الآثار الأدبية للامام علي (ع)، حيث نجد تأثيره على الأدياء في مختلف الأجيال، بنحو لا يكاد خطيبٌ أو متكلمٌ أو كاتبٌ يتخلّص من أثر ذلك على آثاره.

للامام شخصية فريدة اهتمت بها أقلام الرواة والمؤرخين واهتدى بأعمالها و أقوالها المتأدّبون. إنّ الأدياء والكتاب قديماً وحديثاً اعترفوا بعظمة أسلوب الامام وتأثيره فيهم؛ عبد الحميد بن يحيى الكاتب الذي يقال إنّ الكتابة بدأت به سئل عمّا مكّنه من البلاغة فأجاب: «حفظت سبعين خطبة من خطب الأئمة (أمير المؤمنين عليّ) فغاضت ثم فاضت»^١، وعبد الحميد هذا من الموالين لبني أمية. وقال ابن نباتة: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب»^٢.

^١ الأدب العربي و تاريخه حتى نهاية العصر الأموي ، محمد علي أنر شب ، ص ١٤١ .

^٢ جلوه ماي بلاغت در نهج البلاغه ، محمد خاقاني ، ص ٣٥ .

وقال ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة: «أما الفصاحة فهو (ع) إمام الفصحاء وسيد البلغاء»^١. وقال الشيخ محمد عبده: «لأعلم اسماً (نهج البلاغة) أليق بالدلالة على معناه منه. وليس في سعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه»^٢. كان الامام علي (ع) أفصح الناس بعد الرسول علماً وزهداً وشدة في الحق وهو إمام خطباء العرب على الإطلاق بعد الرسول (ص)^٣.

حياته :

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، وُلد في مكة المكرمة عام ٦٠٠ م^٤. ولما بلغ السادسة من عمره توفي أبوه، فنقله ابن عمّه النبي (ص) إلى بيته وتولّى تربيته. فشبّ على حبّه، حتّى إذا أظهر النبي دعوته تبعه على الإسلام، وهو غلام بعد ، فكان أوّل من أسلم من الرجال^٥.

كان الامام عليّ متوسط القامة، ضخّم عضلات الذراعين والساقين، أسمر اللون، عظيم اللحية، جميل الوجه، كثير التبسّم. وكان متواضعاً، قنوعاً، ميّالاً إلى الزهد يحبّ التصدّق والإحسان. وكان ذا غيرة على مصلحة المسلمين، وذا شجاعة نادرة في حروبه. وكان كبير القلب، شديد الإخلاص، يذوب غيرة في سبيل الدين الجديد و إرضاء ابن عمّه النبيّ. وحارب معه في مواقع الإسلام إلّا تبوك^٦.

^١ الأدب العربي و تاريخه حتي نهايه العصر الأموي ، ص ١٤١.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ الوسيط في الادب العربي و تاريخه ، احمد الاسكندري ، ص ١١٤.

^٤ تاريخ ادبيات عرب ، احمد ترجماني زاده، ص ٩٤.

^٥ ديوان الامام علي بن ابي طالب ، شرح يوسف فرحات ، ص ٧.

^٦ تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، ص ٣٢٠.

في السنة السادسة للهجرة غزا الامام قبيلة بني السعد اليهودية في فديك، ثم قام بغزوة في بلاد اليمن في السنة العاشرة، وكثيراً ما وكل النبي (ص) إليه أموراً مهمة، فكان يقوم بجميع الأعمال برغبة وحماسة نادرتين، متوخياً في كل ذلك رضى النبي (ص). توفي النبي (ص) فبويع لأبي بكر، ثم بويع لعمر بن الخطاب، ثم انتقل الأمر إلى عثمان بن عفان. وفي كل ذلك لم يستغن الخلفاء عن الامام بل كانوا يستشيرونه في الأمور الصعبة. فهو الذى أشار على عمر باتخاذ الهجرة مبدأ لتاريخ الإسلام، وهو أول من أشار بجمع القرآن الكريم.^١

بعد أن بويع علي (ع) بالخلافة في السنة ٦٥٦ م / ٣٥ هـ ، أخذ معاوية بن أبي سفيان يؤلب بني أمية عليه، وانضمت إليهم عائشة وطلحة ابن عبيدالله و الزبير بن العوام، وذهبوا إلى البصرة ينشرون فيها الفتنة. فلم ير علي (ع) بُدأً من السير إليهم بسبعة آلاف مقاتل، فالتقى الجيشان واقتتلا قتالاً شديداً كان النصر فيه لعلّي (ع). وسميت تلك الحرب (واقعة الجمل) لأن عائشة كانت على جمل تحرض الرجال على علي وجيشه.^٢

ثم سار الامام (ع) لمحاربة معاوية في صفين وكاد يتغلب عليه. فعمد الأمير الأموي إلى الحيلة، وأمر برفع المصاحف على الرماح، فكف المنتصرون عن القتال فعاد الامام إلى الكوفة يستعدّ لحرب عدوه ، فقتله عبدالرحمن بن ملجم بسيف مسموم، وذلك في ٢١ رمضان سنة ٦٦١ م / ٤٠ هـ.^٣

^١ الديوان ، ص ٨.

^٢ تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٢١.

^٣ تاريخ ادبيات عرب، اكبر بهروز ، ص ٨٢.

شخصيته العلمية :

العلمُ جوهرة ثمينة لا يعرف قيمتها إلّا العارفون بها، ف: (مَنْ علم اهتدى)^١ إلى جادة الطريق وَمَنْ جهل ضلّ السبيل وعاش في التائهات والظلمات. ومن هنا كان من الضروري على المؤمنين أن يكونوا أول السابقين إلى العمل حين المعرفة و أول السابقين إلى السعي وراء تطبيق علومهم اقتداءً بسيدّهم امام العارفين ومولى العالمين و سيّد العاملين بما علموا وعرفوا الامام علي (ع) حيث كان أعلمهم و أفقهم لأنّه كان:

أولاً : في غاية الذكاء والفتانة والفراسة، شديد الحرص على التعلّم، وكان دائم الملازمة لرسول الله (ص) ليلاً ونهاراً من صِغَر سنّه إلى حين مفارقتة. يقتبس علمه من مشكاة النبوة، وهذا برهانٌ جليّ على أنّ الامام كان أعلم الناس بعد رسول الله (ص) ولقد علّمه النبي (ص) حين وفاته ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، وقد ورد في الأخبار الكثيرة المعتبرة المتواترة من طرق الخاصة والعامة أنّ النبي (ص) قال: « أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم، فليأت الباب » .

ثانياً : إنّ صحابة النبي (ع) كثيراً ما اتفق عندهم أن خلطوا في الأحكام ولم يفهموها وقد التبست عليهم الفتوى مراراً، فكانوا يرجعون اليه (ع) ويهدهم إلى الصواب. ولم يُذكر أبداً أنّه (ع) رجع إليهم في مسألةٍ جهلها أو حكم لم يعرفه.

ثالثاً : انتهاء جميع العلوم إليه، قال ابن أبي الحديد: « قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الالهي ،... ومن الامام (ع) اقتبس وعنه نُقل، وإليه انتهى ومنه يُبتدأ. ومن العلوم، علمُ النحو والعربية وقد علم الناس كافّة إنّهُ هو الذي يُبتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، ومن العلوم

^١ غرر الحكم و درر الكلم ص ٧٥٦ ، منقول من كتاب (الامام علي كلمة التقوي) ، ص ٦٠.

علم الفقه وهو (ع) أصله وأساسه وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه. ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت ذلك لأن أكثره عنه وعن عبدالله بن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له وانقطاعه اليه وإنه تلميذه وخريجه»^١.

رابعاً : تصريح الامام (ع) بهذا الأمر في مواطن كثيرة فقد قال (ع) : « أنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض »^٢. وقوله (ع) « سلوني قبل أن تفقدوني ». فكان يسأل دائماً عن المطالب المستعصية والعلوم الغامضة فكان يجيب عليها جواباً كافياً شافياً. وهنا أسباب ودلائل كثيرة تثبت أن علي (ع) أعلم الناس لا في زمانه فحسب بل بين جميع الأجيال الماضية والقادمة منها، ونحن اكتفينا بأربعة أدلة منها لضيق المقام.

شخصيته الأدبية :

تألم الامام من الأحداث التي واجهته، ورفع الألم إلى التأثير السريع و العاطفة الحية، رأى أنه مخبوس الحق لا يفهمه الآخرون، فراح يتذمر من الحياة و يتشكى من البشر في نثره وشعره؛ وليست حكم الامام وخطبه وأبياته الشعرية من النوع الجاف، فالكلام عنده وافر المعنى جميل المبنى. وليس الامام شاعراً ومُصوّراً فحسب، بل هو حكيم يفسح في المجال لدور العقل في هذه الآثار، فإذا هاجت عاطفة الحزن وخشي عليها من التهور ظهر العقل أمراً في كلامه. وأهم ما يمتاز به كلام الامام البلاغة والايجاز، وسرعة الخاطر.

يمكن القول أن ما عرفه التاريخ البشري هو الآثار الأدبية للامام علي (ع) فكراً وفناً. نحن لاندعي هذه الحقيقة إلا أماناً أدلة مستحكمة تكشف

^١ الامام علي (ع) كلمة التقوي، محمد جعفر المدرسي، ص ٦١.

^٢ المصدر نفسه، ص ٦٣.

الستار عن الحقيقة هذه؛ من هذه الأدلة نتاج الامام نفسه حيث نجد تأثيره في النتائج الأدبية للأدباء الذين ظهروا بعد الامام وجعلوا أسلوبه أسوة مثالية لأنفسهم في آثارهم الأدبية. ومنها أيضاً الحديث المعروف من النبي حيث قال « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ».

إن من يدقق النظر في نتاج الامام علي (ع) يجد أن ثمة شكلاً فنياً له تفرده الخاص قد انفرد الامام عليّ صياغته؛ وإذا تعود إلى بعض مستويات الصياغة النثرية للإمام نجد أن صياغة العبارة تكتسب خصائص تخطت عصرها .
آثاره الأدبية :

يُنسب إلى الامام علي بن أبي طالب (ع) ديوان شعر في الزهد والحكم . ويُنسب إليه في النثر اثنا عشر مؤلفاً في الحكم والوعظ، أهمها وأشهرها (نهج البلاغة).

الف: الديوان: لم يترك الإمام قصائد طويلة لأنه لم يكن خالي البال كبعض الشعراء لينطلق في قصائد طويلة فيها الكثير من البناء المدروس والقوافي المنتقاة. فقد كان يصوغ الشعر مرتجلاً في أكثره، كما كان يرتجل الحكم والخطب. وما نسب إلى الإمام من الشعر اتخذ منحى دينياً وخلقياً، لذلك فقد شاع على الألسنة وذاع في مجالس الوعظ. وهو على أي حال بعيد عن التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي .

ومن الدواوين المنشورة التي طبعت باسم الامام يمكن الإشارة إلى (ديوان سيدنا علي بن أبي طالب)، طُبع في إيران سنة ١٣٠٨ هـ و (ديوان أمير المؤمنين) طُبع في بولاق سنة ١٩٠٨ م و (ديوان علي بن أبي طالب) طُبع في بيروت سنة ١٩٩٥ م. ولكن المشهور أن هذه الدواوين منحولة بجملتها .

يكون الزهد والحكمة والموعظة والمعرفة من أهم الموضوعات لهذا الديوان. ويمكن القول إن القارئ يجد في ديوان الامام (كلاماً دون كلام

الخالق وفوق كلام المخلوق والفوائد المرجوة للدنيا والزاد الوفير للآخرة).
نعرض هنا بعض النماذج من شعر الامام في الموضوعات التي سبق ذكرها:
له (ع) قصيدة في أفضلية العلم^١:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثِيلِ أَكْفَاءُ أَبْوَهُمُ آدَمُ وَ الْأَمُّ حَوَاءُ

...

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
يؤكد الامام في الأبيات السابقة أن الفضل والفخر هما لأهل العلم،
فمن كمل عقله له أن يفخر على غيره. فأهل العلم يرشدون طالبي الهداية إلى
الصراط المستقيم.

وللامام (ع) أيضاً قصيدة في الصداقة^٢ حيث يقول :

تَغَيَّرَتِ الْمَوَدَّةُ وَالْوَفَاءُ وَقَلَّ الصَّدْقُ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ
وَأَسْلَمَتِنِي الزَّمَانُ إِلَى صَدِيقٍ كَثِيرُ الْغَدْرِ لَيْسَ لَهُ رِعَاءُ
وَرَبُّ أَخٍ وَفِيَتْ لَهُ وَفِيٍّ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ لَهُ الْوَفَاءُ

...

يشكو الامام من تغير الصداقة وتبدل الوفاء ويقول إن الصدق أصبح
نادراً بين الناس وقلّ الأمل بالحصول على صديق وفي. وأيضاً يشكو من
الزمان لأن هذا الزمان أوصله إلى صديق ظاهره الصدق وهو في الواقع
كثير الغدر لا يراعى العهد ولا يحفظ المودة.

وله ثلاثة أبيات في رثاء أبيه أبي طالب (ع)^٣ :

أَبَا طَالِبٍ عِصْمَةَ الْمُسْتَجِيرِ وَغَيْثَ الْمُحُولِ وَنُورَ الظُّلَمِ

^١ الديوان ، ص ١٥ .

^٢ المصدر نفسه ، ص ١٦ .

^٣ الدرر الغراء في شعر شيخ البطحاء ، باقر قرباني زرين ، ص ٥٢ .

لَقَدْ هَدَّ فَقْدُكَ أَهْلَ الْحِفَافِ فَصَلَّى عَلَيْكَ وَلِيُّ النَّعَمِ
وَلَقَّاكَ رَبَّكَ رِضْوَانَهُ فَقَدَكُنْتَ لِلطُّهْرِ مِنْ خَيْرِ عَمٍ

يرثي الامام في هذه الأبيات أباه أبا طالب ويعتبره مدافعاً عن المستجير به، و خيراً في السنين الماحلة، ونوراً يُهتدى به في الظلمات؛ يقول إِنَّ فَقْدَكَ يَا أَبَا طَالِبٍ قَدْ هَزَّ الْمُحَافِظِينَ عَلَى الدِّينِ، وَعَلَيْكَ صَلَّيْ صَاحِبُ النَّعَمِ، وَتَلَقَّاكَ اللَّهُ فِي رِضْوَانِهِ إِذْ كُنْتَ لِلنَّبِيِّ (ص) خَيْرَ عَمٍ وهنا أبيات كثيرة في موضوعات مختلفة حيث يجدها القارئ بالرجوع إلى الديوان.

ب: نهج البلاغة: نهج البلاغة كتابٌ جمعه الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسين الهاشمي العلوي (ت ٤٠٤ هـ / ١٠١٥ م) وانتخبه من كلام علي بن أبي طالب؛ وشرحه كثيرون من العلماء والأدباء منهم ابن أبي الحديد (٥٨٦ هـ - ٦٥٥ هـ / ١١٩٠ - ١٢٥٧ م) والشيخ محمد عبده وآية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيخ الشوشتري. وطُبِعَ مراراً في بيروت ومصر والهند وإيران ...

في صحة نسبة نهج البلاغة إلى الامام علي (ع) :

إِنَّ بَعْضَ النُّقَادِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ لَا مِنْ وَضْعِ عَلِيِّ (ع)؛ وَهُمْ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْبَرَاهِينِ التَّالِيَةِ:

(١) فِي الْكِتَابِ مِنَ التَّعْرِيفِ بِالصَّحَابَةِ مَا لَا يُمْكِنُ صَدُورُهُ عَنْ مِثْلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ^١.

(٢) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْإِفْكَارِ الْعَمِيقَةِ، وَالْأَحْكَامِ فِي الْفِكْرَةِ، وَاسْتِعْمَالِ الْأَلْفَافِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ كَالْأَيْنِ وَالْكِيفِ وَنَحْوَهُمَا، وَاسْتِعْمَالِ الطَّرِيقَةِ الْعَدَدِيَّةِ فِي شَرْحِ الْمَسَائِلِ وَفِي تَقْسِيمَاتِ الْفَضَائِلِ أَوْ الرِّذَائِلِ، وَالدَّقَّةِ فِي الْوَصْفِ، وَاسْتِفْرَافِ صِفَاتِ الْمُوصُوفِ - كَمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الطَّائِفَةِ

والنملة وغيرهما - ما لم يوجد في عصر علي، ولم يُعرف عند العرب إلا بعد ترجمة كتب اليونان والفرس الأدبية والحكّمية.

(٣) في الكتاب من السجع والتتميق اللفظي وآثار الصنعة مالم يعهده عصر علي، و إنما ذلك طراً على أساليب الكتابة في أواخر العهد الأموي وفي العهد العباسي .

(٤) في عبارات الكتاب ما يُلَمَس منه ادعاء صاحبه علم الغيب، وهذا أمر بعيد عن رزانة علي وعن أخلاقه الرفيعة.

تلك براهين أولئك الذين رفضوا انتساب نهج البلاغة إلى الامام (ع).
و لكن هنا جم غفير من أصحاب الفكر والعلم يُخطئون براهين هؤلاء النقاد ويُثبتون أن هذا الكتاب بجملته لعلّي بن أبي طالب (ع) بأدلة مستحكمة منها :
(١) قوة التفكير لدى الامام ع ونبوغه الفطري ومنزلته الدينية والاجتماعية الرفيعة.

(٢) إن ما يُعدّ غريباً ليس سوى ثمره العقل المفكر .

(٣) إن ما يوجد في الكتاب من السجع والتتميق عن طبع لا عن صنعة .

(٤) وإن ما يرى ادعاء لعلم الغيب ليس سوى استنتاج القضايا الاجتماعية عن مقدماتها وأسبابها^١.

موضوعات نهج البلاغة و مضامينه :

نهج البلاغة كتاب يمكن أن نعثر فيه على موضوعات متنوعة في الإيمان والعبادة والزهد ومكارم الأخلاق والكرم والعلم والحلم والجهاد والأحكام الشرعية و الوصايا والأمر العسكرية و الإدارية وكثير من الموضوعات الأخرى التي تمثل بمجموعها شخصية الامام في جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية. هنا نريد أن نقف عند بعض

الموضوعات الهامة وإن لم تكن هذه الموضوعات جديدة ولكن الإمام ضفا عليها من العظمة والجلال ما يثير الدهشة والإعجاب. منها:

أ - التربية الدينية:

تربية الناس الدينية من أهم واجبات الإمام، وفي نهج البلاغة فقرات عديدة في وصف الله تعالى ورسوله وفي تحليل عالم الفناء وتصوير ما وراء هذه الحياة. لعل الخطبة الأولى في نهج البلاغة أفضل مثال على هذا اللون من الحديث.

ب - تربية الأمراء والحكام:

هذا موضوع يكاد ينفرد فيه الإمام، ويمثل قمة من قمم الفكر الإسلامي ونهجه الحضاري في الحكم والادارة. ولأهمية دور الحاكم في سلامة المسيرة الاجتماعية يشدد الإمام في عهوده إلى ولاته على كسر ذاتياتهم الضيقة، والذوبان في ذات الله، والانغمار في الخدمة الاجتماعية، ويحذروهم من الظلم والطغيان، والاستئثار، والغلو والإهمال.^١ وأروع مثال على ذلك كتابه^٢ للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر وأعمالها.

ج - الشكوى:

من الطبيعي أن يكثر في كلام علي ع النقد والتعريض والشكوى والعتاب، فالظروف التي تلت وفاة الرسول قد عاكسته. لقد كان يشعر بالألم مما يراه من انحرافات بدأت بالظهور في المجتمع الإسلامي ثم من الفتن التي برزت في عصر خلافته. وفي الخطبة المعروفة بالشقشقية^٣ يتحدث عن صبره على ما رآه من انحراف في المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي.

^١ الأدب العربي و تاريخ حتي نهايه العصر الأموي ، ص ١٤٣ .

^٢ نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ .

^٣ نهج البلاغة ، خطبة ٣ .

د - الوصف :

يُمثِّل الوصف أروع جانب أدبي في نهج البلاغة. والامام في وصفه يتحرى الدقة والجمال والتأثير. وخطب الوصف (تَبَوَّى علَيَّا ذروة لا تسامى بين عباقرة الوصّافين في القديم والحديث) كما يقول الدكتور صبحي الصالح^١. ولعلّ أبرز النماذج الوصفية ما نجده في رسم الملامح الخارجية للطاوس والخفّاش وغيرهما ممّا ورد في نهج البلاغة. هنا نقف على أنواع الكلام الموجودة في نهج البلاغة ونجتهد أن نبين قيمتها الفنية والمعنوية .

١ - الخطب :

الخطب تحتلّ مساحة كبيرة في نهج البلاغة حتّى أنّها تتجاوز المائتي خطبة في الموضوعات السياسيّة والعسكريّة، حيث أنّ طبيعة الظروف التي مرّت على الأمة تطلّب هذه الأنماط من الخطب، مضافاً إلى الخطب العلميّة والإنسانيّة التي تتصلّ بظواهر الكون والإنسان والمجتمع. الخطب هي أصدق صورة لنفس الامام وأعطر ما في قلبه من التقوى الحقيقيّة والإعجاب بمخلوقات الله سبحانه وكمالاته. وهي معطرة بذكر الله .

في هذه الخطب نشاهد طويلاً أو قصراً تبعاً لطبيعة الموقف وهذا الأمر يؤثر في أسلوب الخطبة ولغتها من حيث الصياغة الفنيّة. هنا نريد أن نشير إلى بعض الخصائص الفنيّة لهذه الخطب؛ على هذا الأساس ندرس هيكليّة واحدة من هذه الخطب :

أ : الاستهلال : من المبادئ الفنيّة التي درج النبي (ص) عليها هو استهلال الخطبة بذكر الله تعالى والشكر على نعمه، والامام علي (ع) درج على هذه القاعدة أيضاً، وأفاض فيه تنوعاً وتفصيلاً^٢. الخطبة الأولى تصوّر هذا الاستهلال البارِع تصويراً عالياً حيث يقول (ع) :

^١ الأدب العربي و تاريخ حتى نهاية العصر الأموي ، ص ١٤٦ .

^٢ مختصر تاريخ الأدب العربي ، ص ٩٦ .

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ، الَّذِي لَيْسَ لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَدَّ الصَّخُورَ مَيِّدَانِ أَرْضِهِ).

نلاحظ أن الإمام قد استهل خطبته بحمد الله تعالى ووصف نعمه والإشارة إلى أن الإنسان عاجزٌ عن معرفة الله. هذه الفقرة السابقة تساعد على تشكيل المرحلة الثانية من بناء النص وهو :

ب : الدخول في الموضوع :

والمقصود بالدخول في الموضوع إيجاد رابطة معنوية بين الاستهلال الذي أشار إلى الله تبارك وتعالى وعجز الإنسان عن معرفته وبين الموضوع الآخر وهو البحث عن الدين الذي هو وسيلة لمعرفة الله سبحانه حيث قال :
(أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ...).

نجد أن النص قد ربط بين الفقرة السابقة وال فقرات القادمة التي تشير إلى طرق معرفة الله .

ج : نموّ الموضوعات :

والمقصود به أن ما طرح سابقاً، يبدأ الآن فيجعله متتامياً متضمناً التفصيلات، بعبارة أخرى أن الإمام بحث في الفقرة الماضية عن معرفة الله ويريد في الفقرات الآتية أن يبسط الكلام عن الطرق التي تهدي الإنسان إلى هذه المعرفة كما نشاهد فيما يلي :

الطريق الأولى: هي التي ترشد الإنسان إلى التوجه إلى كيفية خلق العالم على هذا النحو: (أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها ...).

والطريق الثانية: وهي التي تطلب من الإنسان أن ينظر في عجائب خلقه الملائكة: (ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سَجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ ...).
والطريق الثالثة: هذه الطريق تتبى عن عجائب خلقه الإنسان: (ثُمَّ جَمَعَ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، وَتُرْبَةِ سَنِّهَا بِالْمَاءِ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ، ...).
والطريق الرابعة: هذه الطريق تُشير إلى آدم (ع) والجنة: (ثُمَّ أَسْكَنَ آدَمَ أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَةً، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّةً، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعِدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَتْهُ عِدْوَةٌ نَفَاسَةٌ عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ ...) نشاهد فيما سبق أَنَّ الامام كيف يطرح الموضوع ويبسطه ويُنمِّيه وَأَنَّ الموضوعات كيف تنامت وتطوّرت بأيديه والتحم بعضها مع بعض. وإذا تابعنا سائر المقاطع من هذه الخطبة لشاهدنا نفس البناء الفني الذي يصل بين أقسام الخطبة ويخضعها للوحدة العضوية التي تنتظم الهيكل المذكور.

٢- الرسائل:

« الرسائل هي كتابة متشكلة من الأفكار الأخلاقية أو الكلمات الدينية المهيّجة أو المواعظ الحكيمة التي يُخاطب بها شخصٌ مُعيّن كالقاضي والوالي والقائد العسكري يُطلب إليه بواجبه الرسمي أو الأهلي »^١.
والرسائل تحتلّ موقعاً ضخماً من النصوص المأثورة عن الامام (عليه السلام) حتى تكاد تشبه حجم الخطب، مادامت طبيعة المسؤولية الرسمية التي تسلمها أواخر حياته تقتضي مثل هذه الكتب الإدارية التي توجه إلى كبار موظفي الدولة أو إلى المواطنين، أو إلى خارج المؤسسة الإسلامية من الأعداء وسواهم...

والرسالة تستهلّ عادة بصياغات خاصة: نحو (بسم الله الرحمن... من عبد الله... إلى.. أما بعد...) ثم يسرد الموضوع الذي صيغ الكتاب أو الرسالة من أجله. تمتاز رسائل الإمام علي (ع) بالإيجاز، وأكثر هذه الرسائل قصيرٌ لا تتجاوز العشرة أسطر إلّا الرسالة التي أرسلها إلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي لما ولّاه مصر و أعمالها .

أمّا بالنسبة لمعاني هذه الرسائل فعلينا أن نقول إنّها صادرة عن رجل سياسة وإدارة، تصطبغ بتلك الصبغة نفسها، وترمي إلى التحريض والنصح والاحتجاج. و الكلام طبيعي لا يخلو من التتميق البديعي، و ينزع نزعة الإيجاز، فلا إطناب ولا اضطراب ولا إسفاف.^١ لعلّ رسالة الإمام إلى مالك الأشتر النخعي هي أبرز نموذج لما أشرنا إليه من خصائص رسائل الإمام؛ الرسالة هذه تُعتبر وثيقة اجتماعية ترتبط بالتعامل مع الرعيّة في قضايا مختلفة. كتبت هذه الرسالة بلغة مترسّلة^٢ خالية من السجع والعناصر الصوريّة كالتشبيه والاستعارة. يقول الإمام في هذه الرسالة البارعة في كيفية جلب رضى العامة أو رضى الخاصّة :

« وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل، وأجمّعها لِرضى الرعيّة، فإنّ سُخط العامة يُجحف برضى الخاصّة، وإنّ سُخط الخاصّة يُغتفر مع رضى العامة... » .

الواضح أنّ الرسالة ذات لغة مألوفة (أي خالية من السجع والعناصر الصوريّة)، لأنّ الموقف يتطلّب ذلك. ولكن الإمام حيناً بعد حين يزيّن الرسالة بالعناصر الصوريّة؛ منها:

^١ تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٢٤ .

^٢ مختصر تاريخ الأدب العربي ، ص ١٠٣ .

« فالجنود بإذن الله حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعَزُّ الدِّينِ وَسُبُلُ الْأَمْنِ... » و « الحصون والسبل والزَّين »، صور واضحة مألوفة. نستنتج أنَّ الموقف يتطلَّب أن يزِين الامام كلامه بالتشبيه والاستعارة ويوشِّحه بالفاصلة الإيقاعية مرّة و مرّة أخرى أن يُجرّد كلامه من هذه العناصر الصورية والفواصل الإيقاعية.

٣- الحكم :

الحكم اعتبارات موجزة تمتاز بفكرة قويّة هي ثمرة التفكير أو الاختبار، تخرج مقتضبة، رشيقة المبني، تعلّق في الأذهان بسهولة لأنّها ترد في صورة قويّة كما في قوله: « إذا كنت في إِدبارٍ والموتُ في إقبالٍ فما أسرعُ الملتقى ! ».^١ أو ترد في مظهر من مظاهر الطباق كما في قوله: « أشرفُ الغنى تركُ المُنَى ».^٢ أو في حسن استعمال أحرف الجرّ: « والدهرُ يومان: يومٌ لك ويومٌ عليك؛ فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر ».^٣ أو في جمال تتابع الجُمْل والتشبيهات: « لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة ».^٤

هذه الكلمات القصيرة مليئة بشكل ملحوظ بالعناصر الإيقاعية والصورية، فلا نكاد نرى كلاماً خالياً من السجع والتجنيس والتوازن والتشبيه والاستعارة والرمز و... والواقع أنَّ احتشاد هذه العناصر لا ينحصر في حكم الامام بل في خطبه ورسائله كما رأينا في الحديث السابق عنهما.

^١ نهج البلاغة، الحكمة ٢٩.

^٢ نهج البلاغة، الحكمة ٣٤.

^٣ نهج البلاغة، الحكمة ٣٩٦.

^٤ نهج البلاغة، الحكمة ١١٣.

الخاتمة :

يظهر نبوغ الإمام (ع) بكل وضوح في آثاره المنظومة والمنثورة. تتجلى هذه العبقرية في نهج البلاغة أكثر من آثار الإمام الأخرى؛ إنَّ لنهج البلاغة ثروةً معنويةً تجعل له مقاماً شامخاً في أدب ذلك العهد وثروةً بنائيةً تجعل فيه متعةً أدبيةً وجمالاً فنياً. معرفة الإمام الكاملة بوسائل التعبير وأساليب الفن جعل نثره كنزاً جمع بين الطبع والتطبع حيث أنَّ القارىء لا يكاد يُمَيِّز الصنعة عن الطبع لحسن تألفهما .

فهرس المصادر :

- آذر شب محمد علي ، الأدب العربي و تاريخه حتى نهاية العصر الأموي ،
طهران ، سمت ، ١٣٧٧ هـ .ش .
- الاسكندري أحمد و مصطفى عناني ، الوسيط في الأدب العربي و تاريخه ،
مصر ، دار المعارف ، ط ١٧ .
- بهروز اكبر ، تاريخ ادبيات عرب ، انتشارات دانشگاه تبريز ، ١٣٧٧ هـ .
ش .
- البستاني محمود ، مختصر تاريخ الأدب العربي ، طهران ، سمت ، ١٣٨١ هـ .
ش .
- ترجانی زاده احمد ، تاريخ ادبيات عرب ، تبريز ، ١٣٤٨ هـ .ش .
- خاقانی محمد ، جلوه های بلاغت در نهج البلاغه « بالفارسية » ، انتشارات
بنیاد نهج البلاغه ، ١٣٧٦ هـ .ش .
- دشتی محمد ، ترجمه نهج البلاغه ، نشر الهادي ، ١٣٧٩ هـ .ش .
- عبدالجليل .ج . م ، تاريخ ادبيات عرب ، ترجمه آ.آذر نوش ، طهران ،
انتشارات اميركبير ، ١٣٧٦ هـ .ش .
- الفاخوري حنا ، تاريخ الأدب العربي ، طهران ، نشر توس ، ١٣٧٧ هـ .ش .
- فرحات يوسف ، ديوان الامام علي بن أبي طالب ، بيروت ، دار الكتاب
العربي ، ط ٣ ، ١٩٩٥ م .
- قربانی زرین باقر ، الدرّة الغراء في شعر شيخ البطحاء ، طهران ، ط ١ ،
مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية ، ١٤١٦ هـ .ق .
- المدرسي محمد جعفر ، الامام علي كلمة التقوى ، دارمحيبي الحسين ، ط ١ ،
١٤٢٠ هـ .ق .

رؤية جديدة إلى المعلقة بين التوثيق والتضعيف

الدكتور سيد ابو الفضل سجادي^١

الدكتور ابراهيم الناري^٢

وصل إلينا من التراث الأدبي العربي بضع قصائد من مطولات الشعر العربي، وكانت من أدقّه معنى، وأبعده خيالاً، وأبرعه وزناً، وأصدقها تصويراً، وسمّيت بالمعلقات، وتحلّلت المقام الأوّل بين القصائد الجاهلية، ولها قيمة أدبية عظيمة، وذلك لأنها تصور البيئة الجاهلية والحياة الجاهلية أوضح تصوير. لم تعدّ المعلقة نتاجاً لغوياً للعربية فحسب، بل ترجمت إلى عدة لغات عالميّة، وتناولها علماء اللغة وعشاق الأدب في المعمورة، لذلك تعتبر المعلقة من أهمّ ما وصل إلينا في الأدب العربي، ومن تعلّم الأدب العربي أدرك روعة وأهمية هذا الأدب، لكنّه يشكّ بعض الأدباء والمستشرقون في صحتها، ويخطر هذا السؤال ببال كل باحث وناقد، وهو: كيف وصلنا هذا الأدب؟ وكيف استطاع هذا الشعر أن يحتفظ بنفسه حتّى وصل إلى الناس في

^١ عضو هيئة التدريس بجامعة اراك.

^٢ عضو هيئة التدريس بجامعة اراك.

العصور التالية. أل هذا الشعر حقيقة تاريخية؟ أم هو منحول، ليس له أساس من الصحة، تقصد هذه المقالة كشف هذه الحقيقة، وتدرس الجوانب المختلفة فيه. المفردات الأساسية: الشعر الجاهلي، المعلقات، التوثيق، التضعيف.

المقدمة

يعتبر الشعر الجاهلي من عيون الشعر العربي، وله أهمية خاصة في الأدب العربي، وبالرغم من هذه الأهمية تتباين آراء العلماء والنقاد والمستشرقين حوله وتثير تساؤلات كثيرة، من أهمها: أل هذا الشعر حقيقة تاريخية أم منحولة وهل ضعه الرواة والنقاد في العصر الإسلامي أو الأموي أو العباسي، ثم نسبوه إلى الجاهليين لأسباب مختلفة.

تدوين الشعر الجاهلي

مما لاشك فيه أن الكتابة كانت معروفة لدى الجاهليين، وأنها كانت منتشرة انتشاراً لا يستهان به، وإضافة على ذلك كانت الكتابة بالحروف العربية معروفة لدى العرب منذ القرن الرابع للميلاد، وقد دوّنوا بها عهودهم ومواثيقهم.

وقد ذهب العلماء مذاهب مختلفة في قضية التدوين لدى الجاهليين، فذهب بلاشير في بعض الحيرة والتردد إلى انكار التدوين في ذلك العهد، وذهب الدكتور ناصر الدين الأسد إلى أن التقييد والتدوين كانا معروفين لدى الجاهليين، وهو يورد على تقييد الشعر أدلة عقلية استنباطية وأدلة صريحة مباشرة، أما أدلته العقلية فهي أولاً أن العرب الجاهليين قيّدوا بالكتابة دينهم ورسائلهم وعهودهم وما إلى ذلك، ومن غير معقول ألا يقيّدوا شعرهم، وهو عندهم في الذروة العليا من القيمة والخطر، إذ هو ديوان أمجادهم وأحسابهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم، والثاني أن كثيرين من الشعراء جعلوا الشعر مورداً من موارد الارتزاق، ومن غير المعقول ألا يقيّدوا هذا الشعر، وهو

مصدر الخير ومورد الرزق، والثالث أن عدداً من الشعراء نظموا الشعر الحولى المحكك، ولم يرتجلوه إرتجالاً، وهذا أمرٌ يتطلَّب التقيد و الكتابة. أما أدلته الصريحة المباشرة فهي روايات ونصوص يُفيد أكثرها أن الشعر المقيد بالكتابة إنما كان رسائل يبعث بها الشاعر. (الأسد، ناصر الدين، ص ١٠٨ و ما بعدها).

يقول الدكتور شوقي ضيف ممّا لا شك فيه أن الكتابة كانت شائعة في الحواضر وخاصة في مكة. وفي السيرة النبويّة أن رسول الله (ص) جعل فداء الأسرى القرشيين الكاتبين في بدر أن يُعلِّم الأسير عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة. فالكتابة كانت معروفة بل شائعة في الجاهلية، ولكن ليس بين أيدينا أي دليل مادي على أن الجاهليين إتخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ربّما كتبوا بها بعض قطع أو بعض قصائد، فقد كانت وسائلها صعبة من الحجارة والجلود والعظام وسعف النخل. وكل ما بين أيدينا من روايات عن كتابة بعض الأشعار في الجاهلية إنما يدل على أن الكتابة كانت معروفة، وخاصة في البيئات الآخذة بشيء من الحضارة، ونقصد المدن مثل مكة والمدينة والحيرة، ولكنه لا يدل بحال على أنها أتخذت أداة لحفظ الشعر الجاهلي ودواوينه، ولو كان لهم كتاب جمعوا فيه أطرافاً من أشعارهم لما أطلق الله سبحانه على القرآن اسم الكتاب، فلا كتاب لهم من قبله لا في الدين ولا في غير الدين. (ضيف، شوقي، ص ١٤١)

ثم يضيف قائلاً: إنَّ النهر الكبير الذي فاض بالشعر الجاهلي إنما هو الرواية الشفوية، وقد ظلت أزماناً متتالية في الاسلام، ويدل على ذلك أقوى الدلالة أن الحديث النبوي ظلَّ في أغلب أحواله يعتمد على الرواية والشفاهة إلى نهاية القرن الأول للهجرة. فإذا كان الحديث بما له من قدسية لم يعمدوا إلى تدوينه إلا بعد مرور الزمن، فأولى أن يكونوا قد تبعوا ذلك في الشعر الجاهلي، ولم يكن ركناً في الشريعة الاسلامية. ومن يرجع الى شعرهم يجد

شعراءهم يذكرون دائماً الرواية، و أنها وسيلة انتشاره في القبائل، فهي الوسيلة التي كانوا يعرفونها، وقد نفذ شعرهم من خلالها إلى آفاق الجزيرة. يقول المسيب بن علس:

فَلأَهْدِينْ مَعَ الرِّيحِ قَصِيدَةً مَنَى مُغْلَغَلَةً إِلَى الْقَعْقَاعِ^١
تَرَدُّ المِياهُ فَمَا تَزَالُ غَرِيبَةً فِي القومِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ

(نفس المصدر ص ١٤٢)

ويقول الدكتور جواد علي حول تدوين الشعر الجاهلي: ليس في الشعر الجاهلي بيت واحد يستطيع أن يثبت أنه كان مدوناً في الجاهلية، فكل ما وصل إلينا من هذه البضاعة إنما هو من عهد الكتابة والتدوين، وعهد التدوين لم يبدأ إلا في الإسلام، وأول تدوين الشعر إنما في عهد الأمين.» (علي جواد ٩/ ٢٥٠)

وهناك روايات تزعم أن الجاهليين كانوا يدونون أشعارهم، فقد روى أن النعمان بن المنذر أمر فنُسخت له أشعار العرب في الطنوج وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن عبيد الثقفي، قيل له: إن تحت القصر كنزاً، فاحتفزه، فأخرج تلك الأشعار. وروايات أخرى تقول إن العرب كانت شديدة العناية بشعرها، مبالغة في المحافظة على الجيد منه، فأمرت بكتابتها بماء الذهب على القباطي وبتعليقها على الكعبة إعجاباً بها، وقد عرفت تلك القصائد بالمذهبات وبالمعلقات وبالسموط. غير أننا إذا ما تتبعنا تاريخ ورود هذا الذي ذكرته عن وجود التدوين نصل إلى مرجع واحد، هو آخر سلسلة السند، الذي ينتهي بحماد الرواية وابن الكلبي، فحماد هو صاحب الزعم المتقدم القائل أن النعمان بن منذر أمر فنُسخت له أشعار العرب في الطنوج، وابن الكلبي هو صاحب الخبر القائل أن العرب علقت

^١ - المغلغلة: الرسالة. القعقاع: الطريق صعب العبور

القصائد السبع على الكعبة، وأنَّ العرب اختارتها من بين القصائد الجاهلية الكثيرة، فوضعتها على أركان الكعبة إعجاباً بها. (المصدر السابق ص ٢٥٢)

وقد سكنت كلُّ الأخبار التي تحدَّثت عن طنوج النعمان بن المنذر، وعن الجهة التي دخل الديوان في ملكها. كما سكنت عن مصيره النهائي. فأين ذهب ذلك الديوان، ولمَّ لم يُشر إلى وجوده شخص آخر غير حماد.

(المصدر نفسه ص ٢٥٦)

وخلص الدكتور جواد علي ممَّا تقدَّم إلى: «وقد يكون خبر الديوان وخبر الطنوج من مفتعلات حماد وابن الكلبي لإظهار سبب تفوق أهل الكوفة على أهل البصرة بالعلم والشعر».

(المصدر نفسه ص ٢٥٧)

فعرَّف ممَّا تقدَّم أنَّ الكتابة كانت موجودة في العصر الجاهلي، ولكن هذا لا يعني أنَّ العرب دوَّنت كلَّ الأشعار في ذلك العصر، بل ربَّما كانت تكتب بعض الأشعار والأبيات. كما يقول الدكتور جواد علي: «ولا أستبعد احتمال تدوين الشعراء الجاهليين الذين كانوا يحسنون الكتابة والقراءة لأشعارهم، كما لا أستبعد احتمال تدوين رواة الشعر للشعر، غير أنَّنا لا يمكن أن نقول إنَّ الشاعر كان إذ ذاك يدوِّن كلَّ شعره، أو إنَّ الرواة كانوا يدوِّنون كلَّ ما حفظوه من الشعر، لأنَّ هذا النوع من التدوين لم يكن مألوفاً عندهم، كما كان يُكلَّف ثمنًا باهظاً، ثمَّ إنَّ القرطاس كان نادراً عندهم، والتدوين على الأدم غالباً ينوء بثمنه الشاعر أو الراوية، ولا سيَّما إذا كان الشاعر من الأعراب، وأنا لا أستبعد احتمال وجود مثل هذه المدوَّنتات عند الحضر، مثل أهل الحيرة ولكن الأحداث والعوامل الطبيعية أتلفت تلك المدوَّنتات، فلم تسقط لهذا السبب في أيدي رواة الشعر والأخبار.» (المصدر نفسه ص ٢٥٩)

وبسبب عدم لجوء الجاهليين إلى تدوين شعرهم في الغالب، ولأسباب عديدة منها ندرة الورق وغلاؤه واعتمادهم في حفظه على الذاكرة، فقد أكثره بموت حفاظه، وأصيب قسمٌ منه بتحريف وتغيير، وزيد بعض منه، ونقصَ

منه بعض آخر، ومما يدلُّ على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، والذي صحَّ لهما قصائد بقدر عشر، وإن لم يكن لهما غيرهنَّ فليس موضعهما حيث وضعنا من الشهرة. وقد ذكر ابن سلام أنَّ عبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة، وشعره مضطرب لا أعرف له إلا قوله:

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذُّنُوبُ

(الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، ص ١٨)

هناك أشعار وأبيات كثيرة ينسبها قومٌ لشاعر بينما ينسبها قومٌ لشاعر آخر وهو يدلُّ على أنَّ الشعر لم يكن مدوَّنًا في بادئ أمره، وإنَّما كان يروى حفظاً، ولو كان قد أخذ من كتاب لما جاز عقلاً وقوع مثل هذا الخطأ والاشتباه .

فمما تقدَّم نستنتج أن الدواوين لم تكن موجودة، وإنَّ الشعر لم يكن مكتوباً في صدر الاسلام، ولهذا ضاع أكثر الشعر الجاهلي بسبب انهماك حفاظه في الحروب وهلاك بعضهم فيها، ومنها حروب الردة التي هلك فيها جمع من حفاظ الشعر من مسلمين ومن مشركين . (المصدر نفسه ص ٣٤٣)

تسمية القصائد المشهورة بالمعلقات

اختلف أصحاب الأخبار في شأن هذه المعلقة في الجاهلية، فقال بعضهم: إنَّ العرب علَّقوها بأستار الكعبة، وأنكر بعضهم ذلك، وقيل إنَّ العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ، ويتناشدون الأشعار فإذا استحسَن الملك قصيدة قال: علَّقوها، و أثبتوها في خرائتي.

أما الأكثرون فيذهبون إلى أنها علِّقت في الكعبة، وهذا ابن عبد ربَّه قال: «كتبت العرب سبع قصائد بماء الذهب في القبايطى المدرجة، وعلقتها في أستار الكعبة». (ابن عبد ربّه، محمد، العقد الفريد، ٥/٢٣٣). وأيد ذلك كثيرون في

عصور مختلفة، منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة، وهو من أكبر نقدة الشعر قال: « وكانت المعلقة تسمى المذاهبات، وذلك لأنها أختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي بماء الذهب، وعلقت على الكعبة، فلذلك يقال مذهب فلان، إذا كانت أجود شعره.

(زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ص ١٠٥)

وبروكلمان يرى أنَّ التسمية (المعلقة) مستوحاة من الاستحسان الكبير لهذا القصائد التي تعتبر من أجود الشعر العربي، والتعليق تسمية مجازية مأخوذة من الجودة والحرص والمحافظة على شيء، لأنَّ كلَّ نفيس يحرص عليه، والحرص على الأدب وعلى الشعر خاصة شيء واضح عند العرب، يدلُّ عليه ذلك الاعتناء به والتناقل له، فهذا الاهتمام بالشعر عند العرب والحرص عليه، هو الذي جعل الباحثين يميلون إلى هذه التفسيرات المجازية للتسمية.

يقول الدكتور مفيد قميحة: «نحن لا ننسى أن العرب كانوا يعلِّقون في الكعبة العهود والمواثيق المكتوبة بينهم حرصاً عليها وتعظيماً لها، وليس الشعر المشهور بأقلَّ مكانة من العهود والمواثيق، فقد جاء في الصحيحين وغيرهما أنَّ قريشاً لما بلغهم إكرام النجاشي لجعفر وأصحابه كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله (ص) وأصحابه، وكتبوا كتاباً على بني هاشم أن لا ينكحوهم ولا يبايعوهم، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب . (قميحة مفيد، شرح المعلقة العشر، ص ١٩)

يختلف الباحثون وتتعدّد آراؤهم في سبب تسميتها بهذا الاسم إلا أنَّ أكثرهم يرجع السبب في ذلك إلى تعليقها في ركن من أركان الكعبة المقدسة عند العرب. فقد جاء على لسان ابن الكلبي المورخ المتوفى في سنة ٢٠٤ هـ أنَّ أول شعر علّق في الجاهلية شعر امرئ القيس، علّق على ركن من أركان الكعبة، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية، وعدّوا من علّق شعره

سبعة نفر. يقول الدكتور شوقي ضيف: أمّا ما يقال من أنّ المعلقات كانت مكتوبة و معلّقة في الكعبة فمن باب الأساطير، وهو في الحقيقة ليس أكثر من تفسير فسّر به المتأخرون معنى كلمة المعلقات. (ضيف، شوقي، ص ١٤٠)

فقد جاء في العقد الفريد أنّه بلغ من شغف العرب بالشعر أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتّها بماء الذهب في القباطي، وعلّقتهّا على أستار الكعبة. (ابن عبد ربه، محمد، ص ١١٩). وقد نفى ابن النحاس الأسطورة فقال: لم يثبت ما ذكره الناس من أنّها كانت معلّقة على الكعبة.

وقد تعرّض المستشرقون لموضوع المعلقات، وقد رأى كثير منهم أنّ قصه التعليق قصة مصطنعة، وأن الموضوع مصنوع موضوع. ويرى نولدكه *Noldeke* أنّ اختلاف رواة الشعر في ضبط أبيات تلك المعلقات دليل في حدّ ذاته على عدم صحة التعليق. إذ لو كانت القصائد معلّقة ومشهورة، وكانت مكتوبة لما وقع علماء الشعر في هذا الاختلاف. ثمّ يرى سبباً آخر يحمله على الشكّ في صحّة ما يقال عن المعلقات، هو أنّ كلّ الذين كتبوا عن فتح مكة مثل الأزرقى وابن هشام والسهيلي وغيرهم أشاروا إلى أنّ الرسول (ص) أمرَ بطمس الصور وكسر الأوثان والأصنام، ولم يشيروا أبداً إلى المعلقات، ولو كانت المعلقات موجودة لما غضّ أهل الأخبار أنظارهم عنها ولما سكتوا عن ذكرها لأهميتها عند العرب.

وذهب بين المستشرقين فريق مذهب نولدكه في رفض قصّة التعليق، وفريق أيّد التعليق وهم أقلية. أمّا علماء العربية في أيامنا فهم أيضاً بين مؤيد وبين مخالف، و لكل رأي.

ويقول الدكتور جواد علي: «ولم أجد بين الموارد التي وصلت إلينا ذكر أن الرسول (ص) حينما فتح مكة وأمر بتحطيم ما كان بها من أصنام وأوثان وطمس ما كان بها من صور، وجد معلّقة واحدة أو جزءاً من معلّقة على

أستار الكعبة. ثم إنَّ أهل الاخبار الذين أشاروا الى الحريق الذى أصاب الكعبة، والذي أدَّى إلى إعادة بنائها، لم يشيروا أبداً إلى احتراق المعلقات، ولو كانت موجودة ومعلّقة على الكعبة كما زعموا، لما سكتوا عن ذكر هذا الحديث الهامّ. وتعليق المعلقات قصّة لا أستبعد أن تكون من صنع حماد، أو من عمل من جاء بعده في تعليل سبب ذلك الاختيار. وأرى أنّ الذي أوحى إلى أهل الأخبار بفكرة المعلقات هو ما جاء في القرآن الكريم ﴿١﴾ لقد أتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴿٢﴾ [الحجر / ٨٧]، ويلاحظ أنّ علماء الشعر مغرمون بعدد السبعة، وإن نظام انتقائهم للأشعار قائم على سبع، فالمعلقات سبع، ومنتقيات العرب والمذهبات التى للأوس والخزرج خاصّة سبع، فالسماوات والأرضون سبع، وأيام الأسبوع سبعة. وهذا التقسيم السبعى لابدّ أن يكون له أساس، فليس من المعقول أن يكون اعتباطياً وعلى غير أساس.» (علي، جواد، ص ٥١٤-٥١٨)

وسُمّيت المعلقات بأسماء أخرى فمن هذه الأسماء، السبع الطوال، السموط والمذهبات بدعوى أنّها كتبت بماء الذهب، والقصائد المشهورة .

إنّ أقدم الرواة الذين أشاروا إلى التعليق هو ابن الكلبي، وقال بالتعليق كذلك ابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) ونصّ على التعليق أيضاً ابن رشيق القيروانى (ت ٤٨٣ هـ) وتابعهم ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) والبغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) ولكن غير هؤلاء من الرواة والعلماء تعرّضوا لهذه القصائد ولشعرائها، ولم ترد لديهم تسمية المعلقات ولا خبر التعليق ومن هؤلاء ابن سلّام (ت ٢٣٢ هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٥ هـ) وأوّل من أنكر التعليق أبو جعفر النحاس، فيقول: «أمّا قول من قال إنّها علّقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة»، وأهم من ذهب هذا المذهب من العرب مصطفى صادق الرافعي، ومن المستشرقين نيكلسون الإنجليزي، ويقول الدكتور الجبوري: ليس لدينا

الآن الحجّة البيّنة التي يطمئنُّ إليها الباحث لدفع التعليق أو إقراره.

(الجبري، يحيى، ص ١١٧)

إذن نحن أمام آراء ثلاثة، رأي يقول بالتعليق، ورأي ثان يُنكره ورأي ثالث يذهب إلى تفسير التعليق تفسيراً مجازياً ينتهي إلى ترجيح عدم التعليق، ويفترض الفروض المتعددة لهذه التسمية التي توحى ظاهرياً بأنّ القصائد علّقت لأنّ المعلّقات مشتقة من علّق .
(قميحه، مفيد ص ١٨)

صحّة الشعر الجاهلي والمعلّقات وقضية الإنتحال

قد مرّ بنا أنّ المعلّقات لم تعلق بالكعبة كما زعم بعض المتأخّرين، وإنّما سمّيت بذلك لنفاستها أخذاً من كلمة العلق بمعنى النفيس، ويقال إنّ أوّل من رواها مجموعة في ديوان خاصّ بها حماد الرواية وهي عنده سبع: لإمرئ القيس وزهير و طرفة ولبيد و عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة. والمجموعة الثانية في المنتخبات هي المفضليات، نسبة إلى جامعها المفضل الضبّي راوي الكوفة الثقة، غير أنه أسقط اثنين من رواية حمّاد، هما الحارث ابن حلزة و عنترة وأثبت مكانهما الأعشى والنابغة. والمجموعة الثالثة من كتب المنتخبات العامة الأصمعيّات نسبة إلى الأصمعي راويها. والمجموعة الرابعة جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، القسم الأوّل من هذا الكتاب خاصّ بالمعلّقات، وقد أخذ فيها برواية الضبّي، فأسقط منها معلقتي الحارث وعنترة، ووضع مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة.

قلنا فيما سبق إنّ رواية الشعر في العصر الجاهلي كانت هي أداة نشر الشعر و ذبوعه. فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعراً يروى عنه شعره، و مايزال يروى له ولغيره حتى ينفق لسانه، ويسيل عليه ينبوع الشعر والفن.

(ضيف، شوقي، ص ١٤٢)

لعلنا لا نبعد إذا قلنا إن شعراء القبيلة الواحدة كان يروى خلفهم شعر سلفهم، ونص القدماء على ذلك في غير شاعر. وهم كل شاعر أن يتقن معرفتها عن طريق ما يحفظ من شعر أستاذه وشعراء قبيلته، بل أيضاً شعراء القبائل الأخرى. ولم يكن الشعراء وحدهم هم الذين يهتمون برواية هذا الشعر، فقد كان يشركهم في ذلك الاهتمام أفراد القبيلة جميعهم، لأنه يسجل مناقب قومهم وانتصاراتهم في حروبهم، كما يسجل مثالب أعدائهم، وإلى ذلك أشار بعض بنى بكر معيراً تغلب لكثرة ترددها لقصيدة واحدة، هي معلقة عمرو بن كلثوم، وكان ليس لها شعر سواها، يقول:

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

قال جابر بن سمرة: جالست رسول الله (ص) أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر الجاهلية، فربما تبسم رسول الله (ص). معنى ذلك أن رواية الشعر الجاهلي كانت مستمرة في صدر الاسلام. (المصدر السابق، ص ١٤٦)

ونحن لا نصل إلى الحرب التي نشبت بين علي (ع) ومعاوية حتى تشتعل العصبية القبلية اشتعالاً لم تخب نيرانه حتى نهاية العصر الأموي، وكان الشعر الوقود الجزل لهذه العصبية. فأخذت كل قبيلة تعنى برواية شعرها الجاهلي الذي يصور مناقبها ومثالب خصومها، ومن غير شك كان ذلك أكبر عون على حفظ الشعر الجاهلي.

ومنذ وقت مبكر في صدر الاسلام نرى القصاص يجلسون للظة في المسجد، وكانوا كثيراً ما ينثرون الاشعار الجاهلية التي تتصل بوعظهم، وفي أثناء ذلك كان الشعراء الاسلاميون أنفسهم يعنون عناية شديدة برواية الشعر القديم. ولم يكن هناك شاعر مبرز إلا وهو يروي للجاهلين، وينشد من شعرهم. وصور الفرزدق مدى روايته ومعرفته للشعر الجاهلي، فقال في بعض قصيدة.

وهبَ القصائدَ لى النبواغُ إذ مضوا وأبو يزيد و ذو القروح وجرول^١
 وأخو بنى قيس وهنَّ قَتَلَنَه ومهلل الشعراء ذاك الأول^٢
 وأبنا أبى سلمى زهير وابنُه وابن الفريعة حين جدَّ المقول^٣
 والجعفرىُّ و كان بشرَّ قبلَه لى من قصائده الكتابُ المجل^٤

(ديوان الفرزدق، ص ٣٢٣)

وأهم رواية الشعر الجاهلي أبو عمرو بن العلاء وحماد الرواية وخلف الأحمر ومحمد بن السائب الكلبي والمفضل الضبي، وقد استقوا روايتهم من القبائل والأعراب البدو، وكان بعضهم يرحل إلى نجد أحياناً ليستقي الأشعار والأخبار الجاهلية من ينابيعها الصحيحة. وكان بين البدو أنفسهم من هاجر إلى الكوفة والبصرة حيث هولاء الرواة العلماء ليمدّهم بما يريدون. وكان من أهم الأسباب في ذلك تفسير ألفاظ القرآن الكريم، فقد جرت عادة المفسرين منذ ابن عباس على الاستشهاد بالشعر الجاهلي في شرح ألفاظ القرآن الكريم. (المصدر نفسه ص ١٤٩)

إن رواية الشعر الجاهلي أحيطت بكثيرة من التحقيق والتمحيص، وإنه إن كان هناك رواية متهمون، فقد كان لهم العلماء الإثبات بالمرصاد أمثال المفضل الكوفي والأصمعي البصري، وما مثل الشعر الجاهلي في ذلك إلا مثل الحديث النبوي، فقد دخله وضع كثير، ولكن العلماء استطاعوا تمييز صحيحه من زائفه، وكذلك الشأن في الشعر، فقد دخله فساد كثير، ولكن أصحابه الإثبات استطاعوا في مهارة بالغة أن يُمَيِّزوا صحيحه من زائفه.

فلنهمل إذن من الشعر الجاهلي ما جاءنا منه عن أمثال حماد وخلف الأحمر، وأيضاً ينبغى أن نهمل ما اختلف فيه الرواة، أمّا ما اتَّفَقوا عليه أو

١ - ذوالقروح : امرئ القيس. جرول: الحطيئة .

٢ - أخو بنى قيس : طرفة. وهن قتلنه : يريد القوا في لانه قتل بسبب بعض اشعاره .

٣ - ابن الفريعة : حسان .

٤ - الجعفرى: ليبيد.

جاءنا عن إثباتهم فينبغي أن نقبله. يقول ابن سلام: قد اختلف العلماء في بعض الشعر كما اختلف في بعض الأشياء، أمّا ما اتَّفَقُوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه. (الجمحي، ابن سلام ص ٦)

وعلى هذا النحو صَفَّى علماء الرواية واللغة الشعرَ الجاهلي من شوائب كثيرة علَّقت به. كأن يبدّلوا كلمة مكان كلمة، أو يقيموا بعض الألفاظ على سنن لهجة قريش، فقد كانت تسقط على لسان الشعراء أحياناً أشياء من لهجاتهم القبليّة، فكانوا يصلحونها، وقد يصلحون عروض بعض القصائد، ولكنهم بصفة عامة حافظوا على جوهر هذا الشعر محافظة تشهد لهم بدقّة، وإنهم استطاعوا أن ينقلوا غير قليل منه إلى أجيالهم والأجيال التالية.

وواضح أنّ هذه المنتحلات من الشعر المنسوب إلى عرب الجاهليّة الأولى ليس لها أدنى قيمة، فقد ردّها الرواة المحقّقون، ومع ذلك يتعلّق بها بعض الباحثين المحدثين ليُشكِّكوا في الشعر الجاهلي عامّة، مع أنّ القدماء رفضوها و ردّوها، كما رفضوا و ردّوا رواية المتّهمين من الرواة أمثال حماد وخلف، وليس معنى ذلك أنّنا نريد أن نوسّع الأبواب فنقبل كثرة ما يروى عن الجاهليين، بل نحن نضيّقها تضيقاً شديداً، فلا نقبل إلا ما أورده النقاّة مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي، فجملة ما روه وثيق.

وأول كتاب أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي هو كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلّام، وهو قد ردّها إلى عاملين: عامل القبائل التي تنزّيد في شعرها، لتتزيّد في مناقبها، وعامل الوضّاعين، ويقول: لمّا راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما رهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم ثمّ كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار. (الجمحي، ابن سلام ص ٦)

يقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانت ترويان منتحلاً كثيراً وتتسبانه إلى الجاهليين، طائفة كانت تحسن نظم الشعر مثل حماد وخلف الأحمر وطائفة كانت تحمل غناء منه وكل زيف، ورفض ابن سلام والأصمعي رواية الطائفتين جميعاً، فلم يقبلوا شيئاً مما يرويه أشباه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة.

(ضيف، شوقي ص ١٦٥)

في الشعر الجاهلي منتحل لاسبيل إلى قبوله، وفيه موثوق به، وهو على درجات منه ما أجمع عليه الرواة، ومنه ما رواه ثقات لاشك في ثقتهم وأمانتهم، من مثل المفضل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء. وقد يغلب المنتحل الموثوق به، ولكن ذلك لا يخرج بنا إلى إبطال الشعر الجاهلي عامة، وإنما يدفعها إلى بحثه وتمحيصه .

(نفس المصدر ، ١٦٦)

يقول الدكتور يحيى الجبوري: ما بأيدينا من شعراء الجاهلية وكذلك شعر الإسلام لا يصح أن يقبل على أنه صحيح لاريب فيه، كما لا يصح أن يرفض على أنه باطل لا نفع به. وإنما يؤخذ بالتقية والتتقى، فمنه الصحيح الذي لا غبار عليه، ومنه الفاسد المصنوع أو المنسوب إلى تلك الفترة، وقد رفضه النقاد. ويتابع قوله، ويقول: ذلك الشعر المصنوع لم يكن من الكثرة بحيث يضطرب الدارسون في معرفته أو يتخذون ذلك القليل الفاسد وسيلة لإتهام الشعر الجاهلي عامة، فإن من التجاوز على الحق والخروج على أصول البحث العلمي أن نغلو في تقدير المنحول ونبالغ فيه.

(الجبوري، يحيى ، ص ١٠١)

وقد أثارت قضية الإنتحال في العصر الحديث، وتناولها المستشرقون والعرب، ومن هؤلاء المعتدل المنصف مثل نولدكه و بروكلمان، ومنهم المشتط المسرف كمرجليوث. أما المستشرق مرجليوث فقد ذهب إلى رفض الشعر الجاهلي جملة، وله نوعان من الأدلة في محاولته إثبات بطلان الشعر الجاهلي، أدلة خارجية وأدلة داخلية:

الأدلة الخارجية: يقول مرجليوث: لو فرضنا أن هذا الشعر حقيقي فكيف حفظ ؟ لابد أنه حفظ إما بالرواية الشفوية وإما بالكتابة، ويبدو أن الرأي الأول هو الذى يذهب إليه المؤلفون، ثم يشك في وجود الرواية الشفوية، لأن ذلك يقتضى أن يكون هناك رواة عملهم فقط حفظ الأشعار وأن الإسلام يجب ما قبله، وأن القرآن ذكر أن ① الشعراء يتبعهم الغاؤون ❁ [الشعراء/ ٢٢٤].

فهذا ما يدعوهم إلى نسيان الشعر، ثم إن القصائد تصور انتصارات القبائل بعضها على بعض، وإن الإسلام بحث على نسيان تلك الحوادث، لأن هذه القصائد تثير الضغائن الجاهلية، ثم ينتقل إلى الأدلة الداخلية، ويقول: إن هذا الشعر الجاهلى فيه إشارات إلى قصص دينية وردت في القرآن وفيه كلمات إسلامية مثل الحياة الدنيا ويوم القيامة والحساب وبعض صفات الله، ولا نجد في الشعر جو الآلهة المتعددة الذى نجده في النقوش.

(المصدر السابق، ص ١٠٦)

وكان المستشرقون أنفسهم هم الذين ردوا عليه وناقشوا نظرياته، وحاجوا مزاعمه. وكان أول المستشرقين الذين ردوا على افتراضات مرجليوث هو "شارس ليال" ويقول: إن حماداً وخلفاً كانا من أصل فارسي، ورواة القبائل فكانوا من العرب... أما الشعر الجاهلي فربما حاكاه حماد وخلف، ولكن هذه الحقيقة نفسها المحاكاة تدل على وجود أصل يحاكي.

(الجبوري، يحيى، ص ١٠٦)

يقول شارنس ليال: أما موضوع صحة هذا الشعر فأمر من الطبيعي أن يختلف فيه الناس، إذ من المؤكد أن شعر الأعراب في الجاهلية العربية لم ينتقل بالكتابة، بل بالرواية، وكانت القبيلة تعد القصائد التى تسجل انتصاراتها أعلى ما تملك، فكانت ترويه جيلاً بعد الجيل، وكان هناك الراوي، وعمله أن يحتفظ بمذخور الشعر، وليس من الغريب أن تتناقل القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة.

(الجبوري، يحيى، ص ١٠٦)

كان أول من بحث هذا الموضوع من المعاصرين هو مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب". وتعرض الرافعي إلى رأي من ينكر أن هذه القصائد صحيحة النسبة إلى قائلها، مرجحاً أنها منحولة وضعها حماد الرواية أو خلف الأحمر، فرأى أنه رأي فائل، لأن الروايات قد تواردت على نسبتها، غير أنه ممّا لا شك فيه أن تلك القصائد لا تخلو من الزيادة وتعارض الألسنة، قل ذلك أو كثر، أمّا أن تكون بجملتها مولدة فنقض التاريخ.

أمّا طه حسين فقد رفض الشعر الجاهلي، ومنه المعلقات، لعدم ملاحظته وجود أيّ تباين في اللهجة أو اللغة التي نظم بها ذلك الشعر وقال: إمّا أن نؤمن بأنه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان، لا في اللغة ولا في اللهجة، ولا في المذهب الكلامي، وإمّا أن نعترف بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل، وإنما حمل عليها بعد الإسلام حملاً، ونحن إلى الثانية أميل.

(طه حسين، ص ٩٤)

وقد أخذ طه حسين أكثر مادته من روايات ابن سلام واستنتاجات وآراء مرجليوث، وتوسّع فيها وعمّم الأحكام الفردية، ويقول: إنّ الكثرة المطلقة ممّا نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثّل حياة الإسلاميين وميولهم وأهوائهم أكثر ممّا تمثّل حياة الجاهليين، ويقول: إنّ هذا الشعر يبعد كلّ البعد عن أن يُمثّل اللغة العربية في العصر الجاهلي، لأنّ هناك خلافاً قوياً بين لغة حمير ولغة عدنان. وإنّ القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية تختلف من حيث اللهجة، مع أنّ الشعر الذي وصلنا جاء بلهجة واحدة، ويتحدّث عن أسباب الانتحال، فيرجعها إلى السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة. (الجبوري، يحيى، ص ١٠٧ و ١٠٨).

وفي هذا المجال يقول شوقي ضيف: إنّ لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية، وإنّ الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا ينظمون بها، وإنّها كانت لهجة قريش، وسادت بأسباب دينية وإقتصادية وسياسية. فكان الشعراء

ينظمون فيها متخلين عن لهجاتهم المحلية على نحو ما يصنع شعراء العرب في عصرنا على اختلاف لهجات بلدانهم وأقاليمهم. (ضيف، شوقي، ص ١٦٧)

وأيضاً فإنّ في الشعر الجاهلي من الألفاظ الغريبة ما لم يكن يستخدم في عصر هؤلاء الرواة ممن دونوا مما يدلّ دلالة قاطعة على أنّه صحيح في جوهره.

وحاول طه حسين أن يردّ شعر امرئ القيس جميعه، لأنّه يمنيّ من كندة وشعره قرشيّ اللهجة، ولكنّ كندة إن كانت يمنيّة الجنس فقد كانت عدنانية اللغة، كما مرّ بنا أنّ لغة قريش هي التي سادت وذاعت منذ أوائل العصر الجاهلي على لسان جميع الشعراء الشماليين، سواء منهم من ينتسب إلى القبائل العدنانية ومن ينتسب إلى القبائل اليمنية.

إذا رجعنا إلى معلقة امرئ القيس وجدنا فيها جزءاً خاصاً بوصف البرق والمطر والسيول، ونحن نعرف أنّ إمرأ القيس شبّ في ديار بني أسد بالقرب من تيماء، وأنّ عبيد بن الأبرص كان يعاصره، وقد اشتهر بين الرواة بوصفه للمطر واجتماعهما على هذا الوصف دليلٌ بيّن على صحّة ما ينسب إلى امرئ القيس.

أمّا حول غزل امرئ القيس، من يقرأ المغامرات القصصية عنده تفد على ذهنه تواتر مغامرات ابن أبي ربيعة في غزله، وقد لاحظ طه حسين هذا التشابه في غزل الشاعرين، فأنكر ما ينسب إلى امرئ القيس من هذا الغزل القصصي الصريح، وقال إنّ انتحل انتحلاً، انتحله القصاص على غرار ما وجدوا منه عند ابن أبي ربيعة. ولكن ليس هناك ما يمنع أن يكون ابن أبي ربيعة قد عرف غزل امرئ القيس، وتأثر به كما تقضى طبيعة التأثر، إذ يتأثر اللاحق بالسابق. وكلّ ما يمكن أن يقال: إنّ هذا المنحى من القصص الغرامى منحى قديم بدأه امرؤ القيس، ونمّاه من بعده الأعشى، ثمّ كان العصر الأموي فتعلّق به عمر بن أبي ربيعة وأضرابه.

إن وجود الألفاظ والكلمات القويّة والصعبة في الشعر الجاهلي هو من الأسباب التي يتمسك بها بعض الباحثين والنقاد ويذهبون إلى أن هذا الشعر منحول، مثلاً وصف طرفه الناقة بتلك اللغة القويّة التي تتطلب منا عودة إلى معاجم اللغة حتى نصل إلى فهمها وإدراكها حمل بعض النقاد على اعتبار أن هذه الأوصاف من عمل علماء اللغة، لأنها لا تتألف في الشعر الذي وردت فيه مع بقية الشعر الذي حملته إلينا المعلقة.

وهذا الشك عند هؤلاء لا يؤيده أي دليل سوى صعوبة اللغة، ولذا يبدو ضعيفاً وواهياً، لأنّ هناك قصائد جاهليّة وغير جاهليّة نجد في فهمها صعوبة، وتلزمنا قراءتها العودة إلى المعاجم لتلك الغاية. (قميحة، مفيد، ص ١٢٧)

وإذا كنّا نحسّ اليوم صعوبة في الدخول إلى أعماق القصيدة الجاهلية بشكل عام، نظراً لما نجده فيها من لغة غريبة ومعانٍ غامضة، وصور تبدو في الظاهر لنا معقّدة، فتلك الصعوبة مردّها إلى تطوّر لغتنا وابتعادها كثيراً عن اللغة التي استعملها الشعراء من قبل، فاللغة كما هو معروف تتغيّر مع الزمن في أساليبها ومفرداتها حتّى يبدو ذلك الذي كان مألوفاً من قبل في القديم، وكأنّه اليوم بعض الأحاجي والألغاز بالنسبة لنا نحن اليوم.

(نفس المصدر ص ٨٥)

والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير، غير أن ذلك لم يكن غائباً عن ذاكرة القدماء، فقد عرضوه على نقد شديد، مثلاً زهير يقول في معلقته:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفي ومهما يُكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

(ديوان زهير، ص ٤٢)

وقد شك الأصمعي في نسبة البيتين إلى زهير لوجود الإلفاظ الإسلامية فيهما، وأغلب الظنّ أنه لم يفارق دين قومه، وإذا صحّت نسبة البيتين إليه كان ذلك دليلاً على أنه أحد من تحنّفوا في الجاهلية.

والمعروف اليوم أنَّ حمَّاداً هو الذى جمع القصائد السبع المذكورة وأذاعها بين الناس. وهو من حفظة الشعر ورواته، وممن اشتهروا وعرفوا برواية الشعر القديم، وكان من المتكسبين بالشعر، وقد اتهم بالوضع وبالدس على الجاهليين والوضع عليهم. ولكنه كان بإجماع أنصاره وخصومه من أفرس الناس بالشعر. (علي، جواد ص ٥١١)

وقد يسأل سائل: كيف يعقل أن يضع شاعر مثل حمَّاد الرواية شعراً فخماً جزلاً لا يستعزُّ به، ثم ينسبه إلى الجاهليين؟ ولو نسبته إلى نفسه لكان اليوم فخراً له، ولَعُدَّ من أكابر الشعراء. فيقول الدكتور جواد علي: كان طلب آل مروان للشعر الجاهلي شديداً، وهذا ما صيِّر رواية الشعر من الحرف النافعة التى تدرُّ أرباحاً طيبة لأصحابها تزيد على الأرباح التى يحصل عليها الشاعر من شعره، وقد كسب حمَّاد من حرفته هذه مالاً حسناً. والناس كانوا يومئذ في شوق عظيم وتعطُّش إلى سماع أشعار من قبلهم، كانوا يقبلون عليها أكثر من إقبالهم على شعر معاصريهم من الشعراء، و يجزلون له العطاء أكثر من إجزالهم لسماع شعر شاعر معاصر. (نفس المصدر ص ٢٦٣)

يقول شوقي ضيف: إنَّنا نسلم بما يقول بعض النقاد من أنَّ القصائد أصابها بعض التغيير في إثناء سفرها الطويل من الجاهلية إلى عصر التدوين، فقد يستبدل الراوي كلمة بأخرى ترادفها، وقد يغيب عن ذاكرته بعض الأبيات، وقد يخالف في ترتيب أبيات القصيدة، فيقدِّم فيها أو يؤخِّر، غير أنَّ ذلك لا يخلُّ ما رواه العلماء الثقات. (شوقي ضيف، ص ١٧٠)

فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهى إلى رفض الشعر الجاهلي، إنَّما نشكُّ حقاً فيما يشكُّ فيه القدماء ونرفضه، أمَّا ما وثقوه و رواه إثباتهم من مثل أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضبى والأصمعي فحري أن نقبله ماداموا قد أجمعوا على صحته، ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للإمتحان.

يقول الدكتور مفيد قميحة بالنسبة إلى الوضع في القصائد المشهورة: إذا ما راجعنا المعلقات في الصورة التي حملتها إلينا المصادر فإننا لابداً لنا من ملاحظة بعض الاختلاف في المادة اللغوية، ولكن هذا الاختلاف لا يتجاوز إحلال لفظ مكان لفظ، أو تقديم بيت على آخر، وفي أسوء الأحوال وضع شطر مكان شطر، وهذا كله ليس بالاختلاف الجوهرى الذى يؤدى إلى الشك والرفض، وهذا الاختلاف ناتج عن روايات متعددة، وفلا مجال إلى الشك في صحة المعلقات أو القول في تزييفها، لأنها اختصت بعناية فائقة، وتواترت روايتها في عدد من المصادر الموثوقة عن طريق رواة شعراء، اختصوا بالموهبة والحافظة فوصلتنا في صورة تكاد تمثل الأصل.

(مفيد قميحة، ص ٣٤)

يقول الدكتور يحيى الجبوري بالنسبة إلى التغييرات في الشعر الجاهلي والشك في صحة بعضها: من الطبيعى أن يفترض المرء أن هذه القصائد اعترأها بعض التغيير في أثناء هذا التناقل، فقد تستبدل بعض الكلمات المترادفة بغيرها. غير أننا حين نفحص القصائد نجد فيها من الشخصية الفردية ما يكفينا للاستدلال على أن القصائد في معظمها من نظم الشعراء المنسوبة إليهم، فالمعلقات السبع مثلاً كلها قصائد ذات شخصية وخصائص واضحة، وتعرض لنا سبع شخصيات متميزة بعضها من بعض كل التمييز.

ومن جموح الخيال أن نظن أن معظم القصائد المنسوبة لهم مصنوعة في عصر متأخر، صنعها علماء عاشوا في ظروف مغايرة تمام المغايرة. و السبب الثانى في اعتقادنا أن الشعر القديم صحيح في جملته، وليس منحولاً، هو أن شعر القرن الأول الهجري يتضمّن وجود هذا الشعر الجاهلي. فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورون: الفرزدق وجريـر والأخطل وذو الرمة يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين من غير أن تكون بينهم فجوة، فضلاً عن أنهم ذكروهم في شعرهم. قال الأصمعي: حدثني رجل من أضاخ، قال:

قدم علينا جرير فقلنا له من أشعر الناس، قال : الذي يقول : بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد، أشار إلى بيت معلقة طرفة:

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
والسبب الثالث: هو أن الشعر القديم ملئ بألفاظ كانت غريبة على العلماء الذين كانوا أول من عرض هذا الشعر على محك النقد. فقد كانت تنتمي إلى مرحلة لغوية أقدم من عصرهم، وكانت غير مستعملة في الزمن الذي كُتبت فيه القصائد وجمعت الدواوين . (الجبوري، يحيى، ص ١٠٧)

الشعر الجاهلي حقيقة تاريخية، وهناك الإشارات المتأخرة في القرآن الكريم إليه، ثم الإشارات في دواوين الشعراء الأمويين والعباسيين إلى الشعراء الجاهليين بأسمائهم وخصائصهم. يقول الدكتور عمر فروخ: نحن لا نشك في الشعر الجاهلي ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك، ذلك لأن الناحل يستطيع أن يقلد البيت أو البيتين والقصيدة والقصيدتين، ولكنه لا يستطيع أن يخلق شاعراً، ولا أن يتلبس بشخصية شاعر. وإذا استطاع أن يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل يستطيع أن يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء أمثال امرئ القيس وطرفة وعنترة والأعشى معاً.

(فروخ، عمر، ٢١٤/١)

مهما يكن من شيء، فإن المعلقة قصائد مختارة جيدة، يستطيع الباحث أن يطمئن إلى صحتها وإلى أنها من عيون الشعر العربي وروائع الشعر الجاهلي الذي بلغ درجة كبيرة من النضج والكمال، إضافة إلى أنها ترسم صوراً صادقة لحياة العرب السياسية والاجتماعية، إذا يتصل بعضها بحوادث كبيرة في الجاهلية كمعلقة زهير ومعلقة الحارث بن حلزة ومعلقة عمرو بن كلثوم، ويتصل بعضها الآخر بظاهرة اجتماعية واضحة في حياة العرب الجاهلية، وهي حياة اللهو والفخر والكرم والفروسية.

(الجبوري، يحيى، ص ١١٨)

نتيجة البحث

إنَّ الكتابة كانت موجودة في العصر الجاهلي، ورُبَّما كتب الشعراء والرواة بعض الأشعار والأبيات، ولكن لانستطيع أن نقول إنَّ كلَّ الأشعار الجاهلية التي وصلت إلينا كتبت في العصر الجاهلي، بل المصدر الأصلي لهذا الأشعار هو الرواية الشفوية، وأمَّا بالنسبة إلى تسمية القصائد الطوال بالمعلقات فذهب العلماء والرواة مذاهب مختلفة، منها: إنَّ هذه القصائد كتبت وعلقت على جدران الكعبة، ولكن البعض ينكر قضية التعليق إنكاراً، والرأي الثالث يذهب إلى تفسير التعليق تفسيراً مجازياً. ونستطيع أن نقول: من الممكن أن تكتب بعض هذه القصائد، ولكن لعلَّ تسمية المعلقات قد أخذت من تعليق هذه الأشعار المشهورة على أذهان الناس وقلوبهم، وهذا الأمر هو الذي نستطيع أن نطمئنَّ إليه أكثر من بقية الآراء.

وأمَّا بالنسبة إلى صحة الشعر الجاهلي فيجب أن نقول إنَّ الشعر الجاهلي حقيقة تاريخية، وفي القرآن إشارات إلى وجود هذا الشعر، أمَّا من جهة أخرى فلا نستطيع أن نعتبر كلَّ ما ينسب إلى الشعر الجاهلي وإلى الشعراء الجاهليين صحيحاً لاشكَّ فيه، لأنَّ فيه أشعاراً منحولة كثيرة، وبالمطالعة الوسيعة الدقيقة فيه وخاصة المعلقات يمكن تمييز الشعر الصحيح من المنحول.

والمسألة الأخيرة التي يجب الإشارة إليها هي أنَّ رفض هذا الشعر كلِّه خروج عن البحث الأدبي وظلم على الأدب العربي، ومعظم القصائد المشهورة المسماة بالمعلقات صحيحة، وبما أنَّ هذه القصائد وصلتنا عن طريق الرواية الشفوية فمن الطبيعي أن يدخل فيها بعض الأبيات المنحولة، أو يحدث تغيير أو تبديل في بعض ألفاظها، ولكن يجب أن نطمئنَّ إلى هذا الأدب، ونستفيد منه كمصدر من مصادر الأدب العربي. والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١. ابن عبد ربه، محمد، العقد الفريد، حققه علي شيري، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.
٢. أسد ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، الطبعة الثامنة، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م.
٣. الجبوري يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، الطبعة السادسة، منشورات جامعه بنغازي، ١٩٩٣ م.
٤. الجمحي، محمد ابن سلام، طبقات الشعراء، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
٥. جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٢ م.
٦. حسين، طه، من تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، ١٩٨١ م.
٧. ديوان الفرزدق، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م.
٨. ديوان زهير، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، ١٩٩٢م.
٩. رافعي، مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.
١٠. زيدان جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، المجلد الأول، القاهرة، دار الهلال، ١٩٩١م.
١١. شوقي، ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، الطبعة الرابعة، مصر، دار المعارف، لات.
١٢. فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، الطبعة السادسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
١٣. قميحة، مفيد، شرح المعملقات العشر، الطبعة الأولى، دار الهلال، ١٤٠٧ هـ.

جمال القص القرآني

قصة موسى في سورة القصص نموذجاً

تأليف: الدكتور احمد فحيرات

الاستاذ المساعد في جامعة كردستان

خلاصة

أيام كان المسلمون قلةً مستضعفين يعانون من ظلم الكفار في مكة أنزل الله تعالى قصة النبي موسى (ع) في سورة القصص لتقوى قلوب المؤمنين وترفع من معنوياتهم بتذكيرهم نصر المؤمنين من بني اسرائيل على الطاغية فرعون. كما ان القصة تصور رعاية الله للمؤمنين والعاقبة التي ستؤول اليه كل من طائفتي الايمان والكفر بغض النظر عما هما عليه الآن من قوة أو ضعف.

قد مهد الباري عز وجل للقصة بتذكير المؤمنين انها قصة نزلت لهم اكباراً لشأنهم وتأكيذاً على مكانتهم عند الباري عز وجل وكأنه عز شأنه يقول لهم انكم و رسول الله (ص) تمثلون جانب الايمان المتمثل في النبي موسى (ع) والمؤمنون من بني اسرائيل بينما الكفار من قريش يمثلون جانب الكفر المتمثل في فرعون وملائه .

تبدأ القصة بتصوير هلاك فرعون وجنوده مباشرة لتشفى قلوب المؤمنين ولئلا يصيبهم الخوف أو الرهبة من الكفار لما سيسمعونه عن ظلم الفراعنة على المؤمنين . ثم تفصل القصة ما حدث لموسى (ع) عند مولده وما تلاها من أيام صعبة وكيف رعاه الله وكفاه شر فرعون .

نرى فجوة في القصة بعد ذلك إذ تصور ما حدث له (ع) في شبابه حيث وكز القبطي الظالم وفر هارباً بإرشاد من حاشية فرعون؛ فاستكن في مدين وقضى سنوات في كنف مؤمن من آل شعيب تزوج ابنته. وعند رجوعه الى مصر كلفه الله سبحانه بالرسالة وبعثه الى فرعون وبني اسرائيل. قاد موسى بني اسرائيل الى بر الامان وأهلك الله فرعون وجنوده في النيل وجعلهم من المقبورين يوم القيامة.

الكلمات الرئيسية : القرآن، سورة القصص، موسى (ع)، القصة، الشخصيات، الأسلوب.

مقدمة

تعودنا أن نقرأ عن حياة النبي موسى (ع) وكفاحه مع فرعون على اسلوب واحد... على الترتيب التالي :

لقد عاش الاسرائيليون في المجتمع المصري وتكاثروا فيه منذ هجرة يعقوب وأولاده الى مصر وقد اضطهد الفراعنة الاسرائيليين في الفترة السابقة على ولادة موسى حيث بلغ الاضطهاد درجة مريعة حين اتخذ الفراعنة قراراً بذبح أبناء الاسرائيليين واستحياء نسائهم من اجل الخدمة والعمل .

وسبب ذلك عائد الى ما عرضه المنجمون على فرعون بذبح الذكور من بني اسرائيل وقالوا : "إن مولوداً يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكه".

(الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٢٠ - ص ٢٦٣)

ويتواصل السرد القصصي على هذا المنوال ويصل الى النهاية التي نعرفها من هلاك فرعون مما تعودنا عليه في الكتب.

لكننا في هذه الدراسة المتواضعة سعينا سعياً آخرَ إذ هي قراءة جديدة للقصّة القرآنية واستكشاف ما فيها لنتعظ بها ملائمين بين النص الاصيل والمتطلبات العصرية والنقد الحديث للقصّة دون إقحام النص القرآني في مجابعتها أو تحميله ما لم يتحمّله إرضاء لهذه النقود.

تم التطرق في هذه الدراسة الى البحث عن عوامل اختيار الموضوع وأسباب تكرار القصّة في القرآن والاسلوب القرآني الشيق في السرد والهدف من نزولها آنذاك.

كما سعينا ان نستجلي ما فيها من لطائف وظرائف دينية ساهمت جميعها في ارساء الدين إذ " قد خضعت القصّة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها وادارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير ."

(التصوير الفني في القرآن ؛ سيد قطب ص ١٤٣)

عوامل اختيار قصّة النبي موسى (ع)

لقد انتخبت قصّة موسى في سورة القصص نموذجاً، للتعرف على جمال القصص القرآني وذلك لعدة عوامل أهمها:

١. لأنها شغلت حيزاً كبيراً من القصّة القرآنية، وأعيد ذكرها مرات كثيرة حيث تكررت أكثر من ثلاثين مرة، ونعني بالتكرار ههنا "أن ترد القصّة الواحدة مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصّة كلها- غالباً - إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، أو

معظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله، فلا يكرر إلا نادراً ولمناسبات خاصة في السياق".

(د. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ص ٢١٩)

٢. ولأن شخصياتها بشرية، الأمر الذي يسمح لنا بمعالجتها معالجة نستخلص منها العبر والمواظ والتجارب التي من شأنها ان تترك اثرها في الوسط الاجتماعي لما في القصة من تبيان للعلاقات الاجتماعية خاصة فيما يرتبط بعلاقة الحاكم والشعب، كما انها تترك اثرأ مباشراً على صعيد الاخلاق الفردية لما فيها من تصوير لأخلاق المؤمنين ليتأسى بها المؤمنون، وكذلك لما فيها من تصوير لأخلاق الكافرين ليتجنبها المؤمنون. فالانسان المسلم يمكنه الاتعاظ بها لما فيها من تصوير للحياة البشرية بكل جوانبها من سحر وشعوذة الى موضوع الحكومة وعلاقتها بالناس وواجب الصالحين قبالة الحكومات الجائرة الى موضوع عاطفة الامومة. لأن "القصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محقة في جو ملائكي محض، لأنها انما جاءت علاجاً لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري لا يتم الا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثله الرسل والمؤمنون".

(اصول التربية الاسلامية، عبد الرحمن النحلوي، ص ١٩٠)

٣. كثرة الدروس والعبر فيها : امتلت القصة بالدروس والتعليمات الكثيرة التي يمكن استخلاصها والاستفادة منها لو امعن النظر فيها. هذه إشارة موجزة الى بعضها: أولاً: فالقصة تصور الحالات النفسية التي لابد وان تتوافر في القائد الديني والمصلح؛ تلك الحالات التي من شأنها أن تحول دون وصوله الى الهدف الديني والاصلاحي لو اطلق عنانها وسمح لها بان تترك اثرها عليه، على القائد أن يسيطر

على تلك الحالات، وإلا سيدفع الثمن غالباً. ثانياً: على المؤمنين ان يصبروا على ظلم الكفار مهما تغطرسوا فان الله سبحانه سيكون لهم عوناً عندما تضيق بهم الارض. هذه من الناحية السياسية الاجتماعية واما من الناحية الفردية فهناك دروس أشرت اليها في البحث عن التقرير التربوي في القصة .

٤. لأنها تصور أصعب المعارك بين الحق والباطل وأشدّها التواء، إذ أنها تصور الصراع ليس بين الحق وكفر فرعون فحسب، بل تصور كذلك صراع النبي موسى مع الانحراف الفكري . " النبي موسى مرسل الى فرعون الطاغية أعتى ملوك الارض وأثبتهم ملكاً وأعرقهم حضارة هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو مرسل لاستنقاذ قوم شربوا كؤوس الذل حتى استمروا مذاقه ... والذل يفسد الفطرة حتى تأسن وتتغنن. وأما هناك جهة ثالثة وهي فهو مرسل إلى قوم لهم عقيدة قديمة انحرفوا عنها فلا هي قلوب خامة تتقبل العقيدة الجديدة ببراءة وسلامة ولا هي باقية على عقيدتها القديمة ."

(باختصار عن تفسير في ظلال القرآن؛ سيد قطب، ج ١٨، ص ٣٤٢-٣٤٣)

خلاصة القصة في السورة

تتكون القصة من أربع مراحل؛ ١- مرحلة الطفولة: تبدأ من الهام الله للأُم ان تقذف بابنها في اليم فيلنقطه آل فرعون وتحميه زوجة فرعون من القتل؛ ثم تقص أخته أثره بأمر من أمها وتقترح على زوجة فرعون ارجاعه لأمه بحجة الرضاعة. يسكت القرآن عن السنوات التي تلت هذه الأحداث فلا ندري أين قضى سنيه التالية لهذه الأحداث. ٢- مرحلة الرشد: يقص القرآن مباشرة فقرة من أيام شبابه ؛ يوم دخل المدينة ورأى قبطياً يظلم اسرائيلياً فوكز الاسرائيلي، وفر هارباً بارشاد رجل من حاشية فرعون. ٣- مرحلة التتلمذ الديني : فرّ الى مدين فرأى امرأتين على بركة ماء ... ذهب فسقى لهن

أغنامهم؛ دعاه أبو البنتين ولما تعرف على صدقه وأمانته استأجره وزوجه إحدى البنتين فقضى عنده سنوات يتلمذ عليه. ٤ - مرحلة النبوة : عندما كان في طريقه الى مصر كلفه الله سبحانه بالرسالة , لكن فرعون لم يرتدع عن غيه, فأغرقه الله عندما كان في طريقه الى القبض على بني اسرائيل الذين هاجروا من مصر بأمر من موسى (ع).

تكرار القصة في القرآن

من المشاكل التي تثار حول القصة في القرآن الكريم هي مشكلة تكرار القصة الواحدة في مواضع مختلفة من القرآن حيث يقال : ان هذا التكرار قد يشكل نقطة ضعف في القرآن الكريم لأن القصة بعد أن تذكر في القرآن مرة واحدة تستند أغراضها الدينية والتربوية والتاريخية. وقد أثرت هذه المشكلة في زمن متقدم لذا نجد اشارة الى ذلك في مقدمة تفسير التبيان للشيخ الطوسي. والطوسي وان كان يبدو انه لم يعالج المشكلة بشكل رئيس, ولكنه يدل على الاقل ان المشكلة قد طرحت على صعيد البحث القرآني منذ زمن بعيد.

نذكر بعض الوجوه التي يمكن ان تكون تفسيراً لتكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم, مستندين في ذلك على ما بينه العلماء في ذلك:

أولاً: " والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن ان رسول الله كان يبعث الى القبائل المنفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنبياء والقصص مكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم آخرين فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب " .

(تفسير التبيان ؛ الطوسي؛ ج ١ مقدمة ص ١٤)

ثانياً: لأن كل واحد من طرفي القصة يمثل الجانب والتيار الذي ينتمي اليه تمثيلاً كاملاً, بحيث كانت القصة تصور جانباً في غاية الايمان وجانباً

آخر في غاية الكفر استدل ابن تيمية على ذلك و قال : "...وثنى قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليماً لم يجعل الله بينه وبينه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت. وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجدون وجود الله، ولم يكن أيضاً للرسول من التكليم ما لموسى . فصارت قصة موسى عليه السلام وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتباراً لأهل الإيمان ولأهل الكفر".

(مجموع الفتاوى ؛ ابن تيمية ج١٢ ص٩)

ثالثاً: وقد يكون من أسباب تكرار قصة موسى مع فرعون في القرآن أكثر من غيرها، وجود التناسب الكبير بين شريعة موسى وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبين كتابيهما ولهذا يكثر في القرآن ذكر موسى وكتابه وبعده ذكر القرآن العظيم. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٤٩-٥٠] . وكما في آية الإسراء.

قال ابن القيم الجوزية: "ولهذا يذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى عليه السلام ويعيدها ويبيدها ويسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يناله من أذى الناس: لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر. فتأمل هذا التناسب بين الرسولين والكتابيين الشريفين".

(جلاء الأفهام ج١ ص١٩٩)

رابعاً: إن ما يتبادر الى الذهن من معنى التكرار لا يمكن ان يطبق على القصة القرآنية إذ "ان التكرار الذي يقال عنه في القصص القرآني ليس

تكراراً للحدث ، ولا إعادة للواقعة بصورتها التي عرضت بها أولاً، بل ان أكثر القصص القرآني تتكرر فيه الشخصية، ولا تتكرر فيه الحادثة وانما الذي دعا الى القول بالتكرار في القصص القرآني، هو ظهور الشخصية في مواقف متعددة . " القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ؛ عبد الكريم الخطيب؛ ص ٤٢ فالشخصية الواحدة قد تظهر في مواقف كثيرة ولكنها في موقف لها حادثة جديدة غير التي كانت في موقفها السابق. "قصة كقصة موسى تذكر بجميع حوادثها وتفصيلاتها منذ مولده - بل قبل مولده - الى وقوفه امام الارض المقدسة ... لان في كل حلقة من حلقات القصة غرضاً دينياً يبرز وله صلة باهداف القرآن العليا " . (التصوير الفني في القرآن؛ سيد قطب، ص ١٦٥)

الأسلوب القرآني في سرد القصة

١- الأيجاز :

ما ان يبدأ القرآن بالسرد من المولد حتى تنتهي القصة بغرق فرعون وجنوده بعد آيات قلائل، هذا الإيجاز لم يفقد القصة روعتها ولاجمالها بل أضافها قيمة فنية ، لما فيها من جمال البيان" ففي هذه الآية أمران (أرضعيه. ألقيه.) ونهيان (لا تخافي. لا تحزني) وخبران (وأوحينا. خفت) وبشارتان (رادوه. جاعلوه.) وحكي أن بعضهم سمع بدوية تتشد أبياتاً فقال لها ما أفصحك فقالت: الفصاحة لله تعالى وذكرت هذه الآية " مجمع البيان ج ٧ ص ٣٧٧ كما " واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعراً فقالت أبعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى الآية وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين " . (روح المعاني ؛ الآلوسي، ج ٢٠ ص ٤٥)

والآن نشير الى بعض الایجازات القرآنية في القصة:

الف - وأوحينا الى ام موسى ... في الكلام ايجاز بالحذف والتقدير وحبلت ام موسى به والحال هذه الحال من الشدة والحدة ووضعته وأوحينا ...
(الميزان ؛ العلامة الطباطبائي، ج١٦، ص١٠)

ب - وقالت لاخته قصيه ... في الكلام حذف واقتصار تقديره فذهبت اخت موسى فوجدت آل فرعون قد اخرجوا التابوت واخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الایجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير .
(مجمع البيان ؛ الطبرسي، ج ٧، ص ٣٨٠)

ج- ﴿ آتست ناراً لعلمك تصطلون ﴾ السياق يشهد أن الأمر كان بالليل وكانت ليلة شديدة البرد وقد ضلوا الطريق .

(الميزان ؛ العلامة الطباطبائي، ج١٦، ص٣١)

د - "وأبونا شيخ كبير ... إبداء منهما للعدر له عليه السلام في توليها للسقي بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ومالنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى أن يقضي الناس أوطارهم ".
(روح المعاني ؛ الآلوسي، ج٢٠، ص٦٠)

هـ - في القصة فجوات و طفرات بين أجزائها مما يفتح المجال للخيال يحلق ولل فکر يخمن ويتساءل. منها تلك الفترات الزمنية من حياة النبي موسى(ع) التي استغنى القرآن عن التطرق اليها كالسنوات التي تلت التقاطه من قبل آل فرعون ورجوعه الى أمه وكذلك السنوات العشر التي قضاها عند صهره في مدين. " فهناك الفجوات الفنية بين المشهد والمشهد الآخر ليقوم الخيال بملء هذه الفجوات. ولا يخفى ما في هذه الفجوات بين المشاهد من اثاره للخيال ، ومتعة فنية ".
(وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ؛ عبد السلام احمد الراغب ص٢٦٣)

على سبيل المثال هناك مشهد في القصة يدع الخيال يسرح والفكر يفكر ليستكشف السبب فيما وقع وذلك عندما تصور النبي موسى (ع) عند المؤمن من آل شعيب (ع) يبوح له بما كان في صدره دون ان يمهد القرآن الى مثل هذه الطفرة، مما يسمح للانسان ان يتصور بنفسه العلاقة الحميمة التي حصلت بين الاثنين لما بينهما من وشيجة ايمانية. إذ "هدأت نفس موسى في منزل الشيخ الكريم وسكنت الى صحبتته ولا بدع فنور الايمان يتلأأ في كلا القلبين وفيض الاخلاص يتفجر من كلا الرجلين وشبيه الشيء منجذب اليه ."

(محمد جاد المولى، قصص القرآن، ص ١٢١)

ولعل الكلمات العاطفية هذه تملأ جزءاً من الفراغ هذا كما ان الفكر يقوم بدوره في تصور ما قد دار بين الرجلين من حوار جعلهما يرتضي كل منهما الآخر .

٢- غياب أسماء الشخصيات و عدم التصريح بها :

في القصة شخصيات كثيرة لعب كل منها دوره لكنها لا تحمل أهميتها في ذاتها من حيث هي هي وإنما نالت فاعليتها من خلال علاقاتها مع البطل أو الشخصية المحور، وقد ساهم كل منها بقدر ما يكشف جانباً من حياة البطل. فالرجل الصادق الذي اخبره بمؤامرة الملاء يشير إلى صدق البطل، والمرأتان في عفتهم تصوير لعفته، والرعاء - عبر السرد القرآني - هم صدى لقوته النفسية وجراته إذ أنه ودون أن يهاهم يتقدم ويسقي الأغنام. والشيخ، أبو تلك البنيتين عرضه السرد على أنه الأب الروحي للبطل؛ فلا شك أن التربية الدينية كان يفوح شذاها من كل مكان من بيته، الشيء الذي جعل الدين والحق القاسم المشترك بينهما. "الاشخاص في القصص القرآني - أياً كانوا- ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم وكشف

أحوالهم والتمجيد أو التنديد بأعمالهم ... وانما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة او الشريرة .

(عبد الكريم الخطيب ,القصص القرآني في منظوقه و مفهومه ؛ ص ٤١)

كما لم يذكر القرآن مثلاً اسم الرجل الصالح، أو أسماء أصحاب الكهف، وصاحبى الجننتين، وذى القرنين في سورة الكهف وغيرها. وكذلك لم يذكر اسم القرية " عدم ذكر اسم القرية في القصة القرآنية أو تحديد شخصياتها لا يعيب السرد القصصي بل إن الله تعالى بعدم ذكره أو تحديد اسم هذه القرية وشخصيات الأبطال إنما يوحى إلينا بأن أهم شئ في هذه القصة هو العبرة أو المغزى الذي تهدف إليه .

(د. محمد كامل حسن المحامى, القرآن والقصة الحديثة, ص ٧٠)

وبذلك يختلف القص القرآني للاحداث التاريخية عن كتابة التاريخ " وحين تهمل القصة تحديد الزمان والمكان, واسماء الاشخاص والتعريف بهم, فان ذلك يرجع الى خصوصية القصة القرآنية, ذات الهدف الديني, فهي لا تهدف الى التأريخ للأحداث أو الامتاع الفني المجرد, بل انها ترمي الى بيان رسالة الله للبشر, وموقف الناس منها على مدار التاريخ .

(وظيفة الصورة الفنية, احمد الراغب, ص ٢٦٠)

نساء القصة: شاركت النساء في القصة وساهمت كل منها في تأدية دور يكشف عن جانب من شخصية البطل المحور ولكن " تختلف المرأة عن الرجل في الدور الذي تلعبه وفي الصورة التي يرسمها القرآن . تختلف اولاً في انها لم تأخذ دوراً رئيسياً في اية قصة من قصص القرآن فادوار المرأة دائماً ثانوية حتى مع مريم وحواء . وتختلف ثانياً في ان المرأة ولو انها تلعب دوراً ثانوياً في القصة , الا انها واضحة الصورة متميزة المعالم , ولكل منها طابعها الخاص .

(الفن القصصي, محمد احمد خلف الله, ص ٣٠٦)

أم موسى: فهي في القصة من حيث كونها والدّة ومرضعة ومربية القلت على القصة بجو مشحون من عاطفة الامومة وما لهذه العاطفة من اثر على المتلقي خاصة فيما اذا اخذنا بعين الاعتبار تلك الاجواء الحرجة التي كانت الام تعيشها والخوف الذي كان يكتنفها.

أخت موسى : تابعت اخاها في اشدّ المواقف بدافع الاحساس بالاخوة كما انها كانت تمثل البنت المثالية التي تؤدي ما ت امره به امها حتى ولو كان فيه خطر عظيم على حياتها .

إمرأة فرعون : انها تعبر عن ان الايمان نور يدخل في القلوب الصالحة مهما كانت البيئة التي تربت فيها , كما انها تعبير عن ارادة الانسان في اختيار الايمان مهما كانت الظروف المحيطة به قاسية. "لاتذكر إلا بوصفها مثلاً للذين آمنوا باعتبارها نموذج للإنسان الذي يتخلى عن مكاسبه طوعاً ويتحمل المشقة في سبيل الحق. وكذلك تذهب مثلاً بما في المرأة من حرص على الامومة وما يصاحب هذه الامومة من بر وحنان وتلحظ ذلك من موقفها من موسى وقالت امرأة".

(الفن القصصي ؛ محمد احمد خلف الله، ص ٣٠٦)

ابنتا الشيخ : تحضر البناتان في القصة لتعطيا النموذج الامثل للبنات المتربية تربية دينية وما عليها ان تتصرف على اساسه مع الرجال الاقارب والاجانب "وتذهب ابنتا الشيخ بما في الانثى من محبة للفتوة واعجاب بها وبما فيها من خفر وحياء ". (السابق، ص ٣٠٧) كما ان واحدة منهما تدخل في حوار مع أبيها تقنعه باستئجاره ثم الزواج من موسى(ع) على طريقة تعليمية .

٣- التقرير التربوي : احتوت القصة على كثير من المعاني التربوية الفردية والاجتماعية نشير الى عدد منها :

أولاً: انها تقوي روح الانسان المؤمن وترفع من معنوياته خاصة في مواجهة المصاعب والمشاكل بتذكيره العناية الالهية للمؤمن وانه سينتصر في النهاية

مهما كانت المشاكل . فقد استهدف القرآن بشكل رئيسي تربية الانسان على الايمان بالغيب وشمول القدرة الالهية لكل الاشياء كما جاء في القصص التي تذكر الخوارق والمعاجز كقصة خلق آدم ومولد عيسى وقصة ابراهيم مع الطير الذي أب اليه بعد أن جعل على كل جبل جزءاً منه وقصة (الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها) , واحياه الله بعد موته مائة عام. فقصّة النبي موسى مليئة بالصّور التي تبين حضور المدد الالهي للمؤمنين خاصة ساعات الشدة والحرّج. وقد بدأ القص بمولده (ع) " لأنها تبرز قدرة الله في حمايته ورعايته، منذ الولادة، وتؤكد أيضاً على أن الشر لا جذور له، وأنه يحمل بذور فنائه، مهما طال أمد بقاءه، أو اتخذ الوسائل التي تؤمن له الاستمرار والبقاء. وهذا المعنى كان يحتاجه المؤمنون في مكة وهم يواجهون بطش قريش وصلفها، فيزيدهم ايماناً وثقة في الانتصار على الباطل مهما طال أمدّه ".

(وظيفة الصورة الفنية في القرآن ؛ الراغب، عبد السلام احمد، ص٢٧٨)

والقصة صورت الرعاية الالهية من لحظة الولادة وهي اللحظة التي يكون المولود في أمس الحاجة الى الرعاية ولاشك أن مثل هذا السرد يقوي قلوب المؤمنين وتبدأ " قصة موسى (من المولد) لان لمولده في عهد اضطهاد بني اسرائيل وتذبيح الذكور من اطفالهم و نجاته هو من ذلك مع وجوده بين آل فرعون انفسهم...قيمة خاصة في بيان رعاية الله له واعداده اعدادا خاصا للمهمة التي سينهض بها . (التصوير الفني في القرآن ؛ سيد قطب ص١٦٥)

والعناية هذه لم تقتصر على ذلك فحسب بل شملت اجزاء كثيرة من حياته (ع): "لقد نقلت يد القدرة خطى موسى عليه السلام خطوة خطوة منذ ان كان رضيعاً في المهد حتى هذه الحلقة. ألقت به في اليم ليلنقظه آل فرعون، و ألقت عليه المحبة في قلب امرأته لينشأ في كنف عدوه. ودخلت به المدينة على حين غفلة من اهلها ليقتل منهم نفساً، وأرسلت اليه بالرجل المؤمن من

آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج منها. وصاحبته في الطريق الصحراوي الى مدين وهو مطارد وحيد على غير زاد ولا استعداد. وجمعه بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر ثم ليعود بعدها فيتلقي التكليف".
(سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج ١٨، ص ٣٤٢)

ثانياً : انها تكشف عن حالات الانسان المؤمن اذ انه يساعد المظلوم ولا يتهاون في ذلك كما فعل موسى (ع) عندما وكز القبطي واذ انه يتسابق الى فعل الخيرات كما فعل موسى (ع) عندما سقى الاغنام و اذ انه يجزي اهل الخير على فعله في اول لحظة كما فعل ابو البننتين عندما استدعى موسى (ع) ليجزيه اجر ما سقى . فالقرآن استهدف تربية الانسان على فعل الخير والاعمال الصالحة وتجنبيه الشر والفساد .

ثالثاً: على المؤمن ان يسلم امره الله سبحانه ليكفيه فقد حملت القصة هذا المضمون في طياتها اذ انها تكشف عن ان الحكمة الالهية وارادته سبحانه هي الاصلح للعباد وان كانت لا تبدو كذلك في اول وهلة ، فالالهام الذي حصل لام موسى (ع) من قذفه في النيل لا يتأتى للعقل البشري ، كما ان فراره من المدينة بعد قتله القبطي لم يكن في حسابان موسى انه سينقلب الى هذه المنفعة الكبيرة لا لنفسه هو فقط بل للبشرية جمعاء وهذا من جملة ما استهدفه القرآن الكريم في التربية من الاستسلام للمشيئة الالهية والخضوع للحكمة الالهية وذلك ببيان الفارق بين الحكمة الالهية ذات الهدف البعيد والحكمة الانسانية القريبة العاجلة.

رابعاً: انها تعطي نموذجاً رائعاً في الخطوبة الدينية والزواج على طريقة المؤمنين ، والتي قد يصعب على الكثير قبولها، فالقرآن يعلمنا هنا وهو ان الاب يمكن ان يخطب لابنته رجلاً ترضاه فلما رأى الشيخ من كرم اخلاق موسى (ع) وشرفه وغيرته وادبه الجم استجاب لطلب ابنته (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ). فابنة الشيخ في هذا المقطع هي التي

تذكر من الاوصاف الحميدة ما ترتاح لها كل النفوس الطيبة وتمهد للخطوبة على الاساس الصحيح وذلك بذكر ما يميز الرجل المؤمن عن غيره.

٤- حث المؤمنين على الإيمان:

هذه القصة تعطي صورة فنية للصراع بين الدين الجديد والواقع القائم بما فيه من مظالم، إذ أن فرعون هو المعادل لقوة مشركي مكة بينما يمثل موسى (ع) وقومه الجانب الآخر، فقد أتى الباري جل شأنه بهذه القصة ليقوي قلوب المؤمنين المستضعفين في مكة . "غرض السورة الوعد الجميل للمؤمنين و هم بمكة قبل الهجرة شردمة قليلون يستضعفهم فراعة قريش وطغاتها. واليوم يوم شدة وعسر وفتنة " (الميزان، الطباطبائي، ج ١٦ ص ٦)

وقد مهد جل شأنه للقصة في الآية التي سبقت سردها أي في الآية الثانية إذ يقول جل شأنه " نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون" وفي تلك الآية يرفع الله من شأن المؤمنين إذ أنه ينزل هذه الآيات من أجلهم "وهذه التلاوة المباشرة من الله تلقي ظلال العناية والاهتمام بالمؤمنين وتشعرهم بقيمتهم العظيمة ومنزلتهم العالية الرفيعة . وكيف؟ والله ذو الجلال يتلو على رسوله الكتاب من أجلهم ولهم ". (سيد قطب، في ظلال، ج ١٨، ص ٣٢١)

كما أنه سبحانه يمني المؤمنين بالعاقبة الحسنى " فهو الله جل شأنه يقص على نبيه قصتهم (أي قصة النبي موسى (ع) وبني اسرائيل) ويرمز له ولهم بقوله لقوم يؤمنون إنه سيفعل بهؤلاء مثل ما فعل بأولئك ويمن على هؤلاء المستضعفين ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين حذو ما صنع ببني اسرائيل . " (الميزان، الطباطبائي، ج ١٦، ص ١١ ج ١٦)

مهد الباري جل شأنه بعاقبة فرعون السيئة والعاقبة الحسنى للمؤمنين ليزرع الأمل من الأول في القلوب المؤمنة بتصوير ما ستؤول اليه عاقبة كل من الفريقين. أي بداية القصة كانت بإخبار المؤمنين بعاقبة فرعون ثم تطرقت الى المولد ولكنها سرعان ما صورت هلاك فرعون وزوال ملكه في آخر

القصة مرة أخرى لتضفي بجو من الأمل على قلوب المؤمنين وأن الظلم لا يدوم .

النتائج :

١. ذكرت قصة النبي موسى (ع) حين كان المسلمون قلة في مكة لتقوية قلوبهم بضربها مثلاً لهم تضيئ في نفوسهم الأمل بالنصر والوعد الإلهي .
٢. تكرار قصة موسى (ع) في القرآن ناتج عن التشابه الكبير بين رسالتي الإسلام ورسالة النبي موسى (ع) والتشابه بين القرآن والتوراة .
٣. أن السرد القرآني لا ينهض على التكرار، وإنما يذكر جزءاً في موطن، ويذكر آخر في موطن ثان وهكذا ، بمعنى أن الغرض الديني هو الذي يملئ إعادة القصة، ولكنها في هذه الإعادة، تلبس أسلوباً جديداً .
٤. الشخصية في القصة تبرز مقدار مالها من أثر وعظي أو تربوي لذا يهمل ذكر الاسم في أغلب الأحيان لعدم وجود جدوي من ذكره .
٥. كل شخص من أشخاص القصة لعب دوره ليظهر جانباً من شخصية البطل . وأما هو فلم يكن المقصود بالذات. أي أن الشخصيات في القصة القرآنية - بأحداثها وتحركاتها - إنما تسخر لبناء الشخصية المحور .
٦. أدت القصة بقصرها ما تؤديه القصة الطويلة من وظائف فالمكان معروف والأشخاص معروفون كذلك ، و ما يجب أن يعتني به كذلك موجود .
٧. القصة مليئة بسرد التصاویر التي تظهر فيها القدرة الإلهية جليلة .
٨. هناك فجوات في القصة إما لأن القرآن ملأها في السور الأخرى أو لعدم ترتيب جدوى على التطرق إليها .
٩. لاتهمل القصة القرآنية الجانب التربوي بل تعتني به كثيراً . من ذلك تصوير مساعدة النبي موسى (ع) للضعفاء وكذلك إعطاء أجر المحسن كما فعل الشيخ مع موسى (ع) واستجاره لصدقه وامنته، واعطاء نموذج للخطوبة المثالية.

المراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. بكري د:شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن- دار الشروق- ط٤- ١٩٨٠م.
٣. الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن-م٥-ج٢٠- دار مكتبة الحياة- بيروت.

٤. المحامي د. محمد كامل حسن: القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية- ط١- ١٩٧٠.
٥. الطباطبائي السيد محمد حسين الميزان في تفسير القرآن العلامة منشورات جماعة المدرسين ففي الحوزة العلمية في قم المقدسة ج ١٦.
٦. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الانام ، محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي ابو عبد الله ، تحقيق : شعيب الارناؤوط- عبد القادر الارناؤوط ، دار العربية، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ط ٢.
٧. الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ج ٢٠.
٨. ابن تيمية الحراني. ابو القاسم شيخ الإسلام احمد بن عبد الحلیم مجموع الفتاوى ٩/١٢، تحقيق: عامر الجزار وانور الباز، نشر دار الوفاء ج ١٢.
٩. الطوسي ، شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن التبيان في تفسير القرآن ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ج ١ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٠. سيد قطب ، تفسير في ظلال القرآن، ط ٧ ج ١٨ دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١١. خلف الله ، محمد أحمد ، الفن القصصي في القرآن؛ سينا للنشر و الانتشار العربي؛ الطبعة الرابعة؛ ١٩٩٩م؛ بيروت.
١٢. الراغب، عبد السلام احمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ؛ فصلت للدراسات والنشر والترجمة ؛ حلب ؛ سورية ؛ ط ١ ؛ ٢٠٠١م- ١٤٢٢هـ.
١٣. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ؛ دار الشروق، بيروت ، لبنان ١٩٩٥م.
١٤. الخطيب عبد الكريم القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ؛ دار العودة ؛ بيروت ؛ لبنان ؛ بدون تاريخ.
١٥. جاد المولى ، محمد، قصص القرآن، منشورات دار القلم العربي، حلب، سورية، ط ٢ ١٩٩٣م.
١٦. النحلاوي، عبد الرحمن، اصول التربية الاسلامية واساليبها، طبعة اولي ، ٢٠٠٥ م ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

دراسة

موجزة في موسيقى

الخطبة الغراء للإمام علي (ع)

بقلم: مرتضى قائمي

الاستاذ المساعد بجامعة بوعلي سينا (همدان)

المقدمة

إنَّ المحور الأساسي للعمل الأدبي هو التصوير، لأن التجربة الشعورية مازالت في إطار تعابير غير موحية لا تستطيع أن تتحول إلى عمل أدبي، كما يقول السيد قطب «العمل الأدبي هو تعبير عن كل تجربة شعورية في صورة موحية» (النقد الأدبي، ص ١٠). إذن يتمحور الكلام في العمل الادبي نثراً ونظماً حول التجارب الشعورية المتحركة المعبرة في صورة موحية ملهمة.

الصورة الأدبية بحاجة إلى عناصر متعددة حتى تصبح موحية حيّة جاذبة، منها الموسيقى اللفظية والمعنوية، الصنائع البيانية التي تطابق مقتضى الحال والمحسنات البديعية. كلّ هذه العناصر تؤثر مباشرة على إثراء التصوير، تنويعه و تلوينه. نجاح التصوير والتجسيم يتوقف على هذه العناصر قبل كل شيء. فمثلاً الموسيقى، المعادلات الصوتية، التماثل والتشابه

الصوتي، التنغيمات والإيقاعات لها مكانة أساسية في قوة التصوير، فاعليته، جاذبيته ونجاحه، لأنّ الصّوت بأنواعه و أقسامه و إيقاعاته ونبراته له دلالاته المتعددة، تساعد الأديب في خلق الرسالة ونقلها إلى مخاطبه. فحركية الصّورة قبل كل شيء تتوقف على موسيقاها.

ومن المتفق عليه أنّ نهج البلاغة كتاب علم وديانة وأدب وأخلاق يحتوي على مفاهيم عالية ومضامين سامية صوّرت في تصاوير دقيقة رائعة فنية و تجسيمات نابضة بالحياة. كان الامام علي(ع) يستخدم في أقواله وخاصة في خطابه، أفضل الابتكارات وأنجح الابداعات لخلق التصاوير الخطابية الفنية التي تؤثر تأثيراً إيجاباً، عميقاً ووسيعاً على قلب المخاطب وروحه ومشاعره.

هذه الدراسة تلقى الضوء على الخطبة «الغراء» المعروفة وهي من أهم وأروع خطب الإمام علي (ع) شكلاً ومضموناً وبما أنّ هذه الخطبة في ذروة الثراء والجمال لا يمكن تناول أبعادها المختلفة في مقال واحد. إذن تعالج هذه المقالة الجانب الموسيقي للخطبة وتدرس العناصر الموسيقية الهامة فيها مثل الجناس، السجع، التكرار، مراعاة النظير، الترادف، الطباق والمقابلة وتأثير هذه العناصر على روعة الخطبة، دلالية عباراتها وجاذبيتها. كما تدرس مناسبة العنصر الموسيقي مع المفاهيم والاعراض في الخطبة. هذا ما لم يدرسه مقال او كتاب وإن نجد ملاحظات حول موسيقى كلام الإمام علي (ع) منتشرة في كتب مختلفة. لكنّ طريقتي في هذه الدراسة هي الاستقراء من أصل الخطبة مع الاستناد الى الآراء البلاغية الموجودة في المراجع. لنبدأ الكلام بالجناس:

الجناس: للجناس ما للتكرار من تأكيد النّغم ورنّته ويزيد عليه بأنه يوجد نوعاً من الإنسجام بين المعاني العامة ورنّة الالفاظ العامة. (عبدالله الطيب، ج ١، ص ٦٦٣).

الجناس يحرك خيال السامع ويشخّذ إدراكه ويوجّه فكره ويجعله بحيث يشارك في صنع المعنى، يتقلب مع توارّد الألفاظ على سمعه بين ممكنات، يتوهمها أو بعضها، ثم لا يلبث أن يفاجأ بما يلقى بين يديه من ثمرة شهية بعد أن غولط فيها وخودع عنها.

الإنسجام هو سرّ الجمال والجناس لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصوت من أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام وسرّ قوته كامن في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ بما يسبغه عليه من الدندنة من جهة أخرى، ثم إنه يمكن به الجمع بين التكرار والطباق وهما شيئان متقابلان وذلك بان تجيء بالفاظ مثل "جلى وجمجم وزمجر وزمزم وأوضح و أوحى" فهذه تجمع بين مشابهة الألفاظ واختلاف المعانى الى شىء يقرب من التضاد. (ابوالطيب، ص ٦٦٣)

إنّ يُعدّ الجناس من أهم مظاهر التنوع الصوتي في إطار تحقيق مبدأ التناظر والتماثل ويستخدم كثيراً لإثراء الموسيقى الصوتية، معتمداً على عاملي التشابه في الوزن والصوت وعلى الجمال الإيقاعي في تكرار الصوت وملاحح المعنى. (ينظر: راشد بن حمد، ص ٦٩)

إلا أنّ مقياس الحسن في الجناس هو مدى اقتضاء المعنى له، يؤكد عليه عبدالقاهر الجرجاني قائلاً «فقد تبين أنّ المعنى المقتضى هذا النحو بالقبول هو أنّ المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاده المعنى اليهما وعبر به الفرق عليهما، حتى أنه لو رام تركها إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقود المعنى وإدخال الوحشة عليه، في شبهه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر». (أسرار البلاغة، ص ١٠). فيجب أن تبقى المماثلة الوزنية والمماثلة الإيقاعية دليلين طبيعيين للمماثلة المعنوية حتى تكون المماثلة ذات دلالات متناسبة متلائمة والمعنى المفهوم والغرض المطلوب.

فنرى الخطبة «الغراء» غراء في استخدام أنواع الجنس كمية وكيفية. الخطبة من أولها وإلى نهايتها بنيت على أساس التجنيس والمجانسة. فقلما نعرثر على عبارة خلت من التجانس بحيث يصعب علينا الإحصاء الدقيق لجناسات هذه الخطبة القيمة.

ومما يلفت النظر من أنواع الجنس من الإشتقاق، المذيل والمطرف والمحرف وأمثال ذلك، نجد الجناسين المضارع واللاحق أكثر استخداماً وأبرز، لأنّ لهذين الجناسين دورهما في إيجاد وتقوية «الوحدة والتماثل والتشابه الصوتي وتقوية الكلام موسيقياً وإيقاعاً.

فيستطيع القارئ، أن يجد ما يقرب من، خمسين زوجاً متجانساً من الكلمات في هذه الخطبة، منها:

حوّله، طوله / بادياً، هادياً / قادراً، قاهراً / عُذره، نُذره / عدّد، مدّد / خبرة، عبّرة / مشربها، مشرعها / يُونق، يُوبق / حائل، زائل/زائل، مائل / المّضجع، المّرجع / الخلف، السلف / إختراماً، إجتراماً / نكال، نوال / إقتدار، إقتسار / عازمة، حازمة / اقترف، اعترف / أجاب، أناب / عناها، عشاها / خلّاقهم، خنّاقهم / الآمال، الآجال / جلدته، جدّته / أعبائها، أنبائها / نومه، يومه / العاجلة، الاجلة / أعذر، أنذر / نفذ، نفث / حافظاً، لافظاً، لاحظاً / طربه، اربه / سادراً، ساهراً / شقيق، شفيق / حفدة، حشدة / مُريحة، مُريحة / حاجزة، ناجزة / فورات، سورات / معاذ، ملاذ / نافرها، ناکرها / راحة، باحة / الحوبة، التوبة / خذه، قذه / أرض، عرض .

يكفي هذا العدد من الجناسين المضارع واللاحق أن يكون نصّاً عظيماً من الخطب، متنغماً بنغمة جاذبة، متصفاً بالتجانس والتماثل اللفظي والصوتي، نجدها في العبارات التالية من الخطبة:

« الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله.

- وَ أَوْمنُ بِهِ أَوْلاً بادياً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هادياً.

- أَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا.
- ... إِنْهَاءِ عِذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نَذْرِهِ.
- أَحْصَاكُمْ عِدَدًا وَوَضَعَ لَكُمْ مَدَدًا.
- فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ.
- فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنْقٌ مَشْرِبُهَا، رَدَغٌ مَشْرَعُهَا.
- يُونِقُ مَنَظَرُهَا وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا.
- غُرُورٌ حَائِلٌ وَظِلٌّ زَائِلٌ وَسَنَادٌ مَائِلٌ.
- حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا.
- ضَنْكَ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةُ الْمَرْجَعِ.
- وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقُبُ السَّلْفَ.
- لَا تُقْلَعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا وَلَا يَرَعَى الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا.
- نِكَالِ الْعِقَابِ وَنَوَالِ الثَّوَابِ.
- مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا.
- آراءٌ عَازِمَةٌ وَالبَابُ حَازِمَةٌ.
- إِقْتَرَفَ فَاَعْتَرَفَ.
- أَجَابَ فَأَنَابَ.
- أَسْمَاعًا لَتَعَى مَا عَنَاهَا وَأَبْصَارًا لَتَجْلُوعَنَ عِشَاهَا.
- مِنْ مَسْتَمَعَ خَلْقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحَ خَنَاقِهِمْ.
- أَرْهَقَتْهُمْ الْمَنَايَا دُونَ الْإِمَالِ وَشَذَّ بِهِمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْأَجَالِ.
- قَدْ هَتَكَتِ الْهُوَامُ جِلْدَتَهُ وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ.
- وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثَقْلِ أَعْبَائِهَا مُوقَنَةٌ بِغَيْبِ انْبَائِهَا.
- أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غَرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْلَمَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ.
- وَقَدْ عَبَّرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلِ حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْأَجَلِ سَعِيدًا.
- الَّذِي أَعَذَّرَ بِمَا أُنْذَرَ.

- وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصَّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا.
- ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَ لِسَانًا لَافِظًا وَ بَصَرًا لَاحِظًا.
- فِي لَذَاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرْبِهِ.
- فَظَلَّ سَادِرًا وَ بَاتَ سَاهِرًا.
- بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَ وَالدٍ شَفِيقٍ.
- تَحْمِلُهُ حَفْدَةُ الْوُلْدَانِ وَ حَشْدَةُ الْأَخْوَانِ.
- وَ لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ لَا دَعَا مُرِيحَةٍ وَ لَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ وَ لَا مَوْتَ نَاجِزَةٍ.
- هَلْ مِنْ مَنَاصِبٍ أَوْ خَلَاصٍ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ.
- إِنَّمَا حِظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَ الْعَرْضِ قَيْدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ الْإِن.

- رَاحَةُ الْجَسَادِ وَ بَاحَةُ الْإِحْتِسَادِ.

- وَ إِنْظَارُ التَّوْبَةِ وَ إِنْفَسَاحُ الْحَوْبَةِ.

السجع: وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر. والسجع في النثر كالفافية في الشعر (التفتازاني، ج ٢، ص ٢٠٦).

السجع من أسباب إيجاد الوحدة وتقويتها مع ما في الكلام من "الكثرة" في المفاهيم والالفاظ. والسجع له أثره في تداعى المعاني والمفاهيم وتوحيد الشكل مرافق المعنى وملائم المضمون. السجع يولد نوعاً من التقارن والتناسب اللذان يقويان الوحدة ويولدان اللذة والتمتع بالكلام.

النغمات والايقاعات التي يوجد بها السجع تساعد الخطيب في إلقاء المفاهيم، لأن هذه النغمات، ترافق وتلاءم المعاني وتلقبها الى المخاطب بمساعدة الدلالات الصوتية المتناسبة.

باستطاعة الكلمات المسجوعة أن تقع محوراً ونقطة ثقل للكلام يؤكد عليها الاديب حتى تكون الكلمة الرئيسية للعبارة. علاوة على تسهيل تعلق الكلام بالذاكرة وتخليده على أفواه الناس. السجع خاصة وإن كان الجيد منه

بحيث يصبح وثيق الصلة بالمعنى، حيث كان المعنى هو الذي اقتضى كلمات بعينها، توافر فيها إلى جانب الإسهام في إداء هذا المعنى تلك الخصائص الصوتية التي تنشأ منها ظاهرة التوافق الموسيقي في أواخر الفواصل أو السجعات.

«على الجملة بأنك لاتجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً ولا تجدعنه حولاً و من هنا فان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى إقبال به وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملائمتة وإن كان مطلوباً - بهذه المنزلة وفي هذه الصورة».

(عبدالقاهر، اسرار البلاغة، ص ٧)

هذا وفي الخطبة «الغراء» نجد أنه « قد بلغ أسلوب على من الصدق حدّاً ترفع به حتى السجع عن الصنعة والتكلف. فاذا هو على كثرة ما فيه من الجمل المتقاطعة الموزونة المسجعة، أبعد ما يكون عن الصنعة وروحها وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر».

ومن سجع الإمام، آيات تردّ النغم على النغم رداً جميلاً وتذيب الوقع في الوقع على قرارات لا أوزن منها على السمع ولا أحب ترجيعاً» (نفس المصدر) يصعب علينا الاستشهاد بالسجعات في الخطبة المذكورة، لأنها حافلة بالأسجاع الغنية والشهية على الأذن والذوق، استخدمت كلها بافضل وجه وأحسن صورة متناسبة متلائمة، مترافقة المعاني والمفاهيم، منها:

الترصيع:

إن كان ما فى إحدى القرينتين (فى السجع) من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من القرينة الأخرى فى الوزن والتقفية فترصيع. (التفتازانى، ج ٢، ص ٢٠٧)

ومن العبارات المنغمة بالترصيع في الخطبة:

«عبادَ مخلوقونَ اقتداراً، مربوبونَ اقتساراً، مقبوضونَ احتضاراً .

- المَرءُ في سكرةٍ مُلهيةٍ وغمرةٍ كارثة.
 - وأنةٌ موجعةٌ وجذبةٌ مُكربةٍ وسوقهٍ متعبة.
 - فهل دفعتِ الأقاربُ أو نفعتِ النواحبُ.
 - الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله.
 - مانح كل غنيمةٍ وفضلٍ وكاشف كل عزيمةٍ وازلٍ.»
- السجع المتوازي:

إن كان الإشتراك بين القرينتين في الكلمة الأخيرة وزناً وتقيةً يسمّى سجعاً متوازياً. يصعب اختيار الشواهد والأمثال من السجع المتوازي في الخطبة لكثرة الأمثال والنماذج، لأن الخطبة بنيت على أساس السجع المتوازي من أولها وإلى نهايتها. فمنها:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقّت لكم الآجال و البسكم الرياش وأرفع لكم المعاش وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء وأثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وأذكركم بالحجج البوالغ وأحصاكم عدداً ووظف لكم مدداً في قرار خبرة ودار عبدة. أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها فإن الدنيا رنق مشربها، رديغ مشرعها. يؤنق منظرها ويوبق مخبرها. غرور حائل وظل زائل وسناد مائل... أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الارحام وشغف الأستار، نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً. ثم منحة قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً ليفهم معتبراً ويقصر مزجراً حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله، نفر مستكبراً و...».

السجع المطرف: وهو إشتراك القرينتين في الكلمة الأخيرة منهما تقيةً دون الوزن. بما أن موسيقى السجع المطرف لا يبلغ ما بلغه السجع المتوازي والمرصع لذا أستعمل هذا السجع أقلّ منهما؛ منه في الخطبة:

«وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياح وأناة المقتبس المرتاد.

- و عمر معاداً واستظهر زاداً.

- حتّى إذا قامَ اعتدَالُهُ واستوى مثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَخَبَطَ سَادِرًا، مَا تَحَا فِي
غَرَبِ هَوَاهُ، كَادِحًا سَعْيًا لَدُنْيَاهُ.
- لَمْ يُفِدْ عَوَضًا وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا.
- ثُمَّ أَدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ مِبْلَسًا وَجَذَبَ مُنْقَادًا سِلْسًا.»
التوازن: وهو إشتراك الفاصلتين في الوزن فقط، منه:
« رَجِيعٌ وَصَبٌّ وَنَضْوٌ سَقَمٌ ...

- وَقَدْ غَوِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا.»
التكرار: التكرار باعتباره ظاهرة أسلوبية مميزة في الأدب العربي، لها أبعادها الوظيفية من خلال ترديدها في السياق، فهي - إن أحسن الأدباء في استخدامها - تكشف عن وظائف بنائية وإيقاعية تمنح النص جمالاً من خلال إبراز الأبعاد الدلالية لبعض الكلمات المترددة وتسوير حدود الجملة وتحديد مركز الثقل بين الدوال بما تعقده من مسافات زمنية تسهم في تكوين البنية الإيقاعية المرتبطة بالبنية الدلالية العامة للأثر الأدبي. (ينظر: صلاح فضل، ص ٢٣).

التكرار من الأدوات الفنية الأساسية للنص ويلعب دوراً بارزاً في تنعيم النص الأدبي وتشكيل موسيقاه ويستهدف «نكته كالتوكيد، زيادة التنبيه، التهويل، التعظيم، التلذذ بذكر المكرر و...». (ينظر: على بن المعصوم، ص ٣٤)
التكرار أساس جميع أنواع الموسيقى وأشكالها، لأن الموسيقى تتشكل من تكرار في فواصل زمنية محددة. هذا ما يوجد ويخلق التناسب بين الوحدات اللفظية والمعنوية والتناسب أساس الجمال والموسيقى.
التكرار له أشكاله في الأثر الأدبي يبدأ بالحرف ثم الكلمة فالعبارة وكل هذه الأشكال لها وجوه نفسية، دلالية وإيقاعية تغنى وتثري النص الأدبي.

التكرار بأنواعه يحتل مكانة عالية ممتازة في أسلوب الإمام علي (ع) الأدبي وخاصة في الخطابة.

نجد في الخطبة «الغراء» ألواناً من التكرار نلقي الضوء عليها بإيجاز:

تكرار الجملة نوعان، قد يكرر الأديب جملة بعينها وقد يكرر نوع الجملة كالجملة الأسمية أو الفعلية - تطول أو تقصر - . الإمام (ع) في هذه الخطبة يستخدم النوع الثاني من تكرار الجملة. مثال ذلك ما نرى في:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَةً مِّنْ سَمِعٍ فَخْشَعٍ وَأَقْتَرَفَ فَاَعْتَرَفَ وَجَلَّ فَعَمِلَ وَحَازَرَ فَبَادَرَ وَأَيَقَنَ فَأَحْسَنَ وَعَبَّرَ فَاَعْتَبَرَ وَحَذَرَ فَحَذَرَ وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ وَأَجَابَ وَأَنَابَ وَ رَاجَعَ فَتَابَ وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى وَأَرَى فَرَأَى فَاسْرَعَ طَالِباً وَنَجَا هَارِباً فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَأَطَابَ سُرِيرَةً وَعَمَّرَ مَعَاداً وَاسْتَظْهَرَ زَاداً...».

في القسم المذكور أعلاه من الخطبة، نرى الإمام (ع) يكرر الجملات الفعلية القصيرة ويأتي بواحدة وثلاثين جملة فعلية قصيرة بأسلوب واحد، ينسجم فيه اللفظ مع المعنى والشكل مع المضمون. يبدأ الكلام بالتقوا والاستماع والإتعاظ و يبلغ إلى تعميم المعاد وإستظهار زاد الآخرة في النهاية، ماراً بمراحل متعددة من الإعتراف بالذنوب، الخوف، العمل، المبادرة، اليقين، الإعتبار، الحذر، الازدجار، الإجابة، الإنابة، التوبة، الإقتداء، الإحتذاء، الرؤية، الإسراع، النجاة بالهروب من الذنب، أفادة الذخيرة وإطابة السريرة. كل هذا في عبارات قصيرة ودلالة التكرار بهذا الشكل هي الإشارة بضرورة انتهاز الفرصة القصيرة واهتبال العمر القصير في الاجتهاد لاجتياز المراحل المذكورة وانجاز الأعمال الصالحة المنقذة في الدنيا. إذن تكرر الأفعال وتعددها وتكرر الحركات وقلة السكنات في الأفعال الماضية في الخطبة يدل على الحاجة الماسة بالسعي والجهد المتواصل وفقد الفرصة للراحة الطويلة والطمأنينة الكثيرة طيلة العمر القصير، كما يدل على ضرورة

اقتحام العقبات الكثودة في الحياة وضرورة التزوّد بزاد مكف من الأعمال الصالحة العظيمة وقذف الأتقال العظيمة من الذنوب المورطة. فالحركية الناشئة عن تعدّد الأفعال وتكرّر الحركات تتناسب وتلائم والمعنى المطلوب للعبارة. بعبارة أخرى المعاني هي التي استدعت هذا النوع من التكرار وهذا ذروة البلاغة، فالمخاطب الذي يقرأ هذا النصّ يشعر بنوع من قلة الفرصة وفوت الزمن، فتحرّكه حركية العبارات وتعدّد الجملات.

الصوت له قيمة تعبيرية ودلالية بمعنى أنّ تراكم أصوات محدّدة وازدحامها أكثر من غيرها في عبارة أو عبارات من الأثر الأدبي يشيع ويدعم مناخاً معيناً فالتشابه في البنية الصوتية يمثّل بنية نفسية موازية ومنسجمة تستهدف تبليغ الرسالة بواسطة التكرار من خلال التردد المتصل أو المنفصل.

هذا النوع من التكرار «ينظر صاحبه إلى ناحية المكان من الكلمات التي يستعملها وذلك بأن يعتمد الى أصوات وحروف بأعينها فيعتمد تكرارها بإيراد كلمات تشترك في هذه الحروف والأصوات». (الطيب، ج ١، ص ٥٧٢)

تكرار الحروف في الخطبة «الغراء» كثيرة ومنسجمة مع المعاني، منه:

تكرار "الاف" و وزن «فعال» مرات في عبارة:

«أولى الأبصارِ والأسماعِ والعافيةِ والمتاعِ هل من مناصٍ أو خلاصٍ
أو معاذٍ أو ملأذٍ أو فرارٍ أو محاربٍ».

لقد جاءت موجة النفي بـ «هل» بمعنى «لا» لتضمّ كل طريق ممكن للاستخلاص والتخلّص من حبال الدنيا والموت فيها والهروب منها وهذا تحقق بتكرار كلمة «أو» منسجماً مع المعنى.

يتناسب تكرار "الاف" في العبارة مع النداء والخطاب الهامّ في «أولى الأبصار...» كما يتناسب مع إستغاثة من يرجو طريق النجاة والخلاص ويبحث عن الملجأ والملأذ تجاه مشاكل الحياة والممات.

علاوة على تكرار "الألف" نجد تكراراً نسقياً يدعم الموسيقى ويلهم ضرورة الإسراع في التزوّد بالتقوى والعمل الصالح وهو تكرار وزن «فعال» في «متاع، مناص، خلاص، معاذ، ملاذ، فرار و محار».

ومن تكرار «الألف» في الخطبة أيضاً:

« و أو من به أولاً بادياً و أستهديه قريباً هادياً وأستعينه قادراً
قاهراً و اتوكلُ عليه كافياً ناصراً ...».

هذا التكرار يتناسب مع مفهوم العبارة من العظمة الالهية لدلالة الالف اللينة على الاتجاه الاعلى.

هذا التناسب بين التكرار ومفهوم العبارة نشاهده أيضاً فى تكرار الألف في «أجاب فأَنابَ و راجَعَ فتَابَ و اقتدى فاحتذى وأرى فرأى، فاسرع طالباً ونجا هارباً ...» قبل الأفعال المذكورة والتكرار فيها نجد أفعالاً متعددة مثل «سَمِعَ، خَشَعَ، إقترفَ، إعتَرَفَ، وَجَلَّ، عَمِلَ، حاذِرَ، بادرَ، أيقنَ، عبّرَ، إعتبرَ، حُذِرَ، حذرَ، زُجِرَ، إزدَجَرَ» ولكن لا نجد تكرار "الألف" فيها، لأن هذه الكلمات تشير الى أعمال العبد قبل الإجابة والإنابة، ولكن عندما يتوجه إلى الله بالإجابة والإنابة، ينسجم هذا تعالى نحو الله بتكرار «الألف» في أكثر من إثني عشر كلمة يتناسب والمعنى المذكور.

كما أن تكرار الياء ومدته يتلائم والمعنى في:

« وأعظمُ ما هنالك بليّةُ نزولِ الحميم وتصليةِ الجَحيم وفورات السعير وسورات الزفير ولا فترة مُريحة ولا دعة مُريحة ...».

هذا التكرار لوزن «الفعيل»، يدلّ على عمق العذاب، كثرتة، طول مدته وشدته. هذا ما يدلّ عليه المعنى متناسقاً اللفظاً، لأنه كما يقول عباس حسن "وأذا تحرك ما قبل الياء الساكنة بالكسر فإنها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق لتشف الياء في هذه الحالة عما في صميم الانسان أو الأشياء من الخصائص المتأصلة فيها.

(ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٩)

إذن تكون المجموعات الصوتية إيقاعاً صوتياً نستطيع أن نسميه المعادلات اللفظية والصوتية تستوعب الجملات في نغمها وفواصلها الموسيقية. فعند تلاحق الجملات، الأفعال والأسماء تتشكل هذه المعادلات اللفظية والصوتية مولدة الإيقاع الصوتي.

قد نجد التكرار النسقي متكافئاً مع التكرار اللفظي لبيان التدرج من الخلقه نحو يوم الحساب مع اجتياز مراحل الحياة ثم الموت ثم الحشر والنشر وإلى محاسبة يوم القيامة:

«عباد مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ومقبوضون احتضاراً،
مضمنون أجدثاً وماننون رفاتاً ومبعوثون أفراداً ومدينون جزاءً و
مميزون حساباً...».

وجدنا تكرار وزن «المفعولون» و«افعالاً» فيه تكرار نسقي وتكرار الحرفين «ون» والألف. هذا التكرار يجعل الوحدة قوية بين أجزاء الكلام وبين الجملات في اللفظ والمعنى، بمعنى ان الموسيقى قوية متناسقة وعلاقة المراحل المذكورة قوية منسجمة. هذا التكرار النسقي أيضاً تمكن ملاحظته في العبارة التالية من الخطبة:

«عباد الله الذين عَمَرُوا فَتَعَمُّوا وَعَلَّمُوا فَفَهَّمُوا وَأَنْظَرُوا فَلَهُوا
وَسَلَّمُوا فَتَسَّوْا، أَهْلُوا طَوِيلًا وَمُنَحُوا جَمِيلًا وَخَذَرُوا أَلِيمًا وَوَعِدُوا
جَسِيمًا. إِحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمَوْرِطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسْخَطَةَ».

تكرار أوزان «فَعَلُوا - فَعِلُوا - أَفَعَلُوا - فَعَلُوا» مع ما فيها من تعدد الصوت المدي. علاوة على تكرار الجملات الفعلية القصيرة كلها تدل على ما يدل عليه المعنى وهو طول استمتاع الناس من النعم الإلهية والعلم الإلهي ومدة العمر وضرورة إنتهاز الفرصة للتخلص من أشراك الذنوب والسيئات.

لأنَّ حرف "الواو" يوظف صوتها للايحاء بالاتجاه إلى الأمام، واليأىء إلى الأسفل).

(ينظر: عباس حسن، ص ٩٧)

وتكرار الحرف المذى يدلّ قبل كل شىء على طول التمتع من الدنيا والحياة فيها وتكرار الافعال والجملات الفعلية القصيرة يدلّ على فوات الفرصة وقلة المهلة لتدارك ما فات وإنقاذ النفس من دوامة الذنوب. هذا هو التلاؤم بين اللفظ والمعنى والدور التعبيري والدلالي لتكرار الأصوات، الحروف والكلمات. هذا ونلاحظ تناسب المجموعات الصوتية والإيقاعية مع المفاهيم والموضوعات في الخطبة، بحيث نجد الحروف والكلمات السهلة واليسيرة في التلفظ للمعاني السهلة، كما نجد الحروف الخشنة في التلفظ للمعاني الخشنة:

مثال ذلك ما نرى من التناسب والتلاؤم بين مخارج الحروف وخشونة الكلمات و بين مفاهيم العبارة التالية من الخطبة:

«فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَاتَى الْهَرَمِ وَأَهْلُ غَضَارِهِ الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوْنَةَ الْفَنَاءِ، مَعَ قَرَبِ الزَّيَالِ وَ أَزْوَفِ الْإِنْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلْقِ وَأَلَمِ الْمَضَضِ وَغُصَصِ الْجَرَضِ وَتَلَفُفِ الْإِسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفْدَةِ وَالْأَقْرَبَاءِ...».

ممّا يستجلب النظر في العبارة أعلاه، تكرار حروف «ق، ض، ص» وإجتماعها فى عدة كلمات متتالية (القلق، المضض، غصص، الجرض) وكلها حروف خشنة، غليظة في التلفظ؛ فحرف (القاف) من الحروف الشديدة وحرف (الضاد) من الحروف المجهورة. مع أنّ المعنى أيضاً يتمحور حول القلق والإضطراب والمرض والحزن العميق والموت والذهاب. هذا نفس التناسب بين اللفظ والمعنى و دلالية الحروف والأصوات ودلالية التنغيم والإيقاع.

ترادف التصاویر: الترادف في التصاویر، نوع من التكرار يثري المعاني ويغني وينوع التصاویر للتأثير في المخاطب بأفضل وجه وأحسن صورة. كل تصوير يساعد المتكلم في تقرير المعنى وتثبيته في أذهان المخاطبين. مثال ذلك في الخطبة «الغراء» كثير، منه ما قاله الامام علي (ع) في تصوير الدنيا و فناء لذائذها مع تزيينها وتجميلها:

«فانَّ الدُّنْيَا رَنْقٌ مَشْرُبُهَا، رَدَغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ وَظَلٌّ زَائِلٌ وَسَنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنْسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبَلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهَمِهَا...».

هذه العبارات غنيّة ثريّة بتصاویر متنوعة متعددة، بعضها ترادف البعض في المعنى، متنوعة في نوع التصوير، فمثلاً تصوير «رَنْقٌ مَشْرُبُهَا» يرادف تصوير «رَدَغٌ مَشْرَعُهَا» وهما تصويّران استعاريّان متنوعان جاءا لتقرير معنى واحد وهو كدورة ماء الدنيا وتفاهة لذائذها. ثمة ثلاثة تصاویر متوازية في «غُرُورٌ حَائِلٌ» «ظَلٌّ زَائِلٌ» و «سَنَادٌ مَائِلٌ» جاءت لتقرير معنى واحد وهو فناء الدنيا.

إذن تعدّد التصاویر المتوازية مع ما فيها من سجع وجناس، يوجد ويقوى موسيقى الكلام وينغمه تنغيماً متناسباً وهو إقناع المخاطب بالعقل والعاطفة، لفناء لذائذ الدنيا وتفاهتها. إلا أنّ هذه الموسيقى لا يظهر أثرها إلا في المعنى.

مراعات النظير: مراعات النظير أيضاً من أسباب تقوية الموسيقى الداخلية والمعنوية للكلام مع ما تدلّ عليها من الجامعية والشمول. لأن الاجزاء المتناسبة والمترابطة تسبب تداعي المعاني وتقوية الوحدة (مع وجود الكثرة). مثال ذلك إجتماع النظائر (الأرحام، نطفة، علقة، جنين، راضع، وليد، يافع، ثم القلب، اللسان، البصر — حافظ، لافظ، لاحظ) في عبارة:

«أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشَغَفِ الأستار، نطفة دهاقاً، و عُلَقَةً محاقاً وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ثم مَحَه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبَصِراً لاحظاً...».

إجتماع هذه النظائر يقوِي الأواصر بين أجزاء الكلام ويدعم الموسيقى المعنوية، إجتماع «أسماع، أبصار، أشلاء، أعضاء، أحناء، أبدان، قلوب» و «أجساد، عظام، أرواح» و «أبناء، آباء، إخوان، أقرباء» و «حميم، جحيم، سكير، زفير، سورات، تصلية» من نماذج مراعات النظير وأمثالها كثير في الخطبة.

الطباق والمقابلة: الطباق هو أن يعدلَ الشاعرُ عن التكرار المحض وعن الجناس إلى نقيضهما أو ضدَّهما إما بالنفي الظاهر وإما بالنفي المضمَر.

(ابوالطيب، ج ١، ص ٦٧٤)

من المهم أن ننتبين الفرق بين الطباق والجناس من حيث جوهرهما و سخنهما في طبيعة الصناعة الشعرية والجرس اللفظي. فالجناس عامل يظهر أثره في وحدة الجرس والطباق عامل يظهر أثره في تنويع هذه الوحدة.

(نفس المصدر، ص ٦٩٥)

بما أن الكلمة تسبب تداعي ضده أو نقيضه، فإتيان المطابق أو المتضاد يوجد نوعاً من الموسيقى المعنوية ويقوي الانسجام بين أجزاء الكلام. ومن الطباق في الخطبة: (العاجلة، الآجلة - يوم، غد - علا، دنا - يونق، يوق - الخلف، السلف - نكال، نوال - العقاب، الثواب - البقاء، الفناء) في العبارات التالية:

« قد عَبَّرَ مَعْبَرِ العاجلة حميداً وقَدَّمَ زَادَ الآجلة سعيداً.

- راقِبَ في يومِهِ غَدَهُ.

- الحمدُ لله الَّذي علا بحولِهِ ودَنَا بطولِهِ.

- وكذلك الخَلْفَ يَعقبُ السَّلَفَ.

- ... ونكال العقاب ونوال الثواب.

- وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناء.»

بما أن كل مقابلة تضم معنيين متقابلين أو أكثر، فموسيقاه وتأثيره الايجابي في تقوية التأليف الموسيقي والإيقاعي أقوى وأكثر بالنسبة الى الطبايق، فكان الامام علي(ع) يستخدمه في خطابته كثيراً ومنه في الخطبة الغراء :

«كفى بالجنة ثواباً ونوالاً وكفى بالنار عقاباً ووبالاً.

- حذروا أليماً و وعدوا جسيماً.

- لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها.

- رغب في طلب وذهب عن هرب»

نرى أن الأجزاء المتقارنة كثيرة ومساهمتها في المعادلات الموسيقية

أعمق وأكثر.

من سائر أسباب تقوية الموسيقى المعنوية في الخطبة، التدرج في

المعاني من الدرجات الأولى وإلى نهايتها في كل موضوع، كما نجد مثلاً

الإشارة إلى مراحل خلقه الإنسان وإلى يوم الحساب من الخلق، التربية،

الموت، القبر، الوفات، البعث والحساب:

«عباد مخلوقون اقتداراً ومربوبون اقتساراً ومقبوضون احتضاراً و

مؤمنون أجدائاً وكائنون رفاتاً ومبعوثون أفراداً ومدينون جزاء و

مميزون حساباً».

هذه الموسيقى أيضاً نجدها بارزة في العبارة التالية من خلقه الإنسان

وإلى إعطائه القلب واللسان والبصر:

« أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشعف الأستار، نطفة دهاقاً

وعلقه محاقاً وجنيناً راضعاً ووليداً ويافعاً ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً

لافظاً وبصراً لاحظاً...».

كلّ هذا يحدث موسيقى قوية في المعنى تساعد تقرير المعنى في أذهان المخاطبين وتعميقه في إعتقادهم وتوطيد الإيمان في قلوبهم وتحييتهم عن إقتراف الذنوب وتوجيههم نحو السعادة مرحلة تلو أخرى وهذا التدرج نحو الكمال نراه في اللفظ والمعنى.

التدرج هذا وموسيقاه من الخصائص الأسلوبية نجده مستخدماً في مباحث شتى من خطب أمير المؤمنين، منه:

«أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه». (خطبة ١)

«فبالإيمان يُستدلّ على الصّالِحَاتِ وبالصّالِحَاتِ يُستدلّ على الإيمان وبالإيمان يُعمّر العلمُ وبالعِلْمُ يُرهبُ الموتُ وبالموتِ تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة وتبرز الجحيم للغاوي...». (خطبة ١٥٦)

«فمن وصف الله سبحانه فقد قرّنه ومن قرّنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزّاه ومن جزّاه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه...». (خطبة ١)

تجدد بنا الإشارة هنا إلى أن الموسيقى اللفظية والمعنوية وتقوية المعادلات الصوتية بوحدها لا تستطيع أن تخلق الآثار الأدبية الممتازة إلا وتقوية العنصرين الهامّين الأدبيين؛ العاطفة والخيال وهما عمودان تستند عليهما الخطبة. أمّا الخيال في نهج البلاغة فمديد وسيع، خفاق الجوانح في كل أفق وبفضل هذا الخيال القوي الذي حرم منه كثير من حكماء العصور ومفكري الأمم، كان الامام على يأخذ من عقله وتجارب المعاني ذات الموضوعية الخالصة ثم يطلقها زاهية متحركة في إطار تثبت على جنباته ألوان الجمال على أروع ما يكون اللون. (جرج جرداق، ص ٥١٥)

هذا الذكاء وهذا الخيال في نهج البلاغة يتحدان إتحاد الطبيعة بالطبيعة مع العاطفة الشديدة التي تدمهما بوهج الحياة فإذا الفكرة تتحرك وتجري في عروقتها الدماء سخية حارة. (نفس المصدر، ص ٥١٧)

ففي الخطبة الغراء أيضاً نجد فكرة عميقة وسيعة، تصاوير متلونة متنوعة، رسمها خيال خفاق وغذاها عقل نير قوي وترافقها عاطفة صادقة سليمة مع موسيقى قوية متناسقة كلها في خدمة نشر الدين والأخلاق والقيم الانسانية المثلى. مثال ذلك ما نراه في الإستعارات والتشبيهات التالية من الخطبة :

«فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنْقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنَظَرُهَا وَ يُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ أَقْلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْنَمِهَا وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكَ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَتَوَابِ الْعَمَلِ وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ بِعَقَبِ السَّلَفِ، لَا تَقْلَعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْنُضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ، وَصَيُورِ الْفَنَاءِ».

خلاصة القول أن الامام علياً (ع) يصور في الخطبة "الغراء" أجمل وأروع التصاوير لحشد من المعاني المتساقطة والأفكار المضبوطة بضابط العقل الحكيم ومرافقة عاطفة حارة وشعور عميق وخيال رحب خفاق في إطار من موسيقى قوية منسجمة والنغمات متناسبة وإيقاعات متلائمة. وجدنا عناصر موسيقية متعددة ومتنوعة مع بعدها عن التكلف والتصنع المخل في قالب من الأسجاع، الجناسات، التكرارات، الترادفات، المقابلات والطباقات

و

المصادر:

١. إين معصوم، علي، أنوار الربيع في أنواع البديع، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩م.
٢. بن حمد، راشد، البنى الأسلوبية في النص الشعري، لندن، دار الحكمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣. تقفازاني، سعد الدين، شرح مختصر المعاني، منشورات الحكمة، قم (إيران)، ١٣٧٥ش.
٤. جرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٥. جرداق، جرج، الإمام علي(ع) صوت العدالة الانسانية، دار المهدي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٦. الطيب، عبد الله، المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعاتها، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٧. عباس، حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، دراسات إتحاد كتاب العرب، ٢٠٠٤م.
٨. عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٩. غريب، رز، نقد بر مبنای زیبایی شناسی، ترجمه نجمه رجایی، انتشارات دانشگاه فردوسی مشهد، چاپ اول، ١٣٧٨ش.
١٠. فضل، صلاح، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٥م.
١١. قطب، سيد، النقد الادبي، أصوله ومناهجه، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٤١٠ق.

النقد الأدبي في العصر العباسي

الدكتور محمد باقر الحسيني^١

كان العهد العباسي عهد عظمة وازدهار الثقافة والحضارة الاسلامية حيث تم التصنيف في مختلف العلوم المتداولة في ذلك العهد وتمهدت أرضية خصبة للعلم والادب، وفي هذا الخضم اختص الادب بسهم وافر من الاهتمام وتركت حركة الترجمة تأثيراً غير قابل للانكار على مجمل نشاط النقد الادبي أسفر عنه تغيير نظريات نقاد الادب الى العالم الخارجي تغييراً جذرياً يختلف عن سابقه من العهود ، وفي هذا العهد سعى النقد الادبي ليكون بعيداً عن تأثير الاحساس العاطفي الذاتي معتمداً على التحليل والبرهان لذلك فقد ظهرت قواعد دقيقة ومنهجية في النقد، ونقد العصر العباسي يتشعب الى ثلاثة اتجاهات، الاول: الاتجاه اللغوي والثاني: الاتجاه الذوقي والثالث: اتجاه علماء نظير قدامة بن جعفر^٢ الذي تأثر الى حد كبير بالعلوم اليونانية .

١ استاذ مشارك في فرع الادب العربي بكلية الاداب جامعة فردوسي مشهد.

٢ قدامة بن جعفر: كاتب من البلغاء الفصحاء من أهل بغداد، كان مسيحياً وأسلم على أيام المكتنفي بالله الخليفة العباسي السابع عشر (٢٨٩-٢٩٥هـ) ، وكان من المتقدمين في علم المنطق، من مؤلفاته كتاب "نقد الشعر" وكتاب "نقد النثر".

الكلمات الرئيسية: النقد الأدبي، العصر العباسي، الشعر، البلاغة.

يُعد العهد العباسي أكثر العهود ازدهاراً في مجالات العلم والادب والفن فهو عصر رقي الحضارة الإسلامية ونضوج الثقافة، فقد صنفت كتب في مختلف العلوم المتداولة مما أتاح المجال لتنامي العلم والادب وكانت بغداد مركزاً للخلافة ولاتخاذ القرارات السياسية لدنيا الإسلام، وقد قصدها العديد من كل صوب وحذب بغية نيل السلطة والثروة، الأمر الذي أدى إلى توثيق العلاقة بين الثقافات والحضارات المختلفة. كما قصدها أيضاً أهل العلم والادب، وكان اهتمام الخلفاء بهم قد لعب دوراً مهماً في تقدم العلم والثقافة الإسلامية حيث أثار الرغبة لجمع الأشعار وحفظها وروايتها. وقد صنفت الكثير من الكتب في العلوم الإنسانية والدينية والتاريخية والجغرافية وترجمت من سائر اللغات إلى العربية ومع تلاقي الثقافات الإيرانية والهندية واليونانية والرومية واختلاطها بالثقافة العربية تبلور مجتمع أكثر رقياً مما كان عليه في العصر الأموي. وظهرت ثلة من العلماء في الفلسفة والطبيعية والرياضيات والآداب والنقد وروايات الشعر، وظهرت علوم مثل الهندسة والرسم والموسيقى والادب .

وفي هذا البين اختص الادب والنقد بسهم وافر من الاهتمام وأخذ التأليف الأدبي اتجاهاً علمياً وفلسفياً حيث بذلت العناية بسيرة الشعراء والكتاب ونقد آثارهم ومن ثم راج النقد الأدبي في الشعر والنثر. وقد أبدى الخلفاء العباسيون حتى عهد المتوكل رغبة ملحّة بالشعر والادب. وقيل أن مجلس هارون الرشيد كان يعج بالشعر ونقده، وكان للمأمون ذوق وقريحة لطيفة في فهم ومعرفة الشعر وقد ورد أنه كان لهارون والمأمون بعض الآراء النقدية في الشعر وكان هارون يعقد الكثير من المجالس ويقيم مناظرات مع الأدباء والرواة وكان لابي عبيدة والأصمعي حضور فعال فيها.

لاشك ان لحركة الترجمة تأثير لا ينكر على حركة النقد الادبي، تمكنت من تغيير نظريات نقاد الادب حيال العالم الخارجي تغييراً جذرياً يختلف عن سابقه من العهود وهذا الأمر خلق اسلوباً جديداً في نقد الآثار الأدبية والعلمية، وأول من كانت له مساهمات في الترجمة هو خالد بين يزيد، وفي العصر العباسي تقدمت نهضة الترجمة أشواطاً بعيدة بسبب وقوع العديد من الكتب اليونانية والایرانية والفارسية في أيدي العرب .

إن النقد الادبي فن يمكن من خلاله مناقشة وتقييم الآثار والكتابات الادبية والوقوف على نقاط الضعف فيها من خلال نظرة النقاد الفاحصة والدقيقة وعرضها على الرأي العام، لذلك كلما ازدادت معلومات الناقد الاجتماعية والعلمية والثقافية والادبية كلما كانت أبحاثه قيمة ودقيقة. ومقبولة عند شرائح المجتمع كافة، ولما كان النقد الادبي في العصر العباسي استمراراً للنقد في العصر الاموي والجاهلي فمن اللازم قبل التطرق الى النقد في العصر العباسي أن نعالج النقد في العصر الجاهلي والاموي بنحو موجز.

كان الأدب في العصر الجاهلي منتشراً بين عامة الناس متزامناً بظهور نوع من النقد ينسجم مع الطبيعة الجاهلية وكان يصدر غالباً على أساس الفطرة دون ان يتبع قانوناً أو قاعدة معينة، وكان النقد في ذلك العصر يبتني على أساس ان شعر كل شاعر يجب ان يبحث بمعزل عن شخصية الشاعر ومكانته وحتى بمعزل عن سائر اشعاره، وقد انصب اهتمام النقاد في تلك العهود على قوة الشعر أو ضعفه ؟ وهل ان الالفاظ سلسلة أو يشوبها تعقيد وغموض؟ وهل ان القافية مطابقة للسنن الشعرية أو لا ؟ ويبدل الناقد الادبي جهده لعقد مقارنة بين الشاعر ومن عاصره من سائر الشعراء مع سرد خصوصياته، وهذا النوع من النقد يفتقر الى استدلال متين .

ومع اطلالة العهد الاسلامي وحتى العهد الاموي تغير وجه النقد ويعود السبب الى وجود القرآن والأحاديث النبوية والقيم الجديدة التي كانت

مهجورة في العهد الجاهلي أو لم تكن أصلاً. كما تركت البيئة الاجتماعية للعرب - لاسيما في زمن الخليفة الثاني ودخول شعوب أخرى إلى الإسلام - بصماتها على ثقافتهم، وقد أدت هذه المسألة إلى تحول في آفاق تفكير العرب والالتفات نحو مسائل لم يكن ثمة مجال للبحث فيها لذلك فالناقد العربي لم يكتف بالمسائل العادية كما كان عليه الحال عند الناقد في العصر الجاهلي بل اهتم بمزايا القالب والمعنى وقد عززت هذه الحركة وجود مراكز أدبية في مكة ودمشق ومنذ ذلك الحين انصرف اهتمام الناقد إلى الموسيقى والنغمة في الوزن والالفاظ إضافة إلى المعاني ومناسبتها مع الالفاظ، وقام النقاد بتقسيم شعراء ذلك العهد إلى طبقات وبيينوا ميزة كل طبقة.

وعلى أية حال فقد اعتمد النقد الأدبي على أسس ذوقية تحكي لطافة وذوق وقرينة النقاد، وفي الشام التي كانت مركز الخلافة الأموية اتجه الشعر والأدب اتجاهها سياسياً واعتمد النقد على ذلك اللون أي في باب تقييم مدائح الشعراء وفرز الحسن والردي نظراً للسياسة التي اتخذتها سلطة بني أمية لاستقطاب الملأ واستدعاء الشعراء بغية مدحهم وسرد مناقبهم.

وخطى النقد الأدبي خطوات واسعة في العصر العباسي وسعى إلى الابتعاد عن العصبية والعواطف والاعتماد على التحليل والبرهان فاتخذ النقد لنفسه قواعد دقيقة ومنظمة وانشعب إلى ثلاثة اتجاهات الأولى: الاتجاه اللغوي ويعد أسلوباً قديماً إذ كان أتباعه يتطرقون إلى التراكيب اللغوية والبحث عن جذور الالفاظ وروايات الشعر وشرح المعاني قبل كل شيء، ونادراً ما يقومون بتحليل عناصر الشعر، والاتجاه الآخر لأدباء نظير القاضي الجرجاني، وهؤلاء صوبوا سهام بحثهم نحو الأدب الحديث إلى جانب تبيينهم للادب القديم وقاموا بنقد عناصره، وهذا النقد يستمد أصوله من ذوق الناقد.

والاتجاه الثالث تبناه جماعة نظير قدامة بن جعفر الذي تأثر بالعلوم اليونانية واعتمد في نقده على علم البلاغة والمنطق وكان يقيس عليهما الآثار الأدبية وسنخرج الان على سرد أسماء جماعة من نقاد ذلك العصر.

ابو عمرو بن العلاء ويعد من أقدمهم^١، وكان أحد القراء السبعة حيث يعتقد ان نقد الشعر اصعب من نظمه وقيل: انه جاء أحد الشعراء الى خلف الاحمر وألقى عليه شعراً ليبت فيه، فأنشد الشاعر الدوبيتي، فقال له خلف: دع قولني، احذر الشاه فوالله لئن ظفرت بهذا البيت لتجعله بحراً^٢.

وكان الاصمعي من النقاد وكان له ذوق سليم ولهجة صريحة ، قيل : (ان رجلاً من بغداد أنشد شعراً رديئاً أمامه فبكى الاصمعي، قيل له: مم بكاؤك فقال: ان المرء لا قدر له في الغربية فلو كنت في البصرة لما تجرأ هذا الشخص على التفوه بمثل هذا الشعر ولما سكت^٣).

وبالطبع فان نقد هؤلاء الرواة والادباء يقتصر على موارد جزئية وقد يحكمون بافضلية الشعر او ضعفه لرد بيت او قبوله ، واطافة الى ذلك فانهم لايعيرون اهمية لمقالة المحدثين ما عدا اشعار القدماء، كما هو الحال لدى عمرو بن العلاء^٤ حيث لاينشد إلا شعر الأقدمين وكان يقول بشأن الشعراء الجدد : كل ما في اشعارهم من حسن وملاحة فمن المتقدمين وكل ما فيه من سوء وقبح فمنهم ، جدير بالذكر ان معظم نقاد ذلك العصر لم تكن لديهم تصانيف بل كانت كلماتهم مبعثرة في تضاعيف كتب الادب، ولاتخلو بعض الروايات من اتهامهم بالزيغ والغلو.

١ انظر الانباري ، عبد الرحمن بن محمد ، نزهة الادباء في طبقات الادباء ، ص ١٥ - زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، ٢ / ١١٤ .

٢ المرزباني ، الموشح ، تحقيق : البجاوي ، علي محمد ، ص ٥٥٧

٣ المصدر السابق : ٥٦١

٤ المصدر السابق : ١٥ .

ومن جملة الكتب المهمة في تاريخ النقد الادبي، ولعلها من أقدم الكتب التي ظلت ماثلة على جبين الدهر كتاب (طبقات الشعراء) تأليف ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي^١، وكان من أهل البصرة وتتلذذ على كبار أدباء ورواة عصره مثل : حماد وخلف الاحمر وابو عبيدة والاصمعي ، ولا يتبع هذا الكتاب نظماً وترتياً .

أما الفوائد النقدية التي ذكرها فكانت جديرة بالاهتمام ومن بينها العناية التي بذلها المؤلف بنقد النصوص واوعز الى هذه النكتة بدقة وصراحة وهي ان ما روي من اشعار العصر الجاهلي والاسلامي ليست على صواب برمتها بل ان بعضها منحول^٢، وحتى ان محمد بن اسحاق قد نسب اشعار منحولة الى صحابة رسول الله (ص) وهذا الامر أدى الى فساد وضياح كثير من الاشعار، كما راح الجمحي في كتابه الى تصنيف شعراء العصر الجاهلي والاسلامي الى طبقات وأسهب الحديث عن كل طبقة مع بيان مقتطفات من اقوالهم^٣ .

ومن النقاد المعروفين ايضاً ابن قتيبة، فكتابه (الشعر والشعراء) يشبه الى حد كبير كتاب (طبقات الشعراء) وهو أول من تجرأ على نقد الشعر والنثر، وكتابه هذا يضم شرحاً وافياً لسيرة الشعراء الذين طار صيتهم في الآفاق وأستند الى اشعارهم في كتب النحو، وهؤلاء الشعراء هم من العصر الجاهلي والاسلامي حتى زمن المؤلف مع ذكر اشعارهم، الى جانب آراءه النقدية حيال تلك الاشعار .

١ المصدر السابق: ٩٣ - ٩٨ .

٢ الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٦ .

٣ انظر زيدان ، جرجي بتاريخ اداب اللغة العربية ، ٢ / ١٢٣

٤ المصدر السابق : ٢ / ١٦٧

وكان لابن قتيبة كتب متعددة في النحو والفقه والادب واللغة ويعد من طلائع عصره، من جملتها (كتاب عيون الاخبار) و(كتاب المعارف) و(أدب الكاتب) و(الامامة والسياسة) و(الشراب والاشربة) و(كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب)، و(تاويل مختلف الحديث) و(كتاب مشكل القرآن) و(المثبته من الحديث والقرآن) و(المسائل والجوابات) و(كتاب اللبأ واللبن)^١.

ومن مزايا ابن قتيبة انه لا ينظر الى المتقدمين من الشعراء نظرة اجلال واكبار ولا الى المتأخرين نظرة احتقار وازدراء، وهذه النظرة هي عين الانصاف^٢ ويقول في هذا الصدد :

(ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت حظه ووفرت عليه حقه)^٣.

ويقول في موضع اخر: (فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو انه رأى قائله)^٤.

وعلى الرغم من ان ابن قتيبة يحصر الشعر في شعر القدماء، إلا أنه لا يجحف حق المتأخرين لكن ينبغي القول انه لم يجز العدول عن سنن وقواعد القدماء ذلك انه يقول بصراحة لا موارد فيها: (ليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام فيقف على منزل عامر او يبكي عند مشيد البنيان لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافي)^٥.

١ المصدر السابق : ٢ / ١٩٧

٢ ضيف ، شوقي ، العصر العباسي ، ٢ / ٦١٢

٣ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٠، المقدسي، انيس، مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي، ص ٤.

٤ نفس المصدر ، ص ١٠

٥ نفس المصدر ، ص ١٢

وظاهر هذا الكلام انه انقلب على حياده وتفكيره الحر الذي كان يدعيه في النصوص الانفة الذكر.

ومن العوامل المهمة في العصر العباسي التي كان لها تأثير كبير على انتشار وتكامل النقد الادبي هو ظهور علم الكلام ذلك انه وسع من آفاق التفكير بشأن الادب، هذا ويجب ان لانغفل عن دور القرآن فهو دعامة أساسية لعلم الكلام ، وتعد المسائل القرآنية من عمدة المباحث التي استأثرت باهتمام المتكلمين.

كما ان الجاحظ قد انتفع من العلوم البلاغية وعلم الكلام وله في هذا الصدد كلام حيث اعتبر فيه ان المعيار في نقد النظم والنثر هو البلاغة وبهذا النحو حصلت مزوجة بين النقد الادبي والقواعد البلاغية^١، ويعد كتابه (البيان والتبيين) من الاركان المهمة للنقد والبلاغة.

والحقيقة التي لا بد أن تقال هي أن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين سعى الى جمع أكبر عدد ممكن من آراء ونظريات علماء عصره حول بلاغة الانشاء والخطابة^٢، وهذا لا يعني انه لم يكن يمتلك رؤية في هذا الشأن بل قد طرح نظرية خاصة به عبر بيان الاقيسة النقدية. وبصورة عامة فان نقد الجاحظ على الرغم من وقوع التشنئ والتناقض فيه إلا انه يبتني على الفكر والمعرفة .

ويعتقد الجاحظ ان المعنى مهما كان عميقاً فما لم ينصهر في لفظ لا يترك التأثير المطلوب في النصوص، وهذا الكلام جدير بالعناية والتأمل حيث ينم عن رغبته في تهذيب الالفاظ وتنقيحها، والبيان حسب مدعاه^٣ هو عبارة عن دلالة اللفظ على معنى خفي، والبتة كلما كانت الدلالة أوضح والاشارة

١ مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، ص ٦

٢ نفس المصدر ، ص ٧

٣ الجاحظ ، ابي عثمان عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، ١ / ٧٦.

الى المعنى أدق وإيجازه أكثر كلما كان إظهار المعنى أجلى، ومن هنا فالمعاني مطوية في اعماق النفس حتى تظهرها التراكيب اللفظية، وبالطبع كلما كان التفهيم في حد البلاغة كلما صيغ الكلام بنحو أحسن وهو في البيان والتبيين يقول: (الكلام البليغ هو الموافق لأسلوب الفصحاء من هنا كان التعليم والتأدب ضرورياً للكاتب)^١.

ومع ترجمة كتاب ارسطو في باب الخطابة والشعر ظهر عنصر جديد على الساحة النقدية لم يكن معروفاً من قبل وهو العنصر اليوناني، وهذا العنصر الجديد وان لم يكن مجهولاً لدى أهل المنطق والفلسفة إلا ان أغلب الشعراء والادباء لم يطلعوا عليه حتى لفت انظارهم اليه قدامة بن جعفر^٢ (المتوفى ٤٣٧هـ). وقيل ان قدامة كان من طلائع علم المنطق والفلسفة^٣ حتى نسب اليه كتاب في فن الجدل وكتاب اخر في السياسة، ويعتقد بعض اهل البحث والتحقيق ان قدامة في كتابه (نقد الشعر) لم يتأثر بأفكار ارسطو كل التأثير، ولكن يذكر أحياناً في بعض ابحاثه كلمات ارسطو ويدعمها كانه في الواقع لاهم له الا تطبيق آراء ارسطو على الشعر والادب العربي، فعندما قام بتعريف الشعر بأنه قول موزون ومقفى يدل على معنى وحصر الشعر في أربعة أمور وهي اللفظة والوزن والقافية والمعنى^٤، قال: وثمة شعر حسن وقبيح وكل معنى من الممكن ان يأتي في الشعر وأكد على ان الشاعر قد ينشد شعراً ثم ينقضه في شعر آخر أو يمدح أحداً ثم يذمه في شعر اخر وهذا الامر لا يقدح بالشاعر، ونظير هذا الكلام قاله ارسطو في فن الشعر وهذا التوافق والتشابه ينم عن اهتمام قدامة بأفكار ارسطو، والحقيقة هي ان قدامة قد تكللت

١ نفس المصدر : ١ / ٨٨ .

٢ انظر : تاريخ اداب اللغة العربية : ٢ / ٢٠٠ ، الحموي ، ياقوت ، معجم الانباء ، ١٧ / ١٢ .

٣ انظر : طباره ، بدوي ، قدامة بن جعفر والنقد الادبي ، ص ٤٧ - ٧٠ .

٤ نفس المصدر : ص ١٧٢ .

جهوده بالنجاح من الناحية الفنية والعلمية وقد تمكن - دون شك - من إخضاع النقد الى قواعد منطقية واختيار معايير وضوابط له، مما أدى الى اعتلاء آثاره النقدية غبار الجفاف نظراً لاقتصاره على سرد القواعد والاصول والمبادئ النقدية، وجدير بالذكر ان القواعد التي ذكرها لا تتسجم مع الذوق والطبع العربي ولعل هذه النكتة هي التي حدت باهل النظر بعده الى الأحجام عن تطبيق وتلفيق النقد العربي مع اليوناني، ومهما يكن من أمر فقد حازت أبحاث قدامة المدونة في كتابه (نقد الشعر) على اهتمام السكاكي والخطيب في تدوين علم البلاغة فيما بعد، وأسفرت جهود قدامة عن جلب أنظار جماعة الى هذا الموضوع ومن بينهم الامدي صاحب كتاب (الموازنة) والقاضي الجرجاني صاحب كتاب (الوساطة) والمرزباني مؤلف المواشع وابو هلال العسكري صاحب (الصناعتين) وابن رشيق (صاحب العمدة) وابن سنان الخفاجي صاحب (سر الفصاحة) وعبد القاهر الجرجاني صاحب (اسرار البلاغة) و(دلائل الاعجاز).^١

وساهم ابو القاسم حسن بن بشر الامدي (المتوفى ٣٧١هـ) في نقد شعر ابي تمام والبحتري وله كتاب تحت عنوان (الموازنة بين الطائيين) حيث قام بدراسة مقارنة بينهما، وهذا الكتاب جذاب وممتع نظراً لاشتماله على نكات وملاحظات نقدية، وكان الامدي معاصراً لابن نديم وقد ذكرت سيرته في الفهرست ومعجم الادباء وثمة كتاب تحت عنوان (تبیین غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر) حيث نسبه اليه ياقوت في معجم الادباء .

ان ظهور المتنبي على الساحة الادبية واتيانه بمضامين جديدة وأساليب حديثة في الشعر أدى الى احتدام الجدل بشأنه بين نقاد الادب، وكل جماعة سعت الى دعم وجهات نظرها بشواهد وأدلة ومن بين هؤلاء القاضي

١ المصدر السابق : ص ٤٣٣ .

٢ انظر : ربحانة الادب : ٢٨ / ١

الجرجاني والصاحب بن عباد، ولما دون الصاحب بن عباد رسالته التي تحمل عنوان (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) كتب القاضي الجرجاني كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وكان قضاؤه موضوعياً ومنصفاً، أظهر الجرجاني في هذا الكتاب براعة فائقة على النقد، بنحو يعد كتابه - بلا ريب - حجة بالغة في باب القضاء بين المتنبي والصاحب بن عباد.

ومن جملة النقد في هذا الباب ابو الفرج الأصفهاني مؤلف (الاجاني) وهذا الكتاب في الواقع دائرة معارف للشعر والادب يضم كافة الأخبار والأشعار والحكايات ويقع الكتاب في عشرين مجلداً حيث أشار فيه - الى جانب بيان أخبار وأحوال الشعراء - إلى ملاحظات نقدية جذابة وبديعة لاسيما في باب السرقات الأدبية وانتسابها وأيضاً نقد الأسانيد من نصوص الروايات وكان ذو قريحة نقدية خاصة، وتحكي هذه الملاحظات والنقود عن سعة اطلاعه وقوة حافظته .

وثمة أديب آخر وهو ابو نصر الثعالبي^١ وكان شاعراً نقاداً واديباً وله تصانيف كثيرة منها (بتيمة الدهر) في أخبار وأشعار المعاصرين له، وقد ضمن كتابه ملاحظات نقدية في باب الشعراء هذه الملاحظات كانت ذات طابع اخلاقي وديني أو تتعلق باستعمال الالفاظ وكلما صادف شعراً مشكوكاً في نسبته يعلن ذلك بصراحة أو ايماء مشفوعاً بذكر مرجعه^٢.

وثمة أثر نقدي آخر مهم في هذا العصر هو كتاب (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري وكان شاعراً وحكيماً معروفاً له تصانيف عديدة، وموضوع الكتاب المذكور نقدي وفكاهي حافل بالأفكار والأشعار والأخبار المتداولة بين أهل الادب وهذا النقد اللطيف طوي في حكاية خيالية وبديعة

١ انظر : تاريخ اداب اللغة العربية : ٢ / ٣٢٠

٢ الثعالبي النيسابوري ، بتيمة الدهر في محاسن اهل مصر ، ١٠ / ١٤٤

ورسالة الغفران رغم وجود ألفاظ غريبة وغير مانوسة ووجود نثر مكلف^١ حافلة بفوائد أدبية ونقدية مهمة ومن هذا الجانب تحوي على أهمية وميزة خاصة لاسيما وأنه يذكر في مطاوي تلك الابحاث نكات مهمة ودقيقة حول الصرف والنحو والبلاغة واللغة كما تبرز روح الفكاهة عنده، وهذه الحالة أضفت على كتابته، لوناً خاصاً فعندما واجه ابن قارح أحد شيوخ الجن ويدعى حيتعور سألته عن أشعار نسبها المرزباني وآخرون إلى الجن فاجاب شيخ الجن بدعابة وغمز: لا تركن إلى هذه المقولات فما يعلمه البشر من الشعر فاق ما يعلموه من الهيئة والهندسة^٢

ولابأس هنا من تناول أدب الاندلس على سبيل الإيجاز، إذ من جملة الاسماء التي لمعت في هذا الصدد ابن عبد ربه القرطبي مؤلف كتاب العقد الفريد هذا الكتاب هو مجموعة من الاخبار والاشعار والنوادر حيث نقلها المؤلف من الكتب والامالي ورسائل الادباء المتقدمين كابن قتيبة والجاحظ والمبرد والجمحي وآخرين . وربما كان الهدف الذي يتعقبه من وراء ذلك اشاعة الادب والمعارف العربية الرائجة بين أهل المشرق لدى أهل الاندلس والمغرب ويقع الكتاب في ٢٥ بابا ويطلق على كل بابين بالجوهره، وكان هدف ابن عبد ربه من تأليف العقد الفريد هدفاً أدبياً لا علمياً وعلى حد تعبير محمد سعيد الريان نادرة لاجل حلاوة موضوعه لا صواب نظره. وكان اسلوب ابن عبد ربه بعيداً عن الركاكة ومتين ويعلو هامته السجع دون التزام واعتدال، ولما يصل لموضوع يرسل كلاماً طبيعياً دون تزيين ويأتي بجمل طوال أو قصار حسب اقتضاء الحال .

ومن جملة أدباء الاندلس ابو علي القالي حيث قضى معظم حياته في الاندلس وتوفي فيها عام ٣٥٨ هـ . وكان من علماء النحو واللغة وله

١ المعري ، ابي العلاء ، رسالة الغفران ، شرح بنت الشاطي ، ص ١٣١

٢ المصدر نفسه : ص ٢٩١

تصانيف متعددة أهمها الامالي وهو حاوي على غرائب اللغة والادب ونوع من النقد يتراءى في موضع موضع من كتابه. كما أن له كتاب النوادر وعلى حد تعبير ابن خلدون هو أحد الاساطين الاربعة للادب العربي وفي مستوى أدب الكاتب لابن قتيبة والكمال للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : (وسمنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها)^١.

ابن رشيق القيرواني^٢ أديب آخر من أدباء المغرب وكان شاعراً واديباً ولغوياً من اثاره العمدة في صناعة الشعر ونقده وقرضة الذهب في نقد اشعار العرب وهو كنظيره العمدة له اهمية بالغة باعتباره مشحونا باصوله النقدية ويقول ابن خلدون في هذا الباب : لم يكتب مثله أحد قبله ولا بعده^٣.

ومن آراء الملازمة بين اللفظ والمعنى قوله : (اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته)^٤ ويعتقد بضرورة بذل العناية باللفظ والمعنى للحصول على جمال الاسلوب وكتاب ابن رشيق وان لم يحتو على مباحث جديدة إلا انه تليق في الواقع بين آراء المتقدمين، أما في حقل التأليف والتدوين فقد تمتع بذوق ودقة وسليقة ورتب الموضوعات وآراء المتقدمين ترتيباً منطقياً دون تكرار ممل جعل الكتاب ممتعاً وجذاباً.

١ مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، ص ١٣٩

٢ تاريخ اداب اللغة العربية ، ٢ / ٣٣٤ .

٣ مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، ص ١٧٦

٤ الازدي ، الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وادابه ، ص ٨٠

ومن الكتب المهمة في هذا الباب ويعد أساساً لعلم البلاغة كتاب اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز فالاول في البيان والثاني في المعاني، وهذان الكتابان من أكثر اثار عبد القاهر الجرجاني شهرة.

وينحصر نظره في كتاب دلائل الاعجاز على اثبات هذه النكتة وهي ان بلاغة القرآن معجزة رسول الله (ص) وليس باستطاعة أحد تقليده، إلا انه مع هذا يطرح بحثاً دقيقاً وجامعاً في باب علم المعاني وتأتي اهمية الكتاب من ان المباحث المتعلقة بعلم المعاني ذو عمق ودقة قل نظيرها في سائر الكتب . وجاء اسرار البلاغة لاثبات ان معيار الجودة والبلاغة في الاثار الادبية وطرق بيان الشاعر والكاتب له تأثير على الذوق والقارئ، وثمة موضوعات فيه حول السرقات يمكن القول ان المؤلف قد أنكر أكثر أقسام السرقات زعماً منه ان لكل شاعر اسلوبه الخاص في بيان المعنى ولا يمكن لشاعرين ان يتفقا بنحو كامل في البيان والاسلوب^١.

ورغم ان موضوعات أسرار البلاغة حول الجناس والسجع والتمثيل والاستعارة والمجاز والسرقات الا ان هذه الموضوعات اكتسبت في زحمة التحقيقات والابحاث تنوعاً وسعة واحياناً تصنيفاً قل نظيره حيث تبدو لدى القارئ في الوهلة الاولى انه يمضي في تيه وضياح لكن ينتهي به المطاف الى نظام خاص في وادي التحقيق. ولاشك ان اسلوب تحليل المؤلف في هذا الكتاب يتلخص في السؤال والجواب، فهو يطرح الشبهات والمعضلات بداية ويستفسر عن سبل التخلص منها وأخيراً بعد تقصي المزيد من البحث ينتهي الى الاجوبة الشافية.

ومن جملة الادباء ضياء الدين بن الاثير^٢ وكان مؤلفاً بارعاً وشاعراً ماهراً ومن جملة تصانيفه في النقد الادبي كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب

١ زرين كوب ، النقد الادبي ، ١ / ١٦٩

٢ ابن الاثير ، ضياء الدين ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ١ / ٣٠

والشاعر) وقد ورد في الكتاب نكات دقيقة لم يصل اليها المتقدمين من علماء البلاغة ويكرر المؤلف فيه الطعن بالنقاد وسائر الادباء ويعد نفسه أفضل منهم ويعرج بعد عقد بحث مفصل في كل مسألة من مسائل البلاغة والبديع، يعرج على اثاره بمزيد من المدح والاعجاب .

ومن اهم المباحث المطروحة فيه مبحث السرقات الادبية الذي جعله خاتمة للكتاب ^١ إذ ينتقد المؤلف فيه كلمات من يقول: ما ترك القدماء للمتأخرين شيئاً ، ويقول: لم يوصد باب الابداع والابتكار مادامت الدنيا اما السرقة فتقع في المعاني الابداعية لا في المعاني المشتركة التي لا تختص بأحد ولا يمكن القول ان هذه المعاني اقتبسها المتأخرون من المتقدمين ^٢.

المصادر والمراجع :

- ١ - ابن الاثير ، ضياء الدين ، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، مكتبة النهضة ، مصر ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩ م .
- ٢ - ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦
- ٣ - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ٤ - الازدي ، الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وادابه ، دون تاريخ .
- ٥ - الانباري ، عبد الرحمن بن محمد ، نزهة الالقاء في طبقات الادباء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- ٦ - البجاوي ، علي محمد ، الموشح للمرزباني ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ م .
- ٧ - الثعالبي النيسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن اهل مصر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ٨ - الجاحظ ، ابي عثمان عمر بن بحر ، البيان والتبيين ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ٩ - الجرجاني ، عبد القاهر ، اسرار البلاغة ، جليل تجليل ، طهران ١٣٦١ ش .
- ١٠ - الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ١١ - الحموي ، ياقوت ، معجم الادباء ، مكتبة عيسى الحلبي وشركاء ، مصر .
- ١٢ - زرين كوب ، عبد الحسين ، نقد ادبي ، امير كبير ، طهران ، ١٣٥٤ ش .
- ١٣ - زيدان ، جرجي ، تاريخ اداب اللغة العربية ، تعليق شوقي ضيف ، دار الهلال .
- ١٤ - ضيف ، شوقي ، العصر العباسي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .
- ١٥ - طباره ، بدوي ، قدامة بن جعفر والنقد الادبي ، الطبعة الثالثة ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م .
- ١٦ - الفاخوري ، حنا ، تاريخ الادب العربي .
- ١٧ - الجديد في الادب العربي ، مكتبة المدرسة ، بيروت .
- ١٨ - المعري ، ابي العلاء ، رسالة الغفران ، شرح بنت الشاطئ ، الطبعة السادسة ، دار المعارف .
- ١٩ - المقدسي ، انيس ، امراء الشعر العربي في العصر العباسي ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٦ م .
- ٢٠ - مقدمة لدراسة النقد في الادب العربي ، الطبعة الاولى ، ٩٥٨ م
- ٢١ - موسى باشا ، عمر ، محاضرات في الادب المملوكي والعثماني ، مطبعة الاحسان ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

الحجاب في العصر العباسي

راحله نجفي - جامعة گرمسار

الخلاصة

لابدَ لنا قبل تقديم استنتاجنا في هذا المجال من التنبيه إلى مسألة وهي: ما المدلول اللغوي لكلمة الحجاب بما تعنيه من ستر المرأة؟ كلمة الحجاب تأتي بمعنى الستر تارة، وتأتي بمعنى الحاجز والحاجب تارة أخرى. أكثر ما نَسْتَعْمَلُ بمعنى الساتر والحاجب. وتدلّ على مفهوم الستر باعتبار ان الساتر وسيلة للستر. وربما امكن القول انه ليس كل ستر حجاباً في أصل اللغة، وانما الحجاب هو ما يفصل تماماً فصل الستر عمّا وراءه. فقد وصف القرآن الكريم في قصة سليمان (عليه السلام)، غروب الشمس على النحو التالي «حتى توارت بالحجاب» أي بعد الفصل التام بينها وبين الناظر؛ والغشاء الذي يحجز بين القلب والجوف يُسمّى «الحجاب الحاجز»؛ و« فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك فالاحتجاب يعنى هنا الخفاء والعزلة؛ بمعنى أن لا يطول اختفاؤك في دارك عن الرعية، ولا تجعل الحرس والحجاب يفصلونك عن الناس. وانما

اجعل نفسك في وضع يستطيع الناس فيه رؤيتك ومقابلتك وتقديم شكاوهم اليك ولكي لا تكون بمعزل عن مجريات الأمور. وقد أورد ابن خلدون في مقدمته فصلاً تحت عنوان " فصل في الحجاب، كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم " ويبين فيه أن الحكومات في بداية تكوينها لاتجعل حائلاً أو حاجزاً يفصلها عن أبناء الشعب إلا أن هذا الحائل بين الحاكم والمحكوم يأخذ بالتضخم تدريجياً الى أن تتجم عنه عواقب وخيمة. فقد استخدم ابن خلدون كلمة الحجاب هنا بمعنى الحائل والحاجب لابعنى الستر. إن استخدام ابن خلدون لفظة كلمة الحجاب هنا، بمعنى ستر المرأة استخدام جديد نسبياً . فالكلمة التي كانت مستخدمة قديماً خاصة في مصطلح الفقهاء هي كلمة الستر بدلاً عن الحجاب. حيث استخدم الفقهاء كلمة الستر في مباحث النكاح والصلاة. ولم يستخدموا كلمة الحجاب. يا حبذا لو أن هذه الكلمة لم تستبدل، وبقينا نستخدم كلمة الستر على الدوام؛ لأن المعنى اللغوي الحجاب كما قلنا هو الحاجز والحائل، وحينما يستخدم في موضع الستر فإنه يعني أن جسد المرأة يقع خلف حاجز أو وراء ساتر. ومن هنا توهم بعض الناس أن الاسلام أراد للمرأة ان تبقى على الدوام خلف ساتر، وتبقى حبيسة البيت. إن الستر الذي شرعه الاسلام للمرأة، لايبنى على عدم خروجها من البيت وبقائها حبيسة الدار. نعم كان مثل هذا العرف سائداً في العصور الخالية في بلدان كايран و الهند، ولكن لا وجود لمثل هذا العرف في الاسلام.

حجاب المرأة في الاسلام، يعني أنها يجب أن تستر بدنهما حينما تتعامل مع الرجال، وان لاتظهر زينتها وفتنتها أمام أنظارهم.

قد فرض الله الحجاب على النساء بآيتين: الأولى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَعَزُّوْا جِثَّكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ . (سورة الاحزاب ٥٩)

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (سورة النور ٣١).

تستنتج من الآيتين المذكورتين أنّ الشريعة الإسلامية أنّما أمرت المرأة المسلمة بالحجاب ونهتها عن التبرّج والسفور والاختلاط المريب، حرصاً على كرامتها و صيانتها من دوافع الاساءة والتغريب ووقاية للأسرة وللمجتمع الاسلامي من المفساد.

فالقرآن المجيد يبيّن فلسفة الحجاب وحكمته. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين. حيث أنّ الحجاب يستر محاسن المرأة ومفاتيها، ويحيطها بهاله من الحصانة والمنعة، تفيتها تلصص الهواة والداعرين وتحرشاتهم الاجرامية العابثة، لصون النساء و كرامتهنّ فالحجاب، جعل لحفظ وصيانة المرأة وهو يضمن بقاء الأسرة والمجتمع و سلامتها من جهات متعدّدة فكرية وخلقية وأمنية وهذه الفوائد العديدة المذكورة و غيرها جعلت الحجاب ضرورة من ضروريات الاسلام.

وعلى المرأة أن تعلم أنّ الحجاب لا يرتبط بها وبحقوقها فقط، حتى تتخلّى عنه، ولا يرتبط أيضاً بالرجل والزواج كي يقول أنني أسمح لزوجتي أو ابنتي أن لا تتحجب، بل الحجاب حق الله، لأنّ حرمة المرأة وقداستها يعتبر من حقوق الله، لذا يجب على الكل وبالأخص على المرأة أن تحافظ على حق الله وعلى هذا الاساس أوجب الاسلام الحجاب على المرأة.

هذا وإنّ الحجاب ليس مانعاً من طلب العلم والعمل الاجتماعي السياسي و غير ذلك ولا ينافي حرية المرأة ايضاً، لأنّ المرأة أنّما التزمت بالحجاب لأنها عرفت فوائده واقتنعت به، واعتقدت بأنه من حقوق الله تجب المحافظة عليه وتعرفت على المضرات الخلقية والاجتماعية للسفور والتبرّج فتجنّبتّه،

إذن هي ليست مجبرة و لا مضطرة على ذلك من قبل أي شخص والشاهد على ما ذكرنا مشاركة المرأة للرجل في مختلف شؤون الحياة بالشكل الذي ألفه المجتمع الإيراني المسلم، فإنه مظهر حضاري تقدّمي، قلّ مثيله في المجتمعات الشرقية المجاورة.

لقد عرفت العرب في جاهليّتها الحجاب وكانت تعتبره من سنن الخلقة، أي المحبة، فالبنات عندهم إذا بلغت سنّ الزواج تعرّض على الحي ليرغب في نكاحها من اراد الزواج ، ثمّ تحجب ولا تحسر عن وجهها الاّ عند نزول المصيبة.

واتّخذ الحجاب صوراً مختلفة، يضيق ويتّسع معناه حسب عادات وتقاليده القبائل العربية في الجزيرة منها البرقع، النقاب، والقناع. وربما يتّسع معنى الحجاب، فيشمل الخباء وخدر المرأة، وكثيراً ما تطرّق الشعراء الى هاتين الكلمتين. وعلى ما يبدو إنّ هذا النوع من الحجاب كان له هالة كبيرة من القدسية والمنزلة، حيث انه مأوى وستر المرأة والذي لا يمكن للأجنبي أن يصله. وهناك صور أخرى للحجاب: كالإزار والملحفة والدرع والجلباب والهودج وهو محمل المرأة ومن هنا يبدو أنّ عرب أبي هلية كانت تفرض على نسائها الحجاب وتعتبره سنّة يجب الأخذ به، وعندما جاء الاسلام أقرّما كان متعارفاً عليه لما فيه من فائدة اجتماعية ومحاسن خلقية.

المصطلحات الأساسية

الحجاب / المرأة / العفاف / الستر / العصر العباسي

المقدمة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَ مِنْ جُلُوبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
(سورة الأحزاب / الآية ٥٩)

الحجاب كلمة مقدسة تعتر بها كل امرأة مؤمنة عفيفة.
المرأة التي آمنت بالإسلام وقوانينه وإيقت أن الإسلام لم يشرع شيئاً إلا لمصلحة تعود بالنفع على أفرادها. باتت المرأة المؤمنة على يقين بأن الحجاب الذي غرس محبته الأهل في أرواحنا وقلوبنا إنما هو عز وكرامة للمرأة. فقد أصبحت المرأة المؤمنة و الحجاب كالتوأمين اللذين ولدا بقلب واحد وجسدين ومن المستحيل أن ينفكا، فكل واحد يضخ الحياة للآخر.
بالحجاب تتال المرأة كامل حريتها وتمارس كل ما عليها من واجبات تتال حقوقها وهي آمنة مطمئنة. وقد أصبح العالم على يقين بأن الحرية التي ينادي بها المجتمع المتحلل إنما هي خطة هادفة وهدفها لتيم والمستهدف المرأة.

ماكانت ولا تكون الحرية بالتحلل. فالحرية ليست باستغلال المرأة وجمالها وتسخيرها لاشباع رغبة الرجل وليست الحرية بتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء، فكل كائن يختلف تكويننا عن الآخر. إنما الحرية بتطبيق العدالة الإلهية حتى ينال كل من الرجل والمرأة حقوقه ويعرف واجباته.

إن الحجاب أمر يفرضه العقل قبل الشرع، المرأة الواعية تدرك أن صلاحها لا يكون إلا بالستر وهو أعلى ما يملك الإنسان المؤمن وقد ضرب سيد الشهداء أعلى مراتب العفة والطهارة حينما سقط مضرّجا بدماء الطاهرة وروحي ورواح العالمين لترا به المقدس الفداء واخذ القوم يسارعون، فيقصدون خيمه حتى يسلبوا نساءه واهل بيته، فقال عليه السلام: اقصدوني واتركوا حرمي.

منذ منتصف السبعينيات وظاهرة انتشار الحجاب بين النساء العربيات تثير فضول الغرباء، والكثير من الهواجس والقلق لدى المتقنين المسلمين، وتتابع بكثير من الريبة والتوجس من الإعلام الغربي.

والجدل بين المسلمين المعاصرين لا يكاد يتوقف حول قضية الحجاب، وكلما انتهى بين طرفين عاد ليثور بين أطراف أخرى. وقد بلغ من حماس البعض وإصرارهم على الدفاع عن الحجاب وإعادته إلى رأس المرأة المعاصرة إلى حد أنه أصبح كما لو كان يرمز وحده إلى الهوية الإسلامية ويمثل جوهر الوجود الإسلامي.

وبعيداً عن ذلك الجدل المستمر بين الطرفين، المعارض والمشجع، ما زالت أعداد المحجبات في ازدياد، وما زال الإسلاميون يدفعون بشدة في هذا الاتجاه، وعلى الأخص بعض الدعاة العصريين الذين اكتسبوا شهرة واسعة بين أوساط الشباب، وطلاب الجامعات الخاصة الذين ينتمون إلى العائلات الثرية، والذين تنتظرهم الفرص للمشاركة في تغيير هذا الوطن وبنائه. وقد تحول الخمار «التيربون»، وأحياناً البرقع إلى موضحة تنتشر بين المراهقات والبالغات في مصر، دون أن تكون لها أية أبعاد إيمانية.

وتغرق المرأة المسلمة المعاصرة في بحر من التساؤلات التي لا تجد لها إجابات شافية: ألبس الحجاب أم لا ألبسه؟! أكشف عن وجهي وكفى أم أخفيهما؟! أكتفى ببرقع لإخفاء شعري أم لا بد من أن أخفي النحر وفتحة الصدر أيضاً؟! هل النقاب حلال أم حرام؟! وإذا لم ألبس الحجاب فهل أكون عاصية آثمة كما تردد في كتابات بعض الداعين إليه، أم أن الله غفور رحيم؟! وإذا لبسته هل أبدو متخلفة عن العصر، واقعة في أسر الفكر «الحريمي» متخلفة عن كل ما يقدمه لي عالم اليوم من حقوق وحریات..؟!

وما يزيد في حيرتها الخلاف الشديد بين المفكرين حول ظاهرة انتشار الحجاب. ففريق يراها انتصاراً للفكر الإسلامي الصحيح وعلامة على الصحة

الدينية لدى المسلمين وعودة بالنساء المسلمات إلى الطريق المستقيم.. الخ. بينما فريق آخر يرى أن هذه الظاهرة انتشرت نتيجة لتفشي الفكر السلفي بين الفقهاء المعاصرين، وتقاعسهم عن تقديم تفاسير عصرية تتفق مع التطورات السريعة في المجتمع البشري، والنتيجة في رأيهم عودة بالمسلمين قروناً عديدة إلى الجاهلية، وإساءة إلى الإسلام الذي ساوى بين كل البشر ونزلت رسالته الحنية لتحرر الإنسان، ذكراً وأنثى، وتتقدما من عبودية الماضي.. أما دعدة الإسلام فيدللون بها على تفشي التمييز العنصري في المجتمعات الإسلامية، وعلى ازدياد المسلمين للمرأة، وإمعانهم في إذلالها وحبسها داخل إطار متخلف؛ والملاحظ أن أغلب المتجادلين حول هذه القضية من الرجال، بينما صاحبة الأمر صامتة لا تشارك، وإن أفصحت برأى، فعلى استحياء شديد، كأنها تتدخل فيما لا يعنيتها، رغم أن الأمر في حقيقته يخص ماهيتها ويرسم ملامحها ويحدد وجودها ويؤثر على حياتها من الولادة إلى الوفاة فهل صمت المرأة دليل على اقتناعها أم هو صمت المستسلم المقهور؟! إنه ليس هذا ولا ذاك.. بل هو بسبب عدم توفر المعلومات لديها.. فأغلب اللاتي يرتدين الحجاب يرددن أن الحجاب فريضة على كل مسلمة، دون أن يعرفن المعنى الحقيقي لكلمة فريضة، ولا ما هي شروط الإيمان الصحيح. وقد لا تتذكر الإغلبية العظمى من المحجبات الآيات القرآنية الخاصة به، أو يحفظنها عن ظهر قلب، دون وعي بتفسيرها أو بأسباب نزولها. وإذا ما حاولت إحداهن البحث عن جذورها وجدت كتب التفسير تمتلئ بمئات الصفحات التي تكشف خلاف المفسرين حول ماهية الحجاب وشروطه، ودلالات الألفاظ الخاصة به في القرآن الكريم مثل الجلباب والخمار والثوب والزينة..؟! والنتيجة.. أن اللاتي يرتدين الحجاب إما يأخذنه كقضية مسلمة، أو أرغمن على ارتدائه دون اقتناع كاف.

وفي الوقت نفسه الكثيرات ممن يرفضن ارتداء الحجاب يرددن عبارات و مصطلحات وأفكاراً مستعارة من الفكر الغربي الحديث ولا علاقة لها بالموضوع. الذي هو أمر إسلامي لا يخص سوى المسلمين وحدهم. وأغلب المثقفات العربيات المعاصرات يتجاهلن هذا الموضوع، ويتجنبن إيذاء الرأي فيه، وإذا أثير أمامهن وقفن موقفاً متردداً ليس معه ولا ضده. وكثيراً ما أفصحن عن رغبتهن في عدم الخوض فيه لحساسيته أو لخطورته على حياة من قد يطرح فيه رأياً يخالف الفكر الشائع بين العامة. والسبب الحقيقي وراء ذلك هو عدم إلمامهن بتفاصيل موضوع لباس المرأة المسلمة، ولا تتوفر معلومات عنه لديهن سوى تلك التي تتكرر على ألسنة الدعاة وكلها مأخوذة عن المفسرين القدامى..

وأعترف أنني كنت واحدة من هؤلاء .. وكان الموضوع بقدر ما يثيرني و يقلقني، يسبب لي حرجاً وارتباكاً شديدين، خاصة إذا ما أثير خارج بلدي، في وسط المثقفات الغربيات.. اللواتي يسألن بلهفه كي يحصلن على إجابات شافية: ما هي حقيقة الحجاب؟ لماذا ينتشر بسرعة كبيرة بين النساء المسلمات حتى الحاصلات على أعلى الدرجات العلمية..؟ هل أنت مقتنعة به؟! و لماذا لا ترتدينه؟!...

الحجاب في اللغة

يقول: ابن منظور في لسان العرب الحجاب : السّتر، حجب الشي يحجبه حجباً و حجاباً وحجبه، ستره وقد احتجبَ وتحجّب إذا إكتن من وراء حجاب. وامرأة محجوبة: قد سُترت بستر؛ وحجاب الجوف ما يحجب بين الفؤاد وسائرهِ، قال الأزهري: هي جلدة بين الفؤاد وسائر البطن. والحجاب: اسم ما احتجبَ به، و كلّ ما حال بين شيئين حجاب، والجمع حُجُب لاغير. وقوله تعالى: « ومن بيننا و بينك حجاب، معناه: و من بيننا و بينك حاجز في النّحلة والذين، وهو مثل قوله تعالى: « قلوبنا في أكنة » إلّا إنّ معنى هذا، أنّا لا نوافقك في مذهب، واحتجب الملك عن الناس، وملك محجّب، وكل شيء منع شيئاً، فقد حجبه كما تحجب الإخوة الأمّ عن فريضتها، فإنّ الإخوة يحجبون الأمّ عن التّلك الى السّدى و حجاب الشمس ضوءها، و الأفق. والحجاب: ما أشرف من الجبل. لا يختلف عمّا وضع له في اللّغة والمراد به السّتر الذي يحجب مفاتن المرأة وعدم إظهارها أمام الرجل، و لا يشترط في السّتر أو الحجاب أن يكون عباءه كما هو معروف في العراق بل له صور عديدة واشكال مختلفة، حسب عرف وتقاليده المجتمع، لكن لا يخرج من أنّ المراد منه هو ستر جسم المرأة وما يتصل به من مفاتن تؤلّب الشهوة وتثير الغريزة. (تعريف الحجاب في اللغة والاصطلاح من كتاب المرأة المعاصرة، ص. ٣٧)

حجاب المرأة في الاسلام، يعني أنّها يجب أن تستر بدنّها حينما تتعامل مع الرجال، وان لا تظهر زينتها و فتنتها أمام أنظارهم.

قد فرض الله الحجاب على النساء بآيتين: الأولى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ٥٩ ﴾ (الأحزاب، ٥٩)

والآية الثانية قوله تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

تستنتج من الآيتين أن الشريعة الإسلامية إنما أمرت المرأة المسلمة بالحجاب ونهتها عن التبرج والسفور والاختلاط المريب، حرصاً على كرامتها وصيانتها من دوافع الاساءة والتغريب ووقاية للأسرة والمجتمع الاسلامي من المفاسد.

القرآن يبين فلسفة الحجاب وحكمته " ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين " حيث أن الحجاب يستر محاسن المرأة ومفاتيها، ويحيطها بهاله من الحصانة والمنعة، تقيها تلصص الهواة والداعرين وتحرشاتهم الاجرامية العابثة، لصون النساء وكرامتهن فالحجاب، جعل لحفظ وصيانة المرأة وهو يضمن بقاء الأسرة والمجتمع وسلامتها من جهات متعددة فكرية وخلقية وأمنية وهذه الفوائد العديدة المذكورة وغيرها جعلت الحجاب ضرورة من ضروريات الاسلام وعلى المرأة ان تعلم أن الحجاب لا يرتبط بها وبحقوقها فقط، حتى تتخلى عنه، ولا يرتبط أيضاً بالرجل والزواج كي يقول أنني اسمح لزوجتي أو ابنتي ان لا تتحجب، بل الحجاب حق الله، لأن حرمة المرأة و قداستها يعتبر من حقوق الله، لذا يجب على الكل وبالأخص على المرأة أن تحافظ على حق الله وعلى هذا الاساس أوجب الاسلام الحجاب على المرأة. هذا وإن الحجاب ليس مانعاً من طلب العلم والعمل الاجتماعي والسياسي وغير ذلك و لا ينافي حرية المرأة ايضاً، لأن المرأة إنما التزمت بالحجاب لأنها عرفت فوائده و اقتنعت به، واعتقدت بأنه من حقوق الله تجب المحافظة عليه وتعرفت على المضرات الخلقية والاجتماعية للسفور والتبرج فتجنبته، إذن هي ليست مجبرة ولا مضطرة على ذلك من قبل أي شخص والشاهد على ما ذكرنا مشاركة المرأة للرجل في مختلف شؤون الحياة بالشكل الذي افه المجتمع الايراني

المسلم، فإنه مظهر حضاري تقدّمي، قلّ مثيله في المجتمعات الشرقية المجاورة. (الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٣ / ٣٤٨ - ٣٠١)

المرأة عند الاديان والقوميات الأخرى

١. الحجاب في انجيل عيسى عليه السلام.
٢. الحجاب عند اليونان و الرومان.
٣. الحجاب عند اليهود.
٤. الحجاب في بلاد فارس.

١. الحجاب في إنجيل عيسى(ع)

ورد في الإنجيل - سفر التكوين - الآية (٦٠) من الاصحاح الرابع عشر: « و قالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا، فقال العبد هو سيدي، فأخذت البرقع و تغطّت. (الإصحاح الرابع والعشرون، الآية: ٦٥)

٢. الحجاب عند اليونان و الرومان

لوتعمقنا في مسألة الحجاب لرأيناها عند اليونان في بادئ الأمر ومن اليونان انتقلت إلى بقية المجتمعات ولذا ترى الحضارة اليونانية دامت زمناً طويلاً وازدهرت مادامت المرأة محافظة على سترها وحجابها، ثم انحطت وتدهورت تلك الحضارة العريقة بسبب إباحة الحرية المطلقة للمرأة، فألقت حجابها وأطلقت يديها لتعبث - بإسم الحرية - بشؤون الرجال والدولة وتدخلها المباشر في شؤون السياسة إلى أن سقطت تلك الدولة العظيمة إلى الهاوية تقول دائرة المعارف الكبرى، « إنّ عمران المملكة الرومانية كان سببه عدم اختلاط المرأة بالرجل في ميادين العمل يوم كانت النساء يشتغلن في بيوتهن ونحن - أي النساء - يغالين في الحجاب لدرجة انّ الداية - القابلة - لا تخرج من دارها الا مخفورة ووجهها ملثم باعتناء زائد وعليها رداء

طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك محلّه عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها و ينقل عن دائرة المعارف «لاروس» في مسألة الحجاب وأهميته: «كان النساء يستعملن الخمار إذا خرجن ويخفين وجوههن وكانت النساء تستعمله في القرون الوسطى و استمرّ الى القرن الثالث عشر حيث صار النساء يخفن منه الى أن صار كما هو الآن نسيجاً خفيفاً يستعمل لحماية الوجه من التراب والبرد، وقد كان لترك الحجاب واستقرار المرأة في البيت أقبح نتائج السوء في الدولة الرومانية، إذ أدى ذلك إلى سقوط تلك الدولة العظيمة وتأخرها. (هذا من كتاب الشهيد الاستاذ الشهيد المطهري ، مسألة الحجاب و من كتاب المرأة المعاصرة)

٣. الحجاب عند اليهود

يقول «ويل ديورانت» في قصة الحضارة كان في وسع الرجل ان يطلق زوجته، إذا عصت أوامر الشريعة اليهودية، وإن سارت أمام الناس عارية الرأس، أو غزلت الخيط في الطريق العام، أو تحدّثت الى مختلف أصناف الناس، أو اذا كانت عالية الصوت، أى إذا كانت تتحدّث في بيتها ويستطيع جيرانها سماع ما تقول، ولم يكن عليه في هذه الأحوال ان يرد اليها بانئنتها. (قصة الحضارة، ج ١٤، ص ٣٥-٣٤)

٤. الحجاب في بلاد فارس

كان للمرأة في بلاد فارس مقام سام في أيام زرادشت كما هي عادة القدماء، فقد كانت تسير بين الناس بكامل هويتها سافرة الوجه. ثم يقول: « ثم انحطت منزلتها بعد داريوش، وخاصة بين الأغنياء، فأما المرأة الفقيرة فقد احتفظت بحريتها في التنقل لاضطرارها إلى العمل، وأما غير الفقيرات فقد كانت العزلة المفروضة عليهنّ في أيام حيضهنّ كلّها تمتدّ حتّى تشمل جميع حياتهنّ الاجتماعية، وكان ذلك أساس نظام البردة عند المسلمين. ولم تكن نساء الطبقات العليا يجرؤون على الخروج من بيوتهنّ إلا في هوداج مسجفة،

ولم يكن يسمح لهنّ بالاختلاط بالرجال علناً. و حرّم على المتزوجات منهنّ أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا أقرب الناس اليهنّ كآبائهنّ أو إخوانهنّ. ولم تذكر النساء قطّ أو يرسمن في النقوش أو التماثيل العامة في بلاد فارس القديمة. (قصة الحضارة، ج٢، ص ٤٤٢-٤٤١ الشهيد المطهري ، مسألة الحجاب)

أما في باقي الأديان والقوميّات؛ كانت النظرة الى المرأة على أنّها ناقصة في إنسانيّتها ويشكّكون في كونها إنسانة حيث كان القانون الروماني يقسّم الموجودات إلى ' اشخاص وأشياء، الأشخاص الرجال من ذوي الأملاك والأشياء هم العبيد و الحيوانات والنساء؛ اما أوربة المسيحيّة تنظر إلى المرأة انها ينبوع المعاصي واصل السيئة و الفجور. وهي للرجل باب من أبواب جهنّم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام ومنها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء وقد قال ترتوليان أحد اقطاب المسيحية الأول وائمتهم مبيّناً نظرية المسيحية في المرأة: [إنّها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، و إنها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة، ناقضة لقانون الله، ومشوهة لصورة الله، أي الرجل] وقد ظلّت النظرة الدونية لطبيعة المرأة حاكمة في المجتمع خصوصاً وإنّ الدين المسيحي الذي تأثّر بحضارة روما كان يرى ايضاً أنّ طبيعة المرأة أدون من طبيعة الرجل وحتّى حول روحها حيث يوجد نقاش في كنائسهم هل هي روح انسان، والعقل يقارن.

(حقوق المرأة في الاسلام واوربا: ٢٧ ، ط ١٩٧٨)

الحجاب في الزمن الماضي

إنّ المرأة قبل الإسلام كانت مضطهدة بانواع الاضطهاد، في عصر الحضارات اليونانية و المصرية و الرومانية و الإيرانية، ثم اعترف بالمرأة بأنّها إنسان و ذلك أثر ظهور الأديان السماوية؛ وبمرور الزمن شاركت المرأة حياة الرجل دون الاعتراف لها بالشخصية الحقوقية ؛ وكانت خاضعة لإرادة

الرجل كلياً. وفي اليونان القديم: كانت المرأة تعدّ كال بضائع و السلع التجارية تباع و تشتري في الأسواق و لا يحقّ لها الحياة بعد وفاة الزوج وعند الرومان: كان للأب الحق في بيع ابنته، بل والقضاء عليها عند الضرورة، غير أنّ هذا الحق الأبوي كان يفوّض بعد زواج البنت إلى زوجها، باعتباره مالاً للمرأة بحكم القانون. وفي الهند: كانت المرأة تحرق مع جثمان زوجها وهي على قيد الحياة، كي تتخلّص روح الزوج من العزلة و الانفراد. (راجع : سورة النحل: ٥٨ و ٥٩)

في الجزيرة العربية، كان بعض العرب يثد البنات خوفاً من أن يقعن بيد العدو وينجبن له الاطفال، لذلك كنّ يتعرّضن للوّد بعد الولادة ومنهم من كان يقتل البنات خشية إملاق والنساء كنّ محرومات من الإرث لعدم اشتراكهنّ في الحروب وكانت العرب ترث النساء وتعتبرها قسماً من تركة المتوفى وكانوا يرغمونهنّ على البغاء ليكسبن لهم مالاً فجاء النور وسنّ القانون الذي من خلاله نالت المرأة كامل حقوقها وحرّر المرأة من العبودية للرجل : ﴿ يا أيّها النّاس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ . (سورة النساء : ١)

(الحرّ العاملي ، وسائل الشيعة : ١٥ / ١٠٤).

وثمة حجاب آخر يجب على المؤمن والمؤمنة حجبهِ وصدّه عن الهوى والشیطان؛ يخوض المؤمن الصراع معه؛ فامّا أن يخرج منتصراً ويجعل من قلبه الحرم المقدّس لله تعالى أو يخسر الصراع، فيصبح عبد الهوى والشیطان ، يسير بأوامرهما وقد عبّر الإمام الراحل عن هذا الأمر بأحلى و أروع التعابير حيث يقول: « لابد للانسان أن يركّز انتباهه على اصلاح القلب ويجعل مبتغاه اكماله حتى ينال منتهى السعادة الروحانية والمراتب العالية الغيبية واذا ما كان هو أيضاً من أصحاب العلم والدقائق والحقائق لكان همّه الوحيد في غضون سيره في الآفاق والانس تحسين حالاته النفيسة فلو كانت

من المهلكات لأصلحها ولو كانت من المنجيات لبذل الجهد في سبيل تكميلها
٦٨ ويقول قدس الله سره: «إذا لم يخرج قلب المؤمن من الفطره التي فطرها
الله والتي عجنها الحق المتعال بيديه الجمالية والجلالية أربعين صباحاً و
خمرها، فيسير لا محال على ضوء فطرة التوحيد .
(الحجاب أبو الاعلى المودودي، ص ١١٥-١١٦)

ما هي اسباب السقوط؟

١) الابتعاد عن الله تعالى

ابتعاد الانسان عن الله تعالى، قتل النفحة الروحانية؛ والانغماس في
الحنس و الماده، يبتعد عن الله فيحس بالفراغ القاتل الذي يملأ قلبه يريد سده
فليجأ الى الطريق الخاطي ظناً منه أنه على صواب ولكنه يوقن في قرارة
نفسه أنه على خطأ ولكن يغالط نفسه ويضل ضائع في الطرقات الظلماء،
يسرق ليحصل على الماده التي ينفقها في الشراب واللهو، يغصب الفقير حقّه
حتى يحقق لنفسه جواً ينسى فيه ذاته ظناً منه انه يجد الراحة؛ ينفق كل ما
يملك في تحقيق اللحظة الحيوانية لحظة يضيع بها الشاب والشابة شرفه
وعفته، يلهث لتحقيق تلك اللحظة ويعيش الاحتقار داخل روحه فهو محتقر
منبوذ في نفسه قبل المجتمع، أغروه باستماع الغناء والرقص و أوهموه انه
يحصل على الهدوء والسكينه فتوترت الاعصاب واخذ يعتدي على كل من
يراه، خدعوها بالشهرة وقالوا لها انك بالشهرة سوف تحصيلى على الأموال
الكثيرة التى تحل كل مشاكلك ولكنها كانت تحس في قرارة نفسها ان كيانها قد
ضاع بين نظرات المعجبين ولمساتهم فهذا يواعدها ليلاً وهذا يواعدها نهراً
وما بعد الوعد الا الضياع والانتحار.

(من كلام الشهيد المطهري في كتابه: مسألة الحجاب، ص ٧٨)

يورد الكاتب الانجليزي جورج راثيلي اسباب سقوط مجتمعه في كتابه تأريخ الفحشاء فيقول: « أولها هذا الولوع الفاحش بالتبرج الذي قد بعث في نفس كل فتاة اشد الحرص على الأزياء الفاتنة الغالية من أحدث الطراز، و أدوات الزينة و الزخرفة من شتى الانواع وهذا من أكبر أسباب هذه الفحشاء غير المحترفة، فكل له عينان بصيرتان ينظران من تمر به ليل نهار من مئات الفتيات و الآفها كثيراً ما يكون عليهن من الملابس الفاخرة الثمينة مالا يمكن أن تتسع له مكاسبهن الطيبة ؛ و الثاني الحرية الضالة فهي يد في ايجاد هذه الاحوال، فقد بلغ من ضعف رعاية الآباء ورقابتهم لبناتهم أن قد تهياً لهن من الحرية والانطلاق ما لم يكن ميسوراً حتى للأبناء قبل ثلاثين عاماً و السبب الآخر الاختلاط فقد عمّت بسببه الفوضى الجنسية، فالنساء لايزلن يتنافسن على الاشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلطة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء وقد حطّ ذلك من المستوى الخلقى فى الرجال و النساء، ثم اطلق العلاقة الشهوانية بين الجنسين من كل القيود الخلقية يقول الشهيد المطهري: «هل انّ خروج المرأة الى ميدان العمل بوضع اعتيادي غير مثير أفضل أم خروجها بعد ساعات من التجميل و الوقوف امام المرأة، ثم تخرج ليكون كل سعيها باتجاه جذب قلوب الرجال اليها، وتحويل الشباب الذين ينبغي أن يمثلوا المظهر الحقيقي لإدارة وحزم وفعالية الأمة إلى موجودات طائشة شهوانية لا ارادة لها.

(الأربعون حديث، ص ٢٨٤ للإمام الراحل)

(٢) فقدان الحياء

الحياء خصلة ثابتة من جنود العقل، و دوره هام في تحصين الانسان و حفظه من الانزلاق و السقوط، وقد يتفق كثيراً أنّ الانسان يندفع الى ذنب من الذنوب فلا يتمكن العقل من صدة عن ارتكاب الذنب، لولا انه يستحي من الله

تعالى، أو من الناس فيردعه الحياء عن اقتراف الذنب إذ الحياء عصمة منحها الله للإنسان حتى تقيه من الذنوب و السقوط و اعظم الحياء هو من الله تعالى في السر و العلانية لأن الله تعالى لا يخفي عليه شيء، كل شيء حاضر عند الله تعالى، فالذي يتيقن بأن الله يعلم ببصره وسمعه ولمسه يستحي من الله أن يسخرها في معصية الله، عن الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) عليه السلام : «رحم الله من استحيى من الله حق الحياء فحفظ الرأس وما حوى والبطن وما بينهم ومن خلال العين والسمع والأذن يذنب الإنسان بنظره أو سماع اللغو أو التكلم في اللغو والحياء يمنع الإنسان من هذه الذنوب، لانه يقف بين يدي ربه وخالقه ومانحه كل النعم، فاذا اعطانا شخص هدية كيف نستحي منه ونردّ الجميل والاحترام، فكيف بالذي عطاءه لاتحدّه حدود، أليس بالأجدر بنا أن نستحي منه ونحفظ حواسنا ونسترها ونحجبها عن ارتكاب الذنوب والمعاصي؛ ونفس الحياء هي نعمة اعطاها الله تعالى للإنسان ليتزّين بها ويغض بها.

(ميزان الحكمة: ٣/١٨٦)

٣) عدم الخوف من الله تعالى

الخوف من الله من أهمّ العصم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان؛ إذ الخوف عصمة وأمان للإنسان من السقوط في الذنوب المعاصي كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمرّة الخوف الأمان» فالإنسان الذي يملك العصمة أي الخوف من الله تعالى ومن ناره لا يفعل المعصية ولا يفكر بها، والإنسان الذي يخاف الله يكون قلبه مطمئن لم يرتكب الذنوب فلديه عصمة منحها الله له وحافظ عليها وقواها بإيمانه والذي لا يملك الخوف من الله أو قتل هذه الملكة في روحه لا يوجد رادع يردعه عن المعاصي من النظرة المحرمة الى ماتجر بعدها من السقوط والخوف من الله ملازم للإيمان، لذا قال الصادق

عليه السلام: « أن من العبادة شدة الخوف من الله اذ كلما زاد ايمان الانسان زاده خوفه. (تعريف التقوى من كتاب: الاربعون حديث للامام الراحل، ص ٢٢٠)

٤) فقدان التقوى

التقوى هي: من الوقاية بمعنى «المحافظة»، وهي في العرف وفي اصطلاح الاخبار والاحاديث تعني، «وقاية النفس من عصيان أوامر الله ونواهيه وما يمنع رضاه»؛ او انها «حفظ النفس حفظاً تاماً عن الوقوع في المحظورات بترك الشبهات» اذا التقوى هي الواقى للانسان والحافظ له من الوقوع في الدرك الاسفل في الدنيا والآخرة و يقول الامام الراحل: «الانسان الراغب في صحة النفس، والمترفق بحاله، إذا تنبّه أن وسيلة الخلاص من العذاب تنحصر في أمرين :

الاول: الاتيان بما يصلح النفس و يجعلها سليمة.

الآخر: هو الامتناع عن كل ما يضرها و يؤلمها.

(نقلا عن قول الامام من كتابة الاربعون حديث، ص ٢٣٧)

الحجاب في التاريخ

كان الآشوريون (في العراق) أول من فرض الخمار على النساء في التاريخ القديم (قبل الميلاد)، وكانوا قوماً يتسمون بالغلظة والقسوة ويعاملون نساءهم بجفاء وخشونة، وقد شنوا حروباً عديدة على جيرانهم كانت غالباً ما تكلل بالانتصار واسترقاق أعداد هائلة من النساء والرجال، وكان المنتصرون يسخرون الرجال المهزومين لخدمتهم، ويستبيحون نساءهم لمتعتهم، لذلك كان من الضروري تمييز الحرائر عن الأرقاء. وفي إحدى اللوحات الطينية التي عثر عليها المنقبون أخيراً في مدينة آشور القديمة أحكام خاصة بحجاب النساء جاء في مقدمتها: «لا زوجات الرجال ولا الأرامل ولا النساء الآشوريات

اللاتي يخرجن إلى الطريق يمكنهن ترك رؤوسهن مكشوفة. بنات الرجل سواء ارتدين برقاً أم جلباباً أم عباءة، لا ينبغي لهن ترك رؤوسهن مكشوفة. السرية التي تخرج إلى الطريق مع سيدتها يجب أن تحجب نفسها. العاهر المقدسة التي تزوجها رجل يجب أن تحجب نفسها في الطريق، أما التي لم يتزوجها رجل يجب أن تترك رأسها مكشوفاً في الطريق و يجب ألا تحجب نفسها، المومس يجب ألا تحجب نفسها، و يجب أن يكون رأسها مكشوفاً. (قصة السفور والنقاب واختلاط الجنسين عند العرب. د. محمود سلام زناتي)

قد وصل الحرص على التفرقة بين الحرائر والإماء حد توقيع عقوبات قاسية على من يرى أمة أو عاهرة محجبة في الطريق ولا يقوم بتقديمها إلى القصر لتلقى جزاءها، وذلك بأن يخلع عنه ثوبه ويجلد خمسين جلدة وتُنقَب أذناه ويمرر بينهما خيط يعقد خلف ظهره، و يعمل من أجل الملك شهراً كاملاً. أما المومس أو الأمة التي تنقَب في الطريق فتجلد خمسين جلدة و يصب القار على رأسها!!

وفي لوحة أخرى ينص القانون على مراسم يجب اتباعها إذا تزوج رجل من سريته وجعلها زوجة يقول الحكم: إذا رغب رجل في أن يحجب سريته فسوف يحضر خمسة أو ستة من جيرانه، ويحجبها في حضورهم قائلاً «إنها زوجتي» ومن ثم تصبح زوجته، وإلا فستظل سريته. (قصة السفور والنقاب واختلاط الجنسين عند العرب. د. محمود سلام زناتي. دار البستاني للنشر و التوزيع. القاهرة ٢٠٠٢ ص: ٧٠).

وكان قدماء المصريين يؤمنون بأن الشعر هو مظهر القوة عند الإنسان ولذا كان الكهنة يحلقون شعور رؤوسهم كذلك كان الرجال والنساء يقتدون بهم، و كانت المرأة المصرية ترتدي الباروكة كغطاء للرأس وللزينة، وكانت النساء اليهوديات يقلدن سيداتهن في ذلك، ثم أصبح البرقع (الخمار) مفروضاً على اليهوديات وقد ذكر في أكثر من موضع في العهد القديم التوراة:

« ورفعت رفقة عينيها فرأت اسحق فنزلت عن الجمل، وقالت للعبد من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا فقال العبد هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت. (سفر التكوين الإصحاح ٢٥ من العهد القديم «التوراة»)

وفي المسيحية ذكر غطاء الرأس فى العهد الجديد (الإنجيل): وكل امرأة تصلى أو تتنبأ (تفسير وتستخرج المعاني) وليس على رأسها غطاء، تجلب العار على رأسها، لأن كشف الغطاء كحلق الشعر تماماً. فإذا كانت المرأة لا تغطى رأسها، فليقص شعرها.

(العهد الجديد: سفر كورنثوس الأول إصحاح ١١ الآية ٥، ٦)
« لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها (علامة الخضوع) من أجل الملائكة. (سفر كورنثوس الأول الإصحاح ١١/١٠)

فاحكموا إذن بأنفسكم: أمن اللائق أن تصلى المرأة إلى الله وهي مكشوفة الرأس؟ أما تعلمكم الطبيعة نفسها أن إرخاء الرجل شعره عار عليه، في حين أن إرخاء المرأة شعرها مفخرة لها، لأن الشعر أعطى لها بمثابة حجاب. (كورنثوس الأولى ١٣: ١١ حتى ١٥)

وما زالت النساء اليهوديات ملتزمات بتغطية رؤوسهن إلى اليوم، وأغلب المتدينات منهن يرتدين «الباروكة» عوضاً عن الحجاب القديم، والتي يرين أنها تؤدى نفس الغرض. أما المسيحيات فقد تخلصت الأغلبية منه، وإن وضعته بعضهن داخل الكنائس أحياناً. وعندما سيطر الفرس على بلاد ما بين النهرين اقتبسوا تلك العادة من الآشوريين وانتقلت بواسطتهم إلى الشام وبعض المدن العربية وشمال جزيرة العرب قبل الإسلام. (قصة السفور والنقاب واختلاط الجنسيتين عند العرب. د. محمود سلام زنتاتي. دارالبستاني للنشر والتوزيع. القاهرة ٢٠٠٢)
بعد ذلك انتشر الخمار أو البرقع بين النساء في بيزنطة وفارس وطروادة وإسبرطة غيرها من الممالك والحضارات القديمة. وعندما فتح المسلمون بلاد فارس (إيران حالياً)، وجدوا النساء معزولات عن الرجال داخل « الحريم»،

ووجدوا الحرائر من النساء يرفضن الظهور أمام الرجال، فأعجبتهن الفكرة واقتبسوها و أطلقوا على معتقل النساء (الحريم)، وبدأوا يرغمون نساءهم على الاقتداء بالفارسيات، وغزا الحجاب قصور الخلفاء العباسيين في بغداد ثم بقية الناس وأغلبهم كانوا فارسيي الأصل، وانتشر من بغداد إلى باقي المدن الإسلامية، ورغم ذلك لم يعترف به الخوارج.

وفي أوروبا اتسم التاريخ القديم بصراعات مسلحة لا تنتهى بين القبائل والشعوب الأوروبية القديمة، وقد خلد شعراؤهم بعض أحداثها في ما يسمى بالملامح، مثل الإلياذة والأوديسة، اللتين تعودان إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وفيهما يصف الشاعر اليونانى القديم هومر (حوالي ٨٥٠ ق. م) حرباً شنها اليونانيون القدماء على مدينة طروادة، الواقعة على شاطئ آسيا الصغرى (في تركيا الآن). اندلعت الحرب بسبب امرأة! هى هيلين زوجة مينيللوس شقيق أجاممنون ملك ميسينيا، التي اختطفها باريس ابن برايام ملك طروادة. (خلدت السينما العالمية تلك الحرب في عدة أفلام منها فيلم: «نساء طروادة» بطولة كاترين هيبورن) ومعروف أن الملاحم خليط من التاريخ والأدب والحكمة، وصورة للمجتمع القديم، الذى كان من الممكن أن تتدخل فيه الحرب وتسقط مملكة طروادة بسبب امرأة. وقد فرض اليونانيون، على نساءهم الاحتجاب والنقاب منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت نساء طيبة (اليونانية) يرتدين الحجاب فلا يرى من وجوههن سوى العيون. وكان بعض الأزواج لا يكتفى بما كانت تفرضه التقاليد من قيود على حرية المرأة فكانوا يضعون أختامهم على أبواب دورهم إذا غابوا عن البيت. وقد اتسم المجتمع اليونانى القديم بتقليل شأن المرأة وازدراءها والحض على تجنبها، وساد هذا الفكر في نظريات فلاسفة اليونان القدماء وأقوالهم أمثال أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وعن هؤلاء تنقل أغلب العبارات التى تزدري المرأة وتحدث عن نقائصها وتدعو إلى عدم الثقة بها والابتعاد عنها وحبسها داخل

دارها.. الخ، وقد انتقل هذا الموقف منهم إلى العلماء المسلمين الذين درسوا فلسفة اليونان وعلومهم، وأول هؤلاء عبدالله ابن المقفع (الفارسي) الذي كان أول من دعا إلى حجاب المرأة في العصر العباسي ونشر بين رجال عصره آراء اليونانيين فيها. (نفس المصدر)

كان الخمار والجلباب هما الزي العملي لنساء الزمن القديم لأسباب جغرافية واجتماعية واقتصادية. وفي شبه الجزيرة العربية، قبل عصر الرسالة كانت بعض النساء العربيات يرتدين البراقع ويتنقبن وقد ذكر ذلك في كثير من الأشعار القديمة، وعندما كان البدو يعيشون في خيام وغرف بلا أبواب، في البوادي، قبل أن تتبدل الحياة إلى مدن وقرى بها بيوت وأبنية كان من الطبيعي أن يتحصن الإنسان داخل ملابسه، فكان الرجال يرتدون أغطية الرأس مثل القاوون واللبادة والقالباق والقلنسوة، و مازال بعضها سائداً حتى اليوم في البلاد الإسلامية (كالعمامة والغترة والكوفية والعقال والطاقيّة والطربوش.. الخ) .

وكانت النساء يغطين رؤوسهن بالخمار ليحمين أنفسهن من تقلبات الجو في الصحراء؛ كالرياح والأتربة والأمطار وأشعة شمس الصيف الحارقة إلا أن هذا لم يمنعهن من الاختلاط بالرجال والمشاركة في الحياة العامة وكن يشاركن في الحروب والمعارك وفي أوقات السلم كن يفدن إلى أسواق الأدب، مثل سوق عكاظ، فيستمعن إلى الأشعار والخطب وينشدن أشعارهن ويتبادلن الحديث مع الشعراء .. الخ وقد استمر هذا الوضع بعد الإسلام، فعندما ذهبت النساء إلى الرسول ليبياعنه لم يشترط عليهن حجاباً ولا نقاباً، وكانت النساء العربيات يزرن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويستفتينه في شتى الأمور وكان يزورهن في بيوتهن فيستقبلنه ومن معه و يكرمن وفادته، وكن يذهبن إلى المسجد للاستماع إلى خطبه وخطب الصحابة في أوقاتها حتى صلاة الفجر، وكان صوتهن يرتفع فيلقين الأسئلة على الرسول الكريم و يتلقين العلم على

يديه و يجادلنه أحياناً (سورة المجادلة) ويعترضن على ما يقوله الصحابة، كما حدث مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى اعترف بأنه أخطأ و أصابت امرأة. وفي غزوات الرسول ثم بعد ذلك فى فتوحات المسلمين شاركت النساء بالتمريض وبالقتال بالسيف ورمى القوس وقد سميت المعركة بين علي رضى الله عنه ورجال معاوية، طلحة والزبير، بوقعة الجمل لأن عائشة حضرتها في الكوفة، وكانت تحرض الفريق المناهض لعلي وهي جالسة ترقب المعركة في هودج على جمل. وقد ظلت النساء المسلمات يخرجن مع رجالهن إلى ساحة القتال و يشاركن في الحروب حتى انهزمت الدولة الأموية، وبدأت الدولة العباسية التى ساد فيها الفرس وغلبت عاداتهم وأعرافهم على المجتمع العربي في بغداد، ومنه إلى بقية المدن العربية التى اجتاحتها الفرس، وأسبغ فقهاؤهم على الحجاب الصبغة الدينية واعتبروه نظاماً إسلامياً.

(قصة السفور والنقاب. د. محمود سلام زنتى ص: ٧٤)

كان أبو مسلم الخراسانى (الفارسى) قائد جيش بنى العباس أول من منع خروج النساء مع الجند. وفي العصر العباسى ازداد وضع الأحاديث (اختلافها ونسبتها زوراً إلى رسول الله (ص) أو الصحابة).

مما سبق نرى أن الحجاب والنقاب والفصل بين الجنسين (الحريم) عادات قديمة سنتها مجتمعات أخرى، ولم تكن خاصة بالعرب أو المسلمين وحدهم لكى تصبح علماً وأشارة إلى هويتهم يتشبثون بها لتمييزهم عن غيرهم إلى آخر التاريخ. والجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. كتب نحو خمسين ومائة من الكتب المختلفة أشهرها «الحيوان» و«البخلاء» و«البيان والتبيين»، ولد بالبصرة فى سنة ١٥٩هـ . ورحل إلى بغداد وتوفي في سنة ٢٥٥هـ). الذى عاش في نفس عصر ابن المقفع واطلع على علوم اليونان وأخذ كثيراً من أفكارهم ونظرياتهم، لم ينحرف وراء تيار ازدياء المرأة الذى قادة ابن المقفع، ودافع عن المرأة متأثراً بثقافته الإسلامية.

الرق قبل وبعد العصر العباسي

كان الرق (حيث كان الإنسان يباع ويشترى) نظاماً شائعاً بين كل شعوب العالم، لذا انقسمت المجتمعات القديمة إلى طبقتين: العبيد (ومنهم الإماء والجواري و الغلمان والآغوات والماليك..الخ) وهم إلى جانب عامة الشعب الذين يستعبدونهم الفقر المدقع أغلبية ساحقة، ثم الطبقة الثانية وهي الأقلية بالطبع؛ من الحكام والأثرياء وهؤلاء نساؤهم حرائر محصنات. وكانت الحروب هي التي تحدد مصير البشر، فالجيش المنتصر يغنم أرضاً جديدة لقبيلته أو شعبه، ويسترق رجالها بما في ذلك ملوكها وسادتها، ويسبي نساءها وكان السيد يملك مصير عبده كاملاً ومن حقه أن يبيعه هو وأبناءه، أو يقدمه هدية أو حتى يقتله، فلا يحاسبه أحد، وكان العبد يجبر على العمل ليلاً ونهاراً تحت السياط في خدمة سيده، وعليه أن يطيعه طاعة عمياء، فلا يحق له الشكوى ولا الهرب منه، وقد وصل الأمر إلى أن كان بعض الشعوب يدفنون العبيد أحياء مع أسيادهم إذا ماتوا، ليكونوا في خدمتهم في العالم الآخر. وفي زمن الإمبراطورية الرومانية كان السادة يغرمون بمشاهدة المصارعات بين عبد وأسد أو نمر، يتم تجويعه ليكون أكثر وحشية وضراوة في المصارعة، أو بين عبيدين بشرط أن يقتل أحدهما الآخر في نهاية المباراة. ولم يخرج الفلاسفة القدماء على هذا النظام بل أيّدوه وفلسفوه، ورأى أرسطو أن الناس ينقسمون إلى مخلوقين للسيادة ومخلوقين للطاعة، وأن العبد حكمه حكم الآلات الحية التي تنتج وتعمل بلا تفكير. أما أفلاطون فلم يكتفي بذلك بل عزا التفرقة بين البشر إلى الإله، وأنه وضع في طينة البعض ذهباً ليتمكن من أن يكونوا حكاماً، و وضع في طينة البعض فضة ليكونوا سادة قومهم، أما العبيد فقد وضع في طينتهم نحاساً وحديداً لكي يتمكنوا من أداء أشق الأعمال بلا كلل. وكثير من الصحابة جرى عليهم الرق كبلال حبشياً وسلمان وكان فارسياً، وصهيب وكان يلقب بالرومي، لأن الروم أسرته من

الأيلة ونشأ بالروم.. الخ، وأهدى رسول الله حسان بن ثابت (سيرين) وكانت أمه قبطية فولدت عبد الرحمن بن حسان.

(فجر الإسلام أحمد أمين مكتبة «الأسراء ٢٠٠٠» صفحة ١٣٦)

وقد أيدت الأديان وجود الرق أيضاً ففي اليهودية في الأصحاب العشرين من سفر التثنية في العهد القديم يمكن الاسترقاق بشرط التفرقة ما بين العبد اليهودي و غير اليهودي إذا اشتريت عبداً عبرانياً فيخدم ستّ سنين، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً، أما غير العبراني فيسترق إلى مماته هو وذريته. والمسيحية لم تحرم الرق ولم تشجع أتباعها على إلغائه. وكان العرب قبل الإسلام مثل سائر الشعوب ينقسمون إلى سادة وعبيد، والمرأة، في الجاهلية، كانت واحدة من اثنتين؛ إما من الجوارى (الإماء)، أو من «الحرائر»، وقد بلغ الرقيق من الكثرة مبلغاً جعل منه طبقة اجتماعية كبيرة. (الجوارى والشعر في العصر العباسي الأول. د. سهام عبد الوهاب الفريخ. شركة الربيعان للنشر (التوزيع. ط ١١ - ١٩٨١).

الخلاصة

نقول: ان الله تعالى خلق الانسان لهدف وغاية وحكمة وجعله مختار وأتمّ عليه الحجة بالهداية الفطرية وبعثة الانبياء مبشرين ومنذرين وهاديين. ومن المسائل التي اولاهها الشارع المقدس عناية فائقة هي مسألة الحجاب لحضورها ودورها الفعال في الحفاظ على الفرد والأسرة المجتمع.

زرع الله تعالى حبّ التستر والعفاف في قلب الانسان لولا تدخل التربية فتقلع جذوره ويبقى نداء الضمير وصرخة الحق تعلو ولا يعلى عليها.

ومن اهمّ فوائد الحجاب هي المحافظة على الأسرة وحفظ كرامة المرأة من الابتذال والفساد والرجل من الوقوع في الحرام ولو نظرة سهم من سهام ابليس وكم من نظرة لحقتها حسرة. وقد حاولت أن اطرح مسألة الحجاب

بأسلوب محبوب إلى اختي في العقيدة والايمان. اختي التي منحها الله من صفاته الكمالية والجمالية من الرحمة والعاطفة لكي تكون سكنى لأسرتها الرابطة المقدسة في الاسلام.

فهرس المصادر والمواضيع

القرآن العظيم (الأحزاب / الآية ٥٩) و(النور: ٣١) و (النحل: ٥٨ و ٥٩)

أمير المؤمنين عليه السلام / نهج البلاغة

الامام الخميني في كتابه/ الاربعين حديث

الآصفي، محمد مهدي / الهوى في حديث اهل البيت

ابن خلدون / المقدمة

بركة اقبال / الحجاب

الجاحظ / في رسالة القيان

حسينى نزار، جعفر / عذراء العقيدة والمبدأ (بنت الهدى)

السيد فضل الله / دنيا المرأة

الشاكري حسين / العقيلة زينت والفواطم

الشيخ الجوادى الأملى / جمال المرأة وجلالها

الشهيدة بنت الهدى/ المرأة مع النبي في حياته وتشريعاته

الشيرازين، محمد / الفضيلة الاسلامية

عبدالحسن الغفار، عبد الرسول / المرأة المعاصرة

الكعبي، على موسى / سيدة النساء (فاطمة الزهراء)

للكليني/ اصول الكافي

مكارم الشيرازي، ناصر / تفسير القرآن، الأمثل

المودودي، ابو الأعلى / الحجاب

المطهري، الشهيد مرتضى / مسألة الحجاب

المطهري، الشهيد مرتضى / نظام حقوق المرأة في الاسلام

المطهري، آية الله مرتضى / حقوق المرأة في الاسلام

الموسوي الزنجاني، على موسى ابراهيم / فلسفة الاخلاق الاسلامية

مجموعة مقالات/ المؤتمر العالمي لمكانة المرأة من وجهة نظر الامام الخميني قدس سره
مجلة العربي ٥١٣ / ١ - ٨ / ٢٠٠١
المهريري، مهدي / المرأة في الاسلام وايران
النراقي، محمد مهدي / جامع السعادات
نور الدين فضل الله، مريم / المرأة في ظلّ الاسلام

راجية قبول الجهد اليسير من الحق تعالى
والحمد لله رب العالمين

دراسة المفاهيم المشتركة في شعر الشعراء الفلسطينيين المشهورين

رمضان علي نامدارپور

عضو الهيئة العلمية / جامعة آزاد الإسلامية بمدينة بابل

الدكتور بهروز الفشار

عضو الهيئة العلمية / جامعة آزاد الإسلامية بمدينة بابل

احسان علي فيروز جانيان

ماجستير في اللغة والأدب العربي ومدرّس بمدينة بابل

ملخص المقال:

كثيراً ما نسمع عن الادب الفلسطيني المعاصر أو أدب الانتفاضة لشعراء فلسطينيين؛ وكتبنا في العدد الرابع عشر من مجلة آفاق الحضارة الإسلامية مقالاً عنوانه «الشاعر المعاصر، محمود درويش، والخصائص المؤثرة في شعره» لكننا قد توسعنا في هذا الموضوع في اطروحة عنوانها «دراسة المفاهيم المشتركة في شعر الشعراء الفلسطينيين المعروفين».

ليس المقصود في هذا المقال اختيار عدة قصائد لكل شاعر أو شاعرة لأن ذلك يجعل المقال موسعاً ومسهباً. بل اكتفينا باختيار نماذج محدودة لعدد من الشعراء المعروفين، وهذا يعطي فكرة واضحة عن مأساة الشاعر وتجربته

الشعرية. وإن لم تعبر تعبيراً كافياً عن تجربته الشعرية. ولذا نترك المجال أمام من يرغب المزيد، للرجوع إلى دواوين الشعراء وإلى الكتب التي كتبت عن حياتهم وشاعريتهم. لا يهمنا الشكل الشعري بل المهم هو المحتوى والمضمون والجودة. وقد حاولنا قدر طاقتنا إختيار قصائد قصيرة ومقاطع من بعض القصائد الطويلة.

يبدو أن الشعراء الفلسطينيين جميعهم معروفون، فمنهم ابراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١م) عبدالرحيم محمود (١٩١٣ - ١٩٤٨م)، أبوسلمى (١٩١١ - ١٩٤٨م) معين بسيسو (١٩٢٧ - ١٩٨٤م) جبرا ابراهيم جبرا (١٩٢٠ - ١٩٩٤م) محمود درويش (١٩٤٢م) هارون هاشم رشيد (١٩٢٧م) توفيق زياد (١٩٣٢ - ١٩٩٤م) فدوى طوقان (١٩١٧ - ٢٠٠٣م).

ولاشك ان الكتابة حول جميع الشعراء الفلسطينيين يستغرق وقتاً واسعاً وهذا ليس ما نقصده. لكننا اخترنا- قدر المستطاع- أربعة شعراء منهم، وهم ابراهيم طوقان، شقيقته فدوى طوقان، عبدالرحيم محمود ومحمود درويش. وهؤلاء قد عملوا ليلاً ونهاراً من أجل احقاق حقوق الشعب الفلسطيني المناضل.

الحقيقة هي أن معظم الشعراء الفلسطينيين يُعَبِّرون عن الوطن غالباً، وعندما يكتبون عن الحرية، العودة، العدو، الاحتلال و...، فهم يقصدون وطنهم الفلسطيني. ولذلك فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يَشُقُّوا غياهب الظلمة والوهن بنور مصابيحهم.

الكلماتُ الرئيسة: الوطن؛ المقاومة، الحرية، العودة، العدو.

المقدمة: الغاية من هذا المقال تبين المفاهيم المشتركة الموجودة في شعر شعراء فلسطين المشهورين الذين نظموا الشعر ولا يزالوا ينشدون الشعر للوطن الفلسطيني وحرية الشعب الفلسطيني. ونعترف بأن هناك شعراء

معروفين اهتموا بقضية فلسطين ومأساتها، ولم يتسع المجال في هذا المقال الإشارة اليهم جميعاً. إنَّ الشعراء الفلسطينيين جميعهم لهم قيمة ولكننا اكتفينا بأربعة من الشعراء الذين ذكرناهم، لظننا بأنهم أرجح من الآخرين. لأن ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود كانا في طليعة الشعراء الأوائل حيث عبّرا تعبيراً ذا أثرٍ بليغٍ بلغةٍ ناريةٍ محكمة البناء عن عواطف الفلسطينيين فبلغا بذلك قمة الشهرة عند العرب. اما فدوى طوقان فهي الشاعرة الفلسطينية التي اهتمت بقضيتها ووطنها وشعبها فهي من كبار الشواعر الفلسطينيات. اما محمود درويش فيقولُ عنه الدكتور رابرت.ب. كامبل : إنَّ أفضل من يمثل روح المقاومة الفلسطينية هو الشاعر الفلسطيني محمود درويش، فخلال تلك السنوات كان قادراً على تصوير الواقع الفلسطيني من جميع جوانبه، مازجاً بين المأساة وبين الهزيمة بأسلوبٍ متجدّد يظهر فيه الفلسطينيُّ بطلاً وضيحةً في آن واحد.

(اعلام الادب العربي المعاصر، ١٤٣)

دراسة المفاهيم المشتركة في شعر الشعراء الفلسطينيين المشهورين:

بما أنَّ الشعراء الفلسطينيين كلهم نظموا - إلى حدٍّ ما - حول قضية مشتركة، هي قضية بلدهم فلسطين، وعن مأساتها ومعاناتها. فإننا نسعي أن نختار المفاهيم و المضامين المشتركة والموجودة في دواوينهم وكتبهم وشعرهم؛ وهي الحرية، المقاومة، الوطن، العودة و ...

المقاومة:

المقاومة هي إحدى مميّزات الادب الفلسطيني المعاصر الذي يدعو الناس إلى النضال والجهاد ضدّ العدو الصهيونيّ والمحتلّين الغاصبين. فوجد أدب المقاومة طريقه بشكلٍ جيّدٍ نحو الأمام لأنّه يحسّ المصائب والمشاكل والكوارث من قريب يلمسها. ويدرك بأنّه يجب عليه أن يدعو الشعب العربيّ الى الجهاد ضدّ أي عدوٍّ بصورة واعية.

تقول فدوى طوقان في قصيدة « هو وهي » مشيرة إلى محنة الشعب الفلسطيني . هم يتحملون هذه المحنة من أجل الحياة والحرية ويقدمون يومياً من أجل وطنهم شهيداً .

وصورت أمتها في هذه القصيدة هكذا:

وفتحت عيني على أمة

ونمتني وفي عنقها ألف نير

تتناضل رغم قيود الجديد

لأجل الحياة لأجل المصير

فكنت ابن جيل حبا فوق أرض

يخضبها كل يوم شهيد

ضحايا يعب دماها الطغاة

ويروي بها الحاكمون العبيد

وقمت أثور مع الثائرين

لأحطم نير عبوديتي

وارخص تحت عجاج الكفاح

دمائي من أجل حريتي

(ديوان فدوى طوقان ، ٢٨٥)

كذلك يدعو الشاعر الشهيد، عبدالرحيم محمود الناس إلى الجهاد والمقاومة على لسان الوطن الذبيح في قصيدة «نداء الأرض»، ويقول:

دعا الوطن الذبيح إلى الجهاد فطارَ لفرط فرحته فؤادي

و سابتُ الرياح و لا افتخارُ أليس عليّ أن أفدي بلادي

حملتُ على يدي روعي وقلبي وما حملتها إلّا عتادي

(موسوعة الادب الفلسطيني المعاصر ، ٤٢٩)

ويشبه في هذه القصيدة جنود الوطن وأبناء الشعب الفلسطيني بأساد غصاب في ساحة القتال من أجل الوطن، ويقول:

فلاوطان أجناداً شداة يكيلون الدمار لأي عاد
يلاقون الصعاب ولا تشاكي أشاوس في ميادين الجلاذ
تراهم في الوعى' أسداً غضاباً معاويناً إذا نادى المُنادي
أَتَقَعْدُ و الحمى' يرجوك عوناً وتجنُّ من مُصاوِلَةِ الأعادي
بني وطني دنا يوم الضحايا أغرَّ على ربي أرض المعاد
فسيروا للنضال الحق نارا تصبُّ علي العدي في كل واد
قفوا في وجه أي كان صفاً حديداً لا يؤولُ إلى انفراد ..

(موسوعة الادب الفلسطيني المعاصر ، ٤٢٩-٤٣٠)

الشاعر المعاصر الكبير محمود درويش الذي يكتب حتى الان عن مسألة فلسطين والذي يعلن « مهمتي هي حماية هوية شعبي » « مجلة العالم ، ٤٥ » . وهو يدعو الناس إلى الجهاد والمقاومة عن لسان أبيه في قصيدة «أبي» وهو يقول :

غَضَّ طرفاً عن القَمَرِ
وَأَنحنى' يَحضُنُ الترابِ
وَ صَلَّى ... لِسماءِ بلا مطرِ
وَ نهاني عَنِ السفرِ!
وَ أَبِي قال مَرَّةً
حين صَلَّى على حجرٍ:
غَضَّ طرفاً عن القَمَرِ
وَ أَحذرِ البحرِ والسَّفَرِ!
وفي النِّهاية يقول :
وَ أَبِي قال مَرَّةً:
الَّذي ما له وطن
ما لَه في الثرى' ضريح

... و نهاني عن السقر!

(ديوان محمود درويش، ١٤٤)

عبارة « ونهاني عن السقر » تكون رمز المقاومة أمام الأعداء الصهاينة.

يقول ابراهيم طوقان أيضاً معاتباً قومه وداعياً لهم إلى المقاومة بهذه الأبيات:

ولو كان قومي أهل بأسٍ ونخوةِ إذنْ أصبحتْ للطامعين بها قبراً

ولكنهم قد آثروا السَّهْلَ مركباً تُسيرُهُ الأهواءُ واجتنبُوا الوعرا

(موسوعة الادب الفلسطيني المعاصر، ٣٢٥)

يقول ابراهيم أيضاً:

وطني أنت لي و الخصمُ راغمِ وطني أنت كلُّ المُنَى...

يا شبابنا انْهَضُوا وارفعوا عاليًا مجدكم خالدًا ساميًا

(ديوان، ٥٢٢)

الحرية:

يُطالبُ معظم الفلسطينيين الحرية والاستقلال لوطنهم المغصوب وهم يريدون تحرير الوطن من الصهاينة المحتلين. لهذا السبب ترددت أصداؤهم في شعر شعرائهم . كانت قصائد فحول الشعراء تثير الشعور الوطني وتدعو الى الكفاح والنضال و المقاومة من أجل الحرية.

تقول الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان في قصيدة «حرية الشعب»:

حُرِّيَّتِي!

حُرِّيَّتِي!

حُرِّيَّتِي!

صوتٌ أرذدهُ بِمِلءِ فمِ الغَضَبِ

تحت الرصاص و في اللهبِ

و أظلّ رغمَ القيدِ أعدوْ خلفها

و أظلّ رغمَ الليلِ أقفوْ خطوها

وأظلّ محمولاً على مَدِّ الغَضَبِ

و أنا أناضلُ داعياً حرّيتي!
ويُعبّر محمود درويش في ديوان مديح الظّل العالي عن حرّيته بالفوضى
بأسلوب آخر:
حرّيتي فوضاي. إنّي أعترف
وسأعترفُ
بجميع أخطائي، وما اقتترفَ الفؤادُ من الأمانِي
ليس من حقّ العصافير الغناء على سرير النائمين

(ديوان، ٣٢، ٣)
ويعتقد إبراهيم طوقان بأنّ اسباب حرّية الأمة وتقدّمها وكرامتها كلّها مبنيّة
على العناصر الّتي جاءت بها الشرائع السّماويّة والنّظم الدنيّة. وهو يرى كل
شيء في القرآن الكريم:

حرّية أيّ الكتاب وسؤدّدُ وعزيمة وكرامة وإياءُ
ناديتُ قومي لا أخصّص مسلماً أبناء يعرب في الخطوب سواءُ
إنّ الكتاب شريعة استقلالكم فتدبّروه وأنتم الخلفاء...

(ديوان، ٣١٢)

لقد كان شعر محمود درويش صاعقةً تنزل على الصّهاينة وشظايا من نارٍ
تحرق جلودهم ويوقظ الشعب من سباته ويدفعهم الى الثورة على الظلم
والكفاح من اجل الحرّية، يقول في ديوانه:

دُمّ جدي عائد لي فانتظريني

(ديوان، ٦٤)

آخر الليل نهارُ

تقول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة (هو وهي):

وحاربتُ يا ليل، حاربتُ من أجلِ

حرّية الوطن العربي...

ويكافحُ مثلي لأجل الخلاص

(ديون ، ٧-٢٨٦)

ويرنو إلى عالم أفضل

٣ أمل العودة الى الوطن:

يعيش قسمٌ كبيرٌ من أبناء فلسطين خارج الوطن المحتلّ ويتركز معظم هؤلاء اللّاجئين في الدول المجاورة وأهمّها الاردن ولبنان وسوريا - يعيش خارج فلسطين حوالي اربعة ملايين فلسطيني - ولاننسى أنّ هناك عدداً من المخيمات داخل الوطن المحتلّ، وما زال عددٌ كبيرٌ منهم يحملون مفاتيح بيوتهم أملاً في العودة.

(تاريخ فلسطين ، ٣٢٧)

فتردّد صدى العودة في شعر الشعراء، كانت قصائدهم تثير الشعور الوطني، كانت هذه القصائد حمماً من نار تنزل على الصهاينة المحتلين فتزهق كيانهن وتفضح تواجدهم فوق الارض الفلسطينية.

يرى محمود درويش كل شيء في الوطن حيث يقول:

ما قيمة الانسان

بلا وطن

بلا علم

و دونما عنوان

ما قيمة الإنسان؟

(ديون محمود درويش ، ٣٣)

ويواصل:

أصواتُ أحبابي تشقُّ الريحَ، تفتحُ الغُصُونُ

يا أمّنا انتظري أمامَ البابِ، إنّنا عائدونَ

هذا زمانٌ لا كما يتخيّلونَ...

بمشيئةِ المَلّاحِ تجري الرّيحُ...

والتيّارُ يغلبُ السفين!

ماذا طَبَخْتَ لَنَا؟ فَأَنَا عائدون!
(ديوان ، ١١٣)
كلمة «عائدون» في الواقع رمزُ رجوع الوطن الى أهله واخراج الصهاينة من الوطن. وهذه المفاهيم موجودة في عبارات اخرى من ديوانه حيث يُعبّر عن وطنه بحقيبة سلبية وعن اللّاجئين بمسافرين:

آه يا جُرْحي المكابرُ
وطني ليسَ حقيبة
وأنا لستُ مُسافرُ
إنّني العاشقُ والأرضُ حبيبة!
(ديوان ، ٣٤٧)

تقول فدوى طوقان في قصيدة (تداء الارض):
تمثّل أرضاً نَمَتَهُ وَغَذَّتَهُ

من صدرها الثرّ شيخاً وطفلاً...
أَتَغْضِبُ أَرْضِي؟ أَيْسَلَبُ حَقِّي وَأَبْقَى أَنَا
حليف التشرّد اصحاب ذلّة عاري هُنا
أَبْقَى هُنا لأموت غريباً بأَرْضٍ غريبةِ
أَبْقَى؟ وَمَنْ قالها؟ سأعودُ لِأَرْضِ الحبيبةِ
بل سأعودُ، هناك سيطوي كتاب حياتي
سينحوُ على ثراها الكريم ويؤوي رُفاتي
سأرجع لأبَدَ من عودتي
سأرجعُ مهما بدت محنتي

(ديوان، ٥-١٥٣)

تشير إلى أنّ هذه الارض لنا ولابدّ لنا أن نرجع إلى وطننا وعبرت عن ذلك في شعرها بعبارة «لابدّ من عودتي وسأرجع» وهي رمز الرجوع الى الوطن المغصوب.

يقول د. تيسير جبارة: «حاول عددٌ من اللاجئين تخطي الأسلاك الشائكة والدخول إلى الأرض المحتلة إلى قراهم ومدنهم، فمنهم من كان يلقي حتفه من القناصة اليهود ومنهم من كان ينجح في العبور، لذا شكل أرئيل شارون وحدة عسكرية من الجيش الإسرائيلي تدعى وحدة رقم ١٠١ هدفها العمل وراء حدود إسرائيل أي داخل الدول العربية المجاورة وفرض هيبة إسرائيل على المنطقة وإجبار الدول العربية على منع اللاجئين الفلسطينيين من محاولة الرجوع إلى بيوتهم وممتلكاتهم». (تاريخ فلسطين، ٣٢٨) ولكن الفلسطينيين وبالأخص الشعراء يدعون الناس إلى المقاومة ويأملون الرجوع إلى وطنهم وهم معتقدون بخلود وطنهم.

تقول فدوى طوفان في قصيدة «حمزه»:

إصمدي، لا تضعي يا ابنة عمي تحصدها نارُ الجريمة
والتي تنكش اليوم بحزنٍ وسكوتٍ
هذه الأرض ستبقى

قلْبُها المغدورُ لا يموتُ (ديوان، ٣-٥٤٢)

وهي تعلن في هذه القصيدة سبب الحياة والموت في فلسطين:

يا فلسطين، إطمئني

أنا والدار وأولادي قرابين خلاصك

نحن من أجلك نحيا ونموتُ (ديوان، ٥٤٥)

يُكرّر إبراهيم طوقان في قصيدة «موطني الجلال والجمال» نفس هذه المضامين:

موطني الشباب لن يكلَّ	همّة أن تستقلّ أو يبيد
نستقي من الردى	ولن نكون للعدى كالعبيد
ذلّنا المؤبدا	ولا نريدُ عيشنا المنكدا
لا نريد	بل نعيد

مجدّنَا التليد

(ديوان، ٥١٢)

وما أجمل كلام محمود درويش في هذا المجال :

وأكتبُ عنكِ بلاداً

ويحتلّها الآخرون...

(ديوان، ٤٩١)

...كنتُ أعودُ إلى الأرضِ.

الوطن:

من الموضوعات الهامة التي اهتم الشعراء الفلسطينيون بها اهتماماً بالغاً هي الوطن، في الواقع لا نرى شيئاً أهم من الوطن في اشعارهم. كلما انشدوا الشعر في موضوعات مختلفة يُنشدون حول وطنهم، فلسطين. نستطيع أن نعبر عن جميع الشعراء الفلسطينيين شعراء الوطن، شعراء الحب، شعراء فلسطين.

وفي هذا المقال نذكر بعض الخصائص المؤثرة في شعرهم:

الف: بأنهم يتذكرون قضية شعبهم .

ب: كان شعرهم يوقظ الشعب من نومه و غفلته .

يشير ابراهيم طوقان الى هذه المميزات في شعره:

وطني أنت لي والخصم راعِمُ	وطني أنت كل المني
وطني إنني إن تسلم سالمُ	وبك العِزُّ لي و الهنا
يا شبابنا انهضوا	آن أن نهضنا.
ولنعْلُ الوطن	فلنعم الوطن
وانهضوا و ارفعوا عاليًا	مجدكم خالداً سامياً
وطني مجده في الكونِ أُوحد	وطني صافح الكوكبا
وطني حسنه في الكون مفرد	جنة سهله و الربى

(ديوان، ٣-٥٢٢)

ويقول في قصيدة أخرى وهو يُضحّي نفسه لبلاده معلناً بصوت حارّ :

إنّ قلبي لبلادي لا لحزبٍ أو زعيم
لم أبغته لشقيقٍ أو صديقٍ لي حميم

(ديوان ابراهيم طوقان، ٣٢٣)

ويجدّد محمود درويش هذه المضامين بعبارة جميلة اذ يقول:

هذه الارض جلد عظمي وقلبي

عَقُونِي على جدائل نَخْلَةٍ

وَأَشْنُقُونِي... فلن أخونَ النخلة!

هذه الارضُ لي ... وكنتُ قديماً

أحبُّ النَّوْقَ راضياً و مؤلّه...

وطني ليسَ قصّة أو نشيداً

ليسَ ضوؤه على سِوَالفِ نَخْلَةٍ...

هذه الارضُ جلدُ عَظْمِي

وَقَلْبِي...

(ديوان، ١٦٤)

ويعبّر ابراهيم طوقان هذا المعنى بعبارة أخرى في ديوانه حيث يخاطبُ

الوطنَ و التاريخ :

ديننا حُبُّكَ يا هذا الوطن - سرُّنا فيه سِوَاءَ والعَلَن

فارو يا تاريخُ واشهد يا زَمَن

قد رأينا النارَ يعلوها الرّماد

يا فلسطين فقمنا للجهاد .

(<http://www.poetsgate.com>)

العدو:

المحتلّون هم سبب كل المصائب والمشاكل التي اصيب بها المسلمون الفلسطينيون في الارض المحتلة. بدأ كفاحهم ضد الصهاينة المحتلين يوم دنس المحتلّون أرض الوطن، وتصدّى لهم أبطال من ابناء الشعب في معارك كثيرة. قد أسهم معظم الشعراء - لاسيما الشعراء الذين اخترنا هم لبحثنا- بوضع العديد من الأناشيد الوطنية.

الشعراء يعرفون اعداءهم جيّداً. يقول ابراهيم طوقان مخاطباً قومه:

يا قومُ ليس عدوّكم من يلبسُ ويرحمُ

يا قومُ ليس أمامكم إلّا الجلاءَ فحزّموا

(ديوان، ٣٤٣)

وأيضاً يقول:

لاتسمّعوا كذبَ الوعود أعداؤنا خائّوا العهود

في مواقفه الوطنية لم يكتف بصنّب نار الغضب على المحتلين بل اشرك بهذا الغضب الإقطاعيين وكبار الأثرياء وكان يعتبر الكيان الصهيونيّ المسؤول الاول عما يعاني الشعب من جوع وبؤس يشاركه في ذلك كبار الأثرياء والإقطاعيون الذين يسلبون اموال الشعب و ينهبونها:

أما سماءُ سِرّةِ البلادِ فَعُصْبَةٌ عارٌ على أهلِ البلادِ بقاؤها

إيليسُ أعلنَ صاغراً إفلاسَه لما تحقّقَ عنده إغراؤها

(ديوان، ٣٣٥)

ويصّبُ الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، جام غضبه على بعض زعماء العرب، الذين كانوا سبباً في الهزيمة وعلى الزعماء الذين يؤثرون مصالحهم على مصالح أمتهم وفي النهاية يستببون هزيمتهم وفشلهم. يقول الشاعر الشهيد مخاطباً الامير سعود بن عبدالعزيز عند زيارته القدس والمسجد الاقصى في

سنة ١٩٣٥:

يا ذا الـاميرُ أمام عينِكَ شاعرٌ
قَسَتْ على الشكوى المريرة أضلَعُ
المسجدُ الاقصى، أجنَّتْ تزوره
أم جنَّتْ من قبل الضياع تودُّعُه ؟
حرْمٌ تباحُ لِكُلِّ أوْكَعَ أبقي
و لِكُلِّ أفاقٍ شريدٍ أربُع
(الاتجاهات، ٣٧٧)

أما محمود درويش يعرف أمريكا كعدو خارجيٍّ معبراً عنه بالطاعون كما
يقول في ديوانه:

وأمريكا هي الطاعون

والطاعونُ أمريكا

و أمريكا لأمريكا .

(ديوان، ٣٨، وشريط مسجل)

عندما يتحدث الشعراء الفلسطينيون عن الحبيبة، الأم، الحب، الارض،
البرتقال، الزيتون، الوطن، القبة، ريتا، خديجة، فاطمة،... يعبرون في الواقع
عن فلسطين وعندما يتحدثون عن اللص، الذئب، السرحان، الليل، الخفاش،
الدم،... يعبرون عن الصهاينة المحتلين.

خلاصة القول :

القضية الفلسطينية هي التي شغلت وجدان الشعراء. والشعراء الفلسطينيون
كلهم -وبالاخص الشعراء الذين كتبنا حولهم- محبّون للشعب المناضل الذي
يواصل الكفاح والجهاد من أجل تحرير الوطن المحتل ولا يستسلم للفشل ولا
يستكين. يلوم الشعراء الزعماء وينذد بخياناتهم كما يلومون بني قومهم على
غفلتهم فالارض ليست تراباً وحسب بل هي فوق التراب وتحت التراب.
وهواء فلسطين هواء مقدس تتبعث منه نسيمات قدسية تملأ فضاء العالم. لكن
الذين اسهموا في مأساة فلسطين وارتكبوا جرائمها قد دنسوا هذا الهواء ولا بد
من ان يأتي اليوم الذي يطهر فيه هذا الهواء من الزفرات السامة .

قد وجد الشعراء الفلسطينيون أنهم ورثة لوضع سياسي موجود ومعقد.
لذلك نجد في شعرهم إثارة الشعب العربي المسلم وتحريضهم على القيام

بثورة يطردون بها الغاصب والمحتلّ ويبدون في اشعارهم شوقهم وحنينهم إلى أرض فلسطين وترابها.
في النهاية أنّ هؤلاء الشعراء شعراء المقاومة، الوطن وفلسطين.

المصادر :

١. الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، منشورات اتحاد كتاب وادباء الامارات، الطبعة الاولى، ١٩٩٦م .
٢. اعلام الادب العربي المعاصر، د. روبرت ب. كامبل، المجلد الاول، مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٦م .
٣. تاريخ فلسطين، د. تيسير جبارة، دار الشروق للنشر و التوزيع عمان، الطبعة الاولى، ١٩٩٨م .
٤. ديوان ابراهيم طوقان، بقلم احمد طوقان، دارالعودة، بيروت، ١٩٩٧م .
٥. ديوان فدوى طوقان، دار العودة، بيروت ، ٢٠٠٠م .
٦. ديوان محمود درويش، دارالعودة، بيروت، الطبعة الاولى، المجلد الثاني، ١٩٩٤م .
٧. مجلة العالم، رقم ٥٩٩، سنة ١٩٩٧م شعبان ١٤١٨ هـ .
٨. موسوعة الادب الفلسطيني المعاصر، الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٧م .

بنية مرآئي
الإمام الحسين عليه السلام
ومضامينها في ديوان الشريف المرتضى

الدكتور محمد اسماعيل زاده
عضو الهيئة العلمية
في الجامعة الإسلامية الحرة بتهريبز

أولاً : المقدمة :

الشريف المرتضى هو أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولد في دار أبيه بمحلة «باب المحول» من الكرخ ببغداد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ فيها ودُفن أولاً في داره ثم نُقل جثمانه الى جوار جدّه الإمام الحسين عليه السلام بكر بلاء .كان والده ابو أحمد الحسين الذي لُقّبهُ بهاء الدولة البويهى بالطاهر الأوحّد ذي المناقب يتولّى نقابة الطالبين وإمارة الحجّ والنظر في المظالم. ظلّ الحسين سيّداً عظيماً سياسياً ذا مكانة مهيبّة وكانت هيئته أشدّ من هيبة الخلفاء حتّى فقدَ بصره وتُوفي ببغداد

سنة ٤٠٠ هـ وكان لفقده أثرٌ بالغٌ على المرتضى وأخيه الرضى فرثاه المرتضى بمرثية تبلغ ٤٢ بيتاً وقال فيها :

وَلَا تَتَنَظَّرُوا مِنِّي ارْتِيَا حَاقاً فَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ مُوسَى بَارْتِيَا حِي
لَوَانِي مَا لَوَانِي عَنْ مُرَادِي وَحَالَ الدَّهْرُ دُونَ مَدِي اقْتِرَا حِي^٢

عنت بتربيته وتربية أخيه الشريف الرضى أمهما الحنون فاطمة بنت أبي محمد الحسن الملقب بالناصر الصغير عنايةً بالغةً خصوصاً عندما أحسَّتْ بعظمة المسؤولية المطروحة على عاتقها في غياب والدهما الذي صودرت أملاكه ثم أُعْتُقِلَ في قلعة بشيراز سنة ٣٦٩ هـ بحكم جائر من عضد الدولة البويهى فقصدت هذه السيدة الجليلة العلوية النسب شيخ الطائفة الإمامية وزعيمها الفقيه المتكلم محمد بن محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد راجيةً منه أن يتولَّى تعليمَ ولديه الشريفين^٣. درس الشريف المرتضى العربية على ابن نباتة السعدي والفقه والأصول على الشيخ المفيد والحديث على ابن بابويه القمي والأدب على المرزباني الكاتب .

اشتهر سيّدنا الأجلّ بالقباب منها : السيد، المرتضى، ذوالمجددين، علامة المفسرين، شيخ الأدباء ولقبه الوزير أبو سعيد محمد بن الحسين — « عَلمُ الهُدي » كما كان يلقبُ بالثمانين « لأنه أحرَزَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ثَمَانِينَ حَتَّى أَنَّ عُمُرَهُ كَانَ ثَمَانِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ »^٤.

كان المرتضى نحيف الجسم، أبيض اللون، حسن الصورة سمحاً جواداً ، ميّالاً الى الزهد ولم يكن متطرفاً في مذهبه وآرائه الفقهية وما كان يعبأ بالأخبار الضعيفة ولكنه كان يميل الى الأدلة العقلية مع ما يتفق مع الكتاب والسنة . ما كان يطمح بالخلافة والمناصب الحكومية تلقاه مصروفاً عن هذا المطمع مشغولاً بالعلم والدرس والتأليف بينما كان أخوه الشريف الرضى طموحاً لنيل الخلافة ويقال إنّ « الكاتب المشهور أبو إسحاق الصابي يطمعه فيها »^٥. كان ثرياً يجري على تلامذته رزقاً و« كان قد وقَّفَ قريةً على

كاغذ الفقهاء»^٧. وصفه أعداؤه بصفات ليست فيه كالبخل والترفع ومن البديهي لمن يتحلّى بهذه الصفات الطيبة أن يكون له حساد وخصوم وكلّ ذي نعمة محسود. ووصفه تلميذه الشيخ الطوسي بقوله :

« متوحّد في علوم كثيرة مجمع على فضله مقدّم في علوم كثيرة مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك »^٨ وهذا يغنينا عن الإسهاب في شرح مكانته العلمية.

الشريف المرتضى شاعرٌ فحلّ لكنه « لم يحظ في الشعر بمثل شهرة أخيه الشريف الرضي ولعلّ مرجع ذلك الى حساده »^٩ والى أنّه كان فقيه الشيعة الإمامية الأكبر وبعد شعره مرآة صادقة لعصره .

إنّ الشريف المرتضى إتخذ من داره الواسعة مدرسة سمّاها « دارالعلم » وشغف بجمع الكتب وكانت خزائنه تضمّ ثمانين ألف مجلّد على ما حصره وأحصاه صديقه أبو القاسم التتوخي^{١٠}. للشريف المرتضى مؤلّفات كثيرة في الفقه والأصول والكلام والتفسير والأدب والشعر ضاع كثير منها وأشهر ما بقي بين أيدينا هو :

١- أمالي المرتضى وأصل اسمه غرر الفرائد وذرر القلائد. في المحاضرات والأدب وتفسير الآيات وتأويلها وشرح الأحاديث وتوضيحها. فيه مجالس عدّة عديدة ذات فرائد فريدة من إملاّته في المجالس من بيان أحوال بعض السلف من الشعراء و المعمرين وتفسير الآيات المشكّلة وتأويل الأحاديث المعضلة. طبع بمصر في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ و طبع بايران ايضاً .

٢- إنقاذ البشر من الجبر والقدر. سمّاه بهذا الاسم في أوائل الكتاب بعد مقدّمة في بيان مبدء حدوث الأقوال في أفعال العباد وجعله في عدّة فصول وأولها في دعوة أهل الحق وبيانها وطبع في النجف الأشرف سنة ١٣٥٤هـ مع استقصاء النظر للعلامة الحلّي نشره الشيخ علي الخاقاني وصحّحه .

٣- الانتصار في انفرادات الإمامية. صنّفه للأمير الوزير عميد الدين في بيان الفروع التي شنع على الشيعة بأنهم خالفوا فيها الإجماع فأثبت أن لهم فيها موافقاً من فقهاء سائر المذاهب وأن لهم عليها حجة قاطعة من الكتاب والسنة.

٤- كتاب البرق . في علم الأدب وذكره الشيخ في الفهرس .

٥- الملخص في أصول الدين . وعناوينه باب الكلام في الصفات، باب الكلام في نفى الرؤية، باب الكلام في العدل، باب الكلام في الإرادة ، باب الكلام في الكلام، باب الكلام في المخلوق ، باب الكلام في الإستطاعة وكل هذه الأبواب عدة فصول ومجموع الفصول الموجودة نيف وثمانون فصلاً .

٦- كتاب الشيب والشباب . وأسماء النجاشي الشهاب الشيب والشباب وهو في علوم الأدب جمع فيه المختار ممّا قيل في الشيب والشباب . طبع بمطبعة الجوائب بقسطنطينة سنة ١٣٠٢هـ .

٧- مسائل الناصريات في الفقه. هي سبعة ومائتا مسألة منتزعة من « فقه الناصرية » تصنيف الناصر الكبير جد الشريف المرتضى من أمّه فاطمة بنت الناصر الصغير. قد شرحها المرتضى وصحّحها واستدلّ على صحتها من الكتاب والسنة والإجماع وهو مطبوع .

٨- الشافي في الإمامة وإبطال حجج العامة. تصدى فيه للردّ على كتاب « المغنى » للقاضي عبد الجبار المعتزلي فنقضه باباً باباً. وهو كتاب لم يصنّف مثله في الإمامة وهو مطبوع .

٩- شرح قصيدة السيد الحميري البائية المعروفة بالقصيدة المذهبة . طبع بمصر سنة ١٣١٣هـ .

١٠- الذريعة الى اصول الشريعة . ألفه مرتباً على فصول وقال في أوله : إنّي رأيت أن املي كتاباً متوسطاً في اصول الفقه . وقد حرّره العلامة الحليّ وسمّاه النكت البديعة في تحرير الذريعة ولخصه فريد خراسان بعنوان تلخيص مسائل الذريعة .

١١- جمل العلم والعمل أو جمل العقائد. ذكر فيه أولاً واجبات العقائد التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد الى آخر المعتقدات في الآجال والأسعار والأرزاق ثم ذكر سائر ابواب الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة وقال في آخره: ومن أراد المزيد في اصول الدين فعليه بكتابنا الموسوم بالذخيرة وأبسط منه الملخص .

١٢- كتاب الطيف والخيال أو طيف الخيال . وهو في علم الأدب .

١٣- كتاب التنزيه. وأسماء النجاشي تنزيه الأنبياء والأئمة طبع عدة مرات .

١٤- ديوان الشريف المرتضى أو ديوان علم الهدى. ديوان شعر يقرب من عشرين الف بيت مرتّب على سني نظمه .^{١١}

ثانياً : مراثي الإمام الحسين عليه السلام ومضامينها :

رثى الشريف المرتضى جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بأربع عشرة قصيدة تضمّ ستمائة وستّة وتسعين بيتاً في سبعة بحور هي الطويل، السريع ، الكامل، الوافر، الخفيف، الرمل والبسيط. لقد دافع المرتضى في هذه القصائد التي كانت تنظم عادة في يوم عاشوراء عن مبادئ الفكر الشيعي والتزم بالشيعية والتشيع التزاماً حقيقياً. تتناول هذه المراثي موضوعات كثيرة نضع أهمّها بين أيدي القراء بشكل موجز :

١- الوقوف الحزين على ديار آل البيت المُقفرات .

لايُثور المرتضى على المقدمات الطلّية وينقّد بسنن الشعر العربي. إنّه يقف على ديار الأحباب وأرض الطفوف حزيناً متحسراً راثياً أهلها ويسألها عن سكّانها الصوّم القوّم الذين ذُبحوا على شواطئ الفرات ضامنين في قوله:

قَفْ بِالذِّيارِ المُقْفِرَاتِ لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الشُّتَاتِ
عُجْ بِالْمَطَايَا النّاجِلَاتِ تَ عَلَى الرُّسُومِ المّاحِلَاتِ

واسأل عَنِ الْقَتْلَى الْإِلَهِي طُرِحُوا عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ^{١٢}
وَيَبْتَدِئُ مَرثِيَةً أُخْرَى بِقَوْلِهِ :

أَمَّا تَرَى الرَّبْعَ الَّذِي أَقْفَرَا عَرَاهُ مِنْ رَبِيبِ الْبَلْبِي مَا عَرَا
وَقَفْتُ فِيهِ أَيْنَقَاءَ ضُمُّرَا شَذَبَ مِنْ أَوْصَالِهَا السُّرْيَ^{١٣}

٢- ذكركثرة الحزن والبكاء لما أصاب الإمام الحسين عليه السلام وعدم الإستماع الى عتاب المعاتبين الذين يعذّلونه على أحزانه الكثيرة أويحثّونه على الصبر. نجده يذكر همومه الطويلة ودموعه الغزيرة الحارة على مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام ويقول :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ سَقَامٍ لَمْ أَجِدْ مِنْهُ طَبِيبًا؟

وَهُمُومٌ كَأَوَارِ النَّارِ يَسْكُنُ الْقُلُوبَا^{١٤}

تتهمر الدموع على الخدين بغزارة و لا تطيع صاحبها لأن المصيبة عظيمة جدًا :

فَلْيَ دُمُوعُ ثُبَارِي الْفَطَرَ وَاكِفَةً جَادَتْ وَإِنْ لَمْ أَقْلُ يَا أَدْمُعِي جُودِي^{١٥}

فَلَوْ نَهَيْتِ الدَّمْعَ عَنْ سَحْهِ وَالذَّارُ وَحَشَّ لَمْ تَطْعِ أَمْرِي^{١٦}

وَدَمْعٌ إِذَا حَبَسَتْهُ عَنْ سَبِيلِهِ يَغُودُ هَتُونًا فِي الْجُفُونِ هَطُولًا^{١٧}

ويعلن أنه لا طاقة له على الصبر إلا بالحسرة والتلهف :

تَقُولُونَ لِي: صَبِرًا جَمِيلًا وَلَيْسَ لِي عَلَي الصَّبْرِ إِلَّا حَسْرَةٌ وَتَلَهْفُ

وَكَيْفَ أَطِيقُ الصَّبْرَ وَالْحُزْنَ كُلَّمَا عَنَفْتُ بِهِ يَقْوِي عَلَيَّ وَأُضْعَفُ^{١٨}

٣- استعلان الحداد وذكر أن مصائب الطفّ العويصة تُثقل كاهل الشيعة وتُتسي أخواتها من المصائب ولا تُتسي بل تُبقي مصدر حزن الى الأبد . يستعلن الحداد في قوله :

إِنَّهُ يَوْمٌ نَحِيبٌ فَالْتَزِمَ فِيهِ النَّحِيبَا^{١٩}

و:

قد أَتَى مِنْ يَوْمٍ عَاشُوا راءَ مَا كَانَ بَغِيضَا
دَعِ نَشِيجِي فِيهِ يَعلُو وَثُمُوعِي أَنْ تَقِيضَا^{٢٠}

ويشير الى كون المصاب أليمةً عظيمةً للشيعة وللذين الإسلامي في قوله :

وَرَزَّةٌ حَمَلَتْ الثَّقَلَ مِنْهُ كَأَنِّي مَدَى الذَّهْرِ لَمْ أَحْمِلْ سِوَاهُ ثَقِيلَا^{٢١}
وَحُطُّوبٌ مُعْضِلَاتٍ بِتَنَ يَنْسِينِ الْخُطُوبَا
شَيْبَتٌ مِنِّي فَوَدَي ي وَلَمْ آتِ الْمَشْيِبَا^{٢٢}
وَرَزِيَّةٌ لِلَّذِينَ لَيْسَ سَتَ كَالرَّزَايَا الْمَاضِيَاتِ^{٢٣}
إِنْ يَوْمَ الطُّفِّ يَوْمٌ كَانَ لِلَّذِينَ عَصِيْبَا^{٢٤}

وهو مصاب عظيم لا يشبه أي مصاب سابق إنه أحزن رسول الله (ص) ورهطه في الملاء الأعلى :

مُصِيبَةٌ سَيَقَتْ إِلَى أَحْمَدَ وَرَهْطِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى^{٢٥}
٤- ذَكَرْنَا الذَّهْرَ يَكْرِغُنَا الْمَصَائِبَ وَفِي شَهْدِهِ حَنْظَلٌ .

يشكو المرتضى من الدهر ويذمه لأنه سقى الشيعة آلاماً عريضةً بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام وما حصل عليه بنو أمية لم يكن إلا من خطأ الدهر :

وَسَقَانِي الذَّهْرُ مِنْ فُر قَةً مِنْ أَهْوَيِ ذُنُوبَا^{٢٦}
كَانَتْ مِنَ الذَّهْرِ بِكُمْ عَثْرَةٌ لَا بُدَّ لِلسَّابِقِ أَنْ يَعْثُرَا^{٢٧}

٥- ذكر فضائل آل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام .

لا تخلو قصيدة في الرثاء الحسيني عند المرتضى من ذكر فضائل آل البيت وفصائح الأمويين لكن يختلف حجم المكان الذي يشغله في بنية القصيدة

وبين الأخرى وتبقى هذه الظاهرة متميزة في مراشي المرتضي الحسينية. يقول
إنهم خير الناس نسباً وحسباً ويتصلون بحبال الجنة ويرشدون الناس إليها :
فإن يك قومٌ وُصلةً لـجَهَنَّمَ فأنتم الي خُلدِ الجنانِ رِشاءً^{٢٨}

وإنهم أصحابُ كَرَمٍ وشِجَاعَةٍ :
لم يعرفُوا غَيْرَ بَثِّ العِرفِ بَيْنَهُمْ عَقَوْا وَ لَا طَبِعُوا إِلَّا عَلَى الجُودِ
لم يطعمُوا المَوْتَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَطَمُوا بالضَّرْبِ والطَّعْنِ أَعْنَاقَ الصَّنَادِيدِ^{٢٩}
وهم عصابة الله تعالى وأهل نبيه، بهم تطمئن عيونٌ لم تكن تعرف النوم
ويشفي بهم من كان مريضاً :

« وَبِهِمْ يَبْرَأُ مَنْ كَا ن- وَ قَدْ ضَمِيمُوا - مريضاً
وَبِهِمْ يَرْقُدُ طَرْفٌ لم يكن وَجِداً غَمُوضاً »^{٣٠}

وهم الذين رفعوا العرب وانتشلوهم من الذلّ والجهل :
وهم نشطوكم من كلّ ذلّ حَلَلْتُمْ وَسَطَ عَقَوْتِهِ انْتِشَاطَا^{٣١}
ونزل الكتاب في منازلهم وهم حجة الله تعالى للعرب والعجم :
« مَهَابُطُ الْأَمْلَاقِ أَبِيائُهُمْ وَ مُسْتَقَرُّ الْمَنْزِلِ الْمُحْكَمِ
فأنتم حُجَّةُ رَبِّ الْوَرَى علي فَصِيحِ النُّطْقِ أَوْ أَعْجَمِ »^{٣٢}
وهم الذين يرد أصحاب الولاية أحواضهم في الجنة بينما يطرد أعداؤهم منها:
وأحواضهم مَورُودَةٌ فَعَدَوْهُمْ يَحْتَأُ وَأَصْحَابُ الْوَلَايَةِ تَرَشَّفُ^{٣٣}
وهم أصحاب البيت العتيق وزمزم ومنى وهم الذين نصرُوا رسول الله (ص)

في يوم فتح خيبر ويوم بدر ويوم حنين:
لَكُمْ أَمْ لَهُمْ بَيْتٌ بَنَاهُ عَلِي النُّقْيِ وَبَيْتٌ لَهُ ذَاكَ السِّتَارُ الْمُسَجَّفُ
وأنتم نصرتم أم هم يوم خيبر نَبِيكُمْ حَيْثُ الْأَسْنَةُ تَرَعُفُ
لهم ثونكم في يوم بدر وبعدها بِيَوْمِ حُنَيْنٍ كُلَّمَا لَا يَزْحَلُفُ^{٣٤}

وأخيراً إِنَّ فَضْلَهُمْ كَثِيرٌ عَمِيمٌ يعجز الحصيف عن حصره وعدّه :
آل ياسين وَمَنْ فَضَّ — لَهُمْ أَعْيَا اللَّيْبَا ٣٥

٦- ذكر سوء أفعال الأمويين بحق آل البيت وفضائهم من مكر وخدعة
وغضب وغدر وسبي النساء وهنّ بنات رسول الله (ص) والأطفال وقذفهم
بعبارات التهديد والوعيد ثمّ الدُّعاء والفخر عليهم. يذكر سوء فعال الأمويين
بال البيت ويشبّه الأعداء بنُسور السَّماء وأضْبَعُ الْفِيَاءُ فِي قَوْلِهِ :

وَكَمْ جَرِيحٍ بِلَا آسٍ تَمْزِقُهُ — إِمَّا النُّسُورُ وَإِمَّا أَضْبَعُ الْبِيدِ ٣٦
نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَقَرَ دِيَارَكُمْ — يَرْجِعَنَّ مِنْكُمْ لَوْعَةٌ وَ عَوِيلَا ٣٧

ويعاتبهم في قوله :

سَلَّطْتُمْ عَلَيَّ آلَ النَّبِيِّ سَيْوفَهُ — مَلَّنْتَ ثُلُومًا فِي الطُّلِيِّ وَفُلُولَا ٣٨
وَكَيْفَ بَعْتُمْ دِينَكُمْ بِالذِّئْبِ اسْتَسْ — نَزَرَةَ الْحَازِمِ وَاسْتَحْقَرَا ٣٩

ويقذفهم بعبارات التهديد :

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ الْجَوُّ أَغْبَرُ — وَفِيهِ الثَّرْيُ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ أَحْمَرُ
وَأَنْتُمْ بِمُجْتَازِ السُّيُولِ كَأَنَّكُمْ — هَشِيمٌ بِأَيْدِي الْعَاصِفَاتِ مُطِيرُ ٤٠

ويدعو عليهم في قوله :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَوْمًا لَمْ يَجَازُوا جَمِيلَكُمْ — لَأَنْتُمْ أَحْسَنُتُمْ وَأَسَاؤُوا ٤١
« وَلَا شَرِبْتُمْ بِصَفْوٍ لَا وَلَا عِلَقَتْ — لَكُمْ بَنَانٌ بِأَزْمَانٍ أَرَاغِيدِ
وَلَا ظَفَرْتُمْ وَقَدْ جُنَّتْ بِكُمْ نُوبٌ — مَقْلَقَاتٍ بِتَمْهِيدٍ وَتَوْطِيدِ » ٤٢
« وَلَا رَفَعَ الزَّمَانُ لَكُمْ أَدِيمًا — وَلَا أَرَدَدْتُمْ بِهِ إِلَّا انْحِطَاطَا
وَلَا غَفَّرَ إِلَهُ لَكُمْ ذُنُوبًا — وَلَا جَزَتْهُمُ هُنَالِكُمُ الصَّرَاطَا » ٤٣

ويفخر عليهم في قوله :

وإِنَّا رَفَعْنَاكُمْ فَأَشْرَفَ مِنْكُمْ بِنَا فَوْقَ هَامَاتِ الْأَعِزَّةِ مُشْرِفُ
وما فخرنا إلا الذي هبّطت به ال ملأتك أوما قدحوي منه مُصْحَفُ^{٤٤}

٧- إبراز الكراهية والعداوة للأمويين وصَبَّ الغضب علي قاتلي الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام واستنهاض الهمم للثأر وذكر أن الأمويين يثأرون لخصومتهم مع الرسول الأعظم (ص) بقتل الإمام الحسين عليه السلام ويكونون خصماءه يوم القيامة في قوله :

«كَأَنَّنِي بِالْخَيْلِ مِثْلُ الدُّبِّي هَبَّتْ بِهِ نَكَبَاؤُهُ صَرَصَرَا
وفوقها كُلُّ شَدِيدِ الْقُوَى تَخَالَهُ مِنْ حَتَقٍ قَسُورَا»^{٤٥}
« وَلَمْ أَكُنْ أَقْنَعُ فِي نَصْرِكُمْ بِنَظْمِ أَبْيَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ
رَأَيْتُمُونِي وَالْقَنَا شُرْعَ أَبْذُلُ فِيهِنَّ لَكُمْ نَحْرِي »^{٤٦}

٨- التكهّن بالعاقبة الطوبى لآل البيت عليهم السلام وأنصارهم والعاقبة السيئة للذين غدروا وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام في قوله :

« فِي غَدٍ يَنْضَبُ تَيْسٌ رَارَ لَكُمْ فِينَا نَضُوبَا
وَيَعُودُ الْخَلْقُ الرُّ ثُ مِنْ الْأَمْرِ قَشِيبَا
وَالَّذِي أَضْحَى وَأَمْسَى نَاكِبًا يَضْحَى نَكِيبَا »^{٤٧}

٩- ذكر سوء ما صنعه العباسيون بحقوق آل البيت عليهم السلام من ظلم و غصب . يتعرض للعباسيين غير مصرح باسمهم ويقول إنهم اغتصبوا الخلافة وركبوا عليها ظلاماً في قوله :

رَكِبُوا أَعْوَادَنَا ظُلْمًا ————— مَا وَزَلْنَا رُكُوبًا^{٤٨}
بِالذَّارِ ظُلْمًا غَيْرُ سُكَّانِهَا ————— وَقَدْ قَرِي مَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرِي^{٤٩}

١٠- توبيخ الكوفيين بتضييع العهد وخيانة الأمانة .

يُوبَخُ المرتضى الكوفيين الَّذِينَ دَعَا الإمامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَسَائِلِهِمُ الْكَثِيرَةَ
إِلَيْهِ ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ ضَيَعُوا الْعَهْدَ وَجَاوُوا إِلَيْهِ فِي فَيْلَقٍ :

جَاوُوا إِلَيْكُمْ وَقَدْ أَعْطَاوَا عَهْدَهُمْ ————— فِي فَيْلَقٍ كَزُهَاءِ اللَّيْلِ مَمْدُودٌ^{٥٠}
فَمَا زِلْتُمْ حَتَّى أَجَابَ نِدَاءَكُمْ ————— وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا يُجِيبُ سُؤْلًا؟^{٥١}

١١- نصيحة أعداء آل البيت عليهم السلام وحثهم الي الكفّ عن الخصومة في قوله :

« وَكُونُوا لَنَا إِمَّا عَدُوًّا مُجَافِلًا ————— وَإِمَّا صَدِيقًا ذَهْرَةً يَتَلَطَّفُ
فَلْخَيْرَ إِنْ أَنْتُمْ خَيْرَ مَوْضِعٍ ————— وَلِلشَّرِّ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الشَّرَّ مَوْقِفٌ »^{٥٢}

١٢- ذكر أن الدهر لا يخلو من شمر، فعلينا أن ندافع عن حقوق آل البيت عليهم السلام في قوله :

كَمْ لَكُمْ مِنْ بَعْدِ شِمْرِ مَرِي ————— دِمَاعَكُمْ فِي التُّرْبِ مِنْ شِمْرِ^{٥٣}
١٣- الإشارة الي بعض ما حَدَّثَ بِبُيُومِ الطَّفِّ مِنْ مَصْرَعِ الإمامِ الْحُسَيْنِ
عليه السلام وَقَطَعَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ وَرَفَعَهُ عَلَي الرِّمَحِ وَجَعَلَ أَكْفَ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ فِي الْأَصْفَادِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمُؤْلَمَةِ فِي قَوْلِهِ :

« رَفَعَ الرَّأْسُ عَلَيَّ عَا ————— لِي الْقَنَا يَحْكِي الْوَمِيزَا
وَأَنْتَنِي الْجِسْمُ لِجُرْدِ الْ ————— خَلِيلٍ بِالْعَدُوِّ رَضِيضَا »^{٥٤}
« فَأَمَّا سَبِي بِالرِّمَاحِ مُسَوِّقٌ ————— وَإِمَّا قَتِيلٌ فِي التُّرَابِ مُعَقَّرٌ
وَجَرَحِي كَمَا اخْتَارَتْ رِمَاحٌ وَأَنْصَلَّ ————— صَرَغِي كَمَا شَاعَتْ ضِبَاغٌ وَأَنْسَرُ »^{٥٥}

١٤- ذكر بعض تقاليد العرب وسننهم عند الرثاء في قوله :

قَدْ قُلْتُ لِلْقَوْمِ : حَطَّوْا مِنْ عَمَائِمِهِمْ تَحَقُّقًا بِمُصَابِ السَّادَةِ الصَّيْدِ^{٥٦}

١٥- رفض القرابة بين العلويين والأمويين: يذكر القرابة التي يدعيها

الأمويون ومن بعدهم العباسيون ثم يرفضها في قوله :

وَقُلْتُمْ عَنْصُرُنَا وَاحِدٌ هَيْهَاتَ لَا قُرْبَى وَلَا عَنْصُرًا^{٥٧}

« وَادْعَيْتُمْ إِلَيَّ نِزَارٍ وَأَنْتِي صِدْقُكُمْ بَعْدَ أَنْ فَضَحْتُمْ نِزَارًا

وَإِذَا مَا الْفُرُوعُ حَدَنَ عَنِ الْأَصْ لَ بَعِيدًا فَمَا قُرْبَى نَجَارًا^{٥٨}

فَلَا نَسَبَ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَهَلْ قُرْبَى لِمَنْ قَطَعَ الْمَنَاطَا^{٥٩}

١٦- توكيد تمسكه بموالة آل البيت وإظهار استعدادده للدفاع عنهم بكل

مالديه من مال ودم وشعر. يظهر ولاءه لآل البيت عليهم السلام وميله نحو

التشيع واستعدادده للدفاع عنهم بكل ما لديه في قوله :

فَلِسَانِي يَحْكِي حُسَامِي طَوِيلًا بطويل وما الغرار غرارا^{٦٠}

أَعْطَيْكُمْ نَفْسِي وَلَا أَرْضِي فِي نَصْرِكُمْ بِالْبَذْلِ لِلْوَقْرِ^{٦١}

١٧- الوصف كوصف السحاب وصوته ومطره الغزير في قوله :

مُقْعِقٌ تُخْجِلُ أَصْوَاتُهُ أصوات ليث الغابة المرزم^{٦٢}

١٨- ذكر الأمثال والحكم الخالدة والمأثورات النبوية أو العلوية وغيرهما من

المأثورات والمفاهيم القرآنية في قوله :

لَا تَحْسَبُوهَا خُلُوعًا إِنَّهَا أمرفي الخلق من العلقم^{٦٣}

وَعُضْوُ الْفَتَى إِنْ شَلَّ لَيْسَ بِعُضْوِهِ وليس لرب السرب سرب منفر^{٦٤}

وَكَمْ مِنْ عَقِيقٍ قَدْ نَبَا بِبَيْمِينِهِ حُسام وكم قط الضريبة مقرف^{٦٥}

حُسَدْتُمْ الْفَضْلَ لَمْ يَحْزُزْكُمْ غَيْرُكُمْ والناس ما بين محروم ومحسود^{٦٦}

يا بني الوحي والرّسالة والتّطـ _____ هير من ربهم لهم إكبارا^{١٧}

١٩- الإشارة الي سرّ مكتوم . قد يتحدّث المرتضى عن سرّ يكتمه حذار العدا ولا يتطرّق اليه إلا تطرّقاً خفياً - وأقول أنا إنّ حرص علي الوحدة العربية الإسلامية مخالفاً إثارة الفتن المذهبية والتفرقة بين الأمة الإسلامية - ويقول :

وَبَيْنَ أَضْلَاعِي سِرٍّ لَكُمْ
وَتَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي كَتَمْتُهُ
لَوْلَا هَذَاتِ هُنَّ يَلُوِينَنِي
خَوْشِي أَنْ يَبْدُو وَأَنْ يَظْهَرَ
حَذَرَ الْعِدَا يَا بِي عَلِي الْكِتْمَانِ
لَبَحْتُ بِالْمَكْتُومِ مِنْ سِرِّي

٢٠ - الإشارة الى مسألة الشفاعة في قوله :

فَإِنْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَقُولُوا لِمَنْ
وَإِذَا مَا شَفَعْتُمْ مِنْ ذُنُوبٍ إِلَـ

شَفَعَكُمْ فِي الْعَفْوِ أَنْ يَغْفِرَ^{٧١}
خَلَقَ طُرًّا كَانَتْ هَبَاءً مُطَارًا^{٧٢}

٢١ - الإشارة الى الموعد المنتظر المنتقم :

ونجده يشير الى الإمام المنتظر المنتقم (عج) بعبارات كنايةية مثل «في غَدٍ» و«ثائر طال مطْلُهُ» و«موعودكم»؛ ويبدو أنَّ هذه الإشارة هي من أهمِّ

المعالم البارزة في مرآته للإمام الحسين عليه السلام:

حَتَّى مَتَى السَّوْيَ بِمَوْعُودِكُمْ
وَيَثَارُ مِنْكُمْ ثَائِرٌ طَالَ مَطْلُهُ
فِي غَدٍ تَبْصُرُ الْعُيُونَ إِذَا مَا
«وَعَدْنَا بِمَا مِنَّا عُيُونَ كَثِيرَةٌ
وَقِيلَ لَنَا حَانَ الْمَدَى فَتَوَكَّفُوا
أَمْطَلُ مِنَ عَامٍ إِلَى شَهْرٍ؟^{٧٣}
وَقَدْ تُظْفِرُ الْأَيَّامُ مَنْ لَيْسَ يَظْفِرُ»^{٧٤}
حُلَنَ فِيكُمْ أَقْبَالُكُمْ إِدْبَارًا^{٧٥}
شَخْصٌ إِلَى إِدْرَاكِهِ لَيْسَ تَطْرَفُ
فِيَا حُجْجًا لِلَّهِ طَالَ التَّوَكُّفُ^{٧٦}»

٢٢- ذكر أن الإمام الحسين عليه السلام ومدرسته خالدان .

ظنّ الأعداء أن الإمام حلّ في قبره وماتت بموته أسباب ثورته ولكن
هذا الظنّ ظنّ باطل لأنّه سعيد في الجنّة ويستضيّ الأحرار بمدرسته الخالدة
المضيئة طوال العصور :

« لقي الله وظنّ النـ — — — — —
أس أن لاقي شعوباً
وهو في الفردوس لما قيل قد حلّ الجبّوبا »^{٧٧}

٢٣- ذكر الاستسقاء أو طلب المطر والظلّ لقبور آل البيت عليهم السلام .
يتبع المرتضى السنّة الرائجة في شعر الرثاء ويذكر الاستسقاء لقبر الإمام

الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام :
« سقى الله أجداناً طوينَ عليكم ولازال منهلاً بهنّ رواء
يسيرُ اليهنّ الغمامُ وخلفه زماجرُ من قعقاعه وخداء »^{٧٨}
فَسَقَى اللهُ قُبُوراً لَهُمُ الْعَذْبُ الْغَضِيضُ^{٧٩}

وقد يبدع في القول بذكره أن أصحاب هذه القبور مُنعمونَ بالشرب في الجنّة
ولا يحتاجون الي ماء هذه السحب :

وَمَنْ كَانَ سَقَى فِي الْجَنَانِ كَرَامَةً فَلَا مَسَّهُ مِنْ ذِي السَّحَابِ مَاءٌ^{٨٠}
وَكَيْفَ اسْتَسْقَى لَكُمْ رَحْمَةً وَأَنْتُمْ الرِّحْمَةُ لِلْمُجْرِمِ^{٨١}

هذه هي أهم المضامين البارزة في مراثي الإمام الحسين عليه السلام التي
نظمها الشريف المرتضى وبثّ فيها كامن حزنه وكامل إجلاله للإمام الحسين
عليه السلام وأصحابه الكرام الذين قال فيهم الإمام عليه السلام : إني لا أعلم أصحاباً
أولى ولا خيراً من أصحابي. تسير المراثي بهدوء من بانها الى يائها دون

تعقيد وغموض ولا يخلو بانيانها من مقدّمة وعرض وخاتمة . إنّه يبتدئ المراثية بمقدّمة طَلَلِيّة أو بمقدّمة حزينة تدلّ علي الرثاء ثم ينتقل الي صلب الموضوع أو العرض وهو كما أسلفنا وصف أو فخر وحماسة أو مدح أو حكمة أو فلسفة ويختتمها بذكر الاستسقاء لقبور آل البيت أو نهوض الثائر المنتظر المنتقم (عج) . ولقد جَمَعَ المرتضى أكثر المضامين التي ذكرناها آنفاً في المراثية التالية التي تعدّ أنموذجاً صالحاً جميلاً لمراثيه الأخرى وتبلغ ٦٤ بيتاً من البحر الكامل مطلعها :

قِفْ بِالذِّيارِ الْمُقَفِّراتِ لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الشَّاتِ ٨٢

وتكون بنية هذه القصيدة على الشكل التالي :

الأبيات من ١ - ٦ طلب الوقوف بديار الأحباب المقفرة وهو

مقدّمة طَلَلِيّة للقصيدة بمنزلة تمهيد للدخول في عالمها الحزين .

الأبيات من ٧ - ٢٠ ذكر فضائل سكّان الدّيار المذكورة وعدّ

صفاتهم النبيلة .

الأبيات من ٢١ - ٢٢ ذكر أنّ قتل هؤلاء السّادة مصيبة عظيمة

لشيعتهم وللدّين الإسلامي .

الأبيات من ٢٣ - ٢٤ الإشارة الى شفاعّة آل البيت التي ينالها

المسلم بحبّه إيّاهم و ذكر أنّه لا قيمة للحياة في سبيل رفع كلمتهم .

الأبيات من ٢٥ - ٣٥ ذكر خصومة الأعداء وتشرّد آل البيت عليهم

السلام ومحبيّهم في الفلوات .

الأبيات من ٣٦ - ٥٣ تهديد الأعداء وذكر أنّهم يثأرون لخصومتهم

مع آل البيت عليهم السلام واغتصابهم حقّهم .

- الأبيات من ٥٤ - ٦٠ ذكر الدُموع والحزن علي مصائب آل البيت عليهم السلام .
- الأبيات من ٦١ - ٦٤ طلب مطر الساريات وعطر الجنّات لقبور آل البيت عليهم السلام وهو خاتمة القصيدة .

وفي الختام اقتصر بهذا المقدار تاركاً التفصيل الى مجال آخر والكمال لله تعالى وحده .

مراجع البحث :

- ❖ القرآن الكريم .
- ❖ الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري، دار الجيل، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م ، بيروت.
- ❖ جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ، بيروت.
- ❖ ديوان الشريف المرتضي، شرح الدكتور محمد التونجي، دار الجيل، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، بيروت .
- ❖ الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، العلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني ، دار الأضواء ، الطبعة الثانية ، بيروت.
- ❖ روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الخوانساري، الدار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م، طهران .
- ❖ لسان العرب ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم ، دار صادر و دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م، بيروت .
- ❖ لماذا اخترت مذهب الشيعة، الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ، قم المقدّسة .

- ❖ مجلة رسالة الإسلام، تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة ، العدد الثاني ، السنة الحادية عشرة ، ١٩٥٩م.
- ❖ مسائل الناصريات، للشريف المرتضى، تحقيق مركز البحوث والدراسات العليا، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ، ١٩٩٧م، طهران.

الهوامش :

- ١ - مسائل الناصريات ، للشريف المرتضي ، ص ١٠
- ٢ - ديوان الشريف المرتضي ، شرح الدكتور محمد التونجي ، ج ١، ص ٢٨٠
- ٣ - يروي بأن الشيخ المفيد رأي في منامه أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) دخلت عليه وهو في مسجده بالكرك ومعه ولداها الحسن والحسين عليهما السلام فسَلَّمَتُهما اليه وقالت : علمهما الفقه. فانتبه الشيخ وتعجب من ذلك . في صبيحة تلك الليلة التي رأي فيها الرؤيا دخلت اليه في المسجد فاطمة بنت الناصر وبين يديها ابناها علي المرتضي ومحمد الرضي فقالت له : أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتهما اليك لتعلمهما الفقه ... راجع روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الخوانساري ، ج ٤، ص ٢٨٥
- ٤ - سبب التسمية مذكورة في كتب التاريخ والتراجم منها روضات الجنّات للخوانساري ، المذكور ، ج ٤، ص ٢٨٥
- ٥ - روضات الجنّات للخوانساري، المذكور ، ج ٤، ص ٢٨٦
- ٦ - الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري ، ج ١، ص ٨٣٣
- ٧ - روضات الجنّات للخوانساري، المذكور ، ج ٤، ص ٢٨٦
- ٨ - مسائل الناصريات ، المذكور ، ص ١٥ منقول عن الفهرست لابن النديم .
- ٩ - مجلّة رسالة الإسلام ، العدد الثاني السنة الحادية عشرة ١٩٥٩، ص ٢٠٤
- ١٠ - روضات الجنّات للخوانساري، ج ٤، ص ٢٨٦
- ١١ - انظر : الذريعة الى تصانيف الشيعة للعلامة الشيخ آقا بزرك الطهراني .
- ١٢ - ديوان الشريف المرتضي ، شرح الدكتور التونجي ، ج ١، ص ٢٠٧. الشتات وجمعها أشتات : الفرقة . بلد ماحلّ ومحلّ ومُحوّل : البلد الذي لم يصبه المطر (راجع لسان العرب ، ج ١١، ص ٦١٦) .
- ١٣ - المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٣. الريب : صروف الدهر وحوادثه . الناقة وجمعها أنوق وأنيق ونوق ونياق ونياقات الأنتي من الجمل (راجع لسان العرب ، ج ١٠، ص ٣٦٢) . ناقة ضامرة : الهزيمة السبطن . شَذَبَ اللَّحَاءَ أي قَشَرَهُ . الوِصْل وجمعها أوصال : المفاصل وقيل يجمع العظام (راجع لسان العرب، ج ١١، ص ٧٢٦) . السُرّي : السير في الليل .
- ١٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧ . الأوار : حرّ الشمس والنار .
- ١٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٤
- ١٦ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٥. سَحَّتِ العَيْنُ أي بَكَتْ . سَخَّ الدمعُ أي سال .
- ١٧ - المصدر السابق ، ج ٣، ص ٥٠ . الهَنّ والهَتون والهَتان : المطر المتتابع .

- ١٨ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٨ . عبارة «صبراً جميلاً» عبارة قرآنية : واصبر صبراً جميلاً ... راجع سورة المعارج الآية ٥
- ١٩ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨
- ٢٠ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٢
- ٢١ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠
- ٢٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧ . الفود وجمعها أفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن . فود الرأس أي جانبيه يقال بدا المشيب بفوده .
- ٢٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩
- ٢٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧
- ٢٥ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٦٦
- ٢٦ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧
- ٢٧ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥
- ٢٨ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦ . الرُشاء وجمعها أرشية : رَسَن الدلو أو الحبل .
- ٢٩ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠١ . الصنديد وجمعها الصناديد : الملك الضخم الشريف وقيل السيد الشجاع .
- ٣٠ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٤
- ٣١ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧ . العقاة وجمعها عَقَا ، العقوة وجمعها العِقَاء :الموضع المتسع أمام الدار .
- ٣٢ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٦٧ .
- ٣٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٩ - قال الرسول الأعظم : يا علي أنت وشيعتك تردون الحوض رواء مرضيين مبيضة وجوهكم وإن أعداءكم يردون علي الحوض ظماء مقمحين . راجع لماذا اخترت مذهب الشيعة للشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي ، ص ٣٩٥
- ٣٤ - المصدر السابق، ج ٢، صص ٣٢٢-٣٢١ .
- ٣٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٦١
- ٣٦ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠١ . البيداء وجمعها البيد:الصحراء لأنها تبيدسالكهاوفي الأصل صفة.(راجع لسان العرب، ج ٣، ص ٩٧)
- ٣٧ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١
- ٣٨ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١ . الطلية وجمعها الطلي : الرقبة . الثلم وجمعها الثلوم : الفل والفلول .
- ٣٩ - المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥ . الحازم : صاحب الحزم والعقل .
- ٤٠ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧
- ٤١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧

- ٤٢ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .
- ٤٣ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ . الصراط أي الطريق ويقال إنه اسم جسر في الآخرة . روي أن النبي (ص) قال: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز.. (راجع لماذا اخترت مذهب الشيعة ، ص ٢٩٣)
- ٤٤ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٣-٣٢٢ .
- ٤٥ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦ . القصور : الأسد . إنه يتوقع ثورة .
- ٤٦ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .
- ٤٧ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦١ .
- ٤٨ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨ .
- ٤٩ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- ٥٠ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٢ . الفيلق : الجيش .
- ٥١ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ .
- ٥٢ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .
- ٥٣ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
- ٥٤ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ . يشير الي أن الأعداء رفعوا رأس الإمام الحسين (ع) علي أسنة الرماح ووقع جسمه الشريف تحت منابك الخيل المسرعة .
- ٥٥ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ .
- ٥٦ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ .
- ٥٧ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥ .
- ٥٨ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
- ٥٩ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٨ . المناط : موضع التعليق ، العلاقة .
- ٦٠ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ٦١ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . الوفير : المال .
- ٦٢ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٨ .
- ٦٣ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ . العلقم : نبات الجفظل وضرب به المثل : هذا أمرٌ من العلقم وهذا أمرٌ من الجفظل وأمرٌ من الدفلي وأمرٌ من المقر وأمرٌ من الألاء . (راجع جمهرة الأمثال للعسكري ، ج ٢ ، ص ٢٢٧)
- ٦٤ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧ . في الحكمة .
- ٦٥ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ . في الحكمة . العقيق : النجيب . المقرف : المعيب .
- ٦٦ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٢ . جاء في التزويل العزيز : أم يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً . راجع النساء ، ٥٤ . وعندما سئل الإمام الشافعي

عن علي بن أبي طالب (ع) قال : ماذا أقول برجلٍ أنكر أعداؤه فضله حسداً ... راجع لماذا اخترت مذهب الشيعة ، ص ٣٧٥ وفي الشطر الثاني حكمة .

٦٧ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤ . فيه إشارة الى آية التطهير الكريمة : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً راجع سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

٦٨ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧

٦٩ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٥٩

٧٠ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٠

٧١ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦

٧٢ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤

٧٣ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٩

٧٤ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨

٧٥ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١

٧٦ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٥

٧٧ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٢ . الشُّعُوب : الموت . الجُيُوب : القبر .

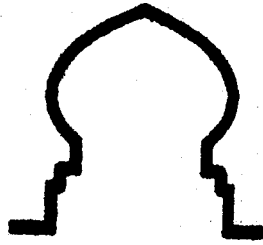
٧٨ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ . الزجرة وجمعها الزماجر والزماجر : الصوت . القعقاع : تتابع أصوات الرعد .

٧٩ - المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٤

٨٠ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧

٨١ - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٨

٨٢ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٧



شخصية العدد

كوكب التصوف والعرفان الاسلامي إبراهيم بن أدهم

قيس آل قيس

مدير القسم العربي

معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية

الحمد لله مُعزِّ الاسلام بنصره، ومُذلُّ الشريكِ بَقهره، ومُصرفُ الأمور
بأمره، ومُدِّيمُ النعم بشكره، والذي قَدَّرَ الأيامَ دُولاً بعدله، وجَعَلَ العاقبةَ للمتقين
بفضله، وأَفَاءَ على عباده من ظُلِّه، وأَظهر دينه على الدين كُلِّه، أحمدهُ على
إِعزازهِ لأوليائه، ونصرهِ لأنصارهِ، حَمَدٌ مَن استَشعرَ الحَمْدَ باطنُ سِرِّهِ،
وظاهرُ جَهرِهِ، وأَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الذي
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وأَشهدُ أنَّ عَبْدَهُ، وَرَسُولَهُ، رَافِعُ الشُّكِّ،
وَمُذَحِّضُ الإِفْكِ، وَدَاحِقُ الشُّرْكِ، وَأَشهدُ أنَّ الإمامَ المَظفرَ، والشَّجاعَ
الغُضنْفَرِ، قَاسِمَ طُوبَى وَسَقَرٍ، أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عَلِيًّا وَلِيَّ اللهِ، وَالسَّلَامُ على أبنائِهِ
وذرِيَتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، حَمَلَةِ رَايَةِ المُجَاهِدِينَ، وَطَلِيعَةِ الغُرِّ المِيَامِينَ،
وَسَادَةِ الخَلْقِ وَحُجَجِ اللهِ على النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وعلى أَصحابِهِ الكرامِ البَرَّةِ،
وَخاصَّةِ الَّذِينَ أَحسنُوا الصَّحَابَةَ، وَأَبلَوْا البَلَاءَ الحَسَنَ في نُصْرَتِهِ، وَكَانَفُوهُ

وَأَسْرَعُوا إِلَى وَفَادَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ، فَلَا تَنْسَ اللَّهُ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَاجْزِهِمْ خَيْرَ جَزَائِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
أما بعد:

إننا نعلمُ أنَّ الصوفي هو الباحث عن الحقيقة الخفية، بل هو أكثر الباحثين حرارة، يبحث عنها في خفايا نفسه، وفي سر ذلك الأفق النائي الذي تسبحُ فيه الحقائق المطلقة.

وقبل أن نخوضَ في خضم هذا البحث يجبُ أن نعرف اشتقاق هذه الكلمة، حيث إنَّ المحققين قد بحثوا وأطالوا البحثَ في هذا المضمار، وقالوا: الصوفيُّ يسمى بالصوفي لأنه يلبسُ ثيابَ الصوف؛ وقالت طائفة: إنَّ هذا الاسم مشتق من الصفاء؛ وقال آخرون: نسبة إلى "أهل الصُّفَّة" ^١ وهم فريق من النساك كانوا يجلسون فوق دكة المسجد بالمدينة المنورة في عهد الرسول (ص)؛ أو أنهم في الصف الأول من صفوف المسلمين في الصلاة؛ وقالت جماعة أخرى: نسبة إلى بني صوفة، وهم جماعة من العرب كانوا يزهدون ويقللون من الدنيا فنسبت هذه الظاهرة إليهم ^٢.

والنسبة إلى الصوف أقرب النسب إلى الاشتقاق اللغوي، وثمة علاقة بين إرتداء الصوف والزهد في الحياة والاتجاه إلى التمسك.

أما أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي (المتوفى سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م) فقد ترك علماء اللغة في بحثهم يخوضون، وقال: سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها، وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صَفَّتْ لله معاملته، فصَفَّتْ له من الله (عز وجل) كرامته.

^١ انظر في أهل الصُّفَّة، حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني، ج ١، ص ٣٣٧-٣٤٧.

^٢ انظر الانساب للسمعاني "الصوفي"، وقال ابن الجوزي في بني صوفة: ينسبون إلى الغوث بن مرّ السذي سمي صوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد، فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيب الكعبة، فقيل له صوفة، ولولده من بعده (انظر تلبيس إبليس، طبعة القاهرة ١٣٦٨هـ، ص ١٦١).

وأما مَنْ نسبهم الى الصُّفَّة والصوف، فإنه عبَّر عن ظاهر أحوالهم، ومَنْ نسبهم الى الصفاء والصف الاول، فإنه عبَّر عن أسرارهم وبواطنهم، وذلك أن مَنْ ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها، صفَّى الله سرّه ونور قلبه .. ثم لصفاء أسرارهم تصدَّقُ فراستهم، ومن كان بهذه الصفة من صفوة سره، وطهارة قلبه، ونور صدره، فهو في الصف الأول.

فلصفاء أسرارهم، وشرح صدورهم، وضياء قلوبهم، صحَّتْ معارفهم بالله، فلم يرجعوا الى الأسباب ثقةً بالله عز وجل، وتوكلوا عليه ورضى بقضائه.

وسئل الجنيد عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة^١.

وقال أبو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي:

إن هذه العِصَابَةَ (أعني الصوفية) هم أمناء الله جلَّ وعزَّ في أرضه، وخزنة أسرارهِ وعلمهِ، وصفوته من خلقهِ، فهم عباده المخلصون، وأوليأؤه المتقون، وأحبأؤه الصادقون الصالحون، منهم الأخيار والسابقون، والأبرار والمقربون، والبديع والصادقون، هم الذين أحياهم الله بمعرفته قلوبهم، وزين بخدمته جوارحهم، وأبهج بذكره ألسنتهم، وطهر بمراقبته أسرارهم، سبق لهم منه الحسنَى بحسن الرعاية ودوام العناية، فتوجههم بتاج الولاية، وألبسهم حلل الهداية، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً، وجمعهم بين يديه تطفلاً، فاستغنوا به عما سواه، وآثروه على ما دونه، وانقطعوا اليه، وتوكلوا عليه، وعكفوا ببابه، ورضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وفارقوا فيه الأوطان، وهجروا له

^١ راجع: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، طبعة القاهرة ١٩٦٠، الباب الأول، ص ٢١.

الاخوان، وتركوا من أجله الأنساب، وقطعوا فيه العلايق، وهربوا من الخلايق، مستأنسين، به، مستوحشين مما سواه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^١.

علم التصوف:

هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم والأمر العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه، فغير ممكن، لأن العبارات إنما وضعت للمعاني التي وصل اليها فهم أهل اللغات، وأما المعاني التي لا يصل اليها إلا غائب عن ذاته فضلاً عن قوى بدنه فلا يمكن أن يوضع لها ألفاظ فضلاً عن أن يعبر عنها بالألفاظ، فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام، والموهومات لا تدرك بالخيالات، والتخيلات لا تدرك بالحواس، كذلك ما من شأنه، أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد في الوصول اليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان، فإنه طور وراء طور العقل^٢.

الصوفية والصوفي:

الظاهر أن أقدم كتاب ذكر اصطلاح الصوفية هو كتاب (البيان والتبيين) لأبي عمرو الجاحظ (١٥٠-٢٢٥هـ) حيث ذكر في المجلد الأول من كتابه المذكور فصلاً تحت عنوان " أسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام)^٣، ولم يشاهد في المصادر العربية من استعمل كلمة الصوفي في كتابه قبلاً، والظاهر أن هذه الكلمة كانت تسمع من أفواه الناس، والجاحظ أول من أدخلها في الكتب.

^١ أنظر كتاب اللع في التصوف، طبعة بريل في لندن، ١٩١٤م، ص٣.

^٢ أنظر كشف الظنون، ج١، ص٤١٣.

^٣ راجع البيان والتبيين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٩٧٥م، ج١، ص٣٦٦.

ونرى المؤرخ مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة يردد قول عبد الرحمن الجامي المتوفى سنة ٨٩٨هـ: إن أبا هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠هـ أول من سمي بالصوفي^١.

ويقول المستشرق ماسينيون: إن لفظ الصوفي ورد مفرداً في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نُعت به جابر بن حيان (١٠٠ - ٢٠٠/١٥٠م) وهو صاحب كيمياء، كوفي شيعي له في الزهد مذهب خاص به^٢.

وعندما حلّ القرن الثالث الهجري كانت الصوفية قد انتشرت في العراق، وصارت بغداد في منتصف هذا القرن قسبة الحركة الصوفية وماجت بالشيوخ وظهرت مدارس ذات مناهج متميزة، ولكل مدرسة مريدون وشيوخ، وبعد ذلك شاعت أفكار الفلاسفة والمتكلمين في واجد الوجود وصدور الموجودات عنه، فتكلم الصوفية في ذلك على منهجهم، وهم يرون ما تكلموا به حق اليقين الذي لا يقبل شكاً، ولا يلحقه بطلان، ولا يدركه إلا من بلغ رتبة العرفان.

وشمل دور الانحطاط التصوف في العهد المغولي كبقية العلوم والمذاهب والجمعيات وهو الدور الذي لا يزال يشهده التصوف رغم النهضة الحديثة التي شملت العلوم والآداب والفعال الأخرى.

فالتصوف نشأ معبراً عن المثل الديني الأعلى وظل في أدواره كلها يعبر عن ذلك المثل مخالفاً الفقهاء والمتفلسين والمتكلمين فتعرض لعداوتهم واضطهاداتهم، ولم تخرجه العداوات والاضطهادات عن حدود الحب

^١ راجع: كشف الظنون ج ١، ص ٤١٤ " علم التصوف "، ونفحات الأنس (طبعة كلكتا ١٨٥٩م)، ص ٣٤، وانظر ترجمة أبي هاشم الصوفي في حلية الأولياء، لأبي نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، ج ١، ص ٢٢٥، الرقم ٥٥٥.

^٢ راجع دائرة المعارف الاسلامية (مادة تصوف)، ج ٥، ص ٣٧٧، العمود الأول.

والتسامح. فالتصوف كان وحده من بين معترك المذاهب تسامحاً صرفاً وسلاماً في كل ما مرّ به من الأدوار^١.

التصوف الاسلامي

ظهر الزهد والعبادة وترك الدنيا قبل الاسلام بين المذاهب والقوميات والأديان كاليهود والصابئين والنصارى والمجوس....، وبناء على هذا نرى كثيراً من المحققين والباحثين والمستشرقين قد عزوا التصوف الى عوامل بعيدة عن البيئة الاسلامية، فمنهم من ردّه الى أصل هندي، ومنهم من أرجعه الى الرهبة المسيحية، ومنهم من ذكر أنه وليد الفلسفة اليونانية.

وهناك آراء خالفت هؤلاء وقالت إنّ التصوف الاسلامي نبع من البيئة الاسلامية والدين الاسلامي. والصوفية أنفسهم يعتقدون أنّ صرح طريقتهم مشيد بالكتاب والسنة النبوية الشريفة، وطريقهم ممهد بسلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء^٢.

وكلنا يعرف أنّ التصوف نزعة روحية تميل بالانسان عن العالم المادي، وترتفع به الى العالم الروحي، وهو بهذا المفهوم ظاهرة انسانية تنشأ في كل بيئة دينية وتتمو نتيجة لعوامل داخلية موجودة في تلك البيئة، فمما لا شك فيه أنّ التصوف الاسلامي جزء من الأجزاء التي يتألف منها التراث الديني والعقلي والنفسي للاسلام، خضع كما خضع غيره من مظاهر الحياة الاسلامية لعوامل النشوء والارتقاء، وإنّ تاريخ التصوف في الاسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الاسلام نفسه، ومظهر من مظاهر هذا الدين، وما أحاط به من ظروف، وما دخل فيه من شعوب، ليس شيئاً اجتلب من الخارج دون أن

^١ نشأة التصوف الاسلامي تأليف الدكتور ابراهيم بسيوني، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ١١٥ وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي تأليف عمر فروخ، ج ٣، ص ٦٠٢ وما بعدها، ودائرة المعارف الاسلامية، ج ٥، ص ٢٨٤.

^٢ الطبقات الكبرى (طبقات الشعراني)، تأليف عبد الوهاب الشعراني، طبعة القاهرة ١٣٦٠هـ، ج ١، ص ٣.

تكون له صلة بالدين الاسلامي وروحه وتعاليمه. ومن الجدير بالذكر هو أن الباحث لا يتمكن أن يطرح جانباً المؤثرات الخارجية التي ساعدت على نمو التصوف الاسلامي وتطوره.

فقد تكاثفت العناصر الروحية الوافدة على البيئة الاسلامية مع العوامل الدينية التي كانت موجودة في تلك البيئة، وعملت معها على تطوير التصوف وبلوغه النضج والكمال^١.

وكان للمسلمين الايرانيين في هذا المضمار دور فعال حيث اجتاحت أسماء علمائهم ومتصوفتهم أغلب صفحات كتب التصوف والعرفان وحظت لدى الباحثين والمحققين بسهم كبير. وإليك أخي القارئ الكريم علم من أعلام هذه الكوكبة:

ابراهيم بن أدهم

(..._١٦٢هـ)

أبو اسحاق، ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر الزاهد البلخي، من أهل مدينة بلخ عاصمة مقاطعة خراسان ببلاد فارس (إيران).
شيخ جليل، وزاهد نبيل، وصوفي مشهور، كان أبوه من أغنياء بلخ، وروي أنه حجّ بأمر ابراهيم وهي حامل، فولدت ابراهيم بمكة المكرمة، فجعلت تطوف به على الخلق في المسجد وتقول: ادعوا لابني أن يجعله الله صالحاً.
تفقه ابراهيم في بلده، ورحل الى بغداد، ثم طوف في العراق والشام والحجاز، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة، وعلى رأسهم الامام ابو جعفر الباقر محمد بن علي (ع).

^١ نرجو من يرغب معرفة التصوف والعرفان في إيران أن يراجع موسوعتنا " الايرانيون والأدب العربي " المجلد السابع " رجال التصوف والعرفان " وهو كتاب ضخمة دونه في ٨٠٨ صفحات.

كان زاهداً يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم.

وروي أن قدم عليه إلى المصينة^١ مملوك لأبيه معه عشرة آلاف درهم، وأخبره أن أباه قد توفي في مدينة بلخ، وترك له ثروة كبيرة، فما كان منه إلا أن أعتق المملوك لوجه الله، ووهبه المبلغ الذي معه، ولم يعبا بثروة أبيه، وقيل: أنه ذهب إلى بلخ وأخذ المال، وجعله كله في سبيل الله.

وكان يرتدي في فصل الشتاء فروة لا قميص تحتها، ولا يتعمم في الصيف، ولا يحتذي نعلًا، ويصوم في السفر والاقامة. كما كان ينطق بالعربية الفصحى ولا يلحن أبدًا، وإذا حضر مجلس سفيان الثوري^٢ وهو يعظ، أوجز سفيان في كلامه مخافة الزلل.

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق كتاب خطي بعنوان: "سيرة السلطان ابراهيم بن أدهم". كما جاء في فهرس مخطوطاتها الذي وضعه يوسف العش، وطبع بدمشق سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص ٢٩٤.

قال أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن في "الرسالة القشيرية": (كان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيداً، فأثار ثعلباً أو أرنباً وهو في طلبه، فهتف به هاتف، يا ابراهيم ألهذا خلقت؟، أم بهذا أمرت؟، ثم هتف به أيضاً من قربوس سرجة^٣، والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، فنزل عن دابته،

^١ المصينة، بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وباء ساكنة، وصاد أخرى، وهي مدينة على شاطئ نهر جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب مدينة طرسوس (معجم البلدان).

^٢ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧-١٦١هـ)، كان أمير الحديث وسيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، له من الكتب: الجامع الكبير في الحديث، الجامع الصغير في الحديث أيضاً، كتاب الفرائض. انظر دول الاسلام للذهبي، ج ١، ص ٨٤، والفهرست لابن النديم، ج ١، ص ٢٢٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج ١، ص ٢١٠، والجواهر المضية، ج ١، ص ٢٥٠، وطبقات ابن سعد، ج ٦، ص ٢٥٧، وتاريخ بغداد، ج ٩، ص ١٥١، وتهذيب، ج ٤، ص ١١١.

^٣ القربوس: جمع قرابيس: حنو السرج، أي قسمة المقوس المرتفع من أمام المقعد ومن مؤخره، وهما قربوسان.

وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبةً للراعي من صوف، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه، فدخل البادية، ثم دخل مكة وصحب بها سفيان الثوري، والفضيل بن عياض^١، ودخل الشام ومات بها، وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك، وأنه رأى في البادية رجلاً علمه اسم الله الأعظم، أخبرنا بذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي^٢ قال، حدثنا محمد بن الحسين بن الخشاب قال، حدثنا أبو الحسين علي بن محمد المصري قال: حدثنا أبو سعيد الخراز قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، صحبت إبراهيم بن أدهم، فقلت له، خبرني عن بدء أمرك، فذكر هذا.

وكان إبراهيم بن أدهم، كبير الشأن في باب الورع، يحكى عنه أنه قال: أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار. وقيل: كان عامة دعائه، اللهم أنقلني من ذلّ معصيتك الى عزّ طاعتك. وقيل لابراهيم بن أدهم: أن اللحم قد غلا. فقال: أرخصوه، أي لا تشتروه، وأنشد في ذلك:

وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته

فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

قال إبراهيم بن أدهم لرجل في الطواف: أعلم أنك لا تتال درجة الصالحين حتى تجوز ستّ عقبات، أولها: تغلق باب النعمة، وتفتح باب الشدة، والثانية: تغلق باب العزّ وتفتح باب الذلّ؛ والثالثة: تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد؛ والرابعة: تغلق باب النوم، وتفتح باب السهر؛ والخامسة: تغلق باب الغنى، وتفتح باب الفقر؛ والسادسة: تغلق باب الأمل، وتفتح باب

^١ الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي الزبيري، شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصالحاء (١٠٥-١٨٧هـ).

^٢ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي السلمي النيسابوري الصوفي المشهور صاحب "طبقات الصوفية" من أهل نيسابور (٣٢٥-٤١٢هـ)، انظر ترجمته في هذا المجلد.

الاستعداد للموت. وكان ابراهيم بن أدهم يحفظ كروماً، فمرّ به جندي، فقال: إعطنا من هذا العنب، فقال له: ما أمرني به صاحبه. فأخذ يضربه بسوطه، فطأ رأسه وقال اضرب رأساً لما عصى الله، فأعجز الرجل ومضى. قال سهل بن ابراهيم: صحبت ابراهيم بن أدهم، فمرضت، فأنفق علي نفقته، فاشتريت شهوة، فباع حماره، وأنفق علي ثمنه، فلما تماثلت قلت: يا ابراهيم، أين الحمار، فقال: بعناه؟ فقلت: فعلى م أركب. فقال: يا أخي، على عتقي! فحملني ثلاثة منازل".

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: "أحد مشاهير العباد، وأكابر الزهاد. كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله، أصله من بلخ، ثم سكن الشام، ودخل دمشق، وروى الحديث عن أبيه، والأعمش^١، ومحمد بن زياد الجمحي صاحب أبي هريرة، وأبي اسحاق السبيعي^٢، وخلق. وحدث عنه خلق، منهم: الثوري [سفيان بن سعيد]، وأبو اسحاق الفزاري [ابراهيم بن محمد بن الحاث بن أسماء بن خارجة] ومحمد بن حميد، وبقية [بن الوليد بن صائد الحميري الكلاعي]، وحكى عنه الأوزاعي [أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يُخْمِد].

قال النسائي: ثقة مأمون، أحد الزهاد. وذكر أبو نعيم [الاصفهاني] وغيره: أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان.

قال عبدالله بن المبارك: كان ابراهيم رجلاً فاضلاً، له سرائر ومعاملات بينه وبين الله عز وجل، وما رأيته يظهر تسبيحاً، ولا شيئاً من عمله، ولا أكل مع أحد طعاماً إلا كان آخر من يرفع يده. قال بشر بن الحارث الحافي: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم، ابراهيم بن أدهم [صاحب الترجمة]، وسليمان بن الخواص، وهيب بن الورد، ويوسف بن اسباط.

^١ سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، التابعي المشهور (٦١-١٤٨هـ).

^٢ عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني الكوفي (٣٣-١٢٧هـ).

قال شقيق بن ابراهيم: لقيتُ ابن أدهم بالشام، وقد كنت رأيتَه بالعراق وبين يديه ثلاثون شاكرياً^١. فقلت له: تركت ملك خراسان، وخرجت من نعمتك؟ فقال: أسكتُ، ما تهنيت بالعيش إلا ههنا، أفرّ بديني من شاهق الى شاهق، فمن يراني يقول هو مُوسوس^٢ أو حمّال، أو ملاح. ثم قال: بلغني أنه يؤتي بالفقير يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله فيقول له: يا عبدي ما لك لم تحج؟ فيقول: يا ربّ لم تعطني شيئاً أحج به. فيقول الله: صدق عبدي إذهبوا به الى الجنة.

قال: الحزن حزنان، حزن لك، وحزن عليك، فحزنك على الآخرة لك. وحزنك على الدنيا وزينتها عليك.

وقال: الزهد ثلاثة، واجب، ومستحب، وزهد سلامة. فأما الواجب فالزهد في الحرام، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب، والزهد عن الشبهات سلامة.

وقال: قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والطمع تورث الغمّ والجزع.

وقال له رجل: هذه جُبّة أحبُّ أن تقبلها مني. فقال: إن كنت غنياً قبلتها، وإن كنت فقيراً لم أقبلها قال: أنا غني، قال: كم عندك؟ قال: الفان، قال: تود أن تكون أربعة آلاف؟ قال: نعم، قال: فأنت فقير لا أقبلها منك. وقيل له: لو تزوجت؟ فقال: لو أمكنني أن أطلق نفسي لطلقتها.

ومكث بمكة خمسة عشر يوماً، لا شيء له، ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء، وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة، وأكل يوماً على حافة الشريعة^٣ كسيرات [خبز] مبلولة بالماء وضعها بين يديه أبو يوسف

^١ الشاكري: هو الأجير، المستخدم.

^٢ الذي أصابه الوسواس واختلط بذهنه.

^٣ الشريعة: مورد الشاربة الى النهر.

الغسولي، فأكل منها، ثم قام فشرب من الشريعة، ثم جاء واستلقى على قفاه، وقال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم، لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش. فقال له أبو يوسف: طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم ابراهيم وقال: من أين لك هذا الكلام؟

أضاف الأوزاعي ابراهيم بن أدهم، فقصر ابراهيم في الأكل. فقال الأوزاعي: مالك قصرت؟ فقال ابراهيم: لأنك قصرت في الطعام. ثم عمل ابراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي، فقال الأوزاعي: أما تخاف أن يكون سرفاً. فقال: إنما السرف ما كان في معصية الله، فأما ما أنفقه الرجل على اخوانه فهو من الدين.

وذكروا أنه حصد مرة بعشرين ديناراً، فجلس عند حجام هو وصاحب له ليخلق رؤوسهم [رأسيهما] ويحجمهم [يحجمهما]، فكأنه تبرم بهما واشتغل عنهما بغيرهما، فتأذى صاحبه من ذلك، ثم أقبل عليهما الحجام فقال: ما تريدان؟ قال ابراهيم: أريد أن تحلق رأسي وتحجمني، فاعطاه ابراهيم العشرين ديناراً، وقال له: أردت أن لا تحتقر بعدها فقيراً أبداً. وقال مضاء بن عيسى: ما فاق ابراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة، ولكن بالصدق والسخاء.

ورأى رجلاً قيل له: هذا قاتل خالك؛ فذهب إليه، وسلم عليه، واهدى له، وقال: بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمنه عدوه. وصعد جبلاً بمكة ومعه جماعة، فقال لهم: لو أن ولياً من أولياء الله قال لجبل زل، لزال. فتحرك الجبل تحته، فوكزه برجله وقال: اسكن، فانما ضربتك مثلاً لأصحابي، وكان الجبل أبا قبيس.

وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان، فلف ابراهيم رأسه بكسانه واضطجع، وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء، وأيقظوه وقالوا:

ألا ترى ما نحن فيه من الشدة؟ فقال: ليس هذه شدة، وإنما الشدة الحاجة الى الناس؛ ثم قال: اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك. فصار البحر كأنه قدح زيت. وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين، فأتى به الى جزيرة في البحر، فتوضأ ابراهيم وصلى ركعتين ودعا، وإذا ما حوله قد ملأ دنانير، فقال له: خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا لأحد.

وقال حذيفة المرعشي: أويتُ أنا وابراهيم الى مسجد خراب بالكوفة، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً، فقال لي: كأنك جائع؛ قلت: نعم فأخذ رقعةً فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنت المقصود إليه بكل حال، المشار إليه بكل معنى.

أنا حامد، أنا ذاكر، أنا شاكر	أنا جائع، أنا حاسر، أنا عار
هي ستة، وأنا الضمينُ لنصفها	فكنُ الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك وهج نار خضتها	فأجرُ عبيدك من دخول النار

ثم قال: أخرج بهذه الورقة، ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى، وادفع هذه الورقة لأول رجل تلقاه. فخرجت فاذا رجل على بغلة، فدفعته اليه، فلما قرأها بكى ودفع إليّ ستمائة دينار وانصرف. فسألت رجلاً، من هذا الذي على البغلة؟ فقال: هو رجل نصراني، فجنّت ابراهيم، فأخبرته، فقال: الآن يجيئ فيسلم. فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس ابراهيم وأسلم.

وكان يقول: دارنا أماناً، وحياتنا بعد وفاتنا، فإما الى الجنة، وإما الى النار. ممثّل لبصرك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك، وانظر كيف تكون حينئذ؛ ومثّل له هول المضجع ومساءلة منكر ونكير، وأنظر كيف تكون؛ ومثّل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب، وأنظر كيف

تكون؛ ثم صرخَ صرخةً وخرَّ مغشياً عليه. وكان يقول: مالنا نشكو فقرنا الى مثلنا، ولا نسأل كشفه من ربنا. ثكلت عبداً أمه، أحب الدنيا، ونسى ما في خزان مولا.

وقال: اذا كنت بالليل نائماً، وبالنهار هائماً، وفي المعاصي دائماً، فكيف ترضي من هو بأمورك قائماً.

راه بعض أصحابه وهو بمسجد بيروت يبكي ويضرب بيديه على رأسه. فقال: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار.

وكتب الى [سفيان بن سعيد] الثوري: مَنْ عَرَفَ ما يطلبُ هانَ عليه ما يَبْذُلُ، وَمَنْ أَطْلَقَ بصره طالَ أسفه، وَمَنْ أَطْلَقَ أمله ساءَ عمله، وَمَنْ أَطْلَقَ لسانه قتلَ نفسه. وسأل بعض الولاة مِنْ أين معيشتك؟ فأنشأ يقول:

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيقِ ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وكان يتمثل بهذه الأبيات:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تَمِيتُ الْقُلُوبَ	وَيُورِثُهَا الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ	وَخَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وَمَا أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا مُلُوكُ	وَأَحْبَارُ سُوءِ وَرَهْبَانُهَا
وَبَاغُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرَبِّحُوا	وَلَمْ يَغْلُ بِالْبَيْعِ أَثْمَانُهَا
لَقَدْ وَقَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ	تُبَيِّنُ لِذِي اللَّبِّ أَتْنَانُهَا

وقال : إنما يتمُّ الورع بتسوية كل الخلق في قلبك، والاشتغال عن عيوبهم بذنبك، وعليك باللفظ الجميل، من قلب ذليل، لرب جليل، فكر في ذنبك، وتب الى ربك، ينبتُ الورعُ في قلبك، واقطع الطمعَ إلا من ربك.

وقال: كل سلطان لا يكون عادلاً فهو واللص بمنزلة واحدة، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة، وكل من خدم سوى الله فهو والكلب بمنزلة واحدة.

وقال: جانبوا الناس ولا تنقطعوا عن جمعة ولا جماعة

وقال ابن العماد في شذرات الذهب: " قال في العبر : وثقه النسائي وغيره، وكان أحد السادات. ومن شعره رحمه الله:

تركتُ الخلق طراً في رضاكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعني في الحبِّ إرباً لما حنَّ الفؤادُ إلى سواكا

وقال ابن شاکر الكتبي في فوات الوفيات: " روى عن [الامام] أبي جعفر الباقر [محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ع]، ومالك بن دينار، و... .

أخباره مشهورة ... وطريقته مشهورة، قال النسائي: ابراهيم أحد الزهاد، وهو مأمون ثقة. وقال الدارقطني: ثقة، وسيرته في " تاريخ دمشق " ثلاث وثلاثون ورقة

وقال صاحب جمهرة الأولياء: " مرَّ ابراهيم بن أدهم في أسواق البصرة، فاجتمع اليه الناس، فقالوا : يا أبا اسحاق، إنَّ الله تعالى يقول: ادعوني أستجب لكم^١. ونحن ندعوه منذ حين وهو لا يستجيب لنا؛ فقال : يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

١. عرفتُم الله ولم تؤدوا حقَّه.
٢. قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.
٣. إدَّعَيْتُم حب رسول الله (ص) وتركتم سنَّتَه.
٤. إدَّعَيْتُم عداوةَ الشيطان ووافقتموه.

^١ سورة غافر، الآية ٦٠.

٥. قلتم إنَّ الموت حق ولم تستعدُّوا له.
 ٦. قلتم نخاف النار وارْتَضَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لَهَا.
 ٧. قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها.
 ٨. اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم.
 ٩. أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها.
 ١٠. دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.
- " فكيف يستجاب دعاؤكم "

وسئل بِمَ يتم الورع؟ قال: بأن يتساوى في قلبك، وأن تميز عندك خالص الحلال، من صريح الحرام، بردَّ الشبهة؛ ثم اشتغالك عن عيوب الناس، بعيوب نفسك. ففكر في ذنبك، وتبَّ إلى ربك، يثبتُ الورع في قلبك، واحسم الطمع إلا من ربك.

وكان يقول: رأس العبادة التفكير والصمت إلا من ذكر الله. أشد الجهاد جهاد الهوى، مَنْ منع نفسه هواها فقد استراح من الدنيا وبلائها، وكان محفوظاً من أذاها.

وقال: مكتوب في بعض كتب الله: مَنْ أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطاً على الله، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به أصبح يشكو ربه. وقال: على القلب ثلاثة أغطية، الفرح، الحزن والسرور. فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم؛ وإذا حزنتَ على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررتَ بالمدح فأنت مُعْجَبٌ، والعُجْبُ يحبط العمل؛ ودليل ذلك كله، قوله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم إنَّ الله لا يحب كل مختال فخور^١. وقال: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة، إذا آنستني بذكرك ورزقتني حبك، وسهلت علي

^١ سورة الحديد، الآية ٢٣، وفيها خطأ واضح، والصحيح بعد كلمة آتاكم: والله لا يحب كل مختال فخور. لذا كلمة إنَّ هنا زائدة.

طاعتك، وفرغتني للتفكير في عظمتك، فأعط الجنة مَنْ شئت، واجعل لي رضاك مؤثلاً وعاقبة.

وقال ابراهيم بن بشار: ما رأيت في جميع مَنْ لقيته مِنْ العباد والعلماء والصالحين والزهاد أحداً ييغض الدنيا، ولا ينظر اليها، مثل ابراهيم بن أدهم. ربما مررنا على قوم قد أقاموا حائطاً أو داراً أو حانوتاً، فيحول وجهه ولا يملأ عينيه من النظر اليه، فعاتبته على ذلك، فقال: يا ابن بشار: اقرأ ما قال الله تعالى: ليلوكم أيكم أحسن عملاً^١، ولم يقل أيكم أحسن عمارةً للدنيا وأكثر حباً ونخراً وجمالاً، ثم بكى، وقال: صدق الله عز اسمه فيما يقول: وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون^٢، ولم يقل ما خلقت الانس والجن إلا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال ويبنوا الدور ويشيدوا القصور ويتلذذوا ويتفكهوا، وجعل يومه يردد ذلك ...

وصحبه رجل، فلما أراد أن يفارقه، قال له: [يا ابراهيم]، إن كنت رأيت، في عيباً فنبهني عليه، فقال له ابن أدهم: لم أرَ فيك يا أخي عيباً، لأنني لا حظتك بعين الوداد، فاستحسنيت كل ما رأيته منك فاسأل غيري.

وذكره الياضي في مرآة الجنان ضمن وفيات سنة ١٦٢هـ، وقال: " فيها توفي السيد الكبير، الولي الشهير، ذو السيرة الزاهرة، والآيات الباهرة، العارف بالله، المقرب المكرم، أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم .. وهذا إشارة الى قطرة من بحر مناقبه ومحاسنه وما يليق بوصفه في ظاهره وباطنه. وأما قول بعض المؤرخين مثل الذهبي وغيره: وفيها توفي ابراهيم بن أدهم البلخي الزاهد واقتصارهم في وصفهم له بالزهد الذي هو من أوائل مقامات المريدين المبتدئين في مقامات السالكين، فذلك غض من قدره، وعلو مرتبته، وحط له عن رفيع منزلته، وكذلك فعلوا في غيره من السادات العارفين، والأولياء

^١ سورة هود ١١، الآية ٧، وسورة الملك ٦٧، الآية ٢.

^٢ سورة الذاريات ٥١، الآية ٥٦.

المقربين، فالعجب منهم في ذلك كل العجب، في اقتصارهم في وصفهم، على وصف من هو بالنسبة الى جلالة قدرهم حقير مع وصفهم لمن هو حقير بالنسبة اليهم، ومدحهم له بمدح كثير، والعجب الأكبر قول الذهبي: روى عن منصور، ومالك بن دينار، وطائفة، ووثقه النسائي وغيره. يا للعجب كل العجب ممن يستشهد على التوثيق والتعديل بقول معدل، للمولى المعظم الذي اشتهرت فضائله كراماته في العرب والعجم، ... وقد ذكرت في غير هذا الكتاب نبذة من مناقبه وكراماته ومحاسن سيرته وسياحاته، وكيف كان أول خروجه وسماعه الهاتف من قربوس سرجه، وها أنا أقتصر هنا على ذكر كرامة واحدة من كراماته مما نقلها العلماء والأولياء .. قال محمد بن المبارك الصوري، كنتُ مع ابراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة^١ تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات، وسمعت صوتاً من أصل تلك الرمانة : يا أبا اسحاق: أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً، فطأطأ رأسه ثلاث مرات ثم قال: يا محمد كن شفيعاً اليه ليتناول منا شيئاً، فقلت: يا أبا اسحاق، لقد سمعتُ، فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة، وناولني الأخرى فأكلتها، وهي حامضة، وكانت الشجرة قصيرة، فلما رجعنا من زيارتنا اذا هي شجرة عالية، ورمانها حلو، وهي تثمر في كل عام مرتين، وسموها رمانة العابدين، ويأوي الى ظلها العابدون .

وفاته:

توفي رحمه الله سنة ١٦١ هـ وقيل سنة ١٦٢ هـ، وروي أنه عندما أحسَ بالموت، قال : أوتروا لي قوسي، وقبض عليها وتوفي وهي في كفه فدفن في جزيرة بالبحر في بلاد الروم، وقال ابن عساكر دفن في سوفنن (حصن في بلاد الروم)، وقال القشيري وابن كثير، دخل الشام ومات بها، وقال المناوي: مات بالجزيرة سنة ١٦٢ هـ وحُمِلَ ودُفِنَ في مدينة صور.

^١ القيلولة: النوم وقت الظهيرة، الاستراحة في الظهيرة وإن لم يكن معها نوم.

وتجد أخباره في :

أولاً المصادر العربية:

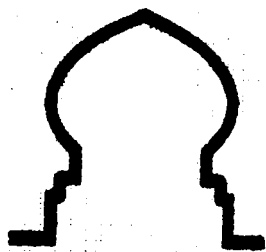
- الأعلام لخير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٤.
- الأنساب للسمعاني، ج ٢، ص ٣٠٤ (بلخ).
- البداية والنهاية لابن كثير، ج ١٠، ص ١٣٥، وفيات ١٦٢هـ.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبدالقادر بدران، ج ٧، ص ١٦٧.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ١٠٢، الرقم ١٧٦.
- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف لمحمود أبي الفيض المنوفي الحسيني، ج ٢، ص ١٢٥.
- حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الاصبهاني، ج ٧، ص ٣٦٨، ج ٨، ص ٣.
- دائرة المعارف الاسلامية ترجمة محمد ثابت الفندي وأصحابه، ج ١، ص ٣٣.
- الرسالة القشيرية لعبدالكريم بن هوازن، ص ٨.
- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر لابن الشحنة (خطي)، وفيه وفاته سنة ١٦٠هـ.
- شذرات الذهب لابن العماد، ج ١، ص ٢٥٥، وفيات ١٦٢هـ.
- شرح المقامات الحريرية للشريشي، ج ٢، ص ٨٢.
- طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي، ص ١٣.
- الطبقات الكبرى (طبقات الشعراني) لعبد الوهاب الشعراني، ج ١، ص ٩١.
- العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، ج ١، ص ٢٣٨.

- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته)
ليوسف العش، ص ٢٩٤.
- فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبی، ج ١، ص ١٣.
- الکواکب الدرية في ترجمة السادة الصوفية للمناوي، ج ١،
ص ٧٣.
- اللمع في التصوف لأبي نصر عبدالله بن علي السراج
الصوفي، ص ١٥٠، ١٦٤، ١٧٨، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠١،
٢٦١.
- مرآة الجنان لليافعي، ج ١، ص ٣٤٨، وفيات ١٦٢هـ.
- مفتاح السعادة لطاش کبری زاده: ج ٢، ص ٣٩، ٢١٣، ٢٨٦.
ج ٣، ص ١٢٣، ١٩٢، ٢٨٦.
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، ج ٢، ص ٤٢، وفيات سنة
١٦٢هـ، كما ذکر له أخبار في صفحات متفرقة (انظر
فهرسه).
- الوافي بالوفيات للصفدي، ج ٥، ص ٣١٨، الرقم ٢٣٩٠.

ثانياً: المصادر الفارسية:

- ارزش میراث صوفیه لعبدالحسين زرین کوب، ص ٤، ٥٤،
٥٥، ٩٠، ١٣٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٦، ٢٠٤.
- بحث در آثار وافکار واحوال حافظ (تاریخ تصوف در
اسلام) تألیف الدكتور قاسم غنی، ص ٩، ٢٦، ٥٦، ٥٩،
١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٩، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٧٠،
٢٧٦، ٢٨١، ٢٩٥، ٣٠٨، ٣٩٠، ٤٣٥، ٤٤٩، ٤٥٠،
٥٠٧.

- تذكرة الأولياء للعطار النيشابوري، ج ١، ص ٨٥.
- سرچشمه تصوف در ايران لسعيد نفيسي، ص ٢٢، ٣٥، ٣٨، ٤١، ٧٥، ٨٠، ١٩٣، ١٩٧.
- سلسهای صوفيه در ايران تأليف نورالدين مدرسی چهاردهی، ص ١٥١، ٢٥٥.
- طبقات الصوفيه لأبي اسماعيل عبدالله الهروي الانصاري، ص ٥٦.
- نفحات الانس من حضرت القدس لنور الدين ملا عبدالرحمن جامي.
- طبعة (Less)، الرقم ١٤، وطبعة طهران (كتابخروشي سعیدی)، ص ٤١.



نقد الكتب

أخت للعربية منسية

بقلم الدكتور فكتور الكك
أستاذ جامعي - بيروت / لبنان

هذا كتاب فريد، حول لغة فريدة، ولمؤلف عالم. أما المؤلف فهو الاستاذ الدكتور رودلف ماتسوخ، رئيس قسم اللغات السامية في جامعة برلين الغربية. وهو بحق أحد العلماء الاعلام الذين قاموا بتحقيقات ودراسات رصينة في ميدان الدراسات السامية من مثل "نولدكه"، "يان باكوش"، "اللبيدي دروور"، "شبيتالر"، "خولسن"، "نيبرغ" وغيرهم.

وعدة الدكتور ماتسوخ في أبحاثه اطلاع شامل عميق على اللغات السامية كلها: من عربية، وعبرية، وسريانية، ومندائية، وغيرها؛ ومعرفة راقية بلغات حية كثيرة كالتشيكية لغته الأم، والالمانية، والروسية، والفرنسية وغيرها.

أما اختصاصه الذي برز فيه فهو الدراسات اللغوية بوجه عام، والدراسات اللغوية السامية بوجه خاص.

وأبرز كتبه في هذا الميدان كتابه الحاضر في اللغة المندائية، والمعجم في اللغة المندائية الذي اشترك في تأليفه مع اللبيدي "دروور" وطبع في

اكسفورد سنة ١٩٦٣، الى جانب كتب وأبحاث كثيرة بلغات كثيرة، كالفارسية، والانكليزية، والالمانية وغيرها.

واللغة الفريدة التي كانت موضوعاً لدراسة المؤلف الفاضل في الكتاب الحاضر، هي اللغة " المندائية " [بفتح الميم] أو هي بعبارة أخرى ، اللغة الصَّبِيَّة، وزيادة في الايضاح نقول : انها لغة الصابئة أو الصبة أو الصابئين. والصابئون قوم أهل توحيد، عرفوا الاله الحق، تبلور مذهبهم في فلسطين قبل ظهور المسيحية؛ وهم من أتباع القديس يوحنا المعمدان. ورد ذكرهم في الكتب العربية القديمة بإسم المغتسلة، لأنهم كانوا يسكنون على ضفاف الأنهر ليتسنى لهم إجراء مراسم التعميد الذي لا يجوز في مذهبهم إلا في الماء الجاري، ويتكرر، كلما دعت الحاجة الى غسل الآثام؛ خلافاً للعماد عند النصارى، فهو لا يكون إلا مرة واحدة ... وهؤلاء المغتسلة هم احدى الفرق الصبِيَّة، كانوا يقيمون في ناحية " ميسان "، فنزل والد " النبي " الايراني " ماني " بينهم ، ونشأ ماني نفسه بين ظهرانيهم.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم على أنهم من أهل الكتاب، وذلك في سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج.

ففي الآية السادسة والعشرين من سورة البقرة ما يلي : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾. فهؤلاء بالتالي هم الصابئة الأصليون لا صابئة حرّان الذين انتحلوا أسمهم، لأن الحرائيين مشركون. (راجع بحثنا باللغة الفارسية في مجلة كلية الآداب بجامعة طهران، وقد نشر على ثلاث مراحل، أولاها في العدد الثالث من السنة العاشرة تحت عنوان : تأثير صابئين حرّان در تمدن اسلامي؛ والأقسام الأخرى من البحث في الأعداد التي تلت سنة ١٩٦٢. وراجع كتابنا، بالعنوان نفسه، المطبوع في بيروت سنة ١٩٧١).

وقد هاجر هؤلاء الصابئون من فلسطين الى ما بين النهرين وخوزستان، فتأثر مذهبهم بالمذاهب التالية: البابلي والزرادشتي والمسيحي والاسلامي فيما بعد؛ ولا يزالون أحياء يرزقون مع مذهبهم في العراق وايران حتى يومنا هذا ؛ولهم تقاليدهم ومعتقداتهم ولغتهم الخاصة بهم. وهم يسمون أنفسهم " المندائيين " ، واسمهم مشتق من كلمة " مندا " وهي تعني في لغتهم العلم والعرفان، فالمندائي هو العارف بالمعنى الصوفي للكلمة.

أما الكتاب الذي نحن بصدد الكلام عليه، فقد عمد فيه الدكتور ماتسوخ الى تكميل معرفة الباحثين وطلاب العلم باللغة المندائية الكلاسيكية بدراسة مباشرة للتلفظ في وجهيه: المتواتر القديم والعامي المتداول، بالاضافة الى دراسة اللغة المندائية في صرفها ونحوها.

ولا يخفى على الباحثين من ذوي الاطلاع في هذا الميدان من الدراسات ان المستشرق الكبير "تولدكه" قام بدراسة اللغة المندائية في مؤلفه القيم " قواعد اللغة المندائية " (*Mandaïsche Grammatik*) . إلا أن الدكتور ماتسوخ، بالاضافة الى اهتمامه بهذه الناحية التي أسهب فيها تولدكه وأجاد، وسعيه الى تكميل عمل سلفه الكبير، صرف همهته بوجه خاص وبالدرجة الاولى، الى دراسة اللغة المندائية من الناحية الصوتية (*Phonetics*) في تحري وجوه التلفظ بها، وصحة هذه الوجوه التي أخطأ فيها عدد من الذين تقدموه، معتمداً على دراسة اللغة المندائية العامية الدارجة في صرفها ونحوها وتركيبها.

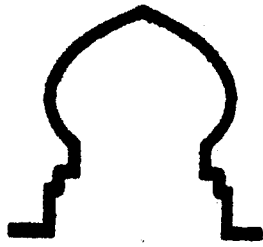
والذي سهّل له مهمته هذه احتكاكه المباشر بأفراد الطائفة المندائية في الاهواز ، فقد اتصل بالشيخ عبدالله خفاجي " ترميدا " الطائفة في الاهواز، فأخذ عنه التلفظ المتواتر للغة المندائية الكلاسيكية، وبالسيد ناصر صبورى خادم مذبح الطائفة المذكورة الذي درس الدكتور ماتسوخ عليه اللغة المندائية الدارجة، وقبس من علمه اطلاعات قيمة لا يمكن الحصول عليها من مصدر

آخر. وهذا الاتصال المباشر بأهل اللغة لم يتيسر لأحد ممن سبقوه، كـ "بيترمن"، "سوسين"، "ليدزبارسكي" وغيرهم.

هذا وكان من أثر دراسة ماتسوخ الحية للغة المندائية أن أهلت له تصحيح الكثير من طرق تلفظ الأوضاع، والنظريات الفونيتيكية القاطعة التي أذاعها غيره. وواقع الأمر أن أضرابه من الذين انصرفوا إلى مثل هذه الدراسات كان بإمكانهم أن يتفادوا الأحكام التي أطلقوها جزافاً فيما يختص بفونيتيكية اللغة المندائية واللهجات الآرامية الأخرى، فيما لو عمدوا إلى دراسة اللهجة المندائية التي ما تزال حية عن طريق دراسة مباشرة لطرق التلفظ بها.

والعجيب أن "نولدكه" مع أنه أستاذ في دراسته للمندائية في كتابه المذكور آنفاً إلى اللغة الكلاسيكية الأدبية، استطاع أن يقدم حلاً معقولة للمسائل الفونيتيكية المندائية، بخلاف من تلاه من الدارسين فإنهم أطلقوا أحكاماً سريعة؛ وهم يشتركون معه في عدم معرفتهم بأن اللغة المندائية لا تزال حية في الأهواز وخرمشهر وغيرهما، في حين أن الدراسة الصحيحة لهذه اللغة يجب أن تبدأ بدراسة اللغة المحكية في هذه المراكز، إذ أنها استمرار للغة الكلاسيكية في أوضاعها وتلفظها والكثير، من قواعدها

ويقع كتاب الدكتور ماتسوخ في ٦٤٩ صفحة من القطع المتوسط، منها ١٨٥ اشتملت على مصادر ونماذج من اللغة المندائية المحكية مع ثبت بمفرداتها وفهرس فيلولوجي. هذا فضلاً عن مقدمة في شؤون دراسة المندائية ودارسيها استغرقت ٦٨ صفحة.



أخبار ثقافية من العالم الاسلامي

الهند تفرض حظراً على التدخين في الأماكن العامة :

فرضت الهند مؤخراً حظراً على التدخين في الأماكن العامة في جميع أنحاء البلاد، وذلك في إطار حملتها ضد التبغ الذي حذرت دراسة طبية من أنه سيؤدي بحياة مليون شخص سنوياً في البلاد بداية العام ٢٠١٠.

ويحظر القرار الجديد التدخين في الفنادق والمطاعم والمقاهي والحانات والمكاتب والمطارات ومحطات القطارات ومواقف الحافلات ومراكز التسوق والمرائب. ولن يكون بوسع المدخن - بموجب هذا القرار - إشعال فتيل سيجارته سوى داخل منزله أو في الأماكن المفتوحة فحسب.

ويتسبب التدخين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في خمس الوفيات في ثالث أكبر مستهلك للسيجارة في العالم. وتقدر غرامة انتهاك القرار بما يقارب أربعة دولارات إلا أن السلطات المعنية بالصحة أوضحت أنه يجري التفكير في تغليظ الغرامة إلى ٢٥ دولار.

وقال وزير الصحة الهندي أنبوماني رامادوس في تصريحات صحفية إن قرار الحظر لقي مردوداً طيباً بين سكان البلاد التي يبلغ عدد المدخنين بها ١٢٠ مليون شخص.

وأوضح رامادوس الذي يخوض حملة ضد التدخين أنها " عملية متواصلة، والرسالة ستنتشر عبر تكرار حملات التوعية التي ستنظمها الحكومة ووسائل الاعلام ". يذكر أن الهند لديها قوانين تحظر التدخين في الأماكن العامة إلا أنه لم يتم تطبيقها بصرامة. ويأتي هذا القرار تزامناً مع ذكرى ميلاد رمز الاستقلال الهندي مهاتما غاندي المعروف بزهد ونقشفه.

البريد الالكتروني أسوأ طريقة للتواصل في العمل :

رأى باحثون أميركيون أن البريد الالكتروني هو أسوأ طريقة للتواصل في مركز العمل إذ يبرر الناس لأنفسهم الكذب من خلاله. وقال ليوبا

بيلكن من جامعة ليهاي: أن الناس لا يستطيعون رؤية التصرفات والاشارات غير الكلامية عندما يتواصلون عبر البريد الالكتروني ما يترك مجالاً واسعاً لسوء التأويل والخداع المتعمد. وأضاف بيلكين، الذي أجرى الدراسة بالاشتراك مع تيري كورتزبيرغ من جامعة روتغيرز وشارلز ناكوين من جامعة دو بول: ان الباحثين أعطوا ٨٩ دولاراً لـ ٤٨ طالباً جامعياً وطلبوا منهم اقتسامها مع طرف مفترض قيل لهم أنه يعلم بأن المبلغ يتراوح بين ٥ و ١٠٠ دولار. وتبين ان ٩٢% من الطلاب الذين استخدموا البريد الالكتروني كذبوا بشأن المبلغ الذي بحوزتهم، في حين أن أقل من ٦٢% منهم كذبوا بشأن المال عندما استخدموا الورقة والقلم.

وفي دراسة متصلة أخرى شملت ٦٩ طالباً جامعياً، وجد الباحثون أنه كلما كان من يوجهون الرسائل الالكترونية يعرفون بعضهم البعض كلما كانت أكاذيبهم أقل، لكنهم مع ذلك يكذبون.

في رسالته الى القرضاوي

المرجع سبحاني :

اتبعوا نهج الاستاذ الكبير شلتوت وعززوا أواصر التقريب

الغرب والصهيونية العالمية يسعيان عبر تخويف الناس من الاسلام

وايران والشيعية الى أبعادهم عن الاسلام.

بعث آية الله العظمى الشيخ جعفر سبحاني رسالة الى رئيس اتحاد العلماء المسلمين الشيخ يوسف القرضاوي، دعاه فيها الى التآسي بمنهج الشيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت وتعزيز أواصر التقريب بين المذاهب الاسلامية.

وأكد الشيخ جعفر سبحاني في رسالته الى الشيخ القرضاوي، " أن الخلاف بين المسلمين كان موجوداً بعد وفاة النبي الكريم (ص) ومستمراً الى

الآن، ولا يمكن رفع هذا الخلاف خلال يوم أو اسبوع أو سنة "، مضيفاً " أن الحكمة والدراية توجب على كبار العلماء ان يؤكدوا على المواقف المشتركة وان يتجاهلوا القضايا الخلافية أو أن يطرحوها فقط في المنتديات العلمية بعيداً عن الضجيج السياسي وأن يقللوا قدر المستطاع من دائرة الخلاف ".

وأضاف آية الله سبحانه: لقد قرأت بيان سماحتكم بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٩ الموافق ١٣ ايلول ٢٠٠٨ رداً على وكالة مهر للأنباء والسيد فضل الله والشيخ التسخيري، وقد تضمن البيان نقاطاً تستحق التقدير، لأنكم وبالأدلة والبراهين برأتم الشيعة عن الاعتقاد بتحريف القرآن. كما أن دفاعكم عن الاستخدام السلمي للطاقة النووية من قبل ايران يستحق التقدير والشكر.

وتابع، انه " لاشك في أن سماحتكم رجل التقريب وكانت لكم دوماً مقالات ومحاضرات في حفظ وحدة الكلمة، والجميع مدركون لموقفكم في هذه القضية، ولا يتوقع أحد منكم إلا أن تتأسوا بالاستاذ الكبير المرحوم شلتوت وتعزوا أواصر التقريب، ومع تقديري وشكري أود لفت سماحتكم الى بعض النقاط".

وأورد آية الله العظمى الشيخ جعفر سبحاني، عدداً من النقاط، من أهمها:
- إن " سماحتكم وجميع المفكرين يعلمون أن الغرب والصهيونية العلمية ومنذ سنين متتالية، ومن أجل ابعاد شعوب العالم عن الاسلام، يركزون على ثلاث محاور:

- التخويف من الاسلام.
- التخويف من ايران.
- التخويف من الشيعة.

ويوظفون وسائل اعلامهم في هذا المجال، ويصورون الاسلام وايران والشيعة كأنها من أخطر ما يهدد الحضارة الانسانية والسلام العالمي. في مثل هذه الظروف فماذا يمكن أن يعني حوار سماحتكم مع صحيفة (المصري

(اليوم) حول الشيعة وانتشار موجة التبشير الشيعي في الدول ذات الغالبية السنية وتحذيركم في هذا المجال؟ وماذا يمكن أن يكون انطباع القرار (خلافاً لشخص سماحتكم)، إلا تأييداً لموقف الاستكبار العالمي والصهيونية العالمية؟".

"سماحتكم عندما تؤكدون على ان الشيعة اهل بدعة، ومن جهة تعتبرون اهل السنة بأنهم الفرقة الناجية من بين ٧٣ فرقة، والفرق الأخرى من اهل النار، وتستدلون على رأيكم بالحديث المعروف، ففي مثل هذه الظروف، ماذا يمكن أن يكون انطباع شاب سني متطرف؟ إلا أن يشد حزاماً ناسفاً ويذهب من الاردن الى مدينة الحلة في العراق ليقول بتفجيره عدداً كبيراً من الشيعة، ليدخل الجنة حسب عقيدته! وفوق ذلك، تقيم عائلته له في الأردن عرساً، لأنه انتقل الى رحمة الله دون زواج!".

في مثل هذه الظروف المتأزمة التي يصر فيها الاستكبار العالمي والصهيونية على اشعال نار الحروب الاهلية داخل الامة الاسلامية، فهل يليق بمقام عالم مفكر مسلم أن يجري مثل ذلك الحوار أو يصدر بياناً يصر فيه على هذه المواقف؟ وما انتقاد السيد فضل الله والشيخ التسخيري وهما من المقبولين لديكم، إلا من هذا الباب.

- بالنسبة للتحذير من انتشار التشيع في المناطق السنية، واعتباره خطراً على الاسلام السني، " لكن ألا تعلمون انه في السعودية والامارات لا يمر يوم إلا ويطلع فيه كتاب أو رسالة أو مقال ضد الشيعة؟ وللأسف كلها تكرار للمكررات والاتهامات الواهية والتي تم الرد عليها عشرات المرات، ألا يليق بسماحتكم ان تنتقدوا هذا العمل في أحد حواراتكم وخطاباتكم؟ انهم لم يكتفوا بهذا الحد، بل ينشرون كتباً في انتقاد الشيعة باسم علماء الشيعة، حتى انهم طبعوا كتاباً باسمي وكتاباً آخر باسم المرحوم العسكري أظهروا فيه كلانا وكأننا ندعو الى الوهابية وننتقد الشيعة!، حتى انه مصر الحبيبة " مسقط

رأسكم"، تم تدوين كتاب في نقد رأيي الفقهي حول (الصلاة خير من النوم) امثلاً ثلاثة أرباعه بالذم والسباب والافتراء والتهم، ومن المستغرب ان أحد أساتذة الأزهر وهو محمد البري كتب المقدمة لهذا الكتاب، فهل يستحق البحث في أحد الفروع الفقهية كل هذا الذم والسباب؟".

ثم ناقش آية الله العظمى الشيخ جعفر سبحاني في رسالته المطولة الى الشيخ يوسف القرضاوي، مواضيع علمية هي محل خلاف بين فريقَي المسلمين. مؤكداً ان الخلاف إنما هو في الفروع وليس في الأصول، مشيراً الى أن موضوع الخلاف الرئيسي وهو (الامامة والخلافة)، وبشهادة علماء أهل السنة، إنما ينضوي تحت (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)، والدعوة الى الاسلام ونوعية الحكم الاسلامي، معاتباً القرضاوي لاعتباره الشيعة أهل بدعة، وكان من المفروض على الأقل أن يعتبرهم مجتهدين، ان اصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، كما يقول الفقهاء.

الكتاب الالكتروني يقترب من غزو الاسواق بقوة :

في ظل ضعف النظر يجد العديد من كبار السن أن الكتب التي يستطيعون قراءتها هي تلك المطبوعة بحروف كبيرة يبلغ حجم الخط فيها من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ولكن المتاح منها غالباً ما يكون روايات مثيرة وقصص مغامرات لا تلقي إعجابهم بالضرورة.

في الماضي كان هؤلاء فقط يحملون بالكتاب الالكتروني وهو أداة تسمح للاختيار من بين مئات الآلاف من الكتب الورقية ولكن في حال تمكن أصحاب المعاشات من تحمل نفقاتها ودون الحاجة لحضور دروس في الحاسب الآلي قبل استخدامه.

وبالرغم من ذلك وبعد سنوات من البدايات الخاطئة يبدو أن الكتب الالكترونية التي تكون رقيقة وتعرض بشكل بالغ البساطة أصبحت رخيصة

الثن بشكل كاف للاستخدام الجماعي. وبفضل تكنولوجيا حديثة تدعى الحبر الالكتروني يمكن لهذه الكتب أن تؤدي وظيفتها لأسابيع دون الحاجة الى اعادة شحن للبطارية.

وفي بداية العام المقبل ت دشّن شركة سوني العالمية نسختها " بي. آر. إس ٥٠٥" في ألمانيا التي تعد أكبر أسواق أوروبا وهذا المنتج عبارة عن أداة للقراءة يحتوي على شاشة أبيض وأسود يصل سمكها الى ٦ بوصة وذلك بعد أن قامت الشركة بعرضه على بائعي الكتب في تشرين الاول في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب.

وقد حقق هذا المنتج الذي تم تدشينه هذا العام في بريطانيا وفرنسا مبيعات جيدة مثل النماذج السابقة التي عرضت في كل من اليابان والولايات المتحدة. يحتوي هذا المنتج على حروف متموجة وتباين الشاشة يكون أقل من تلك التي تحتوي عليها الكمبيوتر المحمول " لابتوب ".

وقال المدير التنفيذي لشركة سوني بيتر سايتش المشرف على جميع محتويات جهاز " بي. آر. إس ٥٠٥" في ألمانيا إنه لم يحدد بعد سعر لهذا المنتج. وفي فرنسا يباع هذا المنتج بسعر رسمي يصل الى نحو ٢٩٩ يورو وهو ما يعد حداً سعرياً حساساً.

ومع ذلك فإن اجهزة القراءة التي تحتوي على الحبر الالكتروني ينقصها أن الصورة لا يمكن تدويرها بسهولة والشاشة ما تزال أصغر من مساحة الطباعة في الكتب ذات الأغلفة الورقية. وفي ألمانيا أيضاً يوجد مصنع في دريسدن يقوم بتجميع منتج لم يتم تسميته بعد لطرحه في السوق في النصف الأول من عام ٢٠٠٩. ومن المتوقع أن يحتوي على شاشة أبيض وأسود تحتوي على نفس مساحة الطباعة الموجودة على ورقة سمكها " أي ٤" وهذه المساحة الكافية تناسب العناوين وربما ثلاثة أعمدة وصور ورسوم بيانية ويولي ناشرو الأخبار والكتب المدرسية اهتماماً وثيقاً بهذا المنتج.

ترشيح واحة الاحساء لعجائب الدنيا الطبيعية :

تتنافس واحة الاحساء بالمملكة العربية السعودية مع ٢٧٧ موقعاً طبيعياً حول العالم في مسابقة عجائب الدنيا الطبيعية السبع تحت اشراف هيئة يرأسها أحد مدراء اليونسكو السابقين وهو المستر فريكو حيث تتخذ من البرتغال مقراً لها وهي ذاتها الهيئة التي أشرفت على مسابقة عجائب الدنيا السبع التي أقيمت العام الماضي والتي تم من خلالها ضم مدينة البتراء الأثرية في الأردن ضمن عجائب الدنيا السبع بدلاً من العجائب السبع التي اندثرت مثل حدائق بابل وغيرها وأصبح السواح يزورون تلك الأماكن الآن بكثرة.

ولقد رشحت الاحساء ضمن عجائب الدنيا الطبيعية السبع في العالم لما تمتلكه من واحة نخيل في قلب الصحراء حيث يقدر عمر النخلة هناك بأكثر من ٤٠٠٠ آلاف سنة وهي صامدة وسط الرمال حيث تعتبر أكثر واحة زراعية في العالم كما انها تمتلك العديد من مقومات السياحة المتنوعة مثل جبل القارة بمغارته المشهورة حيث برودتها صيفاً ودفؤها شتاءً وشاطئء العقير بميناءه الأثري ومسجد جواثا التاريخي وهو الذي أقيمت به ثاني صلاة جمعة في الاسلام ومشروع حجز الرمال ومشروع قنوات الري وبحيرة الاصفر والعديد من القصور الأثرية والقلاع.

وواحة الاحساء مثلما كانت أكبر موقع لتصدير أفضل أنواع التمور في العالم هي أيضاً أكبر موقع لتصدير البترول الخام للعالم حيث يوجد بها أكبر حقل بترولي في العالم وهو حقل الغوار العملاق.

العلامة السيد محمد حسين فضل الله :

الثورة الاسلامية الايرانية تؤكد قابلية الاسلام لتقديم أطروحاته السياسية والفكرية :

أكد سماحة العلامة المرجع، " السيد محمد حسين فضل الله " أن الثورة الإسلامية في إيران أعقاب انتصارها، وبعد الجهد الكبير للامام الخميني " ره " تؤكد قابلية الاسلام لتقديم أطروحاته السياسية والفكرية والثقافية والادارية وتطبيقها في العصر الحديث.

أعلن ذلك، العلامة فضل الله في مقر إقامة بعثته في مكة المكرمة خلال لقائه وفد بعثة حزب الله الى الديار المقدسة، برئاسة سماحة الشيخ " محمد يزبك " وعضوية النائبين " حسين الحاج حسن " و " علي المقداد " والنائب السابق " محمد برجاي " ومسؤول الوحدة الثقافية الشيخ " أكرم بركات " ومسؤول العلاقات العربية في الحزب الشيخ " حسن عز الدين " .

وجرى خلال اللقاء بحث عدد من القضايا الاسلامية الراهنة وفي الأثر الكبير الذي يكونه الحج في الاجتماع السياسي والعبادي الاسلامي، وكيفية الاستفادة من موسم الحج في تعزيز الوحدة الاسلامية ونبذ العصبية والحساسيات التي تثار في الواقع الاسلامي لايجاد ثغر فيه وخصوصاً بين السنة والشيعة.

وتحدث سماحة السيد فضل الله في الوفد، مشيراً الى البدايات الحركية الجديدة للاسلام في القرن الفائت، وأكد الدور الكبير الذي اضطلعت به حوزة النجف الأشرف بأعلامها وعلمائها ومفكرها في رقد الواقع الاسلامي الحركي، ما ساهم في بلورة الكثير من المفاهيم الاسلامية التي عملت الثورة الاسلامية في ايران في أعقاب انتصارها، وبعد الجهد الكبير للإمام الخميني، على تكريسها في الواقع، ومحاولة تقديمها كنماذج تؤكد قابلية الاسلام لتقديم أطروحاته السياسية والفكرية والثقافية والادارية وتطبيقها في العصر الحديث. وأشار سماحته الى أن الاسلام يمثل أمانة في أعناقنا جميعاً وأن حمل الأمانة يقتضي أن نعيش في حال انفتاح وحوار وتواصل مع المسلمين كافة وأن نحترم ما عندهم من تراث وفكر اسلامي، لأننا نعتقد أن الاسلام يغتني

في حركة الحوار الداخلي، بينما يختنق في حركة التراشق التي تحمل عناوين التخوين والتكفير والتضليل التي تنطلق من بعد، والتي يحاول فيها كل فريق أن يؤكد أحقية ما يطرحه من خلال السعي لتثويته ما عند الآخر، والحقيقة تقتضينا أن نلتقي ونتحاور بعيداً من التباغض والتحاسد والتنافر.

وقال سماحته: لقد استطاعت المقاومة الاسلامية في لبنان أن تعطي الحركية الاسلامية معنى في التحدي الميداني والمواجهة المباشرة مع الاستكبار العالمي ووكيله الصهيوني في المنطقة، وأن تفتح الآفاق في العالم العربي والاسلامي على ثقافة النصر وعلى الانتصار للمظلوم، بعدما أدمن هذا العالم ثقافة الهزيمة، كما أدمن نكاً جراح المظلومين والمضطهدين وعمل على خذلانهم والتكرار لحقوقهم وقضاياهم.

وأشار العلامة فضل الله الى أنه، وعلى الرغم من كل هذه الانجازات التي قدمتها المقاومة، لا نزال نحتاج الى مقاومة من نوع آخر لا تقل أهمية عن المقاومة العسكرية والامنية والجهادية، نحتاج الى المقاومة الثقافية التي نتحرك من خلالها جميعاً في مشروع اسلامي واحد نواجه فيه الخرافة ونتصدى فيه للغو والتخلف الذي يحاول أن يقدم نفسه في هذه الأيام كتيار له حضوره ونماذجه وأفكاره، التي يحاول من خلالها أن يتصدى لتيار الوعي والحركية والانفتاح الذي يمثل حال الخلاص الحقيقي للأمة.

وأشار سماحته الى وجود نماذج بارزة في تيار الوعي بدأت تفرض نفسها على الساحة كما في بعض الرموز العلمانية في مدينة " قم " وغيرها. وشدد العلامة السيد محمد حسين فضل الله على أننا نريد للبنان الذي انطلق في خط المقاومة ليعطي الكثير للأمة أن يفتح على، الحركة الاسلامية في مسيرتها التجديدية الواعية وفي الفكر الاسلامي المنفتح والمعاصر الذي يرصد عناصر القوة في العصر ليستفيد منها في مجالات تقديم الصورة الحضارية للاسلام والصورة الحضارية للتشيع في خط أهل البيت.

الافراط في السعرات الحرارية يبعث برسائل تؤدي الى تشوش المخ :

أعلن باحثون أميركيون، أن الافراط في تناول الطعام يجعل المخ مشوشاً بما يؤدي الى اضرار ربما تتسبب في الاصابة بالبول السكري وأمراض القلب وغيرها من العلل. وقال دونج شينج كاي من جامعة ويسكونسين ماديسون وزملاء له : ان الافراط في تناول الطعام ينشط فيما يبدو من مسار نظام مناعي ساكن في المخ بما يعمل على ارسال خلايا مناعية لمهاجمة وتدمير غزاة ليسوا موجودين هناك.

وهذه النتائج التي أعلنت في دورية " الخلية " يمكن أن تساعد في تفسير سبب ان البدانة تسبب أمراضاً مختلفة كثيرة. وقال كاي في بيان : " هذا المسار عادة موجود، لكنه خامل في المخ".

والبدانة مشكلة عالمية متزايدة حيث يقدر ان هناك ١,٨ مليار شخص زائدي الوزن أو بدناء. والعقاقير المسوقة حتى الآن لمكافحة البدانة لها مجرد نجاح محدود ولها عادة آثار جانبية قاسية.

ويجري فريق كاي تجارب في هذا الصدد على الفئران سعياً لتفسير الدراسات التي أظهرت ان البدانة تسبب التهاباً مزمناً عبر أنحاء الجسم. وهذا الالتهاب وجد في سلسلة من الأمراض التي ترتبط بالبدانة، من بينها أمراض القلب والبول السكري.

وهو يكمن في مركب معروف باسم أي كيه كيه بيتا ان كيه كابا بي. والخلايا المناعية مثل الخلايا البلعمية الكبيرة " الماكروفاجيس " وخلايا الدم البيضاء تستخدمه، لكن فريق كالي وجده تحت المهاد وهو جزء من المخ مرتبط بالتمثيل الغذائي لدى الفئران والبشر على حد سواء. وكتبوا " منطقة تحت المهاد هو مقر لتنظيم الطاقة " ، ووجدوا مستويات عالية من المركب هناك، لكنه غير نشط بشكل طبيعي.

وعندما أطعموا الفئران بوجبة غنية بالدهون، أصبحت نشطة بشكل مفرط، وعندما أصبحت نشطة تجاهل الجسم اشارات من هرمون اللبتين الذي يساعد بشكل طبيعي في تنظيم الشهية والانسولين الذي يساعد في تحويل الطعام الى طاقة. وتحفيز مركب " كيه كيه بيتا ان كيه كايا بي "جعل الفئران تأكل أكثر، بينما تثبيطه جعلها تأكل أقل.

الى الفضاء .. بمصعد :

أعلن علماء يابانيون وأميريكيون أن ابتكار (مصعد فضائي) يمكن استخدامه لزيارة الفضاء بات أمراً محتملاً.

ونقلت شبكة (سي أن أن) الأميركية عن البروفسور جيف هوفمان من معهد ماساشوستس لتكنولوجيا الفضاء ان العلماء يعملون على ابتكار آلة شبيهة بالمصعد يمكنها نقل الناس الى الفضاء.

وأضاف هوفمان (نحن قاب قوسين أو أدنى من الحصول على مواد تعمل بقوة تمتد لـ ٣٠ ألف كيلومتر.. لكن ليس لدينا القدرة على صنع اسلاك طويلة من الكربون والنانو حالياً) ، مضيفاً أنه (رغم ذلك فإن تحقيق ذلك ممكن ولو استغرق بعض الوقت).

أما المتحدث بإسم جمعية المصعد الفضائي الياباني أكيراتسوشيذا فقال للـ (سي إن إن) : الأرجح أن المواد الضرورية للابتكار المستقبلي لن تكون جاهزة قبل الفترة الممتدة بين عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٣٠.

وأضاف (لدينا حالياً سلك كربوني يعمل بطاقة النانو وهو يتمتع بثلاث أو ربع القوة المطلوبة لتصنيع المصعد الفضائي، ونتوقع أن يكون السلك القوي المناسب موجوداً في الفترة الممتدة بين عامي ٢٠٢٠ و ٢٠٣٠).

علماء يستعيدون الصور بمسح للدماغ :

نجح باحثون يابانيون في استعادة الصور التي نظر اليها شخص ما عن طريق تحليل مسح بالاشعة للمخ في خطوة قد تمهد الطريق أمام تواصل البشر مباشرة عبر عقولهم. ويأمل الباحثون أن تساعد دراستهم التي نشرت في مجلة الخلية العصبية الاميركية، الاشخاص الذين يعانون من مشكلات في الكلام او الأطباء الذين يدرسون الاضطرابات العقلية بالرغم من مشكلات الخصوصية التي قد تظهر اذا ما تم الوصول الى مرحلة يمكن فيها لشخص ان يقرأ أحلام شخص نائم. وقال يوكياسو كاميتاني رئيس فريق البحث من المعهد الدولي لأبحاث الاتصالات اللاسلكية المتقدمة وهو معهد خاص مقره كيوتو باليابان في مقابلة، " عندما نود أن ننقل رسالة نحتاج الى تحريك أجسامنا على سبيل المثال للتحدث أو النقر على لوحة المفاتيح ". " لكن اذا استطعنا الحصول على المعلومات مباشرة من المخ فمن الممكن التواصل مباشرة من خلال تخيل ما نريد قوله دون الحاجة للحركة".

وقال كاميتاني ان هذه التكنولوجيا يمكن ان تفتح الطريق يوماً ما أمام الاتصال بين أناس لا يستطيعون الكلام أو المساعدة في تجسيد الهلوسات لمساعدة الأطباء على تشخيص الاضطرابات العقلية.

عند الرؤية يتحول الضوء الى اشارات كهربائية عن طريق القرنية في مؤخرة العين ثم تستقبلها القشرة البصرية في المخ.

وشارك باحثون من خمسة معاهد في البحث واستخدموا ماسحاً ضوئياً للمخ لفحص نماذج النشاط في القشرة البصرية. وطور فريق كاميتاني برنامج كمبيوتر لإدخال فحص بالاشعة لاثنتين من المتطوعين يفحصان أكثر من ٤٠٠ صورة ثابتة بالأسود والابيض والرمادي. ثم عرضت على المتطوعين أشكال هندسية وحروف أبجدية مختلفة باللونين الأسود والأبيض. وتمكن

برنامج الكمبيوتر من اعادة صياغة الاشكال والحروف التي رآها المتطوعان ولكن بصورة أقل وضوحاً.

وقال كاميتاني في هذه التجربة أعدنا بناء صور مما شاهده اشخاص بالفعل لكن يقال ان القشرة البصرية للمخ تكون نشطة حتى لدى تخيل الاشياء.

وأضاف ان الخطوة التالية أمام الفريق هي دراسة كيفية تجسيد الصور داخل العقل البشري. وقال " نريد ان نعرف كيف يتم التعبير عن خبراتنا الذاتية واحلامنا داخل عقولنا. وأضاف ان الدارسة قد تقود الى انتاج احلام مصورة.

وتابع انه اذا تمكن الفريق من ذلك فستظهر قضايا الخصوصية والحاجة الى قوانين حماية قوية، واستطرد " مع ارتفاع مستويات الدقة من الممكن تجسيد المعلومات التي يود الاشخاص الاحتفاظ بها لأنفسهم أثناء نومهم.

الفلكيون يكتشفون مصدر الطاقة في ظاهرة الشفق القطبي :

تمكن الفلكيون أخيراً من فك لغز ظاهرة الشفق القطبي، وهي الاضاءة الجميلة التي تشاهد في المناطق الشمالية من الكرة الأرضية القريبة من القطب الشمالي، حيث تظهر أحياناً أحزمة من الضوء يميل لونها للأحمر والأزرق والبنفسجي، وهي ناتجة عن تفريغ كهربائي يحصل بين تفاعل الجسيمات الكهربائية المشحونة القادمة من الشمس والمجال المغناطيسي الأرضي، مشكلة أحزمة من الضوء ذات مظهر سماوي جميل للغاية، حتى أن بعض الفلكيين يعتبر ظاهرة الشفق القطبي " الاورورا " من أجمل الظواهر الفلكية التي يشاهدها الانسان من الارض وتحديداً في القطب الشمالي من الكرة الارضية.

وكانت وكالة الفضاء الأميركية "ناسا" قد أطلقت خمسة أقمار صناعية ضمن مشروع "ثيمس" بإشراف فريق علمي من جامعة "بيركلي" في كاليفورنيا، لدراسة ظاهرة الشفق القطبي، واكتشفت تدفقاً لأحزمة الضوء القطبية وهي ظاهرة الشفق القطبي فوق كندا وألاسكا استمرت بالظهور لمدة ساعتين، تمكنت الأقمار الخمسة خلال هذه المدة القصيرة من قياس تدفق الجسيمات الكهربائية المشحونة القادمة من الشمس وكيفية تفاعلها مع المجالات المغناطيسية في الفضاء.

كانت المفاجأة عند ظهور نتائج الرصد، حيث تبين اندفاع أضواء الشفق القطبي التي وصلت سرعتها الى ٤٠٠ ميل في الساعة الواحدة، وهي التي تنشأ عنها طاقة كبيرة جداً هي التي تظهر على شكل ألوان جميلة والتي تعرف بالشفق القطبي، والتي تعتبر العلامة الرئيسية في هذا الاكتشاف حيث لم يكن يتوقع أي من الفلكيين أن الجسيمات المشحونة تنطلق بهذه السرعة الكبيرة جداً وهي التي تؤدي الى تولد الطاقة التي تنشأ عنها ظاهرة الشفق القطبي.

ولظاهرة الشفق القطبي شكلان رئيسان، هما الشريطي والغيمي، ويبلغ طول الشريط عدة مئات من الكيلومترات، بينما يبلغ عرضه عدة آلاف من الكيلومترات.

الجالية المسلمة تعلن غضبها لحريق متعمد في مسجد بمدينة ليون الفرنسية:

أدى حريق متعمد الى إلحاق أضرار بمسجد قرب ليون في شرق وسط فرنسا، ما أثار سخط الأحزاب السياسية وغضب الجالية المسلمة التي أشارت الى "تصاعد موجة العنصرية والعداء للإسلام".

وأكدت وزارة الداخلية الفرنسية أن مسجداً في سان بريست في ضاحية ليون تعرض لأضرار، نتيجة حريق متعمد شب فيه، واصفة ما حدث بأنه " عمل دنيء لا يمكن التسامح معه".

وأضحت الوزارة أن النار اشتعلت في باب المسجد لكنها " لم تنتشر"، وتسببت في احتراق مجموعة من الكتب الدينية. وقالت الشرطة إن الأضرار التي حدثت في الداخل كانت بسبب الدخان.

وقد نظمت الجالية الاسلامية مظاهرة أمس الأحد أمام هذا المسجد احتجاجاً على تكرار الاعمال التي تستهدف المسلمين، ذلك بعد أيام من انتهاك حرمة نحو ٥٠٠ من قبور المسلمين في مقبرة نوتردام دو لوريت قرب أراس (شمال فرنسا). كما سبق ذلك اعتداء على مسجد ميزيو (شرق وسط فرنسا) في أغسطس/ آب الماضي.

رئيس الجمهورية يبلغ قانون التعاون القضائي بين ايران وتونس :

بلغ رئيس الجمهورية احمدي نجاد قانون التعاون القضائي في المجال الحقوقي والتجاري بين ايران وتونس وذلك لتطبيقه. وقد أبلغ رئيس الجمهورية هذا القانون بعد مصادقة مجلس الشورى الاسلامية عليه وتأيبده من قبل مجلس صيانة الدستور.

وتتضمن هذه الاتفاقية مقدمة و ٣٢ مادة وتأتي في اطار تعزيز التعاون الثنائي وتنظيم العلاقات القضائية والتعرف على الاحكام الحقوقية والتجارية وتنفيذها على أساس الرغبة في تسوية القضايا المتعلقة بالحكمية التجارية بهدف تعزيز التعاون التجاري بين البلدين.

التدخين يؤثر على نمو دماغ الجنين :

قال باحثون فرنسيون إن تدخين الأم خلال فترة الحمل يؤثر على نمو دماغ الجنين ويحرم الطفل من النوم بشكل كاف بعد الأشهر الأولى من الولادة. وأضاف هؤلاء إن " دماغ الجنين الذي تنتقل إليه مادة النيكوتين ومكونات التبغ عبر الأم المدخنة يتعرض لتغيرات واضحة أثناء الحمل وتجعله أكثر ميلاً الى التدخين في سن مبكرة بعد الولادة ". وبحسب الدراسة، التي نشرت في مجلة " النوم "، فإن " الاطفال الرضع الذين يولدون لأمهات كنّ يدخنن لأكثر من ١٠ سجائر في اليوم ينامون ساعتين أقل من غيرهم.

أول مسجد في القطب الشمالي:

كشفت صحيفة نرويجية عن تبرع رجل أعمال سعودي بمبلغ ٢٠ مليون كرون نرويجي (١٠,٥ مليون ريال سعودي) لبناء أول مسجد في المنطقة الشمالية من البلاد الداخلة في القطب الشمالي. ونقلت صحيفة (الوطن) السعودية عن صحيفة " تومسوا " أن المسجد الجديد هو أكبر مسجد في منطقة شمال النرويج الداخلة في حدود القطب الشمالي. وقالت صحيفة " ترمسوا " إن الجالية الإسلامية في النرويج طلبت من بلدية المنطقة الشمالية تأمين أرض لبناء مسجد عليها بمساحة ١٠٠٠ متر مربع. وجاء في خبر الصحيفة أن إحدى عضوات جمعية المسلمين تدعى (ساندرا مريم موه) ذكرت أن هذا التبرع جاء خلال لقاء في لندن مع رجل الأعمال الذي رفض الكشف عن اسمه.

تسجيل المناطق الأثرية بمصر عبر الأقمار الاصطناعية:

أنهى المجلس الأعلى للآثار في مصر عملية التسجيل الأثري لمنطقة هابو الأثرية في البر الغربي في مدينة الأقصر باستخدام التصوير الجوي

وأشعة الليزر، ضمن مشروع بدأه المجلس للتصوير الأرضي والجوي عن طريق الليزر وباستخدام الأقمار الاصطناعية، ليشمل أهم المواقع الأثرية. يستهدف المشروع استخدام الاساليب الحديثة، وبحث إمكانية الاستعانة بالطرق والوسائل الحديثة المتبعة في التطور العلمي الحديث لتوثيق المناطق الأثرية وترميمها، ومساعدة الأثريين في الكشف عن مواقع أثرية جديدة ، باستخدام التقنيات المتطورة ومنها استخدام التصوير الجوي بالطائرات والأشعة الثلاثية الأبعاد.

وقال الدكتور زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في مصر إن المشروع جار تنفيذه بالتعاون مع الهيئة العامة للاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء ومدينة مبارك للأبحاث العلمية، بغرض التصوير الأرضي والجوي، لاستتباط خرائط وأشعة ثلاثية الأبعاد، والاستفادة من الأبحاث والدراسات الهامة لعمليات التوثيق والتنقيب الأثري.

وأوضح حواس أنه بانتهاء الفريق الأثري والفني من توثيق مدينة هابو الأثرية، سيعمد الى تطبيق الفكرة ذاتها على أربع مناطق أثرية أخرى هي وادي الملوك والملكات في الأقصر وهضبة الأهرام بالجيزة وأثار سقارة. وينتظر أن تبلغ كلفة المشروع الاجمالية ٩٥٠ ألف يتحملها المجلس مناصفة مع هيئة الاستشعار عن بعد.

من جهة ثانية قال رئيس قطاع الآثار الفرعونية في المجلس الأعلى للآثار صبري عبدالعزيز، ان المشروع سينفذ في المواقع السابقة في فترة تصل الى ما بين ٦ و ١٢ شهراً وفق طبيعة العمل التي ستغطي ٣٦ كم بمنطقة الهرم، وبتكلفة اجمالية مقدارها ١٦٠ ألف جنيه، و ٦٥٠ كم في سقارة بتكلفة مقدارها ٢٥٠ ألف جنيه، وان آثار وادي الملوك والملكات في البر الغربي بالاقصر تصل مساحة العمل بها الى ١٤٠ كم بتكلفة بلغت ٥٤٠ ألف جنيه.

كما أشار الى انه يصحب المشروع إجراء عدة دراسات علمية للمساعدة في إعادة التخطيط العمراني للمواقع المحيطة بالأثر ودراسة مفاعيل التيارات الهوائية والعواصف الرملية على تآكل الآثار وتخمين عمرها الافتراضي وطرح وسائل حمايتها من المخاطر البيئية والبشرية، وبخاصة المياه تحت السطحية والجوفية، وبالإضافة الى عمل نماذج رقمية وثلاثية الأبعاد وتصويرها لتمثيل وضعها في العصور القديمة، وعمل خرائط طبوغرافية ووضع تصور عام لمسارات تجوال الزائرين بهذه المناطق.

وسيصبح مشروع توثيق مدينة هابو الأثرية بالتقنيات الحديثة، عنوان نجاح للمنطقة التي تضم معبداً بناه الملك رمسيس الثالث ويضم بين أجزائه مباني ترجع الى عهد أمنحتب الأول واستمرت به النقوش حتى عصر البطالمة الرومان. بالإضافة الى مبان ترجع الى عصر تحتمس الأول والثاني، وزاد في بنائها حتشبسوت وتحتمس الثالث.

وتمثل المعابد في هذه المنطقة الأثرية مناظر خارجية للمعارك الحربية التي خاضها رمسيس الثالث خلال فترة حكمه. ومن أجملها المنظر المسجل على البرج الجنوبي للصرح الاول من معبد المنطقة، وهو الذي أبدع فيه الفنان المصري القديم، ويعد من روائع الفن المصري في تلك الفترة المتأخرة من الدولة الحديثة الفرعونية، وهو منظر يظهر رمسيس الثالث في عربته وهو يصطاد الثيران الوحشية وقد أصابته الحراب والسهام ، وتظهر فيها ملامح الألم على وجوها.

كثرة النسيان سببها انكماش الدماغ :

قال باحث هولندي إن الذين ينسون مواعيدهم وأسماء أصدقائهم ربما يعانون من انكماش في حجم الدماغ حتى لو كانوا غير مصابين بالخرف.

وأجرى الدكتور فرانك - إيريك من المركز الطبي في جامعة رادبود بهولندا مقابلات مع ٥٠٠ شخص تتراوح أعمارهم ما بين ٥٠ و ٨٥ سنة لا يعانون من الخرف.

وسأل فرانك هؤلاء عما اذا كانوا يعانون من ضعف الذاكرة من حين الى آخر، أو يواجهون صعوبة في العثور على الكلمة المناسبة خلال الحديث أو يفتقدون القدرة على التركيز، أو يفكرون ببطء خلال اليوم أو اليومين اللذين سبقا مقابلاته معهم. وتبين من خلال المسح الطبي وقياس حجم منطقة قرن آمون المسؤولة عن الذاكرة في الدماغ، والتي يؤدي تلفها الى الاصابة بمرض الزهايمر، أن ٤٥٣ من هؤلاء كانوا يعانون من فقدان الذاكرة بين حين وآخر وبأن حجم أدمغتهم تقلص مع الوقت.

وبحسب الدراسة التي نشرت في مجلة " علم الاعصاب " فإن الذين عانوا من ضعف الذاكرة بين وقت وآخر أصيبت منطقة " قرن آمون " لديهم بالانكماش وكانت أصغر من تلك التي لنظرائهم الذين يتمتعون بذاكرة قوية.

إعمار وترميم ٣ آلاف مسجد في المناطق المحرومة:

طبقاً لمذكرة تفاهم مشتركة بين قوات التعبئة ومنظمة الأوقاف والأمر الخيرية وتواجد قوى تعبئة البناء، تم إنشاء وإعمار وترميم ٣ آلاف مسجد في المناطق المحرومة بالبلاد.

وأثناء مراسم التوقيع على المذكرة، صرح ممثل ولي الفقيه ورئيس منظمة الأوقاف والأمر الخيرية حجة الاسلام حيدر مصلحي قائلاً: نظراً لاهتمام الحكومة التاسعة بالشؤون الدينية والقيمية، فقد خصصت منظمة الاوقاف هذا العام اعتماداً بمبلغ ٦٠٠ مليار ريال لمشروع إنشاء وإعمار وترميم المساجد والذي سينفق في المناطق المحرومة بواسطة قوى تعبئة البناء.

وأضاف مصلحي: هذا المشروع سيبدأ أعماله في المناطق المحرومة والحدودية، حيث سيخصص لكل مسجد بين ٣٠٠ و ٥٠٠ مليون ريال.
من جهته ، قال حجة الاسلام طائب قائد قوى التعبئة بأن هذه القوى تعمل وفقاً لمبدأين أساسيين، هما تقديم المساعدة والجهود للبناء ورفع الحرمان من المناطق المحرومة وتنمية ثقافة العمل وبذل الجهود لدى شريحة الشباب، وأضاف: هذه القوى وعناصرها من الشباب والأحداث والمتألفة من تنظيمات مثل تعبئة أعضاء السلك التعليمي، تعبئة الطلاب وتعبئة البناء، قد أنجزت مشاريع مختلفة في مجال البناء بتوجيه من تعبئة البناء.

وقال بأنه لكي تتحقق الأهداف العليا لتعبئة البناء، هناك حاجة لتعمل الأجهزة والدوائر المعنية على إعداد الأرضية التنفيذية. وأشار الى دور المساجد في قيام وانتصار الثورة الإسلامية، وأضاف : كان لتعبئة البناء دور حاسم في توفير الظروف المناسبة للنشاطات الثقافية الدينية خلال العامين الماضيين في مجال إنشاء وإعمار وترميم ١٢١٦ مسجد وحسينية.

تحقيق العدالة الاجتماعية في الأرياف:

صرح اسفنديار جهاربند المساعد الفني والتعليمي لمنظمة التعليم الفني والمهني في البلاد بأن مشروع " هجرت " يهدف لتحقيق العدالة الاجتماعية في الأرياف من خلال تنمية سبل تعلم المهارات وفقاً لمتطلبات أهالي الأرياف ولتعزيز القوى البشرية وإيجاد فرص عمل جديدة لهؤلاء الأهالي في اطار فرق متنقلة تابعة لمنظمة التعليم الفني والمهني في البلاد. وأضاف: من هنا وبالنظر الى قدرات قوات البسيج أبرمت مذكرة تفاهم في عام ٢٠٠٦ بين المنظمة المذكورة وقوات البسيج تهدف لإحلال العدالة في التعليم وتوسيع العلوم والمهارة وإيجاد فرص عمل جديدة والرفي بمستوى قدرات الاشخاص وبالنتيجة الحيلولة دون الهجرة الموسعة لأهالي الريف.

وقال جهاربند: ان تعاون هاتين المؤسستين قد أصبح متجذراً، ونظراً للسياسات الجديدة التي اعتمدتها منظمة التعليم الفني والمهني في مجال التعليم والفعاليات الايجابية لمؤسسة تعبئة البناء على مستوى البلاد، فان هذه الأخيرة ستكون أحد الأدوات الأساسية للتعاون لغرض نيل أهداف المنظمة في نشر وبسط أبعاد التعليم.

العثور على قرآن مخطوط كتبت جميع آياته باسماء الـ ١٤ المعصومين عليهم السلام في الصين:

تم العثور على قرآن مخطوط كتبت جميع آياته في أسماء الـ ١٤ المعصومين ويتم الحفاظ على هذه المخطوطة في قضاء " لين شيا " في مدينة " لانجو " مركز محافظة " جانسوا " في الصين وشكلياً بصورة شريط ورقي يبلغ طوله ٦٥٠ سم كما يبلغ عرضه ٩ سم اضافة الى هذا يبلغ عرضه ٧ سم.

وأفادت وكالة " ايكنا " للأنباء القرآنية أن ميزة هذه المخطوطة الرئيسية التي تجعلها فريدة بنوعها أنه في بداية هذا الشريط الطويل وبعد بسم الله الرحمن الرحيم كتبت جملة اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة الزهراء الى أن ينتهي بصوارة على الامام المهدي عليهم السلام " بحروف كبيرة ثم كتبت جميع سور القرآن داخل الاسماء. لكنه لم يذكر تاريخ كتابته أو كاتبه.

يملك هذه المخطوطة " ماخون جان " ونسبه يرجع الى الجيل الثامن لمؤسس فرقة " خواسة " أحد الفرق الصوفية هناك، وهو حالياً في الـ ٧٦ من عمره ويعمل كمدرس العلوم الدينية في مدينة " لين - شيا".

حول تاريخ هذه المخطوطة يقول " ماخون جان " ان " مالاي جه " أتى بها من المدينة المنورة الى الصين وانه احتفظ بها في الثورة الثقافية التي

كانت تدمر كل الأثریات في شباك البيت ثم وضعها في كيس ودفنها في مزرعته خشية ان تقع في أيدي الثوار حتى تمكن من ایصالها الى الجيل الراهن. ويذهب الباحثون الى ان هذه المخطوطة التي كتبت بخط صغير هي فريدة بنوعها وتكتسب أهمية قصوى لدراسة الثقافة الإسلامية في الصين.

جدير بالذكر ان أغلبية مسلمي الصين هم من أهل السنة وينتمون الى المذهب الحنفي لكن بدراستنا تاريخ وثقافة مسلمي الصين ينكشف لنا ان الأغلبية يكونون إحتراماً خاصاً لأهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الطاقة المظلمة .. حقيقة علمية :

صرح مجموعة من العلماء الاميركيين بأنهم استخدموا أسلوباً جديداً لإثبات وجود " الطاقة المظلمة " وهي قوة غامضة يعتقد أنها المسؤولة عن تسارع إتساع الكون.

ويبدو أن النتائج التي توصل اليها العلماء تثبت صحة النظرية النسبية العامة لألبرت اينشتاين التي تعتمد على مقياس هائل وأن طاقة الظلام هي " الثابت الكوني " كجزء من نظريته وهو أنه يوجد للفضاء طاقة.

وتقول نظرية اينشتاين إن الجاذبية سببها تفاعل الفضاء والزمن على جسم ما وهي أساس فيزياء الفضاء الحديثة. وتخلو اينشتاين لاحقاً عن " الثابت الكوني "، الذي أضافه الى نظريته لتفسير ثبات الكون كفكرة لا معنى لها.

لكن علماء اكتشفوا أن الكون يتسع بالفعل بمعدل متزايد وهي فكرة استقطبت اهتماماً متجدداً. واستخدم علماء الفضاء مرصد " تشاندرا " التابع لوكالة الفضاء الاميركية " ناسا " لقياس قوة الظلام بالنظر الى كيفية اتساع

المجرات بمرور الزمن، حيث اكتشفوا أنه بينما دفعت قوة الظلام حدود الكون فقد تباطأ تكون المجرات وأنها أصبحت أقل كثافة.

ايران تنضم الى الدول المالكة لتكنولوجيا إنشاء محطات كهربائية تعمل بحرارة الارض:

قال رئيس مؤسسة الطاقات الجديدة في ايران أنه من خلال تدشين أول محطة في مدينة مشكين شهر لتوليد الطاقة الكهربائية تعمل بحرارة الارض فقد انضمت ايران الى الدول المالكة لهذه التكنولوجيا.

وأشار يوسف أرمودلي في تصريح لمراسل " إرنا " الى تخصيص ٤٠٠ مليار ريال لمواصلة عملية حفر الآبار لهذه المحطة، وقال : ان الخبراء توصلوا الى ٢٤٧ درجة سانتيجراد للحرارة المنشودة داخل الارض. وأضاف: انه سيتم قريباً تركيب محطة بقوة خمسة ميغاواط في محطة " سي " وبعد ذلك من خلال تركيب محركات توربينية بشكل تدريجي في المحطات الأخرى ستزيد طاقة هذه المحطة الى ٥٠ ميغاواط. ووفقاً للدراسات المنجزة، فان منطقة مشكين شهر تمتلك طاقات لانشاء محطات لتوليد الكهرباء تعمل بحرارة الارض بقوة ٢٠٠ ميغاواط.

من جانب آخر، قال وكيل وزارة الطاقة الايراني أن الوزارة أبرمت عقوداً مع القطاع الخاص لانشاء محطة لتوليد الطاقة الكهربائية بقوة ٧٠ ميغاواط تعمل بقوة الرياح و ٦٠٠ ميغاواط تعمل بالنفايات الحيوية.

واعتبر حميد جيت جيان ايران من الدول الخمس التي تمتلك تكنولوجيا انشاء المحطات الحرارية التي تعمل بالطاقة الشمسية.

وأشار جيت جيان الى الطاقات المناسبة الموجودة في ايران لتنمية وتوسيع توليد الكهرباء من الطاقات المتجددة، مؤكداً على ضرورة اهتمام الحكومة والبرلمان بتوظيف الاستثمارات في هذا القطاع. وأضاف: ان هناك

اقتراحات قيد الدراسة قدمها القطاع الخاص لإنشاء محطات في إيران بطاقة ثلاثة آلاف ميغاواط تعمل بالطاقات المتجددة.

حاخام يهودي: الصهيونية وليد غير مشروع وبعيد عن الإنسانية:

اعتبر الحاخام اليهودي البارز المعارض للصهيونية في بريطانيا "آران كوهين" أن الصهيونية وليد غير مشروع وفكر قومي بعيد عن الإنسانية، يستهدف الأرواح البريئة للبشر لتحقيق مآربه الخبيثة. وأكد هذا الحاخام الذي كان يتحدث لمراسل وكالة أنباء فارس في لندن أن الصهيونية لن تمت لليهودية بأية صلة وذلك لأنها لم تلتزم بأبسط القيم الإنسانية.

وشجب الحاخام كوهين التعامل الوحشي الإجرامي الذي يعتمده كيان الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني وإعرب عن استيائه للظلم الذي يتعرض له هذا الشعب في غزة حيث أكد أن دين اليهودية يدعو إلى السلام.

وأشاد هذا الحاخام اليهودي بالجمهورية الإسلامية الإيرانية لتعاملها مع اتباع الديانات السماوية بينها الطائفة اليهودية مؤكداً أن هذه الطائفة تنعم في إيران، كسائر الأقليات، بحرية التعبير والمذهب، إذ يمثلهم نواب في مجلس الشورى الإسلامي.

شيخ الأزهر وبيريز: بقلم: فهمي هويدي

ظللت رافضاً تصديق خبر مصافحة شيخ الأزهر للرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز، حتى رأيت صور المصافحة، وقرأت تعليق مدير العلاقات العامة بالأزهر، الذي قال إنه إذا كان الرئيس مبارك ذات نفسه يصافح

المذكور، ويجري حوارات مع الصحافة الاسرائيلية، وما دُمنّا في حالة سلام مع اسرائيل، فلماذا يؤخذ على شيخ الأزهر أنه فعلها؟

الواقعة وقعت في نيويورك أثناء مؤتمر حوار الأديان الذي دعت اليه المملكة العربية السعودية، وليس مفهوماً بالضبط من الذي ورطها في تلك الفكرة الخبيثة التي ربما رفعت أسهم المملكة لدى الاميركيين لبعض الوقت، ولكنها سحبت الكثير من رصيدها في العالم العربي والاسلامي، خصوصاً لدى الذن احترّموا موقفها وقدرّوا لها اعلانها المستمر عن أنها ستكون آخر المطبعين مع اسرائيل.

وقد بدا واضحاً في المؤتمر أن علماء المملكة أكثر فطنة وحذراً من شيخ الأزهر وصحبه. إذ في حين امتنع العلماء السعوديون عن المشاركة في المؤتمر الذي قيل انه حوار للأديان. أو على الأقل فإن أحداً منهم لم يظهر في الصورة لا مع بيريز أو غيره، اكتفاء بظهور العاهل السعودي، فإن الامام الأكبر وقع في الفخ وسجلت له أو عليه صورته وهو يصافح الرئيس الاسرائيلي بكلتا يديه، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامته الشهيرة. ولا أعرف ما الذي فعله شيخ الأزهر بعد ذلك، رغم علمي بأن اليد التي صافحها ملوثة بدماء الفلسطينيين وتفوح منها رائحة جثثهم واشلائهم. لكن مبلغ علمي ان ثمة حديثاً نبوياً يرشد المسلمين الى أنه في هذه الحالة فإنه يتعين على المسلم ان يغسل اليد الملوثة سبع مرات إحداهن بالتراب !

دعك الآن من تورط شيخ الأزهر في حضور مؤتمر لافتته أخفت حقيقته، قيل انه للحوار الديني في حين أنه كان سياسياً من أوله الى آخره، دعك أيضاً من أن يكون الهدف منه أيضاً تحسين صورة السعودية، فيعار شيخ الأزهر للقيام بدور في الفيلم، في حين يتوارى العلماء السعوديون، من ثم تقوم المملكة بدور البطولة وتصطف الرموز المصرية مع "الكومبارس"

كما ذكرت من قبل، ذلك اننا بصدد مشكلتين لا مشكلة واحدة، الاولى تكمن في تصرف الامام الأكبر والثانية وثيقة الصلة بتبرير ذلك التصرف. ففي مواقف عدة تبين أن شيخ الأزهر مستعد لأن يفعل أي شيء بطلب منه وأن يستجيب لأي توجيه يصدر عن الحكومة، ناسياً أنه الامام الأكبر، الذي يفترض أن مقامه وصورته يفرضان عليه أن يكون حذراً في تصرفاته وتصريحاته.

ولا أعرف على وجه الدقة ما اذا كان تصرفه محكوماً بتوجيهات تصدر اليه، أم انها تتم استشارة لاتجاهات الريح ومبادرة منه الى استرضاء أولي الأمر وترطيب جوانحهم. لكن ما أعرفه جيداً ان الرجل لم يخيب رجاء الحكومة أو أجهزة الأمن فيه، وإنما لديه من المرونة ما يجعله رهن الإشارة دائماً. ومستعد لتقديم أي خدمة لأولياء الأمر والنعم.

مشكلة الرجل أيضاً انه يتصرف باعتباره موظفاً حكومياً بدرجة إمام أكبر، ولا فرق بينه وبين أي ملازم أول أو حتى فريق أول. وحين قال المتحدثون باسمه ان الرئيس مبارك يصافح بيريز وأمثاله وان شيخ الأزهر هذا حذوه، فانهم لم يدركوا الفرق بين الاثنين، فالرئيس مبارك قد تكون له ضروراته باعتباره رئيس دولة وقعت اتفاقاً مع اسرائيل في حين أن شيخ الأزهر له خياراته التي لا تلزمه بما يلزم الرئيس. ثم أن الرئيس مبارك رمز مصري لا تتجاوز سلطته حدود بلاده، أما شيخ الأزهر فهو رمز اسلامي بفترض أن يمتد سلطانه الروحي والادبي بامتداد العالم الاسلامي.

لقد تراجع دور مصر في العالم العربي، وهاهو شيخ الأزهر يمضي على الدرب فيستمر في تقزيم الأزهر لكي يتراجع دوره أيضاً في العالم الاسلامي، ولا أعرف الى أين ستقودنا مسيرة الانحسار والتقزيم، لكن السؤال الذي يشغلني حقاً هو: أما من قاع لتلك الهاوية التي نتردى فيها؟

تكريم خبير اقتصادي إيراني كبير في اليابان :

تم في مراسم أقيمت في صالة فردوسي في السفارة الإيرانية في اليابان تكريم البروفسور محمد نقي زاده الأستاذ والخبير الاقتصادي الإيراني الذي منحته اليابان مؤخراً وسام الامبراطور.

وقال السفير الإيراني لدى طوكيو عباس عراقجي في كلمة له خلال هذه المراسم التي حضرها عدداً من الاساتذة الإيرانيين واليابانيين وطلبة اللغة الفارسية والمحبين للثقافة الإيرانية في اليابان بأن نقي زاده قام بأبحاث اقتصادية كبيرة في اليابان وإيران. وأضاف بان نقي زاده ليس خبيراً في الشؤون الاقتصادية وحسب، بل خبير في الشؤون اليابانية الأمر الذي يدعونا الى الفخر والاعتزاز.

وكان البروفسور نقي زاده قد تسلم الشهر الماضي الوسام الوطني والمقدس في اليابان من الامبراطور الياباني سوي أكي هيتو.

وأكد السفير الإيراني ان محمد نقي زاده هو الأقل عمراً بين الذين حصلوا على وسام الامبراطور الياباني حتى الآن، حيث يبلغ عمره ٦٦ عاماً في حين تراوح عمر الحاصلين على هذا الوسام حتى الآن بين ٨٠ و ٩٠ عاماً. وللبروفسور نقي زاده مؤلفات عديدة نشرت باللغات اليابانية والانجليزية والفارسية.

هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث تصدر موسوعة " الفن الاسلامي في حوض المتوسط " :

أصدرت هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث بالاشتراك مع مؤسسة "متحف بلا حدود"، موسوعة الفن الاسلامي في حوض المتوسط حيث تتناول بالصورة والمعلومة وسرد تاريخ الفن الاسلامي منذ البعثة النبوية وحتى نهاية السلطنة العثمانية.

وقالت " أيفا شوبرت " مديرة متحف بلا حدود إن هذه الموسوعة جاءت نتيجة عمل دؤوب ومشترك وهو موجه الى جميع اولئك الذين يتقاسمون معنا فكرة ان ليس هناك تاريخ واحد فقط بل ثمة عدد من التواريخ يوازي أقله عدد الشعوب الموجودة. يتطلع هذا الكتاب الى فهم أدق وبالتالي أصدق للإسلام عبر تقديم وجهات نظر متباينة على صعيد تفسير التاريخ والفن والثقافة.

من جانبه، أوضح " جمعة القبيسي " مدير هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ان هذا الاصدار جاء في وقت تلتبس فيه صورة الاسلام لدى الكثير وتحجب قيمه الرفيعة السامية وانجازاته الضخمة عبر التاريخ لصالح صورة مجحفة لقيم هذا الدين وتاريخه على السواء.

وأشار الى أن هذه الموسوعة تجتمع بين دفتيها بالصورة والنص والسرد التاريخي الموثق شواهد لا تحصى على روعة منجز التراث الفني للحضارة الإسلامية على مر العصور حيث شكل الفن بمختلف أشكاله وتجلياته ولاسيما على صعيد العمارة والفن الزخرفي صورة زاهية عما مثلته وتمثله هذه الحضارة من قيم جمالية رفيعة قامت على استيعاب الحضارات السابقة والاستفادة منها.

وأفادت " وكالة أنباء الامارات " أن هذه الموسوعة تحفل بعدد من المقالات والدراسات المتعددة والمتنوعة والتي وضعها وأشرف عليها عدد كبير من الاخصائيين والاكاديميين وذوو الخبرة في مجالاتهم مثل " الفن الاسلامي في المتاحف؛ سفراء الحضارة " و " حوض البحر المتوسط قبل الفتوحات الإسلامية " و " الخط أسمى فنون المسلمين " وغيرها الكثير من العناوين التي تغطي الرحلة الكبيرة التي قطعها الاسلام والمسلمون فناً وحضارة عبر العصور والدول المختلفة لإنجاز هوية جمالية ما زال أثرها حاضراً بقوة حتى يومنا هذا.

مع الشعب الفلسطيني حتى التحرير:

تحظى القضية الفلسطينية لدى المسؤولين والشعب الايراني باهتمام بالغ بحيث وصل الامر الى ان يعلن قائد الثورة الاسلامية آية الله الخامنئي ومن على منبر صلاة العيد بأن الشعب الايراني على استعداد للدفاع عن الشعب الفلسطيني إن تطلب الأمر ذلك. هذا الموقف الصريح والجريء يعطي مؤشراً كبيراً وواضحاً من أن الشعب الفلسطيني الذي تخلى عنه العرب اليوم وهو يعيش محنته القاسية وكما عبر عن ذلك بصراحة ووضوح رئيس الوزراء الفلسطيني المنتخب هنية في صلاة العيد.

يؤكد ان الشعب الفلسطيني لم يكن وحده في الميدان في مواجهة الكيان الصهيوني الغاصب للقدس وإنما يقف الى جانبه الشعب الايراني بكل ما يملك من قدرات وامكانيات حتى يحقق ارادته الحرة في تحرير الارض المقدسة واعادة المشردين وغيرهم وفي النهاية طرد المحتلين من أرضه المقدسة.

وليس غريباً عن القادة والمسؤولين هذا الموقف وإنما هو نابع من عقيدة راسخة من ان الكيان الغاصب للقدس الذي جثم وبارادة اوروبية وغربية على صدر الشعب الفلسطيني ظلماً وعدواناً لا يمكن ان يستمر مدى الدهر ولا بد لهذا الكيان من أن يرحل يوماً ما الى من حيث أتى خاصة وان الاحداث الجارية اليوم في هذا الكيان والتي تعصف به يوماً بعد آخر سوف لن تترك له مجالاً أكبر للبقاء لأن التصدع الداخلي الذي أخذ مداه في الكيان جعله لا يقوى على البقاء والاستمرار. وان الجرعات الانعاشية التي يزرعها الغربيون وعلى رأسهم اميركا المجرمة لن تجدي نفعاً ولن تقوى على استمرار بقائه. لأن الغربيين والاميركيين تعصف بهم اليوم ظروفأ صعبة وحادة اقتصادية وسياسية وغيرها قد تؤدي الى تغييرات كبرى في مختلف المجالات.

ولذلك فإن صرخة الدعم اللامتناهي والتي أطلقها القائد الخامنئي " حفظه الله " للشعب الفلسطيني ستعطيه دفعة قوية لأن يقف على أقدامه شامخاً صلباً قوياً ليعلن مقاومته المدمرة لهذا الكيان الغاصب للقدس. لأن الشعب الفلسطيني وصل الى مرحلة قد ملّ فيه الحلول الاستسلامية التي أوصلته الى ما وصل اليه وليس له سبيل أو طريق سوى أن يشمر عن سواعده ويعلنها صرخة مدوية بوجه أعدائه ليحقق آماله وأمنيته في الحرية والاستقلال.

عن جريدة كيهان العربي

عسل النحل له تأثير قاتل لكل أنواع البكتيريا:

دراسة جديدة من جامعة أوتاوا أكدت أن عسل النحل له تأثيراً قاتل لكل أنواع البكتيريا وبكافة أشكالها وخاصة تلك البكتيريا التي تسبب التهاب الجيوب الأنفية المزمن، هذا الالتهاب المزمن الذي يسبب الصداغ وزكام الأنف وصعوبة التنفس.

وبما أن سبب التهاب الجيوب الانفية المزمن هو أساسها الحساسية فإن السبب الثاني الأساسي هو العدوى البكتيرية والتي تعيش في الانف والجيوب الانفية، حيث بينت هذه الأخبار والدراسات الحديثة عن العسل حقائق مذهلة في هذا الشأن. فالعسل هو أساساً مكون من سكر " فركتوز وكلوكوز " بالإضافة الى كميات بسيطة من مركبات تعمل كمضادات للأكسدة منها الكرايزين والنيوبانكسين وفيتامين " سي " والكاتاليز والبينوسيمبرين.

والعسل معروف منذ قديم الأزل على أنه وكما يؤكد القرآن الكريم فيه شفاء للناس وبشهادة علماء الغرب أيضاً وقد كان العسل يستخدم لتلطيف حرقه الزور وتهدة السعال. ولكن يبدو أن قوته قد تعدت ذلك بكثير كما ذكرت الابحاث والدراسات الحديثة.

تالا آلانديجاني الباحث بجامعة أوتاوا الكندية وكما ذكرت وكالة رويترز اختبر في المعمل نوعان من العسل: عسل السدر وعسل المانوكا ومدى تأثيرهما على ثلاثة أنواع من البكتيريا وكانت النتائج مذهلة. فقد ثبت أن العسل يعمل بكفاءة عجيبة على نوعين من أنواع البكتيريا وربما أقوى بكثير من مضادات حيوية عدة: بكتيريا " ام. اس. اس. أي " وهي التي تسمى البكتيريا العنقودية الذهبية الحساسة للميسيثيلين، وبكتيريا " أم . ار. أس. أي " أو العنقودية الذهبية المقاومة للميسيثيلين. والنوع الأخير من البكتيريا يصعب علاجه وربما يستحيل باستخدام المضادات الحيوية المعتادة. هذه الدراسة قدمت عام ٢٠٠٨ في الاكاديمية الامريكية لجراحة الاذن والانف والحنجرة في اللقاء السنوي لجراحة الرأس والرقبة في شيكاغو. والجدير بالذكر ان التهاب الجيوب الانفية المزمن يصيب حوالي ٣١ مليون امريكي آسيوياً ويكلف الدولة ٤ مليار دولار أمريكي ما بين وسائل علاج وأيام إجازات مرضية. ويعتبر واحداً من بين ثلاثة أمراض مزمنة هي الأكثر شيوعاً في أميركا الشمالية بل وفي العالم بأسره.

بيت الشاعر المتنبى يتحول الى متحف:

بموجب قرار رسمي، يتم الآن تحويل الموقع الذي كان يسكن فيه الشاعر العربي الكبير المتنبى في القرن الرابع الهجري بمدينة حلب بسوريا الى متحف يحمل اسمه. وأشار الباحث السوري محمد قجه الى التطورات التي طرأت على الموقع خلال الـ ١١ قرناً الماضية حتى أصبح مدرسة تابعة للأوقاف يجري الآن تحويلها الى متحف.

ولفت الباحث قجه الى ان هذا المتحف المهم سيضم مختلف الكتابات حول الشاعر المتنبى وقاعدة بيانات وقاعة محاضرات وغرفة متحف صغيرة لتوثيق الفترة الحمدانية في حلب.

والمتنبّي أحد أشهر شعراء العصر العباسي، والذي تنوعت قصائده ما بين المدح والذم والفخر والحكمة والفلسفة ووصف المعارك وغيرها، تميز أسلوبه بالقوة والاحكام، قبض بقوة على جميع الخيوط المتحكمة بقواعد اللغة العربية وتمكن من الالمام بمهارة بجميع معانيها ومفرداتها، اتصل المتنبّي بسيف الدولة الحمداني، فأخذ يمدحه ويحضر مجالسه ومعاركه ويسجل انتصاراته، وللمتنبّي العديد من القصائد الجيدة.

شرب الماء .. يطيل عمر الانسان:

لا يختلف اثنان على أن الماء عنصر أساسي في حياتنا ولا يستطيع أي انسان العيش بدونه، مصداقاً لقول الحق سبحانه " وجعلنا من الماء كل شيء حي "، نظراً لأهميته الجليلة في وقاية الجسم من العديد من المشاكل وأهمها الجفاف.

وقد أفاد علماء بريطانيون بأن شرب كميات كبيرة من المياه الغنية بنوع نادر من " الايدروجين " يساعد على إطالة العمر أكثر بعشر سنوات. وأشار الباحثون الى أن الماء يقوي الانسجة والخلايا في الجسم ضد أي مخاطر تسببها المواد الكيميائية والتي تنتجها عملية تحول الطعام في الجسم الى طاقة.

وأوضح الدكتور ميكهيل شيبينوف وهو عالم سابق في جامعة اكسفورد والذي أجرى دراسته على بعض الحيوانات، أن الماء الغني أيضاً بالديوتيريوم وهو أثقل بمرتين من الايدروجين قد أمدّ بعمر الديدان ١٠% كما أمدّ عمر ذبابة الفاكهة بنسبة ٣٠%. وأعرب الدكتور عن اعتقاده بأنه يستطيع الجنس البشري الاستفادة من هذا الماء لإطالة أعمارهم.

الماء .. لعلاج الكآبة والضغط والمفاصل .. وأيضاً الشعور بالاجهاد والكآبة يأتي بنقص الماء في المخ فيؤدي الى الشعور بالاجهاد والكآبة لأن

توليد الطاقة في المخ يتطلب وجود الماء فنقص الماء يقلل من إنتاج الطاقة الكهربائية في المخ.

ويعالج الماء من ارتفاع الضغط لوجود عوامل أخرى مهمة تؤدي الى ارتفاع الضغط، ولكن نقص الماء في الجسم يؤدي الى انغلاق بعض الاوعية الشعرية وتفرغ محتواها من الماء في مجرى الدم.

كما أكدت دراسة علمية حديثة ان الاكثار من شرب الماء يخفف آلام المفاصل، وذلك لأن السائل السانيفي أو الزليلي الذي يزلق المفاصل ويمرنها ويحمي الغضاريف يتألف في معظمه من الماء.

ويساعد شرب الماء في تليين المفاصل وتقليل جفاف الغضاريف، هذا ويحدث الجفاف مع التقدم في السن، لذلك من المفيد جداً شرب ما يعادل نصف غالون من الماء وهي الكمية التي يحتاجها الجسم يومياً. وقد كشف علماء أمريكيون عن وجود علاقة بين الاستهلاك اليومي من الماء، وخطر الوفاة من أمراض القلب والأوعية الدموية. وأوضح الباحثون أن زيادة لزوجة الدم أو البلازما، وزيادة حجم خلايا الدم المترسبة، وارتفاع مستويات مادة التخرثر "فايبرينوجين" جميعها عوامل تزيد خطر الإصابة بمرض القلب التاجي.

ولاحظ الخبراء ان الاستهلاك المتكرر للسوائل الاخرى غير الماء، كان مترافقاً مع زيادة في خطر الوفاة الناتجة عن أمراض القلب، حيث تعرض الرجال، الذين استهلكوا كميات كبيرة من الحليب والقهوة والشاي والعصير والمشروبات الغازية والكربونية لخطر أعلى بنحو مرة ونصف، بينما زاد عند النساء بحوالي مرتين ونصف، وذلك لأن هذه السوائل تسبب جفافاً نسبياً للدم.

كما أكدت دراسة حديثة أن تناول ٨ أكواب صغيرة من الماء يومياً تحميك من الإصابة بالانفلونزا، موضحة أن تناول الماء يومياً يقلل الإصابة

بالانفلونزا وأعراضها المؤلمة من التهاب الحلق والرشخ، وذلك لأن الماء يربط بطانة الأنف والاعشية المخاطية التي تعتبر خط الدفاع الأول لالتقاط الأجسام الغريبة المحملة بمسببات الإصابة، كالغبار والبكتيريا ومنعها من الدخول إلى الرئتين.

نصائح لشرب الماء .. لنا في سيرة نبينا محمد (ص)، حيث يأمرنا بأن نتوقف في كل شيء حتى في عملية الشرب، حيث يأمرنا أن يكون الشرب على شكل جرعات وألا يتنفس في الوعاء الذي نشرب منه وكذلك يفضل الشرب والشخص جالس، كل هذه التعليمات النبوية والتي عرفها المسلمون عن طريق توجيهات نبينا محمد (ص) والتي للأسف لا نستفيد منها ولا نفعلها. وللحد من المشاكل الناتجة من استهلاك كميات كبيرة من المياه في نفس الوقت يجب علينا ان نستفيد من هذه التوجيهات والتي تعتمد على الشرب عن طريق جرعات قليلة من الماء وأخذ نفس بين الجرعات والجلوس عند الشرب وعدم الشرب بشكل كبير أثناء التعب أو بعد مجهود كبير بل عليه أخذ الراحة قبل ذلك.

وإذا نظرنا إلى جسم الإنسان نجد انه يفقد في الأحوال العادية حوالي أربعة لترات من الماء يومياً عن طريق البول والتعرق، ويزيد الفقد عند اشتداد الحرارة أو ممارسة الرياضة العنيفة لذلك. مما يوجب الحرص على إمداد الجسم بالماء، حيث ضرورة شرب الماء لجميع التفاعلات الكيميائية ومساعدة الصغار خاصة على النمو، كذلك توليد الطاقة في الجسم مما يساعد على نقل النبضات في الاعصاب، ونقل المواد الكيميائية التي ينتجها المخ.

ولتوفير الرطوبة في الجسم تعين البروتينات والانزيمات التي تذوب في الماء على القيام بوظائفها ويساعد على طرح السموم عن طريق البشرة ويعين الكلى على أداء عملها ويزيد من حركة الأمعاء، كذلك يحسن الماء الكثير من الحالات المرضية مثل، آلام المفاصل حيث يعتقد بعض الأطباء ان

آلام المفاصل واحدة، من أوائل المؤشرات على نقص الماء في المفصل المصاب.

ومن المعروف أن شرب الماء بشكل كافٍ يقي الإنسان من الجفاف وأمراض الكلى ويمنع الصدمات حول العينين والجلد الشوكي، وغيره من الأمراض .. وإذا نظرنا إلى جسم الإنسان نجد أنه يفقد في الأحوال العادية حوالي أربعة لترات من الماء يومياً عن طريق البول والتعرق، ويزيد الفقد عند اشتداد الحرارة أو ممارسة الرياضة العنيفة. لهذه الأسباب يجب إمداد الجسم بالماء، عن طريق شرب الماء، وذلك لاتاحة الجسم لعمل جميع التفاعلات الكيميائية، خاصة عند الصغار حيث يساعدهم على النمو، وتوليد الطاقة في الجسم مما يساعد على نقل النبضات في الأعصاب، ونقل المواد الكيميائية التي ينتجها المخ.

عمرو موسى : ايران والعرب ليسوا بحاجة الى تدخل الاخرين لتسوية قضاياهم:

أكد أمين عام جامعة الدول العربية عمرو موسى أن الجمهورية الإسلامية في إيران والعالم العربي ليسا بحاجة إلى التدخل الأجنبي لتسوية قضاياهم. داعياً الإدارة الأميركية الجديدة إلى أداء دور الوسيط المحايد في نزاعات الشرق الأوسط. وقال موسى في مقابلة مع صحيفة (دي برس) النمساوية على هامش حضوره مؤتمر " أوروبا والعالم العربي " في فيينا. قال: انه ينبغي على الحكومة الأميركية الجديدة بقيادة باراك أوباما أن تغير المواقف تجاه قضية الشرق الأوسط حتى تتحرك كوسيط نزيه لتسوية النزاعات في هذه المنطقة. معتبراً ذلك هو السبيل الوحيد لواشنطن لتحسين صورتها في المنطقة.

كما أمل موسى في أن يلعب الأوروبيون دوراً فعالاً في المنطقة. مضيفاً : ان " أهم شيء هو انه ينبغي عليهم أن يوقفوا اسرائيل عن توسيع المستوطنات". وأكد الأمين العام لجامعة الدول العربية على ان منطقة الشرق الاوسط ينبغي أن تكون منطقة منزوعة من الاسلحة النووية. مشدداً على ضرورة متابعة البرنامج النووي الاسرائيلي بنفس القوة التي تم بها متابعة البرنامج النووي الايراني.

وأشار عمرو موسى في جانب آخر من حديثه الى ضرورة تسوية القضايا الموجودة بين ايران والعالم العربي عبر الحوار بين الطرفين وليس بواسطة التدخلات الاجنبية. موضحاً: نحن في هذا الصدد لسنا بحاجة الى تدخل أي طرف ثالث يعمل وفق رغباته الخاصة.

البخور يخفف من الاكتئاب والقلق:

قال باحثون أميركيون أن البخور يفيد الدماغ وليس فقط الروح كما يعتبر رجال الدين، إذ انه يخفف من الاحباط والقلق أيضاً. ووصف فريق علماء دولي كيف ينشط حرق البخور من نبتة " البوسويليا " بعض القنوات في الدماغ من أجل تخفيف حدة الاكتئاب والقلق. وقالوا أن النتائج تظهر ان نوعاً جديداً من الأدوية المعالجة للاكتئاب والقلق قد تكون في متناول أيدينا. وقام الباحثون بحقن فئران بمادة اسيتات الانسينول واكتشفوا ان المادة المركبة أثرت على بعض أجزاء الدماغ الى جانب لوحة الأعصاب التي تتأثر عادة بأدوية علاج القلق والاكتئاب. وأضافوا أنه على الرغم من المعلومات الموجودة في النصوص القديمة إلا أنه لم يسبق أن تم بحث تأثير مكونات البوسويليا على النفسية". وتبينوا ان حقن اسيتات الانسينول المستخرج من البوسويليا للفئران يخفف قلقها ويعالج حدة الاكتئاب.

إسرائيل المرتبطة بأميركا هل تضربها العاصفة؟

فيما يعلن رئيس الحكومة الفرنسية فرانسوا فيون أن العالم على شفير هاوية بسبب الأزمة المالية في الولايات المتحدة، يشدد قادة الاقتصاد الاسرائيلي على أن آثار هذه الأزمة محدودة عليهم. ولكن ثمة في " إسرائيل " من يجزم بأن هذه الطمأنينة لا تستند الى أساس وأنها تتبدى ظاهرياً فقط من أجل بث الاستقرار في الاسواق.

ومع ذلك فإن الاسواق المالية الاسرائيلية تشهد تقلبات وتراجعات كبيرة. وتكفي نظرة واحدة على مجريات البورصة الاسرائيلية في اليوم الاول للمداولات بعد عطلة عيد رأس السنة اليهودية، لتلحظ أن التراجعات على الاسهم القيادية كانت بين ١٥ و ٢٤ في المئة.

واتهم رئيس النقابات العمالية " الهستدروت " عوفر عيني وزير المالية روني بار أون بالافتقار للاستعداد للبحث في سبل مواجهة الازمة. وقال: إننا نقرب من أزمة اقتصادية كبيرة يمكن أن تؤثر على العمال وعلى رجال الاعمال بشكل لم يسبق له مثيل في العقود الاخيرة .

وأكد عيني أن الازمة الزاحفة " قد تدفع الشركات الى تقليص مستخدميها مما يقود الى موجة إقالات فتزداد البطالة"، مضيفاً أنه إذا حلت الأزمة الاقتصادية في " إسرائيل " بالحدة التي هي عليها الولايات المتحدة، فإن هناك حاجة لضمان صناديق التقاعد والصناديق الاجتماعية.

وبحسب الخبراء في صحيفة " هارتس " الصهيونية، فإن صناديق التقاعد في " إسرائيل " فقدت منذ مطلع العام الحالي ما لا يقل عن أربعين مليار شيكل (ما يزيد عن ١١ مليار دولار) . وشدد هؤلاء على أن عام ٢٠٠٨ سيسجل كالعالم الأسوأ في تاريخ الادخار المالي طويل الاجل. ويعتقد اسرائيليون، كما أشارت افتتاحية " هارتس"، " أن خطة الانقاذ الاميركية لا تنجح في ادخال اليقين الى السوق وثمة مخاوف في الولايات المتحدة من

مغبة الانزلاق الى التباطؤ بل والى الركود. ولما كان الاقتصاد الاسرائيلي مرتبطاً جداً بالاقتصاد الاميركي، فهم يخشون هنا أيضاً من الركود. وتقلص المصارف عندنا أيضاً حجم الاقتراض، والدولار المنخفض يمس بالتصدير وثمة انخفاض في الشعور بالثراء لدى الجمهور؛ الأمر الذي يؤدي الى تقليص الاستهلاك الخاص".

ومع ذلك، رأت افتتاحية " هارتس" ان الاقتصاد الاسرائيلي دخل الى الأزمة وهو في حالة جيدة أكثر بكثير من حالة الاقتصاد الاميركي. هنا يكاد لا يوجد عجز في الميزانية ووضع ميزان المدفوعات جيد. هذا بالضبط النقيض من الوضع في اميركا. في اسرائيل وتيرة النمو الحالية عالية، وهذه أيضاً شبكة أمان، هنا لم تأخذ المصارف المخاطرة العالية التي اخذتها المصارف في " وول ستريت، ولذا فإن مصارفنا مستقرة. لا خوف من أن تسقط. محافظ بنك إسرائيل ستانلي فيشر قال ذلك بصراحة. اقتصادنا أيضاً هو اقتصاد صغير ومرن، ذو قدرة تكيف عالية، ولذا من غير المتوقع ان يعاني مثل الاقتصاد الاميركي. ومع ذلك فإننا في هوامش الازمة، وليس في مركز الاعصار".

غير أن لآثار الأزمة في اسرائيل أوجهاً أخرى ملموسة أكثر، بينها ما أشارت اليه " معاريف " عن انهيار أوضاع " الحيتان " الكبرى في الاقتصاد الاسرائيلي جراء الازمة المالية الاميركية. وهؤلاء الحيتان الذي كسبوا المليارات في بورصات اسرائيل والخارج في السنوات الاخيرة، باتوا في عين العاصفة حقاً وتزداد المخاوف من احتمال انهيارات تجعل من المتعذر عليهم تسديد القروض الكبيرة التي نالوها من الجمهور والمصارف".

وأشارت " معاريف " الى انه خلال أقل من عام، أنهارت قيمة الشركات التي يسيطر عليها المليارديران ليف ليفاييف واسحق تشوبا بأكثر من ٧٠ في المئة في بورصة تل أبيب، بما في ذلك خسارة مليارات من أموالهما

الخاصة. وكان لفاييف قد احتل في العام الماضي رأس قائمة أغنى مئة شخص في اسرائيل. واضطر قبل أسابيع الى ضخ حوالي ٢٠٠ مليون دولار للمحافظة على قيمة واحدة من شركاته، فقط لأنها ضمانة له لدى بعض المصارف لقروض كبيرة.

كما أن مجموعة " ديلك التي يملكها تشوبا خسرت في أقل من عام أكثر من ٧٠ في المئة من قيمتها. وفي يوم واحد، خسرت أسهم شركة " كيل" العقارية، التي تعتبر الثانية من حيث القوة في بورصة تل أبيب المملوكة لعائلة عوفر، ١٤ في المئة من قيمتها أو مايعادل تسعة مليارات شيكل (أكثر من مليارين ونصف المليار دولار).

ولخصت " معاريف " حجم الخسائر لمجموعة المليارديرين هذه على النحو التالي: الملياردير ليف لفاييف خسارة مليار شيكل في يوم واحد (٣٠٠ مليون دولار). الملياردير اسحق تشوبا خسارة ٣٠٠ مليون شيكل في يوم واحد. عائلة عوفر خسارة تسعة مليارات شيكل في يوم واحد.

عن جريدة السفير

الصهيونية الاستعمارية :

منذ ثلاثين سنة وأنا أرى في الاستيطان ظاهرة هدامة، تضع علامة استفهام كبيرة فوق مستقبل اسرائيل، وبالفعل فإن الاستيطان هو ظاهرة ايديولوجية، سياسية واجتماعية، نجحت في خلق واقع أصيل: صهيونية استعمارية. كانت من قبل مظاهر مختلفة من الصهيونية: اقتصادية، إصلاحية، اشتراكية، مع أو بدون هلالين، أما الآن فيوجد لنا أيضاً صهيونية استعمارية، تستند الى عدم المساواة العرقية والدينية، وترى نفسها كرسول حصري للتاريخ اليهودي، الوعد الالهي وليس الحقوق الطبيعية لبنى البشر في الحرية، الاستقلال، الحكم الذاتي هو في نظرها مصدر الشرعية الوحيد لعودة اليهود

الى أرض اسرائيل، وحسب هذا المفهوم فإن الارض تعود ليس فقط لليهود الاحياء، بل لكل الأجيال التي كانت وتلك التي لم تولد بعد: وبالتالي، فليس لأبناء الجيل الحالي أي حق في تقسيم الملكية على البلاد مع أبناء شعب آخر. مفهوم انه عند الحديث عن " الاستيطان " ليس المقصود الأغلبية الساحقة من الاسرائيليين الذين يعيشون في الضفة الغربية لاعتبارات الراحة أو الضرورة " السكن زهيد الثمن والمحسن"، كما لا يدور الحديث أيضاً عن كل مستوطن على انفراد، يدور الحديث عن الاستيطان كما يتحدثون عن " الاشتراكية " أو عن " القومية المتطرفة " عن الجوهرى المميز للايديولوجيا والحركة، كما ان النواة الايديولوجية التي هي عملياً " الاستيطان " لا تتشكل من قماشة واحدة، بين فتیان التلال والكثير من أهاليهم تفصل فجوة كبيرة ليس فقط في أنماط السلوك بل وأيضاً بمدى الصلة بالقيم العالمية.

ولكن في الحساب الشامل جميعهم يتغذون من ذات المبادئ ويتطلعون الى ذات الاهداف، ولما كانت هذه الاقلية الصغيرة مقتنعة بانها تملك الحقيقة المطلقة فانها ترى نفسها مخولة في ان تفرضها على كل المجتمع، وبالتالي، يستخف رؤساؤها والناطقون بلسانها ليس فقط بالسياسيين المنبطحين بل وأيضاً بالمفهوم الاساس للديمقراطية نفسها، وهم يعرفون كيف يستغلون المؤسسات الديمقراطية، ولكنهم يتجاهلون حقوق الانسان ولا يعترفون الا بحقوق اليهودي، منذ محكمة العدل العليا حول الون موريه من العام ١٩٧٩، حين قررت المحكمة بأن الاستيلاء على الاراضي الخاصة هو أمر غير مشروع، فانهم يهاجمون جذرياً هذه المؤسسة للديمقراطية الاسرائيلية، الحارس الأخير لحقوق الفرد.

رغم القوة التي اكتسبها المستوطن الايديولوجي بفضل جبن السلطة، فانه يرتدي دوماً لباس القدس، الذي تطارده النخبة اليسوعية والاعلام الذي يزعم إنها تسيطر عليه، ومع أنه يسيطر في المناطق إلا أنه يطيب له أن يتخذ

لنفسه صورة الضحية الدائمة لمؤامرات اليسار، ومع ان المستوطن الایدولوجي خلق على مدى قرابة أربعين عاماً واقعاً لم يستدع معظم الاسرائيليين لأن يقرروا فيه، وحول طرق تأمرية الاحتلال الاسرائيلي الى سيطرة مدنية تتعارض مع كل المعايير القائمة في العالم الغربي، إلا انه لا يكف عن صرخة القوزاقي السليب.

وأخيراً، بودي ان أوضح مرة واحدة والى الابد نقطة ما دون أي صلة بمحاولة اغتياي، في أن منفذيه يمكنهم ان ينتموا لكل قسم في اليمين المتطرف، وليس بالذات للاستيطان، في ثلاثة مقالات كتبتها في " هارتس" في حزيران ٢٠٠١، وفي أحدها توجد فقرة لم تكن مصوغة كما ينبغي، أوضحت موقفي بالنسبة للمستوطنين، حياة اليهود الذي يعيشون على جانبي الخط الاخضر " عزيزة هي بقدر... " وفي مكان آخر : " الاستيطان هو كارثة تاريخية، ولكن الان يعيش هناك أناس مضطرون للدفاع عن حياتهم " ، وبالفعل، من الحيوي التمييز بين أفراد يجب الحرص عليهم طالما كانوا هناك والتشديد هنا على بعد الآنية - وبين الاستيطان كظاهرة تاريخية.

سبق ان كتبت في الماضي في هذه الصحيفة واکرر ذلك اليوم أيضاً: اذا لم يعرف المجتمع الاسرائيلي كيف يجند الشجاعة اللازمة كي يضع حداً للاستيطان، فسيضع الاستيطان حداً لدولة اليهود وسيجعلها دولة ثنائية القومية.

مادة ينتجها الجسم قد تحل معضلة السمنة:

اكتشف علماء مادة دهنية ينتجها جسم الانسان على مستوى الامعاء، تبعث اشارة للدماغ للتوقف عن الأكل، مما قد يفتح آفاقاً جديدة لمحاربة السمنة. وأشار الفريق الطبي الامريكي الذي اكتشف المادة الى انهم تمكنوا من التحكم في كميات الأكل التي اصطلح عليها اسم " ان، أي، بي، إي"

موجودة عند الانسان. وأوضح الباحث جبرالد شولمان ان الفئران عندما تطعم وجبة دسمة للغاية، فان معها الدقيق ينتج الكثير من الـ " أن، أي، بي، إي " ويفرزها في الدم، حيث توقف الشعور بالجوع عند وصولها الى الدماغ. وأكد الفريق العلمي أن المادة كان لها نفس المفعول سواء وصلت الى الدماغ في جرعات صغيرة متقطعة أثر أكل وجبة دسمة، أو حقنت بكمية أكبر بشكل اصطناعي، وبعد حقن المادة في الدم تتجمع في منطقة " تحت المهاد " وهي المنطقة الدماغية التي تنظم الشهية والشعور بالجوع. وعندما حقنت الفئران بكميات زائدة من هذه المادة لمدة خمسة أيام قلت شهيتها وانخفض وزنها، وهذا ما يعول عليه الباحثون في محاربة السمنة التي ما فتئت تنتشر في أرجاء العالم، مهددة صحة الكثيرين. يذكر ان مستويات تلك المادة ارتفعت في الدم بعد تناول الفئران وجبات دسمة، لكنها لم ترتفع عندما تناولت وجبات غنية بالبروتينات والنشويات.

أكثر من ٨٠ ألف مواطن يتلقون معوناتهما، جمعية الهلال الأحمر الإيراني ضمن أفضل خمس جمعيات للهلال الأحمر في العالم:

أعلن رئيس دائرة المتطوعين في جمعية الهلال الأحمر عن استعانة أكثر من ٨٠ ألف شخص في البلاد بخدمات دائرته. وأوضح محمد شهاب الدين محمدي عراقي الاثنين أن هذه الخدمات شملت مساعدات طبية وكذلك مساعدات نقدية للمرضى المعوزين بقيمة ٢٥ مليار ريال.

وأشار الى أن هناك أكثر من ١٠ آلاف طبي وناشط في المجال الطبي ينتمون الى دائرة المتطوعين في الهلال الأحمر الإيراني مضيفاً أن هناك أطباء ومتخصصين إيرانيين مقيمين في خارج البلاد يتعاونون مع هذه الدائرة. وقال شهاب الدين أن أكثر من ٢٠٠ منظمة غير حكومية ومؤسسة خيرية وقعت مذكرة تفاهم مع دائرة المتطوعين موضحاً أن لجمعية الهلال

الاحمر حالياً ثلاثة مستشفيات وعشرة مستوصفات تنشط في دول جارة وبلدان افريقية. وأكد أن جمعية الهلال الأحمر الإيراني تعد ضمن أفضل خمس جمعيات للهلال الأحمر في العالم.

مطعم للنساء فقط :

افتتح في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية أول مطعم تديره سيدات سعوديات بالكامل. وقالت صحيفة " اليوم" السعودية في عددها الصادر ان المطعم هو أول مشروع يظهر باسم مالكة بلا أسماء مستعارة، لأنها تبحث عن (تحد لمواجهة العقول المتحجرة التي تنتظر الى عمل المرأة نظرة تقدير وترفع شعار العيب الاجتماعي على كل عمل شريف تؤديه النساء).

ونقلت الصحيفة عن صاحبة (مركز نوريات للطبخ) نورة المقيطيب قولها انه أول مطعم نسائي يقوم بتقديم الوجبات السريعة لأفراد المنطقة حيث تقوم ١٠ سيدات سعوديات بطهي وتجهيز جميع أصناف المأكولات الشعبية والغربية. وأضافت أن (كاشير رجالياً منفصلاً عن المطبخ النسائي ومعزولاً عنه بجدار فاصل يقدم الطعام للزبائن مع إمكانية إيصال الطلبات للرجال عن طريق شباك خاص مصمم بحيث يمنع الطرفين من الانكشاف على بعضهما عند تسليم الطلبات وعن طريق كاشير نسائي آخر لضمان خصوصية المرأة ولإيجاد بيئة عمل منفردة للمرأة بدون حصول المضايقات). وأشارت نورة الى ان المركز يحتوي على قاعات لتدريب الفتيات المقبلات على الزواج والخادמות على فنون الطهي بعد ملاحظة أن غالبية الأسر تعتمد على طبخ الخادمة وتحتاج من يدر بها على فنون الطبخ السعودي والغربي وفنون ومهارات التقديم والتزيين.

الرسائل القصيرة الى الفضاء :

عرض موقع بريطاني على زواره فرصة توجيه رسائل قصيرة الى الفضاء الخارجي أملاً في أن تكتشفها الكائنات الفضائية. ونقلت صحيفة (ذي دايلي تلغراف) البريطانية عن كريس تومايسون أحد مؤسسي الموقع الخاص يستخدم قمراً فضائياً كبيراً لنقل الرسائل الى الفضاء عبر موجات إشعاعية. وقال تومايسون يظن الكثيرون أنهم ليسوا وحيدون في العالم ويوجهون رسائل جاء فيها (أنا هنا) أو (أنا مستعد) أو (أنتظر اتصالكم بي). وأضاف تومايسون (تتحرك الموجات الاشعاعية في الفضاء الى الابد أو حتى تضرب بجسم مثل النجم أو الكوكب). وتابع (يتسع حزام الاشعة أكثر من اتساع المسافة ولذا اذا كان نجم أو كوكب في مجرة أخرى على الخط نفسه يمكن لكميات كبيرة من الاشارات أن تتخطاه).

وزير العلوم: ارتفاع نتاجات ايران العلمية:

أعلن وزير العلوم ان النتاجات العلمية الايرانية التي نشرت في الصحافة العالمية المعتبرة، بلغت ١٢ ألفاً و ٧٢٤ مقالاً في الشهر الأخير من عام ٢٠٠٨. وأضاف محمد مهدي زاهدي في رسالة الى ملتقى دولي حول المواقع العلمية الاسلامية على الانترنت في طهران قائلاً: أن حصة نتاجات ايران العلمية بالصحافة الدولية ارتفعت من ٠,٣% لافتاً الى ان التحقيقات أظهرت بأن ايران ومن بين ٣١ بلداً سجلت أعلى معدل نمو من حيث المقالات العلمية في عام ٢٠٠١ فيما حلت المرتبة الثلاثين عالمياً من حيث عدد هذه المقالات. يذكر ان النتاجات العلمية المسجلة باسم ايران في المطبوعات الدولية بلغت ٩ آلاف و ٥ مقالات في ٢٠٠٧.

رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، احترام ثقافات الشعوب يحقق الهدوء والصداقة والمحبة:

اعتبر رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية مهدي مصطفى، التعددية الثقافية بأنها تحد من الاحادية القطبية في الثقافة العالمية. وأضاف مصطفى في تصريحات أدلى بها في اجتماع حول آليات التعليم لمنظمة يونسكو ان الايمان بالتعددية الثقافية واحترام ثقافات الشعوب يؤدي الى ان تكتسب الثقافة العالمية الثراء والتجدد من أجل تحقيق حياة تتسم بالهدوء والصداقة والمحبة.

وأشار الى تنمية التعاون الثقافي مع اليونسكو، وقال مع التقارب من موعد اعداد الخطة التنموية الخامسة للبلاد فان رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية لديها حضور ونشاط في الكثير من لجان هذه الخطة ونعمل لتقديم رزمة ثقافية خاصة ضمن هذه الخطة التنموية. ولفت الى انه من أجل تقديم ثقافة ايران الاسلامية والتعرف على ثقافات الشعوب الاخرى فان هناك حاجة الى مشاركة متبادلة في المؤسسات والبنى الثقافية على الصعيدين الداخلي والدولي.

وأكد على ضرورة وضع صياغة جديدة حول اقامة اتصالات في أطر عقلانية مع المنظمات الدولية على جدول الاعمال. وتابع مستشار رئيس الجمهورية بالنظر الى المساحة الكبيرة لوسائل الاعلام فان بعض البلدان تحاول استخدام كافة الامكانيات من أجل اضعاف الثقافات الاخرى وتستغل اساليب مختلفة لتحقيق مصالحها حيث أن بعض هذه الأساليب معقدة للغاية.

وأشار مصطفى الى تهديد الثقافات في أغلب المجتمعات وقال ان عناصر معينة مثل تسلط الفردية والعلمانية وكذلك ظروف الحياة التي تغلب عليها طابع المكننة تؤدي الى تهديد الكثير من الثقافات وتشويه الاخلاق والمعنويات والقيم الاخلاقية وأكد على تحمل المسؤولية والمهمة الرئيسية التي

تتجسد في الدفاع عن القيم المعنوية وخلق ظروف مؤلمة لهذا الدفاع ضمن حطة منهجية.

بدانة الأطفال تنقص عمر أوعيتهم الدموية:

مع تزايد نسبة البدانة لدى الأطفال، أتجه العلماء الى التأكيد على ان جدران الاوعية الدموية لدى الاطفال، واليانعين البدينين، يمكن أن تصل الى نسبة اللويحات المتشكلة عليها الى نفس نسبة تلك التي تتواجد لدى شخص تجاوز الاربعين من العمر. تقول الطبيبة جيثا راغير، الاختصاصية في أمراض القلب في مستشفى الرحمة بكنساس، لشبكة " سي ان ين ":

" تشيخ الاوعية الدموية لدى الاطفال البدينين بصورة أسرع من أولئك الذين يحافظون على وزن جيد مما يزيد من إمكانية حدوث أمراض قلبية لديهم وفي أعمار صغيرة ". وأوضحت: " ومن المتعارف عليه علمياً أن عمر الشخص يقدر بعمر أوعيته الدموية، فحالة هذه الأوعية هي أكثر أهمية من سن الشخص العادي اذا ما أخذنا بعين الاعتبار إمكانية تطور الجلطات والأمراض القلبية".

هذه الدراسة التي تم تقديمها في الاجتماع العلمي لأطباء القلب الامريكان لعام ٢٠٠٨م، شملت ٧٠ طفلاً ويانعا ممن تراوحت أعمارهم ما بين ٦ - ١٩ سنة، وكانوا جميعاً عرضة للإصابة القلبية مستقبلاً بسبب وجود ارتفاع في نسبة كولسترول الدم، أو كونهم بدينين، أو يحملون موروثة نمط من أنماط ارتفاع الكولسترول العائلي.

تم استخدام التصوير بالأموح ما فوق الصوت عالي التقنية لقياس سمك الجدار الداخلي المبطن للشرايين القلبية التي تغذي الدماغ بالدم، وتبين وجود زيادة في سمك الشريان " سي آي ام تي " تدل على زيادة تراكم الصفائح في الشرايين، والتي تؤدي في النهاية لحدوث جلطة في القلب.

ولوحظ ان مقدار تلك السماكة يصل في قيمته الى ٠,٤٥ ميللتر، وهي تماثل تلك التي تتواجد طبيعياً لدى الأشخاص في منتصف الاربعينات، في حين وصل الرقم لدى البعض الآخر الى ٠,٧٥ ملم. وأشارت راغفير الى ان الحالة تزداد سوءاً لدى الأطفال الذين يعانون مع بدانتهم من ارتفاع في الشحوم الثلاثية. ولا يقف الأمر عند ذلك بل ذكرت دراسة أخرى أنه مستقبلاً سيكون هؤلاء الأطفال عرضة للإصابة بضخامة القلب بصورة أكبر من الأطفال الأصحاء.

في الختام تضيء راغفير جانباً متفائلاً مفاده أن أوعية هؤلاء الأطفال رغم زيادة سماكتها إلا أنها ليست قاسية وليس فيها أي تكلس مما يجعل أماننا الفرصة ممكنة لتحسين حالة جدرانها وجريان الدم فيها من خلال تغيير نمط الحياة واللجوء الى بعض العلاجات الدوائية المساعدة.

مبدعة إيرانية تختبر كتاباً إلكترونياً ناطقاً:

اخترعت المبدعة الايرانية زهرة محمدي كتاباً إلكترونياً ناطقاً يساعد الأميين في قراءة القرآن الكريم والأدعية، والمكفوفين على تعلم خط برايل. ونقلت وكالة أنباء فارس عن محمدي قولها أن فكرة هذا الابداع خطرت في بالها عندما كانت معلمة في روضة الاطفال حيث لم يكن لديها وقت كاف لقراءة الكتب للأطفال. ومن ميزات هذا الكتاب الناطق هي القراءة الذاتية للنصوص حيث يستطيع الطفل الذي لم يتعلم القراءة استماع محتويات أي كتاب بصوت مسجل لأمه أو معلمه في الروضة. ومن ميزاته الأخرى إمكانية برمجة شتى لغات العالم في ذاكرة الكتاب واستخدامه أداة مساعدة للتعليم.

وزير الثقافة السوري: بلاد فارس لها حضور عظيم في حضارة المنطقة:

أكد وزير الثقافة السوري "رياض نعيان أغا" مساء السبت الماضي، أن "لبلاد فارس حضور عظيم في حضارة منطقة الشرق الأوسط". وأفاد مراسل "ارنا" أن نعيان أغا كان يتحدث في كلمة ألقاها في حفل افتتاح فعاليات الاسبوع الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق، بحضور وزير الثقافة والارشاد الإيراني "محمد حسين صفار هرندي" وذلك على مدرج كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق.

وقال نعيان أغا "لقد كان لبلاد فارس حضور عظيم في حضارة المنطقة"، لافتاً إلى أن "رموز هذه البلاد أصبحت ملكاً خالصاً للامة الإسلامية وليست ملكاً خاصاً لها". وأضاف "اننا نعتز بما قدموه ونعترف بأنه عطاء ساهم فيه الفرس والعرب فكوّنوا ملحمة الحضارة الإسلامية العظيمة". وأوضح نعيان أغا، أن العلاقات بين الشعبين الإيراني والسوري بدأت منذ دخولهما الاسلام معاً، وقال "نعتز ان علاقتنا مع ايران تدخل قرنهما الـ ١٥". وأضاف "هكذا تبدو الامة الإسلامية يجمعها مصيراً واحداً ويهددها مصير واحد"، موضحاً أن الذي يجمع هذه الامة هو الاسلام الذي يعتبر ثقافة وحضارة".

وقال الوزير السوري "الثقافة هي التي توحدنا وجوهرها الاسلام". وأعرب نعيان أغا عن سعادته بافتتاح الاسبوع الثقافي الإيراني في دمشق، وقال: مسك الختام لوزارة الثقافة الداعمة لاحتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٩ هو الاسبوع الثقافي الإيراني". وقال: ان الثقافة موحدة، ولم تكن الثقافة الجامعة بين ايران والعرب موجهة ضد أحد، وأضاف "نحن لم نطرده أحد، وإنما هم الذين طردوا الفلسطينيين من ديارهم". وتابع، "لم نعتد على أحد ولا نريد لأحد أن يعتدي علينا ومن هذا المنطلق توطدت علاقتنا مع ايران".

وأكد نعيان أعا، ان أحداث ١١ سبتمبر اختلقت لكي يخلط بين المقاومة والارهاب، ولكي تأتي اميركا وتحارب بدلاً عن اسرائيل. وأشار الوزير السوري، الى ان القرن الجديد بدأ بانسحاب اسرائيل من جنوب لبنان، ثم تلتها معركة الوعد الصادق في تموز ٢٠٠٦ التي هزم فيها الصهاينة على يد المقاومة الاسلامية في لبنان. وقال: من يومها لا تجد اسرائيل قائداً، وبقيت سوريا وايران الداعمين للمقاومة صامدتين". وأضاف: "لا نخجل عندما نقول اننا ندعم المقاومة وسنبقى ندعمها حتى تعود كل الأرض المحتلة". وشدد نعيان اعا على أنه لا يمكن لأميركا ان ترسم مستقبل هذه المنطقة، وقال " العرب والاييرانيون والترك، هم أصحاب هذه المنطقة وهم أصحاب القرار فيها ".

واعتبر وزير الثقافة السوري، ان إقامة مثل هذه الاسابيع الثقافية تزيد من معرفتنا بعضنا بعضاً وتزيد علاقتنا ابداعاً.

وحضر حفل الافتتاح اضافة الى الوزيرين السوري والايرواني، ممثل قائد الجمهورية الاسلامية في سوريا آية الله سيد مجتبي الحسيني، والسفير الايرواني لدى سوريا سيد احمد الموسوي، اضافة الى عدد من المسؤولين السوريين والايروانيين، وحشد غفير من المثقفين والفنانين السوريين والايروانيين غص بهم مدرج الكلية.

ويستمر الاسبوع الثقافي للجمهورية الاسلامية الايروانية في دمشق لغاية الـ ٢٥ من الشهر الجاري. وتتضمن فعاليات الاسبوع إقامة عدد من المعارض منها " معرض القرآن في مرآة الفن" و " معرض الفنون التشكيلية" و " معرض الكتاب" و " معرض الحرف الشعبية ". كما تتضمن الفعاليات، اقامة حفل موسيقي لفرقة " بديل " للفنان حسام الدين سراج، اضافة الى محاضرة للباحث " احمد مير اغاني" بعنوان التراث والفنون التراثية الايروانية.

وسيتم خلال أيام الاسبوع عرض أربعة أفلام سينمائية إيرانية، وهي " الشمس تشرق على الجميع " للمخرج عباس رافعي، وفيلم " بلوغ " للمخرج مسعود جعفري جوزاني، وفيلم " يوم اعلان النتائج " للمخرج مسعود كرامتي، وفيلم " طائر الحناء " للمخرج برويز شيخ طاري.

وكان الوزير هرندي وصل الى دمشق مساء الجمعة في زيارة تستمر لعدة أيام للمشاركة في افتتاح فعاليات الاسبوع الثقافي الايراني في دمشق. كما سيلتقي صفار هرندي مع السيدة " نجاح العطار " نائب الرئيس السوري للشؤون الثقافية، ورئيس الوزراء " محمد ناجي عطري " ووزراء الاعلام " محسن بلال " والسياحة " سعد الله اغا القلعة " والثقافة " رياض نعيان اغا " والاعراف " محمد عبدالستار السيد".

وسيقوم الوزير هرندي بزيارة لمدينة حلب يلتقي خلالها مسؤولي المدينة، ويقوم بجولة على عدد من المناطق الاثرية والتاريخية والدينية في المحافظة منها " قلعة حلب" و " رأس الحسين (ع) " و " مقام محسن (ع) .

مؤتمر لمسلمي ألمانيا يطالب السلطات بشراكة فعلية:

دعت شخصيات بارزة شاركت في الاحتفال باليوبيل الذهبي للتجمع الاسلامي بألمانيا، الاقلية المسلمة في البلاد الى التمسك بهويتها الحضارية وتكثيف مساعيها للوصول الى تمثيل أفضل لها في المجتمع.

وحث المشاركون في المؤتمر السنوي الثلاثين للتجمع الاسلامي والمنعقد في برلين، السلطات الالمانية على التعامل مع المسلمين كشريك مجتمعي فعلي، مشيرين الى تضجر المسلمين من الاسراف في الحديث عن فشل اندماجهم. من جانبه تحدث رئيس التجمع ابراهيم الزيات عن دور التجمع في بناء المساجد والمراكز الثقافية وتعريف المجتمع الألماني بالاسلام، ورعاية المتطلبات الروحية للأقلية المسلمة التي زاد تعدادها في نصف القرن

الأخير بنسبة ٣٥٠%. وشدد على اهتمام التجمع بالمشاركة في تعميم تجربة تدريس الدين الاسلامي للتلاميذ المسلمين في سائر الولايات الالمانية، وأثنى على حرص وزير البحث العلمي بولاية شمال الراين على التنسيق مع المنظمات الاسلامية لإنجاح مشروع تدريس الاسلام في مدارس ولايته.

وامتدح الزيات خروج سكان مدينة كولونا مؤخراً للتأكيد على طابع التعايش السلمي والتعدد الديني لمدينتهم، وعرقلتهم عقد مؤتمر معاد للاسلام سعى " النازيون الجدد " لإقامته في المدينة.

واعتبر أن تأكيد دراسات مختلفة صدرت مؤخراً على تنامي انتشار العداء للاسلام والسامية، يحمل رسالة للسياسيين ووسائل الاعلام مفادها أن عدم تعاطيهم بمساواة وتوازن وموضوعية مع جميع الأديان يمثل تأييداً مستتراً للتيارات اليمينية المتطرفة التي جلبت لألمانيا الولايات في الماضي القريب. بدوره اعتبر الأمين العام لمنظمة مللي جووس الاسلامية التركية أفوز اونكونسو أن تحلي مسلمي ألمانيا بالصبر لأخذ مكانهم المناسب في المجتمع يتطلب سعياً موازياً للتعبير عن مطالبهم المستمرة منذ سنوات بالمجالات التعليمية والوظيفية وتحسين الاوضاع المعيشية والاجتماعية في الأحياء الفقيرة.

وحت اونكونسو الأقلية المسلمة على التوقف عن الاحساس بأن انتماءهم الديني سبب ما يعانون من مشكلات، وشدد على أن إتقان اللغة الالمانية يمثل أفضل وسيلة للتميز واكتساب الحقوق في المجتمع الذي يعيشون فيه. واعتبر عميد الصحفيين الالمان البروفيسور بيتر شول لاتور في مداخلته ان أهم خطر محقق بالامان هو الغطرسة وعدم تقبلهم لواقع ملموس هو أقول النصرانية وصعود العلمانية وتنامي الاسلام وتحوله الى حقيقة لا يمكن نفيها في ألمانيا.

ودعا لاتور الذي يرأس جمعية الصداقة الألمانية العربية، مواطنيه الى عدم تحميل مسلمي البلاد مسؤولية ما يحدث من مظالم للأقليات في العالم الاسلامي، وضرب أمثلة على حسن تعامل المجتمع في الدول لاسلامية مع الاقليات الدينية وأهل الكتاب في بلدانهم. وتمنى الصحفي الالماني البارز من أئمة المساجد توسيع استخدام اللغة الالمانية في خطب الجمعة واستبعاد من يسعى لاستخدام المنابر من أجل التحريض.

ومن جانبه انتقد الأمين العام للمجلس الأعلى للمسلمين ميل الألمان الدائم الى تحميل الاسلام والمنتمين اليه مسؤولية المشكلات الموجودة في مجتمعهم. مشيراً الى تعمد وسائل الاعلام الالمانية تقديم نتائج الدراسات المتعلقة بالمسلمين بشكل مغلوط. واعتبر ان إبراز الهوية يتطلب من مسلمي اوروبا حرصاً أكبر على الابداع في التعبير عن وجودهم وتحسين أساليب التواصل مع الوسط المحيط بهم.

بدوره ركز وزير الاوقاف السوداني السابق الدكتور عصام البشير في محاضرة بعنوان " الوسطية كأساس للمشروع الاسلامي " على رابط الأخوة الانسانية بين المسلمين واتباع الديانات الأخرى ودور التنوع الانساني في تحقيق التعارف والتعاون بين البشر.

النوم والرياضة .. خير وقاية من السرطان:

ثبت علمياً أن القيام بالتمارين الرياضية يمكن أن يقلل من نسبة حدوث مرض السرطان. بينما يتفوق عليها في الفوائد، النوم، إذ تقول دراسة حديثة أن النوم الليلي لمدة سبع ساعات على الأقل، يصل بهذه الفائدة الى مستواها الأقصى. وتم الوصول الى هذه النتيجة من خلال دراسة أجراها فريق من الباحثين في المؤسسة العالمية للسرطان بميريلاند، وتم تقديمها في

اجتماع حول الوقاية من السرطان عقد في واشنطن، برعاية الجمعية الاميركية لأبحاث السرطان.

وبدأت الدراسة، التي شملت ٦٠٠٠ سيدة، في عام ١٩٩٨، حيث طلب منهن ملء استطلاع خاص حول نشاطهن الفيزيائي والعادات الرياضية، كذلك عدد ساعات النوم التي يحصلن عليها يومياً، وخلال التسع سنوات التالية سجلت إصابة ٦٠٤ منهن بالسرطان. وأظهرت الدراسة ان بين النساء ممن كان عمرهن أقل من ٦٥ عاماً، ويمارسن الرياضة بشكل منتظم لمدة ساعة يومياً، سجلت نسبة الاصابة بالسرطان لديهن أقل بحوالي ٤٧ بالمائة من غيرهن، يدعمها حصولهن على سبع ساعات نوم كاملة في كل ليلة.

الدكتور جيمس ماكلن، المشرف على الدراسة، قال: " ما نقترحه في دراستنا انه من بين السيدات الشابات ومتوسطات العمر، كان هناك تأثير واضح للرياضة والنوم في إنقاص نسبة حدوث السرطان. وأكد ماكلين على حقيقة علمية معروفة ان فرص حدوث مرض السرطان لدى الشابات هي اصلاً قليلة. وأوضح، ان هذه الفائدة لن تحدث بالحصول على القسط المناسب من النوم فقط، بل لابد من القيام بنشاط جسماني معتدل مقابل هذا القدر من الخمول أثناء النوم، أي باختصار: " كن نشيطاً .. واحصل على القدر الكافي من النوم ". كما أقرحت الدراسة في توصياتها ضرورة تغيير نمط الحياة لدى الشخص، بما يتناسب مع الفائدة الصحية المرجوة للوقاية من الأمراض عموماً، وخاصة مرض السرطان.

نباش القبور:

بلاغ غريب تلقته أجهزة الشرطة في محافظة حقل السعودية، البلاغ تقدم به أحد المواطنين يفيد بنباش تسعة عشر قبراً في إحدى المقابر القديمة التي يزيد عمرها عن مائة عام في حي العصابين القديم .. فطوقت الدوريات

الأمنية المكان وسط تجمهر عدد من القاطنين بالحي الذين عبروا عن دهشتهم واستيائهم مما حدث، وقد تحفظت الشرطة على الآثار التي عثر عليها بالموقع فيما قام عدد من الأهالي المتواجدين بالمساهمة في إعادة دفن القبور المنبوثة.

كتاب يوناني يعرض الارث العثماني بأثينا:

صدر مؤخراً بأثينا كتاب تاريخي يتكلم عن المدرسة الإسلامية في أثينا أواخر العصر العثماني ودورها في تقرير مصير المدينة أثناء السيطرة العثمانية على اليونان التي استمرت أربعة قرون.

ويشرح المؤلف طبيعة الحياة بالعاصمة التاريخية للإغريق أثناء اندلاع الثورة خارجها ضد العثمانيين عام ١٨٢١، وتوجس هؤلاء من انتقالها إليها، واتخاذهم خطوات احتياطية لمنع وقوعها.

ويتناول الكتاب الذي جمع من مقالات الصحفي اليوناني الراحل خريستوس انغوماتيس مختلف جوانب الحياة السياسي والمعيشية في أثينا تلك الفترة، وكيفية تحول المدرسة العثمانية الى منطقة تجمع وتشاور. كما يتحدث عن بدء انحسار الحكم العثماني عن أثينا وانتقال الحكم منهم الى إدارة محلية من أهل المدينة، وعن تغير نمط الحياة وانتشار عادات وتقاليدها.

ويقول نائب رئيس بلدية أثينا ايليفثيريوس سكياداس الذي قام بجمع المقالات والتعليق عليها ان المدرسة العثمانية بدأت مدرسة دينية أيام الحكم العثماني وتحولت الى مكان لتجمع الطبقات العليا من أهل أثينا في نهاية حكمهم أي حكم العثمانيين.

ويضيف أنها تحولت الى سجن بعد رحيلهم، لتهدم بعد ذلك ويبقى جزء من بابها فقط، موضحاً أنها المرة الاولى التي يصدر فيها كتاب يوناني يركز على رؤية الاحداث انطلاقاً من المبني العثماني.

ويضيف سكياداس في حديثه ان الكتاب يوضح مدى تأثير العثمانيين الحضاري في اليونان، مقرأ بأنهم لم يكونوا فقط غزاة، ومشيراً الى أن القرون الاربعة من السيطرة العثمانية على اليونان شهدت تبادلاً حضارياً مهماً بين العثمانيين.

ويضيف أن تدمير الآثار العثمانية إثر انحسار الحكم العثماني عن اليونان من مساجد وسراي وحمامات ومدارس كان جرحاً للحضارة اليونانية لانه حرّمها من فترة مهمة من تاريخها، واصفاً تدميرها بأنه جريمة تاريخية بكل المعايير. ويتساءل في هذا الاطار كيف سيكون تاريخ البلقان اليوم لو لم توجد هذه الآثار العثمانية في ايامنا هذه ؟

وحسب سكياداس، لم يتبق من الآثار العثمانية في أثينا سوى مسجدين وباب المدرسة العثمانية وحمامات عثمانية بقيت تعمل حتى الحرب العالمية الثانية، حيث الحي العثماني قرب المدرسة تمت إزالته عام ١٩٥٠ بحجة التنقيب عن الآثار اليونانية القديمة.

وعن دور المدرسة يقول إنها كانت المكان الذي كان الأثينيون يجتمعون فيه لانتخاب رئيس مجلس المدينة وأعضائه، وكان شيخ المدرسة يصادق على صحة العملية الانتخابية. كما أن مفتي أثينا خليل أفندي ساهم بدور كبير في حماية اليونانيين من الجيش العثماني، حيث أصدر فتوى توجب الحفاظ على أرواح المدنيين.

ويقول أيضاً إن كل المعطيات تشير الى أنه كان لليونان علاقات متينة مع العالم العربي، وان هذا يؤكد التأثير الحضاري المتبادل بين المنطقة العربية واليونان الأمر الذي انقطع بعد رحيل العثمانيين من البلقان.

إعلانات سحر :

أصبحت إعلانات الشعوذة والسحر تعلق في الشوارع والاماكن العامة وجسور وأنفاق المشاة بالاردن. وفق ما قالته صحيفة " الدستور " اليومية، وأضافت الصحيفة: تلفت انتباهك عبارة لعلاج السحر وفك المربوط، المنتشرة في إعلانات وضعت في الشوارع، وبجوار هذه العبارة عنوان ورقم هاتف الشخص المعني.

وتابعت: هذه الظاهرة التي باتت تطالعنا في شوارع عمان لا تدل فقط على تمادي هذه الفئة في الجهر بما هو غير شرعي وغير قانوني للإيقاع بأصحاب الحاجة.. بل تعكس صورة غير حضارية تتمثل بتخريب وتشويه الملكية العامة عبر إقدامهم على الكتابة والتخطيط على الجدران والمرافق العامة، والتي عادة ما تكون ظاهرة في الشوارع الرئيسية، لجذب انتباه الناس اليها.

وقالت الصحيفة ان (مديرية الأمن العام وعبر إدارة البحث الجنائي تتخذ عديد الاجراءات ومن أهمها متابعة مرتكبي تلك القضايا والقبض عليهم والتحقيق معهم وتوديعهم القضاء، لينالوا عقابهم الرادع الى جانب وضع صور الاشخاص المشبوهين ومرتكبي هذه القضايا بمختلف أنواعها على شاشات الكمبيوتر لدى مديرية الأمن العام. لتسهيل عرضهم على الضحايا في حال تقدمهم بشكاوى ضد هؤلاء المشعوذين.

الجوز يعالج مشاكل الضغط والسكري:

أكدت دراسة اسبانية ان إضافة ثمرة الجوز أو الجميز الى النظام اليومي قد يساعد الأفراد على تجنب بعض المشاكل الصحية كارتفاع الضغط الدموي ونسبة الكوليسترول والسكري.

وكانت الفوائد الصحية لتناول ثمرة الجوز باعتماد معروفة في السابق، لكن الدراسة التي أنجزها فريق من جامعة روفيرا إفيرخيلي بإسبانيا، سعت الى معرفة تأثير هذه الثمرة على النظام الغذائي لعينة — ١٢٠٠ متطوع.

ووفقاً لما ذكرته شبكة " بي بي سي " البريطانية، فقد قسمت العينة الى ثلاث مجموعات: مجموعة أولى وجهت لها ارشادات فيما يتعلق بتجنب النظام الغذائي الدسم، ومجموعة طلب منها أن تلتزم بنظام حمية متوسطي بما فيه تناول ليتر من زيت الزيتون اسبوعياً، بينما طلب من المجموعة الثالثة أن تعزز نظام حميتها المتوسطي بتناول ٣٠٠ غرام من ثمر الجوز، ولم يطلب من أي من هذه المجموعات الثلاث الالتزام بقدر معين من الحراريات. وبعد سنة بينت النتائج ان الحالة الصحية لأفراد المجموعة الأولى تحسنت بنسبة ٢% وبنسبة ٦,٧% في المجموعة الثانية وبنسبة ١٣,٧% بالنسبة للمجموعة التالية. ولم يبد على أفراد المجموعة الأخيرة أنهم فقدوا من وزنهم، لكن نسب الكوليسترول والضغط الدموي انخفضت بشكل واضح.

لإحتوائه على مواد فعالة : سم العقرب .. أحدث علاج لمحاربة سرطان المخ:

على الرغم من الطفرة الطبية الهائلة التي يشهدها العالم في علاج مرض السرطان إلا أن العلم يقف عاجزاً أمام إيجاد دواء فعال يخلو من الآثار الجانبية للتخفيف من هجمات هذا الداء المميت الذي ينتشر بين البشر بسرعة هائلة ومع مرور الوقت أيقن الاطباء مدى خطورة ما يستخدمونه من علاجات كيميائية واشعاعية على المرضى فاتجهت انظارهم مؤخراً الى أساليب غير متوقعة لاستكمال حربهم الدائمة ضد السرطان .

وقد عودنا العلماء دائماً على ابتكار وسائل جديدة في العلاج، لكن هذه المرة خرجوا علينا بدراسة فاقت كل التوقعات، حيث توصل باحثون أمريكيون من خلال مجموعة من الاختبارات المعملية الى أن سم العقرب بات من الممكن الاعتماد عليه في معالجة هذا المرض الشديد الخطورة. وأوضح الباحثون أن لدغة العقرب تطلق خليطاً من السموم العصبية التي تحتوي على بيبتيدي أو بروتين يرتبط ببعض الخلايا السرطانية لكنه لا يقترب من الخلايا السليمة، وتعتبر تلك البببتيديات جزيئات بأثنين أو أكثر من الأحماض الأمينية، التي تعتبر بمثابة البنايات للبروتينيات.

وأشار باحثون أمريكيون، الى أنهم قاموا حتى الآن بتوصيل عنصر اليود المشع بالبيبتيدي، وكان الهدف من وراء تلك الخطوة هو معرفة ما اذا كان من الممكن استخدامه في تقديم جرعات مميتة من النشاط الاشعاعي لأمراض السرطان أم لا.

يذكر أن مجموعة من العلماء قاموا العام الماضي بحقق عامل يطلق عليه Tm^{601} مباشرة الى داخل الأورام الخبيثة الموجودة لدى ٥٩ شخصاً مصاباً بعرض سرطان المخ الذي يتعذر تطبيقه .

لدغة العقرب تكفي: وكان أطباء فرنسيون قد أكدوا من قبل ان العقرب من الممكن أن يقوم بمهمة جلييلة في استئصال الخلايا السرطانية من الجسم لأن الابرة الموجودة في ذنب العقرب والحاوية على السم باستطاعتها الكشف عن بقايا الخلايا المصابة بالسرطان بوضوح تام بعد اضافة مواد اشعاعية الى كمية السم المحقون في موقع الإصابة، وبذلك يمكن تعقب تلك الأجزاء وإزالتها كلياً قبل أن يقوم الطبيب بغلق موضع الجرح.

ويتم ذلك بفضل وجود مادة الكلوروتوكسين أو ما يعرف بـ " CTX " في سم العقرب، وهي مادة فعالة، وأهم المناطق التي يمكن استخدام هذه المادة فيها هي المخ.

وأوضح الأطباء أنه عادة ما يكون هدف الجراح اثناء استئصال الأورام السرطانية، هو إستئصال كامل الجزء المصاب بالسرطان، فالجراح هنا يحاول عدم الإبقاء على أي جزء من هذا المرض الفتاك في جسم الانسان، فالأجزاء الصغيرة جداً للورم لا يمكن رؤيتها حتى في الأشعة الدقيقة التي تعرف بأشعة " MRI "، وبعد استئصال الورم، يمكن أن تظهر أورام أخرى من بقايا الاجزاء المستأصلة في وقت لاحق، بيد أن الاكتشاف الجديد يمكن أن يحقق الهدف.

قرية عمرها تسعة آلاف سنة:

قال مسؤول كبير في قطاع الآثار السوري، إن بعثة أثرية سورية - فرنسية عثرت في موقع تل أسود الواقع في غوطة دمشق على قرية نموذجية مبنية من الطين تعود الى الألف السابع قبل الميلاد.

ونقلت صحيفة " الثورة " الحكومية، عن مدير عام الآثار والمتاحف في سوريا بسام جاموس أن منازل القرية بعضها دائري وبعضها مربع الشكل، كما انتشئت مصاطب أمام المنازل (تدل على عبقرية معمارية فنية متطورة ضمن هذه القرية).

أضاف جاموس أن البعثة عثرت على (جماجم مقولبة بوضع الجص من تحت الأنف الى وراء الرأس ولونت الجبهة بألوان المغرة الحمراء تدل على ممارسة طقوس شعائرية هامة في الألف السابع ق.م. كما يدل على بدايات التحنيط في تلك الحقبة).

وبين مدير الآثار السوري ان (مغرة حمراء) مازالت موجودة على جبهة هذه الجماجم حيث مورست في تلك الفترة عبادة الجماجم أو عبادة الأجداد، مشيراً الى أن الرأس مفصول تماماً عن الجسد باعتبار أن الرأس هو مركز الفكر عندهم، لذلك كان هناك احترام وتقديس لهذه الجماجم، ونظراً

لهذا الاكتشاف المهم سيتم التحضير لدراسة محتويات إحدى الجماجم وستدرس في أحد المختبرات السورية أو الفرنسية، لمعرفة التاريخ الحقيقي لها.

أوردة الأصابع هوية مستحيلة التزوير:

يطبق في أوروبا نظام جديد للتحقق من الهوية، ويعتمد هذا النظام على التعرف الى نموذج شبكة الأوعية الدموية في الأصبع عن طريق تمرير أشعة فوق الحمراء في الأصبع من زوايا مختلفة، والتي تستخدم عادة هو الاصبع الأوسط، يمكن إجراء ذلك باستخدام آلة بسيطة مثبتة على حائط كجزء من آلة التحقق من الشخصية.

وهذا النظام الحديث القادم من اليابان يستخدم على نطاق واسع، حيث يقال إنه الأسرع والأكثر كفاءة وأمان. وتلك الطريقة التي طورتها شركة هيتاشي اليابانية تعتمد في تحديدها لهوية الشخص على شبكة دقيقة من الاوعية الدموية موجودة تحت جلد إصبع الشخص.

في اليابان تعمل آلاف آلات صرف النقود باستخدام نظام تكنولوجيا أوردة الأصابع. ووفقاً لتقرير صحيفة " التايمز " فقد أعلنت شركة هيتاشي أنها سوف تطرح ٢٠ ألف نظام توثيق من خلال أوردة الأصابع في المحلات والأكشاك التابعة للشركات اليابانية، والتي سوف تستخدم الآلات لحماية خصوصية بيانات العميل حيث تطلب التحقق من هوية من يقومون بتخزين البيانات قبل أن تسمح لهم بالدخول الى قاعدة بيانات العميل.

وتقول شركة هيتاشي بأنه سبب الاوردة الموجودة داخل الجسم وغير المرئية للعين فمن الصعب تزيفها أو تقليدها. بينما صورة بصمات الأصابع من الممكن الحصول عليها، كما يمكن تصوير شبكية العين دون أن يدرك

الشخص ذلك، ولكن الحصول على صورة شبكة الأوردة في إصبع الشخص يصعب الحصول عليها دون علم الشخص.

مدعي عام البلاد: الصهيونية لم تدخر جهداً لاستهداف الثورة الاسلامية منذ انتصارها وحتى الآن:

أكد المدعي العام الايراني آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي أن هدف كيان الاحتلال الصهيوني من حربه الحالية على ايران هو استهداف المبادئ السامية التي ترتكز عليها الثورة في الجمهورية الاسلامية الايرانية. وقال الشيخ نجف آبادي في تصريح خاص لقناة العالم الاخبارية، ان كيان الاحتلال الصهيوني لم يدخر جهوداً منذ قيام الثورة الاسلامية الايرانية في استهداف ايران من خلال توظيف عدد من الايرانيين ضعفاء النفوس للعمل في شبكة تجسس تابعة للموساد، مؤكداً قدرة الشعب الايراني على مواجهة المشروع الصهيوني للتجسس على البلاد من خلال التصدي لكافة المؤامرات الاسرائيلية.

وأضاف: ان اسلوب الموساد مكشوف وواضح لجميع أبناء الشعب الايراني وان كيان الاحتلال الاسرائيلي لم ولن يجني أي منفعة واضحة أو حقيقية من خلال القيام بتلك الأعمال التجسسية في الداخل الايراني.

تنبؤات بارتفاع كبير لمنسوب مياه البحر مع نهاية القرن الحالي:

تنبأ فريق من الباحثين البريطانيين والفنلنديين بأن منسوب مياه البحر قد يرتفع مع نهاية القرن الحالي بمعدل يصل الى متر ونصف المتر مقارنة بالوضع الراهن. ويتجاوز الرقم الجديد بشكل كبير المستوى الذي كانت اللجنة الدولية لتغير المناخ قد تنبأت بالوصول اليه في اطار التقييم الذي كانت قد

أجرته العام الماضي وشكل علامة فارقة في مجال دراسة علم المناخ، حيث رأت أن الارتفاع سيكون عام ٢١٠٠ بين ٢٨ و ٤٣ سم فقط.

فوفقاً للدراسة الجديدة التي أعدها فريق الباحثين المشترك، سيكون لمثل هذا الارتفاع الى هذا الحد في مستوى مياه البحر آثار جوهريّة على البلدان التي تضم أراض منخفضة مثل بنغلاديش.

وقد عرض الباحثون النتائج التي توصلوا إليها في دراستهم أمام المؤتمر السنوي للاتحاد الأوروبي للعلوم الجيولوجية الذي عقد في العاصمة النمساوية فيينا مؤخراً. محافظ أكثر من اللازم.

وليس فريق الباحثين البريطانيين والفنلنديين هو أول مجموعة بحثية تشير الى أن الرقم الذي تنبأت به آي بي سي سي سي يميل الى المحافظة أكثر من اللازم. وقد عجزت آي بي سي سي في توقعاتها عن تضمين بحثها النتائج التي يمكن أن تسفر عنها مساهمة الذوبان "المتسارع" للطبقات الجليدية القطبية نتيجة الارتفاع المضطرد في درجات حرارة المياه. وقد يكون السبب في ذلك هو عدم فهم العمليات التي تدخل في تشكيل مثل هذه الظاهرة. أما فريق الباحثين البريطاني - الفنلندي فقد توصل الى نتائج التحليل الذي قام به من خلال إنشاء نظام كمبيوتر يربط ما بين درجات الحرارة ومستويات مياه البحر على مر الألفي سنة الماضية.

معدل مستقر: تقول الدكتورة سفيتلانا جيفريجيفا، من مختبر براودمان لعلوم المحيطات الواقع قرب مدينة ليفربول البريطانية، "إن المعدل العالمي لمستوى مياه البحر العالمي كان مستقراً للغاية على مر السنوات الـ ٢٠٠٠ الماضية، إذ أنه تغير بحدود ٢٠ سم فقط خلال كل تلك الفترة".

وتضيف جيفريجيفا، وهي أحد أعضاء فريق البحث العلمي المذكور، قائلة: "إلا أنه مع نهاية القرن الحالي، فإننا نتوقع ان يرتفع منسوب مياه البحر بمعدل يتراوح بين ٠,٨ و ١,٥ متراً". وتتابع قائلة: إن الزيادة السريعة

بارتفاع منسوب مياه البحر خلال السنوات المقبلة مرتبط بـسرعة ذوبان الطبقات الجليدية.

محاكاة دقيقة: وترى جيفريجيفا أن نظام الكمبيوتر، الذي أجرى الفريق بحثهم من خلاله، قادر على المحاكاة الدقيقة لمستويات مياه البحر الى درجة يمكن التعويل عليها ومراقبتها عن طريق قياسات معدلات المد والجزر البحري على مر الاعوام الـ ٢٠٠ الماضية.

أما سايمون هولجيت، وهو خبير يعمل مع الدكتورة جيفريجيفا في نفس المختبر لكنه لم يشترك في البحث الجديد، فيقول ان هنالك القليل من الأدلة الملموسة التي تشير الى مستويات مياه البحر على مدى آلاف السنين قبل فترة الثلاثمائة سنة الماضية.

ويضيف: هنالك بعض الأدلة الأثرية المحدودة التي تعتمد على ارتفاع أحواض الأسماك التي كان يستخدمها الرومان، وربما شكلت تلك الدليل الأقوى على أنه لم يكن هنالك ثمة تغير كبير في منسوب مياه البحر على مرّ السنوات الـ ٢٠٠٠ الماضية.

تسارع أكبر: وقياساً على ذلك، يقول هولجيت، إن الارتفاع المسجل حالياً في منسوب مياه البحر، والذي يصل الى حوالي ثلاثة سم في العام الواحد، يعتبر كبيراً جداً، وإن العديد من العلماء العاملين في هذا الميدان يتوقعون ان يشهدوا تسارعاً أكبر في ارتفاع مستوى المياه في المستقبل.

يذكر أن الباحث الالمانى ستيفان راهمستورف كان قد استخدم العام الماضي طريقة مختلفة لقياس ارتفاع مستوى مياه البحر، لكنه توصل الى نتيجة مشابهة لتلك التي توصل اليها فريق الدكتورة جيفريجيفا، إذ توقع ارتفاعاً في منسوب مياه البحر يتراوح ما بين ٠,٥ و ١,٤ متراً في عام ٢١٠٠.

وتشير آخر المعلومات التي تم الحصول عليها عن طريق الأقمار الاصطناعية الى أن طبقات الجليد في جرينيلاند ومناطق غربي القطب الجنوبي بدأت بالفعل تفقد جزءاً من كتلتها بفعل ذوبان الجليد، على الرغم من أن الطبقات الجليدية في شرقي القارة القطبية الجنوبية قد تكون آخذة بدورها بالازدياد.

ذوبان كامل: ويقول الخبراء إن الذوبان الكامل للجليد في منطقتي جرينيلاند وغربي القطب الجنوبي سيؤدي الى حدوث ارتفاع في مستوى مياه البحر قد يصل الى عدة أمتار، إلا أن العملية، إن حدثت ستستغرق قرناً عدة من الزمن.

أما ستيف نيريم، وهو باحث من جامعة كولورادو ويعتبر موضوع مستويات مياه البحر في العالم موضوع البحث الرئيس بالنسبة له، فيقول: نحن نعلم ما يحدث في الوقت الراهن من خلال المعلومات التي توفرها الأقمار الاصطناعية، لكن محاولة التنبؤ بما يعنيه ذلك في المستقبل تعد واحدة من أصعب العلوم. ويضيف نيريم: هناك الكثير من الأدلة التي تشير الى أننا سنشهد ارتفاعاً في مستوى مياه البحر يصل الى متر واحد على الأقل عام ٢١٠٠.

تحولات كبيرة: ويردف قائلاً، نحن نشهد تحولات كبيرة في جرينيلاند، كما نشهد تبدلات مماثلة في منطقة غربي القطب الجنوبي، ولذلك نتوقع أن يتجلى ذلك في المعلومات المتعلقة بمستوى مياه البحر على شكل الزيادة في نسبة الارتفاع التي نراقبها الآن.

وعودة الى الدكتور هولجيت الذي يرى أن ارتفاع متر واحد في منسوب مياه البحر قد ينضوي على مضاعفات كبيرة وخطيرة بالنسبة للبلدان ذات الأراضي المنخفضة، وخصوصاً تلك التي لم تتم تهيئة اقتصاداتها لبناء أنظمة متطورة تحميها من مياه البحر.

ويتابع: إن ما بين ٨٠ الى ٩٠ بالمائة من اراضي بنغلاديش تقع ضمن ارتفاع متر واحد من مستوى سطح البحر. ولذلك، إن كنت تعيش في دلتا نهر الغانج، فإنك بالتأكيد ستواجه حينئذ المشاكل العويصة، ومثلك أيضاً عدد هائل من البشر.

يذكر أن الدكتورة جيفريجيها قد قدمت تصوراتها وأفكارها لكي تنتشر في مجلة " الأكاديمية الوطنية للعلوم ".

لاريجاني: عالم اليوم بحاجة الى نشر الثقافة الاسلامية الأصيلة:

أكد رئيس مجلس الشورى الاسلامي علي لاريجاني على أن حاجة اليوم هي نشر الثقافة الاسلامية الاصيلية في جميع اصقاع المعمورة. وأعلم لاريجاني في كلمة ألقاها أمام الملتقى الرابع للوحدة والصحة الذي عقد بمدينة شيراز بحضور أساتذة وطلبة الحوزات العلمية وأئمة الجماعة والمساجد وعلماء الدين.

وأكد رئيس مجلس الشورى الاسلامي ضرورة هجرة علماء الدين الى أصقاع العالم لنشر الثقافة الاسلامية الاصيلية مشيراً الى الدور الذي أداه اثنان من علماء الدين في نشر هذه الثقافة في الصين بعد هجرتهم اليها حيث يقصد المسلمون في هذا البلد مضجعيهما تكريماً لشخصيتيهما الاسلاميه.

وشدد لاريجاني على ضرورة تأليف الكتب الاسلامية بلغة يفهمها الجميع في الدول الاسلامية، مؤكداً ضرورة نشر الثقافة الدينية في الداخل من خلال المكتبات والمساجد ودور النشر. وأشار الى دور علماء الدين على مرّ العصور والدهور لنشر الفكر الاسلامي الاصيل في المعمورة مشيداً بهذه الشريحة الشريفة التي تحملت مختلف أنواع المصاعب والمتاعب في سبيل الله ونشر ثقافة الدين الحنيف. وأشاد رئيس مجلس الشورى الاسلامي بعلماء الدين الذين نشروا أفكار أئمة أهل بيت الرسول الأعظم (ص) رغم كل

المشاكل التي تحملوها لهذا الهدف السامي حتى كلف بعضهم حياته واستشهاده مشيراً الى الشهيد مرتضى مطهري الذي أتحف المكتبة الإسلامية بمؤلفاته العميقة.

العثور على نصين مسماريين :

عُثِرَ بعثتان سورية ويابانية للتنقيب عن الآثار على رقمين مسماريين يعودان الى نحو أربعة آلاف عام في دمشق والحسكة على بعد نحو ٦٠٠ كم شمال شرق العاصمة، كما أفادت وكالة الانباء السورية " سانا ". وقالت الوكالة: ان البعثة الوطنية برئاسة احمد فرزت طرقي عثرت في تل سكا بغوطة دمشق على نص مسماري من عصر مملكة ماري يعود الى ١٨٠٠ عام قبل الميلاد، كما عثرت البعثة اليابانية في تل طابان بالحسكة على رقيم مسماري يعود الى ٢٠٠٠ عام قبل الميلاد وهو عبارة عن نص تعويذي لطرد الارواح الشريرة.

وقالت المديرية العامة للآثار والمتاحف: ان المعلومات الاولى في النص المسماري الذي عثر عليه في دمشق تؤكد أهمية منطقة دمشق في عالم السياسة والحضارة، موضحة أنه عبارة عن رسالة موجهة من ملك كان يحكم منطقة دمشق الى " رمزي ليم " ملك ماري الواقعة على الفرات قرب مدينة البوكمال ٥٠٠ كم شرق العاصمة على الحدود العراقية.

ويعتبر النص الاول حتى اليوم الذي يعثر عليه في منطقة دمشق والجنوب السوري عموماً وعلى وجود مملكة أمورية قوية في غوطة دمشق في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد كانت معاصرة للممالك الامورية الكبيرة مثل ماري وبابل وايبلا وقطنا ويمحاص.

مشيراً الى انه يجب التخوف من الكيان الصهيوني وأميركا وليس من ايران: كاتب مصري: يجب دعم ومساندة ايران في مواجهة المخططات الاميركية والصهيونية:

أكد الكاتب الاسلامي المصري " جمال البنا " ان الخوف على المنطقة يأتي من الكيان الصهيوني وأميركا وليس ايران كما يزعم البعض. وقال البنا في مقال له بصحيفة " المصري اليوم " المصرية المستقلة: أن من يروجون لوجود مخاوف على المنطقة من ايران غير مدركين أو لديهم نوايا غير طيبة فليس للشعوب الاسلامية من عدو سوى " اسرائيل " وحاميتها أميركا، وهاتان هما عدوتنا ايران، والنتيجة أن ايران صديقة، ونحن وهي في خندق واحد.

وانتقد البنا تحذيرات البعض مؤخراً مما أسموه بـ " المد الشيعي " بالمنطقة وقال: انه لا يرى خطراً من المد الشيعي أو " غزو وهابي " أيضاً، فالوهابيون والشيعة اخوة لنا يقولون لا اله إلا الله محمد رسول الله، ونستطيع أن نتحدث معهم بلغة القرآن والرسول، وهم جميعاً يستظلون بمظلة الاسلام ولا أرى خطراً في ان يتحول السني الى شيعي أو وهابي، فهذه كلها مذاهب اسلامية، وايران والسعودية قاعدتان من قواعد الاسلام يحميانه ويدعمانه خاصة اذا تعاونوا، وهما جناحا أمة محمد .

وأوضح ان انتشار الشيعة في مناطق لم يكونوا بها من قبل ليست بسبب خطط وتكتيكات واستراتيجية إيرانية كما زعم البعض والصحيح أن الجماهير رأت أن التأييد الإيراني لحزب الله مكن الحزب من أن يرد "اسرائيل" على أعقابها ويفسد عليها مخططاتها، ولولاه لكان الصهاينة هم سادة بيروت.

وأكد البنا ان الجماهير لا تنتقل من مذهب الى مذهب نتيجة مخططات تضعها دولة ما لأن الجماهير تنتقل بارادتها وأشار في هذا الصدد الى ان الاتحاد السوفياتي كان يدعم الاحزاب الشيوعية، وقد أبقى هذا على الاحزاب

ولكنه لم يكسب لها الاعضاء، على حين أن هجرة الآلاف من العمال والمهنيين المصريين الى السعودية والخليج الفارسي، وبقاءهم سنوات طويلة أثرت على فكرهم فعادوا يبشرون بفكر وهابي.

ودعا البنا الى دعم ومساندة ايران في مواجهة المخططات الاميركية والصهيونية، باعتبارها القوة الوحيدة الصامدة أمامها والتي فشلت كل التهديدات الدولية في إخضاعها مؤكداً أنه إذا حدث مكروه لايران لا قدر الله فان الهزيمة ستلحق بالشرق كله بعد أن زالت القوة الوحيدة فيه.

وقال: ان الشيء الوحيد الذي يحول دون حصول هذه الكارثة هو أن تتوحد أو على الأقل تتعاون الجهود لدعم ايران والوقوف معها، لأن هذا وحده هو الذي يجعل أميركا و " إسرائيل " تترددان في القيام بخطتهما الاجرامية.

فريق المخترعين الايرانيين يحرز المرتبة الأولى في العالم :

أعلن رئيس العلاقات العامة لممثلة الاتحاد العالمي للمخترعين الايرانيين حسين واعظي ان فريق المخترعين الايرانيين حقق المرتبة الاولى في المسابقات العلمية الدولية التي جرت مؤخراً في الصين. وقال واعظي: ان فريق المخترعين الايرانيين أحرز في هذه المسابقة العلمية التي أنهت أعمالها ليلة أمس الاول في الصين عشرة ميداليات ذهبية و ١٩ فضية و ٢٣ برونزية وأربعة جوائز خاصة. وشارك في هذه المسابقة ٣٢ فريقاً حيث قدم المخترعون الايرانيون أكثر من ٨٠ اختراعاً ومشروعاً علمياً. وصرح واعظي بأن الفرق المشاركة في هذه المسابقة العلمية جاءت من بلدان متطورة كاليابان والولايات المتحدة وروسيا وألمانيا والصين وعدد آخر من الدول المتقدمة. وهنا واعظي قائد الثورة الاسلامية والشعب الايراني بهذا الانتصار في العام الذي سمي في ايران بعام الازدهار والابداع.

دراستان: " الدماغ هو الذي يتحكم في الوزن " :

اكتشف العلماء ان تنويعات جديدة لـ ٧ موروثة تشير الى العامل الذهني كأحد أهم مسببات السمنة. وترى دراستان نشرتا بمجلة نيتشر جينيكتس العلمية ان الدماغ يؤدي دوراً جوهرياً في ضبط الشهية الى الطعام، وأن العوامل الأيضية، المرتبطة بإفرازات الجسم ونشاطه العضوي، ليست الوحيدة المسؤولة عن السمنة.

وأخضع الباحثون للدراسة عينات وراثية أخذوها من آلاف الأشخاص في محاولة للكشف عن أدق التغيرات الوراثية. ووجدت الدراستان اللتان أنجزهما فريقان أيسلندي وآخر دولي، أن العديد من التنويعات السبعة مصدرها الدماغ. وهذا يشير الى أن أثر الدماغ على الشهية وعلى سلوك الأكل أكبر من كل تنويع وراثي الذي يؤثر على قدرة الجسم على التخلص من الدهون. وقالت الدكتورة كاري استفانسون العضو في الفريق الأيسلندي إن نتائج الدراستين توحى بضرورة التركيز على آليات التحكم في شهية الطعام لمكافحة البدانة الى جانب عوامل أخرى. واعتبر بعض الخبراء ان نتائج الدراستين خطوة هامة في الطريق الى التحكم في الوزن. فيما رأى البعض الآخر أن النتائج لا تشير سوى الى أن عدداً من الناس أقل قدرة على مقاومة الرغبة في الأكل.

رئيس السلطة القضائية: تحقيق العدالة وتوفير الأمن القضائي في المجتمع رهن بالمشاركة الشعبية:

صرح رئيس السلطة القضائية آية الله السيد محمود هاشمي شاهرودي أن تحقيق العدالة القضائية وحقوق المواطنين وتوفير الأمن القضائي في المجتمع رهن بالمشاركة الشعبية. وأضاف السيد هاشمي شاهرودي في كلمته أمام حشود من أهالي مدينة بجنورد مركز محافظة خراسان الشمالية، شمال

شرق البلاد انه كلما كانت للمواطنين مشاركة وحضوراً فاعلاً ستقل التحديات والمشاكل وسيتحقق النجاح.

وأوضح رئيس السلطة القضائية ان تأسيس مجالس حل الخلافات يعد بحد ذاته انموذجاً ناجحاً لمشاركة الشعبية في الشؤون القضائية وقال: انه ومع تأسيس هذه المجالس في البلاد جرى في العام المنصرم فقط البت في خمسة ملايين من الملفات القضائية وتم حل معظمها بالمصالحة بين أطراف الدعاوي.

الشيخ التسخيري: الثقافة المشتركة تربط ايران وطاجيكستان:

مساعد وزير المعارف الطاجيكي يؤكد على تعزيز التعاون الثقافي مع ايران: التقى الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ محمد علي تسخيري ورئيس جامعة المذاهب الاسلامية عبدالكريم بي آزار شيرازي وزير الثقافة الطاجيكي شاهرخ اسراري.

وأشار الجانبان في اللقاء الى القواسم التاريخية والثقافية والدينية بين ايران وطاجيكستان وأكدوا على ضرورة تنمية التعاون الثقافي والعلمي بين البلدين. وقال الشيخ تسخيري: ان ايران وطاجيكستان لديهما تاريخ وثقافة مشتركة وشخصيات ثقافية بارزة والبلد الشقيق طاجيكستان ومن خلال تكريمه لشخصيات كبيرة مثل رودكي والغزالي ابو حنيفة يؤدي عمل قيم قابل للاستفادة.

وأضاف أن الشخصيات الاسلامية الكبيرة تضطلع بدور حيوي في التعايش بين الحضارات والحوار بين الأديان وتكريم هذه الشخصيات يخدم الاسلام والتقارب بين الحضارات والشعوب المختلفة.

وقال التسخيري ان التناغم والتضامن ووحدة المواقف بين الدول الاسلامية والتقريب بين المذاهب من الاهداف الكبيرة للجمهورية الاسلامية

الايرانية ولهذا الهدف تم تشكيل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية. وأعرب عن أمله في أن تعمل طاجيكستان يوماً بعد يوم على تعزيز الثقافة الاسلامية وتوثيقها في العالم بالتزامن مع التطورات الاقتصادية والعلمية والثقافية. من جانبه أشار وزير الثقافة الطاجيكي الى اللغة والدين المشترك بين ايران وطاجيكستان وقال أن وجود الشخصيات الدينية والثقافية والاجتماعية المشتركة مع ايران يعد مفخرة للشعب الطاجيكي.

وأضاف اسراري ان الحكومة الطاجيكية انجزت بعد الاستقلال مشاريع كبيرة لتعريف الشخصيات الثقافية ودعم الدين الاسلامي على الصعيدين الدولي والمحلي بما فيها تأسيس مركز اسلامي وجامعة اسلامية واصدار القرآن الكريم والكتب الاسلامية وتكريم الاعياد الاسلامي وإقامة ملتقيات دولية لتعريف الشخصيات.

واكد وزير الثقافة الطاجيكي على أواصر الاخوة والصداقة بين ايران وطاجيكستان ورحب بتطوير العلاقات العلمية والثقافية والدينية بين البلدين. أما رئيس جامعة المذاهب الاسلامية الدكتور بي آزار شيرازي فقد دعا الى تعزيز العلاقات بين البلدين في المجالات الثقافية والدينية المشتركة وأعلن استعداد جامعة المذاهب الاسلامية لقبول الطلاب الطاجيكيين.

وأضاف: أن إقرار العلاقات بين جامعتيه والجامعات الطاجيكية وتبادل الزمالات الدراسية وتوفير فرص للدراسات المشتركة يفضي الى تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين، من جانبه رحب وزير الثقافة الطاجيكي باقتراح قبول الطلاب الطاجيكيين في جامعة المذاهب الاسلامية الايرانية. كما زار الشيخ تسخيري والدكتور بي آزار شيرازي جامعة ترمذي الاسلامية في مدينة دوشنبه. وقدم رئيس جامعة ترمذي الاسلامية الدكتور عبدالجلال علي زاده تقريراً عن الدراسة في الجامعة وبحث الجانبان التعاون العلمي وتبادل الزمالات الدراسية مع جامعة المذاهب الاسلامية الايرانية.

كما التقى الشيخ تسخيري رئيس مجلس العلماء والمركز الاسلامي الطاجيكي أمان الله نعمت زاده. وأكد أمين المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية على التعاون بين المذاهب والوحدة بين الشعوب الاسلامية وقال يتعين إحياء الشعور بالتكاتف والوحدة في الأمة الاسلامية لمواجهة الهجمة الثقافية للغرب والتصدي للتحديات الحالية.

من جانبه أكد مساعد وزير المعارف الطاجيكي ايرينا كريم اوا لدى لقائه رئيس جامعة المذاهب الاسلامية عبدالكريم بي آزار شيرازي على ضرورة تعزيز التعاون العلمي والثقافي بين بلاده والجمهورية الاسلامية الايرانية.

وأضاف: ان ايران وطاجيكستان كبلدين يتحدثان بلغة واحدة ولديهما قواسم تاريخية وثقافية مشتركة يتعين أن يستثمرا هذه الأمور للمزيد من التقارب بين الشعبين. وقال: ان العديد من الطلاب الطاجيك يتلقون تحصيلهم العلمي في ايران وسيتم هذا العام ايفاد ٤٦ طالباً جديداً الى ايران.

وأشار الى تطوير التعاون في مجال تبادل الزمالات الدراسية بين البلدين وقال ان طاجيكستان مستعدة لاستخدام الامكانيات المتاحة في مجال تطوير التعاون العلمي والثقافي.

وأعرب بي آزار شيرازي عن أمله في المزيد من تعزيز العلاقات العلمية والثقافية بين ايران وطاجيكستان. وأضاف ان جامعة المذاهب الاسلامية مستعدة لقبول ١٠ طلاب طاجيك في مرحلتى البكالوريوس والماجستير في اطار دعم العلاقات الثقافية بين البلدين.

وكان الشيخ التسخيري وبي آزار شيرازي قد زارا طاجيكستان على رأس وفد لحضور الملتقى الدولي للتعايش بين الحضارات والحوار العالمي بمناسبة الذكرى الـ ٩٥٠ للامام محمد الغزالي.

مؤكداً ان الاستكبار العالمي يحقق أهدافه باستخدام الارهاب ..
المرجع نوري همداني: الاسلام الحنيف لم يوص أتباعه أبداً باراقة دماء
المظلومين والأبرياء :

أوضح آية الله حسين نوري همداني أحد المراجع الدينية في قم ، ان
الاستكبار العالمي يتابع تحقيق أهدافه المشؤومة في العالم عبر الاعتماد على
النشاطات الارهابية. وأضاف نوري همداني في تصريحات أدلى بها أمام
حشد من طلبة العلوم الدينية في درس الفقه الخارج، أن جميع التقدم الذي
حصل عليه الاستكبار العالمي وعلى رأسه أميركا دون شك بسبب نزعتها
السلطوية على شعوب العالم. وأضاف ان أيادي الاستكبار في العصر الراهن
ترتكب المجازر وتتهب الثروات الوطنية لبلدان العالم الثالث من أجل فرض
رغباتها وهيمنتها عليها.

ولفت آية الله نوري همداني، اننا نشهد بوضوح اليوم ان الذين
يرتكبون أبشع الجرائم بحق البشرية يلصقون التهم بالاسلام المحمدي الأصيل
بلا أدنى شعور بالحياء ويعكسون صورة مشوهة عنه بأنه أساس الجريمة
وزعزعة الأمن في العالم.

وتابع : ان سكان العالم اليوم يعرفون ان الاسلام الحنيف يحمل رسالة
السلام والمحبة والصداقة لأنه الدين العالمي الوحيد الذي تقوم كافة دعائمه
على العدل والانصاف. وأوضح ان الاسلام الحنيف لم يوص أتباعه أبداً
باراقة دماء المظلومين والأبرياء والاعتداء على الحقوق المبدئية من أجل دفع
أهدافه الى الامام.

ولفت الى أن القرآن الكريم والروايات الاسلامية تؤكد دائماً على
قضية الجهاد من أجل الحفاظ على الحدود الدينية المقدسة في مواجهة الكفار.
وأوضح ان الاسلام الحنيف يعتبر الجهاد والتصدي للكفار بأنه عنصر وقائي
ولكن للأسف يمارس الاستكبار العالمي تشويه الحقائق ويعكس صورة سلبية

عن هذا الموضوع لدى أوساط الرأي العالمي. وأردف، إن أكثر ما حول الدفاع والجهاد في الإسلام الحنيف الى قضية هامة هو مسألة الدفاع عن المظلومين الذين لا يشعرون بالأمن في بلدانهم جراء ظلم المستكبرين.

وجعل الشمس سراجاً ..

أول رحلة حول العالم بسيارة تعمل بالطاقة الشمسية:

أكمل معلم سويسري، أول رحلة حول العالم بسيارة تعمل بالطاقة الشمسية وقال انه يأمل أن تحفز الرحلة التي قطع فيها ٥٢ ألف كم الشركات المصنعة للسيارات على صنع سيارات صديقة للبيئة.

وحطم لويس بالمر سيارته (التاكسي الشمسي) في حائط من كتل البوليسترين معلناً انتهاء رحلة استمرت ١٧ شهراً خارج موقع انعقاد محادثات المناخ التابعة للأمم المتحدة في بولندا، بينما كان ييفودوبوير أعلى مسؤول في حملة الأمم المتحدة لمكافحة التغيرات المناخية جالساً في مقعد الركاب.

وقال دو بوير بعد خروجه من السيارة ذات العجلات الثلاث وهي باللونين الأزرق والأبيض وتجر مقطورة مسطحة السقف مزودة بستة ألواح شمسية مساحتها ٦ أمتار مربعة (أعتقد ان هذا شيء عظيم، انه طاف حول العالم في هذا الشيء وعلى ذلك فهذا رقم قياسي عالمي).

وقال بالمر ٣٦ عام بعد الرحلة التي شملت ٣٨ دولة والتي قال أنه (قضى خلالها يومين فقط في أعمال الصيانة منذ أن غادر لوسيرن في تموز ٢٠٠٧ أن السيارة سارت مثل ساعة سويسرية)، مضيفاً انه لقي ترحيباً حماسياً في جميع الأماكن التي مرّ بها في رحلة أخذته عبر انحاء أوروبا والشرق الأوسط وآسيا وأستراليا وأميركا الشمالية تخللتها بعض في عبارة، واليابان التي تحظر السيارات التي تحمل لوحات معدنية سويسرية كانت الدولة الوحيدة التي رفضت دخوله.

وقال بالمر: الناس يحبون فكرة سيارة تعمل بالطاقة الشمسية، يحذوني الأمل ان تستمر صناعة السيارات، وتصنع سيارة كهربائية في المستقبل، مضيفاً أن من بين الذين استقلوا السيارة الامين العام للأمم المتحدة بان كي مون والأمير ألبرت أمير موناكو ومخرج هوليوود جيمس كامبيرون ورئيس بلدية نيويورك مايكل بلومبرج ورئيس الوزراء السويدي فريدريك رينفيلد.

وتعمل السيارة بالطاقة الشمسية لكن بالمر كان معه أيضاً بطارية للسفر خلال الليل أو في دول لا تتوافر فيها الشمس مثل بولندا في الشتاء حيث قام باعادة شحنها من مصدر محلي للكهرباء.

وقال بالمر انه سيعود الآن الى سويسرا، مضيفاً انه يأمل أن يتمكن في العام القادم من ترتيب رحلة بست سيارات حول العالم في ٨٠ يوماً تستمد الطاقة من مصادر مثل الطاقة الكهربائية المولدة من مصادر مائية والطاقة الحرارية لباطن الأرض وطاقة الرياح.

طهران والفاتيكان يبحثان التعاون الأكاديمي المشترك:

التقى رئيس أكاديمية الفاتيكان للعلوم البروفيسور مارتشلو سانجس سوروندر، مساعد وزير الخارجية في شؤون التعليم والأبحاث علي آهني لبحث التعاون العلمي والابحاثي بين الجانبين.

وعبر رئيس أكاديمية الفاتيكان للعلوم عن إرتيابه لزيارة الجمهورية الاسلامية في ايران وأشار الى الامكانيات العلمية الواسعة لدى الجامعات والمراكز العلمية والبحوثية في الجمهورية الاسلامية في ايران وأعلن رغبة أكاديمية الفاتيكان للعلوم للتعاون العلمي مع هذه المراكز. من جانبه رحب مساعد وزير الخارجية في شؤون التعليم والابحاث علي آهني بالتعاون بين

المراكز العلمية والبحوثية في إيران والفاثيكان، مؤكداً على دعم وزارة الخارجية الايرانية لهذا التعاون.

إشتباكات بين الشرطة ومحتجين على إغلاق مصلى بالسويد:

اشتبك محتجون مع قوات الشرطة في السويد بعد قرار السلطات إغلاق مركز ثقافي اسلامي ومصلى. وقالت الشرطة إن مجموعة من الشبان المسلمين أضرموا النيران في السيارات ورشقوا قوات الأمن بالحجارة والعبوات الحارقة خلال الاحتجاجات. وأضافت أن المحتجين ألقوا عدداً غير معلوم من القنابل البدائية الصنع، لكنها لم توقع أي إصابات، مشيرة الى ان الشرطة أصيبت بأضرار.

واندلعت أعمال الشغب بعد إخلاء المصلى الواقع بضاحية روزنغراد بمدينة مالمو جنوبي السويد التي تقطنها أغلبية من الأجانب المنحدرين من العراق ولبنان والبوسنة وكوسوفو مطلع الاسبوع الجاري.

وكانت وسائل إعلام سويدية قد أعلنت أن صاحب المبنى الذي يستخدم مركزاً ثقافياً إسلامياً كان يرغب في استخدامه لغرض آخر، وأن رابطة الثقافة الاسلامية غادرته وسلمت مفاتيحه في وقت سابق من الخريف.

خلال إجتماعه بمبعوث الرئيس الكوري الجنوبي:

المدعي العام الايراني ينتقد التعاطي المزدوج للغرب مع قضايا حقوق الانسان:

انتقد المدعي العام الايراني قربان علي دري نجف آبادي التعاطي المزدوج للغرب مع قضايا حقوق الانسان وقال أن جرائم الكيان الصهيوني في غزة أثار غضب أحرار ومسلمي العالم.

وأكد نجف آبادي خلال اجتماعه بالمبعوث الخاص لرئيس كوريا الجنوبية الذي يزور طهران على ضرورة التزام جميع الدول بقضايا حقوق الانسان وشدد بأن الجمهورية الاسلامية الايرانية تعارض الظلم والعنف والاغتيال في أنحاء العالم مستلزمة مبادئها من الشريعة الاسلامية السمحاء التي تؤكد على ضرورة صيانة الكرامة الانسانية وضرورة العمل لتعزيز العدالة والحقيقة في العالم.

وانتقد الصمت الدولي حيال الجرائم التي يرتكبها الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني متسائلاً عن سبب الصمت الذي يتعرض له الفلسطينيون المحاصرين في قطاع غزة. وشدد بان الاسلام يعارض بقوة الأعمال غير الانسانية والارهاب والعنف وقال، إن الجمهورية الاسلامية الايرانية ترفض مثل هذه الأعمال اللاإنسانية وتدينها بشدة. وأشار الى التعاطي المزدوج للغرب مع قضايا حقوق الانسان معتبراً ذلك بأنه سيؤدي الى انعدام الثقة وتعرض مصداقية الدول الغربية للأذى بين الشعوب المسلمة.

وتطرق نجف آبادي الى العلاقات اليجابية القائمة بين ايران وكوريا الجنوبية وقال هناك فرص كبيرة لتوطيد العلاقات بين البلدين في جميع المجالات وخاصة في قطاع الطاقة والنفط والغاز.

من أسرار السعادة .. ألا تفكر بالمال:

لا تفكر بالمال، لا تجعل مسألة التقدم بالعمر تضيق خلقك، التحلي بمظاهر السعادة يجلب السعادة عن حق. يوجد أشخاص سعداء بحق. فقد وجد باحثون من المعهد الوطني الاميركي للشيخوخة، أن اقتناع المرء بما هو عليه، بمعنى التصالح مع الذات وتقبل الظروف بهدف تحسينها، أمر له تأثير ايجابي كبير جداً في تحسين الحالة المعنوية والنفسية وأيضاً الصحية وبالتالي تحقيق السعادة المرجوة.

ففي دراسة، أجراها هؤلاء الباحثون على عينة عشوائية من الأشخاص استمرت عشر سنوات، تبين أن الذين كانوا يتحلون بمزاج سعيد في بداية الدراسة لم تتغير حالهم بعد عشر سنوات رغم تغير الحالة الاجتماعية للفرد " أعزب أم متزوج " والعمل ومكان السكن والاقامة. ثمة أخبار جيدة في هذه النتائج، وهو أن السلوك الايجابي، خصوصاً عند مواجهة الصعاب، طريق مضمون نحو السعادة والعتور دائماً على مدخل جديد لتجديد هذا الشعور.

ما الذي يحقق المزاج السعيد؟ من هم هؤلاء الأشخاص الذين يستطيعون الحفاظ على معنويات عالية ويحتقرون المحبطات؟ هناك أربع سمات أساسية تحقق السعادة وتحافظ عليها:

١. احترام الذات: السعداء دائماً يحبون أنفسهم. الكثير من الدراسات في علم النفس أثبتت أن مؤشر الرضا في الحياة بشكل عام لم يكن أساسه العائلة أو الاصدقاء أو الحالة الاقتصادية - العمل والراتب - بل الشعور بالرضا عن النفس أولاً وأخيراً. فالأشخاص الذين يحبون أنفسهم ويتقبلونها يشعرون بشكل أفضل بكثير تجاه الحياة عامة والقدر والظروف خاصة. علماء النفس والاجتماع ينصحون باحترام الذات والتصالح معها حتى نكتشف نقاط القوة فيها، التي تساعدنا على أن نكون ايجابيين في الحياة، وينصحون أيضاً بالابتعاد عن الشعور بالشفقة تجاه الذات، وعدم التحدث بالسلبيات. فحتى نكتشف الحب من حولنا يجب علينا أولاً أن نحب أنفسنا.

٢. التفاؤل: السعداء يتسلحون دائماً بالأمل. إنهم أشخاص يؤمنون أنه إذا ما آمننا بشيء سيحقق حتماً. وانه عند الاضطلاع بأي جديد عليك أن تتوقع النجاح قبل كل شيء. ربما يكون في الأمر بعض من المبالغة. ولكن أن تنظر الى كأس الحياة من منظور أن نصفه

ملآن أفضل بكثير من أن تنتظر اليها على أن الكأس نصفه فارغ. وهذا ما يفعله السعداء بالضبط. المتفائلون أيضاً أكثر صحة وعافية. كثير من الدراسات أثبتت أن ذوي الطباع المتشائمة دائماً يلومون أنفسهم ويحملونها مسؤولية الاشياء السيئة. فالقول مثلاً انه خطأي أنا .. وضاعت حظوظي كلها .. وما شابه ذلك ، تظهرنا ضعفاء الى حد المرض. أما المتفائلون فهم أكثر قدرة على الاستمتاع بالنجاح. كما أنهم أقل عرضة لكثير من الأمراض مثل التوتر والكآبة وأمراض السرطانات والتهاب الرئة والمفاصل، لكن انتبه يجب ألا يكون الشعور بالتفاؤل مفتعلاً أو مصطنعاً.

٣. الانبساط، أو الترفيه: كلما اهتممت بالترفيه عن نفسك أكثر أصبحت أكثر سعادة. فالأمر يتلخص بمكافأة الذات ودفع الضريبة التي تستحقها ذاتك منك. فالخروج مع الأصدقاء الى الطبيعة أو قصد دور السينما والمسرح وزيارة المعارض الفنية والحفلات، أو حتى قضاء بعض الوقت في الأسواق تستعرض الواجهات أو شرب فنجان من القهوة أو الشاي في مقهى، كلها نشاطات يمكن أن تضيف الكثير من الشعور بالبهجة والاستمتاع والترفيه عن النفس. وهي تصب بمجملها في تعزيز الشعور بالسعادة واغتائه. لا تكن منعزلاً، اختلط قدر الامكان بالمجتمع المحيط بك قدر الامكان، تعرّف على أشخاص جدد كلما سنحت الفرصة، عزز صداقاتك وعلاقاتك بأسرتك وعائلتك والآخرين باستمرار.

٤. ضبط النفس: السعداء يؤمنون بإمكانية اختيار الأقدار، ففي استطلاع للرأي أجرته جامعة ميتشيغن تبين أن معرفة كيف نسير أمورنا وفق قناعاتنا الذاتية واختياراتنا الشخصية تجعلنا أكثر رضا عن الذات وبالتالي أكثر سعادة واستقرار وإيجابية في الحياة. فهناك فرق

كبير بين الذين يؤمنون أن المرء لا يستطيع السيطرة على الظروف أو التحكم بمجريات الحياة الى حد ما، وبين هؤلاء المؤمنين بأنهم هم قبل غيرهم من يقرر نوع الحياة التي يريدون أن يحيونها، وهناك فرق كبير بين من يقول أن العالم تديره حفنة من الرجال الأقوياء، والحياة سائرة بي وبدوني... وبين الذين يقولون أهم شيء في الحياة بالنسبة لي هو أنا، ولا أَرْضَى ألا يكون لوجودي أهمية.

تغذية التحكم بمجريات الأمور تزيد من قوة التحمل وتحسن الصحة وترفع المعنويات، في دراسة أجرتها باحثة اجتماعية من جامعة يال، جوديث رودين، على مجموعة من المرضى يتلقون العلاج في منازلهم، وجدت أن المرضى الذين أعطوا فرصة لخدمة أنفسهم بأنفسهم وأوكلت اليهم بعض المسؤوليات البسيطة والممكنة بحسب حالتهم، وتركزت لهم حرية اتخاذ القرارات اللازمة، استعادوا عافيتهم بشكل أسرع من سواهم وبدوا أكثر نشاطاً وسعادة.

النصائح التي يسديها الخبراء، لكي نكون سعداء، كثيرة وبسيطة في آن. مثل أن نختار كتاباً نقرأه وقت الفراغ بدل مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة، فالكتاب يمدنا بالشعور بالطأنينة والثقة بالنفس والغنى الروحي، على عكس التلفزيون الذي يترك في داخلنا فراغاً مؤدياً وغربة من نوع لا يمكن تفسيره.

تحويل مسكن المتنبى بحلب الى متحف:

يتم الآن تحويل الموقع الذي كان يسكن فيه الشاعر العربي المتنبى في القرن الرابع الهجري بمدينة حلب الى متحف يحمل اسمه وذلك بموجب قرار رسمي بعد أن حدد الباحث محمد قجه هذا الموقع الكائن خلف خان

الوزير وفي زاوية خان خايز بك. وبين الباحث قجه التطورات التي طرأت على الموقع خلال الـ ١١ قرناً الماضية حتى أصبح مدرسة تابعة للأوقاف يجري الآن تحويلها الى متحف.

ولفت الباحث قجه الى أن هذا المتحف المهم سيضم مختلف الكتابات حول الشاعر المتنبي وقاعدة بيانات وقاعة محاضرات وغرفة متحف صغيرة لتوثيق الفترة الحمدانية في حلب.

خلال لقاء وزيرى السكن للبلدين:

ايران والجزائر توقعان على مذكرة تفاهم للتعاون في قطاع بناء المساكن: وقعت الجمهورية الاسلامية الايرانية والجمهورية الديمقراطية الجزائرية في طهران على مذكرة تفاهم للتعاون في قطاع بناء المساكن والمدن وخاصة هندسة المباني وإعادة اعمار الابنية القديمة وتأسيس شركات فنية - هندسية مشتركة في البناء. ووقع مذكرة التفاهم عن الجانب الايراني وزير بناء السكن والمدن محمد سعيدي كيا وعن الجانب الجزائري وزير بناء المساكن والاعمار نور الدين موسى الذي زار طهران خلال الاسبوع الماضي.

وأكد الجانبان خلال مذكرة التفاهم على تنفيذ بنود مذكرة التفاهم التي وقعت قبل أربع سنوات بين البلدين وكذلك قرارات لجنة التعاون الايرانية - الجزائرية المشتركة التي صدرت العام الجاري.

وسيتبادل البلدان التجارب والمعلومات بين مركز الدراسات للأبنية والمساكن في ايران والمركز الوطني للأبحاث الهندسية التطبيقية في مقاومة الأبنية للزلازل في الجزائر. وأكد الجانبان كذلك على تشجيع ودعم التعاون في حقل علوم الأرض وهندسة التربة وإقامة مشاغل تعليمية في البلدين والتعاون في مجال إعداد قوانين تقويم الأبنية وهندسة المباني المقاومة

للزلازل ودعم تأسيس اتحاد هندسي مشترك يضم الاتحادات الهندسية في كلا البلدين.

وكان وزير السكن والاعمار الجزائري قد وصل طهران على رأس وفد يضم حشداً من المدراء والخبراء وجاءت هذه الزيارة تلبية لدعوة رسمية وجهها وزير بناء المساكن والمدن محمد سعيدي كيا.

سفير الفاتيكان يهدي مجموعة طوابع ومسكوكات لمتحف الروضة الرضوية:

قام الاسقف جان بل غوبل ممثل البابا وسفير الفاتيكان في ايران باهداء مجموعة من الطوابع والبومات المسكوكات القديمة والتاريخية لمتحف الروضة الرضوية الشريفة في مدينة مشهد. وأعلنت العلاقات العامة لمنظمة المكتبات والمتاحف في الروضة الرضوية أن مجموعة الطوابع تضم طوابع الشخصيات الثقافية وصور الأبنية التاريخية والمراكز الاقتصادية والمناسبات ومنها طوابع (العشاء الأخير) للمسيح وكذلك ولادة عيسى بن مريم وحوار الاديان وبرج إيفل والذكرى الخمسمائة لتأسيس متحف الفاتيكان حيث صدرت بهذه المناسبة نقود وطوابع.

قصر بابل يفتح أبوابه أمام العراقيين :

الرحلات السياحية اليومية تأتي لتقف فوق سقف القصر المنيف الذي يطل على مدينة بابل القديمة، ويلتقط السياح خلالها صوراً للمناظر الطبيعية الممتدة التي يطل عليها القصر. تطل البناية ذات اللون الأصفر الباهت القابعة فوق تل اصطناعي على مدينة بابل القديمة منذ عقود .. وخلال عصر صدام، كان العراقيون بالكاد يجراؤون على ذكر اسمه، فما بالك بأن تطلا أقدامهم الأرضيات الصخرية المزخرفة الموجودة داخل القصر.

ولكن خلال الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة عيد الاضحى الاسبوع الماضي، قرر المسؤولون فتح أبواب القصر أمام الزائرين، ولا توجد رسوم للدخول، ولكن يستلزم الوصول الى القصر، الذي يعد واحداً من عشرات القصور، عبور طريق كثير المنعطفات وقد يستغرق ذلك ٢٥ دقيقة، وكما هو الحال مع معظم القصور الأخرى، يبدو قصر بابل منيفاً، مليئاً بالثريات ويثير الرهبة والاشمئزاز في نفوس العراقيين الذين تطأه أقدامهم لأول مرة.

وتقول ميسم عبدالامير: يعد دخول هذا القصر بمثابة انتصار لحقوق الانسان، مضيعة ان افتتاح القصر أثبت انه لا يمكن لشيء ان يصمد أمام إرادة الشعب العراقي.

ومثل الكثير من أولئك الذين يتدفقون على صالة المدخل الرئيس، التي تمتع بنقوش ضخمة من أشجار النخيل وحوائط رخامية، عبرت ميسم عن أسفها لسوء الاهتمام بالقصر منذ الاطاحة بصدام عام ٢٠٠٣. وتشير الى انه يجب الحفاظ على مثل هذه البنايات تكريماً لمعاناة الذين قاموا ببنائها وكى تكون تذكرة بالحكم الاستبدادي الماضي.

وتقول فانتن احمد إنها جاءت الى القصر لسببين: أولهما، انها لم تجد شيئاً أفضل تقوم به. ثانيهما، لأنني أريد أن أرى المشاهد التي اعتاد صدام رؤيتها عندما كان في الحكم.

وفي الواقع، فان المشاهد التي يطل عليها القصر رائعة للغاية، ففي أحد الجوانب، يقع نهر الفرات، حيث تجري فيه المياه ذات اللون الأزرق المخضر في ظهيرة يوم بارد من أيام فصل الخريف. وفي الجانب الآخر، توجد أطلال حدائق بابل المعلقة، التي تبدو حالياً كما لو كانت رفوفاً تطل علينا وسط مناهة من الحوائط المرتفعة.

ويأتي افتتاح القصر أمام الزائرين كجزء من جهود بذلتها حكومة محافظة بابل لإحياء مدينة بابل القديمة كمقصد أمام السياح ومكان يعقد فيه

المسؤولون بعض الاجتماعات. وفي اكتوبر تشرين الأول، قالت حكومة المحافظة انها تخطط لتحويل القصر الى فندق ومركز للمؤتمرات، كما تخطط لبدء رحلات سياحية بالقوارب في الفرات.

كما أورد تقرير في إحدى الصحف منذ فترة ان المسؤولين يبحثون خطة قدمها مستثمر أجنبي لتحويل القصر الى كازينو. يذكر انه في العام الماضي فقط، كانت المنطقة التي تحيط بمدينة بابل ممتلئة بالقنابل والمتمردين، الذين كانوا في بعض الأحيان يضمنون الموقع الأثري الى نشاطاتهم المميتة، ففي مايو آيار ٢٠٠٧، عثر على جثة رجل شرطة في الاطلاق، وفي ديسمبر كانون الاول، قامت الشرطة بتفكيك قنبلة وضعت في أحد الطرق التي تؤدي الى مدينة بابل، ويقول علي ابراهيم، الذي زار القصر، ان القصر ومدينة بابل يظهران أوقات مضيئة وأخرى مظلمة في ماضي العراق، وأضاف انه يجب الاعتناء بالقصر كي يذكر القادة القادمين، بأن حكم الطغيان لن يستمر أبد الدهور.

عائدات زيارة مقام السيدة زينب ع تصل الى أربعين مليون دولار سنوياً:

ذكرت وكالة الأنباء السورية الرسمية "سانا" ان العائدات السنوية من زيارة السياح لمركز السيدة زينب (ع)، بنت الامام علي بن أبي طالب (ع) في الضاحية الجنوبية للعاصمة دمشق، بلغت ملياري ليرة " أربعين مليون دولار" مؤكدة نية سوريا تطوير السياحة الدينية.

وقالت الوكالة أن أعداداً هائلة من الزوار والسياح يؤمون مقام السيدة زينب (ع) شهرياً ويقدرون بأكثر من مليوني سائح، كما يحقق هذا الموقع عائدات تقدر بنحو ملياري ليرة سورية سنوياً. ويتدفق الزوار الشيعة من ايران والعراق ودول الخليج الفارسي ولبنان يومياً على مقام السيدة زينب (ع) وعلى مزار السيدة رقية (ع) في دمشق القديمة.

وأضافت الوكالة في إطار الاهتمام بالسياحة الدينية، حرصت سوريا على توفير الخدمات اللازمة لهذه السياحة وتطويرها بما يتلاءم مع النهضة العمرانية والثقافية والاجتماعية والسياحية.

وأوردت " سانا " ان عدد السياح وصل الى نحو ستة ملايين سائح، متوقعة أن تصل عائدات السياحة خلال الأعوام الثلاثة المقبلة الى نحو ١٧٠ مليار ليرة سورية أي ما يعادل ٣,٤ مليارات دولار.

تسخيري: تبادل الحوار لا يعني القبول بالتشكيك في العقائد والمذاهب:

أكد الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية لدى استقباله عميد كلية الشريعة السورية في جامعة دمشق وحشداً من أساتذتها، بأن الحوار لا يعني القبول بالشك والترديد في العقائد والمذاهب، وإنما يعني الايمان التام بالمذهب التابع الذي يمكننا الدفاع عنه.

وأضاف آية الله الشيخ محمد علي تسخيري، معرباً عن سروره لزيارة هذا الوفد، وقال: يجب علينا أن نحارب التعصبات الدينية وأن نسعى وراء السبل العملية لبلوغ الوحدة من خلال وجود القواسم الدينية بين السنة والشيعة.

وفيما أوضح الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ان هذه القواسم المشتركة تبلغ حداً واسعاً جداً بين المسلمين، أضاف مستطرداً، والتقريب لا يعني التلفيق بين المذاهب أو استبدال المذهب بآخر وغيره، وإنما هو تحديد الأرضيات المشتركة بين المذاهب والعمل على توسيعها وتكريسها.

ودعا آية الله تسخيري علماء الدين الشيعة والسنة لنشر ثقافة التقريب بين المذاهب الاسلامية وأردف مبيناً، أن جامعة المذاهب الاسلامية تمكنت حتى الآن من خلال كلياتها الثلاث (كلية الفقه والحقوق للمذاهب الاسلامية ،

وكلية علوم القرآن والحديث والكلام، وكلية الفلسفة والأديان)، أن تحقق نجاحات لا تحصى.

قائد الثورة: المستقبل الواعد حليف الشعب الذي يكون شبابه أصحاب فكر ومثابرين:

أكد قائد الثورة الإسلامية على أن المستقبل الواعد حليف الشعب الذي يكون شبابه أصحاب فكر ومثابرين ومفعمين بالأمل. وأكد سماحة آية الله العظمى الخامنئي في الرسالة التي وجهها الى المشاركين في الاجتماع الثالث والأربعين لاتحاد اللجان الإسلامية للطلبة الجامعيين الإيرانيين في أوروبا أكد أن أي جهد يبذله الطلبة الجامعيون في مجال تلقي العلوم يمثل خطوة على طريق إعادة الاقتدار المعنوي والمادي لشعبهم وبلدهم الذي كان يوماً مناراً للعلم والابداع في العالم، مؤكداً ان جيل الثورة الإسلامية قادر على تدارك التخلف الذي حصل في عهد التبعية للأجنبي وهذا بمثابة رسالة تاريخية.

ودعا قائد الثورة الإسلامية الطلاب الجامعيين الى الجد والاجتهاد في التعلم وانتخاب الفروع الدراسية والأخذ بنظر الاعتبار حاجة البلاد من العلوم. واعتبر سماحته ان الشعب الإيراني كان فيما مضى رائداً في العلوم والابداع في العالم وقال: إن جيل الثورة يمكنه التعويض عن التخلف الذي حصل خلاف عهد التبعية.

" ناسا " تكشف عن مركبة تستخدم لمهام على القمر:

كشفت إدارة الطيران والفضاء الأميركية " ناسا " عن مركبة قمرية تهدف الى إحداث تحول في استكشاف الفضاء من خلال السماح لرواد الفضاء بالتجول الى مسافات بعيدة دون إرتداء حلات ثقيلة مزعجة عندما يعودون الى القمر بحلول عام ٢٠١٠.

ويختبر فريق من العلماء مركبة الفضاء الصغيرة المكيفة - التي تشبه مركبة استجمام صغيرة مستقبلية ومزودة بست مجموعات من العجلات مجموعها ١٢ عجلة - في باب تجارب بمنطقة صخرية قاحلة في شمالي أريزونا اختيرت لتشابهها مع سطح القمر.

وقال مدير برنامج ناسا دوغ كرايغ، هذا هو الجيل المقبل من الاستكشاف القمري. فيما أخذ رائد فضاء المركبة في الدوران فوق حقل كبير من الحمم تكون بفعل جبال كثيفة الصخور. وتسير المركبة المزودة ببطارية بسرعة عشرة كم/ ساعة، وتأتي في إطار سلسلة نظم ومعدات تطورها وكالة الفضاء من أجل عودة مزمنة إلى القمر خلال العقد المقبل.

وتأمل ناسا أن تبني قاعدة دائمة مأهولة على سطح القمر كمقدمة لمهام استكشاف لاحقة إلى المريخ. وتأتي المركبة الجديدة على غرار مركبات استخدمتها بعثات أبولو في رحلاتها للقمر في أوائل سبعينيات القرن الماضي، عندما استخدم رواد الفضاء رحلات فضاء مركبات تشبه عربات الجيب مزودة بالتجهيزات الأساسية فقط للقيام بجولات صغيرة لجمع الصخور، والنماذج الجديدة مزودة بقمرة مكيفة الضغط ومزودة كذلك بمقاعد جلدية وأسرة.

مدافن تعود إلى أكثر من ٤٥٠٠ عام:

أعلنت وكالة الأنباء السورية أن بعثة إيطالية للتنقيب عن الآثار اكتشفت مدافن أثرية يعود تاريخها إلى أكثر من ٤٥٠٠ عام جنوب واحة تدمر ، ٢١٥ كم شمال شرق دمشق.

وقالت الوكالة إن بعثة التنقيب الأثرية الإيطالية التابعة لجامعة أوديني تمكنت من اكتشاف مجموعة من المدافن الأثرية جنوب واحة تدمر يرجع تاريخها إلى أكثر من ٤٥٠٠ عام.

وصرح دانيالي بوناكوسي رئيس البعثة في بيان للجامعة عن أن الآثار التي اكتشفت تعود للنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد للعصر البرونزي القديم.

وأضاف إن من بين الاكتشافات الاستثنائية التي تم العثور عليها محطة استراحة للمسافرين محفوظة بشكلها الطبيعي ومغمورة بالرمال كلياً تعود الى عصور ما قبل التاريخ والعصر الحجري ومخيمات كانت تستخدم على الأرجح لصيد الغزلان. وتابع إن بين الاكتشافات أيضاً، ما يعود الى القرن الثالث الميلادي والى الفترتين البيزنطية والإسلامية الى جانب طريق روماني رئيس يربط واحة تدمر بغرب سوريا بعدد من الأعمدة الكبيرة لتحديد المسافات كتب عليها اسم الأمبراطور الروماني أورليانو.

وكانت تدمر محطة للقوافل على طريق الحرير، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد الملكة زنوبيا. من جهة أخرى، اكتشفت البعثة نفسها في قطنا (١٨ كم شمال شرق حمص) قصراً كبيراً وميناء ضخماً مبنياً فوق جدران منهارة لقصر ملكي بعد دمار المدينة العام ١٣٤٠ قبل الميلاد. كما عثرت على لُقى أثرية ثمينة من القرن التاسع عشر قبل الميلاد، إحداهما لعشتار معبودة الحب والحرب لدى السوريين القدماء وقطع من السيراميك الفاخرة من إنتاج سوري وأختام اسطوانية وكتابات مسمارية.

المجاعة تهدد عشرين مليون شخص بالقرن الأفريقي:

حذر الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر من مجاعة تهدد أكثر من عشرين مليون شخص بالقرن الأفريقي بسبب الجفاف، وارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود. وأطلق الاتحاد، وهو أكبر شبكة إغاثة بالعالم، نداء لجمع نحو ٩٥ مليون دولار لمساعدة مليونين ومائتي ألف شخص قال إنهم على حافة المجاعة بكل من جيبوتي والصومال وكينيا واثيوبيا.

وذكر روجيه بريك، وهو مسؤول رفيع بالاتحاد، ان قوت العديد من البشر والماشية بالمنطقة سيتوقف الى حد كبير على موسم الامطار المقبل، مضيفاً أن الأوضاع من السهل أن تتفاقم.

وقال أيضاً إن أسعار القمح والذرة الرفيعة زادت الى ضعفين بمنطقة القرن الافريقي السنة الماضية مما أدى الى نقص بالامدادات، وأجبر الحكومات على السحب من الاحتياطي الاستراتيجي الخاص بها من الحبوب. وأشار بريك الى أن فترات الجفاف بمنطقة القرن الافريقي تستمر لمدد أطول بسبب التغير المناخي، وكشف أن مربى الماشية فقدوا على الأقل نحو ثلثي القطعان التي يملكونها.

وأكد أن هذه ربما تكون المرة الأولى بالتاريخ، وبالتحديد بالقرن الأفريقي، التي نرى فيها أزمة بهذا الحجم لا يمكن تفسيرها بالعوامل الطبيعية ولكن بآليات وتبعات الأحداث العالمية.

وأوضحت دراسة للاتحاد، قادها بريك واستغرقت شهرين، أن التقديرات التي سبق أن أعلنت عنها الأمم المتحدة بهذا الشأن منخفضة للغاية لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار الأوضاع بكل من اريتريا وجيبوتي. وكانت المنظمة الأممية أعلنت بوقت سابق أن ١٧ مليون شخص بدول القرن الافريقي في حاجة ماسة للغذاء. واعتبر بريك أن أرقام الامم المتحدة تهون بشدة من تقديرها للواقع وأن تقديرات الصليب نفسه مازالت تستثني الوضع بالسودان.

رواتب لأهل القبور:

الحياة صعبة والمصاريف والفواتير والزيادة الكبيرة في الغلاء تضيق الخناق على الشطر الأكبر من الناس وتجعلهم يلهثون وراء مزيد من المال لسد احتياجاتهم. ولكن أن يواصلوا هذا الجهد حتى بعد الوفاة فهذا ما صدم

المسؤولين الأتراك الذين كشفوا مؤخراً عن تقاضي عشرات الألوف من المتقاعدين مرتباتهم حتى بعد الوفاة.

بدأت العملية عقب الشروع قبل سنتين بتحديث نظام الضمان الاجتماعي في تركيا وتشكيل دائرة متابعة حديثة تابعة لمؤسسة الضمان الاجتماعي. وبعد أن تم جمع كافة المعلومات المتعلقة بالعاملين والمتقاعدين ودوائر النفوس في البلاد في منظومة إلكترونية موحدة صعد المسؤولون لدى رؤيتهم أن أكثر من ٨٠ ألف متقاعد ما زالوا يتقاضون مرتباتهم رغم سجلات النفوس التي تؤكد ارتحالهم إلى دار البقاء. بعض هؤلاء مضى على وفاتهم سنوات طوال ولكن عوائلهم واصلت استلام مرتباتهم من بطاقاتهم المصرفية التي بلغت قيمتها أكثر من ٢٦ مليون دولار شهرياً.

وكخطوة أخيرة قام المفتشون بزيارة البيوت الـ ٨٠ ألف متقاعد وبعد التأكد من الوفاة شرعت مؤسسة الضمان الاجتماعي التركية بإقامة دعاوى ضد المسؤولين عن هذه الاختلاسات واستعادة مبالغها مع العقوبات المالية المترتبة عليها. وبتحديث النظام مرتين شهرياً تم الوقوف بوجه هذا الاحتيال على الدولة التي تدفع المرتبات حالياً لـ ٨ مليون و ٤٢٤ ألف متقاعد.

طقس الشتاء يسبب زيادة حالات الوفاة بالقلب:

قال باحثون إن الطقس البارد يعزز الالتهاب في الجسم وهي نتيجة ربما تساعد في تفسير سبب زيادة حالات الوفاة المتعلقة بشرايين القلب خلال أشهر الشتاء.

وفي دراسة لبالغين لهم تاريخ من الإصابة بأزمات قلبية لاحظ الباحثون أن خمسة أيام متعاقبة من الطقس البارد تؤدي إلى زيادة مستويات الدم في مؤشرين للالتهاب وهما سي آر بي و إنترلوكين ٦.

ويقولون إن مستويات مؤشر الالتهاب الفبرينوجين تزيد بعد ثلاثة أيام فقط من الطقس البارد. ويقول عضو مركز الأبحاث الألماني للصحة البيئية في نورنبرج الدكتور ألكسندر شنايدر وزملاء له إن هذه التغيرات تشير إلى آلية يرتبط به الطقس البارد بزيادة في حالة الوفاة بأمراض شرايين القلب. وقاس فريق شنايدر مؤشرات الالتهاب الثلاثة في خمسة آلاف و ٨١٣ عينة دم من نحو ألف بالغ أصيبوا أزمة قلبية في السنوات الست الماضية وكانت المراكز المشاركة في هذه الدراسة موجودة في نطاق واسع من المناطق المناخية.

ومن المعروف أن الطقس البارد يزيد من ضغط الدم ويشكل عبئاً أكبر على القلب وهو الذي قد يساعد أيضاً في تفسير زيادة معدلات حالات الوفاة المفاجئة بسبب شرايين القلب خلال فصل الشتاء. وقد تشير ضغوط البرد أيضاً عمليات تجعل الدم أكثر كثافة وتزيد من قدرته على التجلط الذي يمكن أن يؤدي إلى حالات مرتبطة بشرايين القلب.

البصل يخفف ضغط الدم والكوليسترول:

أظهرت دراسة جديدة أن البصل يساعد على خفض ضغط الدم والكوليسترول. وذكرت الدراسة التي أعدها الجمعية الوطنية الأمريكية للبصل ومقرها مدينة غريلي في ولاية كولورادو، إن البصل يحتوي على مادة اورغانوسولفور " الكبريت العضوي " المعروف عنها دورها في تخفيض ضغط الدم والكوليسترول.

وأوضحت الدراسة ان البصليات مثل الثوم والبصل والكراث تحتوي على مادة " أليناز " وهي أنزيم من شأنه تسريع التفاعلات الكيميائية وهو ما يجعل البصل مسيلاً للدموع. ويحتوي البصل أيضاً على مواد أخرى مثل الفروكتان وهي مصدر الألياف القابلة للذوبان التي تقلص معدلات الإصابة

بسرطان القولون والمستقيم فيما يخفف الفلافونويد التأكسد. ويعتبر البصل مصدراً جيداً للألياف وفيتامين ج، ولا يحتوي على الدهون أو الكوليسترول. ويهدف التخفيف من انهمار الدموع بسبب البصل توصي الدراسة بوضع البصل في الثلاجة لمدة ٣٠ دقيقة على الأقل لأن البرد يقلص التفاعلات الكيميائية فيه.

من مذكرات القرضاوي .. !!

أثارت الحلقة الـ ٣٣ من مذكرات رجل الدين القطري من أصل مصري، يوسف القرضاوي في صحيفة " الخبر " اليومية جملة من الانتقادات في الصحف الفرنكفونية. وانتقدت صحيفة " لوريون " زواج القرضاوي من فتاة جزائرية قالت إنها في عمر أحفاده. وأشارت الى أن هذا النوع من الزيجات هو الذي يقده السلفيون جميعاً بدليل إجازتهم نكاح الطفلة الصغيرة التي ما تزال تتبول في سروالها حسب تعبير الصحيفة.

كما انتقدت الصحيفة لجوء القرضاوي الى التملق للزواج من الفتاة التي يعتقد انها تعرضت لضغوطات للقبول به بدليل تأخر موافقتها سنة كاملة بحسب الصحيفة.

من جانبها هاجمت صحيفة " لوكوربيه لوجودوي " القرضاوي وقالت إنه لم يكن بريئاً تماماً من المآسي التي عاشتها الجزائر في التسعينات بسبب صمته المقصود إزاء الحرب التي خاضها السلفيون المتشددون ضد المدنيين في البلاد بإسم الدين.

وهذا بعض ما جاء في الحلقة ٣٣ من مذكرات القرضاوي:

كانت ليلة حافلة بجياشة بالعواطف والمواقف. وقد ودعتني الطالبات بمثل ما استقبلنني به من المودة والابتهاج، وكان في وداعي عدد منهن صحنيني الى الباب، وقد استرعى انتباهي إحداهن، وزميلاتها ينادينها باسمها:

أسماء. فقلت لها: هل أنت أسماء صاحبة الكلمة على المنصة. فقالت: نعم، أنا هي. فلما نظرت إليها عن قرب قلت: سبحان الله! لقد جمع الله لك يا أسماء بين الجمال الحسي، والجمال الأدبي، أعطاك الله الذكاء والبيان، وحضور الشخصية، والجمال والقوام.. بارك الله لك يا ابنتي فيما منحك من مواهب، وبارك الله لك في فصاحتك، وبارك لك في شجاعتك، وبارك لك في ثقافتك، لقد أثلجت صدورنا بردك القوي البليغ. فقالت: لعل كلمتي حازت رضاك يا أستاذ!

قصة زواجي الثاني ..

كان هذا هو الحديث العفوي الذي دار بين تلميذة وأستاذها، أو بين مريدة وشيخها، أي بيني وبين الطالبة النابهة اللامعة أسماء بن قادة. ولم أكن أدري أن القدر الأعلى الذي يخط مصائر البشر، قد خبأ لي شيئاً لا أعلمه، فقد حجبته عني ضمير الغيب. وأن هذا الحديث التلقائي بيني وبين أسماء، الذي لم يتم بعده لقاء بيننا إلا بعد سنتين كاملتين، كان بداية لعاطفة قوية، أدت لعلاقة وثيقة، انتقلت من عالم العقول الى عالم القلوب، والقلوب لها قوانينها وسننها التي يستعصي فهمها على كثير من البشر، وكثيراً ما يسأل الانسان: ما الذي يحول الخلي الى شجي؟ وما الذي يربط رجلاً من قارة بامرأة من قارة أخرى؟ أو ما الذي يحرك القلوب الساكنة، فتستحيل الى جمرة ملتهبة؟ حتى ترى النسمة تتطور الى إعصار، والشرارة تتحول الى نار. ولا يجد المرء جواباً لهذا الا أنه من اسرار عالم القلوب. ولا غرو أن كان من تسبيح المؤمنين: سبحان مقلب القلوب. وقد قال الشاعر:

وما سمي الانسان إلا لنسيه وما القلب إلا أنه يتقلب !

وقد يعذل العاذلون، ويلوم اللائمون. ويعنف المعنفون، ويقول القائلون: لم؟ وكيف؟ كيف يحب الاستاذ تلميذته؟ أم كيف يحب الشيخ الكبير فتاة في عمر

بناته؟ وهل يجوز أن يكون لعالم الدين قلب يتحرك ويتحرق مثل قلوب البشر؟
ولا جواب عن ذلك إلا ما قاله شوقي في نهج البردة:
يا لائمي في هواه والهوى قدر لو شقك الوجد لم تعذل ولم تلم

وقد مضت سنوات، انتهت أسماء فيها من دراسة الرياضيات، وحصلت على شهادة البكالوريوس بامتياز، ثم انتقلت الى تخصص آخر، في مجال آخر مغاير تماماً، هو العلوم السياسية. وفي هذه السنوات كنت أوري حبي، وأكتم عاطفتي في نفسي لاعتبارات شتى، ولكل انسان منا طاقة في الكتمان والصبر، ثم تنفد طاقته بحكم الضغط البشري. ولا بد أن يأتي يوم يباح فيه الانسان بما في أعماقه.

وجاء هذا اليوم لأبث أسماء ما بين جوانحي من مشاعر وأشواق، في رسالة كتبتها اليها سنة ٩٨٩ وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى. فلم يكن بالامر العادي ولا السهل أو الهين علي أن أصارحها بحبي وبيني وبينها عقود من السنين تفصل بيننا. وكانت المفاجأة لها، فكرت فيها ملياً، وترددت كثيراً قبل أن تأخذ قرارها الذي لم تقدم عليه إلا بعد استشارة واستشارة، فلا خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وقد كان ردّها برداً وسلاماً على قلبي، ولكم كانت فرحتي عندما وجدتّها تجاوبت معي، وأحسست بسعادة غامرة أشبه بالسعادة التي تحدث عنها الصوفية حين قالوا:

نحن نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف! فقد تلاقت روحانا، بعد أن تعارفنا في عالم ما قبل المادة. وفي الحديث الصحيح: الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها انثلف، وما تناكر منها اختلف.

أطعمة تحمي جهازك المناعي:

أكدت دراسة طبية حديثة أن بعض أنواع الفاكهة كالتفاح والخوخ والتين تقي من الأمراض الخبيثة، إذ أن قشر التفاح الأحمر مثلاً يحتوي على العشرات من المواد الكيميائية المثبطة لنمو خلايا الأورام.

وأوضحت الدراسة أن تناول الفستق بأنواعه يقلل من نسبة الكولسترول الكلي، كما يخفض من نسبة الكولسترول السيء ويقلل من معدل الإصابة بأمراض القلب، حيث أن الفستق هو أحد أفضل مصادر الستيرويدات النباتية المعروفة بأنها تقلل امتصاص الكولسترول وأن تناول العسل يبطئ من تأكسد الكولسترول السيء كما يستخدم كمضاد حيوي طبيعي يوضع على الجروح.

وذكرت الدراسة أن تناول الحبوب الكاملة بشكل يومي يقلل من خطر التعرض للأمراض الالتهابية المزمنة كالسكري والربو وغيرها ومن أفضل هذه الحبوب الكاملة الأرز الغامق والخبز الأسمر.

كما أن تناول فنجانيين من الشاي الأخضر يومياً يساعد على منع ارتفاع نسبة الكولسترول بالدم وينشط الوظيفة المعرفية لدى الانسان وأن الجزر والبيض مفيدان جداً للبصر لاحتوائهما على مضادات التأكسد النافعة للعين والمعروفة بأشبه الكارتينات.

وقد بينت عدة دراسات انخفاض احتمال الإصابة بسرطان الرئة والبروستاتا والمثانة والمريء والمعدة، بتناول غذاء يحتوي على كمية كبيرة من الفاكهة والخضروات مثل : سلطة الطماطم والبطاطا والخضراوات الورقية الداكنة الخضرة والصفراء، فهي أغنى المصادر بالعوامل النباتية الواقية من المرض والتي تسمى الأغذية المقاومة، لذا اختر أكبر كمية من غذائك من مصادر نباتية تتضمن الحبوب والخضراوات في كل وجبة، وبالأخص الحبوب الكاملة، واختر البازليا والبقوليات كبديل للحوم.

وأوضحت الدراسة ان فيتامين C يؤدي الى أكثر من اثني عشر دوراً أساسياً في تعزيز جهاز المناعة، منها القدرة على زيادة إنتاج مضادات الأجسام وتسريع معدل نضوج خلايا المناعة. ويوجد فيتامين C بتركيز كبير في الموز والفاكهة الحمضية والكيوي والخضراوات الخضراء.

جزء كلمة الحق !

طردت مدرسة بريطانية لأنها قالت لتلاميذها الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وثمان سنوات أن لا وجود لسانتا كلوز (بابا نويل) على ما أفاد مسؤول في الجهاز التربوي.

وقدمت انجيلا ماكورميك مديرة المدرسة الابتدائية في بلاكشو لاين في اولدهام (قرب مانشستر في شمال انكلترا) اعتذارها الى الأهالي والأطفال على - الكدر - الذي ألحقته تصريحات المدرسة التي كانت تحل مكان مدرسة أخرى.

وروت والدة أحد التلاميذ للصحيفة المحلية "اولهام ايفنينغ كرونيكال" قائلة: عاد ابني الى المنزل وقال أن المدرسة الجديدة أكدت أمام الصف أن الهدايا يضعها الأب والأم. وأوضحت، على ما يبدو كان التلاميذ يتحدثون كلهم عن عيد الميلاد مع كثير من الضجة، فقامت المدرسة بتصريحها الشهير، مشيرة الى أن نجلها كان منهاراً فهو في السابعة وهذا جزء من السحر لعيد الميلاد بالنسبة له. وكانت المدرسة البديلة التي اختيرت عبر وكالة توظيف تقوم بأول يوم لها في المدرسة. وطلب منها عدم العودة.

مصارع العقول :

لم يعط الله سبحانه وتعالى قيمة لشيء لدى الانسان كما أعطى العقل، فقد رفعه الى أعلى سلم الفضل بين المخلوقات. وفي الحديث القدسي أن الله

سبحانه وتعالى لما خلق العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم إن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، بك أثيب وبك أعاقب.

أذن، استناداً الى ما تقدم، فإن للعقل موقعاً مركزياً وجوهرياً على قمة الكائنات، ومن هنا كانت القيمة الكبرى للعقل والعقلاء، لأن حضوره أصل لكل نعماء، وحاجز عن أي بلاء. غير أن للعقل مزالقه ومهالكه، هنائه وزلاته، ولعل أشد ما يحجب العقل ويعطل قدراته ويشل فعاليته، تلك الأمراض المعنوية الخطيرة والآفات النفسية العظيمة، كالحسد والبغض والشره والحرص والطمع.

الداعي الى هذا الكلام هو ما نشهده اليوم من انهيار كامل لفلسفة برمتها، إنها الفلسفة الرأسمالية التي بلغت في آخر تمظهراتها النيوليبرالية المتوحشة شأواً خطيراً وبعيداً، حيث ان طغيان المادة والتحلل من كل المعايير الأخلاقية جعل الشركات المالية العالمية العملاقة تتربع على عروش من جماجم ودماء الناس، وعلى تبديد وإهدار أموال واعمار أمم وشعوب بأكملها. السبب الأول الذي ساقه أهم الخبراء الماليين العالميين، أن ما جرى هو نتيجة طبيعية للطمع والجشع. وإذا كان هذا أحد الأسباب الرئيسة للمشكلة، نستطيع أن نفهم الأساس غير الأخلاقي الذي بنيت عليه هذه الامبراطورية المالية.

الفساد المالي والاقتصادي أساسي، والإفلاس المالي ليس إلا الجزء الظاهر من جبل جليد الفساد العالمي، هذا العالم الذي جعلت منه الرأسمالية المادية مكاناً متوحشاً لا يصلح لسكن وتعاملات الآدمين.

في الأخبار الواردة من الولايات المتحدة عن ترددات هذه المأساة التي صنعتها الرأسمالية، ان رب عائلة قتل أفراد عائلته الخمسة وانتحر لأنه عجز عن الوفاء بالتزاماته، وفيها أيضاً أن عجوزاً في الثمانين انتحرت هي

الأخرى عندما أرادوا إلقاءها خارج منزلها الذي عاشت فيه قرابة أربعين عاماً، بعد عجزها عن سداد التزاماتها.

الإفلاس المالي لم يكن ليوجد لولا الإفلاس الأخلاقي.. إننا نشهد نهاية حقبة تاريخية، ولا شك في أننا نشهد انهيار كل ذلك العالم المصطنع الذي بالغوا في تسميته بالحلم الأميركي. هل كان ينتظر العالم مثل هذا الكابوس ليصدق أن في الكون توازنات لا يستطيع أحد أن يغيرها مهما طال الزمن، وأن ما يحكم الكون هو السنن الإلهية مهما تجبرت الفلسفات الوضعية، المادية وغير المادية.

إنه الطمع أيها السادة، أباد من ساد ووضع من رفع. أنه الطمع، وهو آفة أخلاقية في الأساس، ومن لا يؤسس بنيانه على أساس إنساني وأخلاقي فإن بنيانه سيخر الى الأرض، وهذا ما نشهده اليوم. إنه الطمع الذي أهلك أمماً من قبل وأباد ممالك، لأنه يحجب عن الحق. ولنا فيما قاله أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (ع) خيز دليل ونافع، حين قال : " أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع ". كثيرة هي العبر، والأكثر منها قلة من اعتبر!

وزير الاعلام البحريني: دورنا الاعلامي يحتم علينا التركيز على التعاون إعلامياً وثقافياً مع ايران الصديقة:

دعا وزير الاعلام البحريني جهاد بن حسن بوكمال خلال استقباله السفير الايراني في البحرين أمير عبداللهيان الى تنشيط التبادل الثقافي بين البلدين الصديقين وتنظيم زيارات للاعلاميين في البلدين.

وذكرت وكالة الأنباء البحرينية أن بوكمال قال: اننا نطمح ان نستثمر النجاحات التي تحققت ضمن العلاقات الثنائية البحرينية الايرانية على الصعيدين السياسي والاقتصادي عبر تنشيط التبادل الثقافي بين البلدين

الصادقين وتنظيم زيارات للاعلاميين في البلدين ليتمكن الشعبان من التعرف عن قرب على حجم التطوير والتحديث الذي طال مختلف المجالات.

وأكد ان وزارة الاعلام البحرينية قد أوفدت في مطلع العام الحالي فريقاً إعلامياً يمثل مختلف الصحف المحلية ووسائل الاعلام الأخرى كما تم استقبال وفد إعلامي إيراني زار مختلف قطاعات المملكة وكانت الزيارتان مثمرتان على صعيد الترويج لمقومات البلدين على مختلف الأصعدة.

وأضاف الوزير البحريني: ان دورنا الاعلامي يحتم علينا التركيز على التعاون الاعلامي والثقافي مع الجمهورية الاسلامية الايرانية باعتبارها من دول الجوار الصديقة مفعلين نقاط الالتقاء العديدة وابرازها تعبيراً عن متانة العلاقة وتحقيقاً لطموحات القيادة في تدعيم السلم في المنطقة.

وقال: ان الوزارة تدعم كل التوجهات والمشاريع التي تعمق العلاقة بين البلدين حيث اننا نعتبر ايران مركزاً من مراكز الاشعاع للعلم والثقافة لذا سنعمل على رفع مستوى التعاون الثقافي والفني بين البلدين دعماً للجهود الرامية الى ازدهار العلاقة مع الصديقة الجمهورية الايرانية.

بدوره أكد سفير الجمهورية الاسلامية الايرانية لدى البحرين ان الزيارة التي قام بها الوفد الاعلامي الايراني للبحرين قبل ستة أشهر كانت ناجحة، مقترحاً وضع برنامج منظم للتعاون بين البلدين على الصعيد الاعلامي بمختلف تخصصاته الصحفية والتلفزيونية والاذاعية وعلى مستوى تبادل الدراما الهادفة. وقد أبدى عبداللهيان، استعداد الجمهورية الاسلامية الايرانية لإقامة اسبوع ثقافي فني إيراني في البحرين خلال الفترة القادمة.

أسباني تمنح أدونيس جائزة " ليتيو " الأدبية:

يتسلم الشاعر السوري - اللبناني الأصل علي أحمد سعيد المعروف بإسم " أدونيس "، جائزة " ليتيو " الأدبية التي تمنحها جمعية ثقافية أسبانية

تحمل نفس الاسم في العشرين من شهر كانون الأول الجاري، اعترافاً بدور واقعه الشعري في وصل العالم العربي بالغرب.

وذكرت مصادر من الجمعية أنه من المقرر منح أدونيس الجائزة في حفل سيقام بمدينة ليون شمال غربي البلاد. ويذكر أن أدباء من أمثال البريطاني مارتن اميس والفرنسي ميشيل هويلبيك قد نالوا الجائزة ذاتها في دورات سابقة.

وأفادت الجمعية أنها ستمنح جائزتها لأدونيس في دورتها الثامنة تقديراً لما يطرحه في مؤلفاته من طليعة أدبية عربية قائمة على الأصول الفكرية للصوفية والوجود الحر للسريالية. وأضافت أن واقعه الشعري يربط مباشرة بين العالم العربي والغربي بمستوى من التجريد المشابه والجودة الكبيرة.

ويشار إلى أن أدونيس، وهو لقب سمي به منذ ١٩٤٨، ولد عام ١٩٣٠ لأسرة قروية فقيرة في قرية "قصابين" بمحافظة اللاذقية، وحفظ القرآن على يد أبيه كما حفظ عدداً كبيراً من قصائد القدامى وتلقى تعليمه في لبنان وفرنسا.

وأصدر أدونيس مجلة "مواقف" بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٩٤ كما نشر أكثر من ٢٠ ديواناً شعرياً بالعربية، وقام بالتدريس في الجامعة اللبنانية ونال دكتوراه الدولة في الأدب عام ١٩٧٣. وبدءاً من عام ١٩٨١، تكررت دعواته كأستاذ زائر إلى جامعات ومراكز للبحث في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة وألمانيا، وتلقى عدداً من الجوائز اللبنانية والعالمية وألقاب التكريم. كما ترجمت أعمال الشاعر السوري - اللبناني إلى ثلاث عشرة لغة، وتكرر أنه كان على قائمة المرشحين لنيل جائزة نوبل في الآداب منذ عدة أعوام.

العلماء .. شرب الماء يطيل العمر ١٠ سنوات:

أكد علماء بريطانيون أن شرب كميات كبيرة من المياه الغنية بنوع نادر من الأيذروجين يساعد على إطالة العمر أكثر من عشر سنوات. وذكرت صحيفة ديلي ميل البريطانية " أن الماء يقوي الانسجة والخلايا في الجسم ضد أي مخاطر تسببها المواد الكيميائية والتي تنتجها عملية تحول الطعام في الجسم الى طاقة.

وقال الدكتور ميكهيل شيبينوف وهو عالم سابق في جامعة اكسفورد والذي أجرى دراسته على بعض الحيوانات: إن الماء الغني أيضاً بالديوتيريوم وهو أثقل بمرتين من الأيذروجين قد أمد بعمر الديدان كما أمد عمر ذبابة الفاكهة. وأعرب الدكتور عن اعتقاده بأن الجنس البشري يستطيع الاستفادة من الماء لإطالة أعمارهم.

الشيخ التسخيري: نطالب بعودة المذاهب الاسلامية الى حالتها الطبيعية عن طريق الحوار:

صرح الشيخ التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ان المؤسسات والحكومات الاسلامية تلعب دوراً هاماً في التقريب بين المذاهب وبناءً على ذلك، على الحكومات العمل لإنشاء مؤسسات للتقريب.

وأفادت دائرة العلاقات العامة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ان الشيخ محمد علي التسخيري ألقى كلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر (وحدة المسلمين تحت ظل عام الازدهار)، والذي عقد في افغانستان: نحن نطالب عودة المذاهب الى حالتها الطبيعية عن طريق الحوار الاسلامي الايجابي والبناء، وأضاف: ان كافة المذاهب تسير في طريق الاعتدال تحت راية الاسلام.

وأشار التسخيري في كلمته الى المسار الذي سلكته المذاهب الإسلامية بعد وفاة النبي (ص) وقال: انسجام النشاطات لتبين ونشر ثقافة التقريب بين المسلمين تعتبر من أهم واجبات علماء المسلمين بالرغم من الخلافات الموجودة.

ومن ناحيته أشار برهان الدين رباني رئيس جمهورية افغانستان السابق ورئيس حزب الجمعية الإسلامية الافغانية الى ان الحزم والتنسيق بين علماء الشيعة وخاصة في افغانستان ولبنان يمكنه أن يحول دون الكثير من الفتن. وأضاف، على علماء المسلمين والشخصيات السياسية في البلدان الإسلامية العمل في مجال تحكيم وتوطيد وحدة المسلمين.

هذا وصرح الشيخ آصف محسنی رئيس مجلس الاخوة الإسلامية في افغانستان ان الوحدة والسيادة الوطنية في افغانستان ستتحقق تحت ظل الاخوة الإسلامية.

والجدير بالذكر ان مؤتمر (وحدة المسلمين تحت ظل عام الازدهار) عُقد في افغانستان من قبل مجلس الاخوة الإسلامية في افغانستان بالتعاون مع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في كابل ويشارك فيه أيضاً الشيخ اختري الأمين العام للمجمع العالمي لآل البيت (ع) والشيخ نور اللهيان عضو الجمعية العامة للمجمع العالمي للتقريب ومولوي شريف الدين جامي الاحمدي إمام جمعة تربت جام.

طهران وبكين تؤكدان على ضرورة تعزيز العلاقات الثقافية بين البلدين:
تم التأكيد على ضرورة تعزيز التعاون الثقافي بين ايران والصين وذلك خلال اللقاء الذي جرى بين مساعد وزير الثقافة الصيني " تشائو وي سوي " ومساعد وزير الثقافة في شؤون البرمجة والتنمية " مجيد يارمند " .

وأشار مساعد وزير الثقافة الصيني في هذا اللقاء الى الأواصر العريقة التي تربط البلدين والاتفاقيات والمذكرات المبرمة بين الجانبين. من جانبه أشار يارمند الى اهتمام ايران والصين بالقطاع الثقافي وقال ان برنامج الخطة الخمسية الثانية يضم كافة القطاعات التنموية الخاصة بالثقافة.

إقبال واسع على جناح ايران في المعرض الدولي للكتاب في اوروغواي:

واجه جناح ايران في المعرض الـ ٣١ الدولي للكتاب في اوروغواي استقبالا حافلا من قبل المسؤولين الحكوميين والمشاركين في هذا المعرض وكانت له أصداء واسعة في وسائل الاعلام في هذا البلد.

وقد بدأ هذا المعرض أعماله بمشاركة إيطاليا وإيران والبرازيل والارجنتين وكولومبيا وفنزويلا واسبانيا وألمانيا وفرنسا وذلك في العاصمة الاوروغوائية مونتيفيديو. وقد عرضت في الجناح الايراني أنواع الكتب الاسلامية والتاريخية والثقافية باللغة الاسبانية.

تحديد دائرة الكراهية في المخ:

ذكر بحث جديد نشر في العدد الأخير من صحيفة "بلوس وان" اليومية على موقعها الالكتروني، ان الذين يرون صور أشخاص يكرهونهم يظهرون نشاطاً في مناطق محددة في المخ يعتقد بأنها " دائرة الكراهية " .

تقوم الدراسة التي قام بها علماء في جامعة كوليدج لندن بدراسة مناطق المخ التي تربطها صلة بمشاعر الكراهية، وتظهر الدراسة ان دائرة الكراهية تختلف عن الخلايا المتعلقة بالعواطف، مثل الخوف والتهديد والخطر، رغم اشتراكها في الجزء من المخ المتعلق بالعدوان. كما تختلف الدائرة تماماً عن تلك المتعلقة بمشاعر الحب الرومانسية، رغم اشتراكها معها في هيكليين على الأقل.

وتعد النتيجة إمتداداً للدراسات السابقة التي قام بها فريق البحث في آليات المخ الخاصة بالحب الرومانسي والحب الامومي. وبمقارنة النتائج الحالية مع النتائج السابقة فيما يتعلق بالحب الرومانسي، قام الباحثون بشكل خاص بدراسة الكراهية تجاه أحد الأفراد. وتم إجراء مسح بالاشعة على مخ ١٧ حالة، سيدات ورجال، خلال رؤيتهم ناس يكرهونهم، وكذا الوجوه العادية التي يألّفونها.

وقد وجد الباحثون، ان دائرة الكراهية، تشمل هياكل في القشرة الخارجية، والقشرة الفرعية للمخ، كما تحوي مكونات مهمة في إثارة سلوك العنف، وترجمة ذلك الى أفعال من خلال تخطيط محرك، كما لو كان المخ أصبح معبأ للقيام ببعض الأفعال. كما تتضمن جزء في القشرة الامامية، والذي له أهمية حيوية في التنبؤ بتصرفات الآخرين، وقد تكون هذه سمة هامة عندما يواجه الشخص شخصاً آخر يكرهه.

والكراهية، على عكس الحب الرومانسي الذي يوجه الى شخص واحد، يمكن أن توجه الى أفراد أو جماعات بأسرها، كما هو الحال في الكراهية العرقية، والسياسية. وقال الباحثون، أن هذا التنوع في الكراهية سيكون موضوع دراسات قادمة.

السرطان .. القاتل الأول !

لفتت منظمة الصحة العالمية الى أن السرطان أصبح القاتل الاول عوضاً عن أمراض القلب، وأن التدخين هو المتهم الاول وراء التصاعد المخيف للمرض. وجاء في شبكة سي ان ان ، أن وكالة أبحاث السرطان التابعة للمنظمة الدولية، في تقريرها الأخير، ان ٢٧ مليون حالة إصابة جديدة بالمرض بحلول العام ٢٠٣٠، مقارنة بـ ١٢ مليون إصابة العام الماضي. وتكهنّت المنظمة بارتفاع معدل الاصابة بالسرطان بواقع واحد في المائة

سنوياً، على المستوى العالمي، وأن الدول التي تشهد نمواً اقتصادياً سريعاً، كالصين وروسيا والهند ستكون الأكثر تأثراً. ويقول الخبراء إن السرطان سينهش الدول الأقل تطوراً والأكثر عرضة للإصابة به، ورجحوا ارتفاع معدل الاصابات في تلك المناطق بنسبة ٣٨% بحلول عام ٢٠٣٠.

وحملت الوكالة التبغ مسؤولية ارتفاع معدلات الإصابة بالتدخين، وقالت في هذا السياق: هناك قرابة ١,٣ مليار مدخن حول العالم، وهذا يجعل التبغ المسبب الأول للوفيات والأمراض حول العالم. وأودي التدخين بحياة ١٠٠ مليون شخص حول العالم طوال القرن الماضي، وسيفتك بمليار آخرين خلال القرن الواحد والعشرين الحالي، ما لم تتخذ تغييرات، وفق جون سيفرين، الرئيس التنفيذي لجمعية السرطان الاميركية.

والى جانب التدخين، هناك العديد من العوامل المتهمة بالوقوف وراء ارتفاع حالات الإصابة بالسرطان، منها الحميات العالية الدهون، والوجبات السريعة، وتقلص الانشطة البدنية، ومرددة التأثير المتزايد لنمط الحياة الغربية كما أورد التقرير.

بالإضافة الى ذلك، ارتفعت معدلات الإصابة بسرطان الثدي، الى الضعف أو ربما بواقع ثلاث مرات، في دول كاليابان وسنغافورة وكوريا، بحسب التقرير. وفي افريقيا لقي أكثر من نصف مليون شخص حتفهم جراء السرطان منذ بداية العام الحالي، كما أن سرطان عنق الرحم من الامراض الاولى المسببة لوفيات نساء القارة. وعلى النقيض تراجعت الوفيات بسبب سرطان الثدي بين نساء الغرب، تحديداً بريطانيا والولايات المتحدة، وفق سيفرين، واختتم تقرير منظمة الصحة العالمية، نشر التوعية حول عبء تفشي السرطان وأسبابه سيساعد في تأسيس وتفعيل سياسات وتخصيص موارد وبرامج للسيطرة على السرطان والتبغ.

القرآن وأثره في تغذية الروح:

القرآن له تمام الأثر في سلوك وبناء وتكوين شخصية المؤمن وصقل روحه وسلوكه سلوكاً قرآنياً وطبعه بطابع القرآن وخضوع عقله وعاطفته للقرآن عن وعي ومن الطبيعي أن العقل والعاطفة مفتاحان للقلب، فإذا خضع العقل والعاطفة للقرآن انفتح القلب والروح على مصراعيه على القرآن. وينقسم الناس بالنسبة الى تأثير القرآن عليهم الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ويندرج تحت هذا القسم الصديقون والانبياء والائمة المعصومون لأنهم وقعوا تحت تأثير القرآن وفعله وسلطانه المباشر وأولئك يفتح الله لهم كنوز القرآن ويسلمهم مفاتيحه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ .

والقسم الثاني: ويندرج تحت هذا القسم طائفة من الناس بمقدار ما يتعاطون من كتاب الله وأولئك نصيبهم من القرآن بمقدار بعدهم وقربهم منه، فكلما كانوا أبعد عن دائرة القرآن ومجال تأثيره كان نصيبهم من القرآن أقل حتى يبلغ حد الصفر.

القسم الثالث: وأما ما يندرج في هذا القسم من الناس فهم أهل الفساد واللجاج والخصومة ومقاومة القرآن وهؤلاء يختلف حالهم عن القسم الثاني، فإن القرآن ينقلب في حياة هؤلاء الى مصدر للشقاء والخسارة، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾ الاسراء ٤٥ - ٤٦.

ولاشك أن تأثير القرآن على الافراد يتناسب مع مقدار إيمانهم، فالذي يملك إيماناً عالياً يكون تأثير القرآن عليه كبيراً والعكس بالعكس وقد أكد القرآن الكريم من خلال الآيات المتقدمة أن تأثيره لا يحصل إلا بحصول

الايمان. وكل انسان يرغب أن يكون تأثير القرآن عليه كبيراً عليه أن يجعل من إيمانه سلباً يرتقي به للقرب من الله تعالى.

علماء المسلمين يدعون الى التقارب بين المذاهب الاسلامية:

حذر المؤتمر الدولي الثاني للتقريب بين المذاهب الاسلامية من الانسياق وراء الدعاوي التي تبث الفرقة في العالم الاسلامي. وأوصى المؤتمر الذي افتتح أعماله في لندن تحت عنوان التقريب مشروع لنصرة القرآن الكريم والنبي محمد (ص): أوصى بنشر ثقافة التقريب والحوار البعيد عن التعصب والاساءة وتركيز الجهود لتوحيد الامة كضرورة تفرضها التحديات.

وفي هذا الصدد، قال المفتي العام في البوسنة والهرسك مصطفى تسيريتش في تصريح خاص لقناة العالم الاخبارية: ان الذين لا يشعرون بمسؤولية الوقت العصيب الذي تمر به الامة الاسلامية يقومون ببث الفرقة بين أبناء المسلمين ويعمدون الى إثارة الفتن الطائفية التي تدمر الامة، ومن هذا المنطلق تم عقد هذا المؤتمر للتقريب بين المذاهب الدينية المختلفة، وتوحيد وجهات نظر المسلمين تجاه قضاياهم الاساسية.

من جانبه، أكد إمام مركز الامام الخوئي الاسلامي في لندن، فاضل الميلاني في تصريح خاص لقناة العالم: يجب على علماء المسلمين التأكيد على ثقافة التقريب بين كافة المذاهب الاسلامية، والتركيز على التقاء الاديان السماوية في بيان مشترك باعتبارها من أسس التعايش التوحيدية.

كما دعا كافة المذاهب الى رص الصفوف وتوحيد الكلمة للتعالي على النزاعات الداخلية بين المسلمين أنفسهم والتركيز على التحديات الخارجية التي تواجه العالم الاسلامي.

بدوره اعتبر أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي محمد البشاري في تصريح خاص لقناة العالم: إنَّ الأمة الإسلامية هي في أشد الحاجة اليوم التقريب بين اتباع كافة المذاهب المختلفة لمواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، خاصة الأقليات الإسلامية في المجتمعات الأوروبية التي تواجه عدداً من المشاكل اليومية، ومنها الذوبان في مجتمعات مغايرة للمجتمعات التي نشأت عليها، والانسلاخ من محيطها الإسلامي، بالإضافة الى مواجهة التيارات الفكرية المشبوهة التي تتبنى بعض المواقف المناهضة لتلك الأقليات الإسلامية.

يشار الى أن المؤتمر شدد على ضرورة نبذ الفرقة والنعرات الخلافية التي لا تفيد إلا أعداء الأمة الإسلامية، مؤكداً على لحمة المسلمين وتماسكهم في مواجهة التحديات التي تعصف بهم.

عمرو موسى:

ايران بلد صديق للدول العربية ولا بد من الحوار بين الجانبين:

وصف الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالبلد الصديق للدول العربية، مؤكداً ضرورة الحوار بين الجانبين في مختلف المجالات.

أعلن موسى ذلك في حوار مع قناة الجزيرة الفضائية في معرض اشارته الى العلاقات بين الدول العربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، مؤكداً ضرورة تسوية بعض الخلافات من خلال الحوار معها.

وشدد الأمين العام لجامعة الدول العربية على ان العلاقات الودية تربط الدول العربية بهذا البلد الجار، موضحاً ان تسوية الخلافات بين ايران والامارات أو تعزيز الامن في منطقة الخليج الفارسي يتطلب الدخول في هذا الحوار. وأكد موسى ضرورة دخول الدول العربية في حوار استراتيجي

ويتسم بالجدية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مشدداً على معارضة هذه الدول لنشوب حرب محتملة أخرى في المنطقة.

سحابة التلوث " براون " تهدد البيئة والصحة في العالم:

حذرت الأمم المتحدة من سحابة سميقة بنية اللون تتكون من مواد كيميائية ملوثة ويتجاوز حجمها ثلاث كيلومترات تمتد من الخليج الفارسي الى شرق آسيا وتهدد الامدادات الغذائية والصحة في العالم، مؤكدة أنها تستطيع التحرك بين القارات خلال اربعة أيام.

وقال تقرير برنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرته الصحف البريطانية والاميركية، ان مركز السحابة التي يطلق عليها " براون " هو كوريا الجنوبية وإنها قد تنتقل ثم تنتشر فوق بحر اليابان تجاه اليابان.

واوضح التقرير أن حجم السحابة ثلاثة كم وأنها تستطيع الوصول الى منطقة الشرق الأوسط خلال أيام. واعتبر التقرير المنظمة الدولية ان هذه السحابة أحدثت خطر على البيئة العالمية لما تحتويه من ملوثات مثل السخام البني وغيره من الملوثات المعلقة فوق آسيا وتلقي بظلال قاتمة على المدن، مما أسفر عن مقتل الآلاف وتدمير المحاصيل.

أشار التقرير الى ان ١٣ من المدن الكبرى في آسيا شهدت سحباً سوداء منها بكين وشنغهاي وبانكوك وبومباي ونيودلهي، كما شهدتها أيضاً العاصمة المصرية القاهرة حيث يعتم الجو وينخفض الضوء الى ٢٥% في بعض الاماكن.

وقال وكيل الأمين العام للأمم المتحدة والمدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة أكيم شتاينر: تخيل للحظة سحابة بسمك ثلاثة كم من السخام والجسيمات السامة، وهي مزيج من المواد الكيميائية التي تمتد من آسيا الى شبه الجزيرة العربية.

وأضاف، إنّ الحاجة ملحة الى النظر في الانبعاث عبر كوكب الارض لأنها ترتبط بانبعاث غازات الدفيئة وانبعاث الجسيمات بما يؤثر على المناخ العالمي. وتقدر الاكاديمية الصينية للعلوم تقلص الانهار الجليدي بنسبة ٥% منذ الخمسينات من القرن الماضي، وترى ان استمرار معدل التراجع هذا يمكن أن يؤدي الى انكماش الأنهار الجليدية من جانب ما لا يقل عن ٧٥% بحلول عام ٢٠٥٠، مما يشكل خطراً كبيراً على أمن المياه في المنطقة. ذكر تقرير إنّ تلوثاً سيساعد في تقليل الرياح الموسمية في الهند، وقد يؤدي أيضاً الى خفض الانتاج من المحاصيل الرئيسة مثل الارز والقمح وفول الصويا. وأشار أيضاً الى المشاكل الصحية المرتبطة بتلوث الجسيمات الدقيقة والتي تشمل القلب والأوعية الدموية وأمراض الجهاز التنفسي.

وذكر التقرير في الوقت نفسه ان سحابة " براون " تساعد في تشكيل قناع يخفف من ظاهرة الانحباس الحراري عن طريق المساعدة في تبريد سطح الارض وإخماد ارتفاع درجات الحرارة بنسبة تتراوح بين ٢٠ و ٨٠ % لأن بعضاً من الجسيمات التي تشكل السحب يعكس ضوء الشمس وتهدئة الجو.

وقال العلماء ان السحابة الهائلة يمكن أن تتحرك عبر القارات في غضون ثلاثة الى أربعة أيام، منبهين الى أن هذه الظاهرة ليست مجرد قضية إقليمية ولكنها عالمية. وقال فيرباهندران راماثان من معهد سكريبس لعلم المحيطات في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو، إن الرسالة الرئيسية هي أن هناك مشكلة عالمية، وليست من النوع الذي يتم توجيه أصابع الاتهام فيه الى جيراننا أو لشخص آخر لأن الأمر يهم الجميع.

أشهر التحف الفنية الخزفية تعرض في دمشق:

يستضيف خان أسعد باشا التاريخي بالمدينة القديمة في دمشق معرضاً يضم عدداً كبيراً من أشهر التحف الفنية الخزفية في العالم. والمعرض فريد من نوعه إذ أن معروضاته تظهر تطور صناعة الخزف في العالم من عام ٣٠٠٠ ق.م. حتى وقتنا الحالي وتبرز الدور الذي لعبه الشرق الأوسط في ذلك.

وسوريا بشكل خاص منتج للأواني الفخارية منذ أكثر من ٨٠٠٠ عام وهو ما يجعلها أحد أقدم مراكز صناعة الخزف في العالم. ويضم المعرض قطعاً مستعارة من متحف فيكتوريا وألبرت في لندن وقطعاً رائعة من الخزف السوري من مقتنيات المتحف الوطني في دمشق.

واختير خان أسعد باشا لاستضافة المعرض نظراً لما يتمتع به من شهرة كمكان اعتاد التجار على تبادل بضائعهم فيه خلال رحلاتهم عبر طريق الحرير. وقالت مي بندقي معمر باشا مديرة المشاريع في متحف فيكتوريا وألبرت: "الخان في الأصل كان موقعاً تأتي اليه القوافل وتتبادل الأغراض التي معها. كان التجار يحبون السيراميك مثلاً في مصر وتقع المقايضة هناك. واكتشفنا انه لما بني الخان هو بحد ذاته الذي كان الجافرنر "الحاكم" تبع داما سكاس "دمشق" وقتها كان أكبر كوليتور "جامع" من أجل السيراميك في ١٧٥٠ - ١٧٦٠. وبني أسعد باشا حاكم دمشق الخان في خمسينات القرن الثامن عشر ليستخدمه أصحاب المتاجر كمخزن في قلب منطقة تجارية مزدحمة.

وبأشرت الحكومة السورية مشروع ترميم الخان الذي يعتبر الأكبر في الشرق الأوسط. وقالت غادة سليمان مديرة خان أسعد باشا: "الخانات" تعطي فكرة عن فن العمارة الذي ازدهر بسوريا بالقرن الثامن عشر وكان له دور كبير. وكانت تلعب الدور التجاري وكانت ناحية اقتصادية مهمة بشكل

عام بسوريا. وهي ومحطات للقوافل التجارية وتستقبل البضائع عن طريق الهند ، طريق الحرير، من الهند.. من الصين، من أوروبا كلها. عملية التبادل التجاري كانت تتم بالخانات وغالباً كانت تتم بخان أسعد باشا العظيم. وتوقف استخدام الخان في الأعمال التجارية في بداية القرن العشرين وتقول مديرة الخان انه سيستضيف على الأرجح في المستقبل متحف التاريخ الطبيعي بدمشق. ويعد معرض الخزف مثلاً نادراً على التعاون بين متحف غربي وسوريا. ويستمر المعرض حتى يناير كانون الثاني.

ري شهري يؤكد على العلاقات الاستراتيجية بين طهران والرياض في قضية الحج:

وصف ممثل الولي الفقيه ورئيس بعثة الحج الايرانية الشيخ محمدي ري شهري العلاقات بين الجمهورية الاسلامية الايرانية والسعودية في قضية الحج، بانها استراتيجية، مؤكداً أنه لا محل للتطرف في هذه العلاقات. وأفاد مراسل وكالة مهر للأنباء الموفد الى مكة المكرمة ان الشيخ محمد محمدي ري شهري قال خلال مؤتمر صحفي عقده في مكة المكرمة ان منطق الجمهورية الاسلامية الايرانية مبني على أساس التنسيق والتعاون مع الدول الاسلامية، مضيفاً أن ايران تسعى جاهدة من أجل تحقيق التقارب بين الدول الاسلامية.

وأكد حجة الاسلام محمدي ري شهري ان الملتقيات التي عقدتها بعثة الحج الايرانية لهذا الموسم، كانت أفضل بكثير من الموسم الماضي، مضيفاً ان أهم ما قام به القسم الدولي في بعثة الحج الايرانية هو عقد مختلف الملتقيات وهو أمر هام للغاية. مشيراً الى ضرورة تسجيل الآراء المتبادلة في هذه الملتقيات ونشرها لتطلع عليها الجماهير.

وبشأن واجب المسلمين تجاه الحصار المفروض على قطاع غزة وجرائم الكيان الصهيوني في فلسطين وخاصة في أيام موسم الحج، أكد المشرف على الحجاج الايرانيين، ان الشخصيات الاسلامية التي التقى بها خلال موسم الحج أعلنت ومن خلال وجهات النظر والآراء المتبادلة، عن دعمها للقضية الفلسطينية، وطالبت الحكومات الاسلامية بأن تبادر بخطوات عملية تلبية لمطالب شعوبها في إيصال المساعدات الى سكان غزة المحاصرين.

كما أشار ممثل الولي الفقيه، ورئيس بعثة الحج الايرانية الى اقتراح عقد مؤتمر علماء الحديث في ايران وسائر الدول الاسلامية، وأعلن إن اقامة مؤتمر حول الحج بين مختلف الدول هو موضوع قيد الدراسة وقد أوكل التخطيط له الى المستقبل، مضيفاً انه تمت ترجمة خطاب قائد الثورة الاسلامية الى حجاج بيت الله الحرام، الى ١١ لغة وتم توزيعه بين الحجاج.

الشيخ قبلان يرد على القرضاوي: الوقت لتوحيد الأمة وتحسينها :

رد العلامة الشيخ احمد قبلان على ماجاء على لسان الشيخ يوسف القرضاوي حول ما سماه بـ " الخطر من نشر الفكر الشيعي " وأكد بأن الوقت لتوحيد الأمة وتحسينها.

وقال في تصريح نشر الاثنين ١٣ شوال ١٤٢٩ : كنا نعتقد ولا نزال ان سماحة الشيخ القرضاوي الذي نحترم فكره ونجل موقعه لا يمكن أن ينزلق الى الفتنة بهذا الشكل وهو الذي طالما سعى دائماً وعمل من أجل تقريب المذاهب ولم شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم خصوصاً في مثل هذه الظروف التي نجد فيها ان الهجمة على المسلمين تتزايد، وان الاستهداف لهذه الامة مستمر بوتيرة تصاعدية يستوجب على علماء الامة ومفكرها وبالخصوص فضيلة الدكتور القرضاوي وأمثاله ان يكونوا على وعي وادراك تامين وعلى

حذر شديد من مثل هذه الانزلاقات الخطيرة التي تؤدي الى ما يخدم أعداء الاسلام والمسلمين ويحقق مصالحهم.

وأضاف: ان الوقت هو وقت توحيد الأمة والعمل على تحصينها ومواجهة ما يحاك ضدها ويدبر لها، لا وقت توجيه الاتهامات وتحريك النعرات وإثارة المشاعر، فالمسلمون أمة واحدة، دينهم واحد وقرآنهم واحد ورسولهم واحد، وليس في إمكان أي مخلوق مهما كان موقعه وبلغ حجمه أن يدفعهم الى فتنة.

حمام أثري يعود للحقبة الرومانية:

أسفرت أعمال التنقيب عن اكتشاف حمام أثري يعود للفترة الرومانية في القرن الثاني الميلادي، في موقع عين الحلوة الاثري شمال مدينة اللاذقية. ونقلت وكالة الانباء السورية الرسمية " سانا " عن رئيس دائرة آثار اللاذقية جمال حيدر أن الحمام المكتشف تبلغ مساحته حوالي ألف متر مربع وهو مشيد بالحجر الرملي النحيت وبداخله شبكة قنوات للمياه مشيدة بالحجر والآجر والفخار. وأوضح حيدر إن أهم ما تم اكتشافه في الموقع هو لوحة فسيفساء في أرضية إحدى الغرف تحمل مشاهد مأخوذة من بيئة البحر المتوسط، وهي عبارة عن حيوانات بحرية متنوعة كالدلافين والحوت والاختبوط والحبار وقنديل البحر وغيرها. وأشار الى أن اللوحة مرصوفة بمكعبات صغيرة من الحجر والآجر والزجاج، منوهاً بأن ما يميزها عن باقي اللوحات كونها الأقدم والأكثر واقعية وغناها بالمشاهد والصور إضافة الى تقنية الصنع الراقية باستخدام مادة الزجاج الملون الذي يضاعف قيمتها الفنية. وأعلن المسؤول السوري أنه تم نقل اللوحة الى المعمل الفني لمديرية الآثار في دمشق لإعادة تأهيلها للعرض المتحفي.

زيادة مستويات غاز قوي في الجو ء أضعاف:

أشارت قياسات جديدة الى أن مستويات غاز قوي مسبب لظاهرة الاحتباس الحراري أعلى بأربعة أضعاف مما كان معتقداً من قبل. وتظهر تقنيات تحليلية جديدة انه يوجد نحو ٥٤٠٠ طن متري من ثلاثي فلوريد النيتروجين في الغلاف الجوي وان الكميات تزيد بنحو ١١% سنوياً. وقال راي فيس من معهد سكريبس لعلوم المحيطات في لاجولا بولاية كاليفورنيا الامريكية وزملاؤه انه لم يكن بالامكان قياس هذا الغاز بدقة من قبل. وقالوا ان ثلاثي فلوريد النيتروجين هو الأكثر فعالية ١٧ ألف مرة في تدفئة الغلاف الجوي عن كتلة مساوية من غاز ثاني اوكسيد الكربون على الرغم من انه لم يساهم كثيراً حتى الان في ارتفاع درجات الحرارة في العالم.

واشارت تقديرات سابقة الى أن مستويات الغاز كانت أقل من ١٢٠٠ طن متري في ٢٠٠٦. وثلاثي فلوريد النيتروجين هو غاز عديم اللون والرائحة وغير قابل للاشتعال يستخدم في النقش على رقائق السليكون وفي بعض أجهزة الليزر. وكتب فيس وزملاؤه في دورية رسائل بحوث الفيزياء الأرضية انهم حللوا عينات من الهواء التي جمعت على مدى السنوات الثلاثين الماضية أثناء التجارب العالمية لغازات الغلاف الجوي التي تمولها إدارة الطيران والفضاء الامريكية ناسا، مضيفاً أن هناك حاجة الى تنظيم مستويات ثلاثي فلوريد النيتروجين مثلما هو الحال مع غاز ثاني اوكسيد الكربون، متابعاً قوله من منظور مناخي هناك حاجة لاضافة ثلاثي فلوريد النيتروجين الى مجموعة الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس لحراري التي تم تحديد مستويات انتاجها وتنظيم انبعاثاتها بموجب بروتوكول كيوتو.

وقال مايكل براذر المتخصص في كيمياء الغلاف الجوي بجامعة كاليفورنيا في ايرفاين ان ثلاثي فلوريد النيتروجين يجري استخدامه بصورة أكثر شيوعاً وتكهن بأنه سيجري اكتشاف المزيد في الغلاف الجوي.

مجلس الشورى الاسلامي يرفض فصل منظمة التراث الثقافي عن رئاسة الجمهورية:

رفض أعضاء مجلس الشورى الاسلامي فصل منظمة التراث الثقافي عن رئاسة الجمهورية وضمها الى وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي. وطرح هذا المشروع في الجلسة العلنية لمجلس الشورى الاسلامي ورفض نواب مجلس الشورى الاسلامي المصادقة على المشروع كما رفضت اللجنة الاجتماعية للمجلس هذا المشروع مسبقاً. وصوت ١٢٠ عضواً من مجموع ٢٤٥ عضواً لصالح المشروع بينما عارضه ١١٣ وامتنع عن التصويت سبعة اعضاء.

المرجع صافي كلبايكاني: الاسلام دين التعاون والمساعدة والانسجام:

وصف آية الله العظمى الشيخ الصافي الكلبايكاني الدين الاسلامي بدين التعاون والمساعدة والانسجام معتبراً المجتمع الاسلامي بأنه الضامن للحقوق المادية والمعنوية للبشر. ووصف المرجع الصافي الكلبايكاني لدى استقباله مدراء جمعيات الهلال الأحمر في البلاد، وصف الضمير الاسلامي والشعور الديني بانهما أهم مؤشرات المجتمعات الاسلامية وقال لو تتم مراعاة هذه السمة المؤثرة بشكل جيد فلم نشهد الفقر والتقلبات في المجتمع. وأضاف سماحته ان جمعية الهلال الأحمر بنيت على أساس أعمال الخير ومتابعة شؤون الناس ومساعدة المعوزين مؤكداً ان الذين يعملون في هذه المؤسسة عليهم أن يدركوا قداسة وعظمة عملهم. ودعا المرجع الصافي الى مراعاة العدالة في تقسيم الامكانيات ومساعدة المحرومين.

لحوم حلال في مستشفيات هونغ كونغ:

قال تقرير إعلامي أنه تم البدء في تقديم الوجبات التي تشتمل على اللحوم التي تم ذبحها وفقاً للتعاليم الاسلامية في بعض المستشفيات العامة في هونغ كونغ للمرة الأولى.

ونقلت صحيفة ساوث شاينا مورنينغ بوست عن فيفيان ونج منسقة هيئة المستشفيات في إقليم نيو تريوتريزوست قولها: بملاحظة اختلافهم المسلمين، في الثقافة الغذائية، قررنا تقديم وجبات بها لحوم حلال، وذكرت الصحيفة انه تم إطلاق المبادرة في أربعة مستشفيات في إقليم نيوتريوتريزوست من الممكن ان يتم تعميم المبادرة في كل أنحاء هونغ كونغ.

مؤكداً أنها تنفق ملايين الدولارات سنوياً لتطوير التكنولوجيا:

وزير العلوم: ايران تملك الامكانيات والقدرات لتقديم الدعم لدول المنطقة في مجال التكنولوجيا النانوية والحيوية:

قال وزير العلوم والأبحاث والتكنولوجيا محمد مهدي زاهدي، ان الجمهورية الاسلامية الايرانية تنفق ملايين الدولارات سنوياً لتطوير التكنولوجيا. وأضاف زاهدي الذي كان يتحدث في حفل افتتاح المركز الاقليمي للعلوم ونقل التكنولوجيا التابع لرابطة التعاون الاقليمي للدول المطلة على المحيط الهندي ان موضوع نقل التكنولوجيا يعد أحد الموضوعات المهمة التي تحتاجها الدول النامية والدول المتقدمة.

وأكد ان الحصول على التكنولوجيات الملائمة على هيئة الشراء أو المساهمة الثنائية أو متعددة الأطراف وتنمية الكادر الانساني المناسب لاستخدام هذه التكنولوجيات وجعل منتجات التكنولوجيا متطابقة مع المواصفات والمقاييس وبالتالي جعل المنتجات تجارية يحظى بأهمية بالغة.

وأوضح ان ايران تضع ٢٠٠ ألف دولار سنوياً بتصرف رابطة التعاون الاقليمي للدول المطلة على المحيط الهندي من أجل اثراء نشاطاتها. وتابع انه إضافة الى ذلك فان وزارة العلوم تقبلت توفير امكانيات الفضاء والكادر الانساني وسائر الملزومات الكفيلة بتشغيل ونشاط هذا المركز. وأكد في جانب آخر ان ايران تملك الامكانيات والقدرات لتقديم الدعم لدول المنطقة في مجال التكنولوجيا النانوية والهواء، فضاء والتكنولوجيا الحيوية، معلناً استعداد طهران لتقديم الدعم لرابطة التعاون الاقليمي للدول المطلة على المحيط الهندي في هذا المجال.

وقال وزير العلوم أن بعض الدول الأعضاء في *Ior-ARC* بما فيها ماليزيا تدعو الى التعاون مع ايران في مجال التكنولوجيا النانوية مشيراً الى ان بإمكان ايران التعاون مع العديد من الدول في مجال السيطرة على الملاريا. وأعلن استعداد وزارة العلوم لاستضافة أول اجتماع لوزراء العلوم والتكنولوجيا بالدول الاعضاء في *Ior-ARC*.

وقد تم تدشين المركز الاقليمي للعلوم ونقل التكنولوجيا بحضور وزير العلوم والابحاث والتكنولوجيا الايراني وسفراء الدول الاعضاء في رابطة الدول المطلة على المحيط الهندي لدى البلاد وذلك في مؤسسة الابحاث العلمية والصناعية الايرانية.

من جهة أخرى قال مساعد رئيس الجمهورية للشؤون العلمية والتكنولوجية صادق واعظ زاده ان الحكومة أعدت خطة واسعة لدعم وتوفير فرص نشاط الاوساط العلمية ومؤسسات الابحاث لاسيما في مجال التكنولوجيا النانوية ووضعتها موضع التنفيذ.

وأضاف واعظ زاده الذي كان يتحدث للصحفيين على هامش المؤتمر الدولي الثاني للعلوم والتكنولوجيا النانوية المنعقد في تبريز، انه سيتم خلال الأيام القادمة وضع ١٢٠ مليار ريال ايراني بتصرف المراكز العلمية في

البلاد لاستخدامها في توسيع البنى التحتية وتوفير التجهيزات اللازمة. وأوضح انه إضافة الى ذلك فانه تم تخصيص ٩٠٠ مليار ريال لتطوير التكنولوجيات الاستراتيجية. وتقوم الحكومة حالياً بتوزيعها بين الاوساط العلمية.

وأكد مساعد رئيس الجمهورية ان المركز العلمي الذي تحظى به ايران في الوقت الحاضر على الصعيد العالمي هو المركز العشرين ومن حيث الاختراعات المسجلة تحظى بالمركز ٢٢ موضحاً ان ايران تحتل المركز العلمي الاول بين الدول الاسلامية.

المجاعة تهدد عشرين مليون شخص بالقرن الافريقي:

حذر الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب والهلال الأحمر من مجاعة تهدد أكثر من عشرين مليون شخص بالقرن الافريقي بسبب الجفاف وارتفاع أسعار المواد الغذائية والوقود.

وأطلق الاتحاد وهو أكبر شبكة اغاثة بالعالم، نداء لجمع نحو ٩٥ مليون دولار لمساعدة مليونين ومائتي ألف شخص قال انهم على حافة المجاعة بكل من جيبوتي والصومال وكينيا واثيوبيا. وذكر روجيه بريك ، وهو مسؤول رفيع بالاتحاد، ان قوت العديد من البشر والماشية بالمنطقة سيتوقف الى حد كبير على موسم الامطار المقبل: مضيفاً ان الاوضاع من السهل أن تتفاقم. وقال أيضاً: أن الاسعار للقمح والذرة الرفيعة زادت الى ضعفين بمنطقة القرن الافريقي السنة الماضية مما أدى الى نقص بالامدادات، وأجبر الحكومات على السحب من الاحتياطي الاستراتيجي الخاص بها من الحبوب. وأشار بريك الى أن فترات الجفاف بمنطقة القرن الافريقي تستمر لمدد أطول بسبب التغير المناخي، وكشف أن مربي الماشية فقدوا على الاقل نحو ثلثي القطعان التي يملكونها.

وأكد أن هذه ربما تكون المرة الأولى بالتاريخ وبالتحديد بالقرن الأفريقي، التي نرى فيها أزمة بهذا الحجم لا يمكن تفسيرها بالعوامل الطبيعية ولكن بآليات وتبعات الأحداث العالمية.

وأوضحت دراسة للاتحاد، قادها بريك واستغرقت شهرين، أن التقديرات التي سبق أن أعلنت عنها الأمم المتحدة بهذا الشأن منخفضة للغاية لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار الأوضاع بكل من إريتريا وجيبوتي. وكانت المنظمة الاممية أعلنت بوقت سابق أن ١٧ مليون شخص بدول القرن الأفريقي في حاجة ماسة للغذاء. واعتبر بريك أن أرقام الأمم المتحدة تهون بشدة من تقديرها للواقع، وأن تقديرات الصليب نفسه ما زالت تستثني الوضع بالسودان.

اكتشاف عطور تعود لزمان المسيح ع:

اكتشف فريق من علماء آثار يرأسه إيطاليون، أواني تحتوي على مراهم معطرة في حفرة في قرية المجدل الفلسطينية، يرجح أن تكون شبيهة لتلك المستخمة لدهن قدمي السيد المسيح (ع) بحسب ما جاء في الانجيل المقدس.

وذكرت وكالة " أنسا " الإيطالية للأنباء أن علماء آثار من المعهد العلمي الفرنسيكاني عثروا على أوان مختومة تعود الى القرن الميلادي الأول محفوظة بالطين في قعر مسبح في منتجع مجدلا الحراري.

وقال الأب ستيفاني دي لوكا، الذي قاد عمليات الحفر، أن امتلاء الموقع بالطين والوحل أتاح لنا العثور على هذه الأغراض الخارجة على المألوف، والتي لم تمس وبقيت مختومة وتحتوي على مواد دهنية. وأضاف، نعتقد أن هذه المواد مراهم وعطور، وإذا أكدت التحاليل الكيميائية صحة ذلك

فيرجح أن تكون شبيهة بتلك التي استخدمتها مريم المجدلية لدهن قدمي السيد المسيح بحسب ما جاء في النصوص المقدسة.

ويقال إن مريم المجدلية، التي يعتقد أنها من قرية مجدل الفلسطينية، هي المرأة التي غسلت قدمي السيد المسيح بالعطر كما جاء في إنجيل لوقا، وكانت حاضرة الى جانب والدته يوم صلبه بحسب ما جاء في إنجيل يوحنا.

وقال دي لوكا انه حتى لو لم يثبت أن مريم المجدلية هي بالفعل المرأة التي غسلت قدمي السيد المسيح فإن اكتشاف هذه الاواني في قرية المجدل هام جداً. فقد صار بين أيدينا مستحضر تجميل كان يستخدم في زمن المسيح. واحتمال كبير أن تكون المرأة التي دهنت رجلي المسيح استخدمت هذه المواد أو ما يشبهها من حيث التركيبة والنوعية.

بقلم: عطا مناع

القدس والجمعة بلا طحين:

استغرب التنديد العربي والرسمي للكنيس اليهودي الذي أقيم على بعد مئة متر من المسجد الأقصى، وكأن العرب صدموا بهذه الخطوة الاحتلالية الاسرائيلية بحق المدينة المقدسة التي تنتهك من اللحظة التي داسها أول بسطار احتلالي عام ١٩٦٧ ليسود المشهد الاستيطاني والتهويدي التفريغي للمدينة، لقدس العرب، الذين أداروا الظهر لها واتخذوا موقف المتفرج على عملية الذبح اليومي لأرضها وسكانها ومقدساتها.

بمعزل عن ممارسات الاحتلال الاسرائيلي بحق القدس وأقصاها، وبصرف النظر عن عملية التهويد وتسريب الاراضي والممتلكات والحفريات تحت المسجد الأقصى وفي محيطه وتكالب المنظمات الصهيونية التي تسابق الزمن للسيطرة على المدينة المقدسة بالكامل ومن دون معيقات أو تحسبات من موقف عربي جاد أو عملي للدفاع عن القدس، حيث أدرك الاسرائيليون

هشاشة الموقف العربي وضعفه الذي لن يخرج عن اطار الاستنكار والتنديد الخجول في حده الأقصى.

لقد تحدث إسرائيل المجتمعون في قطر وأعلنت عن افتتاح الكنيس اليهودي ولن تتورع في قادم الأيام عن القيام بخطوات مماثلة، لأنها باتت تدرك سقف الموقف العربي الشعبي والرسمي والديني، موقف لن يخرج عن الدائرة المرسومة له، دائرة الاستنكار الخجول وتحذير الاسرائيليين من عواقب أفعالهم والادعاء بالشروع باتصالات مع قادة دول العالم لوضعهم في صورة الانتهاكات، وكانت اسرائيل تخفي ما تقوم به من انتهاكات في المدينة المقدسة التي تقف وحيدة في مواجهة البلدوزر الاسرائيلي وعصابات التهويد والاستيلاء على الممتلكات.

وما يسبب الغثيان ويعمق من حالة اليأس من فعل عربي حقيقي، سياسة الاستهبال التي يمارسها العرب خلال مؤتمراتهم وأمسياتهم التي يطرحون فيها مقتنيات مقدسية للمزاد العلني ليجمعوا التبرعات للقدس، صحيح ان القدس بحاجة الى ١٦ مليون دولار التي جمعوها في الأمسية التي أقيمت في الدوحة، لكن لا داعي لبيع تراب القدس في مزاد علني حتى لو كان هذا المزاد عربي واسلامي، لأن مجرد التفكير بهذه الطريقة تجاه حفنة من تراب القدس يرسل اشارات سلبية لمستقبل القدس.

المواطن العربي والفلسطيني لم يعد يتناغم مع سياسة ذر التراب بالعيون حتى لو كان هذا التراب استجلب من القدس، لن يقنعونا رجال الدين والساساة العرب بسياساتهم دفعوا بالقدس لجحيم التهويد الذي ضحك في أحياء القدس وأرضها عشرات المليارات من الدولارات للسيطرة عليها، لذلك تبقى الملايين التي يتبرعوا بها مشكورين صدقة لإراحة ضمائرهم وكأنهم يقولون لأنفسهم لا يحمل الله نفساً إلا وسعها وكفى الله المؤمنين شر القتال وهذا الموقف يتساوى مع التفريط المباشر أو غير المباشر في القدس وترابها.

وقد يكون من غير الواقعي مطالبة العرب والفلسطينيين وضع كل مقدراتهم لتحرير القدس، إلا أن الواقعية تفرض عليهم أن لا يفرطوا وأن لا ينتظروا المؤتمرات الخاصة بالقدس والتي تعقد ليوم واحد في السنة أو المزايدات العلنية، والواقعية أن لا يطالب شيخ الأزهر الفلسطينيين بالارتقاء بين جنازير البلدوزر الاسرائيلي والموت دفاعاً عن القدس، وهو بذلك يتجاوز حقيقة التضحيات التي قدمها الشعب الفلسطيني في معركتهم التحررية على مدار عقود الاحتلال.

المطلوب من العرب أن يكفوا عن التطبيع السياسي والاقتصادي مع اسرائيل والمطلوب ان يتحدوا ويشكلوا سياجاً حامياً وداعماً للقدس، لا أن يذهبوا للمعارك الجانبية والتناقضات غير الرئيسية لينطبق عليهم قول الشاعر العراقي مظفر النواب:

القدس عروس عروبتكم

فلماذا أدخلتم كل زناة الليل الى جرتها

وسحبتم كل خناجركم

وتنافختم شرفاً

وصرختم فيها أن تسكت صوناً للعرض

فما أشرفكم

هل تسكت مغتصبة؟

حين أصارحكم بحقيقتكم

إن حظيرة خنزير أطهر من أطهركم

تتحرك دكة غسل الموتى أما أنتم

لا تهتز لكم قصبه

الآن أعريكم

عالم ألماني مرموق يتوقع وجود كائنات فضائية:

توقع رئيس مركز الطيران والفضاء في ألمانيا وجود كائنات فضائية خارجية لا يمكن للبشر التعرف عليها من خلال الوسائل والقوانين الطبيعية السارية حالياً. وقال يوهان ديتريش فورنر في حديث لصحيفة "فرانكفورتر روندشاو" أنه يعتقد بوجود مخلوقات ذكية في الفضاء الخارجي.

وأضاف أنه يأمل في لقاء مثل هذه المخلوقات في يوم ما. وفي المقابل رفض مايكل جريفن رئيس وكالة الطيران والفضاء الأميركية "ناسا" في نفس الحديث للصحيفة الأفكار التي تتبنى وجود مخلوقات كونية وقال أنه من قبيل الخيال ولم تثبت صحتها علمياً ولكنها تساعد على أي حال في فهم البشر للكون.

ودافع العالمان عن التكاليف المذهلة لمشروعات الفضاء والرحلات الكونية للأبحاث وأشارا إلى السيارات التي تسير حالياً بمساعدة الأجهزة الملاحية المرتبطة بالأقمار الاصطناعية فضلاً عن القنوات التلفزيونية الفضائية والاتصالات وتوقعات الطقس والأبحاث الطبية حول أمراض المناعة والدورة الدموية.

واعترف العالم بعدم وجود أي كوكب آخر غير الأرض يمكن للبشر في الوقت الحالي العيش فيه، ولكن الرغبة في كشف الغموض والبحث عن المجهول ستدفع البشر في رأيهما إلى مواصلة البحث في المستقبل. وأكد فورنر إن العالم بما وصل إليه من تقدم لم يكتشف أكثر من ٥% من أسرار هذا الكون العجيب، والطريف أن العلماء لم يفهموا أيضاً سوى ٥% من هذه الاكتشافات المتوفرة لديهم وتبقى نسبة ٩٥% مجهولة يمكن أن نطلق عليها "مواد داكنة وطاقات مجهولة".

علماء يبحثون في القطب الجنوبي عن مفاتيح لارتفاع مستويات البحار:

قال علماء انهم سيتفقدون جزءاً عرضة للتأثر في الجرف الجليدي للقارة القطبية الجنوبية هذا العام لاستطلاع ما اذا كان سيتصدع في العقود المقبلة وقد يتسبب في ارتفاع في مستويات البحر.

وسيجري العلماء وبينهم علماء من جامعة ادنبرة ويعملون مع المركز البريطاني لبحوث القطب الجنوبي، اختبارات عن طريق الثقب في الجليد، وسيستخدمون أجهزة رصد بالموجات اللاسلكية على الجرف الجليدي " لارسن سي " في شبه الجزيرة القطبية الجنوبية وهي أقرب جزء الى أميركا الجنوبية.

وأنهارت كتلة من الجرف عام ١٩٩٥ وأخرى عام ٢٠٠٣. والجرف الباقي أكبر حجماً عشر مرات أو حوالي حجم اسكتلندا.

وقالت جامعة أدنبرة، ان العلماء سيدرسون جرفاً جليدياً هشاً بالقطب الجنوبي لتحديد الاثر المحتمل للانهيار المرجح على مستويات البحار في العالم. مضيفة، ان " لارسن سي " ، ربما ينهار خلال عقود. ويمكن أن تشير الاختبارات أيضاً الى سبب انهيارات " لارسن أيه " و " لارسن بي " .

ولا يؤثر انهيار الجرف الجليدي مباشرة على ارتفاع مستويات البحار، لأن الجليد يطفو بالفعل على المحيط. لكن الانهيارات السابقة تظهر ان الانهار الجليدية الداخلية تبدأ عادة في الانزلاق بشكل أسرع الى البحار لتزيد إمدادات المياه وترفع من مستويات المحيطات.

وقال اندرو شبرد من جامعة ادنبرة وأحد الخبراء، الانهار الجليدية وراء الجرف لارسن سي أكبر كثيراً، فهي تجف جزءاً أكبر كثيراً من القارة القطبية الجنوبية.

وقالت لجنة الامم المتحدة للمناخ العام الماضي، ان مستويات البحار في العالم قد ترتفع ١٨ الى ٥٩ سم بحلول عام ٢١٠٠ من جراء ارتفاع

حرارة الارض، وهو ما قد يؤدي الى مزيد من الفيضانات وموجات الجفاف والامواج الحارة والعواصف القوية. كما سيرى العالم ما اذا كان الجرف ينهار بسبب ارتفاع حرارة الارض أو ما اذا ارتفاع الحرارة في المكان هو المسؤول.

معلومات عن التطور من الحياة المائية الى البرية:

قال علماء أميركيون، ان نظرة جديدة الى سمكة متحجرة عمرها ٣٧٥ مليون سنة توفر معلومات إضافية عن عملية التطور من الحياة المائية الى البرية. وذكرت أكاديمية العلوم الطبيعية ان دراسة السمكة تيكثاليك روزيا تشير الى الانتقال من الحياة المائية الى البرية وما يرافقها من تغيرات في شكل الجمجمة والزعانف.

يشار الى ان نتائج الدراسة نشرت في عدد مجلة نايبشر الصادر في ١٦ تشرين الاول الحالي، وعثر على السمكة في العام ٢٠٠٤ فوق الدائرة القطبية الشمالية في جزيرة إليسمير الكندية. وقال الباحثون ان السمكة كانت تملك فكاً وزعانف وحرشف بالإضافة الى جمجمة ورقبة وضلوع وأوصال تشبه تلك الموجودة لدى الحيوان الذي يسير على ٤ قوائم.

وقال المسؤول عن الدراسة جايسون داونز، يساعد وجود تجويف الدماغ والحلق والخياشيم في الكشف عن نظرية التطور في الجمجمة فنحن نلاحظ وجود ميزات خاصة بالحيوانات التي تعيش على البر ما يشير الى بدء التأقلم مع الحياة في مياه قليلة العمق.

اكتشاف آثار فرعونية جديدة تعود لحوالي أربعة آلاف عام:

اكتشفت بعثة أثرية مصرية أكثر من ١٢٠ أنية فخارية تعود لأكثر من ٣٨٠٠ عام بحسب ما أكدته وزارة الثقافة المصرية. وقال الامين العام

للمجلس الأعلى للآثار في مصر زاهي حواس في بيان، إن البعثة اكتشفت الأواني الفخارية داخل هرم اللاهون بالفيوم جنوب القاهرة، الذي بناه الملك سنوسرت الثاني، رابع ملوك الاسرة الـ ١٢ حكمت مصر من ١٩٨٧ الى ١٨٩٨ ق.م.

من جهته أكد رئيس الادارة المركزية لآثار مصر الوسطى عبدالرحمن العابدي أن البعثة ذاتها اكتشفت داخل الهرم غرفة دفن تحتوي على تابوت من الغرانيت المصقول جيد الصنع.

وأضاف العابدي أن البعثة عثرت على كميات كبيرة من الأواني الفخارية وأوان من الألباسبر و١١٥ تمثالاً ووجهاً خشبياً يحمل ملامح الملك الفرعوني سنوسرت الثاني. وأشار الى ان البعثة عثرت أيضاً في غرفة أخرى على أجزاء من مركب جنائزي يبلغ طوله حوالي ستة أمتار وعلى عدد آخر من المجاديف. وأكد المسؤول المصري أن الاكتشاف الجديد يلقي الضوء على الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت موجودة في ذلك العصر. وإمكانية قيام المصريين القدماء بمبادلات تجارية مع دول أخرى.

استعادة كتاب نبيوتن بعد ٤٠ عاماً على سرقته:

قالت جامعة اوبسالا السويدية انها تمكنت من استعادة نسخة من كتاب (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) للعالم اسحق نبيوتن بعد سرقته منذ ٤٠ عاماً. ونقلت وكالة الانباء السويدية (تي تي) عن مسؤولين في الجامعة قولهم ان الكتاب الذي قدمه لها عالم الفلك بيتروس الفيوس بعد وقت قصير من نشره في العام ١٦٨٧، اختفى من مكتبة الجامعة في ستينيات القرن الماضي. وأضاف المسؤولون ان الكتاب أعيد الى الجامعة من قبل جامع كتب أميركي اشتراه في مزاد بنيويورك في العام ٢٠٠٤.

وقال عميد جامعة اوبسالا السابق ، لهذا الكتاب قيمة خاصة لجامعة اوبسالا. في الطائفة، وفي طريق العودة الى السويد وضعت الكتاب ضمن محفظة داخل حقيبة يدي، ولم أبعد عن نظري الى ان وصلت الى اوبسالا. يشار الى ان نيوتن (١٦٤٣ - ١٧٢٧) فيزيائي ورياضي وكيميائي وفيلسوف إنكليزي، وهو يعتبر من أعظم العقول التي مرت على البشرية. وقد أوضح نيوتن قوانين الكون بالنسبة للجاذبية والحركة بوضع القوانين الثلاثة للحركة. كما يعتبر مؤسس العلوم البصرية الحديثة التي تفسر حركة الضوء، وتمكن من اختراع التلسكوب العاكس ليتغلب على مشكلة الألوان التي تظهر في التلسكوبات المعتمدة على الضوء المنكسر.

يقاضي شركة الجوال بسبب نكتة ضد الفراعنة:

أثارت نكتة غضب أحد أبناء الصعيد بعد أن وصلته على هاتفه الجوال، مما جعله يسارع الى إقامة دعوى قضائية اتهم فيها رئيس مجلس إدارة شركة المحمول بسبه وقذفه والاساءة لتاريخ بلاده وأجداده، كما أفاد خبر نشرته إحدى الصحف المصرية.

وكان العميد بكلية الشريعة عزت صلاح عبدالعزيز تلقى رسالة على هاتفه المحمول من رقم تابع لإحدى شركات الهاتف الجوال والخاص بإرسال الرسائل الفكاهية لعملائها مضمونها (ليه .. الفراعنة كانوا عيال ؟ .. علشان بيكتبوا ويشخبطوا على الحيطه). واعتبر عبدالعزيز تلك النكتة سباً وقذفاً لشخصه كونه مصرياً وإساءة لتاريخ بلاده وأجداده الفراعنة فأقام دعواه مطالباً بمعاذرة رئيس مجلس إدارة الشركة بصفته المسؤول عن وصول هذه الرسالة لهاتفه وإلزامه بدفع تعويض مؤقت قدره ١٥ جنيهًا، أي حوالي ٩ دولار.

دراسة شاركت فيها ٣٦ دولة:

التلامذة الاسيويون يتخطون التلامذة الاميركيين في الرياضيات:

أفادت دراسة ان التلامذة الاميركيين قد حسنوا أداءهم في مادتي الرياضيات والعلوم في السنوات العشر الاخيرة، لكنهم ما زالوا متأخرين عن التلامذة الآسيويين والأوروبيين. وتتجاوز العلامات في مادتي الرياضيات والعلوم في سبعة بلدان آسيوية وأوروبية علامات التلامذة الاميركيين على مستوى الصف السابع.

وفي الصف الرابع الذي شملته أيضاً الدراسة الواسعة عن الاتجاهات في الرياضيات والعلوم. أكدت النتائج ان تلامذة البلدان الآسيوية الخمسة يتمتعون بمستوى يفوق مستوى التلامذة الاميركيين.

وعلى مستوى الصف السابع، يتميز التلامذة في كل من هونغ كونغ وسنغافورة وتايوان واليابان وكازاخستان وروسيا وبريطانيا، بقدرة استيعابية تفوق قدرة التلامذة الاميركيين. وفي الصف الرابع، يعتبر التلامذة في تايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وهونغ كونغ واليابان، أقوى من التلامذة الاميركيين في مادة الرياضيات.

وقد شارك ٣٦ بلداً في هذه الدراسة التي تجري كل ٤ أعوام منذ ١٩٩٥. ولا تشارك فيها فرنسا منذ ١٩٩٥ حيث تبين ان تلامذتها في الصف الرابع هم أقوى في الرياضيات وليس في العلوم من التلامذة الاميركيين.

مليار جائع في العالم:

أعلنت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة " الفاو " ان ارتفاع أسعار الغذاء في العالم قد زادت عدد الجوعى في العالم أربعين مليوناً. ويعني هذا أن هناك أكثر من ٩٦٠ مليون شخص في العالم يتضورون جوعاً.

ونقلت شبكة سي أن أن الاميركية، عن كوستاس ستاموليس رئيس قسم الاقتصاديات في المنظمة، قوله ان ارتفاع أسعار الغذاء كان له أثر مدمر على أشد قطاعات السكان في العالم ضعفاً وانعدام الامان.

وكان ستاموليس يتحدث في مؤتمر صحفي عقده في روما لتقديم التقرير السنوي للمنظمة. ويقول التقرير السنوي للمنظمة انه بالنسبة للملايين من الناس في الدول النامية وخاصة في آسيا وأفريقيا فإن توفر الحد الأدنى من الطعام الكافي لضمان العيش بنشاط وصحة قد أصبح حلمًا بعيد المنال.

ويضيف التقرير أن عدم تعويض النافذ من مخزون الطعام، بالاضافة الى تذبذب الاسعار والأزمة المالية العالمية لا تزال تضر بالأمن الغذائي فيما تبلغ أسعار الغذاء في الأسواق المحلية أسعاراً قياسية.

وحذرت الفاو في تقريرها السنوي من أن تحقيق هدف الألفية بخفض عدد الذين يعانون من سوء التغذية في العالم الى النصف بحلول عام ٢٠١٥ أصبح أبعد من أي وقت مضى. ويحذر جاك ضيوف زعيم المنظمة منذ أعوام من انعدام التقدم في الحرب على الجوع.

وقال : في عام ٢٠٠٦ قلت إننا سنحقق هدف الألفية لا في ٢٠١٥ بل ٢٠٥٠ واستضاف ضيوف في حزيران الماضي مؤتمراً عالمياً للغذاء أعلن فيه أن هناك حاجة الى مبلغ ٣٠ مليار دولار سنوياً لتعزيز الانتاج الغذائي في الدول النامية.

وقال ضيوف إن هذا المبلغ يمثل ٨% فقط مما تنفقه الدول المتقدمة على دعم قطاعاتها الزراعية. وتعيش الغالبية العظمى من الجوعى في العالم " ٩٠٧ مليون شخص " في الدول النامية، يوجد ٦٥% منهم في سبع دول فقط هي الهند وبنغلادش والصين وباكستان واندونيسيا واثيوبيا وجمهورية الكونغو الديمقراطية.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يشدد على الاحترام المتبادل وإسقاط الاتهامات بين المذاهب الاسلامية:

في أعقاب انعقاد اجتماع هيئة أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في قطر، جرى التأكيد على ضرورة طرح المواضيع العقائدية بين المذاهب الاسلامية في أجواء علمية بعيداً عن السجلات الاعلامية والمجاذبات الصحافية.

وتمخض اجتماع هيئة أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي التأم يومي ١٤ و ١٥ أكتوبر الماضي في قطر بهدف تدارس القضايا والتحديات في العالم الاسلامي.

والتصريحات الأخيرة للشيخ القرضاوي، تمخض عن صدور بيان من ثماني فقرات. وشدد العلماء المشاركون في هذا الاجتماع على الوحدة الاسلامية بين كافة المذاهب والاجماع على المرجعية العليا للقرآن والسنة النبوية وضرورة الاحترام المتبادل بين المذاهب، مطالبين بتجنب كل شكل من أشكال التبليغ الديني الطائفي المنظم في مناطق المذاهب الاخرى.

كما شجب البيان الاساءة لعلماء الأمة الاسلامية واهانتهم (ومن بينهم الشيخ القرضاوي)، فضلاً عن بقية مراجع الدين للأمة الاسلامية.

وفي جانب آخر من بيان الاتحاد ان علماء الدين يطالبون من خلال تأكيدهم على حرية الصحافة الملزمة من بين كافة وسائل الاعلام، ان تضع في اعتباراتها الأسس الشرعية والمهنية والاخلاقية على صعيد الالتزام بأداء رسالتها، وان تتحرر عن كل شكل من أشكال إثارة الفتنة مما يؤدي الى حصول حالات سوء الفهم غير السليم، كما أدان البيان الأوار التي لعبتها بعض وكالات الانباء والمحطات الفضائية ومواقع الانترنت في تأجيج نار الفتنة الطائفية. واقترح اجتماع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين تشكيل لجنة متخصصة لدراسة كافة المحاولات والاجراءات المذهبية الضارة بالوحدة في

البلدان الإسلامية. واعتبر الاتحاد تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني مسؤولية تقع على عاتق الفلسطينيين وجميع المسلمين، مؤكداً أهمية بذل الجهود من أجل تحقيق ذلك وإعادة إعمار البقاع الإسلامية المقدسة ورفع الحصار عن المظلومين في غزة.

وعلى صعيد التخوف من الإسلام، شدد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين على أن ظاهرة التخوف من الإسلام الرائجة حالياً في أمريكا وأوروبا تقف وراءها أنشطة المتطرفين، وليس لها أدنى صلة بالحقائق الإسلامية ولا سلوكية المسلمين، وإن الاتحاد يثني على الخطوات الساعية لإزالة هذه الظاهرة في هولندا وبريطانيا والنمسا وألمانيا وكذلك الجهود لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا الاتجاه.

وأكد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين على صيانة حقوق الأقليات المسلمة وضرورة التعاون والمحافظة على وحدتهم، داعياً الحكومات للمبادرة إلى تكريس وتطبيق العدالة والمساواة وتجنب الإجراءات الطائفية والعنصرية ووقف التجاوزات على حقوق الأقليات المسلمة بغية إشاعة الاستقرار والأمن في المنطقة. وأدان هذا البيان أيضاً عمليات القصف العشوائي للمناطق الباكستانية من جانب القوات الأميركية.

تجدر الإشارة إلى أن بيان الاتحاد العالمي للمسلمين جرى إصداره بحضور رئيس الاتحاد الشيخ يوسف القرضاوي. ونائب الرئيس آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، وعضو هيئة الامناء حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد سعيد نعماني، والأمين انعام للاتحاد الدكتور سليم العوا وباجماع الأعضاء الـ ٤٧ لهيئة أمناء الاتحاد المنتخبين عن البلدان الإسلامية.

حاجات بذقون طويلة:

شهد موسم الحج العام الحالي ظهور نساء كبيرات في السن، قدمن الحج من دول آسيوية مثل باكستان، بذقون طويلة تدفع للاعتقاد بأنهن من الرجال، كما ذكرت صحيفة (الوطن) السعودية.

ونقلت العربية نت عن الصحيفة أن المثال الأشد غرابة هو الحاجة الباكستانية (حزن طاهر مهان) والبالغة من العمر ٦٠ عاماً التي أبهرت كل المارين بطول لحيتها وهي في طريقها لرمي الجمرات، وبجوارها ابنها عبدالجليل خان.

ممثل المفوضية العليا لشؤون اللاجئين يشيد بحسن استضافة ايران للاجئين:

أشاد مندوب المفوضية العليا لشؤون اللاجئين كارلوس زاكاغيني الأربعاء، بحسن استضافة الشعب الايراني للاجئين ومن بينهم اللاجئين الأفغان. وأضاف زاكاغيني في تصريحات بمناسبة مرور ستين عاماً على التصويت لصالح الميثاق العالمي لحقوق الانسان، في ايران يعتبر دعم حقوق الانسان بالنسبة للاجئين قضية يولي الشعب الايراني الاهتمام بها بصورة كبيرة. وأضاف، أن الجمهورية الاسلامية الايرانية حققت انجازات طيبة في الحفاظ على حقوق الانسان بالنسبة للاجئين في أراضيها.

ورداً على سؤال حول عدم استطاعة اللاجئين الافغان المشاركة في امتحان الدخول الى الجامعات الحكومية الايرانية قال: ان هذا القرار ليس جديداً بيد أن اللاجئين يمتلكون الحق في الدراسة بالمدارس الى جانب نظرائهم الايرانيين ويحق لهم المشاركة في امتحان الدخول للجامعات الخاصة الايرانية.

مؤتمر المناخ الأممي يقر صندوقاً لمساعدة الدول الفقيرة:

اختتم في بوزنان البولندية مؤتمر الأمم المتحدة حول المناخ بالاعلان عن اتفاق لمساعدة الدول الفقيرة على مواجهة الفيضانات والعواصف والجفاف، في حين تحقق تقدم وصف بالطفيف على صعيد جهود خفض الانبعاثات التي تسبب الاحتباس الحراري.

ووضع وزراء البيئة المشاركون في المحادثات قواعد لصندوق التكيف مع الفيضانات والانهيارات الطينية والجفاف وارتفاع منسوب البحر. ويتوقع أن يوفر الصندوق أموالاً نقدية لتطوير نظم انذار من العواصف او دفاعات بحرية أو محاصيل مقاومة للجفاف، كما منحت الدولة النامية تسهيلات للحصول على الأموال في حين حصلت الدول الغنية على ضوابط تضمن لها أن الأموال تنفق بشكل سليم.

وينتظر أن يكون الصندوق، أحد النقاط القليلة التي اتفق عليها في اجتماعات بوزنان، قادراً على اجتذاب أرصدة تصل قيمتها نحو ٨٠ مليون دولار وقد ترتفع الى ٣٠٠ مليون سنوياً بحلول العام ٢٠١٢. وطبقاً لتقديرات الأمم المتحدة فإن الدول الفقيرة ستحتاج الى عشرات المليارات من الدولارات سنوياً بحلول العام ٢٠٣٠ لمواجهة تغير المناخ. في المقابل قال جون آشي ممثل أنتيغوا وبربودا التي تترأس مجموعة الـ ٧٧ التي تضم عدة دول نامية بالاضافة الى الصين، ان الصندوق خطوة غير كافية.

من جهته قال وزير البيئة الألماني سيغمار غبريال إن المبالغ الحالية الخاصة بصندوق التكيف قليلة للغاية، مشيراً الى تأجيل مناقشة بشأن بحث مصادر أوسع للتمويل الى اجتماع آخر. وأوضح وزير البيئة البولندي ماتياج نوفيتشكي الذي ترأس الاجتماعات التي شاركت بها ١٨٩ دولة، أن الاتفاق سيساعد في تسهيل التوصل الى اتفاق شامل العام المقبل في العاصمة الدانماركية كوبنهاغن.

من ناحية أخرى وافق الاتحاد الاوروبي على إقامة صندوق بقيمة ٦٠ مليون دولار للمساعدة على مواجهة تأثير الاحتباس الحراري باتخاذ إجراءات مثل إقامة حوائط بحرية.

في الوقت نفسه انتقدت منظمة حماية البيئة الالمانية المعروفة بجماعة السلام الأخضر قرارات القمة الاوروبية حول المناخ، كما وجهت نقداً لاذعاً لدور المستشار الالمانية ميركل، ونقلت صحيفة نويه بريسه التي تصدر في هانوفر عن خبير جماعة السلام الاخضر كارستن سميد، قوله، لقد تخلت من تسمي نفسها مستشارتنا في أمور المناخ عن دورها القيادي في حماية المناخ لتصبح يداً طولى بصناعة الطاقة. وأشار سميد الى ان ميركل روجت في بروكسل للترتيبات الصناعية الخاصة التي ستستفيد منها مفاعلات توليد الطاقة بالفحم وهي ضارة بالبيئة.

واعتبر أن الصناعة هي التي فازت في النهاية وليس المناخ، قائلاً للصحيفة : لقد جعلت ميركل من نفسها متحدثة باسم الصناعة وهو ما يجعل مستقبلنا مظلماً.

مسلسل الاساعات للرسول (ص) لا يتوقف:

فيما انتهى اجتماع لمجموعة من الأساقفة الكاثوليك انعقد مؤخراً في الفاتيكان الى اتهام الدين الاسلامي بعدم احترام حقوق المرأة التي ينص عليها الاعلان العالمي لحقوق الانسان، والى دعوة الكنيسة بتوخي " الحذر " في جهودها للتقارب مع الاسلام، دعت إحدى الصحف الالمانية وإسمها " تاتينك " وهي متخصصة في الهجاء والتهكم، لتنظيم مسابقة في ١٨ تشرين الأول الحالي تحت عنوان " من يشبه محمداً ؟ " لتقليد طريقة النبي في القول والفعل على هامش معرض فرانكفورت الدولي للكتاب. " أشيم فرينز " مدير متحف كاريكاتورا للفن الكوميدي الذي ستقام فيه المسابقة قال: انه سيكون أول حدث

يشهده المتحف الجديد، وأضاف، من الصعب أن نرسم شكل النبي محمد (ص) ولكن من الممكن أن نحاول تقليده في القول والفعل.. ولذلك ندعو المؤمنين وغير المؤمنين لحضور المسابقة.

مجلة دير شبيغل الألمانية وصفت المسابقة بأنها أخطر حدث في المعرض، وبأنه سيكون بمثابة القنبلة، خاصة أنه صمم هذا العام لكون تركيا ضيفة الشرف بالمعرض، مشيرة الى تمادي الجهة المنظمة في سخريتها وتهكمها بتوجيه الدعوة للرئيس التركي عبدالله غول للمشاركة في المسابقة.

اعرف ان المسلسل الاساءات للنبي الكريم لا ينتهي، وبأن كثيراً من المنابر الثقافية والاعلامية والسياسية الغربية قد دخلت على هذا الخط لاستفزاز المسلمين وتجريح دينهم ومقدساتهم، فيما لم تتجاوز ردودنا عليها - في أغلب الأحيان - إشهار الغضب والرفض " نتذكر ان الدعوات التي تنطلق من بلادنا الاسلامية للحوار بين أتباع الأديان لا تشترط وقف هذا المسلسل بل ولا تدرجه أصلاً على أجندة مؤتمراتها " ، لكن المهم هنا ان الاساءة الاولى التي صدرت عن الاساقفة الكاثوليك في مؤتمرهم بالفاتيكان، لم تصدر عن هواة متطرفين وإنما عن رجال دين متخصصين، ألم يسيء البابا بندكيت نفسه للإسلام في محاضرته الشهيرة قبل سنوات؟

وبالتالي فإن الاحتجاج عليها من قبل العلماء المسلمين، لا سيما دعاء حوار الاديان، تبدو ضرورية، كما ان الاحتجاج على الفاتيكان الذي استضاف هؤلاء ضروري أيضاً، والمسألة لا تتعلق بجذوى تقديم الاحتجاجين فقط، وإنما لوضع الغرب الديني والسياسي أيضاً أمام حجم التجاوزات التي يقوم بها لإذكاء نزعة الصراع الديني والثقافي في العالم.. ولإظهار موقف المسلمين الرافض لمثل هذه الاتهامات لا في اطار الكلام فقط، وإنما الفعل أيضاً.

الاساءة الثانية التي من المتوقع ان تكون أبرز أحداث ومفاجآت معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي افتتح قبل أيام، تشير أكثر من علامة استفهام، فمعظم الدول العربية والاسلامية شاركت في هذا المعرض، ولم نسمع حتى الآن أي تعليق على المسابقة من أحد، باستثناء ما نشرته الصحف التركية عن الموضوع، " صحيفة الصباح التركية " وصفت المسابقة بأنها ، لا يصدقها عقل. كما ان المعرض يعد أكبر تظاهرة ثقافية عالمية يشارك فيه نحو ٨٠٠ ألف عارض من ١١٠ بلد، ويزوره أكثر من ٢٨٠ ألف زائر، وينضم نحو ١١ فاعلية ثقافية، ومن المخجل هنا أن تكون صورة الاسلام وصورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحديداً، محل تهكم وسخرية، فيما لا نجد أحداً في عالمنا الذي يتحدث عن احترام الاديان والرموز الدينية يطالب بوقف هذه المهزلة، مما يعني ان درجة الهوان التي وصلت اليها أمتنا دفعت العالم كله الى الاستهانة بنا. وعدم أخذ احتجاجاتنا وغضبنا على محمل الجد. لا أدري بالطبع، اذا ما كانت المسابقة ستتم على هامش المؤتمر أم انها ستلغى. من المتوقع ان تكون قد أجريت ابان كتابة هذا المقال حسب مواعدها المقرر، لكن مجرد التفكير فيها واعلان ونشر ملصقات تروج لها في المؤتمر، يكفي لمعرفة نوايا هؤلاء البشر الذين لا يزالون مصرين على الاساءة لديننا ولرسولنا عليه السلام. وعلى تجريح كرامتنا والاستهزاء بنا فهل بوسعنا أن نرد بشكل مقنع وحضاري ومؤثر.. أم ان هذا المسلسل سيمضي بحلقاته دون أن يكثر بنا أحد؟

كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية عن طريق مركز هامبورغ الاسلامي:

تمت كتابة القرآن الكريم للمرة الاولى بالأحرف اللاتينية عن طريق مركز هامبورغ الاسلامي. وأفاد مراسل وكالة " ايكنا " نقلاً عن المركز الاخباري لحوزة قم العلمية، انه بعد التجربة الناجحة لكتابة الألفاظ باللغة

اللاتينية التي قام بها مركز هامبورغ الاسلامي قبل عامين والتي لقيت استحسان واستقبال جيل الشباب: قام المركز باعداد ونشر كتاب يحوي لفظ النص الكامل للقرآن الكريم بالأحرف اللاتينية.

وعلى أساس هذا التقرير فإنه تمت كتابة لفظ كلمات القرآن بشكل سلس وواضح حتى يتسنى للأشخاص الذين لا علم لهم باللغة العربية قراءة القرآن الكريم بكل سهولة ويسر.

كما أعلن مركز هامبورغ الاسلامي ان هذا الكتاب يمكن ان يستفيد منه كل من يعرف الأحرف اللاتينية وليس حصراً على الألمان فقط. وقد تمت طباعة هذا الكتاب بعدد محدود ومن المقرر رفعه على شبكة الانترنت حتى تتاح فرصة الاستفادة منه للجميع.

٣٥٠٠ بيت منها في وصف الأئمة المعصومين ..

شاعر كرمانشاهي ينشد قصيدة عدد أبياتها بعدد آيات القرآن:

قام الشاعر " علي أصغر قهرماني " بإنشاد قصيدة شعرية عدد أبياتها يساوي عدد آيات القرآن الكريم. وأفاد مراسل وكالة " ايكن " ان علي أصغر قهرماني من محافظة كرمانشاه شاعر إيراني يكتب الشعر باللغة الكردية والفارسية وله ٣ دواوين شعرية حتى الآن في المجالات الدينية والاجتماعية. وقد قام فارس كرمانشاه بكتابة قصيدة عدد أبياتها مساوٍ لعدد آيات القرآن الكريم أي ٦٠٦٦ بيت شعر منها ما يقارب ٣٥٠٠ بيت في وصف الأئمة المعصومين (ع). ومن الأمور الجذابة في هذا الشاعر انه قام بنحت عدد من أشعاره على بلاطة ضريحه التي جهزها من سنين.

خبير: الصين تبرز بسرعة كقوة عظمى في العلوم والتكنولوجيا:

قال فوفان توريكيان، كبير المسؤولين الدوليين بالرابطة الاميركية لتطور العلوم، بأن الصين تبرز بسرعة كاحدى الدول الرئيسة في مجالي العلوم والتكنولوجيا. وعلق توريكيان قائلاً: منذ أكثر من ٣٠ عام تبني الصين شركات علمية من الطراز العالمي وتطور البنية التحتية وقاعدة الموارد البشرية للمضي قدماً في مجالي العلوم والتكنولوجيا.

وكان توريكيان والان ليشنر المدير التنفيذي للرابطة الاميركية لتطور العلوم، قد نشر ا مقالاً افتتاحياً بعنوان " العلوم الصينية تمضي قدماً " في المجلة العلمية جورنال ساينس. قالوا فيه، أن الصين كأحد الاقتصادات الأسرع نمواً في العالم هي أيضاً الأسرع نمواً في دعم البحث والتطور العلمي. حيث زاد تمويلها للأبحاث والتطور العلمي لتحتل المركز الثالث في العالم بعد الولايات المتحدة واليابان.

وقال توريكيان، أن هناك بعض الأدلة على أن الصين هي الآن الثانية بعد الولايات المتحدة في تمويلها للأبحاث والتطور العلمي. وأضاف: بالنظر لتاريخ الابتكار الصيني الطويل الذي يعود لقرون، فليس من المدهش أن تبدأ الصين هذه الاستثمارات في مجالي العلوم والتكنولوجيا كجزء حيوي من تنميتها الاقتصادية والاجتماعية.

وحول قوة الدفع التي تقف وراء تقدم الصين الملحوظ في العلوم والتكنولوجيا، قال توريكيان، أن اطلاق حملة التحديات الأربعة لعب دوراً هاماً في دفع هذه الحقبة الجديدة من النجاح العلمي. أضف الى ذلك ان تركيز القيادة الصينية الحالية على الاستثمار في العلوم والتكنولوجيا أصبح أمراً حيوياً للنهضة الأخيرة في العلوم الصينية.

وتابع توريكيان، أعتقد ان تعزيز التبادلات بين العلماء والطلاب الصينيين والغربيين أمر مهم للتطور السريع في العلوم الصينية، وأكد على

أهمية التعاون الدولي في هذا المجال، لافتاً النظر الى أن هذا بالأخص صحيح في القضايا الدولية، مثل البيئة والصحة العامة والابتكار.

وأشار توريكيان الى أن أحد أهم التحديات بالنسبة للصين، التي تضم مجتمعاً علمياً شديداً التنافس، هو كيفية التعامل مع الاخلاق والاستخدام العلمي الخاطيء. وقال، هذا ينطبق ليس على الصين فحسب، لكنه على جميع الدول في الواقع، فكلما زادت التنافسية للتطبيق بأعلى سرعة، تكون هناك دوماً فرصة لزيادة حالات الاستخدامات الخاطئة.

وأوضح توريكيان، انه بالتالي من المهم وضع لوائح رسمية وآليات تطبيق، بالإضافة الى تدريبات وتوعيات غير رسمية يمكن أن تقلل من حالات الاستخدام الخاطيء. وأضاف، أن مفتاح العلوم هو المغامرة والارادة. وتابع، لذا فإن المفتاح بالنسبة للصين والكثير من المجتمعات العلمية النامية هو ضمان تقليل الاستخدام الخاطيء الى أدنى حد، وتشجيع روح المغامرة والابداع.

طهران تستضيف حواراً بين رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية والمجلس العالمي للكنائس:

تستضيف طهران اجتماعاً دينياً برعاية مركز حوار الأديان لرابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ومشاركة المجلس العالمي للكنائس تحت عنوان "الدين والتعايش السلمي". والضيوف الأجانب المشاركون في هذا الاجتماع هم من أعضاء المجلس العالمي للكنائس برئاسة ريما بارسوم المدير التنفيذي للعلاقات بين الاسلام والمسيحية للمجلس العالمي للكنائس في جنيف. كما سيشارك كبير أساقفة الأرمن في طهران وشمال إيران سركيسيان في هذا الاجتماع.

وبدأت العلاقات بين مركز حوار الأديان في رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية مع المجلس العالمي للكنائس في عام ١٩٩٥. حيث التقى الرئيس السابق لهذه الرابطة آية الله محمد علي تسخيري مع الأمين العام للمجلس العالمي للكنائس في جنيف، وعقب هذا اللقاء أقيمت علاقات رسمية بين مركز حوار الأديان والمجلس العالمي للكنائس وبدأت المباحثات التمهيدية حول البحوث العامة للسلام والعدل بحسب الاسلام والمسيحية بحضور مفكرين وعلماء مسلمين ومسيحيين في جنيف بسويسرا.

يذكر أن المجلس العالمي للكنائس تأسس في العام ١٩٤٨ بهدف التنسيق بين الكنيستين العالميتين للارثوذكس والبروتستانت. ويقع مقر هذا المجلس في مدينة جنيف بسويسرا ويضم في عضويته حالياً أكثر من ٢٤٠ كنيسة تعني بشؤون تنظيم ٤٤ طائفة مسيحية تتوزع في أكثر من ١٠٠ بلد.

السفير الإيراني في طاشقند .. ثقافات الشعوب ليست لها حدود سياسية وجغرافية:

صرح السفير الإيراني في اوزبكستان كشاورز زاده بأن ثقافات ونتاجات الشعوب المكتوبة ليست لها حدود ثقافية وجغرافية. وقال كشاورز زاده في أمسية للشعر الفارسي والاوزبكي أقيمت مساء الأربعاء برعاية المستشارية الثقافية في سفارة الجمهورية الاسلامية الإيرانية في طشقند: ان نتاجات المفكرين والمتقنين والشعراء تسافر الى الدول الاخرى دون تأشيرات دخول وتقوم بالمزيد من إثراء الثروة الثقافية لهذه الدول.

وأضاف: ان الماضي الثقافي لايران مع اوزبكستان طويل جداً وان لشعبي البلدين الكثير من المشتركات .

من جانبه قال المستشار الثقافي الإيراني حبيب صفر زاده في كلمة له في هذا الحفل: هنالك الان في هذا الحفل الكثير من المفكرين والنخب

والشعراء الاوزبكيين البارزين وأفراد يعرفون الثقافة الايرانية جيداً ويتقنون اللغة الفارسية أيضاً. وأضاف صفر زاده، ان تاريخ الثقافة والنتاجات الثقافية المكتوبة لايران واوزبكستان مشترك، وان هذه الأرضية تؤدي دوراً مهماً في تطوير علاقات الصداقة والاخوة بين شعبي البلدين.

صدر كتاب جديد في الصين يؤرخ للعقد الأول من عمر الثورة الإسلامية الايرانية:

صدر في بكين كتاب جديد تحت عنوان " نحو الجمهورية " لمؤلفه الصيني زوجنك يؤرخ للعقد الأول للثورة الإسلامية في ايران. ويتحدث الكتاب المؤلف من عشرة فصول عن التطورات التي شهدتها ايران خلال السنوات العشر الأولى من عمر الثورة الإسلامية ونضال الشعب الايراني ضد النظام الملكي البائد.

ويشرح الكتاب كذلك المؤامرات التي تعرضت لها الثورة الإسلامية الفتية والحرب الظالمة التي فرضها نظام صدام المجرم المقبور على الجمهورية الإسلامية الايرانية ويتطرق المؤلف كذلك الى القيادة الحكيمة للإمام الخميني رضي الله عنه، في تلك الفترة.

داعياً لقطع العلاقات مع الدول المسيئة للإسلام والرسول ص:

المرجع نوري همداني: على المسلمين التصدي بحزم للمعادين للحيلولة دون تكرار الاساءات:

أكد المرجع الديني آية الله نوري همداني ضرورة قطع العلاقات مع الدول المسيئة للإسلام والنبي الأكرم (ص). وأشار المرجع نوري همداني في كلمته التي سبقت درس خارج الفقه في مدينة قم المقدسة الى اساءة الحكومة الالمانية للنبي الأكرم (ص) مؤخراً وقال : أن هذه الاساءات تحز في نفوسنا

ونتوقع من الحكومة في الجمهورية الاسلامية الايرانية أن تتخذ موقفاً مناسباً حيال هذه الجراءات. وتابع، أن الدول الغربية مدينة للمسلمين على صعيد تقدمها العملي وأضاف: حين كان النبي الاكرم (ص) يثمن العلم وكانت الأبحاث العلمية رائجة في المجتمعات الاسلامية كان الجهل عبر الاستفادة من كتب المسلمين.

وتابع قائلاً: ان الاستعمار الغربي تلقى صفعه من الاسلام وحاول خلال القرون الاخيرة وبشتى السبل إبراز حقده الدفين حيال الاسلام. وشدد على ضرورة تصدي البلدان الاسلامية بحزم وقوة للبلدان المسيئة للاسلام والنبي الاكرم (ص) وقال : على المسلمين ومن خلال التصدي بحزم لهؤلاء المعاندين الحيلولة دون تكرار مثل هذه الاساءات.

ضعف الذاكرة يرتبط بقلّة النوم:

كشفت دراسة حديثة أن العجائز الامركيين من أصل أفريقي الذين يجدون صعوبة في النوم هم أكثر عرضة للإصابة بالمشاكل التي لها علاقة بضعف الذاكرة أكثر من غيرهم.

وقال باحثون في جامعة نورث كارولينا إن هذه الدراسة تؤكد على أهمية معرفة أسباب قلة النوم عند هؤلاء العجائز والعمل على إيجاد العلاجات المناسبة لذلك، للحفاظ على قوة الادراك لديهم. ولاحظت الباحثة والاختصاصية في علم النفس أليسا غامالدو أن العجائز الاميركيين من أصل أفريقي يشكون من الصعوبة في النوم، وكنتيجة لذلك فإن عدداً كبيراً منهم يخفق في اختبارات الذاكرة مقارنة بنظرائهم الذين لا يعانون من هذه المشكلة. وقالت غامالدو إن الدراسة التي شملت ١٧٤ شخصاً تتراوح أعمارهم ما بين ٦٥ و ٩٠ سنة أظهرت أن أولئك الذين لا يحصلون على قسط كاف من

النوم يعانون من ضعف الذاكرة ولا يستطيعون القيام بمهمتين اثنتين في وقت واحد.

قرار يشير حفيظة الاساتذة الجامعيين:

أثار قرار إداري حفيظة الاساتذة الجامعيين في تونس واعتبروه تشكيكاً في مصداقيتهم ومساً من كرامتهم وتعدياً عليهم وعلى طرق عمل تعودوا عليها وطالبوا نقابتهم المهنية بالتدخل لدى سلطة الاشراف للترافع عن هذا القرار. والقرار مثار غضب الاساتذة الجامعيين صدر عن مديري الجامعات ومؤسسات التعليم العالي القاضي بضرورة توقيع الاساتذة على وثيقة الحضور والانصراف مع تمكين الادارة بقائمة عن الطلبة المتغييبين عن كل حصة، وهو الأمر الذي رفضه الاساتذة شكلاً ومضموناً لكونه سيؤدي الى تأثيرات سلبية على حسن سير الدروس. وعلل الاساتذة رفضهم للقرار بأن عملهم لا يقتصر على التدريس والحضور في المدرجات الجامعية وقاعات الدروس فحسب، بل إن الأمر يتعدى ذلك الى المشاركة في البحوث والمجالس العلمية وحضور وإعداد الندوات وتأطير الطلبة وهي أعمال تطوعية بدون أجر ويقومون بها دون توصية أو رقيب.

التعبئة تنجز العجائب في مجال خدمة المحرومين:

عن الوفاق/ العدد ٣٢٣ الصادر يوم الاربعاء ٢٠٠٨/١٢/٣ :

❖ ما هو الدور الذي أدته التعبئة خلال عهد البناء في إدارة وإعمار ما دمرته الحرب ؟

- خلال العشرة الثانية من عمر الثورة والتي دخلت فيها البلاد عهد البناء مرة أخرى دخل التعبويون الى الساحة شأنهم في ذلك شأن باقي شرائح المجتمع. وهنا بادر الامام الراحل " قدس " الى ابتكار آخر وهو تأسيس

منظمة جهاد البناء التي ضمت التعبويين تحت لوائها لكي يساهموا في أمر البناء، حيث حمل الشباب التعبويون على عاتقهم مسؤولية بناء البلاد لمدة عقد كامل وقاموا بإعادة إعمار ما دمر في الحرب.

في تلك المرحلة تم اقتراح دمج منظمة جهاد البناء مع وزارة الزراعة، وقبل المصادقة على تلك اللائحة في مجلس الشورى الاسلامي، استلم سماحة القائد الخامنئي دفة إدارة التعبئة وأصدر أمراً لقوات المقاومة للحركة باتجاه البناء لأننا كنا في حينها نعاني من مشكلة البطالة. ومن جانب آخر كان القائد يهدف الى القضاء على الحرمان فقام بإبلاغ ذلك للحكومة وتم انجاز المرحلة الاولى من المشروع عام ٢٠٠٠ رسمياً عن تأسيس تعبئة البناء.

❖ هل نستنتج من ذلك انه خلال العقد الثالث من عمر الثورة تم من خلال الاجراءات التي اتخذها سماحة القائد الخامنئي حسب حاجة البلاد توجيه حجم أكبر من طاقات التعبئة صوب إزالة الحرمان والتنمية الثقافية والاجتماعية ضمن اطار منظمة تعبئة البناء ؟

- لقد قامت هذه المنظمة بتشخيص حاجات البلاد ولفتت انتباه المسؤولين الى الطاقات الشابة التي هي على استعداد لوضع قدراتها في خدمة إزالة الحرمان وفي بناء البلاد.

وتم بالتدريج إعداد المقررات الداخلية لمنظمة تعبئة البناء وتقديمها للمجلس الذي صادق عليها وبذلك اعطيت صفة قانونية بمساعدة الحكومة ومن خلالها أمكن استثمار الطاقة المليونية للشباب والناشئين في خدمة البلاد. من جانب آخر كانت ثورتنا تواجه تهديداً هادئاً ثقافياً وسياسياً متزايداً، ولذلك كان يجب بث الوعي بن أبناء المجتمع حول هذا الخطر وهو ما تم بالفعل كما أن حضور الشباب في ساحات البناء والذي كان نوعاً من البناء الذاتي للشخصية كان يعتبر نوعاً من التصدي غير المباشر للهجوم الثقافي.

❖ ماهو الدافع وراء انجذاب الشباب وذوبانهم في ثقافة ومنظمة تحمل

اسم التعبئة خلال فترة الحرب وما بعدها؟

- لقد ذكر سماحة قائد الثورة أربع صفات للتعبوي هي العشق والايمان والوعي الثقافي. لقد قام الامام رحمه الله بتوعية الناس وبث الايمان في قلوبهم أي انه قام بترسيخ الصفات الأربع المشار اليها بشكل أو بآخر في نفوس أبناء الشعب حتى عام ٧٩، لكنه كان منذ البداية يسعى الى جعل التعبئة منظمة عقائدية تعتمد على القيم لكي لا تكون حكرأ على شريحة أو جنس أو سن معين لذلك فان التعبوي بامتلاكه لهذه الخصال يكون على أهبة الاستعداد للتضحية بنفسه وماله في سبيل أهداف الثورة والاسلام. ان هذه المنظمة لم تكن حزباً لأنه لا يوجد أي حزب بهذا الانتشار الواسع، كما انه ليس من المؤسسات الحكومية لأنه ليست هناك أية تنظيمات أو مؤسسات حكومية بهذه الشمولية.

❖ ان التعبئة مكان يمكن للشباب من خلاله الحصول على إجابة للقسم الأعظم من تساؤلاته. قبل ذلك كانت جميع الامكانيات والفرص المتاحة والأجواء الاجتماعية في البلاد تحت تصرف أشخاص معينين وفي صالحهم، أما في التعبئة فقد توفرت الفرصة للشباب على الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية لبناء الذات، ما مدى تأثير هذا الأمر على الميل صوب التعبئة ؟

- إن المنظمة التي تتعامل مع فطرة الناس ستنال نجاحاً أكبر. وإن التعبئة تعتمد على الفطرة الالهية والواقعية للناس والمتمثلة في عبادة الواحد الأحد أي أن هناك حالة من البحث عن الذات القدسية لله سبحانه وتعالى فيه وهذا هو السر وراء انجذاب الناس الى هذه الشجرة " التعبئة " لانها تنمو بحضور الناس. وقد عبر الامام الخميني " قدس " عن التعبئة بالشجرة الطيبة،

ان من خصائص النبتة الطاهرة أن لها جذوراً قوية ولها ظل وارف وثمررة وكثيرة الثمر على الدوام.

❖ هل هناك تنظيمات غير التعبئة تمتلك مثل هذه الصفات ؟

- إن جذور التعبئة متغلغلة في الثورة والاسلام وظل وارف على رؤوس أبناء الشعب وأن ثمار هذه الشجرة الطيبة تتجسد اليوم في خلق روح المقاومة في العالم الاسلامي وبين المستضعفين وهذا النوع من التنظيم هو قدوة تحتذي بها جميع الشعوب لاحظوا ثمار هذه النبتة، هل تعرفون أي تنظيم له ثمار دائمة كالتعبئة ؟ ثمار هي دنيوية وأخروية على حد سواء. اذا دخلت التعبئة حقل العلوم فانها ستصبح ثروة للشعب .. لذلك فان هذه المنظمة لها جذور ثرية وكذلك لها ظلال وارفة وثمرها أيضاً متواصل وليس محدداً بفترة زمنية خاصة.

من مميزات التعبئة انها تساهم في توسيع نفسها، إن الامام قال جيش الـ ٢٠ مليون ، ولدينا اليوم ١٣ ونصف مليون تعبوي في مختلف المجالات. تصوروا مع أنفسكم كم من القوى العاملة تحتاج ادارة كهذه لتسيير أعمالها؟ يعمل في قسم ادارة هذه المنظمة حالياً ١,٥ مليون شخص.

❖ من الانتقادات التي توجه من قبل البعض للتعبئة الجدوى من وجودها مع وجود الحكومة بكل مؤسساتها وتنظيماتها. ما هو رأيكم في هذا الصدد؟

- إن ما يميز التعبئة عن أي مؤسسة حكومية هو أن المؤسسة الحكومية يتم في البدء تجهيزها ثم تقوم بعد ذلك بالارتزاق ومن ثم تؤتي ثمارها. أما التعبئة فان تجهيزها وارتزاقها ونشاطها تأتي في مرحلة واحدة، أي أنهم يؤسسون الورشة ويقومون بأعمالها ثم يتطرقون الى قسم آخر فيها. ان منظمة تعبئة البناء المركزية التي تتولى مسؤولية الاعمار وإزالة الفقر والحرمان في المناطق المحرومة وتعمل على إثراء أوقات الفراغ لدى الشباب

عبر العمل والمثابرة تدار بواسطة عدد قليل من المدراء والخبراء، أي وزارة تدار بهذا العدد القليل من القوى العاملة ؟ ان هذه المنظمة قررت أن تصل احصاءاتها في مجال العمل والثناء الى ٢٠٠ مليون شخص في اليوم مع انتهاء خطة التنمية الخمسية. ان نظام التعبئة يجعلها لا تبحث عن الارتزاق التنظيمي، لأن هدفها هو السعي الى الخدمة والاعمار لتعود ثمارها على أبناء الشعب.

❖ التعبئة ليست فقط بناء إنما هي عبارة عن خلق نفسية تقبل المسؤولية بين الشباب وأن تسير القوى العاملة بما يتطابق مع أهداف المجتمع وتسان أراء الهجوم الثقافي. ما هو رأيكم في ذلك؟

- إن البناء يتضمن جزئين هما بناء القوى العاملة البشرية والثاني البناء المادي أي الاعمار والعمران، الفرق الآخر الذي يميز تعبئة البناء عن باقي المؤسسات هو ان المؤسسات الأخرى تتولى مهمة إزالة الفقر والحرمان عبر استخدام الأدوات والمصادر المعروفة وبواسطة القوى العاملة البشرية المدربة، أما تنظيم تعبئة البناء فواجبها بث إحساس " نحن قادرون " في المجتمع والعمل على تنمية نفسية السعي وتحمل المسؤولية بين الشباب وخلق محيط يساهم في توجيه طاقة ونشاط الشباب في الطريق الإيجابي والواقع في إزالة المحرومية هو ثاني أهداف هذه المنظمة، أما الهدف الأول لها في بناء الانسان والذي يتم الى جانبه إزالة الحرمان. لذلك عندما يقام معسكر للبناء، يتم نقل مشاعر مساعدة المواطنين للتلاميذ والطلاب.

إنَّ التعبئة تخلق الشعور بضرورة العمل والمثابرة والسعي. فاذا ما تمكنا من ايجاد هذه النفسية تكون قد بنينا الانسان لأن هذا هو الأساس في هذا العمل. نحن نتمكن من إزالة الحرمان عن طريق بناء الشباب وكذلك ترميم المدارس ونؤسس دور السلامة. في فترة الحرب كان كل نصر يحققه الشباب يصاحبه شعور بالفخر والعزة الوطنية والثقة بالنفس وبعد انتهاء الحرب أيضاً

توفرت الفرصة للشباب لكي يقوم الشخص ببناء نفسه أولاً في مختلف المجالات ليتعرف بعد ذلك على بيئة العمل ومن ثم عندما يقوم بعمل في مجال إزالة الحرمان فانه يفخر به وهو احساس مهم جداً.

❖ هل لكم ان توضح لنا شيئاً عن أولويات ومميزات مشاريع تعبئة

البناء؟

- ان المشاريع التي تقوم منظمة تعبئة البناء بتنفيذها، تتضمن سبعة مجالات هي المصادر الطبيعية والزراعية، ترميم المدارس، الصحة والعلاج، التعليم والخدمات الاستشارية، التعليم المهني والفني، الأعمال وإيصال الخدمات وإزالة الحرمان، وهذه المشاريع تمتاز بالميزات التالية: قصيرة الأمد وذات مردود سريع، شاملة وواسعة وعامة النفع. كما وضعت تعبئة البناء أولويات في تنفيذ هذه المشاريع منها اثناء أوقات الفراغ باستخدام طاقات الشباب في بناء البلاد، وإيصال الخدمات وإزالة الفقر من الأرياف والمناطق المحرومة، وتشخيص والتعرف على فرص الاشتغال وخلق الفرص للعمل، وتشير الدراسات التي أجريت على المشاريع والاجراءات التي قامت تعبئة البناء بتنفيذها بصورة منسجمة خلال الأعوام الثلاثة الماضية الى ان معسكرات الهجرة التي نفذتها هذه المنظمة كان لها تأثير بالغ على المواطنين الذين يقطنون في تلك المناطق، ومن آثارها على سبيل المثال خفض نفقات الحكومة وتسريع تنفيذ المشاريع الصغيرة ذات المردود السريع، نشر ثقافة العمل والسعي، تعزيز القدرات الفردية والجماعية للشباب وترسيخ النظام.

❖ يرجى منكم أن توضح لقرائنا وبلغه الاحصاءات والاعداد أداء تعبئة البناء خلال السنوات الثلاث الماضية في شتى المجالات.

- من أهم مجالات نشاط التعبئة الاقتصادية في الأرياف ترميم وتطوير وتجميل المدارس وهذا المجال له ارتباط وثيق برفع مستوى العلم والمعرفة في تلك النقاط وهو يعتبر أحد المؤشرات المهمة في التنمية

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في هذه المناطق. وقد لاقت هذه الاجراءات استقبالا حاراً من قبل الطلاب والناشئين والشباب المتطوعين المشاركين في معسكرات الهجرة.

وقد تم تنفيذ هذا النشاط بالتعاون مع مختلف المؤسسات كالتعبئة الطلابية والمعلمين وتعبئة اخواتنا النساء وتعبئة المجالات ونيابة الشؤون التربوية ومؤسسة التحديث في وزارة التربية والتعليم، وتشير الاحصاءات المتوفرة في متناول اليد الى انه خلال العامين والنصف الماضية تم تحسين وضعية ٢٧ ألف وحدة تعليمية ومدرسة في المناطق المحرومة في البلاد. والتي التحق بها التلاميذ مع بدء المدارس بكل شوق ولهفة ليدرسوا في صفوف جميلة ونظيفة ومصبوغة بالدهان وتحتوي على مقاعد ورحلات دراسية جديدة، حيث التحقوا بهذه المدارس من أجل كسب العلم والمعرفة، وذلك دون أي مقابل وأجر للتعبويين، فأجر هؤلاء هو الابتسامة المشرقة التي يرونها على وجوه هؤلاء التلاميذ.

❖ من القطاعات المهمة التي تعاني منها المناطق المحرومة في البلاد هو قطاع العلاج والصحة، ماهي الخطوات التي تم اتخاذها من قبل التعبئة بهذا الشأن؟

- من النشاطات الحيوية التي قامت بها منظمة تعبئة البناء ارسال الفرق الطبية والعلاجية والعقاقير الى الأرياف والمناطق المحرومة لغرض فحص القرويين مجاناً والمساهمة في رفع مستوى الوعي الصحي بينهم. ففي عام ٢٠٠٦ تم إيفاد ٥٣٢ فريقاً طبياً الى تلك المناطق المحرومة حيث قامت هذه الفرق بفحص ١٩٤ ألف شخص مجاناً وتم كذلك تنظيم دورات تعليمية تثقيفية صحية لـ ٤٢٠ ألف قروي أما في العام ٢٠٠٧ فقد أوفد أربعة آلاف فريق طبي، وشهد هذا العام نمواً لافتاً في هذا القطاع، وخلال الأشهر الستة الأولى من العام الحالي تم إرسال ٢٦٠٠ فريق طبي الى المناطق المحرومة

والقرى لتقديم الخدمات لأهالي هذه المناطق، وهنا اغتتم الفرصة لأقدم خالص شكري وامتناني لكافة الاطباء الخيرين الذين تعاونوا معنا وتطوعوا للخدمة ضمن هذه الفرق الطبية في تلك المناطق، كما كان لمنظمة تعبئة الاطباء وتعبئة الاخوات ووزارة الصحة والعلاج ومنظمة الحفاظ على البيئة تعاون جيد مع تعبئة البناء في هذا المجال.

❖ ان قطاع المنشآت والخدمات العامة من القاطعات التي يعاني سكان المناطق المحرومة من الحرمان منها ويطالبون بتقديمها باستمرار فهناك بعض من هذه المناطق تفتقد حتى الى طرق تربطها بالمناطق الأخرى، فما الذي تم اتخاذه بهذا الصدد؟

- بامكاننا اليوم ان نعلق وبكل فخر واعتزاز أنه خلال عامين ونصف وبجهود التعبويين والشباب الأعزاء وبتعاون المنظمات والمؤسسات الحكومية تم تنفيذ وانجاز ٦٦٥ مشروعاً إعمارياً في البلاد وتضم هذه المشاريع بناء مساجد، وبناء مدارس صغيرة، وإنشاء دور للصحة، وإنشاء ملاعب رياضية، وبناء منازل للمحتاجين، وشق طرق، وإيصال الماء وغيرها، كما تم تنفيذ مشاريع كبيرة من قبل تعبئة البناء في مجالات أخرى لا يمكنني أن أقدم احصاءات عنها الآن.

اجملاً شارك ما يقرب من ٣٨ مليون شخص في اليوم خلال عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ والنصف الاول من عام ٢٠٠٨ في انجاز المشاريع في المجالات السبعة التي غطتها معسكرات " هجرت " وهو عدو لم يسبق له تطير.

❖ ما هو تقييمكم لمدى نجاح معسكرات " هجرت " ؟

- ان تنفيذ أي نشاط يحتاج الى أرضية ثقافية وقانونية مناسبة. وقد وفر سماحة القائد الأرضية الثقافية والاجتماعية لهذا الأمر وأن شبكة قوى المقاومة في مختلف الشرائح الاجتماعية لها القدرة على تنظيم أبناء الشعب.

كما ان الأدوات اللازمة يمكن الحصول عليها عن طريق المؤسسات التنفيذية، لذلك من الضروري أن تبادر مختلف المؤسسات الى التوقيع على مذكرات تفاهم مع التعبئة والتعامل معها. وهذه المذكرات بحاجة الى أرضية قانونية بدأنا نشعر بها تدريجياً. في البداية كنا نسعى الى مذكرة تفاهم مع الجهاد الزراعي وكلما تقدمنا في الأمر أدركنا بأنه من غير الممكن تنفيذ ذلك من خلال مجرد عقد وهناك حاجة الى قانون ينظم عقد مذكرات التفاهم حيث أعدنا مسودة قانون عرضناها على المجلس الذي صادق بدوره عليه.

إذا ما أردنا تعبئة ٢٠ مليون شاب في دورة أمدها ١٠ أيام لغرض إزالة الحرمان فأنا بحاجة الى أن تقوم مختلف المؤسسات بتوفير الامكانية لاستخدام قوى عاملة زهيدة الأجور وشابة ومستعدة ومتلهفة للقيام بعمل في سبيل رضا الله تعالى .

لذلك كلما نتقدم للامام نجد تعاوناً أكبر من قبل هذه المؤسسات. إن إقامة معسكرات الهجرة بحاجة الى مذكرات تفاهم توقع مع المؤسسات سواء على مستوى تلاميذ المدارس أو على مستوى طلبة الجامعات.

❖ لماذا سميت بـ " هجرت " ؟

- أثناء هجرته يتنازل الشخص عن بعض الامكانيات الرفاهية التي يمتلكها للذهاب الى نقطة محرومة. لذلك فان ذلك يعتبر هجرة في سبيل رضا الله فمثلاً حدث خلال فترة الدفاع المقدس عندما كانت القوات التعبوية تهاجر الى جبهات الحرب فانها تتنازل عن امكانياتها الرفاهية وتهاجر الى المناطق المحرومة لمساعدة أبناء بلدهم ومواطنيهم المحرومين.

في مواجهة تهويد القدس:

يعرف كبار السن من المواطنين المقدسيين " حمام العين " في بلدتهم القديمة، معرفة تلتصق بذاكرة طفولتهم، حين كانوا يذهبون مع أسرهم الى

تلك الحمام الشعبية العريقة، والقريبة من باحات الحرم القدسي الشريف، ضمن أجواء احتفالية مفرحة. ويعرفون أنها أمست مهجورة ومتداعية الأركان منذ ما بعد العام ١٩٦٧ بقليل. وقد بقيت بعيدة عن الاهتمام من قبلهم ومن قبل قادتهم على حد سواء، حتى قيل لهم فجأة قبل بضعة أيام فحسب، إن إسرائيل قد افتتحت فيها كنيساً.

متى استولت إسرائيل على هذا المبنى التاريخي؟ ولماذا في الأساس لم تلتفت الأوقاف الاسلامية إن كان وفقاً إسلامياً له، فتعمل على ترميمه وإعادة تشغيله؟ وإذا كان ملكاً لأحدى العائلات المقدسية أصلاً، كيف ترك كل هذه المدة للخراب؟ وهل جرى تسريبه من قبل هؤلاء المالكين أو غيرهم، للمستوطنين اليهود؟

أسئلة كثيرة لا نجد أجوبة عنها، إلا بمزيد من الاستنكار ضد التهويد المتواصل للقدس كلها. ولن ينفع الاستنكار والشجب والتنديد في شيء. ولكننا بالمقابل، نصر بطريقة عجائبية مهلكة، على أننا لا نملك سوى هذا الجواب! والأنكى أنه يأتي متأخراً جداً دائماً. يعني في سياق ما نحن فيه، لم نكتشف أن ذلك المبنى التاريخي قد استولت عليه إحدى المؤسسات اليهودية المعنية بالسيطرة على الاملاك والعقارات الفلسطينية في القدس، إلا بعد أن تم هذا الاستيلاء فعلاً، وتم تنظيف المكان وتهيئته، وترميمه وتحويله الى كنيس. ما المدة التي اشغلت عليها إسرائيل، بمعداتا وعمالها وخبراتها، في الترميم والتحويل؟ سنة، سنتان، عشر؟ كلمة واحدة من أحد المسؤولين الفلسطينيين، لم نسمعها بهذا الشأن الخطير، حتى كان ما كان ! كيف؟ ولماذا؟

لا تعمل إسرائيل في الخفاء، فهي في عدوانها على جميع المستويات، وفي مختلف المواقع، وبخاصة في القدس، تقوم بإجراءاتها التهويدية علانية وعلى رؤوس الاشهاد. وإذا كان المواطنون الفلسطينيون والسلطة الوطنية وفصائل منظمة التحرير، الخ، جميعهم مغلوبين على أمرهم كافة في تحقيق

المواجهة المادية على الأرض لهذا العدوان الاسرائيلي المستمر، فليس من منطق المغلوب في الوقت نفسه، أن يقصر هذا المغلوب ذاته عن المعرفة المسبقة، والتصدي الاعلامي المبكر، وعن المقاومة المجتمعية، وفق الامكانات المتاحة على الصعد الشعبية، من احتجاجات وتظاهرات واعتصامات ومسيرات، وصولاً الى انتفاضة شاملة.

ونسلم في آن، عن أن القدس المعنية نفسها، ستكون عاصمة للثقافة العربية في العام ٢٠٠٩، أي بعد عدة أسابيع فقط، فماذا فعلنا لهذه العاصمة الثقافية سوى مجرد الاعلان عن الحدث الثقافي الكبير القادم؟

الواقع أن اسرائيل هي التي فعلت ما يشكل صفة لهذا الحدث، حتى قبل أن يحدث، بافتتاحها أول كنيس لها في جوار المسجد الأقصى. وقد تغنت بهذا الافتتاح على أن قبة الاقصى لم تعد وحدها في فضاء المكان، فثمة الى جوارها الآن، حسب قولها، وكما هو بالفعل على الأرض، قبة ثانية. كانت تسمى قبة حمام، وصارت قبة كنيس !

من المؤلم أن عناصر المواجهة لهذا التهويد مهتزة الى حد مفزع. فالفلسطينيون المشدودون الى حوار القاهرة، لعله يخرج بهم أخيراً الى وحدة أرضهم وقضيتهم وبرامج مسيرتهم المتعثرة، يدركون في هذه المرحلة التي تشهد زلزلة المال والاقتصاد على امتداد العالم، أن كل ما ينشدون إليه، يأتي في أسفل أوليات هذا العالم، بما فيه عالمهم العربي نفسه، وربما الى الخارج تماماً من هذه الأوليات. ويدركون في الوقت نفسه، أنهم وحدهم بالتالي، من يجب أن يقوم بالمواجهة ، ولو بأضعف الإيمان.

كيف تجعل عملك متعة ؟

يقول ج. أ. هارفيلد، أشهر الأطباء النفسانيين في انجلترا في كتابه علم نفس القوة: الجزء الأكبر من الارهاق الذي تعاني منه مصدره الذهن، أما

الارهاق الناتج عن مصدر جسدي بحث فهو أمر نادر. إذ إن الانسان يستطيع العمل لأطول وقت ممكن دون الشعور بالتعب ما دام يستشعر المتعة في هذا العمل.

وأشارت الى ذلك شركة " متروبوليتان " للتأمين على الحياة في كتيب عن الارهاق قالوا: إن العمل المرهق نفسه نادراً ما يسبب الارهاق، الذي لا يمكن علاجه بالنوم أو الراحة، إلا ان القلق أو التوتر أو الاضطراب العاطفي هي الاسباب الحقيقية للإرهاق.

هذه المعلومات أوردتها دورثي كارنيغي، زوجة دانييل كارنيغي، في كتاب جمعت فيه أفضل الفصول من كتب زوجها وأسمته " كيف تتعامل مع الناس ؟ فإذا استطعت أن تجعل المتعة ليست فقط في الوصول الى الهدف وإنما في كل خطواتك على الطريق فأفعل. إذا كان الوقت جزءاً من خطتك وخطواتك للوصول الى الهدف شكلاً من أشكال المتعة، فقد استكملت ادارة ذاتك.

ولا نستطيع أن نخبرك بالوسائل التي تستطيع أن تستمتع بوقتك عن طريقها فأنت خبير نفسك وتعلم خفاياها، ولكن نقدم لك بعض ما نظن انها وسائل لأن تجعل حياتك ممتعة.

سن المنشار: مرّ شاب على رجل في الغابة يقطع جذع شجرة بمنشار يدوي، كان الرجل ذا جسم كبير سمين، والعرق يتصبب منه، والتراب يغطي وجهه وملابسه فسأله الشاب: منذ متى وأنت تقطع هذا الجذع يا عمي؟ قال الرجل في إرهاق: منذ خمس ساعات. قال الشاب: استرخ دقائق تسن فيها المنشار، ثم استمر في العمل. نظر اليه الرجل بتعجب وعاد الى عمله، وهو يقول: إليك عني هل لدي وقت للراحة وسن المنشار، أريد أن أنتهي من هذا العمل السخيف. إنني أدعوك نفس دعوة هذا الشاب في هذه الخطوة استرخ قليلاً، واشدذ المنشار.

يقول دانيال كارنيجي في كتابه "دع القلق وأبدأ الحياة" وكتابه "كيف تتعامل مع الناس": أخبرني رئيس تحرير صحيفة في "نيواورليانز" أنه عندما رُتبت له سكرتيرته المكتب وجدت آلة كاتبة كان قد فقدتها من سنتين!! لأن مجرد منظر مكتب تغطيه رسائل غير مجاب عليها، وتقارير، ومفكرات كثيرة، كاف لتوليد الضيق، والازعاج والتوتر والقلق.

هذه العبارات أوردتها كارنيجي في فصل بعنوان أربع عادات في العمل تساعدك في تجنب الإرهاق والقلق، وكانت العادة الأولى هي "نظف مكتبك من جميع الأوراق باستثناء تلك التي تتعلق بعملك الآتي. ولما سأل أحد رجال الأعمال طبيبه النفسي: أين تحتفظ بالعمل الذي لم ينجز؟ أجاب: أحفظ به منجزاً.

الحافز المادي يساعدك على التخلص من الوزن الزائد:

قال باحثون أميركيون إن التخلص من الوزن الزائد يكون أسهل عندما يدخل عنصر المال في الأمر: ويقول الباحثون أن برامج فقدان الوزن التي تكافئ الأفراد بالمال، وتذكرهم بالمبلغ الذي سيفقدونه إذا فشلوا، تقدم حافزاً قوياً لفقدان الوزن مقارنة بالسبل التقليدية.

وكان الدكتور كيفن فولب من كلية الطب بجامعة بنسلفانيا يبحث عن وسيلة فعالة لمعالجة البدانة وهي مشكلة متزايدة تتطوي على مخاطر صحية خطيرة. وقال إن العديد من برامج فقدان الوزن تفشل لأن الأشخاص يطلب منهم تقديم تضحيات الآن من أجل مكافآت في المستقبل. وقال فولب الذي نشرت دراسته في دورية الرابطة الطبية الأمريكية أردنا ابتكار نظام للمكافأة يعطي المشاركين مكافآت في الحاضر.

ودرس فولب وزملاؤه نوعين من برامج الحوافز لفقدان الوزن: أحدهما كان مصمماً على نظام اليانصيب والذي يلعب المشاركون فيه

اليانصيب ويسمح لهم بجمع نقاط الفوز اذا أوفوا بأهداف فقدان الوزن. وتجري عمليات اليانصيب يومياً ويتم تعريف الاشخاص بما سيكسبونه لو أوفوا بأهداف فقدان الوزن.

وقال فولب في مقابلة عبر الهاتف، هناك حاسة قوية جداً في النفور من الخسارة، النظرية هي أن الناس لديهم حافز شديد لتجنب الخسارة. وأضاف، الفكرة كانت في ابتكار آلية حيث يكون النفور من الخسارة مساعداً على تحفيز الناس. الحافز المادي يساعدك على التخلص من الوزن الزائد.

والمجموعة الأخرى كانت بنظام يستثمر فيه المشاركون مبالغ صغيرة من أموالهم، بين سنت واحد وثلاثة دولارات يومياً، كانوا سيخسرونها نهاية الشهر اذا اخفقوا في الوصول الى أهدافهم. والاشخاص في هذه المجموعة أيضاً كانوا يحصلون على مكافأة اذا حققوا أهدافهم. وقال فولب: انك لا تتلقى جائزتك في نهاية الشهر إلا اذا كان وزنك أقل من الهدف المحدد للشهر.

وتابع الباحثون ٥٧ شخصاً بديناً ولكن صحيحاً من أجل مجموعة الضبط حيث كان يتم وزن الاشخاص في نهاية كل شهر. والجميع كانوا يهدفون لفقد ١٦ رطلاً بنهاية الأربعة الأشهر.

الاشخاص في المجموعات المحفزة فقدوا وزناً أكثر كثيراً من الذين لم يتلقوا مقابلاً مادياً نظير جهودهم وأوفى نحو نصف المشاركين في كل مجموعة بأهداف فقد الوزن. الاشخاص في برنامج اليانصيب ربحوا نصف ما اجماله ٣٧٨,٤٩ دولار وفقدوا نحو ١٣ رطلاً بينما الاشخاص في مجموعة الدفع المقدم حصلوا على ٢٧٢,٨٠ دولار وفقدوا ١٤ رطلاً.

وهؤلاء في المجموعة الضابطة والذين كانوا يكافؤن فقط بسرراويل جينز تتناسب ومقاساتهم فقدوا نحو أربعة أرطال بعد أربعة أشهر. وقال فولب أن الدراسات كان لها تأثير كبير في خفض الوزن على المدى القصير ولكن عندما توقف تدفق المال بدأ الوزن يزيد مرة أخرى.

لندن تعكس فن كتابة القرآن في معرض لمخطوطات نادرة:

يضم المعرض الذي أقيم في العاصمة البريطانية لندن مجموعة نادرة لمخطوطات قرآنية جمعت من عدة دول إسلامية تعكس تطور كتابة النص القرآني وأساليبه المختلفة. وأفادت وكالة أنباء فارس بأن منظمي المعرض الذي يعرض خمسين مخطوطة قرآنية تروي مراحل تطور كتابة النص القرآني على مدى ١٣ قرناً حرصوا على عرض مخطوطات تعكس ثقافة المكان الذي أنت منه، من الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى تركيا من مصر إلى المغرب ومن نيجيريا حتى الصين، وقد يصعب علينا قراءة هذا النص القرآني والذي كتب بالخط الكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة العراقية فهو خط غير منقوط إلا أنه يتميز بنسقه الهندسي ووحدة المسافات بين حروفه وفي هذا الخصوص. قالت " جيما آلن " مديرة معرض المخطوطات القرآنية في لندن في حديث خاص لقناة العالم الاخبارية، ان المعرض يجسد تطور المدارس المختلفة في تطور كتابة نص القرآن رغم حاجز اللغة ، إلا أن الزوار ينبهرون بالنسق الجمالي والدلالات التاريخية وأنواع الزخارف.

وأكثر ما يجذب النظر هو ذلك المصحف الذي يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي لتمييزه بهوامش تحتوي على تفسير للآيات ومعلومات عن قواعد النحو والصرف، إضافة إلى زخارفه المكتوبة بماء الذهب خاصة بدايات السور. ولم يمنع عائق اللغة زوار المعرض من الحضور ومشاهدة جماليات المخطوطات القرآنية ومعرفة الحضارة الإسلامية وسبل تواصلها مع الثقافات المختلفة.

وفي السياق قالت إحدى الزائرات لمراسلة قناة العالم ان المعرض يعرف الغرب المهتم بالقضايا السياسية فقط، يغني الحضارة الإسلامية. كما تضمن المعرض أيضاً نماذج لمخطوطات توضح كيفية اختلاف خطوط الكتابة القرآنية مع الخطوط المستخدمة لكتابة نصوص أخرى.

راحة الضمير والعمل بنشاط سر العمر المديد:

ذكرت دراسة أن راحة الضمير والعمل بجد ونشاط هما سر الحياة المديدة وبأن المجتهدين والعاطفيين يعيشون كمعدل فترة أربع سنوات أكثر من نظرائهم المتهورين والمغرورين.

وقالت مرغريت كيرن لمجلة نيو سيانتيست في إشارة الى هؤلاء الناس، هؤلاء الاشخاص يعملون بجهد وواقون بأنفسهم ولديهم طموح. وفي السياق نفسه قال الدكتور هاورد فريدمان من جامعة كاليفورنيا في ريفرسايد الذي أعد دراسة شملت حوالي ٨٩٠٠ شخص ، إن الذين يستترشدون بضمايرهم خلال العمل يعيشون لفترة تتراوح ما بين عامين وأربعة أعوام أكثر من غيرهم.

ولاحظ فريدمان بعد الاطلاع على حوالي ٢٠٠ دراسة أن أصحاب الضمير لا يسرفون في التدخين أو شرب الكحول مقارنة بغيرهم كما أنهم لا يقحمون أنفسهم في مجازفات خطيرة. وخلص الى القول أن الاشخاص الذين ينظمون حياتهم بشكل جيد يعيشون لفترة أطول يلي ذلك نظرائهم الذين يمكن الاعتماد عليهم ويتحلون بحس المسؤولية.

الاعلام وتأثيره على أطفالنا:

لاشك أن الاعلام له دور كبير في ثقافة أطفالنا بل حتى على الانسان الراشد الواعي منا فما هو دور الأب والأم في عصرنا الحالي بعيداً عن التكلف والمثاليات في الحد من تأثير الاعلام الهابط على الطفل؟ فترى هذه الأيام ما يعرض للطفل من أفلام كل همها نشر العنف فهل فكر أياً منا مدى تأثيره على طفلنا إن تعلق الطفل بهذه الأفلام والمسلسلات ليس بالأمر البسيط وحتى حرمانه من مشاهدتها ليس بالأمر السهل أو المقبول فليتذكر كل منا أنه مرّ بمرحلة تقديس فترة الكارتون والتشبه بأبطالها أو تقليد هم، سؤالنا هو:

هل نتركه يشاهدها دون توجيه؟ أم نشاهدها معه ونعلق عليها بصور تمسح بعض آثارها السلبية؟ أم نكافئه أنه قلد ما فيها ؟ أم نعاقبه؟
 بالتأكيد لكل شخص منا وجهة نظر خاصة به، لنرى ما يقوله الباحثون من بعض الدراسات التي قاموا بها: أنه كلما ازدادت مشاهدة الأطفال للتلفزيون بين سن عام وثلاثة أعوام ارتفع خطر اصابتهم بمشكلات في قدراتهم على الانتباه والتركيز عند سن السابعة. وتوصلت الجمعية الاميركية لعلم النفس في تسعينات القرن العشرين الى نتيجة مهمة وهي ان رؤية المشاهد التي تتسم بالعنف على شاشة التلفزيون تزيد من درجة عدوانية الأطفال، ومعروف ان العنف هدف رئيس في الاعلام الموجه للطفل خاصة في ألعاب الكمبيوتر ومن آثار تلك المشاهد على الأطفال أنه يزيد من معدل الخوف لدى الطفل وفقدانه الثقة بنفسه من أي سلوك غير مقصود، ويكون للطفل حالة من تبلد المشاعر والامبالاة خاصة اذا تعرض للعنف بطريقة عشوائية ومتكررة.

الوخز بالإبر يتفوق على الاسبرين في علاج الصداع المزمن:

قال باحثون أميركيون ان علاج الوخز بالإبر يعمل بشكل أفضل من عقاقير مثل الاسبرين في التقليل من حدة وتكرار نوبات الصداع المزمن.
 وأجرى فريق الباحثين في جامعة ديوك مراجعة لدراسات شملت أربعة آلاف مريض مصابين بصداع نصفي والصداع المزمن أبلغوا عن انحسار آلام الصداع بعد تلقي علاج بالوخز بالإبر مقارنة مع ٤٥% من مرضى كانوا يتناولون عقاقير. وقال الدكتور تونج جو جان الذي قاد الدراسة في بيان الوخز بالإبر يصبح اختياراً أكثر تفضيلاً للعديد من الأعراض تتراوح من تحسين الخصوبة الى تقليل الآلام بعد الجراحة لأن الناس يتعرضون لأعراض جانبية أقل بكثير ولأنه يمكن أن يكون أقل تكلفة من

خيارات أخرى. وأضاف قائلاً، هذا التحليل يؤكد أن الوخز بالابر هو أيضاً مصدر ناجح للراحة من نوبات الصداع المزمن.

وقال جان، أحد الحواجز أمام العلاج بالوخز بالابر هو جعل الناس يفهمون أنهم لن يشعروا بتجربة مؤلمة أثناء استخدام الابر. أنها وسيلة لاطلاق مسكنات الألم الطبيعية خاصة في جسدك، وتوصل الباحثون الى أن الأمر يستغرق في المتوسط من خمس الى ست زيارات حتى يبلغ المرضى عن الشعور بالارتياح.

وأظهرت دراسات أخرى أن العلاج بالوخز بالابر ساعد على تخفيف الألم لدى مرضى خضعوا لجراحة لسرطان العنق والرأس ويمكنه تخفيف البقع الساخنة وغيرها من أعراض انقطاع الطمث ويمكنه تقليل الغثيان المصاحب للعلاج الكيميائي.

بناء معماري فريد لم يفهمه أصحابه:

وجدوا أن مئذنة مسجد قريتهم القديمة تهتز بدون مبرر، فحاولوا منعها من الحركة ببناء قاعدة من الاسمنت علّها تحميها من الانهيار، ورغم أن القصة تبدو منطقية، إلا أن المئذنة التي شكلت علامات استفهام عدة في قرية " طيبة الامام " بمحافظة حماه السورية تم بناؤها في الاصل لتبدو وكأنها تهتز.

وقام ببناء المئذنة الهزازه الشيخ جمال بن السيد محمود الهندي عام ألف ومائتين للهجرة مع مجموعة من الهنود المسلمين الذين أتوا من الهند واستقروا بقرب مقام الامام، ونقلوا هذا النمط الجديد في بناء المئذنة الذي ينتشر في مناطقهم جراء كثرة وقوع الزلازل والهزات الارضية. ويبدو أن أهالي القرية لم يستطيعوا فهم طبيعة المئذنة المعمارية الفريدة، حيث تعد مئذنة جامع مقام الامام علي (ع) في مدينة طيبة الامام في محافظة حماه مثلاً

فريداً للمآذن الاسطوانية الهزازة، وواحدة من بين ثلاث مآذن فقط موجودة في العالم الاسلامي كطراز معماري يعكس المستوى المتقدم والمتطور لهندسة العمارة الاسلامية خلال تلك الفترة التاريخية.

وتتميز هذه المئذنة بتمايلها المتناغم والمتناسق المستمر، وتم تشييد المئذنة مع جامع الامام علي (ع) معاً، والمقصود به الامام علي عز الدين أحد أحفاد الامام علي بن أبي طالب (ع)، والذي دفن في موقع طيبة الامام سنة ٢٠٠ للهجرة. ويصل ارتفاع المئذنة الى ٢٥ - ١٣ متر، ويبلغ قطر جسمها المستدير ٢٩٥ سم، وعدد درجاتها ٥٥ درجة، يرقى اليها من جانبها الشمالي، وتتألف المئذنة من عدة أقسام هي: القاعدة وهي عبارة عن الجسم المربع الذي يعلوه جسم المئذنة؛ والجذع وهو جسم المئذنة ذو شكل اسطواني مستدير مكون من حطتين يفصلهما طوق بارز على المحيط، والكوة وهي عبارة عن فتحة صغيرة في الجذع يمر منها الضوء والهواء، والقمرية وهي فتحة إضاءة مستديرة، والنافذة الصماء هي نافذة مغلقة من جهة الجنوب لغرض الزينة.

طهران وطوكيو تطوران علاقتهما التجارية:

أعلن مساعد مؤسسة تنمية التجارة كيومرث فتح الله كرمانشاهي ان ايران واليابان مهتمتان بتطوير العلاقات التجارية فيما بينهما. وأوضح كرمانشاهي الذي زار اليابان حديثاً على رأس وفد، ان توسيع التعاون الثنائي والاستثمارات شكلا أهم الاتفاقات بين البلدين. وأضاف، انه تم خلال الزيارة الاتفاق على مشاركة ايران الفاعلة في معرض المواد الغذائية في اليابان ومشاركة باحثين من جامعة " شينا " اليابانية لإقامة ندوة علمية حول العقاقير الطبية والزعفران بجامعة فردوسي بمدينة مشهد الايرانية. وقال: ان

اجتماعات عقدت بين رجال الأعمال في البلدين وتم التوصل خلالها الى اتفاقات.

افتتاح مركز تجاري إيراني في هولندا:

أعلن رئيس مكتب شؤون ممثليات مؤسسة التنمية التجارية حميد زادبوم انه تم افتتاح مركز تجاري إيراني في ميناء روتردام بهولندا. وأضاف زادبوم أمس في مراسم افتتاح هذا المركز وبحضور عدد من رجال أعمال البلدين، أن تأسيس هذا المركز يعتبر فرصة قيمة للتبادل التجاري بين البلدين، معلناً دعمه لأي نشاط يؤدي الى تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين.

الحج هبة إلهية ..

تشتاق لها النفوس وتهفو إليها القلوب .. قصائد عن الحج:

لأنها رحلة مباركة تتوق إليها النفوس ويشتاق إليها كل المسلمين، كتب كثير من الشعراء عن رحلة الحج والمشاعر التي تجتاحهم عند زيارة بيت الله الحرام ومن ذلك نذكر قصيدة " ياراحلين الى منى بقيادي " حيث ذكروا في التاريخ أن عبدالرحيم البرعي في حجه الأخير أخذ محمولاً على جمل فلما قطع الصحراء وأصبح على بعد خمسين ميلاً من المدينة هب النسيم رطباً عليلاً معطراً برائحة الأماكن المقدسة فازداد شوقه للوصول لكن المرض أعاقه عن المأمول فأنشأ قصيدة لفظ مع آخر بيت منها نفسه الأخير .. قال فيها:

هيجتموا يوم الرحيل فوادي
الشوق أقلقني وصوت الحادي
أساكنين المنحنى والوادي

يا راحلين الى منى بقيادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي
وحرمتوا جفني المنام ببعدهم

ويلوح لي ما بين زمزم والصفاء
ويقول لي يا نائماً جد السرى
من نال من عرفات نظرة ساعة
تأله ما أحلى المبيت على منى
ضحوا ضحاياهم ثم سال دماؤها
لبسوا ثياب البيض شارات اللقاء
يا رب أنت وصلتهم صلني بهم
فإذا وصلتهم سالمين فبلغوا
قولوا لهم عبدالرحيم متيم
صلى عليك الله يا علم الهدى

عند المقام سمعت صوت منادي
عرفات تجلو كل قلب صادي
نال السرور ونال كل مرادي
في ليل عيد أبرك الأعيادي
وأنا المتيم قد نحرت فؤادي
وأنا الملوغ قد لبست سوادي
فبحقهم يا رب فك قيادي
مني السلام أهيل ذاك الوادي
ومفارق الاحباب والأولاد
ما سار ركب أو ترنم حادي

ومن أشهر قصائد الحج قصيدة لابن القيم يقول فيها:

ما والذي حج المحبون بيته
وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً
يُهلّون بالبيداء لبيك ربنا
دعاهم قلبوه رضا ومحبة
تراهم على الأنضاد شعناً رؤوسهم
وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبة
يسيرون من أقطارها وفجاجها
ولما رأت أبصارهم بيته الذي
كانهم لم يتصبوا قط قبله
فله كم من عبرة مهراقة
وقد شرقت عين المحب بدمعها
راحوا إلى التعريف يرجون رحمة

ولبوا له عند المهل وأحرموا
لعزة من تعنو الوجوه وتسلم
لك الملك والحمد الذي أنت تعلم
فلما دعوه كان أقرب منهم
وغبراً وهم فيها أسر وأنعم
ولم يثنهم لذاتهم والتنع
رجالاً وركباناً والله أسلموا
قلوب الورى شوقاً إليه تضرع
لأن شقاهم قد ترحل عنهم
وأخرى على آثارها لا تقدم
فينظر من بين الدموع وينسجم
ومغفرة ممن يجود ويكرم

فله ذاك الموقف الأعظم الذي
ويدنو به الجبار كل جلاله
يقول عبادي قد أتوني محبة
فأشهدكم أنني غفرت ذنوبهم
فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذي
فكم من عتيق فيه كَمَل عتقه

كموقف يوم العرض ذاك أعظم
يُباهي بهم أملاكه فهو أكرم
وإني بهم برّ أجود وأكرم
وأعطيهم ما أملوه وأنعم
به يغفر الله الذنوب ويرحم
وآخر يستسعى وربك أكرم

وفي قصيدة بعنوان " طواف الوداع " لأبن الأمير الصنعاني كتبها متأثراً
بفراق بيت الله الحرام ، نقرأ:

ورحمة رب العرش ثمت تغشاه
سوى دمع عين بالدماء مزجناه
لأجلهما صعب الأمور سلكناه
وكلهم تجري من الحزن عيناه
يود بأن الله كان توفاه
فإن فراق البيت مر وجدناه
أمر وأدهى ذاك شيء خبرناه
فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه
لما نحن من مر الفراق شربناه
إليه لذفنا الموت حين فجعناه

وبات حجاج الله بالبيت محققاً
تداعت رفاقاً بالرحيل فما ترى
لفرقة بيت الله والحجر الذي
وودعت الحجاج بيت إلهها
فله كم باك وصاحب حسرة
فلو تشهد التوديع يوماً لبيته
فما فرقة الاولاد والله إنه
فمن لم يجرب ليس يعرف قدره
لقد صدعت أكبادنا وقلوبنا
والله لولا أن نؤمل عودة

دراسة : البشر أشعلوا النار قبل ٧٩٠ ألف عام:

تظهر دراسة حديثة أن البشر كانت لديهم القدرة قبل ٧٩٠ ألف عام
على إشعال النار وهي المهارة التي ساعدتهم على الهجرة من أفريقيا الى

أوروبا. ومن خلال تحليل أحجار من الصوان في موقع أثري على ضفة نهر الأردن، اكتشف باحثون أن الحضارات القديمة تعلمت كيفية إشعال النيران وهي نقطة التحول التي سمحت لهم بالاقدام على المغامرة في أراض غير معروفة.

وكانت دراسة سابقة للموقع نشرت عام ٢٠٠٤ قد أظهرت ان الانسان كان قادراً خلال هذه الحقبة القديمة من الزمن على التحكم في النار كنقلها باستخدام الاغصان المشتعلة على سبيل المثال، لكن العلماء الآن يقولون ان الانسان القديم استطاع بالفعل إشعال النار بدلاً من الاعتماد على ظاهرة طبيعية مثل البرق.

وأوضح العلماء أن هذه الاستقلالية ساعدت على الهجرة باتجاه الشمال. ورسمت الدراسة الجديدة المنشورة في عدد حديث من دورية مراجعات العلوم، خريطة لطبقات أثرية يبلغ عددها ١٢ في موقع جسر بنات يعقوب في فلسطين. وقالت عالمة الآثار نير البرسونافيل " البيانات الجديدة تظهر أنه كان هناك استخدام متواصل ومتحكم فيه للنار خلال عدة حضارات وأنهم لم يكونوا معتمدين على نيران تتشأ من ظواهر طبيعية ". ورغم ان العلماء لم يعثروا على بقايا أعواد ثقاب أو قداحات قديمة، فقد قالت البرسونافيل إن عينات أحجار الصوان التي عثر عليها في نفس المكان خلال ١٢ حضارة تعتبر دليلاً على القدرة على إشعال النار وإن كانت الوسائل المستخدمة غير واضحة.

وأضافت أنه بسبب وجود الموقع الأثري في وادي الأردن وهو مسار رئيسي بين أفريقيا وأوروبا، فإن ذلك يقدم دليلاً على الهجرة البشرية. وقالت البرسونافيل، ما أن تحكموا في النار لحماية أنفسهم من الحيوانات المفترسة وتوفير الدفء والإضاءة حتى أصبحوا آمنين بما فيه الكفاية للانتقال الى منطقة أخرى غير مألوقة وتعميرها.

الجوز يخفض الكوليسترول:

لطالما ارتبط تناول الجوز بالمساعدة على سلامة صحة المرء، لكن باحثين وجدوا مؤخراً أن هذه المادة تساهم أيضاً في تقليل معدلات الكوليسترول. وجاء في دراسة نشرتها مجلة جورنال فور كلينيكال نيوتريشن الامريكية، أنه يكون للجوز تأثير على خفض احتمالات ظهور الكوليسترول الضار، وذلك بالرغم من أنه لا يقلص المعدلات العامة للدهن في الدم. ويحوي الجوز أحماضاً فريدة يكون لها أثر ايجابي على تخثر الدم وانتظام خفقان القلب، وقال الباحثون انهم اكتشفوا أن إضافة الجوز الى غذاء جماعة من الرجال والنساء أفضى الى تقليل نسب الكوليسترول لديهم. وقد أجرى الخبراء تجاربهم على خمسة رجال وثلاث عشرة امرأة، ولكنهم تجاوزوا الستين من العمر ويعانون من ارتفاع نسبة الكوليسترول. وقسم العلماء طبيعة غذاء هؤلاء المرضى الى أربع فئات خلال فترات تتراوح ما بين خمسة اشهر وسنة كاملة.

في الفترة الاولى كانت حمية المرضى عادية، ثم سمح لهم بتناول وجباتهم العادية مضافاً إليها الجوز، وبعد ذلك باتت أغذيتهم تتألف من أطعمة فيها دهون قليلة، وفي الأخير أعطيت لهم أطعمة قليلة الدهون مضافاً إليها الجوز. وكانوا يتناولون ٤٨ جراماً من الجوز مقابل كل ١٨٥٠ سعرة حرارية في اليوم. ولدى إجراء العلماء مقارنة للحميات العادية وبتلك القليلة الدهون، تبين لهم أن معدلات الكوليسترول انخفضت كثيراً لدى المرضى الذين تناولوا الجوز.

واكتشف العلماء أن للجوز أثراً خاصاً على مادة ليبوبروتين، وهي بروتين تلتصق به ذرات من أملاح الحوامض الشحمية، التي تؤكد أن لها علاقة بأمراض القلب والشرابيين. ووجدوا أن مادة ليبوبروتين تنخفض بنسبة سبعة وعشرين في المائة حين تتكون الوجبات من الجوز مع أطعمة عادية،

وتتراجع بنسبة سبعة في المئة حين يؤكل الجوز مع وجبة قليلة الدهون. وبالرغم من أن الجوز غني بالسعرات الحرارية، فإنه لم يطرأ تغيير على وزن المرضى الذين أخضعوا للحمية، ولو أنهم أحسوا بارتفاع الطاقة عندهم. لكن كولين كيللي، وهي عالمة بريطانية متخصصة في شؤون التغذية، شددت على ضرورة أن ينتبه متبعوا الحميات الخاصة الى ما يتناولونه من دهون. وأوضحت أن الجوز غني بالدهون، ولذلك يتعين على الأشخاص أن يتناولوا الجوز بدلاً من الأكلات المشبعة بالدهون كالزبدة والكعك والمعجنات.

المرجع مكارم شيرازي: لولا حزب الله لكانت أمريكا والكيان الصهيوني قد ابتلعا البلدان العربية:

أفصح آية الله مكارم شيرازي أحد المراجع الدينية في قم المقدسة عن توزيع ٢٦ مليون لوح مضغوط للدعاية المناهضة ضد الاسلام الحنيف في اميركا خلال الايام الاخيرة مؤكداً أن هذا العمل يتطابق مع شريعة الغاب حيث انهم يطلقون كل هذه التهم دون أي أسباب ولو لم يكن حزب الله لبنان لكانت أميركا والكيان الاسرائيلي قد ابتلعا البلدان العربية.

وأكد آية الله مكارم شيرازي في تصريحات أدلى بها في بداية درس الخارج في الفقه، على ضرورة الحفاظ على الوحدة والتضامن الاسلامي أزاء الأعداء. وانتقد التصريحات التي أدلى بها الشيخ يوسف القرضاوي وبعض علماء الأزهر وقال: اننا نمد يد الصداقة باتجاهكم ونحن قد أصبحنا وسيلة لتقليل ضغوط اميركا والكيان الاسرائيلي عليكم.

تناول الحليب باستمرار يقي من سرطان المثانة:

أظهرت دراسة سويدية حديثة أن الأشخاص الذين يحرصون على تناول الحليب ومنتجات الألبان الأخرى تقل لديهم وبشكل كبير أخطار

الإصابة بمرض سرطان المثانة. ووجد الباحثون أن تناول مختلف الأطعمة والعناصر الغذائية من الممكن أن يؤثر على أخطار إصابة الأشخاص بسرطان المثانة نتيجة إفراز معظم الأيضات من خلال المثانة البولية، وفيما يتعلق بالعوامل الغذائية يعمل استهلاك الحليب ومنتجات الألبان الأخرى بشكل فاعل وقوي على تقليل أخطار الإصابة بهذا المرض السرطاني المميت. وأوضح الباحثون أن منتجات الحليب تحتوي على بكتيريا حامض اللبنيك التي ثبتت فاعليتها في قمع تسرطن المثانة عند القوارض، كما اتضح أن تعامل الفم مع بكتيريا حامض اللبنيك يقمع الأغذية المستمدة من الطفرات البولية لدى الانسان وبهذا يمكن تقليل أخطار الإصابة بسرطان المثانة.

صاحب مكتبة " مدبولي " ينتقل الى رحمة الله:

انتقل الى رحمة الله الحاج مدبولي الناشر المصري والعربي الشهير وصاحب مكتبة " مدبولي ". وقد كانت مكتبته الشهيرة الكائنة في ميدان طلعت حرب تعد من معالم القاهرة ويحرص السائحون والعرب منهم خاصة على زيارتها للتزود بالجديد في عالم الكتاب وخاصة أن كثير من كتبه كانت تتحدى الرقابة وتخرق المحاذير السياسية والدينية والاجتماعية الأمر الذي سبب انتقادات شديدة وجهت للناشر مدبولي.

كان مدبولي يبدو كصعدي بسيط بجلباب وسترة تقليديين ولكنه كان صديقاً للعديد من السياسيين العرب والمتقنين على حد سواء. ولد في فترة الاستعمار الانكليزي لمصر وكان والده متعهد توزيع للمجلات الاجنبية وخاصة الانكليزية فورث الصغير مهنة الأب. وعبر كشكه الصغير بدأ الحاج مدبولي رحلته في هذا العالم، يبيع الصحف والمجلات باللغات الانكليزية والفرنسية واليونانية.

وأصيب عمله بالكساد في عام ١٩٥٦ حيث العدوان الثلاثي على مصر، إذ تسببت الحرب الشهيرة من قبل فرنسا وبريطانيا واسرائيل ضد مصر في هجرة الكثير من الاجانب، واتجه بعدها لنشر الكتب الغربية الفلسفية للشباب العربي مثل أعمال سارتر وكامو ومسرح اللامعقول الى جانب الكتب التي تتحدث عن سير القادة العسكريين الكبار وحقق نجاحاً في هذا الجانب.

وفي حوار مع صحيفة " الشرق الأوسط " اللندنية قال: لكن بعد سنة، بدأت ألاحظ تركيزاً شديداً على كتب الاستراتيجية العسكرية وصولاً الى سنة ٧٠ حيث تصاعد الطلب على الكتب السياسية والاقتصادية. أما بعد مجيء أنور السادات، الرئيس المصري الذي لا يحبه الحاج مدبولي، فطغى الكتاب السياسي وانحسر الكتاب الأدبي بشكل لافت.

أخيراً يشار الى أن الحاج محمد مدبولي قد دخل موسوعة أعلام مصر في القرن العشرين التي صدرت عن وكالة أنباء الشرق الأوسط بوصفه أبرز ناشر مصري.

دراسة: السعادة تنتقل بالعدوى بين الأهل والأصدقاء:

لم تعد مقولة " اضحك تضحك لك الدنيا " مجرد مثل، بعد أن أظهرت نتائج دراسة نشرتها " ذا بريتيش ميديكال جورنال " أن السعادة تنتقل بالعدوى على دفعات كما لو كانت مرضاً معدياً. الدراسة التي أجراها معهد هارفارد، تمت على عينة من نحو ٥ آلاف انسان لهم ارتباطات عائلية واجتماعية بنحو ٥٠ ألف آخرين، وتبين أن السعادة تنتقل كالعدوى بين أفراد العائلة الواحدة والاصدقاء، لكن ليس في محيط العمل.

وأكد الباحثان نيكولاس خريستاكيس من هارفارد وجيمس فاوولر من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو أن مجموعات من الاشخاص السعداء والتعساء تتشكل وفق معايير اجتماعية وجغرافية، فعلى سبيل المثال ان

احتمالات سعادة الفرد تزداد بـ ٤٢ في المائة إذا كان له صديق يعيش على مسافة تقل عن ٨٠٠ م يشعر بالسعادة أيضاً.

وأضافاً، التفاوت في مستوى سعادة الفرد يمكن أن ينتشر على موجات عبر مجموعات اجتماعية وبشكل بنية أوسع ضمن شبكة واحدة وبالتالي تنتج عن ذلك مجموعات من الأفراد السعداء والتعساء.

وبحسب الدراسة، تزداد فرص السعادة بنحو ٨ في المائة في حال العيش مع شريك سعيد وبنحو ١٤% إذا كان قريب سعيد يقيم في الجوار وحتى بنحو ٣٤ في المائة إذا كان الجيران سعداء. وقالت الدراسة، ان زملاء العمل لا يؤثران على مستوى السعادة ما يعطي الانطباع بأن الاطار الاجتماعي قادر على الحد من شيوخ الانفعالات. وكتبت الصحيفة العلمية في مقال ان هذه الدراسة الثورية قد يكون لها انعكاسات على الصحة العامة، وأضافت اذا كانت السعادة تنتقل فعلاً من خلال العلاقات الاجتماعية قد يساهم ذلك بشكل غير مباشر على انتقال عدوى الصحة الجيدة.

أعمار البشر ستتجاوز ١٣٠ عاماً في ٢٠٣٠:

توقعت دراسة أن المواطن الاوروبي ربما يعيش في غضون العشرين عاماً المقبلة حتى سن ١٣٠ عاماً بفضل التقدم الطبي والتكنولوجي الذي سيسمح أيضاً بوجود انسان الى رعاية الابناء وكبار السن والاتصال الدائم بالانترنت عبر أنظمة تعمل بالخلايا العصبية.

جاء ذلك في كتاب بعنوان "شكل العالم سنة ٢٠٣٠" للكاتب الانكليزي راي هاموند الذي قدم نسخته الاسبانية في مدريد. وأشار الكتاب الى أن الورق والمواد البلاستيكية سيتم الاعتماد عليها بشكل أساسي لمواجهة تحديات المستقبل مثل التغير المناخي وأزمة الطاقة. وتنبأ مؤلف الكتاب أنه بحلول عام ٢٠٣٠ سيكون هناك مليار شخص حول العالم لن تقل أعمارهم

عن ٦٥ عام. مشيراً الى أنه في اليابان يعكف مجموعة من العلماء حالياً على اختراع أجهزة انسان الي مصنعة من البلاستيك تقوم برعاية كبار السن والصغار أيضاً.

وأعرب هاموند عن تفاؤله إزاء التوصل الى حل لأزمة المناخ التي تهدد العالم خلال الفترة المقبلة. مشيراً الى أن الرئيس الاميركي المنتخب باراك اوباما تعهد بوضع مكافحة التغير المناخي على رأس أولويات إدارته الجديدة.

وأضاف أنه يمكن تقليل نسبة انبعاثات غاز ثاني اوكسيد الكربون بنسبة كبيرة اذا استخدم البلاستيك المعالج في تصنيع الطائرات والسفن البحرية الضخمة، بما يسمح بتقليل الوزن وبالتالي انخفاض نسبة الوقود المستخدم. كما تتبأ بحدوث تقدم طبي هائل فيما يتعلق بخريطة الجينات واختفاء العديد من الأمراض، ما يعطي الأمل في امتداد سنوات العمر، و أوضح أنه في حالة مرض الانسان سيكون بإمكانه في المستقبل طلب الرعاية الطبية بصورة آلية دون الاعتماد على أحد.

طفل يمشي ٤٥٠ كم للفت الانتباه الى المشردين:

أعرب صبي من ولاية فلوريدا الاميركية يبلغ من العمر ١١ سنة، عن أمله في أن تساهم مبادرته في السير مسافة حوالي ٤٥٠ كم من تالاسي الى أطلنطا في لفت الانتباه الى محنة الاطفال المشردين وتكون دافعاً لمساعدتهم. وأتم زاك بونر مسيرته الطويلة في يوم عيد ميلاده الـ ١١، وقال لصحيفة أطلنطا جورنال الاميركية أنه تمنى أن يكون مثلاً يحتذى به.

وأضاف بونر، نأمل في أن يسير الناس الآخرون على خطاي فيرغبون بمساعدة مجتمعاتهم. وكان الصبي قد أمضى فترة الصيف في تلقي دروس إضافية في المدرسة الالكترونية عبر الانترنت التي التحق بها حتى

يتمكن من أخذ وقت كاف لبدء مسيرته في نهاية الشهر الماضي. وقالت الصحيفة ان المسافة التي قطعها بونر لم تكن الاولى إذ سبق وسار من تامبا في السنة الماضية الى تالاسي للفت الانتباه الى محنة الاطفال المشردين.

التسخيري: يجب معرفة المشتركات بين المذاهب الاسلامية بهدف تطويرها:
أكد الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية الشيخ محمد علي التسخيري بأنه يجب معرفة المشتركات بين المذاهب الاسلامية لأن هناك الكثير من الفرص لتطوير هذه المشتركات.
وأشار التسخيري في الملتقى الثالث للتبادل الفكري بين علماء الشيعة والسنة في محافظة خراسان الجنوبية المنعقد في مدينة بيرجند، بأن بعض العلماء أوصلوا مشتركات المذاهب الاسلامية الى ما بين ٩٠ و ٨٩ بالمائة وأضاف: إن بعض المسلمين ينسون هذه المشتركات ويركزون على نسبة مئوية ضئيلة من الخلافات الطبيعية.

وأوضح بأن الكثير من الخلافات بين علماء المذاهب الاسلامية هي خلافات كلامية وليست واقعية وأضاف: ان الاسلام هو دين حرية الاجتهاد والوحدة والاخوة لذا فان جميع هذه الأمور تشكل الى جانب بعضها بعضاً مبادئ التقريب. واعتبر التقريب بأنه يعني العودة الى حقيقة الاسلام وقال: ان الاسلام هو دين العقلانية والتعامل المنطقي والحوار الاسلامي. ولقد جاء في القرآن الكريم أجمل نظرية للحوار المنطقي. كما اعتبر التقريب بين المذاهب الاسلامية بأنه أهم سبل الوحدة وأضاف: ان الوحدة هي إحدى الخصائص الاصلية للدين الاسلامي.

**الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي يفوز بجائزة " نوبل " تاريخ العلوم
بفرنسا:**

وقع إختيار الاكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بفرنسا على الدكتور " أكمل الدين إحسان أوغلو " الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي لمنحه جائزة الاكاديمية. وفاز احسان أوغلو بجائزة الاكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بفرنسا وهي أرفع جائزة تمنحها الاكاديمية مرة كل عامين. وذلك تقديراً لجهود أوغلو في مجال تاريخ العلوم العثمانية وهو المشوار العلمي الذي بدأه قبل ٢٥ عام.

وكان أوغلو قد نشأ وتربى في القاهرة ثم تخرج من كلية العلوم جامعة عين شمس، وبعدها عاد الى تركيا، وكرس وقته وجهده لدراسة تاريخ العلوم عند الاتراك، وخاصة عند العثمانيين، وله العديد من المؤلفات في هذا التخصص وذلك بحسب جريدة " الاخبار " المصرية.

وقد تأسست الاكاديمية الدولية لتاريخ العلوم بفرنسا عام ١٩٢٧، وشرعت منذ عام ١٩٦٨ في منح " ميدالية كوير " كجائزة للمتميزين في حقل تاريخ العلوم وتحمل الميدالية إسم " الكسندر كوير " مؤرخ الفكر العلمي، واستلم أول ميدالية بهذا الاسم "دريك توماس " عام ١٩٦٨ لجهوده في الكشف عن جهود " اسحاق نيوتن ".

**خطيب جمعة طهران: نجاح الاسلام يكمن في إهتمامه بالسلام والأمن
والاستقرار:**

انتقد خطيب جمعة طهران المؤقت الشيخ هاشمي رفسنجاني التقرير الغامض لمدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية معلناً تذمر طهران من طريقة تعامل مجلس الأمن والوكالة الذرية. وأشار أكبر هاشمي رفسنجاني في خطبتي صلاة الجمعة في طهران الى التقرير الأخير لمدير عام الوكالة

الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي، قائلاً: ان البرادعي لا زال للأسف يتحدث بلغة مزدوجة، فهو يؤيد من جهة الأنشطة النووية في الجمهورية الاسلامية الايرانية ذات الطابع السلمي ويعتبرها سلمية ويدعي بمطالب خارج اطار الاتفاقات الموجودة بين ايران والوكالة الدولية للطاقة الذرية من جهة أخرى.

وأكد نحن نتوقع من الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تكون حيادية تماماً، وأن لا تتحدث بلغة مزدوجة. وتطرق رئيس مجلس خبراء القيادة الى قضية الدراسات المزعومة الواردة في تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الأخير، قائلاً: بالرغم من أن ايران زودت الوكالة بجميع المعلومات المطلوبة منها، وقد أعلنت الوكالة بأن جميع الأنشطة النووية الايرانية ذات طابع سلمي في حين يدعي الأمريكيين أن ايران لم تكشف عن أنشطتها غير السلمية، واللافت للنظر هنا أن الاميركيين لم يقدموا أدلة إدعاءاتهم الى الوكالة الدولية للطاقة الذرية واكتفوا فقط بإدعاءاتهم بأن على ايران أن ترد على اتهاماتهم الواهية.

وتطرق الى الأزمة الاقتصادية العالمية، معرباً عن أسفه لأن هذه الأزمة ستلحق الأضرار بالدول الفقيرة والمرتبطة بالغرب. وأكد هاشمي رفسنجاني أن ايران قلقة بشأن الضرر الذي سيلحق بأكثر شعوب العالم من جراء هذه الأزمة، معرباً عن استعداد ايران للتعاون مع الجهود الدولية من أجل الحد من أضرار الأزمة الاقتصادية في العالم.

وحول استقباله لرئيس الوزراء الفرنسي السابق دومينيك دوفيلبان في طهران، أوضح الشيخ هاشمي رفسنجاني، لقد أكدت لرئيس الوزراء الفرنسي السابق ان الغرب اليوم بحاجة الى تعاوننا، إلا أنه عندما يسيء التعامل معنا فإن هذا التعاون سوف لن يتحقق. وتطرق رئيس مجلس خبراء القيادة في جانب آخر من خطبتي صلاة الجمعة الى الأوضاع المتأزمة في قطاع غزة

أثر تشديد الكيان الصهيوني حصاره على القطاع، وقال: الوحشية في غزة بلغت ذروتها ولا يوجد من يوقفها.

وأضاف: نحن لا نتوقع الانسانية من الصهاينة إلا اننا نتوقع من العالم ومنظمة الأمم المتحدة والمجتمعات الدولية أن تقوم بواجباتها تجاه الشعب الفلسطيني. وانتقد إمام جمعة طهران المؤقت أيضاً صمت الدول الإسلامية حيال المجازر التي ترتكب بحق الفلسطينيين.

كشف لغز فلكي استمر أكثر من أربعة قرون:

بعد مرور أربعة قرون كاملة من التحدي الذي أطلقه الفلكي الدانماركي " نيكو براهي " والذي غيّر به علم الفلك وقتذاك من خلال نفيه مركزية الأرض، كشف العلماء أخيراً عن لغز الظاهرة التي قادته الى تلك القناعة الفارقة. وفي الحقيقة فليس هناك من مفاجأة، فقد عرف العلماء فعلاً أن الضوء الذي عثر عليه " براهي " في السماء جاء من انفجار نجم عظيم، ولكن السؤال: ما نوع ذلك الانفجار؟ وكيف حدث؟

وخلصت دراسة حديثة، مثلاً كان منتظراً، الى أن الامر يتعلق بنوع من الانفجارات المالوفة التي باتت معروفة في يومنا هذا ونتج عن اصطدام نجم قزم بآخر كان مرافقاً له. واستندت الدراسة على " صدى ضوء " ما زال موجوداً في السماء من تداعيات ذلك الانفجار، وتم عرض صورعه وخلاصة للدراسة نفسها التي شارك فيها علماء من ألمانيا واليابان وهولندا.

وفي نوفمبر تشرين الثاني من عام ١٥٧٢، اعتقد الفلكي دنماركي (١٥٤٦ - ١٦٠١) الذي كان مسؤولاً عن أحد المراصد المهمة، أنه عثر على نجم مضيء حيث ان الضوء يلمع بنفس درجة كوكب الزهرة وظل لامعاً لمدة أسبوعين في ضوء النهار، وبعد ١٦ شهراً اختفى. وقبل ظهور المناظير المعروفة، توصل براهي بدقة الى أنه، على خلاف القمر وبقيّة الكواكب، فإن

موقع ذلك الضوء لا يتحرك وفقاً لحركة النجوم، وهذا يعني أنه يقع بعيداً جداً خلف القمر. ومثل ذلك صدمة لعلم الفلك وقتها حيث أن العلماء كانوا متأكدين يومها من أن السماوات مثالية ولا تتغير.

ومع ذلك واصل براهي أعماله وكان ذلك الاكتشاف بمثابة دافع مفصلي في حياته المهنية والمعرفية حيث صمم العديد من الآلات والأجهزة الفلكية، واستمرت أبحاثه نحو عشرين سنة سجل نتائجها بدقة، وقد رصد ظهور مذنب هالي عام ١٥٧٧.

كما عدل الكثير من الأفكار الخاطئة عن حركة الكواكب وأبطل الاعتقاد بمركزية الأرض وقال إن كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس. والضوء المباشر من الانفجار تجاوز الأرض منذ زمن طويل لكن بضعاً من آثار سحب غباره ما زالت عالقة في الفضاء السحيق مما يؤدي إلى لمعانها. و"صدى الضوء" هذا مازال من الممكن مشاهدته وهو ما سمح للدراسة الجديدة بأن تؤكد نظرية براهي.

أطفال الأنابيب أكثر عرضة للعيوب الخلقية:

قال الباحثون الذين تقودهم جينيئا ريفهويس المتخصصة في علم الأوبئة بالمراكز الأمريكية للسيطرة على الأمراض والوقاية منها إنه يحتمل أن يولد أطفال الأنابيب بعيوب خلقية في القلب منها الإصابة بنقبة فيه بمقدار مرتين إلى ثلاث مرات.

وكتب الباحثون في دورية "هيومان ريبيرودكشن" إن هؤلاء الأطفال أكثر عرضة أيضاً بمقدار الضعف لأن يولدوا بشفاة مشقوقة وأكثر عرضة بمقدار أربعة أمثال لأن يولدوا ببعض العيوب الخلقية المتعلقة بالمعدة. وبرغم هذه المخاطر المتزايدة قال الباحثون إن العيوب الخلقية تظل نادرة بين أطفال الأنابيب وأن السبب وراء هذه المخاطر لا يزال غير واضح.

وتتم عملية إنجاب أطفال الانابيب بوضع خلايا البويضات والحيوانات المنوية في وعاء معلمي ثم يوضع الجنين الناتج عن هذه العملية في رحم المرأة. ويلجأ معظم الأزواج المصابين بالعقم الى استخدام هذه الطريقة. ويولد نحو ٥٠ ألف طفل أنابيب سنوياً في الولايات المتحدة وهو الرقم الذي تضاعف تقريباً خلال السنوات الماضية.

سقطري اليمنية تطرح " لغزاً جديداً في تاريخ الحضارات ":

عثرت بعثة أثرية روسية في أرخبيل سقطري اليمني على بقايا أثرية هي الأولى من نوعها، تعود الى انسان العصر الحجري، وقد قال رئيس البعثة فيتالي ناؤميكن، ان الآثار المكتشفة ترجع الى ما يقارب المليون سنة. وأشار ناؤميكن الى ان هذه الاكتشافات تدل على أن وجود الانسان البدائي في سقطري يعود الى نحو ٦٠٠ ألف عام، مشيراً الى أن ذلك يشكل لغزاً جديداً في تاريخ الحضارات في العالم، وفق ما نشرته وكالة الانباء الاماراتية. وكانت بعثة أثرية بلجيكية - يمنية مشتركة قد أعلنت في وقت سابق عن العثور على كهف جبلي يمتد بطول ثلاثة كم ويضم مجموعة من المباني والمعابد القديمة، الى جانب أوان فخارية ومباخر وغير ذلك من الأدوات المرتبطة بأداء الطقوس والشعائر.

ويعود تاريخ هذه المعابد حسب التحليلات الاولية الى القرن الثالث الميلادي في حين أعلنت الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية عن اكتشاف خمس مستوطنات بشرية وستة مقابر قديمة تعود الى حقبة تاريخية ضاربة في القدم. ويذكر أن وكالة الانباء اليمنية نشرت دراسة قالت انها تشير الى ان اليمن هو موطن الانسان الاول. وعرض نائب عميد كلية الطب بجامعة صنعاء، الدكتور علي محمد الميري، نتائج الدراسة التي قام بها بمشاركة علماء متخصصين من جامعتي فلوريدا الامريكية وكامبردج البريطانية في

مضمار تتبع تاريخ البشرية من خلال الحامض النووي وشريط الجينات الوراثية.

وأشار الميري الى أهم نتائج الدراسة وهي أن العلاقة بين التكوين الجيني للمورثات اليمنية والافريقية ضعيفة جداً، أي أن الجينات الافريقية ليست أساس الجينات اليمنية، وان الجينات اليمنية بشكلها المجمل تطابق بشكل كبير جداً مع الجينات الاوروبية والقوقازية وبنسبة أقل مع الجينات الاسيوية والهندية وبقية العالم .. وبالتالي فالجينات اليمنية هي الأقدم وهو ما يجعلها أصلاً للبشرية.

وقال الميري إن الجينات الوراثية لسكان الجزيرة سقطري، هي جينات يمنية أصيلة وليس هنالك تأثيراً يذكر لأية جينات أفريقية أو آسيوية عليها، خالصاً بالتالي الى الاستنتاج بأن الاعتقاد الذي كان سائداً بانتقال الهجرات البشرية الاولى من افريقيا الى اليمن أضحي موضع شك كبير.

ثقافتنا تعاني من تقليد الماضي ونسخ النماذج واستيرادها:

لا تزال قضية الثقافة في البلدان المستقلة حديثاً محور التساؤلات، ومدار الخلافات والاختلافات، وسوء الفهم أيضاً. عندما أقول بوجود سوء الفهم، فإنني أعني خلط الثقافة مشروع مدني وحضاري بالفلكور والمثابرة السياسية لجعله محور النشاط، وصلب اهتمامات الدولة وكأنه الهدف الأخير والوسيلة الأكثر قدرة على بناء الهوية الوطنية، وفي الحقيقة فإن هذا الخلط هو المسؤول المباشر عن عدم صياغة معالم مرحلة الانتقال من البداوة الى الحضارة.

ولا سبيل الى الشك في أن النزعة الفلكلورية هذه في بلداننا المستقلة حديثاً مؤسسة على وهمين اثنين متبادلي التأثير السلبي وهما: وهم الصفاء الثقافي، وهم الاصالاة والعودة عرقياً الى الجذور.

وبسبب هذين الوهمين نجد بلداننا مشدودة بقوة الى الماضي والتقاليد البالية بدلاً من مواجهة أسئلة العصر الحديث بكل تعقيداته ومباهجه معاً. إن الحنين الى دولة الفلكلور، ونسخ مخلفات مرحلة الاستعمار ومعطياتها الثقافية والادارية والبنيات السياسية التابعة لها يمثلان الأفق المسدود أمام بلورة ملامح الثقافة الوطنية الجديدة.

إن هذا الحنين في تقديري يتخذ شكلين إثنيين وهما:

١. إحياء شكل الدولة - الأمة القديمة كما هي في الماضي السحيق.
 ٢. محاكاة الأنماط التقليدية للبنيات الاستعمارية في الاقتصاد، والتعليم والادارة والتراتبية الطبقية ذات البعد الذي تتجاوز فيه الذهنيات والممارسات الاقطاعية، والذهنيات والممارسات الكولونيالية.
- إن هاتين النزعتين تتجاوزان اليوم في نسيج الحياة في مجتمعاتنا ما بعد الاستعمارية. إنه يلاحظ بأن هذا التجاوز للنزعتين يأخذ دائماً سمة وصيغة التقليد الحرفي. وبالنتيجة فإن مجتمعاتنا هذه تعيش بحكم ذلك في أزمة عميقة ومتكلسة على مستوى الوعي واللاوعي معاً. ولقد أدى ولا يزال يؤدي الانغراس في هذه الأزمة الى الجمود، والفشل في إنشاء نموذج الدولة الاستقلالية المتميزة بهويتها الحديثة والمتفردة.
- إنه ينبغي تسجيل مجموعة من الملاحظات الأولية كإضاءات لعناصر هذه الأزمة:

١. عدم بلورة ملامح ذهنية وطنية ذات مضمون تحرري من التقاليد المتحجرة في السياسة، وفي العلاقات الاجتماعية، والانغلاق الفكري، والازدواجية المتنافرة والمتناقضة إزاء قضايا كبرى مثل قضية تحرر المرأة ونبذ السيطرة الذكورية، والتحرر الكامل من النماذج السياسية، والاقتصادية، والادارية الموروثة عن الحقبة الكولونيالية، أو المستوردة حديثاً من المراكز الرأسمالية العالمية.

٢. عدم فرز الثقافة الوطنية بكل عناصرها التقليدية الرجعية، وعناصرها التقدمية التحديثية على نحو يمكن من الشروع في تجاوز عملية الفرز الى أفق الحسم الواضح والشجاع وذلك بالدخول في طور التأسيس والاستثمار للثقافة الحديثة بكل عناصرها النابعة من التجربة الوطنية، من تجارب التقدم الانساني.

٣. هناك مشكلة التوقف الجامد عند طور الأمة بشكل بدائي موجود إما في الماضي، أو في شظايا ما أستورد من أفكار من الخارج. ولقد إختلط هذا التوقف عند طور الأمة كنوستالجية لشيء قديم وبدائي بمفهوم الوطنية الضيقة التي تحولت الى وطنية نخبوية عمادها مجموعة من الطوائف والفصائل الغنية - البرجوازية غير المنتجة، وغير المثقفة، وغير المتحضرة، والانتهازية الآتية من بعض الشرائح العمالية التي فقدت انتماءها وهويتها الطبقية والاجتماعية. إن هذا الجمود عند طور الأمة، وعند الوطنية الانتهازية قد غلّق الأبواب دون الانتقال الى طور المجتمع كأساس لكل عمليات التحديث.

وبهذا الصدد قد حاول الناقد الاجتماعي والمؤرخ الجزائري مصطفى الأشرف إبراز الاسباب التي حالت ولا تزال تحول دون الانتقال من طور الأمة كشعار سياسي غالباً الى طور المجتمع كهندسة معمارية لأسس ومكونات الأمة كمشروع مدني تحديتي.

إنه من الضروري التفكير بشكل علني بخصوص الطورين، لأنه لا يمكن بناء الأمة بدون بناء المجتمع مسبقاً. فالأمة تأتي من المجتمع وليس العكس. فالمجتمع يقوم باستمرار بالتربية الذاتية، وبالتثقيف الذاتي، وبإطلاق قوى الابداع ذاتياً ونقدياً. بمعنى أن المجتمع يتميز بالبناء من الداخل في حين أن طور الامة هو شكل خارجي يفقد جدواه، وتماسكه اذا لم ينجح ذلك المجتمع في صياغة المضمون القوي والجديد، والمتقدم لهذا الشكل الذي

ندعوه اعتباطياً بالامة. ويحدد الاشرف ما يلي: ولقد أخذ الناس يتنافسون في حماس لا يخلو من الاضطراب، لجمع كل ما يتعلق بكفاح البلاد من معلومات قديمة وحديثة.

على أن هذا العمل كان يرمي بالدرجة الاولى الى التغني بالماضي والرد على الأعداء، أكثر مما كان يرمي الى التوعية الفكرية والنقد الذاتي، وبذلك ظهر شكل من أشكال الثقافة بدافع الشعور القومي فانتعشت الآمال بإحياء المجد الغابر.

نحن، اذن، أمام عقبتين تقفان حجر عثرة دون الخروج من وهم الشعور القومي الزائف، هناك أولاً التشبث بالماضي التقليدي واستخدامه ضد الاحتلال الكولونيالي على أيام الاستعمار الكلاسيكي، وضد ما يدعي في الوقت الحاضر بالغزو الثقافي الغربي، إنه بدلاً من إبداع الاشكال الثقافية الجديدة لتقاوم نزعة " مثلثة الماضي " أي جعله مثالنا الأعلى، وكذلك لتقاوم بشكل راديكالي غير انتقائي التغريب الرأسمالي الوافد، فإن الثابت في حياتنا هو العكس تماماً. لا بد من القول بأن ثمة موقفاً مزدوجاً متناقضاً كل التناقض لدى الدولة ما بعد الكولونيالية في فضائنا العربي، والعالم الثالث بصفة عامة. ويتمثل هذا الموقف المزدوج والمتناقض في نموذج التأرجح الوجداني بين المتناقضات الحادة على مستوى الداخل، وعلى مستوى العلاقات بالمراكز الخارجية الرأسمالية.

هناك محاولات الجمع بين الثقافة الدينية السلفية الرجعية، وبين الشكل الثقافي التقليدي الوسطي الموقف والقيم على مستوى نظرية الأيديولوجيا السياسية، وتفرعاتها في مجال التعدد الحزبي، والتشريع للأحوال المدنية والاسرة، واحتكار المؤسسة الدينية الرسمية من قبل الانظمة الحاكمة. وعلى مستوى الاقتصاد يوجد التناقض الصارخ بين القطاع العام الجامد والمبتذل والذي تحركه الرشوة، والسرقة وعدم احترام المسؤولية،

وبين القطاع الخاص المستغل والذي تحتكره تحالفات منسقة ومرتبطة في السر بين فئة الأثرياء، وأفراد في السلطة بكل أنماطها وجغرافياتها السياسية والإدارية والأمنية والعسكرية وهلم جرا.

أما على المستوى الخارجي، فإن الأنظمة الحاكمة ببلداننا تعمل بموقفين وسلوكين، أولهما شكلي للاستهلاك ويتمثل في الانضواء ضمن جوقة الداعين على نبذ ومحاربة الغزو الثقافي واستيراد القيم الغربية، وثانيهما يبدو في أنها تتقدم طليعة استيراد النموذج الرأسمالي في أسوأ طبعاته، وبالتالي تفتح الباب واسعاً لاتفاقيات استيراد الانتاجات السينمائية والمسلسلات التلفزيونية وأشكال التنظيم السياسي والإداري من تلك المراكز الأجنبية التي توهم الشرائح الشعبية الحكومة بأنها تناهضها وتقاومها.

وبهذا الخصوص كتب مصطفى الأشرف: إن هذه الثقافة إنما هي ثمرة هجينة تمخض عنها مجتمع يعاني من النقائص، ولذلك فإمكانياتها محدودة، فالتتقيف الذاتي الملزم لم يعطها إلا بعداً واحداً، وهو البعد السياسي الذي من خصائصه الارتجال والخلط وعلى الأخص التقليد.

وهكذا فإن الضربات القاتلة انصبت على المجتمع أكثر مما انصبت على الأمة المتمثلة آنذاك في مزيج من المفاهيم، وفي فكرة غير محددة المعالم، وفي تطلع غامض للمستقبل.. إنه من الضروري التوضيح بأن الأشرف " يوضع " حديثه في اللحظة الكولناليّة، ولكن أرى أن سحب نقده لنقد الوضع الحالي لواقع الثقافة الوطنية ببلداننا أمر حيوي بأمتياز.

إن المزالق المذكورة آنفاً تعرقل صياغة ثقافة وطنية متطورة تبرز في الخصوصيات الاقتصادية والزراعية والفلاحية والتربوية والمعمارية، وأشكال الابداع الأدبي والفني، وبناء على ذلك فإنه من الأهمية وضع أسس جديدة لنظرية الثقافة تأخذ بعين الاعتبار المسائل التالية التي حاول فرانزفانون بلورتها في كتابه " معذبو الارض "، يقول فانون، إن الثقافة في جوهرها

نقيض العادات الجامدة، التي ليست إلا حطام الثقافة. فإذا أردت أن تلتصق بالتقاليد أو أن تحيي التقاليد البالية كنت تعاكس تيار التاريخ، بل كنت تعاكس شعبك. ثم يضيف ميرزا بأن، الشعور القومي الوطني ما لم يكن تجسيدا منسجماً لأعمق مطامح الشعب بمجموعه، وما لم يكن ثمرة مباشرة حياة نابضة للعبئة الشعبية، فلن يكون في أحسن الأحوال إلا شكلاً لا مضمون له، سريع الزوال، قليل الدقة والوضوح، وتتعمق الأزمة والازمة الثقافية عندما تتحول البلاد الناشئة المستقلة من حالة الأمة الى حالة القبيلة ومن مستوى الدولة الى مستوى العشيرة.

وزير باكستاني: مكتبة الامام الرضا ع تعد المركز الثقافي والتعليمي المتكامل في تعليم وتربية الشباب:

اعتبر وزير التربية والتعليم الباكستاني مير هزار خان، ان العبئة المقدسة للامام الرضا (ع) وضعت عالماً كبيراً من العلوم المختلفة بتصرف عامة الناس عبر النشاطات الثقافية المختلفة.

وأضاف مير هزار خان في تصريحات أدلى بها خلال تفقده للمكتبة المركزية ومتاحف العبئة المقدسة، ان العبئة المقدسة للامام الرضا (ع) التي تضم مجموعة من المتاحف والاماكن الثقافية والتاريخية استطاعت أن تقدم جانباً كبيراً من التاريخ الاسلامي والايراني لعامة الناس.

وأشاد بالنشاطات اللافتة لمجموعة المتاحف ومركز الكتب الخطية للعبئة المقدسة في الاحتفاظ وصيانة الاثار التاريخية والقيمة وانني لم أشاهد سوى القليل من مناطق العالم مثل هذه النشاطات وذلك في مجال آثار ايران الاسلامية. ووصف المكتبة المركزية للعبئة الرضوية المقدسة بأنها بمثابة المركز الثقافي والتعليمي المتكامل للغاية في تعليم وتربية جيل الشباب، وان

هذا النوع من التعليم الواسع والجيد في العتبة الرضوية المقدسة يترك تأثيرات ايجابية كبيرة للغاية على أفكار شريحة الشباب وحياتهم.

شيخ الأزهر : رافضو التطبيع مع اسرائيل " جهلاء وجبناء "

أبدى نواب ونشطاء مصريون استياءً بالغاً من شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي بعد مصافحته رئيس الكيان الصهيوني شمعون بيريز خلال المؤتمر للأمم المتحدة لحوار الأديان. في أزمة كشفت بعداً جديداً في موقف المؤسسة الدينية بمصر من التطبيع مع الاسرائيليين. وطالب بعض النشطاء بعزل شيخ الأزهر من منصبه بعد هذه الواقعة، لكن الرجل لم يظهر تراجعاً عن موقفه بمصافحة بيريز، ووصف الرافضين للتطبيع مع اسرائيل بأنهم جهلاء وجبناء.

ويملك رئيس الدولة وحده حق عزل الشيخ الأزهر وتعيينه، بعد أن كان هذا المنصب يشغل بالانتخاب من بين هيئة علماء أكبر مؤسسة دينية في العالم العربي والاسلامي. ونقلت صحف مصرية عن طنطاوي قوله، ان من يتمتع عن مقابلة عدوه فهو جبان، مجدداً رفضه دعوة البابا شنودة الثالث لمقاطعة اسرائيل ومنع المسيحيين من الحج الى القدس إلا بعد تحريرها.

دراسة علمية حديثة تكشف أن اليمن موطن الانسان الأول:

صرح نائب عميد كلية الطب اليمنية الدكتور علي محمد الميري ، نتائج أحدث دراسة علمية في مضمار تقصي وتتبع تاريخ البشرية خلصت الى ان اليمن منبع وموطن البشرية الأول. وأوضح الدكتور الميري لوكالة الانباء اليمنية " سبا " ان هذا البحث الذي سيتم تناوله بمركز " منارات " يمثل خلاصة مسيرة طويلة حول فكرة الانسان الأول وتقصي أصوله الوراثية.

وأوضح الميري، كان هناك معتقد بأن أصول البشرية تعود جذورها الى افريقيا غير أن ثمة اعتقاد بأن تحدرها كان الى افريقيا عن طريق جنوب سيناء لكنه ثبت لاحقاً ان الطريق الذي عبرت منه الهجرات البشرية من اليمن الى افريقيا كان عن طريق باب المندب لذلك اتجهت الانظار الى اليمن لاجراء الابحاث العلمية لتأكيد هذا الاعتقاد.

وأضاف: وعلى مدى السنوات الماضية ابتداء من عام ٢٠٠٢ م بدأت عدة بعثات علمية متخصصة من عدة دول أوروبية تغد الى اليمن لأخذ عينات مختبرية من الدم واللحاف من اليمنيين المقيمين داخل اليمن ومن المغتربين في مهاجرهم.

وتابع قائلاً: انطلاقاً من كل ذلك استشعرنا مسؤوليتنا الوطنية والعلمية فقمنا بمشاركة علماء متخصصين من جامعتي فلوريدا الاميركية وكامبردج البريطانية باجراء بحث في هذا المجال متوخين الدقة والمنهج العلمي المجرد من أي عواطف وتمكنا من جمع ٥٥٠ عينة جينية من مناطق يمنية مختلفة ومن خلال التحليل المختبري تم التوصل الى نتائج علمية متطورة جداً في مضمار تقصي وتتبع تاريخ البشرية من خلال الحامض النووي وشريط الجينات الوراثية وهي النتائج التي تؤكد بالدلائل والمعطيات ان اليمن منبع وموطن البشرية الاول.

وذكرت وكالة "سبأ" ان الدكتور الميري سوف يعلن في المركز اليمني للدراسات التاريخية واستراتيجيات المستقبل "منارات" نتائج هذه الدراسة العلمية في مضمار تقصي وتتبع تاريخ البشرية من خلال الحامض النووي وشريط الجينات الوراثية. ويستعرض الميري في محاضراته التي ينظمها مركز "منارات" تحت عنوان "اليمن موطن الانسان الأول" يؤكد أنه أحدث اكتشاف علمي للحامض النووي "DNA" المراحل والخطوات التي قطعتها الدراسات في جميع أنحاء العالم.

ملتقى الخط العربي يجمع خطاطي بلاد الشام وتركيا وايران:

ضمن فعاليات دمشق عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٨ استضافت مكتبة الأسد ملتقى الخط العربي بمشاركة مجموعة من الخطاطين من بلاد الشام وتركيا وايران. وناقش المشاركون في الملتقى العديد من المحاور من بينها قواعد فن الخط وبعدها التاريخي والمعاصر، وتقنيات مهنة الخط وبعدها التاريخي والمعاصر، والأفاق المعاصرة للخط وتحديات التقانات الحديثة.

ورافق الملتقى ثلاثة معارض خصص الأول للأعمال التراثية لخطاطي بلاد الشام وايران وتركيا خلال الفترة من منتصف القرن العشرين، وعرض الثاني مخطوطات ومصاحف أثرية، بينما جمع الثالث، أعمال الخطاطين المشاركين في الملتقى. وصدر عن الملتقى عدد من المؤلفات والمطبوعات التي تناولت أعمال الخطاطين المشاركين الى جانب مراجع لبعض أعمدة الخط العربي، وكتاب يضم أهم الأعمال التراثية لخطاطي سوريا، بين منتصف القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين.

وأكد الخطاط أحمد المفتي في كلمة باسم الخطاطين السوريين أن الكتابة هي منشأ الحضارة ولولا الخط لما وجدت الثقافة. موضحاً أن الخط استخدم في البداية لتدوين الكلام قبل أن يتحول في العصر الأموي الى فن من الفنون . واستعرض المفتي مراحل نشوء وتطور الخط من السمارية الى العربية مروراً بالهيروغليفية المصرية والابجدية الأوغاريته.

وبحسب الأمانة العامة لاحتفالية دمشق فإن هذا الملتقى يأتي تعزيزاً للهوية الثقافية العربية على الصعيد المحلي والدولي، وإبرازاً للدور الحضاري لسوريا وبلاد الشام في نشأة وتطور فن الخط العربي. ويتركز الهدف من الملتقى بالدرجة الاولى على دعم الخطاطين باعتبارهم أحد أعمدة الفنون

الشرقية، وتأكيد دورهم الثقافي في ظل التحديات التي تواجهها مهنتهم المهددة بالانقراض في عصر التقنيات الحديثة.

تزايد نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو يؤدي الى ارتفاع نسبة الحموضة في مياه المحيطات:

أظهرت دراسة أميركية ان تزايد نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو يؤدي الى ارتفاع نسبة الحموضة في مياه بعض مناطق المحيطات بشكل أكثر مما كان يعتقد العلماء حتى الآن. وأثبتت الدراسة المقرر أن تنشر نتائجها في وقت لاحق في مجلة " بروسيدنجز " التابعة للأكاديمية الأميركية للعلوم أن هذا التزايد في نسبة حموضة مياه المحيطات يؤدي الى تغير تركيبة المجموعات البحرية ويهدد بعض الأحياء البحرية مثل السرطانات والأصداف والأحياء التي تكون الكالسيوم.

والعامل الأساسي في ارتفاع نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو هو استمرار الإنسان في استخدام الوقود الكربوني وإزالة الغابات التي تمتص نحو ثلث كميات ثاني أوكسيد الكربون في الجو. ويتحلل غاز ثاني أوكسيد الكربون في مياه البحار حيث ينتج عن ذلك تكون حامض الكربونيك الذي يتسبب في زيادة حموضة مياه البحار.

رئيس مجلس علماء الدين في طاجيكستان، ايران تضطلع بدور بناء في تنمية القيم الدينية:

اعتبر رئيس مجلس علماء الدين في طاجيكستان قاري امان الله نعمت زاده الجمعة ان الجمهورية الإسلامية الإيرانية لديها مكانة وتضطلع بدور بناء في تنمية القيم الدينية والتقاليد الوطنية في البلدان الإسلامية بالمنطقة. وكان قاري امان الله يدلي بهذه التصريحات في جانب من خطبة صلاة

الجمعة في العاصمة الطاجيكية دوشنبه مشيراً الى زيارة الرئيس الطاجيكي امام علي رحمانوف لطهران.

وأضاف: ان ايران التي أحرزت على تنمية منقطعة النظير في مختلف المجالات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية فانها حازت على تنمية في تنفيذ البرامج من أجل صون تنمية القيم الدينية والتقاليد الوطنية.

واعتبر رئيس مجلس علماء الدين في طاجيكستان الذي يعتبر أرفع زعيم ديني في هذا البلد اعتبر الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس الطاجيكي امام علي رحمانوف بأنها فتحت مرحلة جديدة وهامة في العلاقات بين البلدين. ووصف الدور الذي تؤديه ايران في تنفيذ المشاريع الاقتصادية الهامة في طاجيكستان بالهام وان رحمانوف من خلال ما يحمل من نظرات ايجابية يعتبر ايران بلداً صديقاً وشقيقاً ومن الشركاء الذين يمكن الثقة بهم والاعتماد عليهم ويدعوا الى مشاركة الايرانيين في المشاريع الهامة والبناء للحكومة الطاجيكية. وأضاف ان الشعب والحكومة في طاجيكستان يعتبران الجمهورية الاسلامية الايرانية بلداً يتصف بالثقة والامل ويمكن الاعتماد عليه.

الباحثة السعودية نداء محمد الأحمد .. المرأة الايرانية لديها قدرات متميزة في مجال القرآن الكريم:

أكدت الباحثة السعودية في مجال القرآن، نداء محمد الأحمد، بأن توفير الفرص والامكانيات للتطور والنجاح في مختلف المجالات الدينية والقرآنية مكن المرأة الايرانية بأن تتميز بالابداع في المجال القرآني بمختلف مجالات حفظ وتفسير وتأليف والبحوث القرآنية وينبغي أن يستفيد العالم الاسلامي من قدرات وتجارب وخبرات المرأة الايرانية في مختلف المجالات القرآنية.

وفي حوار خاص لها مع وكالة " إيكنا " للأنباء القرآنية أبررت الباحثة السعودية في مجال القرآن، نداء محمد الأحمد، بأن الاهتمام الذي يوليه المسؤولون في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقرآن الكريم ولتشجيع المرأة على تعلم العلوم القرآنية والدينية يستحق الإشادة والتقدير إذ يشكل ذلك السبب الرئيس والمهم في تقدم السيدات الإيرانيات في مجال البحوث القرآنية على صعيد العالم.

وأشارت الباحثة الى الندوة الدولية السادسة المنعقدة بطهران وقالت، شاركت في الندوة بمقال تحت عنوان " فضل وعظمة القرآن الكريم" إذ يتناول المقال دراسة حول فضل القرآن الكريم وعظمته وأهمية تعليم العلوم والمفاهيم القرآنية وفوائد وتأثيرات القرآن الكريم وثواب ذلك في الدنيا والآخرة.

وأضافت الباحثة السعودية بأنه ومع الأسف يظن بعض المسلمين بالخطأ أن القرآن كتاب للتبرك وطلب الشفاء وقراءته لطلب المغفرة والترحم على أرواح الموتى، إلا أن البحث الذي تقدمت به هي للمشاركة في الندوة يؤكد أهمية التمسك بالقرآن الكريم بصفته كتاب لتربية الانسان والالتزام بأحكام الشريعة في حياة الدنيا ولتعزيز وترسيخ العلاقات بين الانسان والله سبحانه وتعالى.

وأكدت نداء محمد الأحمد على ضرورة التمسك بالقرآن ونشر الثقافة القرآنية في المجتمعات الإسلامية وتعرف المسلمين على المفاهيم والعلوم القرآنية والدينية وتعاليم الوحي وتسوية القضايا العالقة لتوحيد العالم الإسلامي. وللمسيدة نداء محمد عدة تأليفات منها كتب " الامام المهدي -عج- في القرآن الكريم " و " الهجرة في القرآن الكريم " و " علم النفس في القرآن الكريم " دراسة حول كلمة النفس في القرآن، و " شهر رمضان المبارك "، إضافة الى العديد من المقالات والبحوث. والجدير بالذكر ان المؤتمر الدولي الـ ٦ للباحثات القرآنيات انعقد يوم ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٨ في قاعة الوحدة

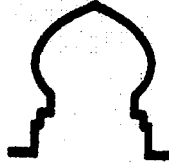
بطهران حيث تم تكرين ٢٦ باحثة من بين المشاركات في الندوة و ١٨ باحثة
منهن من الجمهورية الاسلامية الايرانية و ٨ باحثات من كل من دول غينيا
وتركيا والولايات المتحدة الاميركية والاورغواي والمملكة العربية السعودية
وبوسنة والهرسك وسريلانكا.





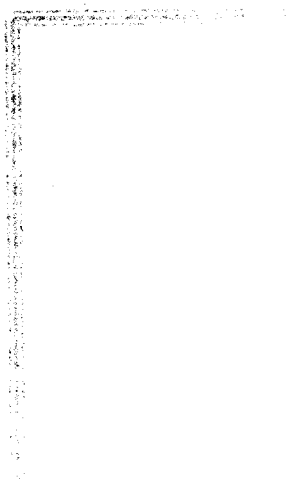
1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* contents were determined by spectrophotometry using the method of Lichtenthaler and Whaley (1987).

100



جولة بين الكتب والمجلات

يسر مجلة " آفاق الحضارة الاسلامية " أن تساهم في تعريف العالم الإسلامي بالكتب التي تصدر عن مطابع الجمهورية الاسلامية في إيران وغيرها، باللغة العربية أو الفارسية، بعد تسلّم نسخة منها من مؤلفيها. كذلك تعرض المجلة إستعدادها لنشر المقالات في نقد الكتب أو تلخيصها، بالعربية أو الفارسية، خدمة للقارىء بالعربية في كل مكان.



مجموعة

من الكتب التي أصدرها هذا المعهد

(معهد العلوم الانسانية والدراسات الثقافية - وزارة التعليم العالي)

خلال سنة ٢٠٠٨م = ١٣٨٧ هـ.ش

١. كتاب نهج الفصاحة، المجلد الثاني، باللغة " العربية والانجليزية "، تأليف
أبو القاسم باينده، صححه وترجمه الى الفارسية:

- الدكتور جعفر دلشاد.
- الدكتور نصر الله شاملبي.
- الدكتور حسين وحيد دستجردي.

٢. كتاب نهج الفصاحة، المجلد الثالث، باللغة " الانجليزية "، تأليف أبو القاسم
باينده، صححه وترجمه الى الفارسية:

- الدكتور جعفر دلشاد.
- الدكتور نصر الله شاملبي.
- الدكتور حسين وحيد دستجردي.

٣. كتاب تذكرة العارفين، بالفارسية، قدم له وعلق عليه:

- الدكتور أبو القاسم رادفر.
- السيدة كيتا أوشيديري.

٤. كتاب الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثورة الكلمة المقدسة، بالعربية، تأليف الدكتور على أبو الخير، صححه وعلق عليه الدكتور حامد صدقي.

٥. ترجمة كتاب " الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) المشار إليه أعلاه الى اللغة الفارسية، قام بالترجمة:
• الدكتور حامد صدقي.

• الدكتور حبيب الله عباسي.

٦. كتاب " روش تحقيق در علوم اجتماعي " ، بالفارسية، مجلدان ، الأول بعنوان " أصول ومباني " ، والثاني بعنوان "بينشها وفنون" ، تأليف الدكتور باقر ساروخاني.

٧. كتاب " تذكرة الشعراء " ، تأليف دولتشاه سمرقندي، صححه وعلق عليه: الدكتور فاطمة علاقه.

٨. مجموعة مقالات " مؤتمر تطور العلوم والتكنولوجيا " المجلد الأول، جامعة شريف الصناعية، بقلم الدكتور مهدي گلشنی.

٩. ملزمة تدريس الفارسية لغير الناطقين بها، بقلم الدكتور تقي بورنامداريان.

١٠. مقصد الاقبال السلطانية ومرصد الآمال الخاقانية، تأليف السيد أصيل الدين الواعظ، باعتناء الاستاذ مايل هروي.

١١. رسالة " طريق قسمت آب"، بالفارسية، تأليف قاسم بن يوسف الهروي، قدّم له وعلق عليه الاستاذ مايل هروي.

١٢. كتاب "قره‌نك اساطيري - حماسي ايران"، المجلد الأول "بیشدادیان"، بالفارسية، تأليف الدكتورة مهين دخت صديقيان.

١٣. كتاب " الدراسات الثقافية " تأليف :

• جميز پ. اسپرديلي.

• ديفيد مك كوردي.

ترجمه الى الفارسية الدكتور بيوك محمدي.

١٤. كتاب "دراسة مصادر الشيعة"، بالفارسية، تأليف رامين خانبكي.

١٥. كتاب "جوامع الحكايات ولوامع الروايات"، الجزء الثاني (القسم الثاني)،

تأليف سديد الدين عوفي، باعتناء الدكتور مظاهر مُصفا والدكتورة أمير بانو

كريمي.

١٦. قصص للتأمل والتدبر، تأليف: رابرت فيشر، ترجمها الى الفارسية سيد

جليل شاهري لنغرودي.

١٧. أفكار الفيلسوف الألماني كانت (Kant)، تأليف الاستاذ كريم

مجتهدی.

١٨. كتاب "هادخت نسك" وهو دراسة لقسم من أقسام الاوستا، بقلم الدكتورة

مهشيد مير فخراني.

١٩. نهضة العباسيين في خراسان، تأليف: م. أ. شعبان، الترجمة الفارسية

بقلم الدكتورة پروين تركمني آذر.

٢٠. كتاب "هل الدين مفيد لسلامة الانسان؟" آثار الدين على صحة جسم

الانسان وحالته النفسية، تأليف: هارولد جي. كونيك، الترجمة الفارسية بقلم

الاستاذة بتول نجفي.

٢١. كتاب "رحلة نجم الدولة الثانية الى خوزستان"، صححه وعلق عليه:

الدكتور احمد كتابي.

٢٢. كتاب "جوامع الحكايات ولوامع الروايات" الجزء الأول من القسم

الثاني، صححه وعلق عليه: الدكتورة أمير بانو كريمي.

٢٣. تصحيح القسم الأول من الجزء الثالث من كتاب "جوامع الحكايات"

المشار اليه أعلاه، بقلم الدكتورة أمير بانو كريمي.

٢٤. تصحيح القسم الثالث من الجزء الثاني من كتاب "جوامع الحكايات"

المشار اليه أعلاه، بقلم الدكتورة أمير بانو كريمي.

٢٥. كتاب " مشاهير گیاه شناسی در طهران اسلامي "، الأصل العربي بقلم الدكتور علي عبدالله الدفاع، والترجمة الفارسية بقلم الدكتورة فرزانه غفاري.
٢٦. دور العلم والعلماء في البحث عن الحقيقة، تأليف ريجارد سون وأصحابه، الترجمة الفارسية بقلم الاستاذة بتول نجفي.
٢٧. كتاب " بررسی وضعیت تحقیقات علوم انسانی در مسائل زنان - در ٢٠ سال اخیر - "، بالفارسية، بقلم الدكتورة ثريا مكنون.
٢٨. المعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث والأقوال عن الكتب العرفانية الفارسية، المجلد الأول - الجزء الأول، تأليف مجموعة من الأساتذة (قسم المعجم).
٢٩. فرهنگ خاور شناسان (= قاموس المستشرقين)، بالفارسية، تأليف مجموعة من الأساتذة برئاسة الدكتور برويز مشكين نجاد.
٣٠. مجموعة المقالة الفائزة في مسابقة مقالات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، المراجعة والتصحيح للأستاذ قيس آل قيس.
٣١. فرهنگ ابراهيمی " شرفنامه منیري "، التصحيح بقلم الدكتورة حكيمه دبيران.
٣٢. كتاب " مصطلحات عرفاني ومفاهيم برجسته در زبان عطار "، بالفارسية، تأليف الدكتورة سهيلا صارمي.
٣٣. مجموعة مقالات المؤتمر الأول لدراسة وتنظيم نظام العلوم التربوية. شورای بررسی متون کتب علوم انسانی = لجنة تدقيق ومراجعة نصوص كتب العلوم الانسانية.
٣٤. مجموعة مقالات "مؤتمر تطور العلوم والتكنولوجيا"، المجلد الثاني. باهتمام الدكتور مهدي گلشنی.
٣٥. كتاب القرآن وعلوم الطبيعة باللغة الانجليزية :

- تأليف الدكتور مهدي گلشنی.
٣٦. كتاب المدخل لعلوم "العلم والدين"، تأليف مايكل هول، الترجمة الفارسية بقلم سعيد ناجي.
٣٧. كتاب الاصطلاحات القرآنية في أشعار "مثنو" مولانا جلال الدين، بقلم الدكتور علي رضا ميرزا محمد.
٣٨. مجموعة مقالات "مؤتمر تطور العلوم والتكنولوجيا"، المجلد الثالث، باهتمام الدكتور مهدي گلشنی.
٣٩. كتاب "الجغرافيا التاريخية لمدينة بلخ ونهر جيحون" بقلم الدكتورة الهامه مفتاح.
٤٠. كتاب ديدار باسيمرغ (شعر وعرفان وانديشه عطار)، بالفارسية، بقلم الدكتور تقي پور نامداریان.
٤١. كتاب كنوز الحكمة، تأليف الشيخ احمد جام، تصحيح الاستاذ علي فاضل.
٤٢. كتاب "القرآن وعلوم الطبيعة"، المجلد الرابع، تأليف الدكتور مهدي گلشنی.
٤٣. العلم وسياسة التعليم والبحث والتحقيق، تأليف الدكتور رضا داوری اردكاني.
٤٤. الترجمة العربية لكتاب "القرآن وعلوم الطبيعة" تأليف الدكتور مهدي گلشنی، ترجمه الى العربية الدكتور عبدالغني الايرواني. والجدير بالذكر أن هذا الكتاب طبع مرة أخرى بالقاهرة من قبل (مركز الفارابي للدراسات).
٤٥. في قصر شمس "نهج البلاغة"، تأليف الدكتور علي رضا ميرزا محمد.
٤٦. لقاء مع الدكتور نصر حول العلم، الاسلام والتكنولوجيا، باعتناء الدكتور مهدي گلشنی، أجرى اللقاء: مظفر اقبال.

٤٧. كتاب " الإسلام والغرب"، بقلم الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري، ترجمه الى الفارسية الاستاذ حجة الله جودكي.

٤٨. كتاب "مظفر نامه" المجلد الرابع: الصناريون، السامانيون - الغزنويون - الغوريون - الديالمة، صححه وقدم له : الدكتورة روح انگيز كراچي، اشرف على التحقيق الاستاذ مهدي مدائني.

٤٩. كتاب "هل يتمكن العلم أن يتجاهل الدين"، تأليف :

• الدكتور مهدي گلشنی.

• الاستاذة بتول نجفی.

٥٠. علم التاريخ في تطور الحضارة الإسلامية، تأليف الدكتور صادق آئينه وند استاذ التاريخ في جامعة اعداد المدرسين بطهران.

إصدار كتاب جديد لآية الله طاهري خرم آبادي في مصر:

تمت طباعة واعداد كتاب " تحريف القرآن، اسطورة أم واقع" لمؤلفه آية الله (سيد حسن طاهري خرم آبادي) عضو مجمع مدرّس الحوزة العلمية في قم بجهود مركز الدراسات والبحوث العربية في مصر.

هذا ما أكدّه " محمد حسن زماني " المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في مصر " في حوار مع وكالة الانباء القرآنية العالمية " ايكنّا. وضمن اعلان هذا الخبر قال زماني: لقد تمت طباعة ونشر هذا الكتاب لأول مرة في مصر بعد أن قام " تحسين البديري " المصري بترجمته من اللغة الفارسية الى اللغة العربية.

وأضاف : لقد عرض هذا الكتاب الذي جاء في ١٥٠ صفحة أبحاث مرتبطة بتحريف القرآن الكريم في نظر الشيعة والسنة.

كما صرح " محمد حسن زماني " المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في مصر قائلاً: لقد تمت كتابة مقدمة هذا الكتاب من قبل

"أحمد عبدالرحيم السائح" استاذ جامعة الأزهر و "توفيق على وحدة" رئيس مركز الدراسات والبحوث العربية في مصر .
وفي الختام اعتبر زماني ان طباعة ونشر هذا الكتاب تأتي في سياق تعريف أهل السنة بعقائد الشيعة وتقريب المذاهب الاسلامية.

كتاب جديد للمفكر الاميركي المعارض نعوم تشومسكي

صدر للمفكر والمعارض الاميركي الكبير نعوم تشومسكي حديثاً في القاهرة عن مكتبة الشروق الدولية كتاب بعنوان "أوهام الشرق الأوسط" ترجمة شيرين فهمي ويقع الكتاب في ١٠٩ صفحات.

يستعرض تشومسكي في هذا الكتاب عبر تحليل تاريخي، جملة المتغيرات والتحويلات التي شهدتها منطقة الشرق الاوسط منذ مرحلة الخمسينات، ويستعرض من خلالها ملامح ازدواجية السياسة الاميركية في التعامل مع القضايا العربية الحيوية، فيكشف ما تخفيه من نيات تقوم على النفعية والهيمنة والسيطرة، مؤكداً أن الولايات المتحدة في (سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط) تستعيد النهج البريطاني في الاستعمار وتنتهج الهيكل الاساسي للنظام البريطاني، في فترة زهوها الامبراطوري الذي لم تغب عنه الشمس. ويبين تشومسكي دور الولايات المتحدة في بناء الأنظمة الموالية لها، فقد قام ساسة الادارة الاميركية على رؤية سياسة استراتيجية مفادها أن (الطبقات الديكتاتورية هي النموذج المفضل، بغض النظر عن سلوكياتها الوحشية، فهي تحظى بشرف واحترام الادارة الاميركية، ما دامت هذه الانظمة تخدم مصالح الولايات المتحدة).

كما ينتقد تشومسكي ازدواجية معايير إدارته ويصف التزامها بحقوق الانسان بأنه (اسطوري كاذب وأن هذه الحقوق تتحدد على أساس الاسهامات في حفظ النظام فللحكومات العربية حقوق لأنها تسيطر على الشعوب وتضمن

تدفق الثروة الى الغرب ولبريطانيا حقوق ما دامت تلعب دور الكلب النباح الوفي للولايات المتحدة) فهدف الولايات المتحدة وبريطانيا ينحصر في الاحتفاظ بالسيطرة على المناطق المنتجة للنفط وليس الدفاع عنها كما يقول تشومسكي.

ويعرض المؤلف في كتابه لمقارنات بين الموقف الاميركي من اسرائيل، وموقفه من العرب، في أحداث متشابهة، فيعقد مقارنة بين العمليات التركية في شمالي العراق والعمليات الاسرائيلية في جنوب لبنان في فترة احتلالها لجنوب لبنان الذي دام ٢٢ عاماً، فيقول " إن تشابهاً كبيراً بينهما "، ففي الحالتين تمت العمليات الوحشية تحت رضا واشنطن مما أعطى في النهاية صفة الشرعية فقد قتلت اسرائيل نحو ٤٥ ألف لبناني خلال تلك الفترة ولكن أحداً لا يحصي عدد ضحايا أميركا ولا ضحايا أصدقائها".

يعد نعوم تشومسكي من أبرز مثقفي العصر، فقد اختير في استفتاء ثقافي أجري في الولايات المتحدة ليكون ضمن أهم ثلاث شخصيات ثقافية على قيد الحياة في هذا القرن. وصفته منظمة " بناي بريث " اليهودية، بأنه أشد مواطني امريكا عداءً لإسرائيل.

نحن والآخر .. جديد الكاتب المغربي .. جمال بوطيب

عن مؤسسة التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع صدر للكاتب والباحث المغربي الدكتور جمال بوطيب كتاب نظري بعنوان " نحن والآخر: تجليات جسدانية في الفكرين العربي والغربي ". يقول المؤلف في مقدمة الكتاب:

إن الجسد موضوع مركب لأنه [حدثي] و [حدثي] . هو حدثي لأنه مجموعة من الغرائز والرغبات التي تصدر عنها أفعال وسلوكات وانفعالات، تظل مرتبطة بمتابعة منهجية هادفة الى فهم الصادر الذي هو السلوك وإدراكه وتفسيره والحكم عليه، ومن خلال عملية الفهم والادراك

للمصادر نعرف المصدر الذي هو " الجسد ". أما كونه حادثياً فبسبب تجدده الدائم بوصفه موضوعاً للبحث وثيق الصلة بمواضيع أخرى، وخاضعاً لكل أشكال المقاربة، مادام الاهتمام بالجسد - وإن كان جسداً خاصاً - هو اهتمام بأجساد أخرى.

لقد تمحور الفكر العلمي الحداثي حول مفاهيم ضابطة بهدف إحداث تغييرات على مستوى التفكير في الوجود وفي الموجودات. هذه المفاهيم الضابطة، وإن تعددت بحسب تعدد التخصصات، فإنها تلتف حول مفهومين رئيسيين يدين الفكر العلمي في شموليتهما لمجال البحث الفيزيائي التطبيقي هما: مفهوم النقطة ومفهوم القوة اللذان يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالجسد. إن الجسد نقطة في العالم من بين نقط أخرى متعددة شكلاً ومتباعدة أو متقاربة على مستوى المسافات والازمنة، وإذا ما حدث أن ارتبطت بأي نوع من أنواع القوة سواء أكانت هذه القوة جاذبة أم دافعة، فإن من نتائج هذا الارتباط جعل الجسد يعي وجوده. هذه اللحظة الواعية هي لحظة مركبة تتسم بالتعدد الإدراكي، فالجسد يعي ذاته في علاقتها بذاتها من جهة، وفي علاقتها بالآخر المماثل أو المغاير من جهة ثانية، وفي علاقتها بالعالم المحيط من جهة ثالثة، لتطرح أسئلة متعددة: كثنائية "الروح والجسد" و "المقدس والمدنس" و "السائس والمسوس" و "الوجود والعدم" و "أسئلة القيم" وغيرها.

إن هذا التراكم الاستفهامي الذي يعزى عادة إلى خلط مفهومي، هو ما نجد له تفسيراً عند ميرلو بونتي الذي اعتبر الجسد هو ما يجعل الفرد يتجذر في العالم، قائلاً عن جسده الخاص إنه " هو محور العالم الذي أعيشه بواسطته ". هذا التحول في المنظور جعل الجسد أو النقطة في العالم هو المحرك وليس التابع كما اعتقدت ذلك وقررتة الأفكار القيمية المؤسسة على معيار تفاضلي بسعيها الدؤوب إلى تخليص الروح من الجسد الذي ظلت صفات الدونية والتبعية مرتبطتين به في التراث الفلسفي والأخلاقي". يقع الكتاب في

٧٠ صفحة من القطع المتوسط نقرأ في إهدائه (الى الآخر عله يدرك أننا آخر أيضاً) وزين بلوحة للفنانة المغربية خيالي.

• مقالات في التاريخ والادب والنقد. للكاتب: السيد حسن الامين. يضم الكتاب مجموعة من المقالات، مختلفة الموضوعات، تحوي تاريخاً وادباً ونقداً، وما يوحدنا هو انها مستوحاة من تاريخنا منبثقة من حاضرنا ممهدة لمستقبلنا.

• الكتاب: القدس تاريخ وحضارة .. الكاتب: عبلة المهدي . يبحث هذا الكتاب في تاريخ المدينة المقدسة منذ عام ٣٠٠٠ ق.م. الى عام ١٩١٧م. وهو العام الذي بدأ فيه عهد الاستعمار الانكليزي، فيقدم مادة توثيقية عن مقدسات المدينة وبيوتها ومدارسها ومؤسساتها...، ما يؤكد انها مدينة عربية اسلامية.

• الكتاب: «مغنونو» وقنبلة اسرائيل النووية . الكاتبان: طوم جيلينغ وجون ماك نايت . يروي الكتاب: قصة القنبلة النووية الاسرائيلية، كما قدمها العامل الفني في مفاعل «ديمونا» مردخاي مغنونو لصحيفة «الصنداي تايمز» في ايلول عام ١٩٨٦، وتفاصيل عملية خطفه من قبل عناصر جهاز «الموساد» من لندن. وفي الكتاب اضاءة على محاكمة مغنونو، وهو يعد وثيقة جديدة تؤكد طبيعة اسرائيل العدوانية والعنصرية.

• الكتاب: الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي . الكاتب: د. عبد الرزاق الفارس . الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م. يتألف الكتاب من خمسة فصول، يبحث اولها في «مفهوم الفقر وحدوده وطرق قياسه»، وثانيها في «ظاهرة الفقر في الوطن العربي وتطورها»، وثالثها في «خصائص الفقر والفقر في

- الوطن العربي»، ورابعها في «توزيع الدخل»، وخامسها في «العوامل المهمة في الحصول على الثروة»...
- الكتاب: جماليات القصيدة الفلسطينية . الكاتب: ماهر اليوسفي. الناشر: دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ط ١، ٢٠٠١م. يستكشف الباحث الجميل والمضي من أحزان الفلسطينيين شعراً، كما تمثل في قصائد شعراء فلسطينيين راحلين، هم: ابراهيم طوقان، عبد الكريم الكرمي، عبد الرحيم محمود، توفيق زياد، رائد حسين، علي فودة، فواز عيد، حسن البحيري، توفيق صايغ، كمال ناصر، جبرا ابراهيم صبرا، معين بسيسو.
 - الكتاب: اساليب الخطاب القرآني. الكاتب: صادق عبد الرحيم. الناشر: دار معد والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م. يبحث الكتاب في أنواع الخطاب في القرآن الكريم، وخصائصه ودلالاته وحالات استقباله.
 - الكتاب: العقل الاخلاقي العربي. الكاتب: د. محمد عابد الجابري. الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م. الكتاب دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، وهو الجزء الرابع، والآخر، من كتاب الجابري: «نقد العقل العربي». يحتوي الكتاب ثلاثة وعشرين فصلاً تتوزع على قسمين رئيسيين، يبحث اولهما المسألة الاخلاقية في التراث العربي، ويبحث ثانيهما في نظم القيم في الثقافة العربية: اصولها وفصولها، مركزاً على الموروثات: الفارسي، اليوناني، الصوفي، العربي الخالص، الاسلامي.
 - الكتاب: كربلاء في رائعة الشهيد مطهري. اعداد: مركز بقية الله الاعظم. الناشر: الدار الاسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة «مختصر الروائع»، وهو مختصر لكتاب

الشهيد مطهري: «الملحمة الحسينية» الذي يعد من أهم المؤلفات التي تناولت عاشوراء بالدرس والتحليل.

- الكتاب: مصر بعيون إيرانية. الكاتب: عدد من الكتاب الناشرون: مكتبة الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م. يتضمن الكتاب مقالات وتحقيقات وحوارات صحفية لثلاثة كتاب إيرانيين هم: جميلة كيغار، فائزة هاشمي رفسنجاني، محمدصادق الحسيني.
- الكتاب: عرب ومسلمون وعولمة. الكاتب: د. احمد صدقي الدجاني. الناشرون: دار المستقبل، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١م. يبحث هذا الكتاب في موضوعات كثيرة تتصل جميعها بالامة العربية والحضارة الاسلامية، في هذا العصر الذي يشهد ظاهرة العولمة.
- الكتاب: الاطماع الخارجية في المياه العربية (الحروب القادمة). الكاتب: ايمن البهلول. الناشرون: دار السوسن، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م. يلقي هذا الكتاب الضوء على الاشكالية الخاصة بالمياه العربية وما ادت اليه من علاقات مضطربة مع الجيران، وذلك من وجهة النظر الى قضية الامن المائي العربي. يقف الباحث عند توزع مواقع المياه الهامة في البلاد العربية (الانهار، البحيرات، المياه الجوفية، مياه التهاطل، الاودية..) كما يتناول التحديات المائية الخارجية كالتحدي التركي، والتحدي الاثيوبي، والتحدي الاسرائيلي. ثم المياه في الاتفاقيات الدولية، ودور الجامعة العربية ومسألة المياه. الكتاب مزود بالوثائق والخرائط حول المياه العربية، والتعديلات التي اجريت عليها مع مرور السنين.
- الكتاب: امراء وقبائل. الكاتب: السيد محمد حسين فضل الله. الناشرون: رياض الرئيس للكتب والنشر، ط ١، ٢٠٠١م. جمع نجيب نور الدين، في هذا الكتاب، ابرز المقابلات الاعلامية التي تضمنت مواقف السيد

محمد حسين فضل الله من الاوضاع اللبنانية على مدى عشر سنين ونيف، مراعيًا التسلسل الموضوعي والزمني.

• الكتاب: العنصرية الصهيونية والمجتمع الدولي. الكاتب: د. جورج جبور الناشر: المنظمة العربية لحقوق الانسان، عمان، ط ١، ٢٠٠١م. يتوقف الكاتب عند قرار الامم المتحدة رقم ٣٣٧٩، الصادر عام ١٩٧٥، والذي دمج الصهيونية بالعنصرية، واكد انها شكل من اشكالها، وتساءل: ما العنصرية؟ وكيف هي الصهيونية عنصرية؟ واجاب عن هذين السؤالين واسئلة اخرى.

• الكتاب: من النقل الى الابداع، التحول - الجزء الثاني. الكاتب: د. حسن حنفي. الناشر: دار قباء، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١م. يتضمن هذا الجزء الذي يحمل عنوان: «التأليف» ثلاثة انواع تكوينية: الوافد والموروث وتفاعلهما في آليات الابداع. والباحث يواصل، في هذا الكتاب، محاولته لاعادة بناء علوم الحكمة القديمة، مبينًا نشاتها وتطورها بمنهج تحليل المضمون، رداً على شبهة التبعية والنقل.

• الكتاب: الاصلاح الشيعي (بالفرنسية). الكاتب: صابرينا ميرفن. يحمل الكتاب عنواناً ثانوياً هو: «العلماء والمتعلمون في جبل عامل من نهاية الامبراطورية العثمانية الى استقلال لبنان (١٨٠٨-١٩٤٣م)». اختارت الكاتبة منطقة جبل عامل لانها منبت علماء الامامية. كما تقول، ومن العلماء الذين تحدث عنهم: السيد محسن الامين، السيد عبد الحسين شرف الدين، الشيخ عبد الحسين صادق، الثلاثي العاملي (سليمان ضاهر، احمد رضا، محمد جابر آل صفا) واحمد عارف الزين وعلي الزين وموسى الزين شرارة...

• الكتاب: سقوط الوهم، هزيمة الاحتلال وانتصار المقاومة في لبنان. الكاتب: حسن فضل الله. الناشر: دار الهادي، بيروت، ط ١،

٢٠٠١م. يؤرخ هذا الكتاب للانتصار الذي حققته المقاومة الإسلامية على الاحتلال الاسرائيلي في لبنان الجنوبي.

- الكتاب: مصاحف وسيوف. الكاتب: رياض نجيب الريس. الناشر: رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠١م. يتحدث الكتاب عن التاريخ والسياسة والقوى الاجتماعية، في ايران، كما لو انه يكتب رواية عن حركة الحياة في هذا البلد.
- الكتاب: التوحيد والفطرة. الكاتب: الامام الخميني(رض). الناشر: مركز الامام الخميني الثقافي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م. يتضمن الكتاب مجموعة نصوص مختارة من كتب الامام الخميني(رض)، ومن عناوين هذه النصوص: في معنى الفطرة، الدين والفطرة، في تحديد احكام الفطرة، اشارة مختصرة الى تفسير سورة «التوحيد»...
- الكتاب: الامن المائي العربي: الواقع والتحديات. الكاتب: د. منذر خدام. الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت ٢٠٠١م. يتألف الكتاب من قسمين وخاتمة، يبحث اول القسمين في «الامن المائي العربي في وادي النيل»، وثانيهما في «الامن المائي العربي في بلاد الشام والعراق»، وتبحث الخاتمة في: «الامن المائي العربي وتحديات المستقبل».
- الكتاب: الولاية: المصطلح والدلالة. الكاتب: الشيخ عباس احمد شحادي. الناشر: دار الاضواء، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م. يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام تم فيها بحث قضايا عديدة، منها: الولاية في الكتاب والسنة، عقيدة التوحيد ونظام الولاية، ولاية الانبياء وخصائص الولاية في حركتهم، خصوصية الولاية في مفهوم الامام علي، نظرة في آية اولي الامر، مراتب الولاية وحدودها، دولة الولاية وضرورة حكومتها، الولاية والعقد الاجتماعي...

قسمة الاشتراك في مجلة
آفاق الحضارة الاسلامية

لتسجيل اشتراككم في المجلة يرجى إيداع حق الاشتراك في الحساب الجاري رقم ٥٤٠ (خزانه بانك مركزى) باسم (بزهشگاه علوم انسانى ومطالعات
فرهنگى) وإرسال سند الايداع الاصلي مع الاستمارة في ادناه، بعد ملئها، إلى عنوان المجلة، علماً بأن كافة شعب (بانك ملى) تتقبل استلام المبلغ المذكور.

قيمة الاشتراك السنوي (لعدددين)

للأفراد ٨٠٠٠ ريال (مع اجور البريد)
في ايران }
للمؤسسات ١٢٠٠٠ ريال

في خارج ايران }
للدول المجاورة ودول الشرق الاوسط: ١٧ دولاراً
لدول الشرق الاقصى واميركا وبرطانيا وكندا: ٢٥ دولاراً أو ١٨ باوناً

معلومات عن المشترك

اسم المشترك الثلاثي الشهادة العلمية اسم المؤسسة
تاريخ بدء الاشتراك العنوان البريدي الكامل (مع الرقم البريدي) رقم الهاتف
رقم الفاكس

عنوان المجلة

طهران، تقاطع شارع كردستان، مع شارع ٤٢، الرقم البريدي ١٤٣٧٣، العنوان البريدي ١٤١٥٥/٦٤١٩، هاتف ٣-١٤١٥٥/٢٦٨٩١-٣، ٨٨٠٣٦٣٢٠ (رقم الداخلي ٢١٩)

**«AFAQ AL-HIDARAH AL-ISLAMITYAH
Subscription Order Form**

Surname..... Name..... Education..... Beginning with vol. / Date.....
Address..... Country / State / City / Zip code.....
P.O. Box..... Tel..... Fax..... Telex..... E-mail.....

Prices (Biannual)

Iran { Individuals (postage included): Rls 8000
Institutes: Rls 12000

Outside Iran { Nearby Countries and Middle East: \$ 45
Britain, Canada, Australia, U.S.A.: \$55

Please return this form with your check to Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS) to P.O. Box 14155-6419,
Tehran, Iran, Tel.: (98) (21) 88036320.



Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah al-Alamiyyah

International Journal of Islamic Civilization

Issue No. 23, Autumn 2008 and Winter 2009

- **Publisher:** Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)
- **Director:** Prof. Mehdi Golshani
- **Editor-in-Chief:** Dr. Sadiq Ainawand
- **Issue Editor:** M. Kaiss Al-Kaiss
- **Production Manager:** Rahmatollah Rahmatpour

ISSN 1562-6822

Mailing address

Āfāq al-Hidārah al-Islamiyyah

Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)

P. O. Box: 14155-6419, Tehran 14374, Iran

Tel: 98-21-88046891-3

Fax: 98-21-88036317

1. E-mail afaq@ihcs.ac.ir

2. E-mail AlKaiss@ihcs.ac.ir

3. E-mail KaissalKaiss@yahoo.com

ĀFĀQ AL-HIDĀRAH AL-ISLAMIYYAH is a biannual journal published by the Institute for Humanities and Cultural Studies. The authors assume responsibility for their views expressed here. Articles and photographs may be reproduced provided that ĀFĀQ AL-HIDĀRAH AL-ISLAMIYYAH is cited.